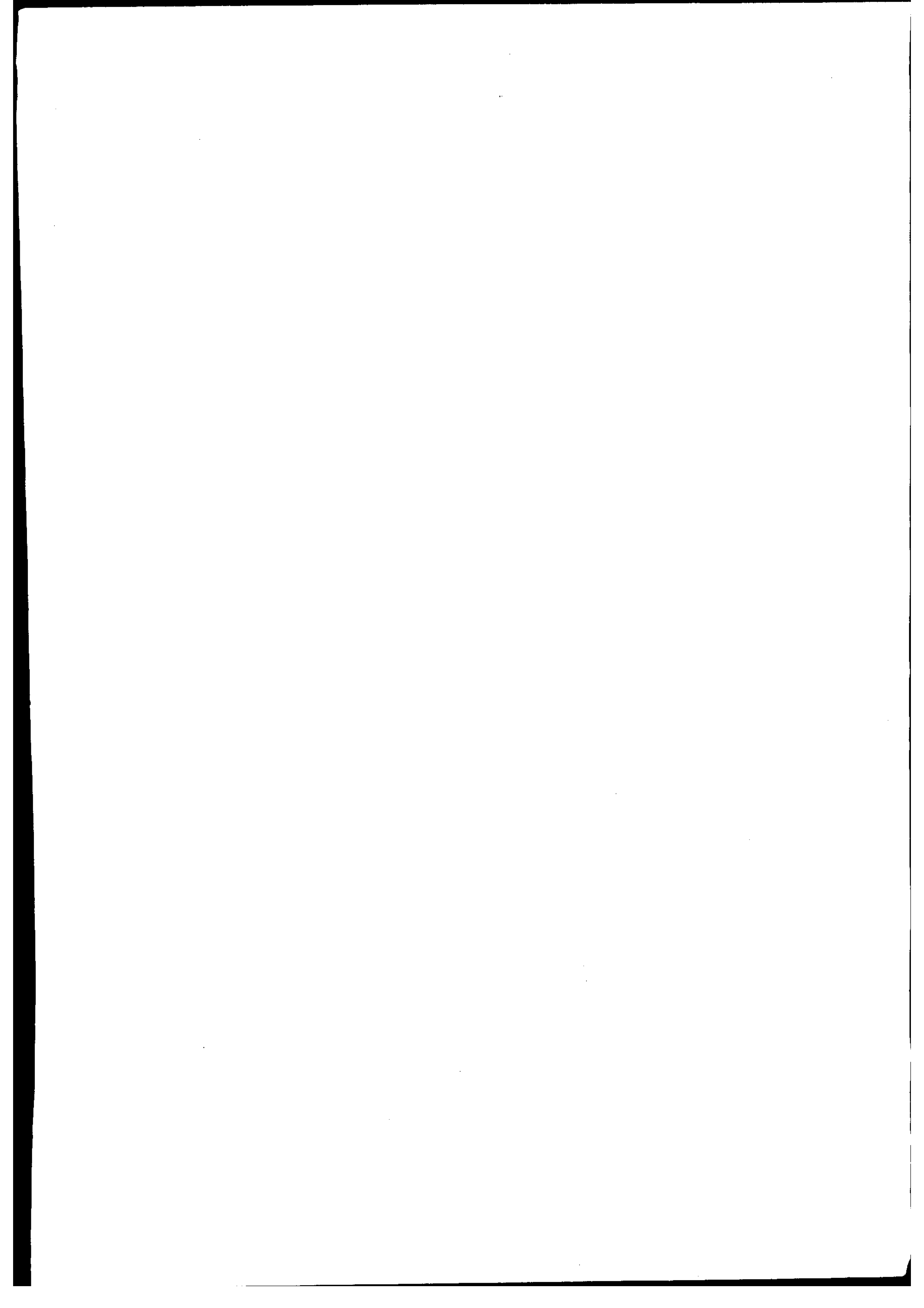
تفسير الطبري

جامع البيان عن تأويل آي القرآن



تفسير الطبري

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري
(٢٢٤هـ - ٣١٠هـ)

تحقيق
الدكتور/ عبد الله بن عبد المحسن التركي
بالتعاون مع
مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية
بدار هجر

الدكتور/ عبد السند حسن يمامة

الجزء التاسع

هجر
للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان

الطبعة الأولى

القاهرة ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية
بدار هجر
الدكتور عبد السند حسن يمامة
مكتب : ٤ ش ترعة الزمر - المهندسين - جيزة
ت : ٣٢٥١٠٢٧
مطبعـة : ٣٢٥٢٥٧٩ - فاكس : ٣٢٥١٧٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : صيَّر اللَّهُ الكعبةَ البيتَ الحرامَ قِوَامًا للناسِ الذين لا قِوامَ لهم ، من رئيسٍ يَحجِزُ قويَّهم عن ضعيفِهم ، ومسيئَهم عن محسنِيهم ، وظالمَهم عن مظلومِهم ، ﴿ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ﴾ ، فحجَز بكلٍّ واحدٍ من ذلك بعضَهم عن بعضٍ ، إذ لم يكنْ لهم قيامٌ غيرُه ، وجعَلها معالمَ لدينِهم ، ومصالحِ أمورِهم .

والكعبةُ سُمِّيت - فيما قيل - كعبةً لتربيعِها .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن سفيانَ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ[1] ، قال : إنما سُمِّيت الكعبةَ لأنها مُرَبَّعةٌ[2] .

---

(١) بعده فى س : « مثله » .

(٢) أخرجه ابن أبى شيبة ١١٢/٤ عن وكيع به ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢١٣/٤ (٦٨٥٢) من طريق سفيان به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٣٣/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبى الشيخ .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا هاشمُ بنُ القاسمِ ، عن أبى سعيدٍ المؤدِّبِ ، عن النَّضْرِ ابنِ عَرَبِىٍّ ، عن عكرمةَ ، قال : إنما سُمِّيت الكعبةَ لتربيعِها[١] .

وقيل : ﴿ قِيَمًا لِّلنَّاسِ ﴾ . بالياءِ ، وهو من ذواتِ الواوِ ؛ لكسرةِ القافِ ، وهى فاءُ الفعلِ ، فجُعِلت العينُ منه بالكسرةِ ياءً[٢] ، كما قيل فى مصدرِ قمتُ : قيامًا ، وصمتُ : صيامًا ، فحُوِّلت العينُ من الفعلِ وهى واوٌ ياءً ؛ لكسرةِ فائِه ، وإنما هو فى الأصلِ : قمتُ قِوامًا ، وصمتُ صِوَامًا ، وكذلك قولُه : ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَمًا لِّلنَّاسِ ﴾ . فحُوِّلت واوُها ياءً ؛ إذ هى قِوَامٌ . وقد جاء ذلك من كلامِهم مَقُولًا على أصلِه الذى هو أصلُه ، قال الراجزُ[٣] :

قِوَامُ دُنْيا وقِوَامُ دِينِ

فجاء به بالواوِ على أصلِه .

وجعَل تعالى ذكرُه الكعبةَ والشهرَ الحرامَ والهَدْىَ والقلائدَ قِوامًا لمن كان يحرِّمُ[٤] ذلك من العربِ ويعظِّمُه[٥] ، بمنزلةِ الرئيسِ الذى يقومُ به أمرُ تُبَّاعِه .

وأما الكعبةُ فالحَرَمُ كلُّه ، وسمَّاها اللَّهُ تعالى ذكرُه حرامًا ؛ لتحريمِه إيَّاها أن

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٣٣٣ إلى المصنف وابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) فى ص ، ت ١ ، س : « ألفا » .

(٣) هو حميد الأرقط ، والرجز فى مجاز القرآن ١/ ١٧٧.

(٤) فى م : « يحترم » .

(٥) فى ص ، ت ١ ، س : « يعطيه » .

يُصادَ صيدُها ، أو يُختَلى خَلاها[١] ، أو يُعْضَدَ[٢] شجرُها .

وقد بيَّنا ذلك بشواهدِه فيما مضى قبلُ[٣] .

وقولُه : ﴿ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : وجعَل الشهرَ الحرامَ والهَدْىَ والقلائدَ أيضًا قيامًا للناسِ ، كما جعَل الكعبةَ البيتَ الحرامَ لهم قيامًا .

و « الناسُ » الذين جعَل ذلك لهم قيامًا مختلَفٌ فيهم ؛ فقال بعضُهم : جعَل اللَّهُ ذلك فى الجاهليةِ قيامًا للناسِ كلِّهم .

وقال بعضُهم : بل عنَى به العربَ خاصةً .

/وبمثلِ الذى قلنا فى تأويلِ القِوَامِ قال أهلُ التأويلِ . ٧٧/٧

ذكرُ من قال : عنَى اللَّهُ تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ ﴾ . القِوامَ . على نحوِ ما قلنا .

حدَّثنا هنَّادٌ ، قال : ثنا ابنُ أبى زائدةَ ، قال : أخبرنا مَن سمِع خُصَيفًا يُحدِّثُ عن مجاهدٍ فى : ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ ﴾ . قال : قِوامًا للناسِ[٤] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا عبيدُ اللَّهِ ، عن إسرائيلَ ، عن خُصَيفٍ ، عن سعيدِ

---

(١) الخلا مقصور : النبات الرطب الرقيق ما دام رطبا ، واختلاؤه : قطعه . وأخلت الأرض : كثر خلاها ، فإذا يبس فهو حشيش . النهاية ٢/ ٧٥.

(٢) أى يقطع . يقال : عضدت الشجر أعضِده عضْدا . النهاية ٣/ ٢٥١.

(٣) ينظر ما تقدم فى ٢/٥٣٧ - ٥٤٣.

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٣٣٣ إلى المصنف .

ابنِ جبيرٍ : ﴿ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ ﴾ . قال : صلاحًا لدينِهم[(١)] .

حدَّثنا هنَّادٌ ، قال : ثنا ابنُ أبي زائدةَ ، قال : أخبرنا داودُ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن مجاهدٍ في : ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ ﴾ . قال : حينَ لا يرجُون جنةً ، ولا يخافُون نارًا ، فشدَّد اللَّهُ ذلك بالإسلامِ .

حدَّثنا هنَّادٌ ، قال : ثنا ابنُ أبي زائدةَ ، عن إسرائيلَ ، عن أبي الهيثمِ ، عن سعيدِ ابنِ جبيرٍ قولَه : ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ ﴾ . قال : شدَّةً لدينِهم .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيلَ ، عن أبي الهيثمِ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ مثلَه[(٢)] .

حدَّثني محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ ﴾ . قال : قيامُها أن يأمَنَ مَن توجَّه إليها[(٣)] .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثني معاويةُ ، عن عليٍّ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ [٧٢٥/١و] ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ ﴾ : يعني قيامًا لدينِهم ، ومعالِمَ لحجِّهم[(٤)] .

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٣٣/٢ إلى المصنف وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ٤/ ١١٢ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١٢١٤/٤ (٦٨٥٦) من طريق وكيع به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٣٣/٢ إلى عبد بن حميد وأبي الشيخ وابن المنذر .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٣٣/٢ إلى المصنف .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢١٤/٤ (٦٨٥٤) من طريق عبد الله بن صالح به .

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ مفضَّلٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدىِّ : ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ ﴾ : جعَل اللَّهُ هذه الأربعةَ قِيامًا للناسِ ، هو قِوامُ أمرِهم[(١)] .

وهذه الأقوالُ وإن اختلفت من قائلِها ألفاظُها ، فإن معانيَها آيلةٌ إلى ما قلنا فى ذلك ، من أن[(٢)] القِوامَ للشىءِ هو الذى به صلاحُه ، كما الملِكُ[(٣)] الأعظمُ قِوامُ رعيتِه ومَن فى سلطانِه ؛ لأنه مدبِّرُ أمرِهم ، وحاجزُ ظالِمهم عن مظلومِهم ، والدافعُ عنهم مكروهَ مَن بغاهم وعاداهم ، وكذلك كانت الكعبةُ والشهرُ الحرامُ والهَدْىُ والقلائدُ قِوامَ أمرِ العربِ الذى كان به صلاحُهم فى الجاهليةِ ، وهى فى الإسلامِ لأهلِه معالمُ حجِّهم ومناسكِهم ، ومتوَجَّهُهم لصلاتِهم ، وقِبْلتُهم التى باسْتقْبالِها يتِمُّ فرضُهم .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قالت جماعةُ أهلِ التأويلِ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا جامعُ بنُ حمادٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ ﴾ : حواجزَ أبقاها اللَّهُ بينَ الناسِ فى الجاهليةِ ، فكان الرجلُ لو جرَّ كلَّ جريرةٍ ، ثم لجأ إلى الحرَمِ ، لم يُتناوَلْ ،/ ولم يُقْرَبْ ، فكان الرجلُ لو لَقِى قاتلَ أبيه فى الشهرِ الحرامِ ، لم يعرِضْ له ، ولم يَقْرَبْه ، وكان الرجلُ إذا أراد البيتَ تقلَّد قِلادةً من شَعَرٍ ، فأَحْمَته[(٤)] ومنَعتْه من الناسِ ، وكان إذا نَفَر تقلَّد قِلادةً من ٧٨/٧

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٢١٤ (٦٨٥٩) من طريق أحمد بن مفضل به .

(٢) سقط من : ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣.

(٣) فى م : « كالملك » ، وفى ت ١ : « كمال الملك » .

(٤) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « فأحرمته » .

الإذْخِرِ[١] ، أو من لحاءِ السَّمُرِ[٢] ، فمنعَتْه من الناسِ حتى يأتىَ أهلَه؛ حواجزُ أبقاها اللَّهُ بينَ الناسِ فى الجاهليةِ[٣] .

حدَّثنا يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ﴾ . قال : كان الناسُ كلُّهم فيهم ملوكٌ تدفَعُ بعضَهم عن بعضٍ . قال : ولم يكنْ فى العربِ ملوكٌ تدفَعُ بعضَهم عن بعضٍ ، فجعَل اللَّهُ تعالى ذكرُه لهم البيتَ الحرامَ قيامًا ، يدفَعُ بعضَهم عن بعضٍ به ، والشهرَ الحرامَ كذلك ، يدفَعُ اللَّهُ[٤] بعضَهم عن بعضٍ بالأشهرِ الحُرُمِ والقلائدِ . قال : ويَلْقَى الرجلُ قاتلَ أخيه أو ابنِ عمِّه فلا يَعْرِضُ له ، وهذا كلُّه قد نُسِخ[٥] .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ﴾ : كان ناسٌ يتقلَّدون لحاءَ الشجرِ فى الجاهليةِ إذا أرادوا الحجَّ ، فيُعْرَفون بذلك .

وقد أتينا على البيانِ عن ذكرِ « الشهرِ الحرامِ » و « الهَدْيِ » و « القلائدِ » فيما مضَى ، بما أغْنَى عن إعادتِه فى هذا الموضعِ[٦] .

---

(١) الإذخر : حشيش أخضر طيب الريح يسقف به البيوت فوق الخشب ، وهمزته زائدة ، الواحدة: إذخرة . التاج (ذ خ ر) .

(٢) السمر: ضرب من شجر الطلح ، الواحدة سَمُرة . النهاية ٢/ ٣٩٩.

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١٩٧/٣ عن المصنف ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٣٣٣، إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبى الشيخ .

(٤) فى ص ، ت ١، س: «به» .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢١٣/٤ ، ١٢١٥ (٦٨٥٣، ٦٨٦٣) من طريق أصبغ ، عن ابن زيد .

(٦) ينظر ما تقدم فى ٢٥/٨ - ٣٠.

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ﴾ .

يعنى تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ : تصييرَه الكعبةَ البيتَ الحرامَ قيامًا للناسِ والشهرَ الحرامَ والهَدْىَ والقلائدَ . يقولُ تعالى ذكرُه : صيَّرتُ لكم أيُّها الناسُ ذلك[1] قيامًا ، كى تعلَموا أن مَن أَحْدَث لكم لمصالحِ دنياكم ما أَحْدَث مما به قِوامُكم ، علمًا[2] منه بمنافعِكم ومضارِّكم ، أنه كذلك يعلَمُ جميعَ ما فى السماواتِ وما فى الأرضِ ، مما فيه صلاحُ عاجلِكم وآجلِكم ، ولتعلَموا أنه بكلِّ شىءٍ عليمٌ ، لا يَخْفَى عليه شىءٌ من أمورِكم وأعمالِكم ، وهو مُحْصِيها عليكم ، حتى يجازىَ المحسنَ منكم بإحسانِه ، والمسىءَ منكم بإساءتِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : اعْلَموا أيُّها الناسُ أن ربَّكم الذى يعلَمُ ما فى السماواتِ وما فى الأرضِ ، ولا يَخْفَى عليه شىءٌ من سرائرِ أعمالِكم وعلانيتِها ، وهو يُحْصِيها عليكم ليجازِيَكم بها - شديدٌ عقابُه مَن عصاه وتمرَّد عليه ، على معصيتِه إياه ، وهو غفورٌ لذنوبِ مَن أطاعه وأناب إليه ، فساترٌ عليه ، وتاركٌ فضيحتَه بها ، رحيمٌ به أن يعاقبَه على ما سلَف من ذنوبِه ، بعدَ إنابتِه وتوبتِه منها .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ .

وهذا من اللَّهِ تعالى ذكرُه تهديدٌ لعبادِه ووعيدٌ ، يقولُ تعالى ذكرُه : ليس على

---

(١) سقط من :ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٢) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : «علمنا» .

رسولِنا الذى أَرْسَلناه إليكم أيُّها الناسُ بإنذارِكم عقابَنا ، بينَ يَدَىْ عذابٍ شديدٍ ، وإعذارِنا إليكم بما فيه قطعُ حُجَجِكم ، إلا أن / يؤدِّىَ إليكم رسالتَنا ، ثم إلينا الثوابُ على الطاعةِ ، وعلينا العقابُ على المعصيةِ . ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ .

٧٩/٧

يقولُ : وغيرُ خَفىٍّ علينا المطيعُ منكم ، القابلُ رسالَتَنا ، العاملُ بما أمَرتُه بالعمـلِ به ، من (١) العاصى الآبى رسالتَنا (١) ، التاركِ العملَ بما أمَرتُه بالعملِ به ؛ لأنا نعلَمُ ما عمِله العاملُ منكم ، فأظْهَره بجوارحِه ، ونطَق به بلسانِه ، ﴿ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ . يعنى : ما تُخفونه فى أنفسِكم ؛ من إيمانٍ وكفرٍ ، أو يقينٍ وشكٍّ ونفاقٍ . يقولُ تعالى ذكرُه : فمن كان كذلك لا يَخفَى عليه شىءٌ من ضمائرِ الصدورِ ، وظواهرِ أعمالِ النفوسِ ، مما فى السماواتِ وما فى الأرضِ ، وبيدِه الثوابُ والعقابُ ، فحقيقٌ أن يُتَّقَى ، وأن يُطاعَ فلا يُعْصَى .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : قلْ يا محمدُ : لا يَعْتَدِلُ الردىءُ والجيِّدُ ، والصالحُ والطالحُ ، والمطيعُ والعاصى ، ﴿ وَلَوْ أَعْجَبَكَ [١/٧٢٥ظ] كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ﴾ . يقولُ : لا يعتدلُ العاصى والمطيعُ للَّهِ عندَ اللَّهِ ، ولو كثُر أهلُ المعاصى ، فعجِبتَ من كثرتِهم ؛ لأن أهلَ طاعةِ اللَّهِ هم المفلحون ، الفائزون بثوابِ اللَّهِ يومَ القيامةِ ، وإن قلُّوا ، دونَ أهلِ معصيتِه ، وإن أهلَ معاصيه هم الأخسرون الخائبون ، وإن كثُروا . يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه ﷺ : فلا تَعْجَبَنَّ من كثرةِ مَن يَعصِى اللَّهَ ، فيُمْهِلُه ولا يُعاجِلُه بالعقوبةِ ، فإن العُقْبى الصالحةَ لأهلِ طاعةِ اللَّهِ عندَه ، دونَهم .

كما حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ مفضَّلٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدىِّ : ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ﴾ . قال :

(١ - ١) فى ص ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « المعاصى التى رسالتنا » ، وفى م : « العاصى » ، وفى س : « المعاصى » ، والمثبت هو الصواب .

الخبيثُ هم المشركون ، والطيِّبُ هم المؤمنون[(١)] .

وهذا الكلامُ وإن كان مَخْرَجُه مَخرَجَ الخطابِ لرسولِ اللَّهِ ﷺ ، فالمرادُ به بعضُ أتباعِه ، يدلُّ على ذلك قولُه : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠٠) ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : واتقوا اللَّهَ بطاعتِه فيما أمَرَكم ونهاكم ، واحْذَروا أن يستحوِذَ عليكم الشيطانُ بإعجابِكم كثرةَ الخبيثِ ، فتصيروا منهم ، ﴿ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ . يعنى بذلك : أهلَ العقولِ والحِجا ، الذين عقَلوا عن اللَّهِ آياتِه ، وعرَفوا مواقعَ حُجَجِه ، ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ . يقولُ : اتقوا اللَّهَ لِتُفْلحوا . أى : كى تُنْجِحوا فى طَلِبَتِكم ما عندَه .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ .

٨٠/٧ /ذُكِر أن هذه الآيةَ أُنْزِلت على رسولِ اللَّهِ ﷺ بسببِ مسائلَ كان يسألُها إيَّاه أقوامٌ امتحانًا له أحيانًا ، واستهزاءً أحيانًا ، فيقولُ له بعضُهم : مَن أبى ؟ ويقولُ له بعضُهم إذا ضلَّت ناقتُه : أين ناقتى ؟ فقال لهم تعالى ذكرُه : لا تسألوا عن أشياءَ من ذلك ، كمسألةِ عبدِ اللَّهِ بنِ حُذَافةَ إيَّاه مَن أبوه ، ﴿ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ . يقولُ : إنْ أَبْدَينا لكم حقيقةَ ما تسألون عنه ساءكم إبداؤُها وإظهارُها .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك تظاهرتْ الأخبارُ عن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٢١٦ (٦٨٧٠) من طريق أحمد بن مفضل به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٣٣٤ إلى أبى الشيخ .

ذكرُ الروايةِ بذلك

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : ثنا [(١] حفصُ بنُ بُغَيْلٍ [١)] ، قال : ثنا زُهيرُ بنُ معاويةَ ، قال : ثنا أبو الجُوَيْرِيةِ ، قال : قال ابنُ عباسٍ لأعرابيٍّ من بنى سُليم : هل تَدْرِى فيما أُنزِلت هذه الآيةُ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ . حتى فرَغ من الآيةِ ؟ فقال : كان قومٌ يسألون رسولَ اللَّهِ ﷺ استهزاءً ، فيقولُ الرجلُ : مَن أبى ؟ والرجلُ تَضِلُّ ناقتُه ، فيقولُ : أينَ ناقتى ؟ فأَنزَل اللَّهُ فيهم هذه الآيةَ[(٢)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ المثنى ، قال : ثنا أبو عامرٍ وأبو داودَ ، قالا : ثنا هشامٌ ، عن قتادةَ ، عن أنسٍ ، قال : سأل الناسُ رسولَ اللَّهِ ﷺ حتى أَحْفَوه[(٣)] بالمسألةِ ، فصعِد المنبرَ ذاتَ يومٍ ، فقال : « لا تسألونى عن شيءٍ إلا بيَّنتُه لكم » . قال أنسٌ : فجعَلتُ أنظُرُ يمينًا وشِمالًا ، فأَرَى كلَّ إنسانٍ لافًّا ثوبَه يَبْكى ، فأنشأ رجلٌ كان إذا لاحَى[(٤)] يُدْعَى إلى غيرِ أبيه ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، مَن أبى ؟ فقال : « أبوك حُذافةُ » . قال : فأنشأ عمرُ ، فقال : رضِينا باللَّهِ ربًّا ، وبالإسلامِ دينًا ، وبمحمدٍ ﷺ رسولًا ، وأعوذُ باللَّهِ من سوءِ الفتنِ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لم أَرَ فى[(٥)] الشرِّ والخيرِ كاليومِ قطُّ ، إنه صُوِّرت لىَ الجنةُ والنارُ حتى رأيتُهما وراءَ الحائطِ » . وكان قتادةُ يذكُرُ هذا الحديثَ عندَ هذه الآيةِ : ﴿ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾[(٦)] .

(١ - ١) سقط من : ت٣ ، وفى ص ، م : « بعض بنى نفيل » ، وفى ت١ ، ت٢ : « بعض بن نفيل » . وفى س : « حفص بن مقبل » . والمثبت من مصادر ترجمته . وينظر تهذيب الكمال ٧/ ٥.

(٢) أخرجه البخارى (٤٦٢٢) ، وابن أبى حاتم ١٢١٧/٤ (٦٨٧٧) ، والطبرانى (١٢٦٩٥) من طريق زهير به .

(٣) أى استقصوا فى السؤال . النهاية ١/ ٤١٠ .

(٤) يقال: لاحيت الرجل ملاحاة ولحاء . إذا نازعته . النهاية ٤/ ٢٤٣.

(٥) ليست فى : ص ، ت ١، ت ٢، ت ٣. والمثبت من م ، س موافق لما فى مصادر التخريج .

(٦) أخرجه البخارى (٧٠٨٩) ، ومسلم (٢٣٥٩) من طريق هشام به ، وأخرجه مسلم (٢٣٥٩) ، وابن أبى حاتم ١٢١٨/٤ (٦٨٧٨) من طريق قتادة به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٣٣٤ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه .

حدَّثني محمدُ بنُ معمرٍ البَحْرانيُّ ، قال : ثنا رَوْحُ بنُ عُبادةَ ، قال : ثنا شعبةُ ، قال : أَخْبَرني موسى بنُ أنسٍ ، قال : سمِعتُ أنسًا يقولُ : قال رجلٌ : يا رسولَ اللَّهِ ، مَن أبى ؟ قال : « أبوك فلانٌ » . قال : فنزَلتْ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾[1] .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ . قال : فحدَّثنا أن أنسَ بنَ مالكٍ حدَّثهم ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ سألُوه حتى أَحْفَوه بالمسألةِ ، فخرَج عليهم ذاتَ يومٍ ، فصعِد المنبرَ ، فقال : « لا تَسْألُونى اليومَ عن شيءٍ إلا بيَّنتُه لكم » . فأَشْفَق أصحابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ أن يكونَ بينَ يديه أمرٌ قد حضَر ، فجعَلتُ لا ألتفتُ يمينًا ولا[2] شمالًا إلا وجَدتُ كُلًّا لافًّا رأسَه فى ثوبِه يبكى ، فأنْشأ رجلٌ كان يُلاحَى فيُدْعَى إلى غيرِ أبيه ، فقال : يا نبيَّ اللَّهِ ، مَن أبى ؟ قال : « أبوك حُذَافةُ » . قال : ثم قام[3] عمرُ - أو قال : فأنْشأ عمرُ - فقال : رضِينا باللَّهِ ربًّا ، وبالإسلامِ دينًا ، وبمحمدٍ ﷺ /رسولًا ، عائذًا باللَّهِ - أو قال : أعوذُ باللَّهِ - من سوءِ الفتنِ . قال : وقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لم أَرَ فى الخيرِ والشرِّ كاليومِ قطُّ ، صُوِّرت لىَ الجنةُ والنارُ حتى رأيتُهما دونَ الحائطِ »[4] . ٨١/٧

حدَّثنا أحمدُ بنُ هشامٍ وسفيانُ بنُ وكيعٍ ، قالا : ثنا معاذُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا ابنُ عونٍ ، قال : سألتُ عكرمةَ مولى ابنِ عباسٍ عن قولِه : [١/٧٢٦و] ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٥٩) ، والترمذى (٣٠٥٦) ، عن محمد بن معمر به ، وأخرجه البخارى (٧٢٩٥) من طريق روح به .

(٢) سقط من : ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٣) فى م ، ت ٢ ، ت٣: «قال» .

(٤) أخرجه البخارى (٧٠٩٠ ، ٧٠٩١) ، من طريق يزيد بن زريع به ، ووصله أبو نعيم فى المستخرج - كما فى الفتح ٤٥/١٣ من طريق رُسْتَة ، عن عباس النرسى ، عن يزيد به ، وأخرجه مسلم (٢٣٥٩) ، والطحاوى فى شرح المشكل (١٤٧٦) من طريق سعيد به .

ءَامَنُوا لَا تَسْـَٔلُوا عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ . قال : ذاك يومُ قام فيهم النبيُّ ﷺ ، فقال : « لا تَسْأَلونى عن شىءٍ إلَّا أَخبَرْتُكم به » . قال : فقام رجلٌ ، فكرِه المسلمون مَقامَه يومَئذٍ ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، مَن أبى ؟ قال : « أبوك حذافةُ » . قال : فنزَلت هذه الآيةُ[1] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن ابنِ طاوسٍ ، عن أبيه ، قال : نزَلت : ﴿ لَا تَسْـَٔلُوا عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ . فى رجلٍ قال : يا رسولَ اللَّهِ ، مَن أبى ؟ قال : « أبوك فلانٌ »[2] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى سفيانُ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ ، قال : سألوا النبيَّ ﷺ حتى أَكْثَروا عليه ، فقام مُغْضَبًا خطيبًا ، فقال : « سَلونى ، فواللَّهِ لا تَسْأَلونى عن شىءٍ ما دمتُ فى مَقامى إلَّا حدَّثْتُكم » . فقام رجلٌ ، فقال : مَن أبى ؟ قال : « أبوك حُذافةُ » . واشتد غضبُه وقال : « سَلونى » . فلما رأى الناسُ ذلك كثُر بكاؤُهم ، فجثا عمرُ على ركبتَيْه ، فقال : رضِينا باللَّهِ ربًّا[3] .

قال معمرٌ : قال الزهرىُّ : قال أنسٌ مثلَ ذلك : فجثا عمرُ على ركبتَيْه ، فقال : رضِينا باللَّهِ ربًّا ، وبالإسلامِ دينًا ، وبمحمدٍ ﷺ رسولًا . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أمَا والذى نفسِى بيدِه ، لقد صُوِّرتْ لىَ الجنةُ والنارُ آنفًا فى عُرْضِ هذا الحائطِ ، فلم أرَ كاليومِ فى الخيرِ والشرِّ »[4] .

قال (٥ الزهرىُّ : فقالت أمُّ عبدِ اللَّهِ بنِ حُذافةَ ٥) : ما رأيتُ ولدًا أعقَّ منك قطُّ ،

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٣٤/٢ إلى المصنف .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٩٦.

(٣) تفسير عبد الرزاق ١٩٥/١ عن معمر به .

(٤) تفسير عبد الرزاق ١٩٦/١ عن معمر به .

(٥ - ٥) كذا فى النسخ ، وفى تفسير عبد الرزاق: «وقال الزهرى : فأخبرنى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال: فقالت أم عبد الله بن حذافة» . وهو الصواب .

أتأمَنُ أن تكونَ أمُّك قارفت ما قارف أهلُ الجاهليةِ فتفضَحَها على رءوسِ الناسِ ! فقال : واللَّهِ لو أَلْحَقنى بعبدٍ أسودَ للحِقتُه[1] .

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ مفضَّلٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدىِّ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ . قال : غضِب رسولُ اللَّهِ ﷺ يومًا من الأيامِ ، فقام خطيبًا ، فقال : « سَلونى فإنكم لا تَسْأَلونى عن شىءٍ إلَّا أنبأتُكم به » . فقام إليه رجلٌ من قريشٍ من بنى سَهْمٍ ، يقالُ له : عبدُ اللَّهِ بنُ حُذافةَ . وكان يُطْعَنُ فيه ، قال : فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، مَن أبى ؟ قال : « أبوك فُلانٌ » . فدعاه لأبيه ، فقام إليه عمرُ ، فقبَّل رجلَه ، وقال : يا رسولَ اللَّهِ ، رضِينا باللَّهِ ربًّا ، وبك نبيًّا ، وبالإسلامِ دينًا ، وبالقرآنِ إمامًا ، فاعفُ عنَّا عفا اللَّهُ عنك . فلم يَزَلْ به حتى رضِى ، فيومَئذٍ قال : « الولدُ للفِراشِ ، وللعاهرِ الحَجَرُ »[2] .

حدَّثنى الحارثُ ، قال : ثنا عبدُ العزيزِ ، قال : ثنا قيسٌ ، عن أبى حَصينٍ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى هُريرةَ ، قال : خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ وهو غَضْبانُ محمارٌّ وجهُه ، حتى جلَس على المنبرِ ، / فقام إليه رجلٌ ، فقال : أين أبى[3] ؟ قال : « فى النارِ » . فقام آخرُ فقال : مَن أبى ؟ قال : « أبوك حُذافةُ » . فقام عمرُ بنُ الخطابِ ، فقال : رضِينا باللَّهِ ربًّا ، وبالإسلامِ دينًا ، وبمحمدٍ ﷺ نبيًّا ، وبالقرآنِ إمامًا ، إنَّا يا رسولَ اللَّهِ حديثو عهدٍ بجاهليةٍ وشركٍ ، واللَّهُ يعلَمُ مَن آباؤُنا . قال : فسكَن غضبُه ، ونزَلت : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾[4] .

٨٢/٧

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٩٦، عن معمر ، عن الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن أم عبد الله.

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢١٩/٤ (٦٨٨٢) من طريق أحمد بن مفضل به .

(٣) فى ص ، ت ١ ، س: «أنا» وانظر مصادر التخريج الآتية بعد .

(٤) أخرجه الطحاوى فى شرح المشكل (١٤٧٥) من طريق الفريابى ، عن قيس به ، وذكره ابن كثير فى تفسيره ١٩٩/٣ عن المصنف ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٣٥/٢ إلى الفريابى وابن مردويه .

وقال آخرون : نزَلتْ هذه الآيةُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ من أجلِ مسألةِ سائلٍ سأله عن شيءٍ فى أمرِ الحجِّ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : ثنا منصورُ بنُ وَرْدانَ الأسدىُّ ، قال : ثنا علىُّ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : لما نزَلتْ هذه الآيةُ : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ [آل عمران : ٩٧] . قالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، أفى كلِّ عامٍ ؟ فسكَت ، ثم قالوا : أفى كلِّ عامٍ ؟ فسكَت ، ثم قال : « لا ، ولو قلتُ : نعم . لَوَجَبَتْ » . فأنْزَل اللَّهُ تعالى ذكرُه هذه الآيةَ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ [(١)] .

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : ثنا [(٢)] عبدُ الرحيمِ [(٢)] بنُ سليمانَ ، عن إبراهيمَ بنِ مسلمٍ الهَجَرىِّ ، عن أبى [(٣)] عِياضٍ ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إن اللَّهَ كتَب عليكم الحجَّ » . فقال رجلٌ : أفى كلِّ عامٍ يا رسولَ اللَّهِ ؟ فأَعْرَض عنه ، حتى عاد مرتين أو ثلاثًا ، فقال : « مَن السائلُ ؟ » . فقال : فلانٌ . فقال : « والذى نفسى بيدِه ، لو قلتُ : نَعَمْ . لوجبَتْ ، ولو وجبَتْ عليكم ما أَطَقْتُموه ، ولو ترَكتُموه لكفرتُم » . فأنْزَل اللَّهُ هذه الآيةَ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ ، حتى ختَم الآيةَ [(٤)] .

---

(١) أخرجه أحمد ٢٣٦/٢ (٩٠٥) ، والترمذى (٨١٤، ٣٠٥٥) ، وابن ماجه (٢٨٨٤) ، والبزار (٩١٣) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٧١٣/٣ (٣٨٥٧) من طريق منصور ، عن على ، عن أبيه ، عن أبى البخترى ، عن على .

(٢ - ٢) فى النسخ : « عبد الرحمن » . وتقدم على الصواب فى ٥٤١/٢، ٦٦٤، ٧٠٢، ٥٦٩/٣ .

(٣) فى م : « ابن » . وينظر تهذيب الكمال ٥٤٣/٢١.

(٤) أخرجه الدارقطنى ٢/ ٢٨٢، والطحاوى فى شرح المشكل (١٤٧٣) من طريق الهجرى به .

حدَّثني محمدُ بنُ عليِّ بنِ الحسنِ[1] بنِ شَقيقٍ ، قال : سمِعتُ أبي ، قال : أخبَرنا الحسينُ بنُ واقدٍ ، عن محمدِ بنِ زيادٍ ، قال : سمِعتُ أبا هريرةَ يقولُ : خطَبنا رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فقال : « يا أيُّها الناسُ ، كتَب اللَّهُ عليكم الحجَّ » . فقام مِحْصنٌ الأسديُّ[2] ، فقال : أفي كلِّ عامٍ يا رسولَ اللَّهِ ؟ فقال : « أمَا إنِّي لو قلتُ : نعم . لوجَبتْ ، ولو وجَبتْ ثم ترَكتُم لضلَلتم ، اسْكُتوا عني[3] ما سكتُّ عنكم ، فإنما هلَك مَن كان قبلَكم بسؤالِهم واختلافِهم على أنبيائِهم » . فأنزَل اللَّهُ تعالى ذكرُه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ إلى آخرِ الآيةِ[4] .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ واضحٍ ، قال : ثنا الحسينُ بنُ واقدٍ ، عن محمدِ بنِ زيادٍ ، قال : سمِعتُ أبا هريرةَ يقولُ : خطَبنا رسولُ اللَّهِ ﷺ . فذكَر مثلَه ، إلا أنه قال : فقام عُكَّاشةُ بنُ مِحْصنٍ الأسديُّ[5] .

حدَّثنا زكريا بنُ يحيى بنِ أبانٍ المصريُّ ، قال : ثنا أبو زيدٍ عبدُ الرحمنِ بنُ أبي الغَمْرِ[6] ، قال : ثنا أبو مُطيعٍ معاويةُ بنُ يحيى ، عن صفوانَ بنِ عمرٍو ، قال : ثني سُليمُ بنُ عامرٍ ، قال : سمِعتُ [١/٧٢٦ظ] أبا أُمامةَ الباهليَّ يقولُ : قام رسولُ اللَّهِ ﷺ في الناسِ فقال : « كُتِب عليكم الحجُّ » . فقام رجلٌ من / الأعرابِ ، فقال : أفي كلِّ ٨٣/٧

(١) في النسخ : « الحسين » ، وتقدم على الصواب في ٢٧٨/٢، ١٠٥/٣، ١١٢، ٢٥٩ .

(٢) في ص : « الأسيدى » .

(٣) في ص ، ت١: « على » .

(٤) أخرجه أحمد ٣٥٥/١٦ (١٠٦٠٧) ، ومسلم (١٣٣٧) ، والنسائي (٢٦١٨) ، والدارقطني ٢٨١/٢ ، وابن حبان (٣٧٠٤، ٣٧٠٥) من طريق محمد بن زياد به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٣٥/٢ إلى أبي الشيخ وابن مردويه .

(٥) قال ابن كثير في تفسيره ٢٠٠/٣ : وهو أشبه .

(٦) في النسخ : « العمر » بالعين المهملة ، والمثبت من مصدر التخريج ، وينظر تبصير المنتبه ٣/ ٩٧١.

عامٍ ؟ قال : فغَلِقَ[1] كلامُ رسولِ اللهِ ﷺ ، وأَسْكَتَ[2] ، واسْتَغْضَب[3] ، فمكَث طويلًا ، ثم تكلَّم ، فقال : « مَن السائلُ ؟ » . فقال الأعرابيُّ : أنا ذا . فقال : « وَيْحَك ماذا يُؤْمِنُكَ أن أقولَ : نَعَمْ . ولو قلتُ : نَعَمْ . لوَجبتْ ، ولو وجَبتْ لكفَرْتُم ، ألَا إنه إنما أَهْلَكَ الذين قبلكم أئمةُ الحَرَجِ ، واللهِ لو أنى أحلَلْتُ لكم جميعَ ما فى الأرضِ ، وحرَّمتُ عليكم منها موضِعَ خُفٍّ لوقَعتم فيه » . قال : فأنْزَل اللهُ تعالى ذكرُه عندَ ذلك : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ ﴾ إلى آخرِ الآيةِ[4] .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ ﴾ : وذلك أن رسولَ اللهِ ﷺ أذَّن فى الناسِ ، فقال : « يا قومِ ، كُتِب عليكم الحجُّ » . فقام رجلٌ من بنى أسدٍ فقال : يا رسولَ اللهِ ، أفى كلِّ عامٍ ؟ فأُغْضِب رسولُ اللهِ ﷺ غضبًا شديدًا ، فقال : « والذى نفسُ محمدٍ بيدِه لو قلتُ : نعم . لوجَبتْ ، ولو وجبَتْ ما استطعتُم ، وإذَنْ لكفَرتم ، فاتركُونى ما ترَكتُكم ، فإذا أمَرتُكم بشيءٍ فافعَلوا ، وإذا نهيتُكم عن شيءٍ فانتهُوا عنه » . فأنْزَل اللهُ تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ ﴾ . نهاهم أن يَسْألُوا عن مثلِ الذى

---

(١) فى م : « فعلا » . وفى باقى النسخ : « فعلس » غير منقوطة . والمثبت موافق لما فى مصادر التخريج وفى الدر المنثور « فسكت طويلا » قال شمر: يقال لكل شيء نشب فى شيء فلزمه: قد غلق ، غلق فى الباطل ، وغلق فى البيع فاستغلق . واستغلق الرجل إذا أرتج عليه فلم يتكلم . لسان العرب (غ ل ق) .

(٢) بعده فى م : «وأغضب» . وقوله : أسكت . يقال: تكلم الرجل ثم سكت بغير ألف ، فإذا انقطع كلامه فلم يتكلم قيل: أسكت . النهاية ٢/ ٣٨٣.

(٣) كذا ضبطت فى « ص » ، والنهاية ٣٨٣/٢ ، واللسان (س ك ت) ، وذكر الشيخ شاكر أن أصحاب اللغة لم يذكروه ، وتضبط أيضا : « استُغضب » .

(٤) أخرجه الطبرانى (٧٦٧١) من طريق أبى زيد به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٣٥/٢ إلى ابن مردويه .

سألتِ النَّصارى من المائدةِ ، فأصبحُوا بها كافرين ، فنهَى اللَّهُ تعالى عن ذلك ، وقال : لا تَسْأَلوا عن أشياءَ إن نزَل القرآنُ فيها بتغليظٍ ساءكم ذلك ، ولكن انتظِرُوا ، فإذا نزَل القرآنُ فإنكم لا تَسْأَلون عن شيءٍ إلا وجَدتم تِبيانَه[1] .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، قال : ثنا عليُّ بنُ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ ﴾ . قال : لما أُنْزِلت آيةُ الحجِّ ، نادى النبيُّ ﷺ في الناسِ فقال : « يا أيُّها الناسُ ، إن اللَّهَ قد كتَب عليكم الحجَّ فحُجُّوا » . فقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، أعامًا واحدًا ؟ أم كلَّ عامٍ ؟ فقال : « لا ، بل عامًا واحدًا ، ولو قلتُ : كلَّ عامٍ . لوجَبتْ ، ولو وجَبت لكفَرتم » . فأنزَل اللَّهُ تعالى ذكرُه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ . قال : سألوا النبيَّ ﷺ عن أشياءَ فوعَظهم ، فانتهَوْا[2] .

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ في قولِه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ . قال : ذكَر رسولُ اللَّهِ ﷺ الحجَّ ، فقيل : أواجبٌ هو يا رسولَ اللَّهِ كلَّ عامٍ ؟ قال : « لا ، لو قلتُها لوجَبتْ ، ولو وجَبتْ ما أَطَقْتُم ، ولو لم تُطيقوا لكفَرتُم » . ثم قال : « سَلُونى ، فلا يسألُنى رجلٌ في مجلسِى هذا عن شيءٍ إلا أَخْبَرتُه ، وإن

---

(١) بعده في م : «حدثني أبو عاصم ، قال: ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح مثله» .

والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢١٨/٤ ، ١٢١٩ (٦٨٨١ ، ٦٨٨٤) عن محمد بن سعد به .

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ٢٠٢/٣ عن المصنف ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٣٥/٢ إلى المصنف وابن مردويه .

٨٤/٧ سألنى عن أبيه » . فقام إليه رجلٌ ، فقال : مَن أبى ؟ / قال : « أبوك حُذافةُ بنُ قيسٍ » . فقام عمرُ فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، رَضِينا باللَّهِ ربًّا ، وبالإسلامِ دينًا ، وبمحمدٍ ﷺ نبيًّا ، ونعوذُ باللَّهِ من غضبِه ، وغضبِ رسولِه[(١)] .

وقال آخرون : بل نزَلت هذه الآيةُ من أجلِ أنهم سألوا رسولَ اللَّهِ ﷺ عن البَحِيرةِ والسائبةِ والوَصِيلةِ والحامى .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنى إسحاقُ بنُ إبراهيمَ بنِ حبيبِ بنِ الشَّهيدِ ، قال : ثنا عتَّابُ بنُ بَشيرٍ ، عن خُصَيفٍ ، عن مجاهدٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿لَا تَسْـَٔلُوا عَنْ أَشْيَآءَ﴾ . قال : هى البَحِيرةُ والسائبةُ والوصيلةُ والحامِ ، ألَا ترى أنه يقولُ بعدَ ذلك : ما جعَل اللَّهُ من كذا ولا كذا . قال : وأما عكرمةُ فإنه قال : إنهم كانوا يَسْأَلونه عن الآياتِ ، فنُهُوا عن ذلك ، ثم قال : ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَٰفِرِينَ﴾ [المائدة : ١٠٢] . قال : فقلتُ : قد حدَّثنى مجاهدٌ بخلافِ هذا عن ابنِ عباسٍ ، فما لَك تقولُ هذا ؟ فقال : هَيْهَ[(٢)] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ هارونَ ، عن ابنِ عونٍ ، عن عكرمةَ[(٣)] ، قال : هو الذى سأل رسولَ اللَّهِ ﷺ : مَن أبى ؟ وقال سعيدُ بنُ جبيرٍ : هم الذين

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٣٦/٢ إلى المصنف وابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) يقال للشىء يزجر ويطرد :هَيْه هَيْه . اللسان (هـ ى هـ) .

والأثر أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٨٣٩ - تفسير) من طريق عتاب به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٣٦/٢ إلى ابن المنذر وأبى الشيخ وابن مردويه .

(٣) بعده فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : «عن الأعمش» وهو خطأ ، فالمصادر كلها على أنه من قول عكرمة لا الأعمش .

سألوا رسولَ اللَّهِ ﷺ عن البَحيرةِ والسائبةِ[1] .

وأَوْلى الأقوالِ بالصوابِ فى ذلك قولُ مَن قال : نزَلت هذه الآيةُ من أجلِ إكثارِ السائلين رسولَ اللَّهِ ﷺ المسائلَ ، كمسألةِ ابنِ حُذافةَ إياه مَن أبوه ، ومسألةِ سائلِه - إذ قال : « إن اللَّهَ فرَض عليكم الحجَّ » - أفى كلِّ عامٍ ؟ وما أَشْبَهَ ذلك من المسائلِ ؛ لتظاهرِ الأخبارِ بذلك عن الصحابةِ والتابعين وعامةِ أهلِ التأويلِ .

وأما القولُ الذى رواه مجاهدٌ عن ابنِ عباسٍ فقولٌ غيرُ بعيدٍ من الصوابِ ، ولكنَّ الأخبارَ المتظاهرةَ عن الصحابةِ والتابعين بخلافِه ، وكرِهنا القولَ به من أجلِ ذلك ، على أنه غيرُ مُسْتَنْكَرٍ أن تكونَ المسألةُ عن البحيرةِ والسائبةِ والوصيلةِ والحامِ ، كانت فيما سألوا النبيَّ ﷺ عنه من المسائلِ التى كرِه اللَّهُ لهم السؤالَ عنها ، كما كرِه لهم المسألةَ عن الحجِّ ؛ أكلَّ عامٍ هو ؟ أم عامًا واحدًا ؟ وكما كرِه لعبدِ اللَّهِ بنِ حُذافةَ مسألتَه [١/٧٢٧و] عن أبيه ، فنزَلت الآيةُ بالنهيِ عن المسائلِ كلِّها ، فأَخبَر كلُّ مُخْبِرٍ منهم ببعضِ ما نزَلت الآيةُ من أجلِه و[2] أجلِ غيرِه .

وهذا القولُ أَوْلَى الأقوالِ فى ذلك عندِى بالصحةِ ؛ لأن مخارجَ الأخبارِ بجميعِ المعانى التى ذكَرتُ صِحاحٌ ، فتوجيهُها إلى الصوابِ من وجوهِها أَوْلَى .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه للذين نهاهم من أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ عن مسألةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ عما نهاهم عن مسألتِهم إياه عنه ، من فرائضَ لم يَفرِضْها اللَّهُ عليهم ،

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢١٨/٤ (٦٨٧٩) ، والطحاوى فى شرح مشكل الآثار ١١٨/٤ من طريق عبد الكريم ، عن عكرمة وسعيد بن جبير ، وعندهما زيادة قول مقسم ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٣٦/٢ إلى أبى الشيخ .

(٢) فى م : « أو » .

وتحليلِ أمورٍ لم يُحلِّلْها لهم ، وتحريمِ أشياءَ لم يُحرِّمْها عليهم ، قبلَ نزولِ القرآنِ بذلك - : أيُّها المؤمنون السائلون عمَّا سألوا عنه رسولِى مما لم أُنزِلْ به كتابًا ولا وحيًا ، لا تَسْأَلوا عنه ، فإنكم إن أَظْهَر ذلك لكم تِبيانٌ بوحيٍ وتنزيلٍ ساءَكم ؛ لأن / التنزيلَ بذلك إذا جاءكم إنما يَجيئُكم بما فيه امتحانُكم واختبارُكم ، إما بإيجابِ عملٍ عليكم ، ولزومِ فرضٍ لكم ، وفى ذلك عليكم مشقةٌ ، ولزومُ مُؤْنةٍ وكُلفةٍ ، وإما بتحريمِ ما لو لم يأتِكم بتحريمِه وحىٌ ، كنتم من التقدُّمِ عليه فى فُسْحةٍ وسَعَةٍ ، وإما بتحليلِ ما تعتقِدون تحريمَه ، وفى ذلك لكم مَساءةٌ ؛ لنقلِكم عما كنتم تَرَوْنه حقًّا ، إلى ما كنتم تَرَوْنه باطلًا ، ولكنكم إنْ سألتُم عنها بعدَ نزولِ القرآنِ بها ، وبعدَ ابتدائِكم ببيانِ[(1)] أمرِها فى كتابى إلى رسولى إليكم ، [(2)]لَيَسَّر عليكم[(2)] ما أَنزَلتُه إليه من إيتائى[(3)] كتابى وتأويلِ تنزيلى ووحيى .

٨٥/٧

وذلك نظيرُ الخبرِ الذى رُوِى عن بعضِ أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، الذى حدَّثنا به هنَّادُ بنُ السَّرِىِّ ، قال : ثنا أبو معاويةَ ، عن داودَ بنِ أبى هندٍ ، عن مكحولٍ ، عن أبى ثعلبةَ الخُشَنىِّ ، قال : إن اللَّهَ تعالى فرَض فرائضَ فلا تضيِّعوها ، ونهَى عن أشياءَ فلا تنتهِكوها ، وحدَّ حدودًا فلا تعتدُوها ، وعفا [(4)]عن أشياءَ[(4)] من غيرِ نسيانٍ فلا تَبْحَثوا عنها[(5)] .

حدَّثنا هنَّادٌ ، قال : ثنا ابنُ أبى زائدةَ ، قال : أخبرنا ابنُ جريجٍ ، عن عطاءٍ ، قال :

---

(١) فى م ، ت ١ : « شأن » .

(٢ - ٢) فى م : « بين لكم » .

(٣) فى م : « إتيان » .

(٤ - ٤) سقط من : ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٥) أخرجه البيهقى ١٠/ ١٢ من طريق داود به ، وأخرجه الدارقطنى ٤/ ١٨٣ ، ١٨٤ ، وأبو نعيم فى الحلية ٩/ ١٧ ، والحاكم ٤/ ١١٥ ، والبيهقى ١٠/ ١٣ من طريق داود به مرفوعا ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٣٣٦ إلى ابن المنذر مرفوعاً أيضًا .

كان عُبيدُ بنُ عُميرٍ يقولُ : إن اللَّهَ تعالى ذكرُه أحلَّ وحرَّم ، فما أحلَّ فاستَحِلُّوه ، وما حرَّم فاجْتَنِبوه ، وترَك من ذلك أشياءَ لم يُحِلَّها ولم يُحرِّمْها . فذلك عَفْوٌ من اللَّهِ عفاه . ثم يتْلُو : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ ﴾ .

حدَّثنا ابنُ المثنى ، قال : ثنا الضحَّاكُ ، قال : أَخبَرنا ابنُ جريجٍ ، قال : أَخبَرنى عطاءٌ ، عن عُبيدِ بنِ عُميرٍ أنه كان يقولُ : إن اللَّهَ حرَّم وأحلَّ . ثم ذكَر نحوَه .

وأما قولُه : ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ ﴾ . فإنه يعنى به : عفا اللَّهُ لكم عن مسألتِكم عن الأشياءِ التى سألتُم عنها رسولَ اللَّهِ ﷺ ، الذى كرِه اللَّهُ لكم مسألتَكم إيَّاه عنها ، أن يؤاخذَكم بها ، أو يعاقبَكم عليها ، إن عرَف منها توبتَكم وإنابتَكم . ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ ﴾ . يقولُ : واللَّهُ ساترٌ ذنوبَ مَن تاب منها ، فتاركٌ أن يفضَحَه بها فى الآخرةِ ، ﴿ حَلِيمٌ ﴾ أن يعاقبَه بها ؛ لتغمُّدِه التائبَ منها برحمتِه ، وعفوِه عن عقوبتِه عليها .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك رُوِى الخبرُ عن ابنِ عباسٍ الذى ذكَرناه آنفًا .

وذلك ما حدَّثنى به محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ ﴾ . يقولُ : لا تسألوا عن أشياءَ إن نزَل القرآنُ فيها بتغليظٍ ساءكم ذلك ، ولكن انتظِروا ، فإذا نزَل القرآنُ فإنكم لا تَسْأَلون عن شىءٍ إلا وجَدتم تِبيانَه[1] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ قَدۡ سَأَلَهَا قَوۡمٌ مِّن قَبۡلِكُمۡ ثُمَّ أَصۡبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : قد سأَل الآياتِ قومٌ من قبلِكم ، فلمَّا آتاهموها اللَّهُ أَصْبَحوا بها جاحِدين مُنْكِرين أن تكونَ دَلالةً على حقيقةِ ما احتُجَّ بها عليهم ، وبرهانًا على

---

(١) تقدم فى ص ٢٠، ٢١.

صحةِ ما جُعِلتْ برهانًا على تصحيحِه ، كقومِ صالحٍ الذين سألوا الآيةَ ، فلما جاءتْهم الناقةُ آيةً عقَروها ، وكالذين سألوا عيسى مائدةً تَنْزِلُ عليهم / من السماءِ ، فلما أُعْطُوها كفَروا بها[(١)] ، وما أَشْبَهَ ذلك ، فحذَّر اللهُ تعالى المؤمنين بنبيِّه ﷺ أن يسلُكوا سبيلَ مَن قبلَهم من الأممِ التى هلكت بكفرِهم بآياتِ اللهِ لما جاءتْهم عندَ مسألتِهموها ، فقال لهم : لا تَسْألوا الآياتِ ، ولا تَبْحَثوا عن أشياءَ إن تُبْدَ لكم تَسُؤْكم ، فقد سأَل الآياتِ من قبلِكم قومٌ ، فلما أُوتوها أَصْبَحوا بها كافرين .

٨٦/٧

كالذى حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ : نهاهم أن يَسْأَلوا عن مثلِ الذى سألت النصارى من المائدةِ ، فأَصْبَحوا بها كافرين ، فنهَى اللهُ عن ذلك[(٢)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ مفضَّلٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدىِّ : ﴿ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ﴾ : قد سأل الآياتِ قومٌ من قبلِكم ، وذلك حينَ قيل له : غيِّرْ لنا الصفا ذهبًا[(٣)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : ما بحَر اللهُ بحيرةً ولا سيَّب سائبةً ، ولا وصَل وصيلةً ، ولا حمَى حاميًا ، ولكنكم الذين فعَلتم ذلك أيُّها الكفرةُ ، فحرَّمتُموه افتراءً على ربِّكم .

كالذى حدَّثنى محمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ الحكمِ ، قال : ثنى أبى وشُعيبُ بنُ الليثِ ، عن الليثِ ، عن ابنِ الهادِ ، وحدَّثنى يونسُ ، قال : ثنا عبدُ اللهِ بنُ يوسفَ ،

---

(١) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : «بربها» .

(٢) تقدم فى ص ٢٠ ، ٢١ .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٢١٩ (٦٨٨٣) من طريق أحمد بن مفضل به .

قال : ثنى الليثُ ، قال : ثنى ابنُ الهادِ ، عن ابنِ شهابٍ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ ، عن أبى هريرةَ ، قال : سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « رأيتُ عمرَو بنَ عامرٍ الخزاعىَّ يَجُرُّ قُصْبَه[1] فى النارِ ، وكان أولَ مَن سيَّب السُّيَّبَ[2] »[3] .

حدَّثنا هنَّادُ بنُ السَّرِىِّ ، قال : ثنا يونسُ بنُ بُكيرٍ ، قال : ثنا محمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : ثنى محمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ الحارثِ ، [١/٧٢٧ظ] عن أبى صالحٍ ، عن أبى هريرةَ ، قال : سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ لأَكْثَمَ بنِ الجَوْنِ : « يا أَكْثَمُ ، رأيتُ عمرَو بنَ لُحَىِّ بنِ قَمَعَةَ بنِ خِنْدِفٍ يَجُرُّ قُصْبَه فى النارِ ، فما رأيتُ رجلًا أَشْبَهَ برجلٍ منك به ، ولا به منك » . فقال أَكْثَمُ : تخشَى[4] أن يضرَّنى شَبَهُه يا رسولَ اللَّهِ ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لا ، إنك مؤمنٌ وهو كافرٌ ، إنه أولُ من غيَّر دينَ إسماعيلَ ، وبحَر البحيرةَ ، وسيَّب السائبةَ ، وحمَى الحامىَ[5] »[6] .

حدَّثنا هنَّادٌ ، قال : ثنا يونسُ ، قال : ثنى هشامُ بنُ سعدٍ ، عن زيدِ بنِ أَسْلمَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « قد عرَفتُ أولَ مَن بحَر البحائرَ ؛ رجلٌ من مُدْلِجٍ ، كانت له ناقتان فجدَع آذانَهما[7] ، وحرَّم ألبانَهما وظهورَهما ، وقال : هاتان للَّهِ . ثم احتاج إليهما فشرِب ألبانَهما ، وركِب ظهورَهما » . قال : « فلقد رأيتُه فى النارِ يُؤْذِى أهلَ

---

(١) القصب بالضم : المِعَى ، وجمعه أقصاب . النهاية ٤/ ٦٧.

(٢) فى م : « السائبة » والسيب جمع سائبة ، وفى س : « السوائب » وهو لفظ أكثر الروايات .

(٣) أخرجه البيهقى ١٠/ ٩ عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم به ، وأخرجه الطحاوى فى شرح مشكل الآثار (١٤٧٩) من طريق يونس بن عبد الأعلى به ، وأخرجه البخارى (٣٥٢١، ٤٦٢٣) من طريق شعيب به ، وأخرجه أحمد ١٤/ ٣٩١ (٨٧٨٧) ، وابن أبى عاصم فى الأوائل (٤٤) ، وابن حبان (٦٢٦٠) من طريق الليث به . وأخرجه ابن مردويه - كما فى الفتح ٨/ ٢٨٥ من طريق ابن الهاد به ، وأخرجه البخارى (٤٦٢٣) ، ومسلم (٢٨٥٦/ ٥١) من طريق الزهرى به .

(٤) فى م ، ت ١، س : «أخشى» .

(٥) فى ص : «الحما» .

(٦) سيرة بن هشام ١/ ٧٦. وأخرجه ابن أبى عاصم فى الأوائل (٨٣) من طريق ابن إسحاق به ، وأخرجه البخارى (٣٥٢٠) ، ومسلم (٢٨٥٦/ ٥٠) من طريق أبى صالح به ، وذكره ابن كثير فى تفسيره ٣/ ٢٠٤ عن المصنف .

(٧) فى ص ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « إحداهما » .

النارِ ريحُ قُصْبِه »[(١)] .

٨٧/٧ /حدَّثنا هنَّادٌ ، قال : ثنا عَبْدَةُ[(٢)] ، عن محمدِ بنِ عمرٍو ، عن أبي سَلَمةَ ، عن أبي هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « عُرِضتْ علىَّ النارُ ، فرأيتُ فيها عمرَو بنَ فلانِ ابنِ فلانٍ[(٣)] بنِ خِنْدِفٍ يجُرُّ قُصْبَه في النارِ ، وهو أولُ من غيَّر دينَ إبراهيمَ ، وسيَّب السائبةَ ، وأَشْبَهُ مَن رأيتُ به أَكْثَمُ بنُ الجَوْنِ » . فقال أكثمُ : يا رسولَ اللَّهِ ، أيضُرُّني شَبَهُه ؟ قال : « لا ؛ لأنك مسلمٌ ، وإنه كافرٌ »[(٤)] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ (٥عن معمرٍ ، عن الزهريِّ ، عن أبي هريرةَ أن النبيَّ ﷺ٥) قال : « رأيتُ عمرَو بنَ عامرٍ الخُزاعيَّ يجُرُّ قُصْبَه في النارِ ، وهو أولُ مَن سيَّب السوائبَ »[(٦)] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن زيدِ ابنِ أسلمَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إني لأعرِفُ أولَ من سيَّب السوائبَ ، وأولَ من غيَّر عهدَ إبراهيمَ » . قالوا : مَن هو يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « عمرُو بنُ لُحَيٍّ أخو بني كعبٍ ، لقد رأيتُه يَجُرُّ قُصْبَه في النارِ ، يُؤْذِي ريحُه أهلَ النارِ ، وإني لأعرِفُ أولَ من بحَر البحائرَ » . قالوا : مَن هو يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « رجلٌ من بني مُدْلِجٍ كانت له ناقتان ، فجدَع آذانَهما ، وحرَّم ألبانَهما ، ثم شرِب ألبانَهما بعدَ ذلك ، فلقد رأيتُه في النارِ هو وهما يَعَضَّانِه بأفواهِهما ، ويَخْبِطانه بأخفافِهما »[(٧)] .

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ٩٢/١٤ من طريق هشام به .

(٢) في النسخ : « عبيدة » ، وتقدم على الصواب في ١٧٠/٣، ١٩٤ .

(٣) بعده في م : «ابن فلان» .

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة ٧٠/١٤، وأبو يعلى (٦١٢١) ، وابن حبان (٧٤٩٠) ، والحاكم ٦٠٥/٤ من طريق محمد بن عمرو به ، وذكره ابن كثير ٢٠٤/٣ عن المصنف .

(٥ - ٥) سقط من النسخ ، والمثبت من مصدري التخريج .

(٦) تفسير عبد الرزاق ١٩٧/١ ومن طريقه أحمد ١٣٧/١٣ (٧٧١٠) .

(٧) تفسير عبد الرزاق ١٩٧/١ ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٣٨/٢ إلى عبد بن حميد .

والبحيرةُ الفعيلةُ ، من قولِ القائلِ : بحَرتُ أُذُنَ هذه الناقةِ - إذا شقَّها - أَبْحَرُها بَحْرًا . والناقةُ مَبْحُورةٌ ، ثم تُصْرَفُ المفعولةُ إلى فَعِيلةٍ ، فيقالُ : هى بَحِيرةٌ . وأما البَحِرُ من الإبلِ فهو الذى قد أصابه داءٌ من[1] كثرةِ شربِ الماءِ ، يقالُ منه : بَحِر البعيرُ يَبْحَرُ بَحَرًا . ومنه قولُ الشاعرِ[2] :

لأَعْلِطَنَّهُ[3] وَسْمًا[4] لا يُفارِقُهُ كما يُحَزُّ بحُمَّى المِيسَمِ البَحِرُ

وبنحوِ الذى قلنا فى معنى البحيرةِ جاء الخبرُ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ .

حدَّثنا عبدُ الحميدِ بنُ بَيانٍ ، قال : أخبرنا محمدُ بنُ يزيدَ ، عن إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ ، عن أبى إسحاقَ ، عن أبى الأحوصِ ، عن أبيه ، قال : دخَلتُ على النبىِّ ﷺ ، فقال النبىُّ ﷺ : « أرأيتَ إبلَك ، ألستَ تُنْتِجُها مُسَلَّمةً آذانُها ، فتأخُذَ المُوسَى فتَجْدَعَها ، تقولُ : هذه بحيرةٌ . وتشُقُّ آذانَها ، تقولُ : هذه صُرُمٌ[5] ؟ » . قال : نعم . قال : « فإنّ ساعِدَ اللَّهِ أشدُّ ، ومُوسَى اللَّهِ أحدُّ ، كلُّ مالِكَ لك حلالٌ ، لا يُحَرَّمُ عليك منه شىءٌ »[6] .

حدَّثنا محمدُ بنُ المثنى ، قال : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، قال : ثنا شعبةُ ، عن أبى

---

(١) فى ص: « عن » .

(٢) اللسان (ب ح ر) .

(٣) فى ص ، س: « لأعطلنه » ، وفى م ،ت ١،ت ٢، ت ٣: «لأعلطنك» . والمثبت من اللسان . وعلط البعيرَ والناقةَ يعليطهما ويعلُطهما علْطًا وعلَّطهما : وسمهما بالعلاط . والعلاط : علامة فى جانب العنق تكون خطا أو أكثر بالعرض . والعلط : أثر الوسم فى جانب العنق .اللسان (ع ل ط) .

(٤) فى ص : « دسما » .

(٥) فى النسخ : « حرم » . والمثبت من بعض مصادر التخريج ، قال البغوى فى شرح السنة ١٢/ ٤٩: والصرم جمع الصريم ؛ وهو الذى صُرِم أذنه ، أى : قطع .

(٦) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٢٢٠ (٦٨٨٥) ، والبيهقى فى الأسماء والصفات (٧٤٢) ، والبغوى فى شرح السنة (٣١١٨) من طريق أبى إسحاق به . وأخرجه أحمد ٢٨/٤٦٤ (١٧٢٢٨) من طريق أبى الأحوص به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٣٣٧، إلى عبد بن حميد والحكيم الترمذى فى نوادر الأصول وابن المنذر .

٨٨/٧ إسحاقَ ، قال : سمعتُ / أبا الأحوصِ ، عن أبيه ، قال : أتيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فقال : « هل تُنْتَجُ[1] إبلُ قومِك صِحاحًا آذانُها ، فتَعْمِدَ إلى المُوسَى ، فتَقْطَعَ آذانَها ، فتقولَ : هذه بُحُرٌ . وتشُقَّها - أو تشقَّ جلودَها - فتقولَ : هذه صُرُمٌ[2] . فتُحرِّمَها عليك وعلى أهلِك ؟ » قال : نعم . قال : « فإن ما آتاك اللَّهُ لك حلٌّ ، وساعِدُ اللَّهِ أشدُّ ، ومُوسَى اللَّهِ أحدُّ » . وربما قال : « ساعدُ اللَّهِ أشدُّ من ساعدِك ، ومُوسَى اللَّهِ أحدُّ من مُوسَاك »[3] .

وأما السائبةُ فإنها المسيَّبةُ المُخَلَّاةُ ، وكانت الجاهليةُ يفعَلُ ذلك أحدُهم ببعضِ مواشِيه ، فيحرِّمُ الانتفاعَ به على نفسِه ، كما كان بعضُ أهلِ الإسلامِ يُعْتِقُ عبدَه سائبةً ، فلا ينتفعُ به ولا بولائِه .

وأُخْرِجت المسيَّبةُ بلفظِ السائبةِ ، كما قيل : ﴿ عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ﴾ [الحاقة : ٢١، القارعة : ٧] . بمعنى : مَرْضِيَّةٍ .

وأما الوَصِيلةُ فإن الأُنْثى من نَعَمِهم فى الجاهليةِ كانت إذا أَتْأَمَت بطنًا بذكرٍ وأنثى ، قيل : قد وصَلت الأنثى أخاها . بدفعِها عنه الذبحَ ، فسمَّوْها وَصِيلةً .

وأما الحامِى فإنه الفَحْلُ من النَّعَمِ ، يُحْمَى ظهرُه من الركوبِ والانتفاعِ ، بسببِ تتابعِ أولادٍ تَحْدُثُ من فِحلتِه .

وقد اختلف أهلُ التأويلِ فى صفاتِ المسمَّياتِ[4] بهذه الأسماءِ ، [5]وما السببُ[5] الذى من أجلِه كانت تفعَلُ ذلك ؟

---

(١) تنتج البهيمةُ : أى تلد ، يقال : نُتِجت الناقة إذا ولدت فهى منتوجة وأنتجت إذا حملت ، فهى نتوج . ولا يقال : منتج . ونَتَجْتُ الناقة أنتِجُها إذا ولَّدتها . والناتج للإبل كالقابلة للنساء . النهاية ٥/ ١٢.

(٢) فى النسخ : « حرم » . والمثبت من مصادر التخريج .

(٣) أخرجه الطيالسى (١٣٩٩) ، والبيهقى فى الأسماء والصفات (٧٤٢) من طريق شعبة به ، وينظر تخريجه مفصلا فى الطيالسى .

(٤) فى ص ، ت ١: « المسبيات » وفى س: « السيبات » .

(٥ - ٥) فى ص ، ت ١، س: « أما المسبب » .

ذكرُ الروايةِ بما قيل فى ذلك

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سَلَمةُ بنُ الفَضْلِ ، عن ابنِ[1] إسحاقَ ، عن محمدِ ابنِ إبراهيمَ بنِ الحارثِ التَّيْمىِّ ، أن أبا صالحٍ السَّمَّانَ ، حدَّثه أنه سمِع أبا هريرةَ يقولُ : سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ لأَكْثَمَ بنِ الجَوْنِ الخُزاعىِّ : « يا أَكْثَمُ ، رأيتُ عمرَو بنَ لُحَىِّ بنِ قَمَعَةَ بنِ خِنْدِفٍ يجُرُّ قُصْبَه فى النارِ ، فما رأيتُ من رجلٍ أَشْبَهَ برجلٍ منك به ، ولا به منك » . فقال أَكْثَمُ : أيَضرُّنى شَبَهُه يا نبىَّ اللَّهِ ؟ قال : « لا ، إنك مؤمنٌ وهو كافرٌ ، وإنه كان أولَ مَن غيَّر دينَ إسماعيلَ ، ونصَب الأوثانَ ، وسيَّب السائبَ[2] فيهم »[3] .

وذلك أنَّ الناقةَ إذا تابَعتْ [4]يِنْتَىْ عشرةَ إناثًا ليس فيها ذكرٌ[4] ، سُيِّبت ، فلم يُرْكَبْ ظهرُها ، ولم يُجزَّ وبَرُها ، ولم يَشْرَبْ لبنَها إلا ضيفٌ ، فما نُتِجَت بعدَ ذلك من أنثى شُقَّ أُذُنُها ، ثم خُلِّى سبيلُها مع أمِّها فى الإبلِ ، فلم يُرْكَبْ ظهرُها ، ولم يُجزَّ وبَرُها ، ولم يَشْرَبْ لبنَها إلا ضيفٌ ، كما فُعِل بأمِّها ، فهى البَحِيرةُ ابنةُ السائبةِ .

والوَصِيلةُ : أن الشاةَ إذا نُتِجَت عشرَ إناثٍ متتابعاتٍ فى خمسةِ أبطنٍ ليس فيهن ذَكَرٌ ، جُعِلت وَصيلةً ، قالوا : وصَلت . فكان ما ولَدت بعدَ ذلك لذكُورِهم دونَ إناثِهم ، إلا أن يموتَ منها شىءٌ ، فيشتركون فى أكلِه ؛ ذكورُهم وإناثُهم .

والحامِى : أن الفحلَ إذا نُتِج له عشرُ إناثٍ متتابعاتٍ ليس بينَهن ذَكَرٌ ، حُمِى ظهرُه ، ولم يُرْكَبْ ، ولم يُجزَّ وَبَرُه ، [٧٢٨/١و] ويُخَلَّى فى إبلِه يَضْرِبُ فيها ، لا

---

(١) فى النسخ : « أبى » .

(٢) فى م : « السوائب » .

(٣) تقدم تخريجه فى ص٢٧ .

(٤ - ٤) فى سيرة ابن هشام : « عشر إناث ليس بينهن ذكر » . والمثبت من النسخ عندنا قول حكاه البغوى فى تفسيره ١٠٧/٣ ولم ينسبه إلى قائل .

يُنتفعُ به بغيرِ ذلك . يقولُ اللَّهُ تعالى ذكرُه : ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾ . إلى قولِه : ﴿ وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾[1] .

٨٩/٧ /حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن الأعمشِ ، عن أبى الضُّحى ، عن مسروقٍ فى هذه الآيةِ : ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾ . - قال أبو جعفرٍ : سقَط علىَّ فيما أُظُنُّ كلامٌ منه - قال : فأتيتُ علقمةَ فسألتُه ، فقال : ما تُريدُ إلى شىءٍ كان يصنعُه أهلُ الجاهليةِ .

حدَّثنى يحيى بنُ إبراهيمَ المَسْعودىُّ ، قال : ثنا أبى ، عن أبيه ، عن جدِّه ، عن الأعمشِ ، عن مسلمٍ ، قال : أتيتُ علقمةَ ، فسألتُه عن قولِ اللَّهِ تعالى : ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾ . فقال : وما[2] تَصْنَعُ بهذا ؟ إنما هذا شىءٌ مِن فعلِ الجاهليةِ . قال : فأتيتُ مسروقًا فسألتُه ، فقال : البَحِيرةُ : كانت الناقةُ إذا ولَدَت بطنًا خمسًا أو سبعًا ، شقُّوا أذنَها ، وقالوا : هذه بَحيرةٌ . قال : ﴿ وَلَا سَآئِبَةٍ ﴾ . قال : كان الرجلُ يأْخُذُ بعضَ مالِه ، فيقولُ : هذه سائبةٌ . قال : ﴿ وَلَا وَصِيلَةٍ ﴾ . قال : كانوا إذا ولَدَت الناقةُ الذكرَ ، أكَله الذكورُ دونَ الإناثِ ، وإذا وَلَدت ذكرًا وأُنثى فى بطنٍ ، قالوا : وصَلَت أخاها . فلا يأْكُلونهما ، قال : فإذا مات الذكرُ أكَله الذكورُ دونَ الإناثِ . قال : ﴿ وَلَا حَامٍ ﴾ . قال : كان البعيرُ إذا ولَد ، وولَد ولدُه ، قالوا : قد قضَى هذا الذى عليه . فلم يَنْتَفِعوا بظَهْرِه ، قالوا : هذا حامٍ[3] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا محمدُ بنُ عبيدٍ ، عن الأعمشِ ، عن مسلمِ بنِ

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٨٩.

(٢) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « لا » .

(٣) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « حمى » .

صُبَيْحٍ ، قال : سألْتُ علقمةَ عن قولِه : ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ ﴾ . قال : ما تَصْنَعُ بهذا ؟ هذا شيءٌ كان يَفْعَلُه أهلُ الجاهليةِ .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ يَمانٍ ويحيى بنُ آدمَ ، عن إسرائيلَ ، عن أبى إسحاقَ ، عن أبى الأحوصِ : ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ ﴾ . قال : البَحِيرةُ التى قد ولَدَت خمسةَ أبطنٍ ثم تُرِكَت[1] .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا جريرُ بنُ عبدِ الحميدِ ، عن مغيرةَ ، عن الشعبيِّ : ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ ﴾ . قال : البحيرةُ المُخَضْرَمةُ ، ﴿ وَلَا سَآئِبَةٍ ﴾ : والسائبةُ: ما سُيِّب للعِدَي[2] ، والوَصيلةُ : إذا وَلَدَت بعدَ أربعةِ أبطنٍ - فيما يَرَى جَريرٌ - ثم وَلَدَت الخامسَ ذكرًا وأنثى ، وصَلَتْ أخاها . والحامِ : الذى قد ضرَب أولادُ أولادِه فى الإبلِ .

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : ثنا جريرٌ ، عن مغيرةَ ، عن الشعبيِّ بنحوِه ، إلا أنه قال : والوَصيلةُ : التى ولَدَت بعدَ أربعةِ أبطنٍ ذكرًا وأنثى ، قالوا : وصَلَتْ أخاها . وسائرُ الحديثِ مثلُ حديثِ ابنِ حميدٍ .

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : ثنا إسحاقُ الأزرقُ ، عن زكريا ، عن الشعبيِّ أنه سُئِل عن البَحيرةِ ؟ فقال : هى التى تُجْدَعُ آذانُها . وسُئِل عن السائبةِ ؟ فقال : كانوا يُهْدُون لآلهتِهم الإبلَ والغنمَ ، فيَتْرُكونها عندَ آلهتِهم ، [3]فتذهبُ فتَخْتَلِطُ[3] بغنمِ الناسِ ، فلا يَشْرَبُ ألبانَها إلا الرجالُ ، فإذا مات منها شيءٌ أكَلَه الرجالُ والنساءُ جميعًا .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٢٠/٤ (٦٨٨٦) من طريق إسرائيل به .

(٢) سقط من : س ، وفى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « للهدى » . والعِدَى : الغرباء . اللسان (ع د ى) .

(٣ - ٣) فى م : « لتذبح فتخلط » .

نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ تعالى : ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ ﴾ وما معها : البحيرةُ مِن الإبلِ ، يُحَرِّمُ أهلُ الجاهليةِ وَبَرَها وظهرَها ولحمَها ولبنَها إلا على الرجالِ ، فما ولَدَت مِن ذكرٍ وأنثى فهو على هيئتِها ، وإن ماتَت اشْتَرَك / الرجالُ والنساءُ فى أكلِ لحمِها ، فإذا ضرَب الجملُ[1] من ولدِ البَحيرةِ فهو الحامِى ، [2]والحامِى اسمٌ[2] ، والسائبةُ من الغنمِ على نحوِ ذلك ، إلا أنها ما ولَدت من ولدٍ بينَها وبينَ ستةِ أولادٍ كان على هيئتِها ، فإذا ولَدت فى السابعِ ذكرًا أو أنثى ، أو ذَكريْن ، ذبَحوه ، فأكَله رجالُهم دونَ نسائِهم ، وإن تَوْأَمت أنثى وذكرًا فهى وصيلةٌ ، تُرِك ذبحُ الذكرِ بالأنثى ، وإن كانتا أُنثَيين تُرِكتا[3] .

٩٠/٧

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ ﴾ : فالبحيرةُ : الناقةُ ، كان الرجلُ إذا ولَدت خمسةَ أبطنٍ ، فيعمِدُ إلى الخامسةِ ، فما لم يكنْ سَقْبًا[4] فيُبَتِّكُ آذانَها ، ولا يجُزُّ لها وبَرًا ، ولا يذوقُ لها لبنًا ، فتلك البحيرةُ . ﴿ وَلَا سَآئِبَةٍ ﴾ : كان الرجلُ يسيِّبُ من مالِه ما شاء . ﴿ وَلَا وَصِيلَةٍ ﴾ : فهى الشاةُ إذا ولَدت سَبْعًا ، عمَد إلى السابعِ ، فإن كان ذكرًا ذُبِح ، وإن كان أنثى تُرِكت ، وإن كان فى بطنِها اثنان ذكرٌ وأنثى فولَدتْهما ، قالوا : وصَلت أخاها ، فيُترَكان جميعًا لا يُذْبَحان ، فتلك الوصيلةُ . وقولُه : ﴿ وَلَا حَامٍ ﴾ . كان الرجلُ يكونُ له الفحلُ ، فإذا لقَّح عشرًا ، قيل : حامٍ ، فاترُكوه[5] .

---

(١) ضراب الجمل : نزْوُه على الأنثى . يقال: ضرب الجمل الناقة يضربها إذا نزا عليها . النهاية (ض ر ب) .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٢٢/٤ (٦٨٩٣) من طريق ابن أبى نجيح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٣٨/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٤) السقب : ولد الناقة ، إن كان ذكرا ، ولا يقال للأنثى سقبة . التاج (س ق ب) .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم ٤/ ١٢٢٤ (٦٩٠٤) عن محمد بن سعد به مقتصرا على تفسير : (ولا حام) ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٣٨/٢ إلى ابن مردويه .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنا معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن عليِّ بنِ أبي طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ ﴾ : ليسيِّبوها لأصنامِهم ، ﴿ وَلَا وَصِيلَةٍ ﴾ . يقولُ : الشاةُ ، ﴿ وَلَا حَامٍ ﴾ . يقولُ : الفحلُ من الإبلِ[1] .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾ : تشديدٌ شدَّده الشيطانُ على أهلِ الجاهليةِ فى أموالِهم ، وتغليظٌ عليهم ، فكانت البحيرةُ من[2] الإبلِ ؛ إذا نتَج الرجلُ خمسًا من إبلِه ، نظَر البطنَ الخامسَ ، فإن كانت سَقْبًا ذُبِح ، فأكَله الرجالُ دونَ النساءِ ، وإن كان مَيتةً اشترك فيه ذكرُهم وأنثاهم ، وإن كانت حائلًا ، وهى الأنثى ، تُرِكت ، فبتِّكتْ أُذُنُها ، فلم يُجزَّ لها وبَرٌ ، ولم يُشْرَبْ لها لبنٌ ، ولم يُرْكَبْ لها ظَهْرٌ ، ولم يُذْكَرْ للَّهِ عليها اسمٌ . وكانت السائبةُ : يسيِّبون ما بدا لهم من أموالِهم ، فلا تُمتَنعُ[3] من حوضٍ أن تَشْرَعَ فيه ، ولا من حِمًى أن تَرْتَعَ فيه . وكانت الوصيلةُ [١/٧٢٨ظ] من الشاءِ : من البطنِ السابعِ ، إذا كان جَدْيًا ذُبِح ، فأكَله الرجالُ دونَ النساءِ ، وإن كان ميتةً اشترك فيه ذَكَرُهم وأُنثاهم ، وإن جاءت بذكرٍ وأنثى ، قيل : وَصَلت أخاها ، فمنَعَتْه الذبحَ . والحامِ : كان الفحلُ إذا رُكِب من بنى بنيه عشَرةٌ ، أو ولدِ ولدِه ، قيل : حامٍ . حُمِى ظهرُه ، فلم يُزَمَّ ، ولم يُخْطَمْ ، ولم يُرْكَبْ .

حدَّثني محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ مفضَّلٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/ ١٢٢١-١٢٢٣ (٦٨٩٢، ٦٨٩٨، ٦٩٠٣) من طريق أبى صالح به .

(٢) فى النسخ: « مثل » . والمثبت ما يقتضيه السياق .

(٣) فى تفسير عبد الرزاق : « تمنع » .

السُّدىّ : ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾ : فالبحيرةُ من الإبلِ : كانت الناقةُ إذا نُتِجت خمسةَ أبطنٍ ، إن كان الخامسُ سَقْبًا ذبَحوه ، فأَهْدَوه إلى آلهتِهم ، وكانت أُمُّه مِن عُرْضِ الإبلِ ، وإن كانت رُبَعةً[1] استَحْيَوْها ، وشقُّوا أُذُنَ أُمِّها ، وجزُّوا وبَرَها ، وخلَّوْها[2] فى البطحاءِ ، فلم تَجُزْ لهم فى دِيَةٍ ، ولم يَحْلِبوا[3] لها لبنًا ، ولم يجزُّوا لها وبَرًا ، ولم يحمِلوا على ظهرِها ، وهى من الأنعامِ التى حُرِّمت ظهورُها . وأما السائبةُ / : فهو الرجلُ يُسيِّبُ من مالِه ما شاء على وجهِ الشكرِ ، إن كثُر مالُه ، أو برأ من وجعٍ ، أو ركِب ناقةً فأَنْجَح ، فإنه يسمِّى السائبةَ ، يُرْسِلُها فلا يعرِضُ لها أحدٌ من العربِ إلا أصابتْه عقوبةٌ فى الدنيا . وأما الوصيلةُ فمِن الغنمِ هى الشاةُ إذا ولَدت ثلاثةَ أبطنٍ أو خمسةً ، فكان آخرُ ذلك جَدْيًا ، ذبَحوه وأَهْدَوه لبيتِ الآلهةِ ، وإن كانت عَنَاقًا[4] استَحْيَوها ، وإن كانت جَدْيًا وعَنَاقًا استَحْيَوا الجَدْىَ من أجلِ العَناقِ ، فإنها وصيلةٌ وصَلتْ أخاها . وأما الحامِ فالفحلُ يَضْرِبُ فى الإبلِ عشْرَ سنينَ ، ويقالُ : إذا ضرَب ولدُ ولدِه ، قيل : قد حَمَى ظهرَه . فيترُكونه لا يُمسُّ ، ولا يُنْحَرُ أبدًا ، ولا يُمْنَعُ من كلأٍ يريدُه ، وهو من الأنعامِ التى حُرِّمتْ ظهورُها[5] .

٩١/٧

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن الزهرىِّ ، عن ابنِ المسيَّبِ فى قولِه : ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾ . قال : البحيرةُ من الإبلِ : التى يُمْنَعُ دَرُّها للطواغيتِ ، والسائبةُ من الإبلِ : كانوا يسيِّبونها لطواغيتِهم ، والوصيلةُ من الإبلِ : كانت الناقةُ تبتَكِرُ[6]

---

(١) الربعة مؤنث الرُّبَع وهو ما ولد من الإبل فى الربيع . وقيل: ما ولد فى أول النتاج . النهاية ٢/١٨٨، ١٨٩.

(٢) فى ص ، ت ١: « حلبوها » .

(٣) فى م : « يجلبوا » .

(٤) العناق : الأنثى من أولاد المعز ما لم يتم له سنة . النهاية ٣/ ٣١١.

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٢٢٠ (٦٨٨٨) من طريق أحمد بن مفضل به .

(٦) فى م ، ت ٢، ت ٣، س: «تبكر» .

بأنثى ، ثم تُثَنِّى بأنثى ، فيسمُّونها الوصيلةَ ، يقولون : وصَلت اثنتين ليس بينَهما ذكرٌ . فكانوا يَجْدَعونها لطواغيتِهم ، أو يذبَحونها - الشكُّ من أبى جعفرٍ - والحامِ : الفحلُ من الإبلِ ، كان يضرِبُ الضِّرابَ المعدودَةَ[1] ، فإذا بلَغ ذلك ، قالوا : هذا حامٍ ، قد حمَى ظهرَه . فتُرِك ، فسمَّوه « الحام » . قال معمرٌ : قال قتادةُ : إذا ضرَب عشَرةً[2] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن قتادةَ قال : البحيرةُ من الإبلِ : كانت الناقةُ إذا نُتِجت خمسةَ أبطنٍ ، فإن كان الخامسُ ذكرًا ، كان للرجالِ دونَ النساءِ ، وإن كانت أنثى بَتَّكوا آذانَها ، ثم أَرْسَلوها ، فلم يَنْحَروا لها ولدًا ، ولم يَشرَبوا لها لبنًا ، ولم يركَبوا لها ظهرًا . وأما السائبةُ : فإنهم كانوا يسيِّبون بعضَ إبلِهم ، فلا تُمْنَعُ حوضًا أن تَشْرَعَ فيه ، ولا مَرْعًى أن ترتَعَ فيه . والوصيلةُ : الشاةُ كانت إذا ولَدت سبعةَ أبطنٍ ، فإن كان السابعُ ذكرًا ذُبِح وأكَله الرجالُ دونَ النساءِ ، وإن كانت أنثى تُرِكت[3] .

حُدِّثتُ عن الحسينِ بنِ الفرجِ ، قال : سمِعتُ أبا معاذٍ الفضلَ بنَ خالدٍ ، قال : ثنا عبيدُ بنُ سليمانَ[4] ، عن الضحاكِ : ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾ : أما البحيرةُ فكانت الناقةُ إذا نتَجوها خمسةَ أبطنٍ ، نحَروا الخامسَ إن كان سَقْبًا ، وإن كان رُبَعةً شقُّوا أذنَها واستَحْيَوها ، وهى بحيرةٌ . وأما السَّقْبُ فلا يأكُلُ نساؤُهم منه ، وهو خالصٌ لرجالِهم ، فإن ماتتِ الناقةُ أوْ نتَجوها مَيِّتًا ، فرجالُهم ونساؤُهم فيه سواءٌ يأكُلون منه . وأما السائبةُ فكان يسيِّبُ الرجلُ من مالِهِ من

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « المعدود » .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٩٦ ، ١٩٧ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/ ١٢٢٤ (٦٩٠٦) عن الحسن ابن يحيى به .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٩٧ ، ١٩٨ .

(٤) فى م : « سلمان » .

الأنعامِ ، فيُهْمَلُ فى الحِمَى فلا يُنتفَعُ بظهرِه ولا بولدِه ولا بلبنِه ،ولا بشعرِه ولا بصوفِه . وأما الوصيلةُ فكانت الشاةُ إذا ولَدت سبعةَ أبطنٍ ذبَحوا السابعَ إذا كان جَدْيًا ، وإن كان عَنَاقًا اسْتَحْيَوه ، وإن كان جَدْيًا وعَناقًا اسْتَحْيَوهما كليهما ، وقالوا : إن الجَدْىَ وصَلته أختُه ، فحرَّمتْه علينا . وأما الحامِى فالفحلُ إذا رِكبوا أولادَ ولدِه ، قالوا : قد حمى هذا ظهرَه ، وأحرَزَهُ[1] أولادُ ولدِه ، فلا يركَبونه ، ولا يمنَعونه من حِمَى شجرٍ ، ولا حوضٍ ما شرَع فيه ، وإن لم يكنِ الحوضُ لصاحبِه ، وكانت من إبلِهم طائفةٌ لا يذكُرون اسمَ اللَّهِ عليها / فى شىءٍ من شأنِهم ، لا إن رِكبوا ، ولا إن حمَلوا ، ولا إن حلَبوا ، ولا إن نتَجوا ، ولا إن باعوا ، ففى ذلك أنْزَل اللَّهُ تعالى : ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ ﴾ إلى قولِه : ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ .

٩٢/٧

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾ . قال : هذا شىءٌ كان يعملُ به أهلُ الجاهليةِ ، وقد ذهَب . قال : البحيرةُ : كان الرجلُ يَجدَعُ أُذنَىْ ناقتِه ، ثم يُعْتِقُها ، كما يُعْتِقُ جاريتَه وغلامَه ، لا تُحْلَبُ ، ولا تُركَبُ . والسائبةُ : يسيِّبُها بغيرِ تجديعٍ . والحامِ : إذا نُتِج له سبعُ إناثٍ متوالياتٌ ، قد حَمَى ظهرَه ، ولا يُركَبُ ، ولا يُعْمَلُ عليه . والوصيلةُ من الغنمِ : إذا ولَدت سبعَ إناثٍ متوالياتٍ حَمَت لحمَها أن يؤكلَ .

حدَّثنا يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ يوسفَ ، قال : ثنا الليثُ بنُ سعدٍ ، قال ثنى ابنُ الهادِ ، عن ابنِ شهابٍ ، قال : قال سعيدُ بنُ المسيَّبِ : السائبةُ : التى كانت تسيَّبُ ، فلا يُحْمَلُ عليها شىءٌ . والبحيرةُ : التى يُمْنَعُ دَرُّها للطواغيتِ ، فلا يحلِبُها أحدٌ . والوصيلةُ : الناقةُ البِكْرُ ، تَبْكُرُ أولَ نتاجِ الإبلِ بأنثى ،

---

(١) فى م : « أحرز » . ومعنى : أحرزه أولاد ولده : حفظوه وصانوه . ينظر اللسان (ح ر ز) .

ثم تُثَنِّى بعدُ بأنثى ، وكانوا يسمُّونها [١/٧٢٩و] للطواغيتِ ، يَدْعُونها الوصيلةَ ، أن وصَلت أخواتِها[1] إحداهما بالأُخرى . والحامى : فحلُ الإبلِ يَضْرِبُ العَشْرَ من الإبلِ ، فإذا نقَص ضِرابُه يَدَعُونه للطواغيتِ ، وأَعْفَوه من الحملِ ، فلم يحمِلوا عليه شيئًا ، وسمَّوْه الحامىَ[2] .

وهذه أمورٌ كانت فى الجاهليةِ فأَبْطَلها الإسلامُ ، فلا نعرِفُ قومًا يعمَلون بها اليومَ ، فإذا كان ذلك كذلك ، وكان ما كانت الجاهليةُ تعمَلُ به لا [3]يُوصَلُ إلى علمِه[3] - إذ لم يكنْ له فى الإسلامِ اليومَ أثرٌ ، ولا فى الشركِ نعرِفُه - إلا بخبرٍ ، وكانت الأخبارُ عما كانوا يفعَلون من ذلك مختلِفةً الاختلافَ الذى ذكَرنا ، فالصوابُ من القولِ فى ذلك أن يقالَ : أما معانى هذه الأسماءِ فما بيَّنا فى ابتداءِ القولِ فى تأويلِ هذه الآيةِ . وأما كيفيةُ عملِ القومِ فى ذلك ، فما لا علمَ لنا به . وقد ورَدتِ الأخبارُ بوصفِ عملِهم ذلك على ما قد حكَيْنا ، وغيرُ ضائرٍ الجهلُ بذلك إذا كان المرادُ من علمِه المحتاجِ إليه ، موصَّلًا[4] إلى حقيقتِه ، وهو أن القومَ كانوا يُحرِّمُون[5] مِن أنعامِهم على أنفسِهم ما لم يحرِّمْه اللَّهُ ؛ اتِّباعًا منهم خُطُواتِ الشيطانِ ، فوبَّخهم اللَّهُ تعالى ذكرُه بذلك ،وأَخْبَرهم أن كلَّ ذلك حلالٌ ، فالحرامُ من كلِّ شىءٍ عندَنا ما حرَّم اللَّهُ تعالى ورسولُه ﷺ ، بنصٍّ أو دليلٍ ، والحلالُ منه ما حلَّله اللَّهُ ورسولُه كذلك .

---

(١) سقط من : م .

(٢) تقدم تخريجه فى ص ٢٧ حاشية (٣) .

(٣ - ٣) فى م : «توصل إلى عمله» .

(٤) فى ص ، ت ١، س : «موصولا» .

(٥) فى م : « محرمين » .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ .

اختلف أهلُ التأويلِ فى المعنىِّ بـ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ فى هذا الموضعِ ، والمرادِ بقولِه : ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ ؛ فقال بعضُهم : المعنىُّ بـ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ اليهودُ ، وبـ « الذين لا يعقِلون » أهلُ الأوثانِ .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبو أسامةَ ، عن سفيانَ ، عن داودَ بنِ أبى هندٍ ، عن محمدِ بنِ أبى موسى : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ ﴾ . قال : أهلُ الكتابِ ، ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ . قال : أهلُ الأوثانِ[1] .

٩٣/٧ /وقال آخرون : بل هم أهلُ ملةٍ واحدةٍ ، ولكنَّ المفترين المَتْبوعون ، والذين لا يعقِلون الأتباعُ .

ذكرُ من قال ذلك

حُدِّثْتُ عن الحسينِ بنِ الفرجِ ، قال : سمِعتُ أبا معاذٍ ، قال : ثنا خارجةُ ، عن داودَ بنِ أبى هندٍ ، عن الشعبىِّ فى قولِه : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ : هم الأتباعُ ، وأما الذين افْتَرَوا فعقَلوا[2] أنهم افْتَرَوا[3] .

وأَوْلَى الأقوالِ فى ذلك عندَنا بالصوابِ أن يقالَ : إن المعنيِّين بقولِه : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ ﴾ : الذين بحَروا البحائرَ ، وسيَّبوا السوائبَ ،

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٢٤/٤ (٦٩٠٨) من طريق أبى أسامة به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٣٩/٢ إلى أبى الشيخ وابن أبى شيبة وابن المنذر .

(٢) فى م : « يعقلون » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٢٥/٤ (٦٩١١) من طريق أبى معاذ به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٣٩/٢ إلى ابن المنذر .

ووصَلوا الوصائلَ ، وحَمَوا الحوامىَ ، مثلُ عمرِو بنِ لُحَىٍّ وأشكالِه ، ممن سنُّوا لأهلِ الشركِ السُّننَ الرديئةَ ، وغيَّروا دينَ اللَّهِ دينَ الحقِّ ، وأضافوا إلى اللَّهِ تعالى ذكرُه أنه هو الذى حرَّم ما حرَّموا ، وأحلَّ ما أحلُّوا ، افتراءً على اللَّهِ الكذبَ وهم يعلَمون ، واختلاقًا عليه الإفكَ ، وهم يَفهمُون[1] ، فكذَّبهم اللَّهُ تعالى ذكرُه فى قيلِهم ذلك ، وإضافتِهم إليه ما أضافوا ، من تحليلِ ما أحلُّوا ، وتحريمِ ما حرَّموا ، فقال تعالى ذكرُه : ما جعَلتُ مِن بحيرةٍ ، ولا سائبةٍ ، ولكنَّ الكفارَ هم الذين يفعَلون ذلك ، ويفترون على اللَّهِ الكذبَ .

وأن يقالَ : إن المعنيِّين بقولِه : ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ : هم أتباعُ مَن سنَّ لهم هذه السننَ من جهلةِ المشركين ، فهم لا شكَّ أنهم أكثرُ من الذين سنُّوا ذلك لهم ، فوصَفهم اللَّهُ تعالى ذكرُه بأنهم لا يعقِلون ؛ لأنهم لم يكونوا يعقِلون أنَّ الذين سنُّوا لهم تلك السننَ ، وأَخبَروهم أنها من عندِ اللَّهِ ، كَذبَةٌ فى أخبارِهم أَفَكَةٌ ، بل ظنُّوا أنهم فيما يقولون مُحِقُّون فى أخبارِهم صادقون .

وإنما معنى الكلامِ : وأكثرُهم لا يعقِلون أن ذلك التحريمَ الذى حرَّمه هؤلاء المشركون ، وأضافوه إلى اللَّهِ تعالى كَذِبٌ وباطلٌ .

وهذا القولُ الذى قُلنا فى ذلك نظيرُ قولِ الشَّعْبىِّ الذى ذكَرناه قبلُ ، ولا معنى لقولِ مَن قال : عنَى بـ ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ أهلَ الكتابِ . وذلك أن النكيرَ فى ابتداءِ الآيةِ من اللَّهِ تعالى على مشركى العربِ ، فالختمُ بهم أَوْلَى من غيرِهم ، إذ لم يكنْ عرَض فى الكلامِ ما يُصرَفُ من أجلِه عنهم إلى غيرِهم . وبنحوِ ذلك كان يقولُ قتادةُ .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه :

---

(١) فى م : « يعمهون » .

﴿ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ . يقولُ[1] : تحريمُ الشيطانِ الذى يحرِّمُ عليهم إنما كان من الشيطانِ ، ولا يعقِلون[2] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : وإذا قيلَ لهؤلاء الذين يَبْحَرون البحائرَ ، ويسيِّبون السوائبَ ، الذين لا يعقِلون أنهم بإضافتِهم تحريمَ ذلك إلى اللَّهِ تعالى ذكرُه يفترون على اللَّهِ الكذبَ : تعالَوا إلى تنزيلِ اللَّهِ وآيِ[3] / كتابِه وإلى رسولِه ؛ ليتبيَّنَ لكم كذبُ قيلِكم فيما تضيفونه إلى اللَّهِ تعالى ذكرُه من تحريمِكم ما تحرِّمون من هذه الأشياء . أجابوا مَن دعاهم إلى ذلك بأن يقولوا : حَسْبُنا ما وجَدنا عليه آباءَنا مِن قبلِنا يعمَلون به . ويقولون : نحن لهم تبَعٌ وهم لنا أئمةٌ وقادةٌ ، قد اكتفينا بما أخَذنا عنهم ، ورضِينا بما كانوا عليه من تحريمٍ وتحليلٍ . قال اللَّهُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : أوَ[4] لو كان آباءُ هؤلاء القائلين هذه المقالةَ ﴿ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾ . يقولُ : لم يكونوا يعلَمون أن ما يُضيفونه إلى اللَّهِ تعالى ذكرُه من تحريمِ البحيرةِ والسائبةِ [٧٢٩/١ظ] والوصيلةِ والحامِ ، كذبٌ وفريةٌ على اللَّهِ ، لا حقيقةَ لذلك ولا صحةَ ؛ لأنهم كانوا أتباعَ المفترين الذين ابتدءوا تحريمَ ذلك افتراءً على اللَّهِ ، بقيلِهم ما كانوا يقولون ، من إضافتِهم إلى اللَّهِ تعالى ذكرُه ما يُضيفون ، [5]ولا[5] كانوا فيما هم به عاملون من ذلك

٩٤/٧

---

(١) بعده فى م : « لا يعقلون » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٢٥/٤ (٦٩١٣) من طريق يزيد به .

(٣) فى ت ١، س : « إلى » .

(٤) فى م : « و » .

(٥ - ٥) سقط من : ص ، ت ١، ت ٢، ت ٣، س ، وفى م : « ما » . والمثبت ما يقتضيه السياق ، والجملة معطوفة على جملة : « لم يكونوا يعلمون » .

على استقامةٍ وصوابٍ ، بل كانوا على ضلالةٍ وخطأٍ .

القولُ في تأويلِ قولِه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : يا أيُّها الذين آمَنوا عليكم أنفسَكم ، فأَصْلِحوها واعمَلوا في خلاصِها من عقابِ اللَّهِ تعالى ذكرُه ، وانظُروا لها فيما يقرِّبُها من ربِّها ، فإنه ﴿ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ ﴾ . يقولُ : لا يضرُّكم مَن كفَر وسلَك غيرَ سبيلِ الحقِّ إذا أنتم اهتديتم وآمنتم بربِّكم ، وأَطَعْتموه فيما أمَركم به وفيما نهاكم عنه ، فحرَّمتم حرامَه وحلَّلتم حلالَه .

ونُصِب قولُه : ﴿ أَنفُسَكُمۡۖ ﴾ بالإغراءِ ، والعربُ تُغْرِي من الصفاتِ بـ « عليك » ، و « عندَك » ، و « دونَك » ، و « إليك » .

واختلف أهلُ التأويلِ في تأويلِ ذلك ؛ **فقال بعضُهم** : معناه : يا أيُّها الذين آمنوا عليكم أنفسَكم إذا أمَرتم بالمعروفِ ونهَيتم عن المنكرِ فلم يُقْبَلْ منكم .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا سوَّارُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا أبو الأشهبِ ، عن الحسنِ ، أن هذه الآيةَ قُرِئت على ابنِ مسعودٍ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾ . فقال ابنُ مسعودٍ : ليس هذا بزمانِها ، قولوها ما قُبِلت منكم ، فإذا رُدَّت عليكم فعليكم أنفسَكم .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبو أسامةَ ، عن أبي الأشهبِ ، عن الحسنِ ، قال : ذُكِر عندَ ابنِ مسعودٍ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ . ثم ذكَر نحوَه .

حدَّثنا يعقوبُ ، قال : ثنا ابنُ عُليَّةَ ، عن يونسَ ، عن الحسنِ ، قال : قال رجلٌ لابنِ مسعودٍ : ألم يقلِ اللَّهُ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾ . قال : ليس بزمانِها ، قولوها ما قُبِلت منكم ، فإذا رُدَّت عليكم ، فعليكم أنفسَكم[1] .

٩٥/٧ /حدَّثنا الحسنُ بنُ عرفةَ ، قال : ثنا شَبَابةُ بنُ سوَّارٍ ، قال : ثنا الرَّبيعُ بنُ صَبِيحٍ ، عن سفيانَ بنِ عِقالٍ ، قال : قيل لابنِ عمرَ : لو جلَستَ في هذه الأيامِ فلم تأمُرْ ولم تنهَ ، فإن اللَّهَ تعالى ذكرُه يقولُ : ﴿ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾ . فقال ابنُ عمرَ : إنها ليست لي ولا لأصحابي ؛ لأن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « ألا فليبلِّغِ الشاهدُ الغائبَ » . فكنا نحن الشهودَ وأنتم الغَيَّبُ ، ولكنَّ هذه الآيةَ لأقوامٍ يجيئون من بعدِنا ، إن قالوا لم يُقْبَلْ منهم[2] .

حدَّثنا أحمدُ بنُ المِقْدامِ ، قال : ثنا المعتمرُ بنُ سليمانَ ، قال : سمعتُ أبي ، قال : ثنا قتادةُ ، عن أبي مازنٍ ، قال : انطلقتُ على عهدِ عثمانَ إلى المدينةِ ، فإذا قومٌ من المسلمين جلوسٌ ، فقرأ أحدُهم هذه الآيةَ : ﴿ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ ﴾ . فقال أكثرُهم : لم يجئْ تأويلُ هذه الآيةِ اليومَ[3] .

حدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : ثنا عمرُو بنُ عاصمٍ ، قال : ثنا المعتمرُ ، عن أبيه ، عن قتادةَ ، عن أبي مازنٍ بنحوِه .

حدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ وأبو عاصمٍ ، قالا : ثنا

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٨٤٣، ٨٤٩ - تفسير) ، والطبراني (٩٠٧٢) من طريق يونس به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٣٩/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ٢٠٩/٣ عن المصنف ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٤٠/٢ إلى المصنف وابن مردويه .

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره ٢٠٩/٣ عن المصنف ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٤٠/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد وأبي الشيخ .

عوفٌ ، عن سوَّارِ بنِ شَبيبٍ ، قال : كنتُ عندَ ابنِ عمرَ ، إذ أتاه رجلٌ جَليدٌ في العينِ ، شديدُ اللسانِ ، فقال : يا أبا عبدِ الرحمنِ نحن ستةٌ ، كلُّهم قد قرَأ[1] القرآنَ فأَسْرَع فيه ، وكلُّهم مجتهدٌ لا يألو ، وكلُّهم بغيضٌ إليه أن يأتيَ دناءةً ، وهم في ذلك يشهَدُ بعضُهم على بعضٍ بالشركِ . فقال رجلٌ من القومِ : وأيَّ دناءةٍ تُرِيدُ[2] أكثرَ من أن يشهَدَ بعضُهم على بعضٍ بالشركِ ؟ قال : فقال الرجلُ : إني لستُ إياك أسألُ ، أنا أسألُ الشيخَ . فأعاد على عبدِ اللَّهِ الحديثَ ، فقال عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ : لعلك ترى ، لا أبا لك ، أني سآمرُك أن تذهَبَ [3]أن تَقْتُلَهم[3] ؟! عِظْهم وانهَهم ، فإن عَصَوْك فعليك بنفسِك ، فإن اللَّهَ تعالى يقولُ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾[4] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن الحسنِ ، أن ابنَ مسعودٍ سأله رجلٌ عن قولِه : ﴿ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾ . قال : إن هذا ليس بزمانِها ، إنها اليومَ مقبولةٌ ، ولكنه قد أَوْشَك أن يأتيَ زمانُها[5] ؛ تأمُرون بالمعروفِ فيُصنعُ بكم كذا وكذا - أو قال : فلا يُقْبَلُ منكم - فحينئذٍ : ﴿ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾[6] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن

---

(١) في م : « قرءوا » .

(٢) في م : « تزيد » .

(٣ - ٣) في م : « فتقتلهم » .

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره ٣/٢٠٩ عن المصنف ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٣٤١ إلى ابن مردويه .

(٥) في م : « زمان » .

(٦) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٩٩.

قتادةَ ، عن رجلٍ ، قال : كنتُ فى خلافةِ عثمانَ بالمدينةِ ، فى[(١)] حلقةٍ فيهم أصحابُ النبىِّ ﷺ ، فإذا فيهم شيخٌ يُسْنِدون إليه ، فقرأ رجلٌ : ﴿ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾ . فقال الشيخُ : إنما تأويلُها آخرَ الزمانِ[(٢)] .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُريعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، قال : ثنا أبو مازنٍ رجلٌ من صالحى الأَزْدِ من الـحُدَّانِ[(٣)] ، قال : انطلقتُ فى حياةِ عثمانَ إلى المدينةِ ، فقعَدت إلى حلقةٍ فيها / أصحابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقرأ رجلٌ من القومِ هذه الآيةَ : ﴿ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾ . قال : فقال رجلٌ من أسنِّ القومِ : دعْ هذه الآيةَ ، فإنما تأويلُها فى آخرِ الزمانِ[(٤)] .

٩٦/٧

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنا ابنُ فَضالةَ ، عن معاويةَ [١/٧٣٠و] ابنِ صالحٍ ، عن جُبيرِ بنِ نُفيرٍ ، قال : كنتُ فى حلقةٍ فيها أصحابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وإنى لأصغرُ القومِ ، فتذاكروا الأمرَ بالمعروفِ والنهىَ عن المنكرِ ، فقلت أنا : أليس اللَّهُ يقولُ فى كتابِه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾ . فأَقْبلوا علىَّ بلسانٍ واحدٍ ، وقالوا : (٥)أتنتزِعُ آيةً(٥) من القرآنِ لا تعرِفُها ، ولا تَدْرى ما تأويلُها ؟ حتى تمنَّيتُ أنى لم أكنْ تكلَّمتُ ، ثم أَقْبلوا يتحدَّثون ، فلما حضَر قيامُهم ، قالوا : إنك غلامٌ حدَثُ السنِّ ، وإنك نزَعتَ بآيةٍ لا تَدْرى ما هى ، وعسى أن تدرِكَ ذلك الزمانَ ، إذا رأيتَ شُحًّا مُطاعًا ، وهَوًى مُتَّبعًا ، وإعجابَ كلِّ ذى رأيٍ برأيِه ، فعليك بنفسِك ، لا يضرُّك مَن ضلَّ إذا اهْتَديتَ[(٦)] .

حدَّثنا هنَّادٌ ، قال : ثنا ليثُ بنُ هارونَ ، قال : ثنا إسحاقُ الرازىُّ ، عن أبى

---

(١) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « و » .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٩٩ .

(٣) فى م : « بنى الجدَّان » .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/ ٣٤٠ إلى المصنف وعبد بن حميد وأبى الشيخ .

(٥ - ٥) فى م : « تنزع بآية » .

(٦) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٣/ ٢٠٩ عن المصنف ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/ ٣٤٠ إلى المصنف .

جعفرٍ ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ ، عن أبى العاليةِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ فى قولِه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ . قال : كانوا عندَ عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ جلوسًا ، فكان بينَ رَجُلَين ما يكونُ بينَ الناسِ ، حتى قام كلٌّ واحدٍ منهما إلى صاحبِه ، فقال رجلٌ من جلساءِ عبدِ اللَّهِ : ألا أقومُ فآمُرُهما بالمعروفِ وأنهاهما عن المنكرِ ؟ فقال آخرُ إلى جنبِه : عليك بنفسِك ، فإنّ اللَّهَ تعالى يقولُ : ﴿ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾ . قال : فسمِعها ابنُ مسعودٍ ، فقال : مَهْ ، لمَّا[(١)] يجئْ تأويلُ هذه الآيةِ بعدُ ، إن القرآنَ أُنْزِل حيث أُنزِل ، ومنه آىٌ قد مضى تأويلُهن قبلَ أن ينزِلْنَ ، ومنه ما وقَع تأويلُهن على عهدِ النبىِّ ﷺ ، ومنه آىٌ قد وقَع تأويلُهن بعدَ النبىِّ ﷺ بيسيرٍ ، ومنه آىٌ يقعُ تأويلُهن بعدَ اليومِ ، ومنه آىٌ يقعُ تأويلُهن عندَ الساعةِ على ما ذُكِر من الساعةِ ، ومنه آىٌ يقعُ تأويلُهن يومَ الحسابِ ، على ما ذُكِر من الحسابِ والجنةِ والنارِ ، فما دامتْ قلوبُكم واحدةً ، وأهواؤُكم واحدةً ولم تُلبسوا شيعًا ، ولم يَذُقْ بعضُكم بأسَ بعضٍ ، فأْمُروا وانْهَوا ، فإذا اخْتَلفت القلوبُ والأهواءُ ، وأُلْبِستم شيعًا ، وذاق بعضُكم بأسَ بعضٍ ، فامرؤٌ ونفسُه ، فعندَ ذلك جاء تأويلُ هذه الآيةِ[(٢)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجَّاجٌ ، عن أبى جعفرٍ الرازىِّ ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ ، عن أبى العاليةِ ، عن ابنِ مسعودٍ ، أنه كان بينَ رجُلَين بعضُ ما يكونُ بينَ الناسِ ،حتى قام كلٌّ واحدٍ منهما إلى صاحبِه . ثم ذكَر نحوَه .

---

(١) فى م : « لم » .

(٢) أخرجه نعيم بن حماد فى الفتن (٣٨) من طريق إسحاق الرازى به ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/ ١٢٢٧ (٦٩٢٢) ، والبيهقى ١٠/ ٩٢، وفى الشعب (٧٥٥٢) من طريق أبى جعفر به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٣٩/٢ إلى عبد بن حميد وأبى الشيخ وابن مردويه .

حدَّثنى أحمدُ بنُ المِقْدامِ ، قال : ثنا حَزْمٌ[(١)] ، قال : سمِعتُ الحسنَ يقولُ : تأوَّل بعضُ أصحابِ النبيِّ ﷺ هذه الآيةَ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾ . فقال بعضُ أصحابِه : دَعُوا هذه الآيةَ فليست لكم[(٢)] .

٩٧/٧ /حدَّثنى إسماعيلُ بنُ إسرائيلَ السَّلَّالُ[(٣)] الرَّمْلِيُّ ، قال : ثنا أيوبُ بنُ سويدٍ ، قال : ثنا عتبةُ بنُ أبى حكيمٍ ، عن عمرِو بنِ جاريةَ[(٤)] اللَّخْمِيِّ ، عن أبى أميةَ الشَّعْبَانيِّ ، قال : سألتُ أبا ثَعْلبةَ الخُشَنيَّ عن هذه الآيةِ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ ﴾ . فقال : لقد سألتَ عنها خبيرًا ، سألتُ عنها رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فقال : « أبا ثعلبةَ ، ائتَمِروا بالمعروفِ ، وتَناهَوْا عن المنكرِ ، فإذا رأيتَ دنيا مُؤْثَرةً ، وشُحًّا مُطاعًا ، وإعجابَ كلِّ ذى رأيٍ برأيِه ، فعَلَيْك نفسَك ، إنَّ[(٥)] مِن بعدِكم أيامَ الصبرِ ، للمتمسِّكِ يَوْمَئِذٍ بمثلِ الذى أنتم عليه كأجرِ خمسين عاملًا » . قالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، كأجرِ خمسين عاملًا منهم ؟ قال : « لا ، كأجرِ خمسين عاملًا منكم »[(٦)] .

حدَّثنا علىُّ بنُ سهلٍ ، قال : أخبرنا الوليدُ بنُ مسلمٍ ، عن ابنِ المباركِ وغيرِه ، عن عتبةَ بنِ أبى حَكيمٍ ، [(٧)]عن عمرِو بنِ جاريةَ[(٧)] ، عن أبى أميةَ الشَّعْبانيِّ ، قال : سألتُ أبا ثعلبةَ الخُشَنيَّ كيف نصنَعُ بهذه الآيةِ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾ ؟ فقال أبو ثعلبةَ : سألتَ عنها خبيرًا ، سألتُ عنها

---

(١) فى النسخ : « حرمى » ، وسيأتى على الصواب فى ٤٥٠/١٧ .

(٢) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٨٤٢ - تفسير) عن حزم بن أبى حزم به .

(٣) فى النسخ : «اللآل» . وينظر ما تقدم فى ٣٦٧/٧ .

(٤) فى ت١ بياض ، وفى ص ، م ، ت ٢، ت ٣، س: «خالد» . والمثبت من مصادر التخريج ، وينظر تهذيب الكمال ٢١/ ٥٦٢.

(٥) فى م : « أرى » .

(٦) أخرجه ابن ماجه (٤٠١٤) ، وابن أبى حاتم ١٢٢٥/٤ (٦٩١٥) ، والطحاوى فى شرح مشكل الآثار (١١٧١-١١٧٣) ، والبيهقى فى الشعب (٧٥٥٣) ، من طريق عتبة به .

(٧ - ٧) سقط من النسخ . والمثبت مما قبله ومن مصادر التخريج .

رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فقال : « ائْتَمِروا بالمعروفِ ، وتَناهَوا عن المنكرِ ، حتى إذا رأيتَ شُحًّا مطاعًا ، وهَوًى مُتَّبَعًا ، وإعجابَ كلِّ ذى رأيٍ برأيِه ، فعَلَيْك بخُوَيْصَّةِ نفسِك ، وذَرْ عوامَّهم ، فإن وراءَكم أيامًا أجرُ العاملِ فيها كأجرِ خمسين منكم »[(١)] .

وقال آخرون : معنى ذلك أن العبدَ إذا عمِل بطاعةِ اللَّهِ لم يضرَّه مَن ضلَّ بعدَه وهلَك .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثني محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ ﴾ . يقولُ : إذا ما العبدُ أطاعنى فيما أمَرتُه من الحلالِ والحرامِ ، فلا يضرُّه مَن ضلَّ بعدُ ، إذا عمِل بما أمَرتُه به[(٢)] .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن عليِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾ . يقولُ : أطِيعوا أمرى ،واحْفَظوا وصيَّتى[(٣)] .

حدَّثنا هنَّادٌ ، قال : ثنا ليثُ بنُ هارونَ ، قال : ثنا إسحاقُ الرازيُّ ، عن أبى جعفرٍ الرازيِّ ، (٤) عن الربيعِ بن أنسٍ (٤) ، عن صفوانَ بنِ (٥) مُحْرِزٍ أنه (٥) دخَل عليه شابٌّ من أصحابِ الأهواءِ ، فذكَر شيئًا من أمرِه ، فقال صفوانُ : ألا أدُلُّك على خاصَّةِ اللَّهِ

(١) أخرجه البخارى فى خلق أفعال العباد (١٧٠) ، والترمذى (٣٠٥٨) ، وأبو داود (٤٣٤١) ، وابن حبان (٣٨٥) ، والحاكم ٤/ ٣٢٢، والبيهقى ١٠/ ٩٢، والبغوى فى التفسير ٣/ ١١٠، وفى شرح السنة (٤١٥٦) من طريق ابن المبارك به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٢٨/٤ (٦٩٢٧) عن محمد بن سعد .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٤١/٢ إلى المصنف وابن أبى حاتم .

(٤ - ٤) سقط من النسخ ، والمثبت من مصدر التخريج ، وينظر تهذيب الكمال ١٣/ ٢١١.

(٥ - ٥) فى النسخ : «الجون قال» . والمثبت من مصدر التخريج . وينظر تهذيب الكمال ١٣/ ٢١١.

التى خصَّ بها أولياءَه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ ﴾ الآيةَ[١] .

حدَّثنا عبدُ الكريمِ بنُ أبى عُميرٍ ، قال : ثنا أبو المطرِّفِ المخزوميُّ ، قال : ثنا جُويبرٌ ، عن الضحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : ﴿ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾ : ما لم يكنْ سيفٌ أو سوطٌ[٢] .

حدَّثنا علىُّ بنُ سهلٍ ، قال : ثنا ضمرةُ بنُ ربيعةَ ، قال : تلا الحسنُ هذه [١/٧٣٠ظ] الآيةَ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ / عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾ . ٩٨/٧ فقال الحسنُ : الحمدُ للَّهِ بها ، والحمدُ للَّهِ عليها ، ما كان مؤمنٌ فيما مضَى ، ولا مؤمنٌ فيما بَقِى ، إلَّا وإلى جانبِه منافقٌ يكرَهُ عملَه[٢] .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ ﴾ ، فاعمَلوا بطاعةِ اللَّهِ ، ﴿ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾ ، فأمَرتم[٣] بالمعروفِ ونهيتم عن المنكرِ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا حكَّامُ بنُ سَلْمٍ ، عن عَنْبسةَ ، عن [٤]أبى سعدٍ[٤] البقَّالِ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ : ﴿ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾ . قال : إذا أمَرتَ بالمعروفِ ونهَيتَ عن المنكرِ ، لا يضرُّك مَن ضلَّ إذا اهتديتَ[٢] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ يمانٍ ، عن سفيانَ ، عن أبى العُمَيسِ ، عن

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٢٦/٤ (٦٩١٨) من طريق إسحاق به .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٤١/٢ إلى المصنف .

(٣) بعده فى ص ، ت ١، ت ٢، ت ٣، س : « بالأمر » .

(٤ - ٤) فى النسخ : « سعد » . وينظر تهذيب الكمال ١١/ ٥٢، والأنساب ١/ ٣٧٩.

أبى البَخْتَرِىِّ ، عن حذيفةَ : ﴿ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ . قال : إذا أمَرتم ونهَيتم[1] .

حدَّثنا هنَّادٌ ، قال : ثنا وكيعٌ ، وحدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن ابنِ أبى خالدٍ ، عن قيسِ بنِ أبى حازمٍ ، قال : قال أبو بكرٍ : تقرءون هذه الآيةَ : ﴿ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ . وإن الناسَ إذا رأَوا الظالمَ - قال ابنُ وكيعٍ : فلم يأخُذوا على يديه - أوْشَك أن يعمَّهم اللَّهُ بعقابِه[2] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا جريرٌ وابنُ فُضيلٍ ، عن بَيانٍ ، عن قيسٍ ، قال : قال أبو بكرٍ : إنكم تقرءون هذه الآيةَ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ . وإن القومَ إذا رأَوا الظالمَ فلم يأخُذوا على يديه ، يعمُّهم اللَّهُ بعقابِه[3] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا جريرٌ ، عن إسماعيلَ ، عن قيسٍ ، عن أبى بكرٍ ، عن النبىِّ ﷺ ، فذكَر نحوَه[4] .

حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ مفضَّلٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدىِّ قولَه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ . يقولُ : مُروا بالمعروفِ وانْهَوا عن المنكرِ . قال أبو بكرِ بنُ أبى قُحافةَ :

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٣/ ٢٣ عن الثورى به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٣٤١ إلى المصنف وابن المنذر وابن أبى حاتم . وهو عند ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/ ١٢٢٨ (٦٩٢٦) من طريق سفيان بلفظ : أطيعوا أمرى ، واحفظوا وصيتى .

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى العلل ١/ ٢٥٣ عن وكيع به .

(٣) ذكره الدارقطنى فى العلل ١/ ٢٥٣ عن بيان به .

(٤) أخرجه أبو يعلى (١٣٢) ، والطحاوى فى مشكل الآثار (١١٧٠) ، وابن حبان (٣٠٤، ٣٠٥) من طريق جرير به ، وينظر علل الدارقطنى ١/ ٢٥١.

يا أيُّها الناسُ لا تغترُّوا بقولِ اللَّهِ : ﴿ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾ . فيقولَ أحدُكم : عليَّ نفسِي . واللَّهِ لَتأمُرُنَّ بالمعروفِ وتَنْهَوُنَّ عن المنكرِ ، أو لَتُسْتَعْمَلَنَّ عليكم شرارُكم ، فلَيَسُومُنَّكم سوءَ العذابِ ، ثم لَيدعُو اللَّهَ خيارُكم فلا يستجيبُ لهم[(١)] .

حدَّثنا أبو هشامٍ الرِّفاعىُّ ، قال : ثنا ابنُ فُضيلٍ ، قال : ثنا بَيانٌ ، عن قيسِ بنِ أبى حازمٍ ، قال : قال أبو بكرٍ وهو على المنبرِ : يا أيُّها الناسُ إنكم تقرءون هذه الآيةَ على غيرِ موضعِها : ﴿ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾ . وإن الناسَ إذا رأَوا الظالمَ فلم يأخُذوا على يديه عمَّهم اللَّهُ بعقابِه .

حدَّثنى الحارثُ ، قال : ثنا عبدُ العزيزِ ، قال : ثنى عيسى بنُ المسيَّبِ البَجَلىُّ ، قال : ثنا قيسُ بنُ أبى حازمٍ ، قال : سمِعتُ أبا بكرٍ الصِّدِّيقَ رضِى اللَّهُ عنه يقرأُ هذه الآيةَ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾ . فقال : سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إذا / رأى الناسُ المنكرَ[(٢)] فلم يغيِّروه[(٢)] ، والظالمَ فلم يأخُذوا على يديه ، فيُوشِكُ أن يعُمَّهم اللَّهُ منه بعقابٍ »[(٣)] . ٩٩/٧

حدَّثنا الربيعُ ، قال : ثنا أسدُ بنُ موسى ، قال : ثنا سعيدُ بنُ سالمٍ ، قال : ثنا منصورُ بنُ دينارٍ ، عن عبدِ الملكِ بنِ مَيْسرةَ ، عن قيسِ بنِ أبى حازمٍ ، قال : صعِد أبو بكرٍ المنبرَ ؛ منبرَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فحمِد اللَّهَ وأثنى عليه ، ثم قال : يا أيُّها الناسُ ، إنكم لتتلُون آيةً من كتابِ اللَّهِ وتعُدُّونها رُخصةً ، واللَّهِ ما أنزَل اللَّهُ فى كتابِه أشدَّ منها : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾ . واللَّهِ

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٢٦/٤ (٦٩١٧) من طريق أحمد بن مفضل به مقتصرا على قول السدى .

(٢ - ٢) سقط من : ص ، ت ١، س .

(٣) أخرجه أحمد ١٧٧/١ ، ١٩٧ ، ٢٠٨ ، ٢٢١ (١، ١٦، ٢٩، ٣٠، ٥٣) ، وأبو داود (٤٣٣٨) ، والترمذى (٢١٦٨، ٣٠٥٧) ، والنسائى فى الكبرى (١١١٥٧) ، وابن ماجه (٤٠٠٥) ، والمروزى فى مسند أبى بكر الصديق (٨٦-٨٩) من طريق قيس به .

لتأمُرُنَّ بالمعروفِ ولَتَنْهَوُنَّ عن المنكرِ ، أو لَيَعُمَّنَّكم اللَّهُ منه بعقابٍ[1] .

حدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : ثنا إسحاقُ بنُ إدريسَ ، قال : ثنا سعيدُ بنُ زيدٍ ، قال : ثنا مُجالدُ بنُ سعيدٍ ، عن قيسِ بنِ أبى حازمٍ ، قال : سمِعتُ أبا بكرٍ يقولُ وهو يخطُبُ الناسَ : يا أيُّها الناسُ ، إنكم تقرءون هذه الآيةَ ولا تدرُون ما هى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾ ، وإنى سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إن الناسَ إذا رأَوا منكرًا فلم يغيِّروه عمَّهم اللَّهُ بعقابٍ »[2] .

وقال آخرون : بل معنى هذه الآيةِ : لا يضرُّكم مَن حادَ عن قصدِ السبيلِ وكفَر باللَّهِ من أهلِ الكتابِ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنى يعقوبُ ، قال : ثنا هشيمٌ ، عن أبى بشرٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ فى قولِه : ﴿ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾ . قال : يعنى : مَن ضلَّ من أهلِ الكتابِ[3] .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، قال : ثنا شعبةُ ، عن أبى بشرٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ فى هذه الآيةِ : ﴿ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾ . قال : أُنزِلت فى أهلِ الكتابِ .

وقال آخرون : عُنِى بذلك كلُّ مَن ضلَّ عن دينِ اللَّهِ الحقِّ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنى يونسُ بنُ عبدِالأعلى ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى

---

(١) ذكره الدارقطنى فى العلل ٢٥٣/١ عن عبد الملك بن ميسرة به .

(٢) أخرجه البزار (٦٩) من طريق إسحاق بن إدريس به .

(٣) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٨٤٥- تفسير) من طريق أبى بشر به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٤١/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبى الشيخ .

قولِه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾ . قال : كان الرجلُ إذا أَسْلَم قالوا له : سفَّهتَ آباءَك وضلَّلتهم ، وفعَلتَ وفعَلتَ ، وجعَلتَ آباءَك كذا وكذا ، كان ينبغِى لك أن تنصُرَهم [٧٣١/١و] ، وتفعَلَ . فقال اللَّهُ تعالى ذكرُه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾[(1)] .

وأولى هذه الأقوالِ وأصحُّ التأويلاتِ عندَنا بتأويلِ هذه الآيةِ ما رُوِى عن أبى بكرٍ الصديقِ رضِى اللَّهُ عنه فيها ، وهو : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ ﴾ ، الْزَموا العملَ بطاعةِ اللَّهِ ، وبما أمَرَكم به ، وانْتَهُوا عما نهاكم اللَّهُ عنه ، ﴿ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾ . يقولُ : فإنه لا يضرُّكم ضلالُ مَن ضلَّ إذا أنتم لزِمتُم[(2)] العملَ بطاعةِ اللَّهِ ، وأدَّيتُم فى من ضلَّ من الناسِ ما أَلْزَمكم اللَّهُ به فيه ، مِن فرضِ الأمرِ بالمعروفِ ، / والنهيِ عن المنكرِ الذى يركَبُه أو يحاولُ ركوبَه ، والأخذِ على يديه إذا رام ظلمًا لمسلمٍ أو مُعاهَدٍ ، ومنَعه منه ، فأبى النزوعَ عن ذلك ، ولا ضَيْرَ عليكم فى تمادِيه فى غيِّه وضلالِه إذا أنتم اهتديتُم وأدَّيتم حقَّ اللَّهِ تعالى ذكرُه فيه .

٧/١٠٠

وإنما قلنا : ذلك أولَى التأويلاتِ فى ذلك بالصوابِ ؛ لأن اللَّهَ تعالى ذكرُه أمَر المؤمنين أن يقوموا بالقسطِ ، ويتعاونوا على البرِّ والتقوَى ، ومن القيامِ بالقسطِ الأخذُ على يدَيِ الظالمِ ، ومن التعاونِ على البرِّ والتقوى الأمرُ بالمعروف ، وهذا مع ما تظاهَرتْ به الأخبارُ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ من أمرِه بالأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ . ولو كان للناسِ تركُ ذلك لم يكنْ للأمرِ به معنًى إلا فى الحالِ التى رخَّص فيه رسولُ اللَّهِ ﷺ تركَ ذلك ، وهى حالُ العجزِ عن القيامِ به بالجوارحِ الظاهرةِ ، فيكونُ

---

(١) ذكره فى البحر المحيط ٣٦/٤ عن ابن زيد بنحوه .

(٢) فى م : « رمتم » .

مرخَّصًا له تركُه ، إذا قام حينَئذٍ بأداءِ فرضِ اللَّهِ عليه فى ذلك بقلبِه .

وإذا كان ما وصَفنا من التأويلِ بالآيةِ أولَى ، فبيِّنٌ أنه قد دخَل فى معنى قولِه : ﴿ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾ ما قاله حذيفةُ وسعيدُ بنُ المسيَّبِ ، من أن ذلك إذا أمَرتم بالمعروفِ ، ونهيتم عن المنكرِ . ومعنى ما رواه أبو ثَعْلبةَ الخُشَنيُّ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه للمؤمنين به من عبادِه : اعمَلوا أيُّها المؤمنون بما أمَرتُكم به ، وانتهُوا عما نهيتُكم عنه ، ومُروا أهلَ الزَّيغِ والضلالِ ومَن حادَ عن سبيلى بالمعروفِ ، وانهَوْهم عن المنكرِ ، فإن قبِلوا فلهم ولكم ، وإن تمادَوْا فى غيِّهم وضلالِهم ، فإنّ إلىَّ مرجِعَ جميعِكم ، ومصيرَكم فى الآخرةِ ومصيرَهم ، وأنا العالمُ بما يعمَلُ جميعُكم من خيرٍ وشرٍّ ، فأُخْبِرُ هناك كلَّ فريقٍ منكم بما كان يعمَلُه فى الدنيا ، ثم أُجازِيه على عملِه الذى قدِم به علىَّ جزاءَه ، حَسبَ استحقاقِه ، فإنه لا يَخْفى علىَّ عملُ عاملٍ منكم من ذكرٍ أو أنثى .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه للمؤمنين به : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ ﴾ . يقولُ : لِيشهَدْ بينَكم ، ﴿ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ﴾ . يقولُ : وقتَ الوصيةِ ﴿ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ . يقولُ : ذوا رَشَدٍ وعقلٍ وحِجًا من المسلمين .

/كما حدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ وعبيدُ[1] اللَّهِ بنُ يوسفَ الجُبَيْرِىُّ ، قالا : ثنا مُؤَمَّلُ ١٠١/٧

---

(١) فى ص ، ت ١، ت ٢، ت ٣، س : « عبد » . وتقدم على الصواب فى ١/٨٥ .

ابنُ إسماعيلَ ، قال : ثنا شعبةُ ، عن قتادةَ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ في قولِه : ﴿ وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ [الطلاق : ٢] . قال : ذوى عقلٍ .

واختلف أهلُ التأويلِ في تأويلِ قولِه : ﴿ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ ؛ فقال بعضُهم : عَنَى به : من أهلِ ملتِكم .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا حميدُ بنُ مَسْعدةَ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيعٍ ، عن سعيدٍ ، عن قتادةَ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ ، قال : شاهدان ، ﴿ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ : من المسلمين[1] .

حدَّثنا عِمْرانُ بنُ موسى القزَّازُ ، قال : ثنا عبدُ الوارثِ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا إسحاقُ بنُ سويدٍ ، عن يحيى بنِ يَعْمَرَ في قولِه : ﴿ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ : من المسلمين[2] .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ وابنُ المثنى ، قالا : ثنا ابنُ أبي عديٍّ ، عن سعيدٍ ، عن قتادةَ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ في قولِه : ﴿ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ . قال : اثنان من أهلِ دينِكم[1] .

حدَّثنا أبو كُرَيبٍ ، قال : ثنا ابنُ إدريسَ ، عن أشعثَ ، عن ابنِ سيرينَ ، عن عَبيدةَ ، قال : سألتُه عن قولِ اللَّهِ تعالى : ﴿ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ . قال : من المِلَّةِ[3] .

حدَّثنا أبو كُرَيبٍ ، قال : ثنا ابنُ إدريسَ ، عن هشامٍ ، عن ابنِ سيرينَ ، عن

---

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٩٩، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٤٣/٣ إلى عبد بن حميد .

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٢٩/٤ عقب الأثر (٦٩٣٣) معلقًا .

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٥٥٤١، ١٥٥٤٢) من طريق محمد بن سيرين به .

عَبيدةَ بمثلِه ، إلَّا أنه قال فيه : من أهلِ الملَّةِ .

حدَّثني يعقوبُ ، قال : ثنا ابنُ عُلَيَّةَ ، عن هشامٍ ، عن ابنِ سيرينَ ، قال : سألتُ عَبيدةَ عن هذه الآيةِ : ﴿ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ . قال : من أهلِ الملَّةِ .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن ابنِ عونٍ ، عن ابنِ سيرينَ ، عن عَبيدةَ مثلَه .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا حسينٌ ، عن زائدةَ ، عن هشامٍ ، عن ابنِ سيرينَ ، قال : سألتُ عبيدةَ . فذكَر مثلَه .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا ابنُ مهديٍّ ، عن حمادٍ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، قال : ثنا مالكُ بنُ إسماعيلَ ، عن حمادِ بنِ زيدٍ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه[1] .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ . قال : ذوا عَدْلٍ من أهلِ الإسلامِ[2] .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ . قال : من المسلمين[3] .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، قال : كان سعيدُ بنُ المسيَّبِ يقولُ : ﴿ ٱثْنَانِ [١/٧٣١ظ] ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ . أى : من أهلِ الإسلامِ .

وقال آخرون : عُنِى بذلك ذوا عَدْلٍ من حىِّ المُوصِى . وذلك قولٌ رُوِى عن

---

(١) أخرجه أبو عبيد فى الناسخ والمنسوخ ص ٢١٧، وابن حزم فى المحلى ٥٩١/١٠ من طريق حماد به .
(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٤٢/٢ إلى المصنف وابن أبى حاتم .
(٣) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٢٩/٤ عقب الأثر (٢٩٣٣) معلقا .

عكرمةَ وعَبيدةَ وعِدَّةٍ غيرِهما .

١٠٢/٧ /واختلفوا في صفةِ الاثنين اللذين ذكَرهما اللَّهُ في هذه الآيةِ ؛ ما هي ؟ وما هما ؟ فقال بعضُهم : هما شاهدان يشهَدان على وصيةِ المُوصِي .

وقال آخرون : هما وَصِيَّان .

وتأويلُ الذين زعَموا أنهما شاهدان قولَه : ﴿ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ ﴾ : ليشهَدْ شاهدان ذوا عدلٍ منكم على وصيَّتِكم .

وتأويلُ الذين قالوا : هما وَصِيَّان لا شاهدان قولَه : ﴿ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ ﴾ : بمعنى الحضورِ والشهودِ لما يُوصِيهما به المريضُ . من قولِك : شهِدتُ وصيةَ فلانٍ . بمعنى : حضَرتُه .

وأَوْلَى التأويلين بقولِه : ﴿ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ ﴾ . تأويلُ مَن تأوَّله بمعنى أنهما من أهلِ الملةِ ، دونَ مَن تأوَّله أنهما من حيِّ المُوصِي .

وإنما قلنا : ذلك أَوْلَى التأويلين بالآيةِ ؛ لأن اللَّهَ تعالى ذكرُه عمَّ المؤمنين بخطابِهم بذلك في قولِه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ ﴾ . فغيرُ جائزٍ أن يُصْرَفَ ما عمَّه اللَّهُ تعالى ذكرُه إلى الخصوصِ إلا بحجةٍ يجبُ التسليمُ لها . وإذ كان ذلك كذلك ، فالواجبُ أن يكونَ العائدُ من ذكرِهم[1] على العمومِ ، كما كان ذكرُهم ابتداءً على العمومِ .

وأَولَى المعنيين بقولِه : ﴿ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ ﴾ . [2]اليمينُ لا[2] الشهادةُ التي يقومُ بها مَن عندَه شهادةٌ لغيرِه ، لمن هي عندَه ، على مَن هي عليه عندَ الحُكَّامِ ؛ لأنا لا نعلَمُ للَّهِ

---

(١) في ص ، ت١ : « ذكره » .

(٢ - ٢) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « لأن » . وينظر تفسير القرطبي ٦/ ٣٤٨.

تعالى حكمًا يجبُ فيه على الشاهدِ اليمينُ ، فيكونَ جائزًا صرفُ الشهادةِ في هذا الموضعِ إلى الشهادةِ التي يقومُ بها بعضُ الناسِ عندَ الحكَّامِ والأئمةِ .

وفي حكمِ الآيةِ في هذه ، اليمينَ على ذوى العدلِ ، وعلى من قام مقامَهم ، باليمين[1] بقولِه : ﴿ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ ﴾ - أوضحُ الدليلِ على صحةِ ما قلنا في ذلك ، من أن الشهادةَ فيه الأيمانُ ، دونَ الشهادةِ التي يُقْضَى [2]بها للمشهودِ[2] له على المشهودِ عليه ، وفسادِ ما خالفه .

فإن قال قائلٌ : فهل وجدتَ في حكمِ اللَّهِ تعالى ذكرُه يمينًا تجبُ على المدَّعِي ، فتُوَجِّهَ قولَك في الشهادةِ في هذا الموضعِ إلى الصحةِ ؟

فإن قلتَ : لا . تبيَّنَ فسادُ تأويلِك ذلك على ما تأوَّلتَ ؛ لأنه يجبُ على هذا التأويلِ أن يكونَ المقسِمان في قولِه : ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا ﴾ [المائدة : ١٠٧] . هما المدَّعِيَيْن .

وإن قلتَ : بلى . قيل لك: وفي أيِّ حكمِ اللَّهِ تعالى وجدتَ ذلك ؟

قيل : وجَدنا ذلك في أكثرِ المعاني ، وذلك في حكمِ الرجلِ يَدَّعِي قِبَلَ رجلٍ مالًا ، فيقرُّ به المُدَّعَى عليه قِبَلَه ذلك ، ويَدَّعى قضاءَه ، فيكونُ القولُ قولَ ربِّ الدَّيْنِ ، والرجلِ يعترِفُ[3] في يدِ الرجلِ السلعةَ ، فيزعُمُ المعترَفُ في يدِه أنه اشتراها من المُدَّعِي ، أو[4] أن المُدَّعِيَ وهبَها له ، وما أشْبه ذلك مما يكثُرُ

(١) في م : « في اليمين » .

(٢ - ٢) في ص ، ت١ : « بالمشهود » .

(٣) يعترف : يعرف .

(٤) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « و » .

إحصاؤه . وعلى هذا الوجهِ أَوْجَب اللَّهُ تعالى فى هذا الموضعِ اليمينَ على المُدَّعِيَيْن اللذين عَثَرا على (١) الخائنينِ فيما خانا (١) فيه .

واختلف أهلُ العربيةِ فى الرافعِ قولَه : ﴿ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ ﴾ . وقولَه : ﴿ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ ﴾ ؛ فقال بعضُ نحويِّى البصرةِ : معنى قولِه : ﴿ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ ﴾ : شهادةُ اثنين ذَوَىْ عَدْلٍ . ثم أُلْقِيت « الشهادةُ » ، وأُقِيم « الاثنانِ » ومقامَها، فارتفعا بما كانت « الشهادةُ » به مرتفعةً لو جُعِلت فى الكلامِ . قال: وذلك - فى حذفِ / ما حُذِف منه ، وإقامةِ ما أُقِيم مُقامَ المحذوفِ - نظيرُ قولِه : ﴿ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ﴾ [يوسف : ٨٢] . وإنما يريدُ : واسأَلْ أهلَ القريةِ . وانْتَصَبت « القريةُ » بانتصابِ « الأهلِ » ، وقامت مَقامَه . ثم عُطِف قولُه : ﴿ أَوۡ ءَاخَرَانِ ﴾ على « الاثنين » .

١٠٣/٧

وقال بعضُ نحويِّى الكوفةِ : رفعُ « الاثنين » بـ « الشهادةِ » . أى : ليشهَدْكم اثنانِ من المسلمين أو آخَران من غيرِكم .

وقال آخَرُ منهم : رُفِعت « الشهادةُ » بـ ﴿ إِذَا حَضَرَ ﴾ . وقال : إنما رُفِعت بذلك لأنه قال : ﴿ إِذَا حَضَرَ ﴾ . فجعَلها شهادةً محذوفةً مستأنفةً ، ليست بالشهادةِ التى قد رُفِعت لكلِّ الخلقِ ؛ لأنه قال تعالى ذكرُه : ﴿ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ ﴾ . وهذه شهادةٌ لا تقعُ إلا فى هذه الحالِ ، وليست مما يثبتُ .

وأَوْلَى هذه الأقوالِ فى ذلك عندى بالصوابِ قولُ مَن قال : « الشهادةُ » مرفوعةٌ بقولِه : ﴿ إِذَا حَضَرَ ﴾ ؛ لأن قولَه : ﴿ إِذَا حَضَرَ ﴾ . بمعنى : عندَ حضورِ أحدِكم الموتُ ، و « الاثنان » مرفوعٌ بالمعنى المتوهَّمِ ، وهو : أن يشهَدَ اثنان . فاكْتُفِىَ من قيل : أن يشهَدَ . بما قد جرَى من ذكرِ « الشهادةِ » فى قولِه : ﴿ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ ﴾ .

(١ - ١) فى ص: « الحانبين فيما جناهما » ، وفى م : « الحانبين فيما جنيا » ، وفى ت ١، ت ٢، ت ٣: « الجانيين فيما حباهما » . والصواب ما أثبتنا .

وإنما قلنا : ذلك أَوْلى بالصوابِ ؛ لأن « الشهادةَ » مصدرٌ في هذا الموضعِ ، و « الاثنان » اسمٌ ، والاسمُ لا يكونُ مصدرًا ، غيرَ أن العربَ قد تضعُ الأسماءَ مواضعَ الأفعالِ[1] ، فالأمرُ وإن كان كذلك ، فصرفُ كلِّ ذلك إلى أصحِّ وجوهِه ما وجَدنا إليه سبيلًا ، أَوْلى بنا من صرفِه إلى أضعفِها .

القولُ في تأويلِ قولِه : ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه للمؤمنين : ليشهَدْ بينَكم إذا حضَر أحدَكم الموتُ عَدْلانِ من المسلمين ، أو آخَران من غيرِ المسلمين .

وقد اختلف أهلُ التأويلِ في تأويلِ قولِه : ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ [٧٣٢/١و] غَيْرِكُمْ﴾ ؛ **فقال بعضُهم :** معناه : أو آخَران من غيرِ أهلِ ملتِكم . نحوَ الذي قلنا فيه .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا حُميدُ بنُ مَسْعدةَ وبشرُ[2] بنُ معاذٍ ، قالا : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيعٍ ، عن سعيدٍ ، عن قتادةَ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ : ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ : من أهلِ الكتابِ[3] .

حدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ومحمدُ بنُ المثنى ، قالا : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، قال : ثنا شعبةُ ، قال : سمِعتُ قتادةَ يحدِّثُ عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ : ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ : من أهلِ الكتابِ[4] .

---

(١) أي المصادر .

(٢) في النسخ : « يونس » .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/١٩٩ ، وفي (١٥٥٤٠) عن معمر ، عن قتادة به .

(٤) أخرجه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ ص ٢١٨ ، وسعيد بن منصور في سننه (٨٥٩ - تفسير) ، وابن حزم في المحلى ١٠/ ٥٩٠ ، من طريق شعبة به .

حدَّثني أبو حفصٍ الجُبيريُّ عبيدُ اللَّهِ بنُ يوسفَ ، قال : ثنا مُؤمَّلُ بنُ إسماعيلَ ، قال : ثنا شعبةُ ، عن قتادةَ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ مثلَه .

حدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبي عَديٍّ ، عن سعيدٍ ، عن قتادةَ ، عن سعيدٍ مثلَه .

حدَّثني يعقوبُ ، قال : ثنا هُشيمٌ ، قال : أخبَرنا مغيرةُ ، عن إبراهيمَ ، وسليمانُ التَّيميُّ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ ، أنهما قالا في قولِه : ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ . قالا : من غيرِ أهلِ ملتِكم[1] .

حدَّثني يعقوبُ ، قال : ثنا هشيمٌ ، قال : أخبَرنا مغيرةُ ، قال : ثني مَن سمِع سعيدَ بنَ جبيرٍ يقولُ مثلَ ذلك[2] .

/حدَّثني يعقوبُ ، قال : ثنا هشيمٌ ، قال : أخبَرنا التَّيميُّ ، عن أبي مِجْلَزٍ ، قال : من غيرِ أهلِ ملَّتِكم[3] . ١٠٤/٧

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، قال : ثنا شعبةُ ، عن مغيرةَ ، عن إبراهيمَ مثلَه .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا جريرٌ ، عن مغيرةَ ، عن إبراهيمَ ، قال : إن كان قُرْبَه أحدٌ من المسلمين أَشْهَدهم ، وإلَّا أَشْهَد رجلين من المشركين .

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٨٥٢ ، ٨٥٣ - تفسير) ، وابن أبي شيبة ٩٢/٧ ، وابن حزم في المحلى ٥٩٠/١٠، ٥٩١ من طريق هشيم به .

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٨٥٤ - تفسير) ، وابن أبي شيبة ٩٢/٧ عن هشيم به .

(٣) أخرجه ابن حزم في المحلى ٥٩١/١٠ من طريق هشيم به .

حدَّثنا عمرُو بنُ عليٍّ ، قال : ثنا أبو[1] قُتيبةَ ، قال : ثنا هشيمٌ ، عن المغيرةِ ، عن إبراهيمَ وسعيدِ بنِ جبيرٍ في قولِه : ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ . قالا : من غيرِ أهلِ ملتِكم .

حدَّثنا عمرٌو ، قال : ثنا يحيى بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، عن سعيدٍ : ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ . قال : من أهلِ الكتابِ .

حدَّثنا عمرٌو ، قال : ثنا محمدُ بنُ سَواءٍ[2] ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ مثلَه .

حدَّثنا هنَّادٌ ، قال : ثنا وكيعٌ ، وحدثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبي ، عن شعبةَ ، عن قتادةَ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ مثلَه .

حدَّثنا عِمْرانُ بنُ موسى ، قال : ثنا عبدُ الوارثِ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا إسحاقُ بنُ سويدٍ ، عن يحيى بنِ يَعْمَرَ في قولِه : ﴿ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ ، من المسلمين ، فإن لم تجدوا من المسلمين فمن غيرِ المسلمين[3] .

حدَّثنا ابنُ[4] المثنى ، قال : ثنا عبدُ الأعلى ، قال : ثنا داودُ ، عن عامرٍ ، عن شُريحٍ في هذه الآيةِ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ . قال : إذا كان الرجلُ بأرضِ غُرْبةٍ ، ولم يجدْ مسلمًا يَشْهَدُ[5] على وصيَّتِه ، فأَشْهَد يهوديًّا ، أو نصرانيًّا ، أو

---

(١) سقط من : م . وينظر تهذيب الكمال ١١/ ٢٣٢.

(٢) في م : « سوار » . وينظر تهذيب الكمال ٢٥/ ٣٢٨.

(٣) أخرجه ابن حزم في المحلى ١٠/ ٥٩١ من طريق عبد الوارث به .

(٤) سقط من النسخ . والمثبت هو الصواب . وسيأتي هذا الإسناد على الصواب في ص ٧٢، ١٠١.

(٥) في م : « يشهده » .

مجوسيًّا ، فشهادتُهم جائزةٌ ، فإن جاء رجلان مسلمان ، فشهِدا بخلافِ شهادتِهما ، أُجيزتْ شهادةُ المسلمَين ، وأُبْطِلت شهادةُ الآخَرَين[(١)] .

حدَّثني يعقوبُ ، قال : ثنا هشيمٌ ، قال : أخبَرنا الأعمشُ ، عن إبراهيمَ ، عن شُرَيحٍ ، أنه كان لا يُجيزُ شهادةَ [(٢)] اليهوديِّ والنصرانيِّ [(٢)] على مسلمٍ إلا فى الوصيةِ ، ولا يجيزُ شهادتَهما على الوصيةِ ، إلَّا إذا كانوا فى سفرٍ[(٣)] .

حدَّثنا عمرُو بنُ عليٍّ ، قال : ثنا أبو معاويةَ ووكيعٌ ، قالا : ثنا الأعمشُ ، عن إبراهيمَ ، عن شُريحٍ ، قال : لا تجوزُ شهادةُ [(٢)] اليهوديِّ والنصرانيِّ [(٢)] إلا فى سفرٍ ، ولا تجوزُ فى سفرٍ إلا فى وصيَّةٍ[(٤)] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن الأعمشِ ، عن إبراهيمَ ، عن شُريحٍ نحوَه .

حدَّثنا عمرُو بنُ عليٍّ ، قال : ثنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ الزُّبيرِ الأسديُّ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن منصورٍ ، عن إبراهيمَ ، قال : كتَب هشامُ بنُ هُبيرةَ لمَسْلَمةَ عن شهادةِ المشركين على المسلمين ، فكتَب : لا تجوزُ شهادةُ المشركين على المسلمين إلا فى وصيةٍ ، ولا يجوزُ فى وصيةٍ إلا أن يكونَ الرجلُ مسافرًا .

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : ثنا ابنُ إدريسَ ، عن أشعثَ[(٥)] ، عن ابنِ سيرينَ ، عن عَبيدةَ ، قال : سألتُه عن قولِ اللَّهِ تعالى ذكرُه : ﴿ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ . قال : من

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٨٥٦ - تفسير) - ومن طريقه ابن حزم فى المحلى ١٠/ ٥٩٠، والبيهقى ١٠/١٦٦ - من طريق داود به .

(٢ - ٢) فى م : « اليهود والنصارى » .

(٣) أخرجه سعيد بن منصور (٨٥١- تفسير) ، ومن طريقه البيهقى ١٠/١٦٦ عن هشيم به .

(٤) أخرجه سعيد بن منصور (٨٥١ - تفسير) ، ومن طريقه البيهقى ١٠/١٦٦ عن أبى معاوية به ، وأخرجه ابن أبى شيبة ٧/٩١ عن وكيع به ، وأخرجه عبد الرزاق فى مصنفه (١٥٥٣٨) ووكيع فى أخبار القضاة ٢/٢٨١ وابن حزم فى المحلى ١٠/٥٩٠ من طريق الأعمش به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٣٤٣ إلى عبد بن حميد وأبى الشيخ .

(٥) فى النسخ : « أشهب » . وقد تقدم على الصواب فى ص ٥٦ .

غيرِ الملَّةِ[1] .

/حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : ثنا ابنُ إدريسَ ، عن هشامٍ ، عن ابنِ سيرينَ ، عن عَبيدةَ بمثلِه . ١٠٥/٧

حدَّثني يعقوبُ ، قال : ثنا ابنُ عُلية ، عن هشامٍ ، عن ابنِ سيرينَ ، قال : سألت عَبيدةَ عن ذلك ، فقال : من غيرِ أهلِ الملَّةِ[2] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا جَريرٌ ، عن هشامٍ ، عن ابنِ سيرينَ ، عن عَبيدةَ ، قال : من غيرِ أهلِ الصلاةِ[2] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا ابنُ إدريسَ ، عن هشامٍ ، عن ابنِ سيرينَ ، عن عَبيدةَ ، قال : من غيرِ أهلِ دينِكم[2] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا حسينٌ ، عن زائدةَ ، عن هشامٍ ، عن ابنِ سيرينَ ، عن عَبيدةَ ، قال : من غيرِ أهلِ الملَّةِ[2] .

حدَّثنا عمرُو بنُ عليٍّ ، قال : ثنا أبو داودَ ، قال : ثنا أبو حُرَّةَ ، عن محمدِ بنِ سيرينَ ، عن عَبيدةَ : ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ . قال : من غيرِ أهلِ ملتِكم[3] .

حدَّثنا عمرُو بنُ عليٍّ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ عثمانَ ، قال : ثنا هشامٌ ، عن[4] محمدٍ ، قال : سألتُ سعيدَ بنَ جُبيرٍ عن قولِ اللَّهِ : ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ . قال : من غيرِ أهلِ ملتِكم .

حدَّثنا [١/٧٣٢ظ] ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا مالكُ بنُ إسماعيلَ ، عن حمادِ بنِ زيدٍ ،

---

(١) أخرجه ابن حزم فى المحلى ٥٩٠/١٠ من طريق ابن سيرين به .

(٢) أخرجه ابن أبى شيبة ٩٢/٧ ، ٩٣ عن هشيم ، عن هشام به .

(٣) أخرجه أبو عبيد فى الناسخ والمنسوخ ص ٢١٧ من طريق سعيد بن عبد الرحمن أخى أبى حرة به .

(٤) فى النسخ : « بن » .

عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه[(١)] .

حدَّثنا عمرٌو ، قال : ثنا أبو داودَ ، قال : ثنا حمادُ بنُ زيدٍ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : من غيرِ أهلِ ملتِكم[(١)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ ، من غيرِ أهلِ الإسلامِ[(٢)] .

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : ثنا أبو بكرِ بنُ عيَّاشٍ ، قال : قال أبو إسحاقَ : ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ . قال : من اليهودِ والنصارى . قال : قال شُرَيْحٌ : لا تجوزُ شهادةُ اليهوديِّ والنصرانيِّ إلَّا فى وصيةٍ ، ولا تجوزُ فى وصيةٍ إلَّا فى سفرٍ[(٣)] .

حدَّثنى يعقوبُ ، قال : ثنا هشيمٌ ، قال : أخبرنا زكريا ، عن الشعبيِّ ، أن رجلًا من المسلمين حضَرتْه الوفاةُ بدَقُوقَا[(٤)] (٥هذه . قال : فحضَرتْه الوفاةُ٥) ، ولم يجدْ أحدًا من المسلمين يُشْهِدُه على وصيتِه ، فأَشْهَد رجلين من أهلِ الكتابِ ، فقدِما الكوفةَ ، فأَتَيا الأشعريَّ فأَخْبَراه ، وقدِما بتركتِه ووصيتِه ، فقال الأشعريُّ : هذا أمرٌ لم يكنْ بعدَ الذى كان فى عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ . فأَحْلَفهما ، وأَمْضَى شهادتَهما[(٦)] .

حدَّثنا عمرُو بنُ علىٍّ ، قال : ثنا أبو داودَ ، قال : ثنا شعبةُ ، عن مغيرةَ الأزرقِ ،

---

(١) أخرجه أبو عبيد فى الناسخ والمنسوخ ص ٢١٧، وابن حزم فى المحلى ٥٩١/١٠ من طريق حماد به .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٤٢/٣ إلى المصنف وابن أبى حاتم .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٢١١/٣ عن المصنف ، وأما قول شريح فقد تقدم تخريجه .

(٤) دقوقا ، بألف ممدودة ومقصورة : مدينة بين إربل وبغداد معروفة ، لها ذكر فى الأخبار والفتوح كان بها وقعة للخوارج . معجم البلدان ٢/ ٥٨١.

(٥ - ٥) ليس فى م ، وقوله : « هذه » إشارة إلى « دقوقا » ، وكأن الشعبى كان بها حال الكلام .

(٦) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٨٥٧ - تفسير) ، وأبو داود (٣٦٠٥) - ومن طريقه البيهقى ١٦٥/١٠ - من طريق هشيم به ، وأخرجه عبد الرزاق فى مصنفه (١٥٥٣٩) ، وأبو عبيد فى الناسخ والمنسوخ ص ٢١٥، ٢١٦ ، وابن أبى شيبة ٩١/٧ من طريق زكريا به .

عن الشعبيِّ ، أن أبا موسى قضَى بها بدَقُوقَا[(١)] .

حدَّثنا عمرٌو ، قال : ثنا عثمانُ بنُ الهيثمِ ، قال : ثنا عوفٌ ، عن محمدٍ أنه كان يقولُ فى قولِه : ﴿ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ : شاهدان من المسلمين ، وغيرِ المسلمين[(٢)] .

/حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ : مِن غيرِ أهلِ الإسلامِ . ١٠٦/٧

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ سعدٍ ، قال : أخبرنا أبو حفصٍ ، عن ليثٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : مِن غيرِ أهلِ الإسلامِ .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : أخبرنى عبدُ اللَّهِ بنُ عيَّاشٍ[(٣)] ، قال : قال زيدُ بنُ أسلمَ فى هذه الآيةِ : ﴿ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ ﴾ الآية كلَّها ، قال : كان ذلك فى رجلٍ تُوُفِّى ، وليس عندَه أحدٌ مِن أهلِ الإسلامِ ، وذلك فى أولِ الإسلامِ ، والأرضُ حربٌ ، والناسُ كفارٌ ، إلا أن رسولَ اللَّهِ ﷺ وأصحابَه بالمدينةِ ، وكان الناسُ يَتَوارَثون بالوصيةِ ، ثم نُسِخَت الوصيةُ وفُرِضَت الفرائضُ ، وعمِل المسلمون بها[(٤)] .

وقال آخَرون : بل معنى ذلك : أو آخران مِن غيرِ حَيِّكم وعشيرتِكم .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا عمرُو بنُ عليٍّ ، قال : ثنا عثمانُ بنُ الهيثمِ بنِ الجَهْمِ ، قال : ثنا عوفٌ ،

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٢١٥/٣ عن المصنف .

(٢) أخرجه ابن حزم فى المحلى ٥٩١/١٠ من طريق عثمان به .

(٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « عباس » . وينظر تهذيب الكمال ٤١٠/١٥ .

(٤) ينظر تفسير ابن كثير ٢١٢/٣ .

عن الحسنِ فى قولِه : ﴿ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ . قال : شاهِدان مِن قومِكم ، ومِن غيرِ قومِكم [(١)] .

حدَّثنا عمرٌو ، قال : ثنا أبو داودَ ، قال : ثنا صالحُ بنُ أبى الأخضرِ ، عن الزهريِّ ، قال : مضَت السنةُ ألَّا تَجوزَ شهادةُ كافرٍ فى حضرٍ ولا سفرٍ ، إنما هى فى المسلمين [(٢)] .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، قال : كان الحسنُ يقولُ : ﴿ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ ، أى : مِن عشيرتِه ، ﴿ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ . من غيرِ عشيرتِه .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبو أسامةَ ، عن ثابتِ بنِ يزيدَ [(٣)] ، عن عاصمٍ ، عن عكرمةَ : ﴿ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ . قال : مِن غيرِ أهلِ حيِّكم [(٤)] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا ابنُ مَهْدىٍّ ، عن ثابتِ بنِ يزيدَ [(٣)] ، عن عاصمٍ ، عن عكرمةَ : ﴿ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ . قال : مِن غيرِ حيِّكم .

حدَّثنا عمرُو بنُ علىٍّ ، قال : ثنا أبو داودَ ، قال : ثنا ثابتُ بنُ يزيدَ [(٣)] ، عن عاصمٍ الأحولِ ، عن عكرمةَ فى قولِ اللَّهِ تعالى ذكرُه : ﴿ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ . قال : مِن غيرِ أهلِ حيِّه . يعنى مِن المسلمين .

حدَّثنى الحارثُ بنُ محمدٍ ، قال : ثنا عبدُ العزيزِ ، قال : ثنا مباركٌ ، عن الحسنِ : ﴿ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ . قال : مِن غيرِ عَشيرتِك ، ومِن غيرِ قومِك ، كلُّهم مِن

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٣٠/٤ (٦٩٣٦) من طريق آخر عن الحسن .

(٢) ذكره ابن كثير ٢١١/٣ عن المصنف .

(٣) فى النسخ : « زيد » . وينظر تهذيب الكمال ٣٨٣/٤ .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٤٣/٢ إلى عبد بن حميد وأبى الشيخ .

المسلمين .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن أيوبَ ، عن ابنِ سيرينَ ، عن عبيدةَ قولَه : ﴿ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ . قال : مسلمين مِن غيرِ حيِّكم[1] .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى الليثُ ، قال : ثنى عُقَيْلٌ ، قال : سألْتُ ابنَ شهابٍ عن قولِ اللَّهِ تعالى ذكرُه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ ﴾ / إلى قولِه : ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ . قلتُ : ١٠٧/٧ أرأيتَ الاثنين اللذين ذكَر اللَّهُ مِن غيرِ أهلِ المرءِ الموصِى ، أهما مِن المسلمين أم[2] هما مِن أهلِ الكتابِ ؟ وأرأيتَ الآخرَيْنِ اللذين يقومان مَقامَهما ، أتُراهما مِن أهلِ المرءِ الموصِى أم هما مِن غيرِ المسلمين ؟ قال ابنُ شِهابٍ : لم نَسْمَعْ فى هذه الآيةِ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ولا عن أئمةِ العامةِ سنةً أَذْكُرُها ، وقد كنا نَتَذاكَرُها أناسًا مِن علمائِنا أحيانًا ، فلا يَذْكُرون فيها سنةً معلومةً ، ولا قضاءً مِن إمامٍ عادلٍ ، ولكنه يَخْتَلِفُ فيها رأيُهم ، وكان أعجبَهم فيها رأيًا إلينا ، الذين كانوا يقولون : هى فيما بينَ أهلِ الميراثِ مِن المسلمين ، يَشْهَدُ بعضُهم الميتَ الذى يَرِثونه ، ويَغِيبُ عنه بعضُهم ، ويَشْهَدُ مَن شهِده على ما أوْصَى به لذوِى القربَى ، فيُخْبِرون مَن غاب عنه منهم بما حضَروا مِن وصيةٍ ، فإن سلَّموا جازت وصيتُه ، وإن ارْتابُوا أن يكونوا بدَّلُوا قولَ الميتِ ، وآثَروا بالوصيةِ مَن أرادوا ، ممَّن لم يُوصِ لهم الميتُ بشيءٍ ، حلَف اللذان يَشْهَدان على ذلك بعدَ الصلاةِ ، وهى صلاةُ المسلمين ، فيقسِمان باللَّهِ : ﴿ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْـَٔاثِمِينَ ﴾ ، فإذا أقْسَما على ذلك

---

(١) أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه (١٥٥٤١) عن معمر به .

(٢) فى ص ، ت ١ : « أو » .

جازَت شهادتُهما وأيمانُهما ، ما لم يُعْثَرْ على أنهما استَحَقَّا إثمًا فى شىءٍ من ذلك ، (١فإن عُثِر١) قام آخَران مَقامَهما مِن أهلِ الميراثِ ، مِن الخَصْمِ الذين يُنكِرون ما شهِد به عليه الأَوَّلان المُستَحْلَفان أولَ مرةٍ ، فيُقْسِمان باللَّهِ لَشَهادتُنا (٢أحقُّ من شهادتِكما٢) على تكذيبِكما ، أو إبطالِ ما شهِدْتما به ، ﴿وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ، ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ الآية[٣] .

وأولى التأويلين فى ذلك عندَنا بالصوابِ تأويلُ مَن تأوَّله : أو آخران مِن غيرِ أهلِ الإسلامِ ، وذلك أن اللَّهَ تعالى ذكرُه عرَّف عبادَه المؤمنين عندَ الوصيةِ شهادةَ اثنين مِن عدولِ المؤمنين ، أو اثنين مِن غيرِ المؤمنين ، ولا وجهَ لأن يُقالَ فى الكلامِ صفةُ شهادةِ مؤمنين منكم ، أو رجلين مِن غيرِ عَشيرتِكم ، وإنما يقالُ : صفةُ شهادةِ رجلين مِن عشيرتِكم ، أو مِن غيرِ عشيرتِكم ، أو رجلين مِن المؤمنين ، أو مِن غيرِ المؤمنين .

فإذ كان لا وجهَ لذلك فى الكلامِ ، فغيرُ جائزٍ صرفُ معنى[٤] كلامِ اللَّهِ تعالى ذكرُه إلَّا إلى أحْسَنِ وُجوهِه .

وقد دلَّلْنا قبلُ على أن قولَه تعالى ذكرُه : ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ ، إنما هو مِن أهلِ دينِكم وملتِكم بما فيه كفايةٌ لِمَن وُفِّق لفهمِه .

وإذا صحَّ ذلك بما دلَّلْنا عليه ، فمعلومٌ أن معنى قولِه : ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ

(١ - ١) سقط من : ص ، ت ١ ، س .

(٢ - ٢) سقط من : ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٣) أخرجه أبو عبيد فى الناسخ والمنسوخ ص ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٢٣١ (٦٩٤٤) من طريق عبد الله بن صالح به .

(٤) فى ص ، ت ١ : « معلق » ، وفى م ، ت ٢ ، ت ٣ : « مغلق » ، وفى س : « يعلق » ، والمثبت هو الصواب .

﴿غَيْرِكُمْ﴾ ، إنما هو أو آخران مِن غيرِ أهلِ دينِكم وملتِكم . وإذ كان ذلك كذلك ، فسواءٌ كان الآخَران اللذان مِن غيرِ أهلِ دينِنا ، يهوديين كانا أو نصرانيين أو مجوسيين أو عابدَىْ وثَنٍ ، أو على أىِّ دينٍ كانا ؛ لأن اللَّهَ تعالى ذكرُه لم يَخْصُصْ آخرين مِن أهلِ ملةٍ بعينِها ، دونَ ملةٍ بعدَ ألَّا[1] يكونا مِن أهلِ الإسلامِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى ذكرُه : ﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه للمؤمنين : صفةُ شَهادةِ بينِكم إذا حضَر أحدَكم الموتُ وقتَ الوصيةِ ، أن يَشْهَدَ اثنان ذوا عدلٍ منكم أيُّها المؤمنون ، أو رجلان آخران مِن غيرِ أهلِ ملتِكم ، إن أنتم سافَرْتم ذاهبين وراجعِين فى الأرضِ .

وقد بيَّنَّا فيما مضَى السببَ الذى مِن أجلِه قيل للمسافرِ : الضاربُ فى الأرضِ[2] .

﴿فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾ . يقولُ : فنزَل بكم الموتُ .

ووجَّه أكثرُ أهلِ التأويلِ هذا الموضعَ إلى معنى التعقيبِ دونَ التخييرِ ، / وقالوا : معناه : شهادةُ بينِكم إذا حضَر أحدَكم الموتُ حينَ الوصيةِ اثنان ذوا عدلٍ منكم إن وُجِدا ، فإن لم يُوجَدا[3] فآخران مِن غيرِكم . ١٠٨/٧

وإنما فعَل ذلك مَن فعَلَه ؛ لأنه وجَّه معنى الشهادةِ فى قولِه : ﴿شَهَٰدَةُ

(١) فى ص ، ت ١، ت ٢، ت ٣، س : « أن » .

(٢) ينظر ما تقدم فى ٦/ ١٧٧.

(٣) فى ص ، ت ٢، ت ٣، س : « يوجد » ، وفى ت ١: « يجد » .

﴿ بَيْنِكُمْ ﴾ . إلى معنى الشهادةِ التى تُوجِبُ للقومِ قيامَ صاحبِها بها[(١)] عندَ الحاكمِ أو يُبْطِلُها .

ذكرُ بعضِ مَن تأوَّل ذلك كذلك

حدَّثنا عِمْرانُ بنُ موسى القَزَّازُ ، قال : ثنا عبدُ الوارثِ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا إسحاقُ بنُ سُوَيْدٍ ، عن يحيى بنِ يَعْمَرَ فى قولِه : ﴿ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ : مِن المسلمين ، فإن لم تَجِدوا مِن المسلمين ، فمِن غيرِ المسلمين[(٢)] .

حدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ومحمدُ بنُ المثنى ، قالا : ثنا ابنُ أبى عَدِىٍّ ، عن سعيدٍ ، عن قتادةَ ، عن سعيدِ بنِ المسيبِ فى قولِه : ﴿ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ . قال : اثنان مِن أهلِ دينِكم ، ﴿ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ : مِن أهلِ الكتابِ ، إذا كان بِبلادٍ لا يَجِدُ غيرَهم[(٣)] .

حدَّثنا ابنُ المثنى ، قال : ثنا عبدُ الأعلى ، قال : ثنا داودُ ، عن عامرٍ ، عن شُرَيْحٍ فى هذه الآيةِ : ﴿ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ ﴾ إلى قولِه : ﴿ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ . قال : إذا كان الرجلُ بأرضِ غُرْبةٍ ، ولم يَجِدْ مسلمًا يُشْهِدُه[(٤)] على وصيتِه ، فأشْهَد يهوديًّا ، أو نصرانيًّا ، أو مجوسيًّا ، فشهادتُهم جائزةٌ[(٥)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ مفضلٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ

---

(١) سقط من : م .

(٢) تقدم فى ص ٦٣ .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٩٩ .

(٤) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « يشهد » .

(٥) تقدم فى ص ٦٣ ، ٦٤ .

﴿ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ . قال : هذا فى الحضَرِ ، ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ : فى السفرِ ، ﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ : هذا[1] الرجلُ يُدْرِكُه الموتُ فى سفرِه ، وليس بحضْرتِه أحدٌ مِن المسلمين ، فيَدْعُو رجلين مِن اليهودِ أو[2] النصارى أو[2] المجوسِ ، فيُوصِى إليهما[3] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنا هشيمٌ ، قال : أخبرنا مغيرةُ ، عن إبراهيمَ وسعيدِ بنِ جبيرٍ أنهما قالا فى هذه الآيةِ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ﴾ الآية . قال : إذا حضَر الرجلَ الوفاةُ فى سفرٍ ، فيُشْهِدُ رجلين مِن المسلمين ، فإن لم يَجِدْ رجلين مِن المسلمين ، فرجلين مِن أهلِ الكتابِ[4] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ﴾ . إلى قولِه : ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ : فهذا لمن مات وعندَه المسلمون ، فأمَره اللَّهُ أن يُشْهِدَ على وصيتِه عَدْلين مِن المسلمين ، ثم قال : ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ . فهذا لمن مات وليس عندَه أحدٌ مِن المسلمين ، فأمَرَ[5] اللَّهُ تعالى بشهادةِ رجلين مِن غيرِ المسلمين[6] .

---

(١) بعدها فى م : « فى » .

(٢) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « و » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٣٠/٤ (٦٩٣٧ ، ٦٩٣٨) من طريق أسباط به .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٢١٦/٣ عن المصنف . وأخرجه أبو عبيد فى ناسخه ص ٢١٩ ، ٢٢٠ عن هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، وعمن سمع سعيد بن جبير به .

(٥) فى م : « فأمره » .

(٦) أخرجه النحاس فى الناسخ والمنسوخ ص ٤٠٤ من طريق عبد الله بن صالح به . وأخرج أوله ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٢٩/٤ (٦٩٣٢ ، ٦٩٣٣) من طريق عبد الله بن صالح به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٤٢/٢ إلى ابن المنذر .

ووجَّه ذلك آخرون إلى معنى التخييرِ ، وقالوا : إنما عنَى بالشَّهادةِ فى هذا الموضعِ الأَيمانَ على الوصيةِ التى أَوْصَى إليهما ، وائتمانَ الميتِ إياهما على ما ائْتَمَنهما عليه مِن مالٍ ليُؤَدِّياه إلى ورثتِه [٧٣٣/١ظ] بعدَ وفاتِه ، إن ارْتِيب بهما ./ قالوا : وقد يَتَّمِنُ[1] الرجلُ على مالِه مَن رآه موضعًا للأَمانةِ ، مِن مؤمنٍ وكافرٍ ، فى السفرِ والحضرِ .

١٠٩/٧

وقد ذكَرْنا الروايةَ عن بعضِ مَن قال هذا القولَ فيما مضَى[2] ، وسنَذْكُرُ بقيتَه إن شاء اللَّهُ تعالى بعدُ .

القولُ فى تأويلِ قولِه عز ذكرُه : ﴿ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه للمؤمنين به وبرسولِه : شهادةُ بينِكم إذا حضَر أحدَكم الموتُ ، إن شهِد اثنان ذوا عدلٍ منكم ، أو كان أَوْصَى إليهما ، أو آخَران مِن غيرِكم ، إن كنتم فى سفرٍ فحضَرَتْكم المنيَّةُ ، فأَوْصَيتُم إليهما ، ودفَعْتُم إليهما ما كان معكم مِن مالٍ وتَرِكةٍ لوَرَثتِكم ، فإذا أنتم أوصَيتُم إليهما ، ودفَعْتُم إليهما ما كان معكم مِن مالٍ ، فأصابَتْكم مصيبةُ الموتِ ، فأدَّيا إلى ورثتِكم ما ائْتَمَنْتُموهما ، وادَّعَوْا عليهما خِيانةً خاناها مما ائْتُمِنا عليه ، فإن الحكمَ فيهما حينَئذٍ أن تَحْبِسوهما . يقولُ : تَسْتَوْقِفونهما بعدَ الصلاةِ .

وفى الكلامِ محذوفٌ اجْتُزِئَ بدلالةِ ما ظهَر منه على ما حُذِف ، وهو : فأصابتكم مصيبةُ الموتِ ، وقد أَسْنَدْتُم وصيتَكم إليهما ، ودفَعْتُم إليهما ما كان معكم مِن مالٍ ، فإنكم تَحْبِسونهما من بعدِ الصلاةِ .

---

(١) فى م : « يأمن » . وهما بمعنًى .

(٢) ينظر ما تقدم فى ص ٦٧ وما بعدها .

﴿ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ ﴾ . يقولُ : فيَحْلِفان باللَّهِ إن اتَّهَمْتُموهما بخيانةٍ فيما ائْتُمِنا عليه ، مِن[(1)] تغييرِ وصيةٍ أوْصَى إليهما بها ، أو تبديلِها - والارتيابُ هو الاتِّهامُ - ﴿ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا ﴾ . يقولُ : يَحْلِفان باللَّهِ لا نَشْتَرِى بأيمانِنا باللَّهِ ثمنًا . يقولُ : لا نَحْلِفُ كاذبَيْن على عوضٍ نأْخُذُه عليه ، وعلى مالٍ نَذْهَبُ به ، أو لحقٍّ نَجْحَدُه لهؤلاء القومِ الذين أوْصَى إلينا [(2)] وَليُّهم وميِّتُهم[(2)] .

والهاءُ فى قولِه : ﴿ بِهِۦ ﴾ . مِن ذكرِ اللَّهِ ، والمعنىُّ به الحلفُ والقَسَمُ ، ولكنه لما كان قد جرَى قبلَ ذلك ذكرُ القسمِ به ، فعُرِف[(3)] معنى الكلامِ ، اكْتُفِى[(4)] به [(5)] مِن إعادةِ[(5)] ذكرِ القسمِ والحلفِ .

﴿ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ . يقولُ : يُقْسِمان باللَّهِ لا نَطْلُبُ بإقسامِنا باللَّهِ عوضًا فنَكْذِبَ فيها لأحدٍ ، ولو كان الذى نُقْسِمُ به له ذا قرابةٍ منا .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك رُوِى الخبرُ عن ابنِ عباسٍ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ : فهذا لمن مات وليس عندَه أحدٌ مِن المسلمين ، فأمَرَه اللَّهُ بشهادةِ رجلين مِن غيرِ المسلمين ، فإن ارْتِيب[(6)] فى شهادتِهما ، اسْتُحْلِفا

---

(١) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « أو » .

(٢ - ٢) فى م : « وإليهم وصيتهم » .

(٣) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « فيعرف » ، وفى م : « فيعرف من » . والمثبت ما يقتضيه السياق .

(٤) فى النسخ : «واكتفى» . والمثبت صواب السياق .

(٥ - ٥) فى س : « عن إعادته » .

(٦) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : «ارتبت» .

بعدَ الصلاةِ باللَّهِ : لم نَشْتَرِ بشهادتِنا ثمنًا قليلًا[١] .

وقولُه : ﴿ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ : مِن صلاةِ الآخَرِين . ومعنى الكلامِ : أو آخران مِن غيرِكم تَحْبِسونهما مِن بعدِ الصلاةِ إن ارْتَبْتُم بهما ، فيُقْسِمان باللَّهِ لا نَشْتَرِى به ثمنًا ولو كان ذا قُرْبى .

واختَلَفوا في الصلاةِ التي ذكَرها اللَّهُ تعالى ذكرُه في هذه الآيةِ ، فقال : ﴿ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ ؛ فقال بعضُهم : هي صلاةُ العصرِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني يعقوبُ ، قال : ثنا هشيمٌ ، قال : أخبرنا زكريا ، عن الشعبيِّ ، أن رجلًا مِن المسلمين حضَرَته الوفاةُ بدَقُوقَا[٢] هذه . قال : فحضَرَتْه الوفاةُ[٢] ، فلم يَجِدْ أحدًا مِن المسلمين يُشْهِدُه على وصيتِه ، فأشهد رجلين من أهلِ الكتابِ . قال : فقَدِما / الكوفةَ ، فأتَيا الأشعريَّ فأخبَراه ، وقدِما بترِكتِه ووصيتِه ، فقال الأشعريُّ : هذا أمرٌ لم يَكُنْ بعدَ الذى كان في عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ . قال : فأحْلَفَهما بعدَ العصرِ : باللَّهِ ما خانا ، ولا كذَبا ، ولا بَدَّلا ، ولا كتَما ، ولا غيَّرا ، وإنها لوصيةُ الرجلِ وتَرِكتُه . قال : فأمْضَى شهادتَهما[٣] .

١١٠/٧

حدَّثنا ابنُ بشارٍ وعمرُو بنُ عليٍّ ، قالا : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، قال : ثنا شعبةُ ، عن أبي بشرٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ : ﴿ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ . قال : إذا كان الرجلُ بأرضِ الشركِ ، فأوْصَى إلى رجلين مِن أهلِ الكتابِ ، فإنهما يَحْلِفان بعدَ العصرِ[٤] .

---

(١) تقدم تخريجه في ص ٧٣.

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) تقدم تخريجه في ص ٦٦.

(٤) أخرجه ابن حزم في المحلى ٥٩١/١٠ من طريق شعبة به .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، قال : ثنا شعبةُ ، عن مغيرةَ ، عن إبراهيمَ بمثلِه .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ ﴾ إلى ﴿ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ ﴾ : فهذا رجلٌ مات بغُرْبةٍ مِن الأرضِ ، وترَك تركتَه ، وأوْصَى بوصيتِه ، وشهِد على وصيتِه رجلان ، فإن ارْتِيب في شهادتِهما ، اسْتُحْلِفا بعدَ العصرِ ، وكان يقالُ : عندَها تَصِيرُ الأَيمانُ[1] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى هشيمٌ ، قال : أخبرَنا مغيرةُ ، عن إبراهيمَ وسعيدِ بنِ جبيرٍ أنهما قالا في هذه الآيةِ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ ﴾ . قالا : إذا حضَر الرجلَ الوفاةُ في سفرٍ ، فلْيُشْهِدْ رجلين مِن المسلمين ، فإن لم يَجِدْ فرجلين مِن أهلِ الكتابِ ، فإذا قدِما بتركتِه ، فإن صدَّقهما الورثةُ قُبِل قولُهما ، وإن اتَّهَموهما ، أُحْلِفا بعدَ صلاةِ العصرِ : باللَّهِ ما كذَبْنا ، ولا كتَمْنا ، ولا خُنَّا ، ولا غيَّرْنا[2] .

حدَّثنا عمرُو بنُ عليٍّ ، قال : ثنا يحيى القَطَّانُ ، قال : ثنا زكريا ، قال : ثنا عامرٌ ، أن رجلًا تُوُفِّي بدقُوقا ، فلم يَجِدْ مَن يُشْهِدُه على وصيتِه إلا رجلين نصرانيَّيْن مِن أهلِها ، فأحْلَفَهما أبو موسى دُبُرَ[3] صلاةِ العصرِ في مسجدِ الكوفةِ : باللَّهِ ما كتَما ، ولا غيَّرا ، وإن هذه لوَصيَّتُه . فأجازها[4] .

وقال آخرون : بل يُسْتَحْلَفان بعدَ صلاةِ أهلِ دينِهما وملتِهما .

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٢٩/٤ (٦٩٣٠) من طريق يزيد به . إلى قوله: وشهد على وصيته رجلان .

(٢) تقدم تخريجه في ص ٧٣.

(٣) في س : « إثر » .

(٤) أخرجه أبو عبيد في الناسخ ص ٢١٥، ٢١٦ عن يحيى به ، وتقدم أوله في ص ٦٦ .

[٧٣٤/١و] ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ مُفضَّلٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ ﴾ إلى قولِه : ﴿ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ . قال : هذا فى الوصيةِ عندَ الموتِ ، يُوصِى ، ويُشْهِدُ رجلين مِن المسلمين على ما له وعليه . قال : هذا فى الحضَرِ ، ﴿ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ : فى السفرِ ، ﴿ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ : هذا الرجلُ يُدْرِكُه الموتُ فى سفرِه ، وليس بحضرتِه أحدٌ مِن المسلمين ، فيَدْعو رجلين مِن اليهودِ أو[1] النصارى أو[1] المجوسِ ، فيُوصِى إليهما ، ويَدْفَعُ إليهما ميراثَه ، فيُقْبِلان به ، فإن رضِى أهلُ الميتِ الوصيةَ ، وعرَفوا مالَ صاحبِهم ، ترَكوا الرجلين ، وإن ارتابوا رفَعوهما إلى السلطانِ ، فذلك قولُه : ﴿ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ - ﴿ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ ﴾ . قال عبدُ اللَّهِ بنُ عباسٍ : كأنى أَنْظُرُ إلى العِلْجَيْن حينَ انتُهِى بهما إلى أبى موسى الأشعرىِّ فى دارِه ، ففتَح الصَّحيفةَ ، فأنْكَر أهلُ الميتِ وخوَّنُوهما[2] ، فأراد أبو موسى أن يَسْتَحْلِفَهما بعدَ العصرِ ، فقلتُ له : إنهما[3] لا يُباليان صلاةَ / العصرِ ، ولكن اسْتَحْلِفْهما بعدَ صلاتِهما فى دينِهما . فيُوقَفُ الرجلان بعدَ صلاتِهما فى دينِهما ، ويَحْلِفان باللَّهِ : لا نَشْتَرِى به[4] ثمنًا قليلًا ولو كان ذا قربى ، ولا نَكْتُمُ شهادةَ اللَّهِ ، إنا إذن لمن الآثمين ، إن صاحبَكم[5] لَبهذا أوْصَى ، وإن هذه لَتركتُه . فيقولُ لهما الإمامُ قبلَ أن يَحْلِفا : إنكما إن كنتما كتَمْتُما أو خُنتُما ، فضَحْتُكما فى قومِكما ، ولم تَجُزْ لكما شهادةٌ ، وعاقَبْتُكما . فإذا قال لهما ذلك ، فإن ذلك أدْنى أن يَأْتوا بالشهادةِ على وجهِها[6] .

١١١/٧

---

(١) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « و » .

(٢) فى ص ، ت ١ : « خوفوهما » .

(٣) زيادة من : م .

(٤) سقط من : م .

(٥) فى م : « صاحبهم » .

(٦) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٣/ ٢١٥ ، ٢١٦ عن المصنف ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/ ١٢٢٨ ، ١٢٣٠ ، ١٢٣١ (٦٩٢٩ ، ٦٩٣٧ ، ٦٩٣٨ ، ٦٩٤٣) من طريق أسباط به مختصرًا دون قول ابن عباس .

وأولى القولين في ذلك بالصوابِ عندَنا قولُ مَن قال : تحبسونهما من بعدِ صلاةِ العصرِ ؛ لأن اللَّهَ تعالى عرَّف الصلاةَ في هذا الموضعِ بإدخالِ الألفِ واللامِ فيها ، ولا تُدْخِلُهما العربُ إلا في معروفٍ ، إما في جنسٍ ، أو في واحدٍ معهودٍ معروفٍ عندَ المخاطَبِين[1] . فإذ كان ذلك[2] كذلك ، وكانت الصلاةُ في هذا الموضعِ مُجْمَعًا على أنه لم يُعْنَ بها جميعُ الصلواتِ ، لم يَجُزْ أن يكونَ مُرادًا بها صلاةُ المُسْتَحْلَفِ مِن اليهودِ والنصارى ؛ لأن لهم صلواتٍ ليست واحدةً فيكونَ معلومًا أنها المَعْنِيَّةُ بذلك . فإذ كان ذلك كذلك ، صحَّ أنها صلاةٌ بعينِها مِن صلواتِ المسلمين . وإذ كان ذلك كذلك ، وكان النبيُّ ﷺ صحيحًا عنه أنه إذ لاعَن بينَ العَجْلانيَّيْن ، لاعَن بينَهما بعدَ العصرِ دونَ غيرِها مِن الصلواتِ[3] - كان معلومًا أن التي عُنِيَت بقولِه : ﴿ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ . هي الصلاةُ التي كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يَتَخَيَّرُها[4] لاستحلافِ مَن أراد تغليظَ اليمينِ عليه . هذا [5]مع ما[5] عندَ أهلِ الكفرِ باللَّهِ مِن تعظيمِ ذلك الوقتِ ، وذلك لقربِه مِن غروبِ الشمسِ .

وكان ابنُ زيدٍ يقولُ في قولِه : ﴿ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا ﴾ . ما **حدَّثني** به يونُسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِه : ﴿ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا ﴾ . قال : لا[2] نَأْخُذُ به رِشْوةً[6] .

القولُ في تأويلِ قولِه عز ذكرُه : ﴿ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ

---

(١) في ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « المتخاطبين » .

(٢) سقط من : م .

(٣) أخرج هذه القصة الدارقطني ٣/ ٢٧٧ ، ومن طريقه البيهقي ٧/ ٣٩٨ .

(٤) في س : « يتخذها » .

(٥ - ٥) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : «مهما» ، وفي س : « بهما » .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/١٢٣٢ (٦٩٤٧) من طريق أصبغ بن الفرج عن ابن زيد به .

ٱلْأَثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ .

اخْتَلَفَت القَرَأَةُ فى قراءةِ ذلك ؛ فقرأَته عامةُ قرأةِ الأمصارِ : ﴿ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ ﴾ . بإضافةِ الشهادةِ إلى اللَّهِ ، وخفضِ اسمِ اللَّهِ تعالى ، يعنى : لا نَكْتُمُ شهادةً للَّهِ عندَنا .

وذُكِر عن الشعبىِّ أنه كان يَقْرَؤُه كالذى حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبو أسامةَ ، عن ابنِ عونٍ ، عن عامرٍ أنه كان يَقْرَأُ : (ولا نَكْتُمُ شهادةً أللَّهِ إنَّا إذًا لمن الآثمينَ) . بقطعِ الألفِ وخفضِ اسمِ اللَّهِ ، هكذا حدَّثنا به ابنُ وكيعٍ[(١)] .

وكأن الشعبىَّ وجَّه معنى الكلامِ إلى أنهما يُقْسِمان باللَّهِ : لا نَشْتَرِى به ثمنًا ولا نَكْتُمُ شهادةً عندَنا . ثم ابْتَدَأَ يمينًا باستفهامٍ باللَّهِ إنهما إن اشْتَرَيا بأيمانِهما ثمنًا أو كتَما شهادتَه عندَهما [(٢)]إنهما من[(٢)] الآثمين .

وقد رُوِى عن الشعبىِّ فى قراءةِ ذلك روايةٌ تُخالِفُ هذه الروايةَ ، وذلك ما حدَّثنى أحمدُ بنُ يوسُفَ التَّغْلِبىُّ ، قال : ثنا القاسمُ بنُ سلَّامٍ ، قال : ثنا عبادُ بنُ عبادٍ ، عن ابنِ عونٍ ، عن الشعبىِّ أنه قرأ : (ولا نَكْتُمُ شَهادةً اللَّهِ إنَّا إذًا لمن الآثمين)[(٣)] . قال أحمدُ : قال أبو عبيدٍ : يُنوِّنُ شهادةً ويَخْفِضُ اللَّهَ على الاتصالِ . قال : وقد رواها بعضُهم بقطعِ الألفِ على الاستفهامِ ، [(٤)]وحفظى أنا[(٤)] لقراءةِ الشعبىِّ تركُ[(٥)] / الاستفهامِ . ١١٢/٧

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٣٢/٤ (٦٩٤٩) من طريق داود عن الشعبى به . وينظر المحتسب ١/ ٢٢١، والبحر المحيط ٤/ ٤٤. وهى قراءة شاذة .

(٢ - ٢) فى م : « لمن » .

(٣) ينظر المحتسب ١/ ٢٢١.

(٤ - ٤) فى م : « وخفض إنا » .

(٥) فى م : « بترك » .

وقرَأها بعضُهم : (ولا نَكْتُمُ شَهادةً اللَّهَ)[1] . بتنوينِ الشهادةِ ونصبِ اسمِ اللَّهِ ، بمعنى : ولا نَكْتُمُ اللَّهَ[2] شهادةً عندَنا .

وأولى القراءاتِ فى ذلك عندَنا بالصوابِ قراءةُ مَن قرَأ : ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ﴾ . بإضافةِ الشهادةِ إلى اسمِ اللَّهِ ، وخفضِ اسمِ اللَّهِ ؛ لأنها القراءةُ المستفيضةُ فى قرأَةِ الأمصارِ ، التى لا تَتَناكَرُ صحَّتَها الأمَّةُ .

وكان ابنُ زيدٍ يقولُ فى معنى ذلك : ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ﴾ : وإن كان صاحبُها[3] بعيدًا .

حدَّثنى بذلك يونُسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ[4] عنه[5] .

القولُ فى تأويلِ قولِه عز ذكرُه : ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ﴾ .

يعنى تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿فَإِنْ عُثِرَ﴾ : فإن اطُّلِع منهما[6] أو[7] ظهَر .

وأصلُ العَثْرِ الوقوعُ على الشىءِ والسقوطُ عليه ، ومِن ذلك قولُهم : عثَرَت إصْبعُ فلانٍ بكذا . إذا صدَمَته وأصابَتْه ووقَعَت عليه . ومنه قولُ الأعشى ميمونِ بنِ قيسٍ[8] :

---

(١) وهى قراءة علىّ ونعيم بن ميسرة ، وإحدى القراءات عن الشعبى . ينظر البحر المحيط ٤/ ٤٤.

(٢) فى س : « لله » .

(٣) سقط من : ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٤) فى النسخ : « زيد » . وينظر ص ١٠٣ حاشية (٢) .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٣٢/٤ (٦٩٥٠) من طريق أصبغ بن الفرج عن ابن زيد به .

(٦) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « فيهما » .

(٧) فى س : « أى » .

(٨) ديوانه ص ١٠٣.

بِذاتِ لَوْثٍ[١] عَفَرْناةٍ[٢] إذا عثَرَتْ فالتَّعْسُ[٣] أدْنى لها مِن أن أقولَ لَعَا[٤]

[١/٧٤٣ظ] يعنى بقولِه : عثَرت : أصاب مَنْسِمُ[٥] خُفِّها حجرًا[٦] أو غيرَه . ثم يُسْتَعْمَلُ ذلك فى كلِّ واقعٍ على شىءٍ كان عنه خفيًّا ، كقولِهم : عثَرْتُ على الغَزْلِ بأَخَرَةٍ ، فلم تَدَعْ بنَجْدٍ قَرَدَةً[٧] . بمعنى : وقَعت .

وأما قولُه : ﴿ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا ﴾ . فإنه يقولُ تعالى ذكرُه : فإن اطُّلِع مِن الوصِيَّيْن اللذين ذكَر اللهُ أمْرَهما فى هذه الآيةِ بعدَ حلِفِهما باللَّهِ : لا نَشْتَرِى بأيمانِنا ثمنًا ولو كان ذا قربى ، ولا نَكْتُمُ شهادةَ اللَّهِ - ﴿ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا ﴾ . يقولُ : على أنهما اسْتَوْجَبا بأيمانِهما التى حلَفا بها إثمًا ، وذلك أن يُطَّلَعَ على أنهما كانا كاذِبَيْن فى أيمانِهما باللَّهِ : ما خُنَّا ، ولا بدَّلْنا ، ولا غيَّرْنا . فإن وُجِدا قد خانا مِن مالِ الميتِ شيئًا ، أو غيَّرا وصيتَه ، أو بَدَّلا ، فأثِما بذلك مِن حلِفِهما[٨] بربِّهما ، ﴿ فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا ﴾ . يقولُ : يقومُ حينَئذٍ مَقامَهما مِن ورثةِ الميتِ الأَوْلَيان[٩] الموصَى إليهما .

---

(١) اللوث : القوة . اللسان (ل و ث) .

(٢) عفرناة : قوية . اللسان (ع ف ر) .

(٣) التعس : ألا ينتعش العاثر من عثرته ، وأن ينكس فى سفال . اللسان (ت ع س) .

(٤) لعًا : كلمة يدعى بها للعاثر ، معناها الارتفاع . اللسان (ل ع و) .

(٥) فى م : « الميسم » . والمنسم : طرف خُفّ البعير اللسان (ن س م) .

(٦) فى م : « حجر » .

(٧) القرد : ما تمعَّط من الإبل والغنم من الوبر والصوف والشعر .

قال الأصمعى : أصله أن تدع المرأة الغزل وهى تجد ما تغزله من قطن أو غيره ، حتى إذا فاتها تتبعت القرد فى القمامات ، فتلقطها فتغزلها . وهو مثل يضرب لمن ترك الحاجة وهى ممكنة ، ثم جاء يطلبها بعد الفوت . ينظر مجمع الأمثال للميدانى ٢/ ٣٢١.

(٨) فى ص : « بأمرهما » ، وفى ت ١: « أمرهما » .

(٩) فى ص ، ت١: « وأولياء » .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

/حدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، قال : ثنا شعبةُ ، عن أبى بشرٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ : ﴿ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ . قال : إذا كان الرجلُ بأرضِ الشركِ ، فأوْصَى إلى رجلين مِن أهلِ الكتابِ ، فإنهما يَحْلِفان بعدَ العصرِ ، فإذا اطُّلِع عليهما بعدَ حلِفِهما أنهما خانا شيئًا ، حلَف أولياءُ الميتِ أنه كان كذا وكذا ، ثم استَحَقُّوا[1] . ١١٣/٧

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، قال : ثنا شعبةُ ، عن مغيرةَ ، عن إبراهيمَ بمثلِه .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ : مِن غيرِ المسلمين ، ﴿ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ ، فإن ارْتِيب[2] فى شهادتِهما اسْتُحْلِفا بعدَ الصلاةِ باللَّهِ : ما اشْتَرَيْنا بشهادتِنا ثمنًا قليلًا . فإن اطَّلَع الأولياءُ على أن الكافرَينِ كذَبا فى شهادتِهما ، قام رجلان مِن الأولياءِ فحلَفا باللَّهِ : إن شهادةَ الكافرَيْنِ باطلةٌ[3] ، وإنا لم نَعْتَدِ . فذلك قولُه : ﴿ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا ﴾ . يقولُ : إن اطُّلِع على أن الكافرَيْنِ كذَبا ، ﴿ فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا ﴾ . يقولُ : مِن الأولياءِ[4] ، فحلَفا باللَّهِ : إن شهادةَ الكافرَينِ باطلةٌ ، وإنا لم نَعْتَدِ . فتُرَدُّ شهادةُ

---

(١) تقدم أوله فى ص ٧٦.

(٢) فى ص ، ت ١ ، س : « ارتبت » .

(٣) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « باطل » .

(٤) فى ت ١ ، والناسخ للنحاس ، ومطبوعة الدر : « الأوليان » .

الكافرِينِ ، وتَجوزُ شهادةُ الأولياءِ[(١)] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا ﴾ : أى : اطُّلِع منهما على خيانةٍ ، أنهما كذَبا أو كتَما[(٢)] .

واختلَف أهلُ التأويلِ فى المعنى الذى له حكَم اللَّهُ تعالى ذكرُه على الشاهدَيْن بالأيمانِ ، فنقَلَها[(٣)] إلى الآخَرَيْن بعدَ أن عُثِر عليهما أنهما اسْتَحَقَّا إثمًا ؛ فقال بعضُهم : إنما أَلْزَمَهما اليمينَ إذا [(٤)]ارْتِيب فى شهادتِهما[(٤)] على الميتِ فى وصيتِه ، أنه أَوْصَى بغيرِ[(٥)] الذى يَجوزُ فى حكمِ الإسلامِ ، وذلك أن يَشْهَدَا[(٦)] أنه أَوْصَى بمالِه كلِّه ، أو أَوْصَى أن يُفَضَّلَ بعضُ ولدِه ببعضِ مالِه .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ ﴾ إلى قولِه : ﴿ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ : مِن أهلِ الإسلامِ ، ﴿ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ : مِن غيرِ أهلِ الإسلامِ ، ﴿ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ إلى : ﴿ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ ﴾ . يقولُ : فيَحْلِفان باللَّهِ بعدَ الصلاةِ ، فإن حلَفا على شىءٍ يُخالِفُ ما أنْزَل اللَّهُ تعالى ذكرُه مِن الفَريضةِ - يعنى اللذين ليسا مِن أهلِ الإسلامِ - ﴿ فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا ﴾ : مِن أولياءِ الميتِ ، فيَحْلِفان باللَّهِ : ما كان صاحبُنا لِيُوصِىَ بهذا ، و[(٧)] إنهما لكاذبان ،

---

(١) ينظر ما تقدم تخريجه فى ص ٧٣.

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٣٤٤ إلى المصنف وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) فى ص ، ت ١: « فمن نقلها » .

(٤ - ٤) فى ص ، ت١ : «ارتبت بشهادتهما» ، وفى س : «ارتيب بشهادتهما» .

(٥) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ،ت ٣: « لغير » .

(٦) فى م : « يشهد » ، وفى ت١ : « يشهدوا » .

(٧) فى م : « أو » .

ولَشَهادتُنا أحقُّ مِن شهادتِهما[١] .

حدَّثني محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ مُفَضَّلٍ ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السديِّ ، قال : يُوقَفُ الرجلان بعدَ صلاتِهما في دينِهما ، فيَحْلِفان باللَّهِ : لا نَشْترى به ثمنًا ولو كان ذا قُرْبَى ، ولا نَكْتُمُ شهادةَ اللَّهِ ، إنا إذن لمن الآثمين ، إنَّ صاحبَكم لَبهذا أوْصَى ، وإن هذه لتَركتُه . فإذا شهِدا ، وأجاز الإمامُ شهادتَهما على ما شهِدا ، قال لأولياءِ الرجلِ : اذْهَبوا فاضْرِبوا في الأرضِ واسْألُوا عنهما ، فإن أنتم وجَدْتُم عليهما خِيانةً ، / أو أحدًا يَطْعُنُ عليهما ، ردَدْنا شهادتَهما . فيَنْطَلِقُ الأولياءُ فيَسْأَلون ، فإن وجَدوا أحدًا يَطْعُنُ عليهما ، أو هما غيرُ مرضِيَّيْن عندَهم ، أو اطُّلِع على أنهما خانا شيئًا مِن المالِ وجَدوه عندَهما ، أقْبل[٢] الأولياءُ فشهِدوا عندَ الإمامِ ، وحلَفوا باللَّهِ : لشَهادتُنا أنهما لخَائنان مُتَّهمان في دينِهما ، مَطْعونٌ عليهما ، أحقُّ مِن شهادتِهما بما شهِدا ، وما اعْتَدَيْنا . فذلك قولُه : ﴿ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ ﴾[٣] .

١١٤/٧

وقال آخرون : بل إنما أُلْزِم الشاهدان اليمينَ لأنهما ادَّعَيا أنه أوْصَى لهما ببعضِ المالِ ، وإنما يُنْقَلُ إلى الآخَرَيْن مِن أجلِ ذلك ، إذا ارْتابا[٤] بدَعْواهما .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا عمرانُ بنُ موسى القَزَّازُ ، قال : ثنا عبدُ الوارثِ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا إسحاقُ بنُ سُوَيْدٍ ، عن يحيى بنِ يَعْمَرَ في قولِه : ﴿ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٢٣١، ١٢٣٣ (٦٩٤٢، ٦٩٥٥، ٦٩٥٨) عن محمد بن سعد به .

(٢) سقط من : س ، وفي ص ، م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « فأقبل » . والسياق يقتضي ما أثبت .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٢٣١، ١٢٣٣، ١٢٣٤ (٦٩٤٣، ٦٩٥٧، ٦٩٥٩) من طريق أحمد بن مفضل به نحوه .

(٤) في م : « ارتابوا » .

﴿ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ ﴾ . قال : زعَما أنهما[1] أوْصَى لهما بكذا وكذا ، ﴿ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا ﴾ : أي بدَعْواهما لأنفسِهما ، ﴿ فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ ﴾ : إن صاحبَنا لم يُوصِ إليكما بشيءٍ مما تقولان .

والصوابُ مِن القولِ فى ذلك عندَنا أن الشاهدَيْن أُلْزِما اليمينَ فى ذلك باتهامِ ورثةِ [١/٧٣٥و] الميتِ إياهما فيما دفَع إليهما الميتُ مِن مالِه ، ودَعْواهم قِبَلَهما خيانةَ مالٍ معلومِ المبلغِ ، ونُقِلَت بعدُ إلى الورثةِ عندَ ظهورِ الرِّيبةِ التى كانت مِن الورثةِ فيهما ، وصحةِ التهمةِ عليهما ، بشهادةِ شاهدٍ عليهما أو على أحدِهما ، فيَحْلِفُ الوارثُ حينَئذٍ مع شهادةِ الشاهدِ عليهما أو على أحدِهما ، إنما صحَّح دَعْواه إذ حُقِّق حقُّه ، أو لإقرارٍ[2] يَكونُ مِن الشهودِ ببعضِ ما ادَّعَى عليهما الوارثُ أو بجميعِه ، ثم دَعْواهما فى الذى أقَرَّا به مِن مالِ الميتِ ما لا يُقْبَلُ فيه دَعْواهما إلا ببينةٍ ، ثم لا يَكونُ لهما على دعواهما تلك بينةٌ ، فيُنْقَلُ حينَئذٍ اليمينُ إلى أولياءِ الميتِ .

وإنما قلنا : ذلك أولى الأقوالِ فى ذلك بالصحةِ ؛ لأنا لا نَعْلَمُ مِن أحكامِ الإسلامِ حكمًا يَجِبُ فيه اليمينُ على الشهودِ ، ارْتِيب بشهادتِهما أو لم يُرْتَبْ بها ، فيَكونَ الحكمُ فى هذه الشهادةِ نظيرًا لذلك ، [3]ولا - إذْ لم[3] نَجِدْ ذلك كذلك - صحَّ بخبرٍ عن الرسولِ ﷺ ، ولا بإجماعٍ مِن الأمةِ ؛ لأن استِحْلافَ الشهودِ فى هذا الموضعِ مِن حكمِ اللَّهِ تعالى ذكرُه ، فيَكونُ أصلًا مُسَلَّمًا ، والمقولُ إذا خرَج مِن أن يَكونَ أصلًا أو نظيرًا لأصلٍ فيما تنازَعَت فيه الأمةُ ، كان واضحًا فسادُه .

وإذا فسَد هذا القولُ بما ذكَرْنا ، فالقولُ بأن الشاهدَيْن استُحْلِفا مِن أجلِ أنهما

---

(١) فى م : « أنه » .

(٢) فى م : « الإقرار » .

(٣ - ٣) فى م : « ولم » .

ادَّعَيا على الميتِ وصيةً لهما بمالٍ مِن مالِه - أَفْسَدُ ؛ مِن أجلِ أن أهلَ العلمِ لا خلافَ بينَهم فى أن مِن حُكْمِ اللَّهِ تعالى ذكرُه أن مُدَّعِيًا لو ادَّعَى فى مالِ ميتٍ وصيةً ، أن القولَ قولُ ورثةِ المُدَّعَى فى مالِه الوصيةُ مع أيمانِهم ، دونَ قولِ مُدَّعِى ذلك مع يمينِه ، وذلك إذا لم يَكُنْ للمُدَّعِى بينةٌ . وقد جعَل اللَّهُ تعالى ذكرُه اليمينَ فى هذه الآيةِ على الشهودِ إذا ارْتِيب بهما ، وإنما نُقِل الأيمانُ عنهم إلى أولياءِ الميتِ إذا عُثِر على أن الشهودَ اسْتَحَقُّوا إثمًا فى أيمانِهم ، فمعلومٌ بذلك فسادُ قولِ مَن قال : أُلْزِم اليمينَ الشهودُ لدَعْواهم لأنفسِهم وصيةً أَوْصَى بها لهم الميتُ مِن مالِه .

على أن ما قلنا فى ذلك عن أهلِ التأويلِ ، هو التأويلُ الذى ورَدَت به الأخبارُ /عن بعضِ أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قضَى به حينَ نزَلَت هذه الآيةُ ، بينَ الذين نزَلَت فيهم وبسببِهم . ١١٥/٧

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ آدمَ ، عن يحيى بنِ أبى زائدةَ ، عن محمدِ ابنِ أبى القاسمِ ، عن عبدِ الملكِ بنِ سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : خرَج رجلٌ مِن بنى سَهْمٍ مع تميمٍ الدارىِّ وعدىِّ بنِ بَدَّاءَ ، فمات السَّهمىُّ بأرضٍ ليس فيها مسلمٌ ، فلما قدِما[(١)] بتركتِه فقَدوا جامًا[(٢)] مِن فضةٍ مُخَوَّصًا بالذهبِ[(٣)] ، فأحْلَفَهما رسولُ اللَّهِ ﷺ ، ثم وُجِد الجامُ بمكةَ ، فقالوا : اشْتَرَيْناه مِن تميمٍ الدارىِّ وعدىِّ بنِ بَدَّاءَ . فقام رجلان مِن أولياءِ السَّهْمىِّ ، فحلَفا : لشهادتُنا أحقُّ من شهادتِهما ، وإن الجامَ لصاحبِهم . قال : وفيهم أُنْزِلَت : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ

---

(١) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « قدموا » .

(٢) الجام : الإناء . اللسان (ج و م) .

(٣) أى : عليه صفائح الذهب مثل خوص النخل . النهاية ٢/ ٨٧ .

بَيْنِكُمْ ﴾[(١)] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ [(٢)]أحمدَ بنِ[(٢)] أبى شعيبٍ الحَرَّانىُّ ، قال : ثنا محمدُ بنُ سلَمةَ الحَرَّانىُّ ، قال : ثنا محمدُ بنُ إسحاقَ ، عن أبى النَّضْرِ ، عن باذانَ[(٣)] مولى أمِّ هانئٍ ابنةِ أبى طالبٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، عن تميمٍ الدارىِّ فى هذه الآيةِ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ ﴾ . قال : برِئَ الناسُ منها غيرى وغيرَ عدىِّ بنِ بَدَّاءَ . وكانا نصرانيَّين يَخْتَلِفان إلى الشامِ قبلَ الإسلامِ ، فأتَيا الشامَ لتجارتِهما ، وقدِم عليهما مولًى لبنى سَهْمٍ يقالُ له : بُدَيْلُ[(٤)] بنُ أبى مريمَ . بتجارةٍ ، ومعه جامُ فضةٍ يُريدُ به الملكَ ، وهو[(٥)] عُظْمُ تجارتِه ، فمرِض ، فأوْصَى إليهما ، وأمَرَهما أن يُبْلِغا ما ترَك أهلَه . قال تميمٌ : فلما مات أخَذْنا ذلك الجامَ فبِعْناه بألفِ درهمٍ ، فقسَمْناه أنا وعدىُّ بنُ بَدَّاءَ [(٦)]فلمَّا قدِمْنا إلى أهلِه دفَعْنا إليهم ما كان معنا ، وفقَدوا الجامَ فسألُونا عنه[(٦)] ، فقلنا : ما ترَك غيرَ هذا ، وما دفَع إلينا غيرَه . قال تميمٌ : فلما أسلَمْتُ بعدَ قدومِ رسولِ اللَّهِ ﷺ المدينةَ تأثَّمْتُ مِن ذلك ، فأتَيْتُ أهلَه فأخبرْتُهم الخبرَ ، وأدَّيْتُ إليهم خمسَمائةِ درهمٍ ، وأخبرتُهم أن عندَ

---

(١) أخرجه الترمذى (٣٠٦٠) عن سفيان بن وكيع به ، وأخرجه البخارى (٢٧٨٠) فى تاريخه ٢١٥/١، وأبو داود (٣٦٠٦) ، والبيهقى ١٦٥/١٠ من طريق يحيى بن آدم به ، وأخرجه النحاس فى ناسخه ص ٤٠٨، والطبرانى (١٢٥٠٩) ، ١١٠/١٧ (٢٦٨) من طريق يحيى بن أبي زائدة به ، وعزاه السيوطى فى الدر ٣٤٢/٢ إلى ابن المنذر وأبى الشيخ وابن مردويه .

(٢ - ٢) سقط من : م، ت ١، ت ٢، ت ٣، س .

(٣) فى ص ، م ، ت ١، ت ٢، ت٣: «زاذان» ، وفى س: «داود» ، وينظر تهذيب الكمال ٤/ ٦.

(٤) فى ص ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « بريل » ، وفى س: «بزسل» . - تصحيف : بزيل- وقال الحافظ فى الفتح ٤١١/٥: ووقع فى رواية الكلبى عن أبى صالح ، عن ابن عباس عن تميم نفسه عند الترمذى والطبرى - وهى روايتنا هنا- بديل .. ورأيته فى نسخة صحيحة من تفسير الطبرى : بريل . براء بغير نقطة . ويقال أيضا : بزيل ، وبرير . ينظر الإكمال ١/ ٢٦٤، والإصابة ١/ ٢٧٤.

(٥) فى ص ، ت ١: « هى » .

(٦ - ٦) سقط من النسخ ، والمثبت من مصادر التخريج .

صاحبى مثلَها ، (١) فوثبُوا إليه (١) ، فأتَوْا به (٢) رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فسأَلهم البينةَ ، فلم يَجِدوا ، فأمرَهم أن يَسْتَحْلِفوه بما يُعَظِّمُ به على أهلِ دينِه ، فحلَف ، فأنْزَل اللَّهُ تعالى ذكرُه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ ﴾ إلى قولِه : ﴿ أَن تُرَدَّ أَيۡمَٰنُۢ بَعۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡۗ ﴾ . فقام عمرُو بنُ العاصِ ورجلٌ آخرُ منهم ، فحلَفا ، فنُزِعَتِ الخمسُمائةِ مِن عدىِّ بنِ بَدَّاءَ (٣) .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنا أبو سفيانَ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ وابنِ سيرينَ وغيرِه ، قال : وحدَّثنا الحجاجُ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن عكرمةَ - دخَل حديثُ بعضِهم فى بعضٍ - : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ ﴾ الآيةَ . قالوا (٤) : كان عدىٌّ وتميمٌ الدارىُّ ، وهما مِن لَخْمٍ ، نصرانيَّان ، يَتَّجِران إلى مكةَ فى الجاهليةِ ، فلمَّا هاجَر رسولُ اللَّهِ ﷺ حوَّلا مَتْجَرَهما إلى المدينةِ ، فقدِم ابنُ أبى ماريةَ مولى عمرِو بنِ العاصِ المدينةَ ، وهو يُرِيدُ الشامَ تاجرًا ، فخرَجوا جميعًا ، حتى إذا كانوا ببعضِ الطريقِ مرِض ابنُ أبى ماريةَ ، فكتَب وصيَّتَه بيدِه ، ثم دسَّها فى متاعِه ، ثم أوْصَى إليهما ، فلما مات فتَحا متاعَه ، فأخَذا ما أرادا ، ثم قدِما على أهلِه ، فدفَعا ما أرادا ، ففتَح أهلُه متاعَه ، فوجَدوا كتابَه وعهدَه ، وما خرَج /به ، وفقَدوا (٥) شيئًا ، (٦) فسأَلوهما [١/٧٣٥ظ] عنه (٦) ، فقالوا : هذا الذى قبَضْنا له ، ١١٦/٧

(١ - ١) سقط من : م ، ت ٢.

(٢) سقط من : ص ، ت ١.

(٣) أخرجه الترمذى (٣٠٥٩) ، والنحاس فى الناسخ والمنسوخ ص ٤٠٩، عن الحسن بن أحمد به . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/ ١٢٣٠، ١٢٣١ (٦٩٤١) من طريق محمد بن سلمة به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٤١/٢ إلى أبى الشيخ وابن مردويه وأبى نعيم فى المعرفة .

(٤) فى م : « قال » .

(٥) فى ص ، ت ١: « قعدوا » ، وفى س : « ولم يجدوا » .

(٦ - ٦) فى ص ، س : «وسألوهما عنها» ، وفى ت١: «وسألوهما عنهما» .

ودفَع إلينا . قال لهما أهلُه : فباع شيئًا ، أو ابتاعَه ؟ قالا : لا . قالوا : فهل اسْتَهْلَكَ[(١)] مِن متاعِه شيئًا ؟ قالا : لا . قالوا : فهل تجَر تجارةً ؟ قالا : لا . قالوا : فإنا قد فقَدْنا بعضَه . فاتُّهِما ، فرفَعوهما إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فنزَلَت هذه الآيةُ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ ﴾ . إلى قولِه : ﴿ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ ﴾ . قال : فأمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ أن يَسْتَحْلِفوهما فى دُبُرِ صلاةِ العصرِ باللَّهِ الذى لا إلهَ إلا هو : ما قبَضْنا له غيرَ هذا ، ولا كتَمْنا . قال : فمكَثا[(٢)] ما شاء اللَّهُ أن يَمْكُثا ، ثم ظُهِر معَهما على إناءٍ مِن فضةٍ مَنْقوشٍ مُموَّهٍ بذهبٍ ، فقال أهلُه : هذا مِن متاعِه ؟ قالا : نعم ، ولكنا اشْتَرَيْناه منه ، ونسِينا أن نَذْكُره حينَ حلَفْنا ، فكرِهْنا أن نُكَذِّبَ أنفسَنا . فترافَعوا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فنزَلتِ[(٣)] الآيةُ الأخرى : ﴿ فَإِنۡ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ ﴾ . فأمَر رسولُ اللَّه ﷺ رجلين مِن أهلِ الميتِ أن يَحْلِفا على ما كتَما وغيَّبا ، ويَسْتَحِقَّانه . ثم إن تميمًا الدارىَّ أسْلَم وبايَع النبىَّ ﷺ ، وكان يقولُ : صدَق اللَّهُ ورسولُه ، أنا أخَذْتُ الإناءَ[(٤)] .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ ﴾ الآيةَ كلَّها . قال : هذا شىءٌ حينَ لم يَكُنِ الإسلامُ إلا بالمدينةِ ، وكانت الأرضُ كلُّها كفرًا[(٥)] ، فقال اللَّهُ تعالى ذكرُه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ ﴾ : مِن

---

(١) استهلك المال : أنفقه وأنفده وأهلكه . اللسان (هـ ل ك) ، وقال الشيخ شاكر: أى: أضاعه وافتقده ، وهذا حرف لم تقيده كتب اللغة ، استظهرت معناه من السياق .

(٢) فى م : « فمكثنا » .

(٣) سقط من : ص .

(٤) أخرجه أبو عبيد فى ناسخه ص ٢١٠-٢١٢ عن الحجاج عن ابن جريج عن عكرمة - وحده - به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٤٢/٢ إلى المصنف وابن المنذر .

(٥) فى ص ، ت١، ت٢، ت٣ : « كفر » .

المسلمين ، ﴿ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ : مِن غيرِ أهلِ الإسلامِ ، ﴿ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ ﴾ . قال : كان الرجلُ يَخْرُجُ مُسافرًا ، وهم[(١)] - العربَ - أهلُ كفرٍ ، فعسى أن يموتَ في سفرِه ، فيُسْنِدُ[(٢)] وصيته إلى رجلين منهم ، ﴿ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ ﴾ في أمرِهما ، إذا[(٣)] قال الورثةُ : كان مع صاحبِنا كذا وكذا . فيُقْسِمان باللهِ : ما كان معه إلا هذا الذى قلنا . ﴿ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا ﴾ : إنما حلَفا على باطلٍ وكذبٍ ، ﴿ فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ ﴾ بالميتِ ، ﴿ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ، ذكَرْنا أنه كان مع صاحبِنا كذا وكذا ، قال هؤلاء : لم يَكُنْ معه ذاك[(٤)] . ثم عُثِر على بعضِ المتاعِ عندَهما ، فلما عُثِر على ذلك رُدَّت القَسامةُ على وارثِه ، فأقسَما ، ثم ضمِن هذان . قال اللهُ تعالى ذكرُه : ﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَن تُرَدَّ أَيْمَانٌ ﴾ فتبْطُلَ أيمانُهم ، ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ : الكاذبين الذين يَحْلِفون على الكذبِ .

وقال ابنُ زيدٍ : وقدِم تَميمٌ الداريُّ وصاحبٌ له ، وكانا يومَئذٍ مشركَيْن ، ولم يكونا أسْلَما ، فأخْبَرا أنهما أوْصَى إليهما رجلٌ ، وجاءا[(٥)] بتركتِه ، فقال أولياءُ الميتِ : كان مع صاحبِنا كذا وكذا[(٦)] ، وكان معه إبريقُ فضةٍ . وقال الآخران : لم

(١) سقط من : م .

(٢) فى س : « فينفذ » .

(٣) سقط من : س .

(٤) فى م ، ت ٢، س : « قال » .

(٥) فى ص ، ت ١، ت ٣، س: «جاءوا» .

(٦) بعده فى ص ، ت ١، ت ٣، س: «وكان مع صاحبنا كذا» .

١١٧/٧ يَكُنْ معه إلا الذى جئنا به . فحلَفا خلْفَ[1] الصلاةِ ، ثم عُثِر عليهما بعدُ / والإبريقُ معهما ، فلما عُثِر عليهما رُدَّت القَسامةُ على أولياءِ الميتِ بالذى قالوا مع صاحِبِهم ،ثم ضمَّنهما الذى حلَف عليه الأَوْلَيان .

حدَّثنا الربيعُ ، قال : ثنا الشافعىُّ ، قال : أخبَرنا [2]أبو سعيدٍ معاذُ بنُ موسى[2] الجَعْفرىُّ ، عن بُكيرِ[3] بنِ معروفٍ ، عن مُقاتِلِ بنِ حَيَّانَ - قال بُكيرٌ[3] : قال مُقاتِلٌ : أخَذْتُ هذا التفسيرَ عن مجاهدٍ والحسنِ والضحاكِ - فى قولِ اللَّهِ : ﴿ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ : أن رجلين نصرانيين مِن أهل دارِينَ[4] ، أحدُهما تميمىٌّ والآخرُ يمانىٌّ ، صاحَبهما مولًى لقريشٍ فى تجارةٍ ، فركِبوا البحرَ ، ومع القرشىِّ مالٌ معلومٌ قد عِلمه أولياؤُه ؛ مِن بينِ آنيةٍ وبَزٍّ[5] ورِقَةٍ[6] ، فمرِض القرشىُّ ، فجعَل وصيتَه إلى الداريَّيـن[7] ، فمات ، وقبَض الداريَّان المالَ والوصيةَ ، فدفَعاه إلى أولياءِ الميتِ ، وجاءا[8] ببعضِ مالِه ، وأنكَر القومُ[9] قلةَ المالِ ، فقالوا للداريَّين : إن صاحبَنا قد خرَج معه بمالٍ أكثرَ مما أَتيتُمونا به ، فهل باع شيئًا أو اشْتَرَى شيئًا فوُضِع فيه ؟ أو هل طال مرضُه فأنفَق على نفسِه ؟ قالا : لا . قالوا : فإنكما خنتُمانا . فقبَضوا المالَ ، ورفَعوا أمرَهما إلى النبىِّ ﷺ ، فأنزَل اللَّهُ تبارك وتعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

---

(١) أى : بعد . التاج (خ ل ف) .

(٢ - ٢) فى م : «سعيد بن معاذ بن موسى» ، وفى س : «أبو سعيد عن معاذ بن موسى» . وينظر تعجيل المنفعة ٢/ ٢٦٩.

(٣) فى م : «بكر» . وينظر تهذيب الكمال ٤/ ٢٥٢.

(٤) دارين : قرية فى بلاد فارس ، على شاطئ البحر . معجم ما استعجم ٢/ ٥٣٨.

(٥) البز: الثياب . الصحاح (ب ز ز) .

(٦) الرقة: الدراهم المضروبة . الصحاح (ورق) .

(٧) فى ص ، ت ١ ، س: «الدارى» .

(٨) فى ص ، ت ١: «جاء» .

(٩) بعده فى س: «عليه» .

﴿ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ ﴾ إلى آخرِ الآيةِ . فلمّا (١) نزَل : أن يُحْبَسا مِن بعدِ الصلاةِ (١) . أمَر النبيُّ ﷺ فقاما بعدَ الصلاةِ ، فحلَفا باللَّهِ (٢) ربِّ السماواتِ (٢) : ما ترَك مولاكم مِن المالِ إلا ما أتَيْناكم به ، وإنا لا نَشْتَرِى بأيمانِنا ثمنًا قليلًا مِن الدنيا ولو كان ذا قُرْبى ، ولا نَكْتُمُ شهادةَ اللَّهِ ، إنا إذن لمن الآثمين . فلما حلَفا خلَّى سبيلَهما ، ثم إنهم وجَدوا بعدَ ذلك إناءً مِن آنيةِ الميتِ ، فأُخِذ الداريَّان ، فقالا : اشْتَرَيْناه منه فى حياتِه . وكذَبا ، فكُلِّفا البينةَ ، فلم يَقْدِرا عليها ، فرفَعوا ذلك إلى النبيِّ ﷺ ، فأنْزَل اللَّهُ تعالى ذكرُه : ﴿ فَإِنْ عُثِرَ ﴾ . يقولُ : فإن اطُّلِع ، ﴿ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا ﴾ : يعنى الداريَّيْن إن كتَما حقًّا ، ﴿ فَـَٔاخَرَانِ ﴾ من أولياءِ الميتِ ﴿ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ ﴾ : (٣) فيَحلِفان باللَّهِ (٣) : إن مالَ صاحبِنا كان كذا وكذا ، وإن الذى يُطْلَبُ قِبَلَ الداريَّيْن لحَقٌّ ، ﴿ وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ . هذا قولُ الشاهدَيْن أولياءِ الميتِ ، ﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ ﴾ : يعنى [٧٣٦/١و] الداريَّيْن والناسَ أن يَعُودوا لمثلِ ذلك (٤) .

قال أبو جعفرٍ : ففيما ذكَرْنا مِن هذه الأخبارِ التى روَيْنا دليلٌ واضحٌ على صحةِ ما قلْنا ، مِن أن حكمَ اللَّهِ تعالى ذكرُه باليمينِ على الشاهدَيْن فى هذا الموضعِ ، إنما هو مِن أجلِ دعْوى وَرَثتِه على المُسْنَدِ إليهما الوصيةُ خيانةً فيما دفَع الميتُ مِن مالِه إليهما ، أو غيرَ ذلك مما لا يَبْرَأُ فيه المُدَّعَى ذلك قِبَلَه إلا بيمينٍ ، وأن نقْلَ اليمينِ إلى ورثةِ الميتِ بما أوْجَبه اللَّهُ تعالى ذكرُه ، بعدَ أن عُثِر على الشاهدَيْن (٥) أنهما استحقَّا إثمًا (٥) فى

(١ - ١) فى س: « نزلت » .
(٢ - ٢) فى ص ، ت ١ ، ت ٣ ، س: «وبالسماوات» .
(٣ - ٣) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .
(٤) أخرجه البيهقى ١٠/ ١٦٤ من طريق يزيد بن صالح عن بكير بن معروف به ، ثم أخرجه فى ١٠/ ١٦٥ من طريق الربيع به ، وأحال لفظه على السابق ، وأخرج بعضه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/ ١٢٣٢-١٢٣٤ (٦٩٤٦ ، ٦٩٥٤ ، ٦٩٦٠ ، ٦٩٦١ ، ٦٩٦٣) من طريق بكير به .
(٥ - ٥) سقط من النسخ ، والمثبت كما أثبته الشيخ شاكر فى تعليقه على هذا الموضوع .

أيمانِهما ، ثم ظُهِر على كذبِهما فيها ، إنِ القومُ ادَّعَوْا فيما صحَّ أنه كان للميتِ دعوَى ، مِن انتقالِ ملكٍ عنه إليهما ، ببعضِ ما تَزولُ به الأملاكُ ، مما يَكونُ اليمينُ فيها على ورثةِ الميتِ دونَ المدَّعَى ، وتكونُ البينةُ فيها على المدَّعَى - وفسادِ ما خالَف فى هذه الآيةِ ما[1] قلنا[2] مِن التأويلِ .

وفيها أيضًا البيانُ الواضحُ على أن معنى الشهادةِ التى ذكَرها اللَّهُ تعالى ذكرُه فى أولِ هذه القصةِ ، إنما هى اليمينُ ، كما قال اللَّهُ تعالى ذكرُه فى مواضعَ أُخرَ : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [النور : ٦] . / فالشهادةُ فى هذا الموضعِ معناها القسَمُ ، مِن قولِ القائلِ : أَشْهَدُ باللَّهِ إنى[3] لمن الصادقين . وكذلك معنى قولِه : ﴿ شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ ﴾ . إنما هو : قسَمُ بينِكم ، ﴿ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ ﴾ أن يُقسِمَ ﴿ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ إن كانا اتُّمِنا[4] على ما قال فارْتِيب بهما ، أو اتُّمِن[5] آخران مِن غيرِ المؤمنين فاتُّهِما . وذلك أنّ اللَّهَ تعالى ذكرُه لمَّا ذكَر نقلَ اليمينِ مِن اللذين ظُهِر على خيانتِهما إلى الآخرَين ، قال : ﴿ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا ﴾ . ومعلومٌ أنّ أولياءَ الميتِ المدَّعِين قِبَلَ اللذين ظُهِر على خيانتِهما ، غيرُ جائزٍ أن يكونا شُهداءَ بمعنى الشهادةِ التى يُؤْخَذُ بها فى الحكمِ حقُّ مُدَّعًى عليه لمُدَّعٍ ؛ لأنه لا يُعلَمُ للَّهِ تعالى ذكرُه حكمٌ قضَى فيه لأحدٍ بدَعْواه ويمينِه على مُدَّعًى عليه ، بغيرِ بينةٍ ولا إقرارٍ مِن المُدَّعَى عليه ولا برهانٍ .

١١٨/٧

---

(١) فى م : « مما » .

(٢) فى ص ، ت ١ : « قبلنا » .

(٣) فى م : « إنه » .

(٤) فى م : « ائتمنا » .

(٥) فى م : « ائتمن » .

فإذ كان معلومًا أن قولَه : ﴿ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا ﴾ . إنما معناه : قَسَمُنا أحقُّ مِن قسَمِهما . وكان قسَمُ اللذين عُثِر على أنهما أثِما ، هو الشهادةَ التى ذكَر اللَّهُ تعالى ذكرُه فى قولِه : ﴿ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا ﴾ - صحَّ أن معنى قولِه : ﴿ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ ﴾ . بمعنى الشهادةِ فى قولِه : ﴿ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا ﴾ . وأنها بمعنى القسَمِ .

واختلَفت القرأةُ فى قراءةِ قولِه : ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ ﴾ ؛ فقرَأ ذلك قرأةُ الحجازِ والعراقِ والشامِ (مِن الذين استُحِقَّ عليهم الأَوْلَيان) . بضمِّ التاءِ[1] .

ورُوِى عن علىٍّ وأُبىِّ بنِ كعبٍ والحسنِ البصرىِّ أنهم قرَءوا ذلك : ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ﴾ . بفتحِ التاءِ[2] .

واختلَفت أيضًا فى قراءةِ قولِه : ﴿ ٱلْأَوْلَيَٰنِ ﴾ ؛ فقرَأته عامةُ قرأةِ أهلِ المدينةِ والشامِ والبصرةِ : ﴿ ٱلْأَوْلَيَٰنِ ﴾[3] .

وقرَأ ذلك عامةُ قرأةِ أهلِ الكوفةِ : « الأَوَّلِينَ »[4] .

وذُكِر عن الحسنِ البصرىِّ أنه كان يَقْرَأُ ذلك : (مِن الذين استَحَقَّ عليهم الأَوَّلان)[5] .

وأولى القراءتين بالصوابِ فى قولِه : ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ﴾ . قراءةُ مَن

---

(١) بضم التاء قرأ نافع وابن كثير - فى رواية- وابن عامر وأبو عمرو والكسائى وحمزة ، وأبو بكر عن عاصم . السبعة لابن مجاهد ص ٢٤٨.

(٢) وهى قراءة حفص عن عاصم . المصدر السابق .

(٣) وهى قراءة ابن كثير ونافع وأبى عمرو وابن عامر والكسائى ، وحفص عن عاصم . السبعة ص ٢٤٨، وينظر التيسير ص ٨٣.

(٤) وهى قراءة حمزة ، وأبى بكر عن عاصم . المصدر السابق .

(٥) والقراءة شاذة ، كما سيذكر المصنف فى ص ٩٩ . وينظر البحر المحيط ٤/ ٤٥.

قرأ بضمِّ التاءِ ؛ لإجماعِ الحجةِ مِن القرأةِ عليه ، مع مُتابَعةِ[1] عامةِ أهلِ التأويلِ على صحةِ تأويلِه[2] ، وذلك إجماعُ عامتِهم على أن تأويلَه : فآخران مِن أهلِ الميتِ الذين اسْتَحَقَّ المؤْتَمنان على مالِ الميتِ الإثمَ فيهم ، يَقومان مَقامَ المستحِقَّى[3] الإثمِ فيهما بخيانتِهما ما خانا مِن مالِ الميتِ .

وقد ذكَرْنا قائلى ذلك ، أو أكثرَ قائليه ، فيما مضَى قبلُ[4] ، ونحن ذاكِرو باقِيهم ، إن شاء اللَّهُ ذلك .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ تعالى ذكرُه : ﴿ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ ﴾ : أن يَموتَ المؤمنُ فيَحْضُرَ موتَه مسلمان أو كافران ، لا يَحْضُرُه غيرُ اثنين منهم ، فإن رضِى ورَثتُه ما عاجَل[5] عليه مِن تركتِه فذاك ، وحلَف الشاهدان إن اتُّهِما : إنهما لصادقان ، ﴿ فَإِنۡ عُثِرَ ﴾ : وُجِد لَطْخٌ[6] ، حلَف الاثنان الأَوْلَيان مِن الورثةِ ، فاسْتَحَقَّا ، وأبْطَلا أيمانَ الشاهدَيْن[7] .

وأَحْسَبُ أن الذين قرَءوا ذلك بفتحِ التاءِ أرادوا أن يُوَجِّهوا تأويلَه إلى : فآخران يقومان مقامَ المُؤْتَمَنين اللذين عُثِر على خيانتِهما فى القسَمِ ، والاسْتِحقاقِ

---

(١) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « مساعة » ، وفى م : « مساعدة » .

(٢) القراءتان متواترتان ، وليست إحداهما أولى بالصواب من الأخرى .

(٣) فى م : « المستحق » .

(٤) ينظر ما تقدم فى ص ٧٢ وما بعدها .

(٥) كذا فى النسخ ، وفى تفسير مجاهد : « شهدوا » ، وفى الدر المنثور : «غابا» .

(٦) سقط من : س ، وفى ص بقدر كلمتين ، وفى ت ١ ، ت ٢ ، ت٣ بقدر سطر ونصف ، وكتب فيه: كذا وجدت . وبعده فى مصدرى التخريج : « أو لبس أو تشبيه » .

ويقال : لُطِخ فلانٌ بشرٍّ: رمى به ، ولطخت فلانا بأمر قبيح : رميته به . والمراد هنا : الاتهام . ينظر اللسان والتاج (ل ط خ) .

(٧) تفسير مجاهد ص ٣١٨. وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٤٣/٢ إلى عبد بن حميد وأبى الشيخ .

به عليهما دَعْواهما قِبَلَهما ، مِن الذين اسْتَحق على المُؤْتَمنين على المالِ على خيانتِهما القيامَ مقامَهما في القسَمِ والاستحقاقِ[1] ، الأوْلَيان بالميتِ .

وكذلك كانت قراءةُ مَن رُوِيَت هذه القراءةُ عنه ، فقرَأ / ذلك : ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ[2] ﴾ ؛ ﴿ ٱسْتَحَقَّ[2] ﴾ بفتحِ التاءِ ، [3]و﴿ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ ﴾[3] . على معنى : الأوليان بالميتِ ومالِه . ١١٩/٧

وذلك مذهبٌ صحيحٌ ، وقراءةٌ غيرُ مدفوعةٍ صحتُها ، غيرَ أنا نَخْتارُ الأُخرى ؛ لإجماعِ الحجةِ مِن القرأةِ عليها ، مع موافقتِها التأويلَ الذي ذكَرْنا عن الصحابةِ والتابعين .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ آدمَ ، عن إسرائيلَ ، عن أبي إسحاقَ ، عن أبي عبدِ الرحمنِ وكُرَيْبٍ ، عن عليٍّ أنه كان يَقْرأُ : ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ ﴾[4] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا مالكُ بنُ إسماعيلَ ، عن حمادِ بنِ زيدٍ ، عن [5]واصلٍ مَوْلَى أبي عُيينةَ[5] ، عن يحيى بنِ عُقَيْلٍ ، عن يحيى بنِ يَعْمَرَ ، عن أُبيِّ بنِ كعبٍ أنه كان يَقْرأُ : ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ ﴾[6] .

وأما أولى القراءاتِ بالصوابِ في قولِه : ﴿ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ ﴾ . عندى ، فقراءةُ مَن

---

(١) بعده في م : « في » .

(٢) سقط من : م .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) عزاه السيوطى في الدر المنثور ٢/٣٤٤ إلى المصنف والفريابى وعبد بن حميد وأبى عبيد وابن المنذر وأبى الشيخ .

(٥ - ٥) في النسخ: «وائل مولى أبي عبيد» . وينظر تهذيب الكمال ٣٠/٤٠٨ .

(٦) عزاه السيوطى في الدر المنثور ٢/٣٤٤ إلى المصنف وعبد بن حميد وابن عدى عن أبي مجلز عن أبيّ بن كعب ، وفيه قصة .

قرأ : ﴿ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ ﴾[(١)] . بصحةِ[(٢)] معناها ؛ وذلك لأن[(٣)] معنى : ﴿ فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ [(٤)] عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ ﴾ : فآخران يقومان مَقامَهما مِن الذين استحقَّ[(٤)] فيهم الإثمُ . ثم حُذِف الإثمُ وأُقِيم مُقامَه الأوليان ؛ لأنهما هما اللذان ظلَما وأثِما فيهما ، بما كان مِن خيانةِ اللذين اسْتحَقَّا الإثمَ ، وعُثِر عليهما بالخيانةِ منهما ، فيما كان ائْتَمنهما عليه الميتُ . كما قد بيَّنا فيما مضَى مِن فعلِ العربِ مثلَ ذلك ؛ مِن حذفِهم الفعلَ اجتزاءً بالاسمِ ، وحذْفِهم الاسمَ اجْتزاءً بالفعلِ[(٥)] . ومِن ذلك ما قد ذكَرنا فى تأويلِ هذه القصةِ ، [٧٣٦/١ظ] وهو قولُه : ﴿ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ﴾ . ومعناه : أن يَشْهَدَ اثنان . وكما قال : ﴿ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا ﴾ . فقال : ﴿ به ﴾ . فعاد بالهاءِ على اسمِ اللَّهِ ، وإنما المعنى : لا نَشْتَرِى بقسَمِنا باللَّهِ . فاجْتُزِئَ بالعودِ على اسم اللَّهِ بالذكرِ ، والمرادُ به : لا نَشْتَرِى بالقسمِ باللَّهِ . اسْتِغْناءً[(٦)] بفهمِ السامعِ بمعناه مِن[(٧)] ذكرِ اسمِ القسمِ . وكذلك اجتُزِئ بذكرِ الأَوْلَيَيْن مِن ذكرِ الإثمِ الذى اسْتَحَقه الخائنان لخيانتِهما إياهما[(٨)] ، إذ كان قد جرَى ذكرُ ذلك بما أغْنَى السامعَ عندَ سَماعِه إياه مِن[(٧)] إعادتِه ، وذلك قولُه : ﴿ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا ﴾ .

وأما الذين قرءوا ذلك : (الأوَّلِينَ) . فإنهم قصَدوا فى معناه إلى الترجمةِ به عن ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ . فأخرَجوا ذلك على وجه الجمعِ ، إذ كان ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾

---

(١) بل قراءة (الأوليان) و(الأوَّلين) كلتاهما صواب ، وليست إحداهما أولى من الأخرى .

(٢) الباء هنا للسببية . وينظر مغنى اللبيب بحاشية الأمير ٩٧/١، والجنى الدانى ص ٣٩.

(٣) سقط من : ص ، ت ١.

(٤ - ٤) سقط من النسخ ، والمثبت من تحقيق الشيخ شاكر .

(٥) يعنى بالفعل هنا المصدر كما تقدم .

(٦) فى ص ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « استغنى » .

(٧) فى م : « عن » .

(٨) فى م : « إياها » .

جميعًا[١] ، وخفضًا ؛ إذ كان ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ . مخفوضًا . وذلك وجهٌ مِن التأويلِ ، غيرَ أنه إنما يُقالُ للشيءِ : أوَّلٌ . إذا كان له آخِرٌ هو له أوَّلٌ ، وليس للذين اسْتحقَّ عليهم الإثمُ آخِرٌ ، هم له أولٌ ، بل كانت أيمانُ الذين عُثِر على أنهما استحقَّا إثمًا قبلَ أيمانِهم ، فهم إلى أن يكونوا - إذ كانت أيمانُهم آخِرًا - أولى أن يكونوا آخِرين مِن أن يكونوا أولِين ، وأيمانُهم آخِرةٌ لأُولى قبلَها .

وأما القراءةُ التى حُكِيَت عن الحسنِ ، فقراءةٌ عن قراءةِ الحجةِ مِن القرأةِ شاذةٌ ، وكفَى بشُذوذِها عن قراءتِهم دليلًا على بُعدِها مِن الصوابِ .

واختلَف أهلُ العربيةِ فى الرافعِ لقولِه : ﴿ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ ﴾ . إذا قُرِئَ كذلك ؛ فكان[٢] بعضُ نحويى البصرةِ يَزْعُمُ أنه رُفِع ذلك بدلًا مِن ﴿فَـَٔاخَرَانِ﴾ فى قولِه : ﴿ فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا ﴾ . وقال : إنما جاز أن يُبْدَلَ ﴿ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ ﴾ وهو معرفةٌ ، مِن ﴿فَـَٔاخَرَانِ﴾ وهو نكرةٌ ؛ لأنه حينَ قال : ﴿ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ﴾ . كان كأنه قد حدَّهما حتى صارا كالمعرفةِ فى المعنى ، فقال : الأَوْلَيان . فأجْرَى المعرفةَ عليهما بدلًا . قال : ومثلُ هذا مما يَجْرِى على المعنى كثيرٌ . واستشهَد لصحةِ قولِه ذلك بقولِ الراجزِ[٣] :

/علـــىَّ يومَ يَمْلِكُ الأُمُورَا ١٢٠/٧
صومَ شُهورٍ وجَبَت نُذُورَا
وبادِنًا[٤] مُقَلَّدًا مَنْـــحورَا

(١) فى م : « جمعا » .

(٢) فى ص ، م ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فقال » .

(٣) سيأتى فى ١٦/٥٥٣ .

(٤) البادن : السمين الجسيم ، ويريد هنا البَدَنة ، وهى الناقة أو البقرة تنحر بمكة ، سميت بذلك لأنهم كانوا يسمنونها . الصحاح واللسان (ب د ن) .

قال : فجعَله : عليَّ واجبٌ ؛ لأنه فى المعنى قد أُوجِبَ .

وكان بعضُ نحويى الكوفةِ يُنْكِرُ ذلك ويقولُ : لا يَجوزُ أن يَكونَ ﴿ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ ﴾ بدلًا مِن ﴿ ءَاخَرَانِ﴾ مِن أجلِ أنه قد نسَق[1] ﴿ فَيُقْسِمَانِ ﴾ على ﴿ يَقُومَانِ ﴾ فى قولِه : ﴿ فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ ﴾ . فلم يَتِمَّ الخبرُ بعدَ[2] ﴿ مِنَ ﴾[3] . قال : و[4] لا يَجوزُ الإبدالُ قبلَ إتمامِ الخبرِ . و[5] قال : غيرُ جائزٍ : مررْتُ برجلٍ قام زيدٍ وقعَد . وزيدٌ بدلٌ مِن رجلٍ .

والصوابُ مِن القولِ فى ذلك عندى أن يقالَ : ﴿ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ ﴾ . مرفوعان بما لم يُسَمَّ فاعلُه ، وهو قولُه : (اسْتُحِقَّ عليهم) ، وأنهما وُضِعا[6] موضعَ الخبرِ عنهما ، فعمِل فيهما ما كان عاملًا فى الخبرِ عنهما ؛ وذلك أن معنى الكلامِ : فآخران يقومان مَقامهما من الذين استُحِقَّ عليهم الإثمُ بالخيانةِ . فوُضِع ﴿ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ ﴾ موضعَ الإثمِ ، كما قال تعالى ذكرُه فى موضعٍ آخرَ ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ﴾ [التوبة : ١٩] . ومعناه : أجعلتُم سقايةَ الحاجِّ وعمارةَ المسجدِ الحرامِ كإيمانِ مَن آمن باللَّهِ واليومِ الآخرِ ؟ وكما قال : ﴿ وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾ [البقرة : ٩٣] . وكما قال بعضُ الهُذليين[7] :

يُمَشِّى بيننا حانوتُ خمرٍ مِن الخُرْسِ الصَّراصِرةِ القِطاطِ[8]

وهو يعنى : صاحبُ حانوتِ خمرٍ . فأقام الحانوتَ مُقامَه ؛ لأنه معلومٌ أن

(١) نسق : عطف .

(٢) فى م : « عند » .

(٣) يعنى : بعد قوله ﴿ من الذين استحق عليهم الأوليان﴾ .

(٤) زيادة يستقيم بها السياق .

(٥) فى النسخ : « كما » . والمثبت ما يستقيم به السياق .

(٦) سقط من : م .

(٧) هو المتنخل الهذلى ، والبيت فى ديوان الهذليين ٢/ ٢١ .

(٨) والخرس الصراصرة: أعاجم من نبط الشام يقال لهم الصراصرة ، والقطاط : الجعاد ، والواحد : قطط ، وهو أشد الجعودة . شرح أشعار الهذليين ٣/ ١٢٦٨ .

الحانوتَ لا يَمْشِى ، ولكن لما كان معلومًا عندَه أنه لا يَخْفَى على سامعِه ما قصَد إليه مِن معناه ، حذَف الصاحبَ ، واجْتَزَأ بذكرِ الحانوتِ منه . فكذلك قولُه : (مِن الذين اسْتُحِقَّ عليهم الأوليان) . إنما هو : مِن الذين استُحِق فيهم خيانتُهما . فحُذِفَت الخيانةُ ، وأُقِيم المختانان مُقامَهما[1] ، فعَمِل فيهما ما كان يَعْمَلُ فى المحذوفِ لو ظهَر .

وأما قولُه ﴿ عَلَيْهِمُ ﴾ . فى هذا الموضعِ ، فإن معناها : فيهم . كما قال تعالى : ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ﴾ [البقرة: ١٠٢] . يعنى : فى ملكِ سليمانَ . وكما قال : ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾ [طه: ٧١] . فـ « فى » تُوضَعُ فى[2] موضعِ « على » ، و « على » فى موضعِ « فى » ، وكلٌّ واحدةٍ منهما تُعاقِبُ صاحبتَها فى الكلامِ ، ومنه قولُ الشاعرِ[3] :

متى ما تُنْكِروها تَعْرِفوها ... على أقْطارِها عَلَقٌ نَفِيثُ[4]

/ وقد تأوَّلَت جماعةٌ مِن أهلِ التأويلِ قولَ اللَّهِ تعالى ذكرُه : ﴿ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ ﴾ . أنهما رجلان آخران مِن المسلمين ، أو رجلان أعْدَلُ مِن المُقْسِمَيْن الأوَّلَين . ١٢١/٧

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ المثنى ، قال : ثنا عبدُ الأعلى ، قال : ثنا داودُ بنُ أبى هندٍ ، عن عامرٍ ، عن شريحٍ فى هذه الآيةِ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ

---

(١) فى م : « مقامها » .

(٢) سقط من : م .

(٣) هو أبو المثلم الهذلى ، ديوان الهذليين ٢/ ٢٢٤. ونسبه الأصمعى - وتبعه ابن قتيبة فى المعانى الكبير ٩٦٩/٢- إلى صخر الغى ، ورد ذلك ابن السيد البطليوسى فى الاقتضاب ٣/ ٣٨١.

(٤) أقطارها : نواحيها ، والعلق : الدم ، نفيث: منفوث من الفم . شرح أشعار الهذليين ١/ ٢٦٤.

﴿ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ . قال : إذا كان الرجلُ بأرضِ غُرْبةٍ ، ولم يَجِدْ مسلمًا يُشْهِدُه على وصيتِه ، فأشْهَد يهوديًّا ، أو نصرانيًّا ، أو مجوسيًّا ، فشهادتُهم جائزةٌ ، فإن جاء رجلان [٧٣٧/١و] مسلمان فشهِدا بخلافِ شَهادتِهم ، أُجيزَت شهادةُ المسلمَيْن ، وأُبْطِلَت شهادةُ الآخَرَيْن [1] .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿فَإِنْ عُثِرَ﴾ : أى : اطُّلِع منهما على خيانةٍ ، على أنهما كذَبا أو كتَما ، فشهِد رجلان هما أعدلُ منهما بخلافِ ما قالا ، أُجيزَت شهادةُ الآخَرَيْن ، وأُبطِلت شهادةُ الأوَّلَين [2] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا جريرٌ ، عن عبدِ الملكِ ، عن عطاءٍ ، قال : كان ابنُ عباسٍ يَقْرَأُ : (من الذين استَحَقَّ عليهم الأَوَّلين) [3] . وقال : كيف يَكونُ الأَوْلَيان ، أرأَيْتَ لو كان الأَوْلَيان صغيرين [4] ؟

حدَّثنا هنادٌ وابنُ وكيعٍ ، قالا : ثنا عَبْدةُ ، عن عبدِ الملكِ ، عن عطاءٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : كان يَقْرَأُ : (مِن الذين اسْتَحَقَّ عليهم الأوَّلين) . قال : وقال : أرَأَيْتَ لو كان الأَوْلَيان صغيرَيْن ، كيف يقومان مَقامَهما [5] ؟

قال الإمامُ أبو جعفرٍ : فذهَب ابنُ عباسٍ فيما أرَى ، إلى نحوِ القولِ الذى حكَيْتُ عن شُريحٍ وقتادةَ ، مِن أن ذلك رجلان آخران مِن المسلمين يقومان مقامَ

---

(١) تقدم تخريجه فى ص ٦٣ ، ٦٤.

(٢) تقدم تخريجه فى ص ٨٤.

(٣) فى معانى القرآن : يجعله نعتا لـ «الذين» . فظاهره أن قراءته بالجمع : « الأوَّلِين » . وظاهر كلام المصنف هنا أن قراءته : « الأَوَّلَيْنِ » ، وكذا ضبطه الشيخ شاكر . وهذه القراءة الأخيرة مروية عن ابن سيرين ، وهى شاذة ونقل القرطبى فى تفسيره ٣٥٩/٦ عن النحاس أنها لحن . فالله أعلم .

(٤) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٨٦٠ - تفسير) من طريق عمرو بن دينار عن عطاء به .

(٥) أخرجه الفراء فى معانى القرآن ٣٢٤/١ عن قيس بن الربيع عن عطاء به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٤٤/٢ إلى أبى عبيد وعبد بن حميد وأبى الشيخ .

النَّصْرانيَّين ، أو عَدْلان مِن المسلمين ، هما أعدلُ وأجوزُ شهادةً مِن الشاهدَيْن الأوَّلَيْن ، أو المُقسِمَين .

وفى إجماعِ جميعِ أهلِ العلمِ على ألَّا حكمَ للَّهِ تعالى ذكرُه يَجبُ فيه على شاهدٍ يمينٌ فيما قام به مِن الشهادةِ ، دليلٌ واضحٌ على أن غيرَ هذا التأويلِ الذى قاله الحسنُ ، ومَن قال بقولِه فى قولِ اللَّهِ تعالى : ﴿ فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا ﴾ . أولى به .

وأما قولُه : ﴿ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ ﴾ . فإن معناه عندَنا : الأَوْلى بالميتِ مِن المُقْسِمَيْن الأوَّلَيْن فالأَوْلَى . وقد يَحْتَمِلُ أن/ يكونَ معناه : الأَوْلى باليمينِ منهما فالأَوْلَى . ثم حُذف « منهما »[1] . والعربُ تَفْعَلُ ذلك ، فتقولُ : فلانٌ أفضلُ . وهى تُريدُ : أفضلُ منك . وذلك إذا وُضِع « أفعلُ » موضعَ الخبرِ ، وإن وقَع موقعَ الاسمِ ، وأُدْخِلَت فيه الألفُ واللامُ ، فعَلوا ذلك أيضًا ، إذا كان جوابًا لكلامٍ قد مضَى ، فقالوا : هذا الأفضلُ ، وهذا الأشرفُ . يُريدون : هو الأشرفُ منك .

١٢٢/٧

وقال ابنُ زيدٍ : معنى ذلك : الأَوْلَيان بالميتِ .

حدَّثنى يونُسُ ، عن ابنِ وهبٍ عنه[2] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَـٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَـٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : فيُقْسِمُ الآخَران اللذان يَقومان مَقامَ اللذَين عُثِر على أنهما استَحَقَّا إثمًا بخيانتِهما مالَ الميتِ ، الأَوْلَيان باليمينِ والميِّتِ مِن الخائنَين ، ﴿ لَشَهَـٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَـٰدَتِهِمَا ﴾ . يقولُ : لأيمانُنا أحقُّ مِن أيمانِ المقسمَيْن

(١) سقط من : س ، وفى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت٣: «فيهما» . وهكذا رسمت فى ص إلا أنها غير منقوطة .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٣٤٤ إلى المصنف .

المستحقِّين الإثمَ ، وأيمانِهما الكاذبةِ ، فى أنهما قد خانا فى كذا وكذا مِن مالِ ميِّتِنا ، وكذَبا[1] فى أيمانِهما التى حلَفا بها ، ﴿ وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ ﴾ . يقولُ : وما تجاوَزْنا الحقَّ فى أيمانِنا .

وقد بيَّنا أن معنى الاعتداءِ المجاوَزةُ فى الشىءِ حدَّه[2] .

﴿ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ . يقولُ : إنا إن كنا اعْتَدَيْنا فى أيمانِنا ، فحلَفْنا مُبْطِلِين فيها كاذِبِين ، ﴿ لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ . يقولُ : [3]لِمن عِدادِ[3] مَن يَأْخُذُ ما ليس له أخْذُه ، ويَقْتَطِعُ بأيمانِه الفاجرةِ أموالَ الناسِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه عز وجل : ﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ﴾ .

يعنى تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ : هذا الذى قلتُ لكم فى أمرِ الأوْصياءِ إذا ارْتَبْتُم بأمرِهم[4] ، واتَّهَمْتُموهم بخيانةٍ لمالِ مَن أوْصَى إليهم ، مِن حبسِهم بعدَ الصلاةِ ، واستحلافِكم إياهم على ما ادَّعَى قِبَلَهم أولياءُ الميتِ ، ﴿ أَدْنَىٰٓ ﴾ لهم ، ﴿ أَن يَأْتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ ﴾ . يقولُ : هذا الفعلُ إذا فعَلْتُم بهم ، أقربُ لهم أن يَصْدُقوا فى أيمانِهم ، ولا يَكْتُموا ، ويُقِرُّوا بالحقِّ ، ولا يَخُونوا ، ﴿ أَوْ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ﴾ . يقولُ : أو يَخافَ هؤلاءِ الأوصياءُ إن عُثِر عليهم أنهم اسْتَحَقُّوا إثمًا فى أيمانِهم باللَّهِ ، أن تُرَدَّ أيمانُهم على أولياءِ الميتِ بعدَ أيمانِهم التى عُثِر عليها أنها كذبٌ ، فيَسْتَحِقُّوا بها ما ادَّعَوْا قِبَلَهم مِن حقوقِهم ، فيَصْدُقوا حينَئذٍ فى أيمانِهم

---

(١) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « كذا » .

(٢) ينظر ما تقدم فى ٢/ ٣٢ .

(٣ - ٣) فى م : « لممن عدا و » .

(٤) فى م ، ت ٢ : « فى أمرهم » .

وشهادتِهم ؛ مخافةَ الفَضيحةِ على أنفسِهم ، وحذَرًا أن يَسْتَحِقَّ عليهم ما خانوا فيه أولياءَ الميتِ وورثته .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ ، وقد تقدَّمَت الروايةُ بذلك عن بعضِهم ، ونحن ذاكرو الروايةِ فى ذلك عن بعضِ مَن بقِى منهم .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، /عن ابنِ عباسٍ : ﴿ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا ﴾ . يقولُ : إن اطُّلِع على أن الكافرَيْن كذَبا ، ﴿ فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا ﴾ . يقولُ : مِن الأولياءِ[1] ، فحلَفا باللَّهِ : إن شهادةَ الكافرَيْن باطلةٌ ، وإنَّا لم نَعْتَدِ . فتُرَدُّ شهادةُ الكافرَيْن ، وتَجوزُ شهادةُ الأولياءِ . يقولُ تعالى ذكرُه : ﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن [2] يَأْتُوا ﴾ : الكافرون[2] ، ﴿ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ﴾ . وليس على شهودِ المسلمين إقْسامٌ ، وإنما الإقسامُ إذا كانوا كافرين[3] .

١٢٣/٧

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ الآية . يقولُ : ذلك أحْرَى أن يَصْدُقوا فى شهادتِهم ، وأن يَخافوا العَقِبَ[4] .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ أَوْ

---

(١) فى س: «الأوليان» ، وينظر ص ٨٣ .

(٢ - ٢) فى ص : « أن يأتوا الكافرين » ، وفى م ، ت ٢ : « يأتى الكافرون » ، وفى ت ١، ت ٣، س : «يأتوا» ، وفى الناسخ للنحاس : « يأتوا أى أن يأتى الكافران » ، وفى الدر المنثور : « يأتى الكافران » .

(٣) تقدم تخريجه فى ص ٧٣.

(٤) فى م ، وتفسير ابن أبى حاتم : «العقاب» . والمراد بالعقب العاقبة ، أى عاقبة كذبهما فى اليمين .

والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/ ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، (٦٩٦٢، ٦٩٦٦، ٦٩٦٩) من طريق يزيد به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٣٤٤ إلى ابن المنذر وأبى الشيخ .

﴿ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْۗ ﴾ . قال : فتَبْطُلَ أيمانُهم ، وتُؤْخَذَ أيمانُ هؤلاءِ[1] .

وقال آخرون : معنى ذلك : تَحْبِسونهما مِن بعدِ الصلاةِ ، ذلك أدنى أن يَأْتُوا بالشهادةِ على وجهِها ، [2]وعلى[2] أنهما اسْتَحَقَّا إثمًا ، فآخَران يقومان مَقامَهما .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ [١/٧٣٧ظ] بنُ مُفَضَّلٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ ، قال : يُوقَفُ الرجلان بعدَ صلاتِهما في دينِهما ، فيَحْلِفان باللَّهِ : لا نَشْتَرِي به ثمنًا قليلًا ولو كان ذا قُرْبى ، ولا نَكْتُمُ شهادةَ اللَّهِ ، إنا إذن لمن الآثِمِين ، إن صاحبَكم لَبِهذا أوْصَى ، وإن هذه لَتركتُه . فيقولُ لهما الإمامُ قبلَ أن يَحْلِفا : إنكما إن كنتما كتَمْتُما أو خُنْتُما ، فضَحْتُكما في قومِكما ، ولم تَجُزْ[3] لكما شهادةٌ ، وعاقَبْتُكما . فإذا قال لهما ذلك ، فإن ذلك أدنى أن يَأْتُوا بالشهادةِ على وجهِها[4] .

القولُ في تأويلِ قولِه عز ذكرُه : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : وخافُوا اللَّهَ أيُّها الناسُ ، وراقِبوه في أيمانِكم ، أن تَحْلِفُوا بها كاذبةً ، وأن تُذْهِبوا بها مالَ مَن يَحْرُمُ عليكم مالُه ، وأن تَخونوا مَن ائْتَمَنكم ، ﴿ وَٱسْمَعُواْۗ ﴾ . يقولُ : اسْمَعوا ما يُقالُ لكم ، وما تُوعَظون به ، فاعْمَلوا به ، وانْتَهُوا إليه ، ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ . يقولُ : واللَّهُ لا يُوَفِّقُ مَن فسَق عن أمرِ ربِّه ، فخالَفه وأطاع الشيطانَ وعصَى ربَّه .

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٣٤٤ إلى المصنف .

(٢ - ٢) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « على » .

(٣) في م : « أجز » .

(٤) تقدم تخريجه في ص ٧٨ .

وكان ابنُ زيدٍ يقولُ : الفاسقُ فى هذا الموضعِ هو الكاذبُ .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ : الكاذِبِين الذين[1] يَحْلِفون على الكذبِ[2] .

وليس الذى قال ابنُ زيدٍ مِن ذلك عندى بمدفوعٍ ، إلا أن اللَّهَ تعالى ذكرُه عمَّ الخبرَ بأنه لا يَهْدِى جميعَ الفُسَّاقِ ، ولم يُخَصِّصْ منهم بعضًا دونَ بعضٍ ، بخبرٍ ولا عقلٍ ، فذلك على معانى الفسقِ كلِّها ، حتى يُخَصِّصَ شيئًا منها ما يَجِبُ التسليمُ له ، فيُسَلَّمُ له .

ثم اختَلَف أهلُ العلمِ فى حكمِ هاتين الآيتين ، هل هو منسوخٌ أو هو مُحْكَمٌ ثابتٌ ؟ **فقال بعضُهم** : هو منسوخٌ .

ذكرُ مَن قال ذلك

/**حدَّثنا** أبو كريبٍ ، قال : ثنا ابنُ إدريسَ ، عن رجلٍ قد سمَّاه ، عن حمادٍ ، عن إبراهيمَ ، قال : هى منسوخةٌ . ١٢٤/٧

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : هى منسوخةٌ . يعنى هذه الآيةَ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ ﴾ الآية[3] .

وقال جماعةٌ : هى مُحْكَمَةٌ وليست بمنسوخةٍ . وقد ذكَرْنا قولَ أكثرِهم فيما مضَى .

---

(١) سقط من النسخ ، والمثبت من تفسير ابن أبى حاتم والدر المنثور .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٢٣٥ (٦٩٦٨) من طريق أصبغ بن الفرج عن ابن زيد به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/ ١٢٣٤، ١٢٣٥ (٦٩٦٥) ، والبيهقى ١٠/١٦٤ من طريق محمد بن سعد به .

والصوابُ مِن القولِ في ذلك أن حكمَ الآيةِ غيرُ[(١)] منسوخٍ ، وذلك أن مِن حكمِ اللَّهِ تعالى ذكرُه ، الذي عليه أهلُ الإسلامِ مِن لَدُنْ بعثَ اللَّهُ تعالى ذكرُه نبيَّه محمدًا ﷺ إلى يومِنا هذا ، أن مَن ادُّعِي عليه دَعْوَى مما يَمْلِكُه بنو آدمَ ، أن المُدَّعَى عليه لا يُبَرِّئُه مما ادُّعِي عليه إلا اليمينُ ، إذا لم يَكُنْ للمُدَّعِي بيِّنةٌ تُصَحِّحُ دَعواه ، وأنه إن اعْتَرَف[(٢)] في[(٣)] يَدِ المُدَّعَى عليه[(٤)] سِلْعةً له ، فادَّعَى أنها له دونَ الذى في يدِه ، فقال الذى هى في يدِه : بل هى لى ، اشْتَرَيْتُها مِن هذا المُدَّعِي . أن القولَ قولُ مَن زعَم الذى هى في يدِه أنه اشْتَراها منه ، دونَ مَن هى في يدِه ، مع يمينِه ، إذا لم يَكُنْ للذى هى في يدِه بينةٌ تُحَقِّقُ به دَعْواه الشراءَ منه .

فإذ كان ذلك حكمَ اللَّهِ الذى لا خلافَ فيه بينَ أهلِ العلمِ ، وكانت الآيتان اللتان ذكَر اللَّهُ تعالى ذكرُه فيهما أمْرَ وصيةِ المُوصِي إلى عدْلَين مِن المسلمين ، أو إلى آخرَيْن مِن غيرِهم ، إنما ألْزَم النبيُّ ﷺ فيما ذُكِر عنه الوصيَّين اليمينَ حينَ ادَّعَى عليهما الورثةُ ما ادَّعَوْا ، ثم لم يُلْزِمِ المدَّعَى عليهما شيئًا إذ حلَفا ، حتى اعْتَرَفَت الورثةُ في أيديهما ما اعْتَرَفوا مِن الجامِ أو الإبْريقِ أو غيرِ ذلك مِن أموالِهم ، فزعَما أنهما اشْتَرَياه مِن ميتِهم ، فحينَئذٍ ألْزَم النبيُّ ﷺ ورثةَ الميِّتِ اليمينَ ؛ لأن الوصيَّين تحَوَّلا مُدَّعِيَيْن بدَعْواهما ما وجَدا في أيديهما مِن مالِ الميِّتِ ، أنه لهما ، اشْتَرَيا[(٥)] ذلك منه ، فصارا مُقِرَّين بالمالِ للميتِ ، مدَّعِيَيْن منه الشراءَ ، فاحْتاجا حينَئذٍ إلى بينةٍ تُصَحِّحُ دَعْواهما ، وصارَتْ[(٦)] وَرَثةُ الميتِ ربَّ السلعةِ أولى باليمينِ منهما ، فذلك

---

(١) سقط من النسخ ، ولابد منها ، وكلام المصنف دال على ذلك .

(٢) اعترف : عرف . التاج (ع ر ف) .

(٣) في م : « وفى » .

(٤) زيادة يقتضيها السياق .

(٥) في ص : « شراه » .

(٦) سقط من : م .

قولُه تعالى ذكرُه : ﴿ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَـٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَـٰدَتِهِمَا ﴾ الآية .

فإذ كان تأويلُ ذلك كذلك ، فلا وجهَ لدعْوَى مُدَّعٍ أن هذه الآيةَ منسوخةٌ ؛ لأنه غيرُ جائزٍ أن يُقْضَى على حكمٍ مِن أحكامِ اللَّهِ تعالى ذكرُه أنه منسوخٌ ، إلا بخبرٍ يَقْطَعُ العذرَ ؛ إما مِن عندِ اللَّهِ ، أو مِن عندِ رسولِه ﷺ ، أو بورودِ النقلِ المستفيضِ بذلك ، فأما ولا خبرَ بذلك ، ولا يَدْفَعُ صحتَه عقلٌ ، فغيرُ جائزٍ أن يُقْضَى عليه بأنه منسوخٌ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ ۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : واتَّقوا اللَّهَ أيُّها الناسُ ، واسْمَعُوا وَعْظَه إياكم ، وتذكيرَه لكم ، واحْذَروا يومَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرسلَ . ثم حذَف « واحْذَروا » ، واكْتَفى بقولِه : ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ﴾ مِن[1] إظهارِه ، كما قال الراجزُ[2] :

/علَفْتُها تِبْنًا وماءً بارِدًا حتى شَتَتْ[3] هَمَّالةً عَيْناها ١٢٥/٧

يُريدُ : وسقَيْتُها ماءً باردًا . فاسْتُغْنِى بقولِه : علَفْتُها تِبْنًا . مِن إظهارِ « سقَيْتُها » ، إذ كان السامعُ إذا سمِعه عرَف معناه ، فكذلك فى قولِه : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ ﴾ . حذَف « واحْذَرُوا » ؛ لعلمِ السامعِ معناه ، اكْتِفاءً بقولِه : ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ﴾ . إذ كان ذلك تَحْذيرًا مِن أمرِ اللَّهِ تعالى ذكرُه خلقَه عقابَه على مَعاصِيه .

وأما قولُه : ﴿ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ﴾ . فإنه يعنى به: ما الذى أجابَتْكم به أُمَمُكم حينَ

---

(١) فى م : « عن » .

(٢) تقدم تخريجه فى ١/ ٢٧١.

(٣) فى م : « غدت » .

دعَوْتُموهم إلى توْحيدى ، والإقرارِ بى ، والعملِ بطاعتى ، والانتهاءِ عن معصيتى ؟ ﴿ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا ﴾ .

فاختَلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ ذلك ؛ فقال بعضُهم - يعنى[1] قولَهم : ﴿ لَا عِلْمَ لَنَا ﴾ -: لم يَكُنْ ذلك مِن الرسلِ إنكارًا أن يَكونوا كانوا عالمين بما عمِلَت أممُهم ، ولكنهم ذهِلوا عن الجوابِ مِن هَوْلِ ذلك اليومِ ، ثم أجابوا بعدَ أن ثابَت إليهم عقولُهم بالشَّهادةِ على أممِهم .

[١/٧٣٨و] ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ مُفَضَّلٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا ﴾ : فذلك[2] أنهم لما نزَلوا منزلًا ذهِلَت فيه العقولُ ، فلما سُئِلوا قالوا : ﴿ لَا عِلْمَ لَنَا ﴾ . ثم نزَلوا منزلًا آخَر ، فشهِدوا على قومِهم[3] .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا حكامٌ ، عن عَنْبَسةَ ، قال : [4]سمِعتُ شَيخًا يقولُ[4] : سمِعْتُ الحسنَ يقولُ فى قولِه : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ ﴾ الآية . قال : مِن هولِ ذلك اليومِ[5] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرنا الثوريُّ ، عن

---

(١) فى ص ، م : « معنى » .

(٢) فى ص ، ت ١ : « بذلك » ، وفى م : « قال : ذلك » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم ١٢٣٦/٤ (٦٩٧٣) من طريق أحمد بن مفضل به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٣٤٤ إلى أبى الشيخ .

(٤ - ٤) سقط من النسخ والمثبت من تفسير ابن كثير عن المصنف .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٣٥/٤ (٦٩٧١) من طريق عنبسة به ، وذكره ابن كثير فى تفسيره ٢١٧/٣ عن المصنف ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٤٤/٢ إلى أبى الشيخ .

الأعمشِ ، عن مُجاهدٍ في قولِه : ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾ : فيَفزَعون ، فيقولُ : ماذا أُجِبتُم ؟ فيقولون : ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾[(١)] .

وقال آخرون : معنى ذلك : لا علمَ لنا إلا ما علَّمْتَنا .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : ثنا مُؤَمَّلٌ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن الأعمشِ ، عن مجاهدٍ في قولِه : ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾ . فيقولون : ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ [(٢)]إلا [(٣)]ما علَّمْتَنا[(٣)] ، ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾[(٢)][(٤)] .

/وقال آخرون : معنى ذلك : قالوا : لا علمَ لنا ، إلا علمٌ أنت أعلَمُ به منا . ١٢٦/٧

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثني معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن عليِّ بنِ أبي طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ : إلا علمٌ أنت أعلمُ به منا[(٥)] .

وقال آخَرون : معنى ذلك : ﴿مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾ : ماذا عمِلوا بعدَكم ؟ وماذا أحْدَثوا ؟

---

(١) تفسير سفيان ص١٠٥ ، وتفسير عبد الرزاق ٢٠١/١ .

(٢ - ٢) سقط من : ت ١ .

(٣ - ٣) سقط من : س .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ١٢٣٦/٤ (٦٩٧٢) من طريق سفيان به ، وفيه زيادة : «فترد إليهم أفئدتهم فيعلمون» .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم ١٢٣٦/٤ (٦٩٧٥) من طريق أبي صالح به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٤٤/٢ إلى ابن المنذر .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ قولَه : ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْۖ﴾ : ماذا عمِلوا بعدَكم ؟ وماذا أحْدَثوا بعدَكم ؟ ﴿قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾[1] .

وأولى الأقوالِ بالصوابِ قولُ من قال : معناه : لا علمَ لنا إلا علمٌ أنت أعلمُ به منا ؛ لأنه تعالى ذكرُه أخْبَر عنهم أنهم قالوا : ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ . أىْ : إنك لا يَخْفَى عليك ما عندَنا مِن علمِ ذلك ولا غيرِه ، مِن خَفىِّ العلومِ وجليِّها[2] ، فإنما نفَى القومُ أن يَكونَ لهم بما سُئِلوا عنه مِن ذلك علمٌ لا يَعْلَمُهُ هو تعالَى ذكرُه ، لا أنهم نَفَوْا أن يكونوا عَلِموا ما شاهَدوا ، كيف يجوزُ أن يكونَ ذلك كذلك وهو تعالى ذكرُه يُخْبِرُ عنهم أنهم يُخْبِرون بما أجابَتهم به الأُمَمُ ، وأنهم يَستشهدون[3] على تبليغِهم الرسالةَ شُهداءَ ، فقال تعالى ذكرُه : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

وأما الذى قاله ابنُ جُريجٍ مِن أن معناه : ماذا عمِلت الأُمَمُ بعدَكم ؟ وماذا أحْدَثوا ؟ فتأويلٌ لا معنَى له ؛ لأن الأنبياءَ لم يَكُنْ عندَها مِن العلمِ بما يَحْدُثُ بعدَها إلا ما أعْلَمَها اللَّهُ مِن ذلك ، وإذا سُئِلَت عما عمِلَت الأُمَمُ بعدَها ، والأمرُ كذلك ، فإنما يُقالُ لها : ماذا عرَّفْناك أنه كائنٌ منهم بعدَك ؟ وظاهرُ خبرِ اللَّهِ تعالى ذكرُه عن مسألتِه إياهم ، يَدُلُّ على غيرِ ذلك .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ

(١) ينظر البحر المحيط ٤/ ٤٨، وتفسير ابن كثير ٣/ ٢١٧.

(٢) فى ص ، ت ١، س : «جليله» .

(٣) فى م : « سيشهدون » .

وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ .

١٢٧/٧ / يقولُ تعالى ذكرُه لعبادِه : احْذَروا يومَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرسلَ فيَقولُ لهم : ماذا أجابَتكم أممُكم فى الدنيا ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ .

فـ ﴿ إِذْ ﴾ مِن صلةِ ﴿ أُجِبْتُمْ ﴾ . كأن معناها : ماذا أجابَت عيسى الأممُ التى أُرْسِل إليها عيسى .

فإن قال قائلٌ : وكيف سُئِلَت الرسلُ عن إجابةِ الأممِ إياها فى عهدِ عيسى ، ولم يَكُنْ فى عهدِ عيسى مِن الرسلِ إلا أقلُّ[(١)] ذلك ؟

قيل : جائزٌ أن يَكونَ اللَّهُ تعالى ذكرُه عنَى بقولِه : ﴿ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ﴾ . الرسلَ الذين كانوا أُرْسِلوا فى عهدِ عيسى ، فخرَج الخبرُ مخرجَ الجميعِ ، والمرادُ منهم مَن كان فى عهدِ عيسى ، كما قال تعالى ذكرُه : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ ﴾ [آل عمران : ١٧٣] . والمرادُ واحدٌ مِن الناسِ ، وإن كان مخرجُ الكلامِ على جميعِ الناسِ .

ومعنى[(٢)] : ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ ﴾ : حينَ قال اللهُ[(٣)] ، ﴿ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ . يقولُ : يا عيسى ، اذْكُرْ أيادىَّ عندَك وعندَ والدتِك ، إذ قوَّيْتُك بروحِ القُدُسِ وأعنْتُك به .

وقد اخْتَلَف أهلُ العربيةِ فى ﴿ أَيَّدتُّكَ ﴾ ؛ ما هو مِن الفعلِ ؟ فقال بعضُهم : هو فعَّلْتُك ، كما[(٤)] قولُك : قوَّيْتُك . فعَّلْتُ مِن القوّةِ .

---

(١) بعده فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، س : « من » .

(٢) بعده فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ ، س : « الكلام » .

(٣) سقط من : م ، ت ٢ .

(٤) بعده فى م : « فى » .

وقال آخرون[١] : هو « فاعَلْتُك » مِن الأَيْدِ .

ورُوِى عن مجاهدٍ أنه قرَأ : (إذ آيَدْتُك) .[٢] بمعنى : « أَفْعَلْتُك » ، مِن القوةِ والأَيْدِ[٢] .

وقولُه : ﴿ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ . يعنى بجبريلَ . يقولُ : إذ أعَنْتُك بجبريلَ .

وقد بيَّنْتُ معنى ذلك ، وما معنى « القُدُسِ » فيما مضَى بما أغْنَى عن إعادتِه فى هذا الموضعِ[٣] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِى وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه مُخْبِرًا عن قِيلِه لعيسى : اذكُرْ نعمتى عليك وعلى والدتِك إذ أيَّدْتك بروحِ القُدُس فى حالِ تكليمِك الناسَ فى المهدِ وكهلًا .

وإنما هذا خبرٌ مِن اللَّهِ تعالى ذكرُه أنه أيَّدَه بروحِ القُدُسِ صغيرًا فى المهدِ ، وكهلًا كبيرًا ، فردَّ « الكَهْلَ »[٤] على قولِه : ﴿ فِى ٱلْمَهْدِ ﴾ ؛ لأن معنى ذلك : صغيرًا . كما قال اللَّهُ تعالى ذكرُه : ﴿ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا ﴾ [يونس : ١٢] .

---

(١) بعده فى م : « بل » .

(٢) وهى قراءة شاذة ، قال أبو حيان فى البحر المحيط ٥١/٤ : وقرأ مجاهد وابن محيصن : (آيدتك) على « أفعلتك » . وقال ابن عطية : على وزن « فاعلتك » . ثم قال أبو حيان : ويظهر أن الأصل فى القراءتين « أيدتك » ثم اختلف الإعلال والمعنى فيهما .

(٣) ينظر ما تقدم فى ٢٢١/٢ وما بعدها .

(٤) فى م : « القول » .

وقولُه : ﴿ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ . يقولُ : واذْكُرْ أيضًا نعمتى عليك إذ علَّمتُك ﴿ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ . وهو الخطُّ ، ﴿ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ . وهى الفهمُ بمعانى الكتابِ الذى أنزَلْتُه [٧٣٨/١ظ] إليك ، وهو الإنجيلُ ، ﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ ﴾ . يقولُ : كصورةِ الطيرِ بإذنى . يعنى بقولِه : ﴿ تَخْلُقُ ﴾ : تعْمَلُ وتُصْلِحُ مِن الطينِ كهيئة الطير ﴿ بِإِذْنِى ﴾ . يقولُ : بعونى على ذلك ، وعلمٍ منى ، ﴿ فَتَنفُخُ فِيهَا ﴾ . يقولُ : فتَنْفُخُ فى الهيئةِ ، فتَكونُ الهيئةُ / والصورةُ طيرًا بإذنى ، ﴿ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ ﴾ . يقولُ : وتَشْفِى الأَكمَهَ . وهو الأعمى الذى لا يُبْصِرُ شيئًا ، المطموسُ البصرِ ، ﴿ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ﴾ . ١٢٨/٧

وقد بيَّنْتُ معانىَ هذه الحروفِ فيما مضَى مِن كتابِنا هذا مُفسَّرًا بشواهدِه ، بما أغْنَى عن إعادتِه فى هذا الموضعِ[١] .

وقولُه : ﴿ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ . يقولُ : واذْكُرْ أيضًا نِعْمتى عليك بكفِّى عنك بنى إسرائيلَ إذ كفَفْتُهم عنك وقد همُّوا بقتلِك ، ﴿ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ . يقولُ : إذ جئتَهم بالأدلةِ والأعلامِ المُعْجِزةِ على نبوتِك ، وحقيقةِ[٢] ما أرسَلْتُك به إليهم ، ﴿ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : فقال الذين جحَدوا نبوتَك ، وكذَّبوك مِن بنى إسرائيلَ : ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ .

واختَلَفت القرأةُ فى قراءةِ ذلك ؛ فقرأته قرأةُ أهلِ المدينةِ وبعضُ أهلِ البصرةِ : ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ . يعنى : يُبِينُ عما أتَى به لمن رآه ونظَر إليه أنه سحرٌ لا حقيقةَ له[٣] .

---

(١) ينظر ما تقدم ٥/ ٤١٢، وما بعدها .

(٢) فى م : « حقية » .

(٣) وهى قراءة نافع وابن كثير وعاصم وأبى عمرو وابن عامر . السبعة لابن مجاهد ص ٢٤٩ .

وقرَأ ذلك عامةُ قرأةِ الكوفةِ : (إنْ هذا إلا ساحرٌ مُبِينٌ) بمعنى : ما هذا - يعنى به عيسى - إلا ساحرٌ مبينٌ[١] . يقولُ : يُبِينُ - بأفعالِه ، وما يأْتى به مِن هذه الأُمورِ العَجيبةِ - عن نفسِه ، أنه ساحرٌ لا نبيٌّ صادقٌ .

والصوابُ مِن القولِ فى ذلك أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى ، مُتَّفِقَتان غيرُ مختلفتين ، وذلك أن كلَّ مَن كان موصوفًا بفعلِ السحرِ ، فهو موصوفٌ بأنه ساحرٌ ، ومَن كان موصوفًا بأنه ساحرٌ ، فإنه موصوفٌ بفعلِ السِّحرِ ، فالفعلُ دالٌّ على فاعِله ، والصفةُ تَدُلُّ على موصوفِها ، والموصوفُ يَدُلُّ على صفتِه ، والفاعلُ يَدُلُّ على فعلِه ، فبأىِّ ذلك قرَأ القارئُ فمصيبٌ الصوابَ فى قراءتِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : واذكُرْ أيضًا يا عيسى إذ أَلْقَيْتُ ﴿ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ ﴾ . وهم وُزراءُ عيسى على دينِه .

وقد بيَّنا معنى ذلك، ولِمَ قيل لهم: الحواريون. فيما مضَى بما أغْنَى عن إعادتِه[٢] .

وقد اختَلَفت ألفاظُ أهلِ التأويلِ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ ﴾ . وإن كانت متفقةَ المعانى ؛ فقال بعضُهم بما حدَّثنى به محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ مُفَضَّلٍ ، قال : ثنا أَسْباطُ ، عن السدِّىِّ : ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ ﴾ . يقولُ : قذَفْتُ فى قلوبِهم[٣] .

---

(١) وهى قراءة حمزة والكسائى . السبعة لابن مجاهد ص ٢٤٩ .

(٢) ينظر ما تقدم فى ٤٤٢/٥- ٤٤٤.

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٤٢/٤ (٧٠٠٥) من طريق أحمد بن المفضل به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٤٦/٢ إلى أبى الشيخ .

وقال آخرون : معنى ذلك : ألْهَمْتُهم .

فتأويلُ الكلامِ إذن : وإذ ألْقَيْتُ إلى الحواريين أن صَدِّقوا بى وبرسولى عيسى ، فقالوا : ﴿ ءَامَنَّا ﴾ . أىْ : صدَّقْنا بما أمَرْتَنا أن نُؤْمِنَ[1] يا ربَّنا ، ﴿ وَٱشْهَدْ ﴾ علينا ، ﴿ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾ . يقولُ : واشْهَدْ علينا بأننا خاضِعون لك بالذِّلَّةِ ، سامِعون مُطِيعون لأمرِك .

/ القول فى تأويل قوله : ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ . ١٢٩/٧

يقولُ تعالى ذكرُه : واذْكُرْ يا عيسى أيضًا نعمتى عليك إذ أوْحَيْتُ إلى الحواريِّين أن آمِنوا بى وبرسولى ، إذ قالوا لعيسى ابنِ مريمَ : هل يَسْتَطِيعُ ربُّك أن يُنَزِّلَ علينا مائدةً مِن السماءِ . فـ ﴿ إِذْ ﴾ الثانيةُ مِن صلةِ ﴿ أَوْحَيْتُ ﴾ .

واختلَفَت القرأةُ فى قراءةِ قوله : ﴿ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ ﴾ ؛ فقرَأ ذلك جماعةٌ مِن الصحابةِ والتابعين : (هل تَسْتَطِيعُ) بالتاءِ (ربَّك)[2] بالنصبِ ، بمعنى : هل تَسْتَطيعُ أن تَسْأَلَ ربَّك ؟ وهل تَسْتَطِيعُ أن تَدْعُوَ ربَّك ؟ أو هل تَسْتَطِيعُ وتَرَى أن تَدْعُوَه ؟ وقالوا : لم يَكُنِ الحواريون شاكِّين أن اللَّهَ تعالى ذكرُه قادرٌ أن يُنَزِّلَ عليهم ذلك ، وإنما قالوا لعيسى : هل تَسْتَطِيعُ أنت ذلك ؟

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : ثنا محمدُ بنُ بشرٍ ، [3]عن نافعِ بنِ عمرَ[3] ، عن ابنِ أبى

---

(١) بعده فى س: « بك » .

(٢) وهى قراءة الكسائى من السبعة . ينظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٤٩، ونسبه أبو حيان فى البحر المحيط ٥٤/٤ إلى علىّ ومعاذ وابن عباس وعائشة وسعيد بن جبير .

(٣ - ٣) فى النسخ : « عن نافع عن ابن عمر » . والصواب ما أثبتناه ، وينظر ما تقدم فى ١٢٢/١ .

مُلَيكةَ ، قال : قالت عائشةُ : كان الحواريُّون لا يَشُكُّون أن اللَّهَ قادرٌ أن يُنَزِّلَ عليهم مائدةً ، ولكن قالوا : يا عيسى هل تَستَطِيعُ ربَّك ؟[١]

حدَّثني أحمدُ بنُ يوسُفَ التَّغْلِبيُّ[٢] ، قال : ثنا القاسمُ بنُ سَلَّامٍ ، قال : ثنا ابنُ مَهْديٍّ ، عن جابرِ بنِ يزيدَ بنِ رِفاعةَ ، عن حسانَ[٣] بنِ مُخارِقٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ أنه قرَأها كذلك : (هَلْ تَستَطِيعُ رَبَّكَ) . وقال : تَستَطِيعُ أن تَسأَلَ ربَّك ؟ وقال : ألا تَرَى أنهم مؤمنون[٤] ؟

وقرَأ ذلك عامةُ قرأةِ المدينةِ والعراقِ : ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ ﴾ بالياءِ ﴿ رَبُّكَ ﴾[٥] ، بمعنى : أن يُنَزِّلَ علينا ربُّك . كما يقولُ الرجلُ لصاحبِه : أتَستَطِيعُ أن تَنْهَضَ معنا في كذا ؟ وهو يَعْلَمُ أنه يَستَطِيعُ ، ولكنه إنما يُرِيدُ : أَتَنْهَضُ معنا فيه ؟ وقد يَجوزُ أن يَكونَ مرادُ قارئِه كذلك : هل يَستَجِيبُ لك ربُّك ، ويُطِيعُك أن يُنَزِّلَ علينا ؟

وأولى القراءتين عندى بالصوابِ قراءةُ مَن قرَأ ذلك ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ﴾ بالياءِ[٦] ، ﴿ رَبُّكَ ﴾ برفعِ « الربِّ »، بمعنى: هل يَستَجِيبُ لك إن سأَلْتَه ذلك ، ويُطِيعُك فيه ؟

وإنما قلنا : ذلك أولى القراءتين بالصوابِ ؛ لما بيَّنا قبلُ مِن أن قولَه : ﴿ إِذْ قَالَ

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ١٢٤٣/٤ (٧٠١٤) من طريق القاسم ، عن عائشة ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٤٦/٢ إلى ابن أبى شيبة وابن المنذر وأبى الشيخ وابن مردويه .

(٢) فى النسخ « الثعلبى » ، والمثبت هو الصواب كما تقدم .

(٣) فى م : « حيان » . وينظر التاريخ الكبير ٣/ ٣٣، والجرح والتعديل ٣/ ٢٣٥.

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٤٦/٢ إلى المصنف وأبى عبيد .

(٥) وهى قراءة نافع وابن كثير وعاصم وأبى عمرو وابن عامر وحمزة . السبعة لابن مجاهد ص ٢٤٩ .

(٦) القراءتان كلتاهما صواب ، وليست إحداهما أولى من الأخرى .

ٱلْحَوَارِيُّونَ﴾ مِن صلةِ ﴿ إِذْ أَوْحَيْتُ﴾ ، وأن معنى الكلامِ : وإذ أوْحَيْتُ إلى الحواريِّين أن آمِنوا بى وبرسولى ، إذ قالَ الحَواريُّونَ يا عيسى ابنَ مَريمَ هَل يَستَطِيع [٧٣٩/١و] رَبُّكَ . فبيِّنٌ إذ كان ذلك كذلك ، أن اللَّهَ تعالى ذكرُه قد كرِه منهم ما قالوا مِن ذلك واستَعْظَمه ، وأمَرَهم بالتوبةِ ومُراجعةِ الإيمانِ مِن قِيلِهم ذلك ، والإقرارِ للَّهِ بالقدرةِ على كلِّ شىءٍ ، وتصديقِ رسولِه فيما أخْبَرَهم عن ربِّهم مِن الأخبارِ ، وقد قال عيسى لهم عند قيلِهم ذلك له – اسْتعظامًا منه لما قالوا – : ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ . ففى استتابةِ اللَّهِ إياهم ، ودعائِه لهم إلى / الإيمانِ به ، وبرسولِه ﷺ عندَ قيلِهم ما قالوا مِن ذلك ، واسْتِعظامِ نبىِّ اللَّهِ ﷺ كلمتَهم – الدلالةُ الكافيةُ مِن غيرِها ، على صحةِ القراءةِ فى ذلك بالياءِ ، ورفعِ « الربُّ » ، إذ كان لا معنى فى قولِهم لعيسى – لو كانوا قالوا له : هل تَستَطِيعُ أن تَسأَلَ ربَّك أن يُنزِّلَ علينا مائدةً مِن السماءِ ؟ – أن يُستَكْبَرَ هذا الاستكبارَ .

١٣٠/٧

فإن ظنَّ ظانٌّ أن قولَهم ذلك له إنما استُعْظِم[1] منهم لأن ذلك منهم كان مسألةَ آيةٍ – فإن الآيةَ إنما يَسأَلُها الأنْبياءَ مَن كان بها مُكَذِّبًا ؛ ليَتقرَّرَ عندَه حقيقةُ ثبوتِها وصحةُ أمرِها[2] ، كما كانت مسألةُ قريشٍ نبيَّنا محمدًا ﷺ أن يُحَوِّلَ لهم الصَّفا ذهبًا ، ويُفَجِّرَ فِجاجَ مكةَ أنهارًا ، مَن سأَله مِن مشركى قومِه ، وكما كانت مسألةُ صالحٍ الناقةَ مِن مُكَذِّبى قومِه ، ومسألةُ شعيبٍ أن يُسْقِطَ كِسَفًا مِن السماءِ مِن كفارِ مَن أُرْسِل إليه[3] .

[4]فإن كان الذين[4] سألوا عيسى أن يَسأَلَ ربَّه أن يُنزِّلَ عليهم مائدةً مِن

---

(١) فى م : « هواستعظام » .

(٢) قوله « فإن الآية إنما يسألها ..... إلخ » . هو جواب الشرط فى قوله : « فإن ظن ظان » .

(٣) فى م : « إليهم » .

(٤ – ٤) فى م : « وكان الذين » ، وفى ت١ : « كان الذى » ، وفى س : « فإن الذى » .

السماءِ ، على هذا الوجهِ كانت مسألتُهم ، فقد أحَلَّهم الذين قرءوا ذلك بالتاءِ ونصبِ « الربَّ » ، مَحَلًّا أعظمَ مِن المَحَلِّ الذى ظنُّوا أنهم [(١] يَحيدون بهم [١)] عنه . أو يكونوا سألوا ذلك عيسى ، وهم مُوقِنون بأنه للَّهِ نبيٌّ مبعوثٌ ، ورسولٌ مُرْسَلٌ ، وأن اللَّهَ تعالى على ما سألوا مِن ذلك قادرٌ .

فإن كانوا سألوا ذلك وهم كذلك ، وإنما كانت مسألتُهم إياه ذلك على نحوِ ما يَسْأَلُ أحدُهم نبيَّه إن[(٢)] كان فقيرًا ، أن يَسْأَلَ له ربَّه أن يُغْنِيَه ، وإن عرَضَت به حاجةٌ أن يَسْأَلَ له ربَّه أن يَقْضِيَها ، فإنْ[(٣)] ذلك مِن مسألةِ الآيةِ فى شىءٍ ، بل ذلك سؤالُ ذى حاجةٍ عرَضَت له إلى ربِّه ، فسأَل نبيَّه مسألةَ ربِّه أن يَقْضِيَها له .

وخبرُ اللَّهِ تعالى عن القومِ يُنْبِئُ بخلافِ ذلك ، وذلك أنهم قالوا لعيسى - إذ قال لهم : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ - : ﴿ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا ﴾ [المائدة : ١١٤] فقد أنبأ هذا من[(٤)] قيلِهم ، أنهم لم يكونوا يَعْلَمون أن عيسى قد صدَقَهم ، ولا اطْمَأَنَّت قلوبُهم إلى حقيقةِ نبوتِه ، فلا بيانَ أبينُ مِن هذا الكلامِ ، فى أن القومَ كانوا قد خالَط قلوبَهم مرضٌ وشكٌّ فى دينِهم وتصديقِ رسولِهم ، وأنهم سألوا ما سألوا مِن ذلك اختبارًا[(٥)] .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

(١ - ١) فى م : « نزهوا ربهم » .

(٢) فى م : « إذ » .

(٣) فى م : « فأنى » . و« إن » هلهنا نافية .

(٤) فى النسخ : « عن » . وأثبتنا ما يقتضيه السياق .

(٥) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س: « اختيارا » .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ليثٍ ، عن عُقَيلٍ ، عن ابنِ عباسٍ أنه كان يُحَدِّثُ عن عيسى ﷺ أنه قال لبنى إسرائيلَ : هل لكم أن تَصوموا للَّهِ ثلاثين يومًا ، ثم تَسْأَلوه ، فيُعْطِيَكم ما سأَلْتُم ، فإن أجرَ العاملِ على مَن عمِل له ؟ ففعَلوا ، ثم قالوا : يا مُعلِّمَ الخيرِ قلتَ لنا : إن أجرَ العاملِ على مَن عمِل له ، وأمَرْتَنا أن نصومَ ثلاثين يومًا ففعَلْنا ، ولم نَكُنْ نَعْمَلُ[1] لأحدٍ ثلاثين يومًا إلا أطْعَمَنا حينَ نَفْرُغُ طعامًا ، فـ ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَآءِ﴾ ؟ قال عيسى : ﴿اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ . قالوا : ﴿نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ إلى قولِه : ﴿لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ /الْعَالَمِينَ﴾ . قال : فأقْبَلَت الملائكةُ تَطِيرُ بمائدةٍ مِن السماءِ ، عليها سبعةُ أحْواتٍ ، وسبعةُ أرْغفةٍ ، حتى وضَعَتْها بينَ أيديهم ، فأكَل منها آخرُ الناسِ كما أكَل منها أولُهم[2] . ١٣١/٧

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ مفضلٍ ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السديِّ : ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَآءِ﴾ . قالوا : هل يُطِيعُك ربُّك إن سأَلْتَه ؟ فأنْزَل اللَّهُ عليهم مائدةً مِن السماءِ ، فيها جميعُ الطعامِ إلا اللحمَ ، فأكَلوا منها[3] .

---

(١) فى ص : « نعول » . بغير نقط ، وفى ت١ ، ت٢ ، ت ٣ : « يقول » . وفى س : « وقول » .

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٣/٢٢١ عن المصنف ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٢٤٤ (٧٠١٦) من طريق ليث ، عن عقيل ، عن الزهرى ، عن ابن عباس ، كما أخرجه أيضا ٤/١٢٤٦ (٧٠٢٤) من طريق وهب الله بن راشد عن عقيل ، عن الزهرى ، عن ابن عباس مختصرا .

وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٣٤٨ إلى أبى الشيخ .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٣٤٦ إلى المصنف .

وأما « المائدةُ » فإنها الفاعلةُ ، مِن : ماد فلانٌ القومَ يَمِيدُهم مَيْدًا . إذا أطْعَمَهم ومارَهم ، ومنه قولُ رُؤْبةَ[1] :

نُهْدِى رُءوسَ المُتْرَفِين الأنْداذْ

إلى أميرِ المؤمنينَ المُمْتَاذْ

يعنى بقولِه : المُمْتاذْ : المُستَعْطَى ، فـ « المائدةُ » المُطْعِمةُ . سُمِّيَت الخِوانُ بذلك لأنها تُطْعِمُ الآكلَ مما عليها . والمائدُ المُدارُ به فى البحرِ ، يقالُ : مادَ يَمِيدُ مَيْدًا .

وأما قولُه : ﴿قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ . فإنه يعنى : قال عيسى للحواريين القائلين له : ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ : راقِبوا اللَّهَ أيُّها القومُ ، وخافوه أن يَنزِلَ بكم مِن اللَّهِ عقوبةٌ على قولِكم هذا ، فإن اللَّهَ لا يُعْجِزُه شىءٌ أراده ، وفى شكِّكم فى قدرةِ اللَّهِ على إنزالِ مائدةٍ مِن السماءِ كفرٌ به ، فاتَّقُوا اللَّهَ أن يُنزِلَ بكم نقمتَه ، ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ . يقولُ : إن كنتم مُصدِّقِىَّ على ما أتَوَعَّدُكم به مِن عقوبةِ اللَّهِ إياكم على قولِكم : ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾﴾ .

يعنى تعالى ذكرُه بذلك : قال الحواريُّون مُجيبِى عيسى على قولِه لهم : ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فى قولِكم لى[2] : ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ [٧٣٩/١ظ] عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ -: إنا إنما قلنا ذلك ، وسألْناك أن تَسْأَلَ لنا ربَّك لنأْكُلَ مِن المائدةِ ، فنَعْلَمَ يقينًا قدرتَه على كلِّ شىءٍ ، ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ .

---

(١) ديوانه ص ٤٠.

(٢) سقط من : م .

يقولُ : وتَسْكُنَ قلوبُنا وتَسْتَقِرَّ على وحدانيتِه وقدرتِه على كلِّ ما شاء وأراد ، ﴿ وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا ﴾ : ونَعْلَمَ أنك لم تَكْذِبْنا فى خبرِك أنك للَّهِ رسولٌ مرسَلٌ ونبيٌّ مبعوثٌ ، ﴿ وَنَكُونَ عَلَيْهَا ﴾ . يقولُ : ونكونَ على المائدةِ ﴿ مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴾ . يقولُ : ممن يَشْهَدُ أن اللَّهَ أنْزَلها حجةً لنفسِه علينا ، فى توحيدِه وقدرتِه على ما شاء ، ولك على صدقِك فى نبوتِك .

/ القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ (١١٤) ﴾ . ١٣٢/٧

وهذا خبرٌ مِن اللَّهِ تعالى ذكرُه عن نبيِّه عيسى ﷺ أنه أجاب القومَ إلى ما سألوه مِن مسألةِ ربِّه مائدةً تَنزِلُ عليهم مِن السماءِ .

ثم اختَلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ قولِه : ﴿ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا ﴾ ؛ **فقال بعضُهم :** معناه : نَتَّخِذُ اليومَ الذى نزَلَت فيه عيدًا نُعَظِّمُه نحن ومَن بعدَنا .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ قولَه : ﴿ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا ﴾ . يقولُ : نَتَّخِذُ اليومَ الذى نزَلَت فيه عيدًا نُعَظِّمُه نحن ومَن بعدَنا[١] .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا ﴾ . قال : أرادوا أن تَكونَ لعَقِبِهم مِن بعدِهم[٢] .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٤٨/٤ (٧٠٣٥) من طريق أحمد به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٤٦/٢ إلى أبى الشيخ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم تفسيره ١٢٤٩/٤ (٧٠٣٧) من طريق يزيد به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٤٦/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبى الشيخ .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ قولَه : ﴿ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا ﴾ . قال : الذين هم أحياءٌ منهم يومَئذٍ ، ﴿ وَءَاخِرِنَا ﴾ : مَن بعدَهم منهم[1] .

حدَّثنى الحارثُ ، قال : ثنا عبدُ العزيزِ ، قال : قال سفيانُ : ﴿ تَكُونُ لَنَا عِيدًا ﴾ . قالوا : نُصَلِّى فيه . قال[2] : نزَلَت مرتين[3] .

وقال آخرون : معناه : نأْكُلُ منها[4] جميعًا .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ليثٍ ، عن عُقَيلٍ ، عن ابنِ عباسٍ أنه قال : أكَل منها - يعنى مِن المائدةِ حينَ وُضِعَت بينَ أيديهم - آخرُ الناسِ كما أكَل منها أولُهم[5] .

وقال آخرون : معنى قولِه : ﴿ عِيدًا ﴾ . عائدةً مِن اللَّهِ تعالى علينا وحُجَّةً وبرهانًا .

وأولى الأقوالِ بالصوابِ قولُ مَن قال : معناه : تَكونُ لنا عيدًا نَعْبُدُ ربَّنا فى اليومِ الذى تَنْزِلُ فيه ، ونُصَلِّى له فيه ، كما يَعبُدُ[6] الناسُ فى أعيادِهم ؛ لأن المعروفَ مِن كلامِ الناسِ المستعملِ بينَهم فى العيدِ ما ذكَرْنا ، دونَ القولِ الذى قاله مَن قال معناه : عائدةٌ مِن اللَّهِ علينا . وتوجيهُ معانى كلامِ اللَّهِ إلى المعروفِ مِن كلامِ مَن خُوطِب به ،

---

(١) ينظر التبيان ٤/ ٦١.

(٢) سقط من : م .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٢٤٩، ١٢٥٠ (٧٠٣٦، ٧٠٤١) من طريق مهران عن سفيان .

(٤) فى ص، ت١، ت٢، ت ٣: « منه » .

(٥) تقدم تخريجه فى ص ١٢١ .

(٦) فى م : « يعيد » .

أولى مِن توجيهِه إلى المجهولِ منه ، ما وُجِد إليه السبيلُ .

وأما قولُه : ﴿ لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا ﴾ . فإن الأَوْلَى مِن تأويلِه بالصوابِ قولُ مَن قال : تأويلُه : للأحياءِ منا اليومَ ، ومَن يَجِيءُ بعدَنا منا . للعلةِ التى ذكَرْناها فى قولِه : ﴿ تَكُونُ لَنَا عِيدًا ﴾ . لأن ذلك هو الأغلبُ مِن معناه .

وأما قولُه : ﴿ وَءَايَةً مِّنكَ ﴾ . فإن معناه : وعلامةً وحُجَّةً منك يا ربِّ على عبادِك فى وحدانيتِك ، وفى / صدقى على أنى رسولٌ إليهم بما أرْسَلْتَنى به . ١٣٣/٧ ﴿ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ : وأعْطِنا مِن عطائِك ، فإنك يا ربِّ خيرُ مَن يُعْطِى ، وأجودُ مَن تفضَّل ؛ لأنه لا يَدْخُلُ عطاءَه مَنٌّ ولا نَكَدٌ .

وقد اختلَف أهلُ التأويلِ فى المائدةِ ، هل أُنزِلَت عليهم أم لا ؟ وما كانت ؟ فقال بعضُهم : نزَلَت وكانت حوتًا وطعامًا ، فأكَل القومُ منها ، ولكنها رُفِعَت بعدَما نزَلَت بأحداثٍ منهم أحْدَثوها فيما بينَهم وبينَ اللَّهِ تعالى .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ المثنى ، قال : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، قال : ثنا شعبةُ ، عن أبى إسحاقَ ، عن أبى عبدِ الرحمنِ السُّلَمِىِّ ، قال : نزَلَت المائدةُ خبزًا وسمكًا[1] .

حدَّثنى الحسينُ بنُ علىٍّ الصُّدَائِىُّ ، قال : ثنا أبى ، عن الفُضَيْلِ ، عن عطيةَ ، قال : المائدةُ سمكةٌ ، فيها طعمُ كلِّ طعامٍ[2] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا عُبيدُ اللَّهِ ، عن فُضَيْلِ [3] بنِ مرزوقٍ [3] عن عطيةَ ، قال :

---

(١) أخرجه ابن الأنبارى فى الأضداد ص٣٥١ من طريق شعبة به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٤٦/٤ (٧٠٢٦) ، وابن الأنبارى فى الأضداد ص٣٥١ من طريق الفضيل به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٤٨/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٣ - ٣) فى النسخ : « عن مسروق » ، وتقدم على الصواب ٢٣٠/٢، وينظر تهذيب الكمال ٣٠٦/٢٣ .

المائدةُ سمكٌ فيه مِن طعمِ كلِّ طعامٍ .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ آدمَ ، عن إسرائيلَ ، عن أبي إسحاقَ ، عن أبي عبدِ الرحمنِ ، قال : نزَلَت المائدةُ خبزًا وسمكًا .

حدَّثني محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : نزَلَت على عيسى ابنِ مريمَ والحواريِّين خِوانٌ ، عليه خبزٌ وسمكٌ يأْكُلون منه أينَما نزَلوا إذا شاءوا[(١)] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرَنا المنذرُ بنُ النعمانِ ، أنه سمِع وهبَ بنَ مُنَبِّهٍ يقولُ في قولِه : ﴿ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا ﴾ . قال : نزَل عليهم قُرْصةٌ مِن شعيرٍ وأحْواتٌ . قال الحسنُ : قال أبو بكرٍ[(٢)] : فحدَّثْتُ به عبدَ الصمدِ بنَ مَعْقِلٍ ، فقال : سمِعْتُ وهبًا وقيل له : وما كان ذلك يُغْنِي عنهم ؟ فقال : لا شيءَ ، ولكنَّ اللَّهَ حَشَا[(٣)] بينَ أضعافِهن البركةَ ، فكان قومٌ يأْكُلون ثم يَخْرُجون ، ويَجِيءُ آخرون ، فيأْكُلون ثم يَخْرُجون ، حتى أكَلوا جميعُهم وأفضَلُوا[(٤)] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، [١/٧٤٠و] قال : ثنا عبيدُ اللَّهِ ، عن إسرائيلَ ، عن أبي يحيى[(٥)] ، عن مجاهدٍ ، قال : هو الطعامُ يَنْزِلُ عليهم حيث نزَلوا[(٦)] .

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبي

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٤٨/٢ إلى المصنف .

(٢) هو عبد الرزاق الصنعانى .

(٣) فى م : « حشا » .

(٤) تفسير عبد الرزاق ٢٠٠/١، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٤٦/٤ (٧٠٢٧) عن الحسن به مختصرا .

(٦) فى ت ١ : « نجيح » .

(٧) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٤٨/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ في قولِ اللَّهِ تعالى : ﴿ مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ . قال : مائدةٌ عليها طعامٌ، [(١)]أَبَوابها[(١)] حينَ عُرِضَ عليهم العذابُ إن[(٢)] كفَروا، [(٣)]ألوانٌ مِن طعامٍ[(٣)] يَنْزِلُ عليهم[(٤)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن أبي مَعْشَرٍ ، عن إسحاقَ بنِ عبدِ اللَّهِ ، أن المائدةَ نزَلَت على عيسى ابنِ مريمَ ، عليها سبعةُ أرغفةٍ ، وسبعةُ أحْواتٍ ، يأْكُلون منها ما شاءوا ، قال : فسرَق بعضُهم منها ، وقال : لعلها لا تَنْزِلُ غدًا . فرُفِعَت[(٥)] .

/ حدَّثنا[(٦)] المثنى ، قال : ثنا عبدُ الأعلى ، قال : ثنا داودُ ، عن سِماكِ بنِ حربٍ ، عن رجلٍ مِن بني عِجْلٍ قال : صلَّيْتُ إلى جنبِ عمارِ بنِ ياسرٍ ، فلما فرَغ قال : هل تَدْرِى كيف كان شأنُ مائدةِ بني إسرائيلَ ؟ قال : فقلتُ : لا . قال : إنهم سأَلوا عيسى ابنَ مريمَ مائدةً يَكونُ عليها طعامٌ يأْكُلون منه لا يَنْفَدُ ، قال : فقيل لهم : فإنها مُقيمةٌ لكم ما لم تُخَبِّئوا أو تَخُونوا أو تَرْفَعوا ، فإن فعَلْتُم فإنى أُعَذِّبُكم عذابًا لا أُعَذِّبُه أحدًا مِن العالَمين . قال : فما تمَّ يومُهم حتى خبَّئوا ورفَعوا وخانوا ، فعُذِّبوا عذابًا لم يُعَذَّبْه أحدًا مِن العالَمين ، وإنكم معشرَ العربِ كنتم تَتْبَعون أذنابَ الإبلِ والشاءِ ، فبعَث اللَّهُ فيكم رسولًا مِن أنفسِكم ، تَعْرِفون حسَبَه ونسبَه ، وأخبَرَكم على لسانِ نبيِّكم أنكم ستَظْهَرون على العربِ[(٧)] ، ونهاكم أن تَكْنِزوا الذهبَ والفضةَ ، وايْمُ اللَّهِ ، لا يَذْهَبُ الليلُ والنهارُ حتى تَكْنِزوهما ويُعَذِّبَكم عذابًا أليمًا[(٨)] .

١٣٤/٧

(١ - ١) في م : « أبوها » .

(٢) في ص: «إذ» .

(٣ - ٣) في م : « فأبوا أن » .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٤٨/٢ إلى المصنف وأبي عبيد وابن المنذر .

(٥) عزاه السيوطي في الدرالمنثور ٣٤٨/٢ إلى المصنف .

(٦) بعده في تفسير ابن كثير : « ابن » .

(٧) في تفسير ابن كثير : « العجم » .

(٨) ذكره ابن كثير في تفسيره ٢٢١/٣ عن المصنف .

حدَّثنا الحسنُ بنُ قَزَعةَ البصريُّ ، قال : ثنا سفيانُ بنُ حَبيبٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، عن خِلاسِ[1] بنِ عمرٍو ، عن عمارِ بنِ ياسرٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « نزَلَت المائدةُ خبزًا ولحمًا ، وأُمِروا ألا يَخونوا ، ولا يَدَّخِروا ، ولا يَرفَعوا لغدٍ ، فخانوا وادَّخَروا ورفَعوا ، فمُسِخوا قِرَدةً وخَنازيرَ »[2] .

حدَّثني محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ بَزِيعٍ ، قال : ثنا يوسفُ بنُ خالدٍ ، قال : ثنا نافعُ بنُ مالكٍ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ في المائدةِ ، قال : كان طعامًا يَنزِلُ عليهم مِن السماءِ حيثما نزَلوا[3] .

وقال آخرون : كانت المائدةُ عليها[4] مِن ثمارِ الجنةِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبي عديٍّ ، عن سعيدٍ ، عن قتادةَ ، عن خِلَاسِ[1] بنِ عمرٍو ، عن عمارٍ ، قال : نزَلَت المائدةُ وعليها ثمرٌ مِن ثمرِ الجنةِ ، فأُمِروا ألا يُخَبِّئوا ، ولا يَخونوا ، ولا يَدَّخِروا . قال : فخان القومُ ، وخبَّئوا ، وادَّخروا ، فحوَّلهم اللَّهُ قردةً وخَنازيرَ[5] .

---

(١) في م : « جلاس » . وينظر تهذيب الكمال ٨/ ٣٦٤.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٠٦١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٤/١٢٤٥ (٧٠٢٢) ، وابن الأنباري في الأضداد ص٣٥٠ عن الحسن بن قزعة به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٣٤٨ إلى ابن مردويه وأبي الشيخ .

(٣) أخرجه ابن الأنباري في الأضداد ص٣٥٠ من طريق عكرمة به مختصرًا ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٣٤٨ إلى المصنف .

(٤) في م : « تنزل وعليها ثمر » .

(٥) أخرجه الترمذي عقب حديث (٣٠٦١) وابن أبي حاتم في تفسيره ٤/١٢٤٥ (٧٠٢٣) من طريق سعيد به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٣٤٨ إلى ابن المنذر .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، قال : ذُكِر لنا أنها كانت مائدةً يَنْزِلُ عليها الثمرُ مِن ثمارِ الجنةِ ، وأُمِروا ألا يُخَبِّئوا ، ولا يخونوا ، ولا يَدَّخِروا لغدٍ ؛ بلاءً أبلاهم اللَّهُ به ، وكانوا إذا فعَلوا شيئًا مِن ذلك أنْبأهم به عيسى ، فخان القومُ فيه فخبَّئوا وادَّخَروا لغدٍ[1] .

وقال آخرون : كان عليها مِن كلِّ طعامٍ إلا اللحمَ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : ثنا جريرٌ ، عن عطاءٍ ، عن مَيْسَرةَ ، قال : كانت إذا وُضِعَت المائدةُ لبنى إسرائيلَ ، اختَلَفَت عليها الأيدى بكلِّ طعامٍ .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ آدمَ ، عن شَريكٍ ، عن عطاءٍ ، عن مَيْسرةَ وزاذانَ ، قالا : كانت الأيدى تَخْتَلِفُ عليها بكلِّ طعامٍ[2] .

حدَّثنى الحارثُ ، قال : ثنا عبدُ العزيزِ ، قال : ثنا سفيانُ الثوريُّ ، عن عطاءِ بنِ السائبِ ، عن زاذانَ / وميسرةَ فى : ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ . قالا : رأَوُا الأيدىَ تَخْتَلِفُ عليها بكلِّ شىءٍ إلا اللحمَ . ١٣٥/٧

وقال آخرون : لم يُنْزِلِ اللَّهُ على بنى إسرائيلَ مائدةً .

ثم اختَلَف قائلو هذه المقالةِ ؛ فقال بعضُهم : إنما هذا مَثَلٌ ضرَبه اللَّهُ تعالى لخلقِه ، نهاهم به عن مسألةِ نبىِّ اللَّهِ الآياتِ .

---

(١) أخرجه ابن الأنبارى فى الأضداد ص٣٥١ من طريق سعيد به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٤٨/٢ إلى عبد بن حميد وأبى الشيخ.

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٤٨/٢ إلى المصنف وابن أبى شيبة وابن المنذر.

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ آدمَ ، عن شَريكٍ ، عن ليثٍ ، عن مُجاهدٍ فى قولِه : ﴿ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ . قال : مَثَلٌ ضُرِب ، لم يَنْزِلْ عليهم شىءٌ [(١)] .

وقال آخرون : إن القومَ لما قيل لهم : ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ . استعفَوْا منها فلم تَنْزِلْ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، قال : كان الحسنُ يقولُ : لمَّا قيل لهم : ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ ﴾ إلى آخرِ الآيةِ . قالوا : لا حاجةَ لنا فيها . فلم تَنْزِلْ [(٢)] .

حدَّثنا ابنُ المثنى ، قال : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، قال : ثنا شعبةُ ، عن منصورِ بنِ زاذانَ ، عن الحسنِ أنه قال فى المائدةِ : لم تَنْزِلْ .

حدَّثنى الحارثُ ، قال : ثنا القاسمُ بنُ سلَّامٍ ، قال : ثنا حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : مائدةٌ عليها طعامٌ أبَوْها حينَ عُرِض عليهم العذابُ إن كفَروا ، فأبَوْا أن تَنْزِلَ عليهم [(٣)] .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٤٨/٤ (٧٠٣٣) من طريق يحيى بن آدم به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٤٨/٢ إلى عبد بن حميد .

(٢) أخرجه ابن الأنبارى فى الأضداد ص ٣٥١، ٣٥٢، وابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٥٢/٤ (٧٠٤٦) من طريق سعيد به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٤٨/٢، ٣٤٩ إلى عبد بن حميد .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٤٨/٢ إلى المصنف وأبى عبيد وابن المنذر .

والصوابُ مِن القولِ عندَنا فى ذلك أن يُقالَ : إن اللَّهَ تعالى ذكرُه أنْزَل المائدةَ على الذين سألوا عيسى مسألتَه ذلك ربَّه .

وإنما قلنا ذلك ؛ للخبرِ الذى رَوَينا بذلك عن رسولِ اللَّهِ ﷺ وأصحابِه وأهلِ التأويلِ مِن بعدِهم ، غيرَ مَن انْفَرَد بما ذكَرْنا عنه .

وبعدُ ، فإن اللَّهَ تعالى ذكرُه لا يُخْلِفُ وعدَه ، ولا يَقَعُ فى خبرِه الخُلْفُ ، وقد قال تعالى ، مُخْبِرًا فى كتابِه عن إجابةِ نبيِّه عيسى ﷺ حينَ سأَله ما سأَله [١/٧٤٠ظ] مِن ذلك : ﴿ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾ . وغيرُ جائزٍ أن يقولَ تعالى ذكرُه : ﴿ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾ . ثم لا يُنَزِّلُها ؛ لأن ذلك منه تعالى خبرٌ ، ولا يَكونُ منه خلافُ ما يُخْبِرُ ، ولو جاز أن يقولَ : ﴿ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾ . ثم لا يُنَزِّلُها عليهم ، جاز أن يَقولَ[1] : فمن يكفرْ بعدُ مِنكم فإنِّى معذِّبُه عذابًا لا أعذِّبُه أحدًا مِن العالمين . ثم يَكْفُرُ منهم بعدَ ذلك فلا يُعَذِّبُه ، فلا يَكونُ لوعدِه ولا لوَعيدِه حقيقةٌ ولا صحةٌ ، وغيرُ جائزٍ أن يُوصَفَ ربُّنا تعالى بذلك .

وأما الصوابُ مِن القولِ فيما كان على المائدةِ ، فأن يقالَ : كان عليها مأكولٌ ، وجائزٌ أن يَكونَ كان سمكًا وخبزًا ، وجائزٌ أن يَكونَ كان ثمرًا مِن ثمرِ الجنةِ ، وغيرُ نافعٍ العلمُ به ، ولا ضارٌّ الجهلُ به ، إذا أقرَّ تالى الآيةِ بظاهرِ ما احْتَمَلَه التنزيلُ .

/ **القول فى تأويل قوله** : ﴿ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ . ١٣٦/٧

وهذا جوابٌ مِن اللَّهِ تعالى ذكرُه القومَ فيما سأَلوا نبيَّهم عيسى مسألةَ ربِّهم مِن إنزالِه مائدةً عليهم ، فقال تعالى ذكرُه : إنى مُنَزِّلُها عليكم أيُّها الحواريُّون فمُطْعِمُكموها ، ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ ﴾ . يقولُ : فمَن يَجْحَدْ بعدَ إنزالِها

(١) فى ص، ت١، ت ٢: « يكون » .

عليكم ، وإطْعاميكموها منكم رسالتى إليه ، ويُنْكِرْ نبوةَ نبيِّى عيسى ﷺ ، ويُخالِفْ طاعتى فيما أمَرْتُه ونهَيْتُه ﴿ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا ﴾ مِن عالَمى زمانِه . ففعَل القومُ ، فجحَدوا وكفَروا بعدَ ما أُنْزِلَت عليهم فيما ذُكِر لنا ، فعُذِّبوا فيما بلَغنا ، بأن مُسِخوا قردةً وخَنازيرَ .

كالذى حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾ الآية : ذُكِر لنا أنهم حُوِّلوا خَنازيرَ [(١)] .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ الوَهَّابِ ومحمدُ بنُ أبى عَدِىٍّ ، ومحمدُ بنُ جعفرٍ ، عن عوفٍ ، عن أبى المغيرةِ القَوَّاسِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو ، قال : إن أشدَّ الناسِ عذابًا ثلاثةٌ ؛ المنافقون ، ومَن كفَر مِن أصحابِ المائدةِ ، وآلُ فرعونَ [(٢)] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ عرفةَ ، قال : ثنا المعتمرُ بنُ سليمانَ ، عن عوفٍ ، قال : سمِعْتُ أبا المغيرةِ القَوَّاسَ يقولُ : قال عبدُ اللَّهِ بنُ عمرٍو : إن أشدَّ الناسِ عذابًا يومَ القيامةِ مَن كفَر مِن أصحابِ المائدةِ ، والمنافقون ، وآلُ فرعونَ [(٢)] .

حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ مُفَضَّلٍ ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السدىِّ قولَه : ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ ﴾ : بعدَ ما جاءَته المائدةُ ، ﴿ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ . يقولُ : أُعَذِّبُه بعذابٍ لا أُعَذِّبُه أحدًا مِن العالَمين غيرَ أهلِ المائدةِ [(٣)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٣٤٩ إلى عبد بن حميد والمصنف وابن أبى حاتم .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٣٤٩ إلى المصنف وعبد بن حميد وأبى الشيخ .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٢٥٢ (٧٠٤٧) من طريق أحمد بن المفضل به .

قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : يومَ يَجْمَعُ اللهُ الرسُلَ فيقولُ : ماذا أُجِبْتُم إذ قال اللهُ يا عيسى ابنَ مريمَ أأنت قلتَ للناسِ اتَّخذونى وأمى إلـهين من دونِ اللهِ ؟

وقيل : إن اللَّهَ قال هذا القولَ لعيسى حينَ رفَعه إليه فى الدنيا .

ذكرُ مَن قال ذلك

١٣٧/٧ /حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ مُفَضَّلٍ ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السدىِّ : ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ . قال : لمَّا رفَع اللَّهُ عيسى ابنَ مريمَ إليه ، قالت النصارى ما قالت ، وزعَموا أن عيسى أمَرَهم بذلك ، فسأَله عن قولِه فقال : ﴿ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ إلى قولِه : ﴿ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[(١)] .

وقال آخرون : بل هذا خبرٌ مِن اللَّهِ تعالى ذكرُه عن أنه يقولُ لعيسى ذلك فى القيامةِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ : ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ . قال : والناسُ يَسْمَعون ، فراجَعَه بما قد رأيْتَ ، وأقَرَّ له بالعبوديةِ على نفسِه ، فعلِم مَن

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٥٣/٤ (٧٠٥١) من طريق أحمد بن المفضل به .

كان يقولُ فى عيسى ما يقولُ ، أنه إنما كان يقولُ باطلًا[(١)] .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا جَريرٌ ، عن عطاءٍ ، عن مَيْسرةَ ، قال : قال اللَّهُ : يا عيسى أأنت قلتَ للناسِ اتَّخِذونى وأمِّىَ إلهين مِن دونِ اللَّهِ ؟ فأُرْعِدَت مَفاصلُه ، وخشِىَ أن يَكونَ قد قال ، فقال : ﴿ سُبۡحَٰنَكَ ﴾ - ﴿ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ ﴾ الآية[(٢)] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبرَنا معمرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ ﴾ : متى يَكونُ ذلك ؟ قال : يومَ القيامةِ ، ألا تَرَى أنه يقولُ : ﴿ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ ﴾[(٣)] ؟ [المائدة : ١١٩] .

فعلى هذا التأويلِ الذى تأوَّله ابنُ جُريجٍ يَجِبُ أن يَكونَ « وإذْ » بمعنى « وإذا » ، كما قال فى موضعٍ آخرَ : ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ فَزِعُواْ ﴾ [سبأ : ٥١] . بمعنى : يَفْزَعون . وكما قال أبو النَّجْمِ[(٤)] :

ثم جَزاه اللَّهُ عنا إذ جَزَى
جَناتِ عَدْنٍ فى العَلالىِّ[(٥)] العُلَا

والمعنى : إذا جَزَى . وكما قال الأسودُ[(٦)] :

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٤٩/٢ إلى أبى الشيخ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٥٢/٤ (٧٠٤٨) من طريق جرير . وأخرجه ١٢٥٣/٤ (٧٠٥٤) من طريق عطاء . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٤٩/٢ إلى ابن المنذر وأبى الشيخ .

(٣) تفسير عبد الرزاق ٢٠١/١، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٥٣/٤ (٧٠٥٠) عن الحسن به .

(٤) ديوانه (مجموع) ص ٢١٠.

(٥) العلالى جمع علِّيَّة ، بضم العين وكسرها : الغرفة . النهاية ٣/ ٢٩٥.

(٦) البيت فى الأضداد لابن الأنبارى ص١١٩ غير منسوب ، وفيه : « المرء » بدل الشيخ ، وينظر التبيان ٦٥/٤.

[١/٧٤١و] فالآنَ إذ هازَلْتُهنَّ فإنما يَقُلْن ألا لم يَذْهَبِ الشيخُ مَذْهَبًا

بمعنى : إذا هازَلْتُهن .

وكأن مَن قال فى ذلك بقولِ ابنِ جُريجٍ هذا وجَّه تأويلَ الآيةِ إلى : فمن يكفُرْ /بعدُ منكم ، فإنى أعذِّبُه عذابًا لا أعذِّبُه أحدًا من العالمين فى الدنيا ، وأُعَذِّبُه أيضًا فى الآخرةِ إذْ قال اللهُ : يا عيسى ابنَ مريمَ أأنت قلتَ للناسِ : اتخذونى وأمِّى إلهين من دونِ اللهِ ؟ .

١٣٨/٧

وأولى القولين عندَنا بالصوابِ فى ذلك قولُ مَن قال بقولِ السديِّ ، وهو أن اللَّهَ تعالى ذكرُه قال ذلك لعيسى حينَ رفَعَه إليه ، وأن الخبرَ خبرٌ عما مضَى ؛ لعلَّتين ؛ **إحداهما** : أن « إذ » إنما تُصاحِبُ فى الأغلبِ مِن كلامِ العربِ المستعملِ بينَها ، الماضىَ مِن الفعلِ ، وإن كانت قد تُدْخِلُها أحيانًا فى موضعِ الخبرِ عما يَحْدُثُ إذا عرَف السامعون معناها ، وذلك غيرُ فاشٍ ولا فصيحٍ فى كلامِهم ، فتوجيهُ معانى كلامِ اللَّهِ تعالى إلى الأشهرِ الأعرفِ ما وُجِد إليه السبيلُ ، أولى مِن توجيهِها إلى الأجهلِ الأنكرِ .

والأُخرى : أن عيسى لم يَشْكُكْ[1] هو ولا أحدٌ مِن الأنبياءِ أن اللَّهَ لا يَغْفِرُ لمشركٍ مات على شركِه ، فيَجوزَ أن يُتَوَهَّمَ على عيسى أن يَقولَ فى الآخرةِ مُجِيبًا لربِّه تعالى : إن تُعَذِّبْ مَن اتخذنى وأمِّى إلهين مِن دونِك فإنهم عبادُك ، وإن تَغْفِرْ لهم فإنك أنت العزيزُ الحكيمُ .

فإن قال قائلٌ : وما كان وجهُ سؤالِ اللَّهِ عيسى : ﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ وهو العالِمُ بأن عيسى لم يَقُلْ ذلك ؟

قيل : يَحْتَمِلُ ذلك وجهين مِن التأويلِ :

---

(١) فى م : « يشك » .

أحدُهما : تحذيرُ عيسى عن قيلِ ذلك ونهيُه ، كما يقولُ القائلُ لآخرَ : أفعَلْتَ كذا وكذا ؟ مما يَعْلَمُ المَقولُ له ذلك أن القائلَ يَسْتَعْظِمُ فعلَ ما قال له : أفعَلْتَه ؟ على وجهِ النهيِ عن فعلِه والتهديدِ له فيه .

والآخرُ : إعلامُه أن قومَه الذين فارَقَهم قد خالَفوا عهدَه وبدَّلوا دينَهم بعدَه ، فيَكونُ بذلك جامعًا إعلامَه حالَهم بعدَه وتحذيرًا له قِيلَه .

وأما تأويلُ الكلامِ فإنه : ﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ ﴾ . أىْ : مَعْبودَيْن تَعْبُدونهما ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ؟ قال عيسى : تَنْزيهًا لك يارب وتعظيمًا أن أَفْعَلَ ذلك أو أَتَكَلَّمَ به ، ﴿ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ﴾ . يقولُ : ليس لى أن أَقولَ ذلك ؛ لأنى عبدٌ مخلوقٌ ، وأمِّى أمَةٌ لك ، (١) فهل يَكونُ (١) للعبدِ (٢) والأمَةِ ادِّعاءُ ربوبيةٍ ؟

﴿ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ﴾ . يقولُ : إنك لا يَخْفَى عليك شىءٌ ، وأنت عالمٌ أنى لم أَقُلْ ذلك ولم آمُرْهم به .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه مُخْبِرًا عن نبيِّه عيسى ﷺ أنه يَتَبَرَّأُ إليه مما قالت فيه وفى أمِّه الكفرةُ مِن النصارى ، أن يكونَ دعاهم إليه ، أو أمَرَهم به ، فقال : ﴿ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ﴾ . ثم قال : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي ﴾ . يقولُ : إنك يارب لا يَخْفَى عليك ما أَضْمَرَتْه نفسى مما لم أَنْطِقْ به ، ولم أُظْهِرْه بجوارحى ، فكيف بما قد نطَقْتُ به وأظهَرْتُه بجوارِحى ؟ يقولُ : لو كنتُ

(١ - ١) فى ص ، ت ١ : « فيكون يكون » ، وفى س : « فيكون » .

(٢) فى س : « العبد » .

قد قلتُ للناسِ : ﴿ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ . كنتَ قد علِمْتَه ؛ لأنك تَعْلَمُ ضَمائرَ النفوسِ مما لم تَنْطِقْ به ، فكيف بما قد نطَقتْ به ؟ ﴿ وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَۚ ﴾ . يقولُ : ولا أَعْلَمُ أنا ما أَخْفَيْتَه / عنى فلم تُطْلِعْنى عليه ؛ لأنى إنما أَعْلَمُ مِن الأشياءِ ما أَعْلَمْتَنِيه ، ﴿ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ . يقولُ : إنك أنت العالمُ بخَفِيَّاتِ الأمورِ ، التى لا يَطَّلِعُ عليها سِواك ، ولا يَعْلَمُها غيرُك . ١٣٩/٧

القول فى تأويل قولِه : ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ .

وهذا خبرٌ مِن اللَّهِ تعالى ذكرُه عن قولِ عيسى ، يقولُ : ما قلتُ لهم إلا الذى أمَرْتَنى به مِن القولِ أن أقولَه لهم ، وهو أن قلتُ لهم : ﴿ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۚ ﴾ . ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ . يقولُ : وكنتُ على ما يَفْعَلونه ، وأنا بينَ أظْهُرِهم شاهدًا عليهم ، وعلى أفعالِهم وأقوالِهم ، ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي ﴾ . يقولُ : فلما قبَضْتَنى إليك ﴿ كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْۚ ﴾ . يقولُ : كنتَ أنت الحفيظَ عليهم دونى ؛ لأنى إنما شهِدْتُ مِن أعمالِهم ما عمِلوه وأنا بينَ أظهرِهم .

وفى هذا تِبْيانُ أن اللَّهَ تعالى ذكرُه إنما عرَّفه أفعالَ القومِ ومَقالتَهم بعدَ ما قبَضَه إليه وتوفَّاه ، بقولِه : ﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ .

﴿ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ شَهِيدٌ ﴾ . يقولُ : وأنت تَشْهَدُ على كلِّ شىءٍ ؛ لأنه لا يَخْفَى عليك شىءٌ ، وأما أنا فإنما شهِدْتُ بعضَ الأشياءِ ، وذلك ما عايَنْتُ وأنا مقيمٌ بينَ أظْهُرِ القومِ ، فإنما أنا أَشْهَدُ على ذلك الذى عايَنْتُ ورأيْتُ وشهِدْتُ .

وبنحوِ الذى قلنا فى قولِه : ﴿ كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْۚ ﴾ . قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ مُفَضَّلٍ ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السديِّ : ﴿ كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾ : أما الرقيبُ فهو الحفيظُ .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ : ﴿ كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾ . قال : الحفيظَ .

وكانت جماعةٌ مِن أهلِ العلمِ تقولُ : كان جوابُ عيسى الذى أجاب به ربَّه مِن اللَّهِ تعالى توفيقًا منه له فيه .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : ثنا ابنُ يَمانٍ ، عن سفيانَ ، عن مَعْمرٍ ، عن ابنِ طاوسٍ ، عن أبيه : ﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ﴾. قال : اللَّهُ وفَّقه[1] .

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : [١/٧٤١ظ] ثنا أبو داودَ الحَفَرِيُّ[2] ، قال : قُرِئَ على سفيانَ ، عن معمرٍ ، عن ابنِ طاوسٍ / عن أبيه طاوسٍ ، قال : احْتَجَّ عيسى ، واللَّهُ وفَّقه ؛ ﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ الآية . ١٤٠/٧

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : ثنا جريرٌ ، عن عطاءٍ ، عن مَيْسرةَ ، قال : قال اللَّهُ تعالى ذكرُه : يا عيسى ، ﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ؟ قال : فأُرْعِدَت مَفاصلُه ، وخشِى أن يَكونَ قد قالها ، فقال : ﴿ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٥٣/٤ (٧٠٥٣) من طريق الفريابى عن سفيان به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٤٩/٢ إلى عبد الرزاق والفريابى وابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) فى ص، س : « الجعفرى » . وينظر تهذيب الكمال ٢١/ ٣٦٠.

أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾[1] .

القولُ في تأويلِ قولِه : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : إن تُعَذِّبْ هؤلاء الذين قالوا هذه المقالةَ ، بإماتتِك إياهم عليها ، ﴿ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾ ، مُسْتَسْلِمون لك ، لا يَمْتَنِعون مما أرَدْتَ بهم ، ولا يَدْفَعون عن أنفسِهم ضَرًّا ولا أمرًا تَنالُهم به ، ﴿ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ ، بهدايتِك إياهم إلى التوبةِ منها ، فتَسْتُرُ عليهم ، ﴿ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ﴾ في انتقامِه ممَّن أراد الانتقامَ منه ، لا يَقْدِرُ أحدٌ يَدْفَعُه عنه ، ﴿ ٱلْحَكِيمُ ﴾ في هدايتِه مَن هدَى مِن خلقِه إلى التوبةِ ، وتوفيقِه مَن وفَّق منهم لسبيلِ النجاةِ مِن العقابِ .

كالذى **حدَّثنا** محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ مُفَضَّلٍ ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السديِّ في قولِه : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ : فتُخْرِجَهم مِن النصرانيةِ ، وتَهْدِيَهم إلى الإسلامِ ، ﴿ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ . وهذا قولُ عيسى في الدنيا[2] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرَنا معمرٌ ، عن قتادةَ في قولِه : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ . قال : واللَّهِ ما كانوا طعَّانين ولا لعَّانين[3] .

---

(١) تقدم تخريجه في ص ١٣٤ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/١٢٥٥ (٧٠٦٢) من طريق أحمد بن المفضل ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٣٥٠ إلى أبي الشيخ .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/٢٠١.

القولُ فى تأويلِ قولِه عزَّ ذكرُه : ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ ﴾ .

اختلَفتِ القرأةُ فى قراءةِ قولِه : ﴿ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ ؛ فقرَأ ذلك بعضُ أهلِ الحجازِ والمدينةِ : (هذا يومَ يَنْفَعُ الصادِقين) بنصبِ (يومَ)[1] .

وقرَأ بعضُ أهلِ الحجازِ ، وبعضُ أهلِ المدينةِ ، وعامةُ قرأةِ أهلِ العراقِ : ﴿ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ برفعِ ﴿ يَوْمُ ﴾[2] ، فمَن رفَعه رفَعه بـ ﴿ هَٰذَا ﴾ ، وجعَل ﴿ يَوْمُ ﴾ اسمًا وإن كانت إضافتُه غيرَ مَحْضةٍ ؛ لأنه قد صار كالمنعوتِ .

وكان بعضُ أهلِ العربيةِ يَزْعُمُ أن العربَ يَعْمَلون فى إعرابِ الأوقاتِ مثلِ « اليومِ » و « الليلةِ » عملَهم فيما بعدَها ، إن كان ما بعدَها رفعًا رفَعوها ، كقولِهم : هذا يومُ يَرْكَبُ / الأميرُ ، وليلةُ يَصْدُرُ الحاجُّ ، ويومُ أخوك مُنْطَلِقٌ . وإن كان ما بعدَها نصبًا نصَبوها ، وذلك كقولِهم : هذا يومَ خرَج الجيشُ ، وسار الناسُ ، وليلةَ قُتِل زيدٌ . ونحوِ ذلك ، وإن كان معناها فى الحالين : إذ ، وإذا . وكأنَّ مَن قرَأ هذا هكذا رفعًا ، وجَّه الكلامَ إلى أنه مِن قيلِ اللَّهِ يومَ القيامةِ . ١٤١/٧

وكذلك كان السديُّ يقولُ فى ذلك .

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ مفضلٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ : هذا فصلٌ مِن كلامِ عيسى ، وهذا يومَ القيامةِ[3] .

يعنى السديُّ بقولِه : هذا فصلٌ مِن كلامِ عيسى . أن قولَه : ﴿ سُبْحَٰنَكَ مَا

(١) وهى قراءة نافع وحده . السبعة لابن مجاهد ص٢٥٠ .

(٢) وهى قراءة ابن كثير وعاصم وأبى عمرو وابن عامر وحمزة والكسائى . ينظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٥٠ .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٥٦/٤ (٧٠٦٥) من طريق أحمد بن المفضل .

يَكُونُ لِيَ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ مِن خبرِ اللَّهِ عز وجل عن عيسى أنه قاله فى الدنيا بعدَ أن رفَعه إليه ، وأن ما بعدَ ذلك مِن كلامِ اللَّهِ لعبادِه يومَ القيامةِ .

وأما النصبُ فى ذلك فإنه يَتَوَجَّهُ مِن وجهين :

أحدُهما : أن إضافةَ « يومٍ » ما لم تَكُنْ إلى اسمٍ تَجْعَلُه نصبًا ؛ لأن الإضافةَ غيرُ مَحْضةٍ ، وإنما تَكونُ الإضافةُ مَحْضةً إذا أُضِيف إلى اسمٍ صحيحٍ ، ونظيرُ « اليومِ » فى ذلك : « الحينُ » و « الزمانُ » وما أشبَهَهما مِن الأزمنةِ ، كما قال النابغةُ[1] :

على حينَ عاتَبْتُ المَشِيبَ على الصِّبا وقلتُ أَلَمَّا تَصْحُ والشَّيْبُ وازِعُ

والوجهُ الآخرُ : أن يَكونَ مُرادًا بالكلامِ : هذا الأمرُ وهذا الشأنُ يومَ يَنْفَعُ الصادِقِين . فيكونَ « اليومُ » حينَئذٍ منصوبًا على الوقتِ والصفةِ ، بمعنى : هذا الأمرُ فى يومِ يَنْفَعُ الصادِقِين صدقُهم .

وأولى القراءتين فى ذلك عندى بالصوابِ[2] : (هذا يومَ يَنْفَعُ الصادقين) . بنصبِ « اليومِ » على أنه منصوبٌ على الوقتِ والصفةِ ؛ لأن معنى الكلامِ أن اللَّهَ تعالى أجاب عيسى حينَ قال : ﴿ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيَ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ . فقال له عز وجل : هذا القولُ النافعُ ، أو هذا الصدقُ النافعُ يومَ يَنْفَعُ الصادقين صدقُهم . فـ « اليومُ » وقتُ القولِ والصدقِ النافعِ .

---

(١) ديوانه ص ٤٤.

(٢) القراءتان كلتاهما صواب .

فإن قال قائلٌ : فما موضعُ « هذا » ؟ قيل : رفعٌ . فإن قال : فأين مُرافِعُه[١] ؟ قيل : مُضْمَرٌ . وكأنه قال : قال اللَّهُ عز وجل : هذا[٢] ، هذا يومَ ينفعُ الصادقين صدقُهم . كما قال الشاعرُ :

أَمَا تَرَى السَّحابَ كيف يَجْرِى
هذا ولا خَيْلُك يا بنَ بِشْرِ

يريدُ : هذا ، هذا ولا خيلُك .

فتأويلُ الكلامِ إذ كان الأمرُ على ما وصَفْنا لما بيَّنا : قال اللَّهُ لعيسى : هذا القولُ النافعُ فى يومِ يَنْفَعُ / الصادقين فى الدنيا ، صِدْقُهم ذلك فى الآخرةِ عندَ اللَّهِ . ١٤٢/٧

﴿ لَهُمْ جَنَّٰتٌ [٧٤٢/١و] تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ . يقولُ : للصادقين فى الدنيا جناتٌ تَجْرِى مِن تحتِها الأنهارُ فى الآخرةِ ؛ ثوابًا لهم مِن اللَّهِ عزَّ وجلَّ على ما كان مِن صدقِهم الذى صدَقوا اللَّهَ فيما وعَدوه ، فوفَّوْا به للَّهِ ، فوفَّى اللَّهُ عز وجل لهم ما وعَدَهم مِن ثوابِه ، ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ﴾ . يقولُ : باقِين فى الجناتِ التى أعْطاهموها ، أبدًا دائمًا ، لهم فيها نعيمٌ لا يَنْتَقِلُ عنهم ولا يَزولُ .

وقد بيَّنا فيما مضَى أن معنى الخلودِ الدوامُ والبقاءُ[٣] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : رضِى اللَّهُ عن هؤلاء الصادقين الذين صدَقوا فى الوفاءِ له بما وعَدوه ، مِن العملِ بطاعتِه واجتنابِ مَعاصِيه ، ﴿ وَرَضُوا۟ عَنْهُۚ ﴾ . يقولُ : ورضُوا هم

---

(١) فى م : « رافعه » .

(٢) سقط من : م ، س .

(٣) ينظر ما تقدم فى ٤٢٢/١، ٥٩٢، ١٨٦/٢، ١٨٧.

عن اللهِ تعالى فى وفائِه لهم بما وعَدَهم على طاعتِهم إياه ، فيما أمَرَهم ونهاهم مِن جَزيلِ ثوابِه ، ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ . يقولُ : هذا الذى أعْطاهم اللَّهُ مِن الجناتِ التى تَجْرى مِن تحتِها الأنهارُ ، خالدِين فيها ، مَرْضِيًّا عنهم ، وراضِين عن ربِّهم ، هو الظَّفَرُ العظيمُ بالطَّلِبةِ وإدراكِ الحاجةِ التى كانوا يَطْلُبونها فى الدنيا ، ولها كانوا يَعْمَلون فيها ، فنالوا ما طلَبوا ، وأدْرَكوا ما أمَّلوا .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : أيُّها النصارى ، ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ . يقولُ : له سلطانُ السماواتِ والأرضِ ، ﴿ وَمَا فِيهِنَّ ﴾ ، دونَ عيسى الذى تَزْعُمون أنه إلهُكم ، ودونَ أمِّه ، ودونَ جميعِ مَن فى السماواتِ ومَن فى الأرضِ ، فإن السماواتِ والأرضَ خلقٌ مِن خلقِه ، وما فيهن ، وعيسى وأمُّه فى[1] بعضِ ذلك بالحُلولِ والانتقالِ ، يَدُلَّان بكونِهما فى المكانِ الذى هما فيه بالحُلولِ فيه والانتقالِ ، أنهما عبدان مَمْلوكان ، لمن له ملكُ السماوات والأرضِ وما فيهن ، يُنَبِّهُهم وجميعَ خلقِه على موضعِ حجتِه عليهم ليَدَّبَّروه ويَعْتَبِروه ، فيَعْقِلوا عنه ، ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌۢ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : واللَّهُ الذى له ملكُ السماواتِ والأرضِ وما فيهن قادرٌ على إفنائِهن ، وعلى إهْلاكِهن وإهْلاكِ عيسى وأمِّه ومَن فى الأرضِ جميعًا ، كما ابْتَدَأ خلقَهم ، لا يُعْجِزُه ذلك ، ولا شىءٌ أراده ؛ لأن قدرتَه القدرةُ التى لا يُشْبِهُها قدرةٌ ، وسلطانَه السلطانُ الذى لا يُشْبِهُه سلطانٌ ولا مملكةٌ .

---

(١) فى م : « من » .

١٤٣/٧ /بسمِ اللَّـهِ الرحمنِ الرحيمِ

تفسيرُ سورةِ الأنعامِ

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ .

يعنى تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ : الحمدُ الكاملُ للَّهِ وحدَه لا شَريكَ له ، دونَ جميعِ الأندادِ والآلهةِ ، ودونَ ما سِواه ، مما تَعْبُدُه كفَرةُ خلقِه مِن الأوثانِ والأصنامِ .

وهذا كلامٌ مَخْرَجُه مَخْرجُ الخبرِ ، يُنْحَى به نحوَ الأمرِ ، يقولُ : أَخْلِصوا الحمدَ والشكرَ للذى خلَقكم أيُّها الناسُ ، وخلَق السماواتِ والأرضَ ، ولا تُشْرِكوا معه فى ذلك أحدًا شيئًا ، فإنه المُسْتَوْجِبُ عليكم الحمدَ بأياديه عندَكم ، ونعمِه عليكم ، لا مَن تَعْبُدونه مِن دونِه ، وتَجْعَلونه له شريكًا مِن خلْقِه .

وقد بيَّنا الفصلَ بينَ معنى « الحمدِ » و « الشكرِ » بشَواهدِه فيما مضَى قبلُ[(١)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَـٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : الحمدُ للَّهِ الذى خلَق السماواتِ والأرضَ ، وأظْلَم الليلَ وأنار النهارَ .

كما حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ مُفَضَّلٍ ، قال : ثنا

---

(١) ينظر ما تقدم ١/١٣٥ - ١٣٨.

أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ﴾ . قال : الظلماتُ ظلمةُ الليلِ ، والنورُ نورُ النهارِ[١] .

حدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : أما قولُه : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ﴾ . فإنه خلَق السماواتِ قبلَ الأرضِ ، والظلمةَ قبلَ النورِ ، والجنةَ قبلَ النارِ[٢] .

فإن قال قائلٌ : فما معنى قولِه إذنْ : ﴿ جَعَلَ ﴾ ؟

قيل : إن العربَ تَجْعَلُها ظرفًا للخبرِ والفِعْلِ ، فتقولُ : جعَلْتُ أَفْعَلُ كذا ، وجعَلْتُ أَقومُ وأَقْعُدُ . تَدُلُّ بقولِها : جعَلْتُ . على اتصالِ الفعلِ ، كما تقولُ : علِقْتُ[٣] أَفْعَلُ كذا . لا أنها في نفسِها فِعْلٌ ، يَدُلُّ على ذلك قولُ القائلِ : جعَلْتُ أقومُ[٤] . وأنه لا جَعْلَ هناك سوى القيامِ[٥] ، وإنما دلَّ بقولِه : جعَلْتُ . على اتصالِ الفعلِ ودَوامِه ، ومِن ذلك قولُ الشاعرِ :

وزعَمْتَ أنك سوف تَسْلُكُ فاردا[٦] والموتُ مُكْتَنِعٌ[٧] طَريقَىْ قادِرِ

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٥٩/٤، ١٢٦٠ (٧٠٨٢، ٧٠٨٥) من طريق أحمد .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٥٩/٤ (٧٠٧٩، ٧٠٨٣) من طريق يزيد ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ.

(٣) في س : « عقلت » . وعلق فلان يفعل كذا : ظل ، كقولك : طفق يفعل كذا . اللسان (ع ل ق).

(٤) بعده في ص، ت١، ت٢، ت٣، س : « وأقوم » .

(٥) بعده في ص، ت١، ت٢، ت٣، س : « والقيام » .

(٦) في م : « قادرا » . وفاردا : منفردا .

(٧) في م : « متسع » . واكتنع الشيء : حضر ، وكنع الموت واكتنع : دنا وقرب . اللسان (ك ن ع) . وينظر تعليق الشيخ شاكر على هذا البيت .

فاجْعَلْ تَحَلَّلْ مِن يَمِينِك إنما حِنْثُ اليَمينِ على الأَثِيمِ[1] الفاجِرِ

١٤٤/٧ / يقولُ : فاجْعَل تَحَلَّلْ . بمعنى : تحلَّل شيئًا بعدَ شيءٍ . لا أن هناك جَعْلًا مِن غيرِ التَّحْليلِ ، فكذلك كلُّ جَعْلٍ فى الكلامِ ، إنما هو دليلٌ على فعلٍ له اتصالٌ ، لا أن له حظًّا فى معنى الفعْلِ .

فقولُه : ﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾ . إنما هو : أَظْلَم ليلَهما وأنار نهارَهما .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه مُعَجِّبًا خلقَه المؤمنين مِن كفَرةِ عبادِه ، ومُحْتَجًّا على الكافرين : إن الإلهَ الذى يَجِبُ عليكم أيُّها الناسُ حمدُه ، هو الذى [٧٤٢/١ظ] خلَق السماواتِ والأرضَ ، الذى جعَل منهما مَعايشَكم وأقْواتَكم وأقوات أنعامِكم التى بها حياتُكم ، فمِن السماواتِ يَنزِلُ عليكم الغيثُ ، وفيها تَجْرِى الشمسُ والقمرُ باعتِقابٍ واختلافٍ لمَصالحِكم ، ومِن الأرضِ يَنْبُتُ الحبُّ الذى به غذاؤُكم ، والثمارُ التى فيها مَلاذُّكم ، مع غيرِ ذلك مِن الأمورِ التى فيها مَصالحُكم ومَنافعُكم بها ، والذين يَجْحَدون نعمةَ اللَّهِ عليهم ، بما أنْعَم به عليهم مِن خلقِ ذلك لهم ولكم أيُّها الناسُ ﴿ بِرَبِّهِمْ ﴾ الذى فعَل ذلك وأحْدَثه ﴿ يَعْدِلُونَ ﴾ : يَجْعَلون له شريكًا فى عبادتِهم إياه ، فيَعْبُدون معه الآلهةَ والأندادَ والأصنامَ والأوثانَ ، وليس منها شىءٌ شرِكه فى خلقِ شىءٍ مِن ذلك ، ولا فى إنعامِه عليهم بما أنْعَم به عليهم ، بل هو المنفردُ بذلك كلِّه ، وهم يُشْرِكون فى

---

(١) فى م : « اللئيم » .

عبادتِهم إياه غيرَه . فسبحانَ اللَّهِ ما أبْلَغَها مِن[(١)] حجةٍ ، وأوْجَزَها مِن عِظَةٍ ، لمن فكَّر[(٢)] فيها بعقلٍ ، وتدبَّرها بفهمٍ !

ولقد قيل : إنها فاتحةُ التوراةِ .

حدَّثنا سفيانُ بنُ وَكيعٍ ، قال : ثنا عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ الصمدِ العَمِّيُّ[(١)] ، عن أبى عِمْرانَ الجَوْنيِّ ،عن عبدِ اللَّهِ بنِ رَباحٍ ، عن كعبٍ ، قال : فاتحةُ التوراةِ : فاتحةُ « الأنعامِ » : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾[(٣)] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا زيدُ بنُ حُبابٍ ، عن جعفرِ بنِ سليمانَ ، عن أبى عِمْرانَ الجَوْنيِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ رَباحٍ ، عن كعبٍ مثلَه ، وزاد فيه : وخاتمةُ التوراةِ خاتمةُ « هودٍ »[(٤)] .

يقالُ مِن مُساواةِ الشيءِ بالشيءِ : عدَلْتُ هذا بهذا . إذا ساوَيْتَه به ، عَدْلًا . وأما فى الحكمِ إذا أنْصَفْتَ فيه ، فإنك[(٥)] تقولُ : عدَلْتُ فيه أَعْدِلُ عَدْلًا .

وبنحوِ الذى قلنا فى تأويلِ قولِه : ﴿ يَعْدِلُونَ ﴾ . قال أهلُ التأويلِ .

---

(١) سقط من : س .

(٢) فى س : « تذكر » .

(٣) أخرجه ابن الضريس فى فضائل القرآن (١٩٧، ١٩٩) من طريق أبى عمران الجونى ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/٣ إلى ابن المنذر وأبى الشيخ .

(٤) أخرجه ابن الضريس فى فضائل القرآن (٢٠٢) من طريق جعفر بن سليمان ، وأخرجه الدارمى ٤٥٣/٢ من طريق أبى عمران الجونى ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٥٧/٢ إلى عبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد وأبى الشيخ .

(٥) فى ص ، ت٢ : « فإنه » .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ : ﴿ يَعْدِلُونَ ﴾ قال : يُشْرِكون[1] .

ثم اختَلَف أهلُ التأويلِ في مَن عُنِي بذلك ؛ فقال بعضُهم : عُنِي به أهلُ الكتابِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا يعقوبُ القُمِّيُّ ، عن جعفرِ بنِ أبي المغيرةِ ، عن ابنِ أبْزَى ، قال : جاءه رجلٌ مِن الخوارجِ يَقْرَأُ عليه هذه الآيةَ : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ قال له : أليس الذين كفَروا بربِّهم يَعْدِلون ؟ قال : بلى . قال : وانْصَرَف عنه الرجلُ ، فقال له رجلٌ مِن القومِ : يابنَ أبْزَى ، إن هذا قد/ أراد تفسيرَ هذه غيرَ هذا ، إنه رجلٌ مِن الخَوارجِ . فقال : ردُّوه علىَّ . فلما جاءه قال : هل تَدْرِى في مَن نزَلَت هذه الآيةُ ؟ قال : لا . قال : إنها نزَلَت في أهلِ الكتابِ ، اذْهَبْ لاتَضَعْها على غيرِ حَدِّها[2] .

١٤٥/٧

وقال آخرون : بل عُنِي بها المشركون مِن عَبَدةِ الأوثانِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ :

---

(١) تفسير مجاهد ص ٣١٩، ومن طريقه أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/١٢٦٠ (٧٠٨٨) .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/١٢٦٠ (٧٠٨٧) من طريق يعقوب القمي به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣/٤ إلى عبد بن حميد وأبي الشيخ .

﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ قال : هؤلاء أهلُ صُراحِيَةٍ[1] .

حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ مُفَضَّلٍ ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السديِّ : ﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ . قال : هم المشركون[2] .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخْبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ . قال : الآلهةُ التى عبَدوها عدَلوها باللَّهِ . قال : وليس للَّهِ عِدْلٌ ولا نِدٌّ ، وليس معه آلهةٌ ، ولا اتَّخذ صاحبةً ولا ولدًا[3] .

وأولى الأقوالِ فى ذلك بالصوابِ عندى أن يقالَ : إن اللَّهَ تعالى ذكرُه أخْبَر أن الذين كفَروا بربِّهم يَعْدِلون . فعمَّ بذلك جميعَ الكفارِ ، ولم يَخْصُصْ منهم بعضًا دونَ بعضٍ ، فجميعُهم داخِلون فى ذلك ؛ يهودُهم ، ونَصاراهم ، ومَجوسُهم ، وعَبَدةُ الأوثانِ منهم ومِن غيرِهم مِن سائرِ أصنافِ الكفرِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ﴾ .

يعنى تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ﴾ . أن اللَّهَ الذى خلَق السماواتِ والأرضَ ، وأظْلَم ليلَهما وأنار نَهارَهما ، [4]ثم كفَر[4] به - مع إنعامِه عليهم - الكافرون ، وعدَلوا به مَن لا يَنْفَعُهم ولا يَضُرُّهم ، هو الذى خلَقكم أيُّها الناسُ مِن طينٍ . وإنما يعنى بذلك تعالى ذكرُه أن الناسَ وَلَدُ مَن خلَقَه مِن طينٍ ،

---

(١) فى م : « صراحة » . والصراحية والصراحة : الخالصة . اللسان (ص ر ح) . والمراد أنهم أهل شرك وكفر صريح .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٢٦٠ عقب الأثر (٧٠٨٨) من طريق أسباط .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٢٦٠ (٧٠٨٩) من طريق أصبغ ، عن ابن زيد .

(٤ - ٤) فى م : « فكفر » .

فأَخْرَج ذلك مُخْرَجَ الخطابِ لهم ، إذ كانوا وَلَدَه .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ.

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ﴾ : بَدْءُ الخلقِ ، خلَق اللَّهُ آدمَ مِن طينٍ[1] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ﴾ . قال : هو آدمُ .

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ مُفَضَّلٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ : أمَّا ﴿ خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ﴾ . فآدمُ .

١٤٦/٧ / حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنا أبو تُمَيْلةَ ، عن عُبيدِ بنِ سليمانَ ، عن الضحاكِ بنِ مُزاحمٍ ، قال : خُلِق آدمُ مِن طينٍ ، وخُلِق الناسُ مِن سُلالةٍ مِن ماءٍ مَهينٍ .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ﴾ . قال : خلَق آدمَ مِن طينٍ ، ثم خلَقَنا مِن آدمَ حينَ أخَذَنا مِن ظهرِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ ثُمَّ قَضَىٰٓ [١/٧٤٣و] أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ﴾ .

اخْتَلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ ذلك ؛ فقال بعضُهم : معنى قولِه : ﴿ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ﴾ . ثم قضَى لكم أيُّها الناسُ ﴿ أَجَلًا ﴾ ، وذلك ما بينَ أن يُخْلَقَ إلى أن يموتَ ، ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ﴾ . وذلك ما بينَ أن يموتَ إلى أن يُبْعَثَ .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/٤ إلى عبد بن حميد .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ وهنادُ بنُ السَّريِّ ، قالا : ثنا وكيعٌ ، قال : ثنا أبي ، عن أبي بكرٍ الهُذَليِّ ، عن الحسنِ في قولِه : ﴿ قَضَىٰٓ أَجَلًا ﴾ قال : ما بينَ أن يُخلَقَ إلى أن يموتَ ، ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ﴾ . قال : ما بينَ أن يموتَ إلى أن يُبعَثَ[1] .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ﴾ . كان يقولُ : أجَلُ حياتِك إلى أن تموتَ ، وأجلُ موتِك إلى أن تُبعَثَ ، فأنت بينَ أجلَين مِن اللَّهِ تعالى[2] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنا أبو تُمَيْلةَ ، عن عُبيدِ بنِ سليمانَ ، عن الضحاكِ بنِ مزاحمٍ : ﴿ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ﴾ . قال : قضَى أجلَ الموتِ ، وكلُّ نفسٍ أجلُها الموتُ . قال : ولن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نفسًا إذا جاء أجلُها ، ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ﴾ . يعنى أجلَ الساعةِ ذَهابَ الدنيا ، والإفْضاءَ إلى اللَّهِ[3] .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ثم قضَى الدنيا ، وعندَه الآخرةُ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ آدمَ ، عن سفيانَ ، عن أبي حَصِينٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ أَجَلًا ﴾ . قال : الدنيا ، ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ﴾ : الآخرةُ[4] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال: ثنا أبو عاصمٍ ، عن زكريا بنِ إسحاقَ ، عن ابنِ أبي

(١) ينظر تفسير البغوى ١٢٧/٣، وتفسير ابن كثير ٣/ ٢٣٤.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٦٢/٤ (٧٠٩٨) من طريق يزيد به .
(٣) تفسير البغوى ١٢٧/٣، وتفسير ابن كثير ٣/ ٢٣٤.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٦٠/٤ (٧٠٩٠) من طريق سفيان به . دون ذكر آخره .

نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ : ﴿ قَضَىٰٓ أَجَلاً ﴾ . قال : الآخرةُ عندَه . ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ : الدنيا[(١)] .

حدَّثنا محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ أَجَلاً ﴾ . قال : الآخرةُ عندَه . ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ . قال : الدنيا .

١٤٧/٧ / حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثَوْرٍ ، عن مَعْمَرٍ ، عن قتادةَ والحسنِ : ﴿ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ﴾ . قالا : قضَى أجلَ الدنيا مِن حينَ خلَقَك إلى أن تموتَ ، ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ﴾ : يومُ القيامةِ .

حدَّثنا هنادٌ ، قال : ثنا وَكيعٌ ، عن إسرائيلَ ، عن جابرٍ ، عن مُجاهدٍ وعكرمةَ : ﴿ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ﴾ . قال : قضَى أجلَ الدنيا ، ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ﴾ . قال : هو أجلُ البعثِ[(٢)] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن إسرائيلَ ، عن جابرٍ ، عن مُجاهدٍ وعكرمةَ : ﴿ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلاً ﴾ . قال : الموتُ ، ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ﴾ . الآخرةُ .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا معمرٌ ، عن قتادةَ والحسنِ فى قولِه : ﴿ قَضَىٰٓ أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ﴾ قالا : قضَى أجلَ الدنيا منذُ يومِ خُلِقْتَ إلى أن تموتَ ، ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ﴾ : يومُ القيامةِ[(٣)] .

---

(١) تفسير مجاهد ص ٣١٩.

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٢٦١، ١٢٦٢ (٧٠٩٢، ٧٠٩٩) معلقا .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/٢٠٣، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/٤ إلى ابن المنذر وأبى الشيخ .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ وابنُ حميدٍ ، قالا : ثنا جريرٌ ، عن منصورٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ قَضَىٰٓ أَجَلًا ﴾ . قال : أجلُ الدنيا ، ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ﴾ . قال : البعثُ[1] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا عبدُاللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ﴾ : يعنى أجلَ الموتِ ، والأجلُ المسمى أجلُ الساعةِ والوقوفِ عندَ اللَّهِ[2] .

حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ : ﴿ قَضَىٰٓ أَجَلًا ﴾ . قال : أما ﴿ قَضَىٰٓ أَجَلًا ﴾ فأجلُ الموتِ ، ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ﴾ : يومُ القيامةِ[3] .

وقال آخرون فى ذلك بما حدَّثنى به محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ﴾ . قال : أما قولُه : ﴿ قَضَىٰٓ أَجَلًا ﴾ . فهو النومُ تُقْبَضُ فيه الروحُ ، ثم تَرْجِعُ إلى صاحبِها حينَ اليَقَظةِ ، ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ﴾ : هو أجلُ موتِ الإنسانِ[4] .

وقال آخرون بما حدَّثنى به يونُسُ ، قال : أخْبَرنا ابنُ وهبٍ [5] قال : قال ابنُ زيدٍ [5] فى قولِه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾ . قال : خلَق آدمَ مِن طينٍ ، ثم خلَقَنا مِن آدمَ حينَ[6] أخَذَنا مِن ظهرِه ، ثم

---

(١) ينظر تفسير البغوى ٣/ ١٢٧.

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٦١/٤، ١٢٦٢ (٧٠٩٦، ٧١٠١) من طريق أبى صالح .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٦١/٤ (٧٠٩٢) ، وعقب الأثر (٧٠٩٥) من طريق عمرو بن حماد عن أسباط به .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٦١/٤ (٧٠٩٣، ٧٠٩٧) عن محمد بن سعد به .

(٥ - ٥) سقط من النسخ ، والمثبت مما تقدم فى ص ١٥٠ .

(٦) سقط من النسخ ، والمثبت مما تقدم فى ص ١٥٠ .

أخذ الأجلَ والـمِيثاقَ فى أجلٍ واحدٍ مسمًّى فى هذه الحياةِ الدنيا .

وأولى الأقوالِ فى ذلك عندى بالصوابِ قولُ مَن قال : معناه : ثم قضَى أجلَ الحياةِ الدنيا ، ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ﴾ ، وهو أجلُ البَعْثِ عندَه .

وإنما قلنا : ذلك أولى بالصوابِ ؛ لأنه تعالى نبَّه خلقَه على موضعِ حُجَّتِه عليهم مِن أنفسِهم ، فقال لهم : أيُّها الناسُ ، إن الذى يَعْدِلُ به كفارُكم الآلهةَ والأندادَ ، هو الذى خلَقَكم فابْتَدَأكم وأنْشَأكم مِن طينٍ ، فجعَلكم صُوَرًا أجسامًا أحياءً ، بعدَ إذ كنتم طينًا جمادًا ، ثم قضَى آجالَ حياتِكم لفنائِكم ومَماتِكم ؛ ليُعِيدَكم ترابًا وطينًا / كالذى كنتم قبلَ أن يُنْشِئَكم ويَخْلُقَكم ، وأجلٌ مُسَمًّى عندَه لإعادتِكم أحياءً وأجسامًا ، كالذى كنتم قبلَ مَماتِكم . وذلك نظيرُ قولِه : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَـٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة : ٢٨] .

١٤٨/٧

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : ثم أنتم تَشُكُّون فى قدرةِ مَن قدَر على خلقِ السماواتِ والأرضِ ، وإظلامِ الليلِ وإنارةِ النهارِ ، وخلَقَكم مِن طينٍ ، حتى صيَّركم بالهيئةِ التى أنتم بها[1] - على إنشائِه إياكم مِن بعدِ مَماتِكم وفَنائِكم ، وإيجادِه إياكم بعدَ عدمِكم .

والـمِرْيةُ فى كلامِ العربِ هى الشَّكُّ . وقد بيَّنْتُ ذلك بشَواهدِه فى غيرِ هذا الموضعِ فيما مضَى قبلُ بما أغنَى عن إعادتِه[2] .

وقد حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ[3] :

(١) بعده فى م : « و » .

(٢) ينظر ما تقدم فى ٦٧٣/٢، ٥/ ٤٦٤، ٤٦٥.

(٣) فى س : « جريج » .

[١/٧٤٣ظ] ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾ قال : الشكُّ . قال : وقرأ قولَ اللهِ : ﴿ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ ﴾ [الحج : ٥٥] . قال : في شكٍّ منه .

حدَّثني محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾ : تَشكُّون(١) .

القولُ في تأويلِ قولِه : ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ۝٣ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : إن الذي له الأُلوهةُ التي لا تَنْبَغِي لغيرِه ، المُستَحِقُّ عليكم إخلاصَ الحمدِ له بآلائِه عندَكم أيُّها الناسُ ، الذي يَعْدِلُ به كفارُكم مَن سِواه ، هو اللَّهُ الذي هو في السماواتِ و(٢) في الأرضِ يَعْلَمُ سِرَّكم وجَهْرَكم ، فلا يَخْفَى عليه شيءٌ . يقولُ : فربُّكم الذي يَسْتَحِقُّ عليكم الحمدَ ، ويَجِبُ عليكم إخلاصُ العبادةِ له ، هو هذا الذي هذه(٢) صِفَتُه ،لا مَن لا يَقْدِرُ لكم على ضَرٍّ ولا نفعٍ ، ولا يَعْمَلُ شيئًا ، ولا يَدْفَعُ عن نفسِه سُوءًا أُرِيد بها .

وأما قولُه : ﴿ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ . يقولُ : ويَعْلَمُ ما تَعْمَلون وتَجْرَحُون ، فيُحْصِي ذلك عليكم ليُجازِيَكم به عندَ مَعادِكم إليه .

القولُ في تأويلِ قولِه : ﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝٤ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : وما تأْتي هؤلاء الكفارَ الذين بربِّهم يَعْدِلون أوثانَهم وآلهتَهم ، آيةٌ مِن آياتِ ربِّهم . يقولُ : حجةٌ وعلامةٌ ودلالةٌ مِن حُجَجِ

---

(١) في م : « بمثله » . والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/١٢٦٢ (٧١٠٢) من طريق أحمد به .

(٢) سقط من : م .

ربِّهم ، (١) ودَلالاتِه وأعْلامِه (١) على وحدانيتِه ، وحقيقةِ نبوتِك يا محمدُ ، وصدقِ ما أتيتَهم به مِن عندى ، ﴿ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ . يقولُ : إلا أعْرَضوا عنها ، / يعنى عن الآيةِ ، فصَدُّوا عن قَبولِها ، والإقرارِ بما شهِدَت على حقيقتِه ، ودلَّت على صحتِه ؛ جهلًا منهم باللَّهِ ، واغْتِرارًا بحِلْمِه عنهم .

١٤٩/٧

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه :فقد كذَّب هؤلاء العادلون باللَّهِ الحقَّ لمَّا جاءَهم . وذلك الحقُّ هو محمدٌ ﷺ ، كذَّبوا به ، وجحَدوا نبوَّتَه لما جاءهم . قال اللَّهُ لهم مُتَوَعِّدًا على تكذيبِهم إياه ، وجُحودِهم نبوتَه : سوف يَأْتى المكذِّبين بك يا محمدُ مِن قومِك وغيرِهم ﴿ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ . يقولُ : سوف يَأْتِيهم أخبارُ استهزائِهم بما كانوا به يَسْتَهْزِئون مِن آياتى وأدلَّتى التى آتَيْتُهم . ثم وفَى لهم بوعيدِه لمَّا تمادَوْا فى غيِّهم ، وعتَوْا على ربِّهم ، فقتَلَهم يومَ بدرٍ بالسيفِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : ألم يَرَ هؤلاء المكذِّبون بآياتى ، الجاحِدون نبوتَك ، كثرةَ مَن أهْلَكْتُ مِن قبلِهم مِن القُرونِ ، وهم الأممُ الذين وطَّأْتُ لهم البلادَ والأرضَ تَوْطِئَةً لم أُوَطِّئْها لهم ، وأعْطَيْتُهم فيها ما لم أُعْطِهم ؟

كما حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا معْمَرٌ ،

(١ - ١) فى س : « دلالة وعلامة » .

عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ مَكَّنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ ﴾ . يقولُ : أَعْطَيْناهم ما لم نُعْطِكم[1] .

قال أبو جعفرٍ : أمْطَرَت فأخرَجَت لهم الأشجارُ ثمارَها ، وأعْطَتهم الأرضُ رَيْعَ نَباتِها ، وجابوا صخورَ جبالِها ، ودرَّت عليهم السماءُ بأمْطارِها ، وتفَجَّرَت مِن تحتِهم عيونُ المياهِ بيَنابيعِها بإذْنى ، [2]فغمَطُوا نعمةَ[2] ربِّهم ، وعصَوْا رسولَ خالقِهم ، وخالَفوا أمْرَ بارئِهم ، وبغَوْا حتى حقَّ عليهم قَوْلى ، فأخَذْتُهم بما اجتَرَحوا مِن ذنوبِهم ، وعاقَبْتُهم بما اكْتَسَبَت أيديهم ، وأهْلَكْتُ بعضَهم بالرَّجْفةِ ، وبعضَهم بالصَّيْحةِ ، وغيرِ ذلك مِن أنواعِ العذابِ .

ومعنى قولِه : ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا ﴾ . المطرَ . ويعنى بقولِه : ﴿ مِّدْرَارًا ﴾ . غزيرةً دائمةً ، ﴿ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾ . يقولُ : وأحْدَثْنا مِن بعدِ الذين أهْلَكْناهم قرنًا آخرين ، فابْتَدَأْنا سِواهم .

فإن قال قائلٌ : فما وجهُ قولِه : ﴿ مَكَّنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ ﴾ . ومَن المُخاطَبُ بذلك ، / فقد ابْتَدَأ الخبرَ فى أوّلِ الآيةِ عن قومٍ غَيَبٍ بقولِه : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ ﴾؟ .

١٥٠/٧

قيل: إن المخاطَبَ بقولِه : ﴿ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ ﴾ . هو المُخْبَرُ عنهم بقولِه : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ ﴾ . ولكن فى الخبرِ معنى القولِ ، ومعناه : قُلْ يا محمدُ لهؤلاء القومِ الذين كذَّبوا بالحقِّ لمَّا جاءهم : ألم يَرَوْا كم أهْلَكْنا مِن قبلِهم مِن قَرْنٍ مَكَّناهم فى الأرضِ ما لم نُمكِّنْ لكم . والعربُ إذا أخبَرَت خبرًا عن غائبٍ

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٦٣/٤ (٧١١٠) عن الحسن بن يحيى به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥/٣ إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وأبى الشيخ .

(٢ - ٢) فى ص : « فطعوا نعمة » ، وفى ت١: « فطمعوا نعمة» ، وفى س: «فطغوا بنعمة» .

وأدْخلَت فيه قولًا فعَلَت ذلك ، فوجَّهَت الخبرَ أحيانًا إلى الخبرِ عن الغائبِ ، وأحيانًا إلى الخطابِ ، فتقولُ : قلتُ لعبدِ اللَّهِ : ما أكْرَمه . وقلتُ لعبدِ اللَّهِ : ما أكْرَمَك . وتُخْبِرُ عنه أحيانًا على وجهِ الخبرِ عن الغائبِ ، ثم تَعودُ إلى الخطابِ ، وتُخْبِرُ على وجهِ الخِطابِ له ، ثم تَعودُ إلى الخبرِ عن الغائبِ . وذلك فى كلامِها وأشعارِها كثيرٌ فاشٍ ، وقد ذكَرْنا بعضَ ذلك فيما مضَى بما أغْنَى عن إعادتِه فى هذا الموضعِ[(١)] .

وقد كان بعضُ نحويِّى البصرةِ يقولُ فى ذلك : كأنه أخْبَر النبىَّ ﷺ ثم خاطَبه معهم . وقال : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾ [يونس : ٢٢] . فجاء بلفظِ الغائبِ وهو يُخاطِبُ ؛ لأنه المخاطَبُ .

القولُ فى تأويلِ قولِه عز ذكرُه : ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ ﴾ .

وهذا إخبارٌ مِن اللَّهِ تعالى ذكرُه نبيَّه محمدًا ﷺ عن هؤلاءِ القومِ الذين يَعْدِلون بربِّهم الأوثانَ والآلهةَ والأصنامَ ، يقولُ تعالى ذكرُه : وكيف يَتَفَقَّهون الآياتِ[(٢)] ، أم كيف يَسْتَدِلُّون على بُطْلانِ ما هم عليه مُقيمون [١/٧٤٤و] مِن الكفرِ باللَّهِ وجُحودِ نبوَّتِك ، بحججِ اللَّهِ وآياتِه وأدلتِه ؟ وهم لعِنادِهم الحقَّ ، وبعدِهم مِن الرُّشْدِ ، لو أنْزَلْتُ عليك يا محمدُ الوحىَ الذى أنْزَلْتُه عليك مع رسولى فى قِرْطاسٍ ، يُعايِنونه ويَمَسُّونه بأيديهم ، ويَنْظُرون إليه ويَقْرَءونَه منه ، مُعلَّقًا بينَ السماءِ والأرضِ ، بحقيقةِ ما تَدْعوهم إليه ، وصحةِ ما تأْتِيهم به مِن توحيدى وتنْزِيلى - لَقال الذين يَعْدِلُون بى غيرى ، فيُشرِكون فى توحيدِى سِواىَ : ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ . أى : ما هذا الذى جئْتَنا به إلا سحرٌ سَحَرْتَ به أعْيننا ، ليست له حقيقةٌ ولا صحةٌ ، ﴿ مُّبِينٌ ﴾ .

---

(١) ينظر ما تقدم فى ١/١٥٥، ١٥٦، ٢/١٩٣، ١٩٤، ٢٦٣، ٢٩٤.

(٢) فى ص، ت١، ت٢، ت٣،س : « الأوثان » .

يقولُ : مبينٌ لِمَن تدَبَّره وتأَمَّله أنه سحرٌ لا حقيقةَ له .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال جماعةٌ مِن أهلِ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ تعالى : ﴿ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ . قال : فمسُّوه ونظَروا إليه لم يُصَدِّقوا به[1] .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا / فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ . يقولُ : فعايَنوه مُعايَنةً ، ﴿ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[2] . ١٥١/٧

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ . يقولُ : لو نزَّلْنا من السماء صُحُفًا فيها كتابٌ فلمَسوه بأيديهم ، لَزادهم ذلك تكذيبًا[3] .

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضَّلِ ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السدىِّ : ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ ﴾ : الصحفُ[4] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبرَنا مَعْمرٌ ، عن

---

(١) تفسير مجاهد ص ٣١٩، ومن طريقه أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٦٤/٤ (٧١١٦، ٧١١٩)، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥/٣ إلى ابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وأبى الشيخ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٦٤/٤ (٧١١٧) من طريق يزيد به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٦٤/٤ (٧١١٨) عن محمد بن سعد به .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٦٤/٤ عقب الأثر (٧١١٥) من طريق عمرو بن حماد عن أسباط به .

قتادةَ فى قولِه : ﴿ فِي قِرْطَاسٍ ﴾ . يقولُ : فى صَحيفةٍ ، ﴿ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[١] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : فقال هؤلاء المُكذِّبون بآياتى ، العادِلون بى[٢] الأندادَ والآلهةَ ، يا محمدُ لك - لو دعَوْتَهم إلى توحيدى ، والإقرارِ بربوبيتى ، وإذا أتَيْتَهم مِن الآياتِ والعِبَرِ بما أتَيْتَهم به ، واحتَجَجتَ عليهم بما احتَجَجتَ عليهم ، مما قطَعْتَ به عذرَهم -: هَلَّا نُزِّل عليك مَلَكٌ مِن السماءِ فى صورتِه ، يُصَدِّقُك على ما جئْتَنا به ، ويَشْهَدُ لك بحقيقةِ ما تَدَّعِى ، مِن أن اللَّهَ أرْسَلك إلينا . كما قال تعالى مُخْبِرًا عن المشركين فى قيلِهم لنبىِّ اللَّهِ ﷺ : ﴿ وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ﴾[٣] [الفرقان : ٧] . ﴿ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾ . يقولُ : ولو أنزَلْنا مَلَكًا على ما سأَلوا ، ثم كفَروا ولم يُؤْمِنوا بى وبرسولى ، لجاءهم العذابُ عاجلًا غيرَ آجِلٍ ، ولم يُنْظَروا فيُؤَخَّروا بالعقوبةِ مُراجعةَ التوبةِ ، كما فعَلْتُ بمَن قبلَهم مِن الأُممِ التى سأَلَتِ الآياتِ ، ثم كفَرَت بعدَ مجيئِها ؛ مِن تعجيلِ النِّقْمةِ ، وتركِ الإنْظارِ .

كما حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ مُفَضَّلٍ ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السدىِّ : ﴿ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾ . يقولُ : لجاءهم العذابُ[٤] .

---

(١) تفسير عبد الرزاق ٢٠٣/١. وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٦٤/٤ (٧١١٥) عن الحسن بن يحيى به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥/٣ إلى عبد بن حميد وأبى الشيخ .

(٢) زيادة من : م .

(٣) بعده فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س : « يقول » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٦٦/٤ عقب الأثر (٧١٢٥) من طريق عمرو بن حماد عن أسباط به .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾ . يقولُ : ولو[1] أنزَلْنا إليهم ملكًا ، ثم لم يُؤْمِنوا لم يُنْظَروا[2] .

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ في قولِ اللَّهِ تعالى : ﴿ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ﴾ : في صورتِه ، ﴿ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾ : لَقامت الساعةُ[3] .

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، عن أبيه ، قال : ثنا أبو أسامةَ ، عن سفيانَ الثوريِّ ، [4]عن أبيه[4] ، عن عكرمةَ : ﴿ لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾ . قال : لقامَت الساعةُ[5] .

/ حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾ . قال : يقولُ : لو أنْزَل اللَّهُ ملكًا ثم لم يُؤْمِنوا ، لعجَّل لهم العذابَ[6] . ١٥٢/٧

وقال آخَرون في ذلك بما حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : أخْبرَنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبي رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾ . قال : لو أتاهم مَلَكٌ في صورتِه لَماتوا ، ثم لم يُؤَخَّرُوا طَرْفةَ عينٍ[7] .

---

(١) بعده في م : « أنهم » .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٦٦/٤ (٧١٢٧) من طريق يزيد به ، ولفظه : ثم لم ينظروا .

(٣) تفسير مجاهد ص٣١٩، ومن طريقه أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٦٥/٤ (٧١٢١، ٧١٢٤) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٤ - ٤) سقط من : م . وينظر تهذيب الكمال ١١/ ٦٠.

(٥) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٦٥/٤ عقب الأثر (٧١٢٤) معلقا .

(٦) تفسير عبد الرزاق ١/ ٢٠٤. وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٦٥/٤ (٧١٢٥) عن الحسن بن يحيى به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٦٥/٤ ١ (٧١٢٢) من طريق أبي كريب به إلى قوله : في صورته ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥/٣ إلى أبي الشيخ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : ولو جعَلْنا رسولَنا إلى هؤلاء العادِلين بى ، القائلين : لولا أُنزِل على محمدٍ ملكٌ بتصديقِه[1] . مَلَكًا يَنزِلُ عليه مِن السماءِ ، ويَشْهَدُ [2]بتصديقِ[3] محمدٍ[2] ﷺ ، ويأْمُرُهم باتّباعِه ، ﴿ لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا ﴾ . يقولُ : لجَعَلْناه فى صورةِ رجلٍ مِن البشرِ ؛ لأنهم لا يَقْدِرون أن يَرَوُا المَلَكَ فى صورتِه . يقولُ : وإذ كان ذلك كذلك ، فسواءٌ أنْزَلْتُ عليهم بذلك ملكًا أو بشرًا ، إذ كنتُ إذا أنزَلْتُ عليهم ملكًا إنما أُنْزِلُه بصورةِ إِنْسِيٍّ ، وحُجَجى فى كلتا الحالتين عليهم ثابتةٌ بأنك صادقٌ ، وأن ما جئتَهم به حقٌّ .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك [١/٧٤٤ظ] قال بعضُ أهلِ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : ثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا ﴾ . يقولُ : ما أتاهم إلا فى صورةِ رجلٍ ؛ لأنهم لا يَسْتَطِيعون النظرَ إلى الملائكةِ[4] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا ﴾ : فى صورةِ رجلٍ ، فى[5] خَلْقِ رجلٍ[6] .

---

(١) بعده فى ص، ت١،ت٢، ت ٣: « لى » .

(٢ - ٢) فى س : « بصدقه » .

(٣) سقط من : م .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٦٦/٤ (٧١٢٩) من طريق بشر بن عمارة به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥/٣ إلى أبى الشيخ .

(٥) فى تفسير مجاهد : « أى فى » ، وفى الدر المنثور أيضا : « وفى » .

(٦) تفسير مجاهد ص٣١٩، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥/٣ إلى عبد بن حميد .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا ﴾ . يقولُ : لو بعَثْنا إليهم ملكًا لجعَلْناه في صورةِ آدميٍّ[1] .

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا ﴾ . يقولُ : في صورةِ آدميٍّ .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرَنا معمرٌ ، عن قتادةَ مثلَه[2] .

حدَّثني يونُسُ ، قال : أخبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِه : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا ﴾ . قال : لجعَلْنا ذلك الملكَ في صورةِ رجلٍ ، لم نُرسِلْه في صورةِ الملائكةِ[3] .

القولُ في تأويلِ قولِه : ﴿ وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ۝٩ ﴾ .

يعني تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم ﴾ : ولو أنْزَلْنا مَلَكًا مِن السماءِ مُصَدِّقًا لك يا محمدُ ، / شاهدًا لك عندَ هؤلاءِ العادِلين بي ، الجاحِدين آياتِك[4] على حقيقةِ نبوَّتِك ، فجعَلناه في صورةِ رجلٍ مِن بني آدمَ ، إذ كانوا لا يُطِيقون رؤيةَ المَلَكِ بصورتِه التي خلقْتُه بها - الْتَبَس عليهم أمرُه ، فلم يَدْرُوا أمَلَكٌ هو أم إنْسيٌّ ، فلم يُوقِنوا به أنه مَلَكٌ ، ولم يُصَدِّقوا به ، وقالوا : ليس هذا مَلَكًا . وللبَسْنا عليهم ما يَلْبِسُونه على أنفسِهم مِن حقيقةِ أمرِك ، وصحةِ برهانِك وشاهدِك على نبوَّتِك .

١٥٣/٧

---

(١) في ص، ت١، ت٢، ت٣، س : « آدم » .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/ ٢٠٣، وعزاه السيوطي في الدرالمنثور ٣/ ٥ إلى عبد بن حميد وأبي الشيخ .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣/ ٥ إلى المصنف .

(٤) في ص، ت١، ت٢، ت٣، س : « نبوتك » .

يقالُ منه : لَبَسْتُ عليهم الأمرَ أَلْبِسُه لَبْسًا . إذا خلَطْتَه عليهم . و : لَبِسْتُ الثوبَ أَلْبَسُه لُبْسًا . واللَّبُوسُ اسمُ الثيابِ .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ . يقولُ : لشَبَّهْنا عليهم[(١)] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ . يقولُ : ما لَبَس قومٌ على أنفسِهم إلا لَبَس اللَّهُ عليهم ، واللَّبْسُ إنما هو مِن الناسِ[(٢)] .

حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ مُفَضَّلٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ : ﴿ وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ . يقولُ : شبَّهْنا عليهم ما يُشَبِّهون على أنفسِهم[(٣)] .

وقد رُوِى عن ابنِ عباسٍ فى ذلك قولٌ آخرُ ، وهو ما حدَّثنى به محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ : فهم أهلُ الكتابِ ، فارَقوا دينَهم ، وكذَّبوا رسلَهم ، وهو تحريفُ الكلامِ عن مواضعِه[(٤)] .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٦٧/٤ (٧١٣٢) من طريق عبد الله بن صالح به .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥/٣ إلى المصنف وأبى الشيخ .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٦٧/٤ (٧١٣٥) من طريق أحمد بن مفضل به .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٦٧/٤ (٧١٣٦) عن محمد بن سعد به .

حُدِّثْتُ عن الحسينِ ، قال : سَمِعْتُ أبا مُعاذٍ ، قال : ثنا عُبيدُ بنُ سليمانَ ، قال : سمِعْتُ الضحاكَ فى قولِه : ﴿ وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ : يعنى التحريفَ ، هم أهلُ الكتابِ ، فرَّقوا كتبَهم ودينَهم ، وكذَّبوا رسلَهم ، فلَبَس اللَّهُ عليهم ما لَبَسوا على أنفسِهم .

وقد بيَّنا فيما مضَى قبلُ أن هذه الآياتِ مِن أولِ السورةِ بأن تكونَ فى أمرِ المشركين مِن عبَدةِ الأوْثانِ ، أشبهُ منها بأمرِ أهلِ الكتابِ مِن اليهودِ والنصارى ، بما أغْنَى عن إعادتِه[١] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ مُسَلِّيًا عنه بوَعيدِه المستهزئين به عقوبةَ[٢] ما يَلْقَى منهم مِن أذَى الاستهزاءِ به ، والاستخفافِ فى ذاتِ اللَّهِ : هَوِّنْ عليك يا محمدُ ما أنت لاقٍ مِن هؤلاء المستهزئين بك ، المستَخِفِّين بحقِّك فىَّ وفى طاعتى ، وامْضِ لما أمَرْتُك به مِن الدعاءِ إلى توحيدى ، والإقرارِ بى ، والإذعانِ لطاعتى ، فإنهم إن تَمادَوْا فى غَيِّهم ، وأصَرُّوا على المُقامِ على كفرِهم ، نَسْلُكْ بهم سبيلَ أسلافِهم مِن سائرِ الأممِ مِن غيرِهم ؛ مِن تعجيلِ النِّقْمةِ لهم ، وحُلولِ المَثُلاتِ بهم ، فقد اسْتَهْزَأَت أممٌ مِن قبلِك برسلٍ أرْسَلْتُهم إليهم ، / بمثلِ الذى أرْسَلْتُك به إلى قومِك ، وفعَلوا مثالَ[٣] فعْلِ قومِك بك ، ﴿ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ . ١٥٤/٧

يعنى بقولِه : ﴿ فَحَاقَ ﴾ : فنزَل وأحاط بالذين هزَءوا برسلِهم ﴿ مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ . يقولُ : العذابُ الذى كانوا يهزَءون به ، ويُنْكِرون أن يَكونَ واقعًا

(١) ينظر ما تقدم فى ص ١٤٨، ١٤٩ .

(٢) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س : « عقوبته » .

(٣) فى م : « مثل » .

بهم على ما أنْذَرَتْهم رسلُهم .

يقالُ منه : حاق بهم هذا الأمرُ ، يَحِيقُ بهم ، حَيْقًا وحُيُوقًا وحَيَقانًا .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال جماعةٌ مِن أهلِ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السدىِّ : ﴿ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم ﴾ : مِن الرسلِ ، ﴿ مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ . يقولُ : وقَع بهم العذابُ الذى اسْتَهْزَءوا به[(١)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ قُلْ سِيرُواْ [٧٤٥/١و] فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : ﴿ قُلْ ﴾ يا محمدُ لهؤلاء العادِلين بىَ الأوثانَ والأندادَ ، المكذِّبين بك ، الجاحِدِين حقيقةَ ما جئتَهم به مِن عندى : ﴿ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ . يقولُ : جُولوا فى بلادِ المكذِّبين رسلَهم ، الجاحِدين آياتى مِن قَبْلِهم ، من ضُرَبائِهم وأشكالِهم مِن الناسِ ، ﴿ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ . يقولُ : ثم انْظُروا كيف أعقبَهم تكذيبُهم ذلك الهلاكَ والعَطَبَ ، وخِزْىَ الدنيا وعارَها ، وما حَلَّ بهم مِن سَخَطِ اللَّهِ عليهم مِن البَوارِ ، وخرابِ الديارِ ، وعُفُوِّ الآثارِ ، فاعْتَبِروا به إن لم تَنْهَكم حُلُومُكم ، ولم تَزْجُرْكم حُجَجُ اللَّهِ عليكم عما أنتم عليه[(٢)] مُقِيمون مِن التكذيبِ ، فاحذَروا مثلَ مَصارِعِهم ، واتَّقوا أن يَحِلَّ بكم مثلُ

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٦٧/٤ ، ١٢٦٨ (٧١٣٨، ٧١٣٩) من طريق أحمد بن مفضل به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥/٣ إلى أبى الشيخ .

(٢) زيادة لازمة يستقيم بها الكلام .

الذى حَلَّ بهم .

وكان قتادةُ يقولُ فى ذلك بما حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ : (١) بئسَ واللَّهِ كان عاقبةُ المكذِّبين (١) ، دمَّر اللَّهُ عليهم وأهلكهم ، ثم صيَّرهم إلى النارِ (٢) .

القولُ فى تأويلِ قولِه عز ذكرُه : ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ .

يَقُولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : ﴿ قُلْ ﴾ يا محمدُ لهؤلاء العادِلين بربِّهم : ﴿ لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ . يقولُ : لمَن مُلْكُ ما فى السماواتِ والأرضِ ؟ ثم أخبَرهم أن ذلك للَّهِ الذى استَعْبدَ كلَّ شىءٍ ، وقهَر كلَّ شىءٍ بمُلكِه وسلطانِه ، لا للأوثانِ والأندادِ ، ولا لما يَعْبُدونه ويتَّخِذونه إلهًا ، مِن الأصنامِ التى لا تَمْلِكُ لأنفسِها نفعًا ، ولا تَدْفَعُ عنها ضُرًّا .

/ وقولُه : ﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ . يقولُ : قضَى أنه بعبادِه رحيمٌ ، لا يَعْجَلُ عليهم بالعقوبةِ ، ويَقْبَلُ منهم الإنابةَ والتوبةَ . ١٥٥/٧

وهذا مِن اللَّهِ تعالى ذكرُه استعطافٌ للمُوَلِّين (٣) عنه إلى الإقبالِ إليه بالتوبةِ . يَقُولُ تعالى ذكرُه : إن هؤلاء العادلين بى ، الجاحدين نبوَّتَك يا محمدُ ، إن تابوا وأنابوا ، قَبِلتُ توبتَهم ، وإنى قد قضَيتُ فى خَلْقى أن رحمتى وسِعَت كلَّ شىءٍ .

(١ - ١) سقط من : م، ت١، ت٢، ت٣، س .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٦٨/٤ (٧١٤٠) من طريق يزيد به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥/٣ إلى ابن المنذر .

(٣) فى م، ت ٢: « للمعرضين » ، وقوله : استعطاف . أى استمالةٌ وترغيب للمولِّين بالتوبة .

كالذى حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا أبو أحمدَ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن الأعمشِ ، عن ذَكْوانَ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبيِّ ﷺ قال : « لما فرَغ اللَّهُ مِن الخَلْقِ كتَب كتابًا : إنَّ رحمتى سبَقت غضبى »[(١)] .

حدَّثنا محمدُ بنُ المثنى ، قال : ثنا عبدُ الوهابِ ، قال : ثنا داودُ ، عن أبى عثمانَ ، عن سلمانَ ، قال : إن اللَّهَ تعالى لما خلَق السماءَ والأرضَ ، خلَق مائةَ رحمةٍ ، كلُّ رحمةٍ مِلْءُ ما بينَ السماءِ إلى الأرضِ ، فعندَه تسعٌ وتسعون رحمةً ، وقسَم رحمةً بينَ الخلائقِ ، فبها يَتعاطَفون ، وبها تَشْرَبُ الوَحْشُ والطيرُ الماءَ ، فإذا كان [(٢)] يومُ القيامةِ [(٢)] قصَرها اللَّهُ على المتقين ، وزادَهم تسعًا وتسعين .

حدَّثنا ابنُ المثنى ، قال : ثنا ابنُ أبى عَدِىٍّ ، عن داودَ ، عن أبى عثمانَ ، عن سلمانَ نحوَه ، إلا أن ابنَ أبى عَدِىٍّ لم يَذْكُرْ فى حديثِه : وبها تَشْرَبُ الوَحْشُ والطيرُ الماءَ .

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثورٍ ، عن مَعْمَرٍ ، عن عاصمِ ابنِ سليمانَ ، عن أبى عثمانَ ، عن سلمانَ ، قال : نَجِدُ فى التوراةِ عَطْفَتين ؛ إن اللَّهَ خلَق السماواتِ والأرضَ ، ثم خلَق مائةَ رحمةٍ - أو : جعَل مائةَ رحمةٍ - قبلَ أن يَخْلُقَ الخلقَ ، ثم خلَق الخلقَ ، فوضَع بينَهم رحمةً واحدةً ، وأمسَك عندَه تسعًا وتسعين رحمةً . قال : فبها يَتراحمون ، وبها يَتَباذَلون ، وبها يَتَعاطَفون ، وبها يَتَزاوَرُون ، وبها تَحِنُّ الناقةُ ، وبها تَثُوجُ[(٣)] البقرةُ ، وبها تَيْعَرُ الشاةُ ، وبها تتابعُ الطيرُ ،

---

(١) أخرجه أحمد ٧٠/١٦ (١٠٠١٤) ، والنسائى فى الكبرى (٧٧٥١) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٦٨/٤ (٧١٤١) من طريق سفيان به. وأخرجه البخارى (٧٤٠٤) من طريق الأعمش به.

(٢ - ٢) فى ص، ت١: « ذلك ».

(٣) فى م : « تنتج » ، وفى ت ١: « تنوح » ، وكذا رسمت فى ص ولكن غير منقوطة. وثاجت البقرة تثاج وتثوج : صوتت ، وأما النَّأْج ، فيقال : نأَج الثور ينئج وينأج : صاح . انظر اللسان (ث و ج) ، (ن أ ج) .

وبها تتابعُ الحيتانُ فى البحرِ ، فإذا كان يومُ القيامةِ ، جمَع اللَّهُ تلك الرحمةَ إلى ما عندَه ، ورحمتُه أفضلُ وأوسعُ[1] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا مَعْمَرٌ ، عن عاصمِ بنِ سليمانَ ، عن أبى عثمانَ النهديِّ ، عن سلمانَ ، فى قولِه : ﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَۚ ﴾ الآية . قال : إنا نَجِدُ فى التوراةِ عَطْفَتين . ثم ذكَر نحوَه ، إلا أنه[2] قال : وبها تتابعُ الطيرُ ، وبها تتابعُ الحيتانُ فى البحرِ[1] .

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثورٍ ، عن مَعْمَرٍ ، قال : قال ابنُ طاوسٍ ، عن أبيه : إن اللَّهَ تعالى لما خلَق الخلقَ ، لم يَعْطِفْ شىءٌ على شىءٍ ، حتى خلَق مائةَ رحمةٍ ، فوضَع بينَهم رحمةً واحدةً ، فعطَف بعضُ الخلقِ على بعضٍ .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا مَعْمَرٌ ، عن ابنِ طاوسٍ ، عن أبيه بمثلِه[3] .

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثورٍ ، عن مَعْمَرٍ ، قال : وأخبَرنى الحكمُ بنُ أبانٍ ، عن عكرمةَ ، حسِبته أسنَده ، قال : إذا فرَغ اللَّهُ عزَّ وجلَّ مِن القضاءِ بينَ خلقِه ، أخرَج كتابًا مِن تحتِ العرشِ ، / فيه : إن رحمتى سبَقت غضبى ، وأنا أرحمُ الراحمين . قال : فيَخْرُجُ مِن النارِ مثلُ أهلِ الجنةِ . أو قال : مِثلا أهلِ الجنةِ . ولا أعلمُه إلا قال : مثلا . وأما « مثل » فلا أشكُّ . مكتوبًا هلهنا – وأشار الحَكَمُ إلى

١٥٦/٧

(١) تفسير عبد الرزاق ٢٠٣/١، ٢٠٤. وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٦٨/٤ (٧١٤٢) عن الحسن بن يحيى به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) بعده فى م : « ما » . والأثر فى تفسير عبد الرزاق وابن أبى حاتم بهذا اللفظ ، لا فرق بينه وبين الأثر قبله ، واستظهر الشيخ شاكر أن يكون الفرق بينهما فى : تتّابع بالتشديد فى الأثر الأول ، وبالتخفيف فى الأثر الثانى ، فالله أعلم .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/ ٢٠٤، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٣ إلى عبد بن حميد .

نحرِه - : عُتَقاءُ اللَّهِ . فقال رجلٌ لعكرمةَ : يا أبا عبدِ اللَّهِ ، فإن اللَّهَ يَقُولُ : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [المائدة : ٣٧] . قال : ويلَك ، أولئك أهلُها الذين هم أهلُها[1] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا مَعْمَرٌ ، عن الحَكَمِ بنِ أبانٍ ، عن عِكْرمةَ ، حسِبتُ أنه أسنَده ، قال : إذا كان يومُ القيامةِ ، أخرَج اللَّهُ كتابًا مِن تحتِ العرشِ . ثم ذكَر نحوَه ، غيرَ أنه قال : فقال رجلٌ : يا أبا عبدِ اللَّهِ ، أرأيتَ قولَه : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ ﴾ ؟ . وسائرُ الحديثِ مثلُ حديثِ ابنِ عبدِ الأعلى[1] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا مَعْمَرٌ ، عن همامِ ابنِ منبهٍ ، قال : سمِعت أبا هريرةَ يَقُولُ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : [٧٤٥/١ظ] « لما قضَى اللَّهُ الخلقَ ، كتَب فى كتابٍ فهو عندَه فوق العرشِ : إن رحمتى سبَقت[2] غضَبى »[3] .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زريعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، عن أبى أيوبَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو أنه كان يقولُ : إن للَّهِ مِائةَ رحمةٍ ، فأهبَط رحمةً إلى أهلِ الدنيا ، يَتَراحمُ بها الجنُّ ، والإنسُ ، وطائرُ السماءِ ، وحِيتانُ الماءِ ، ودوابُّ الأرضِ وهوامُّها ، وما بين الهواءِ ، واختَزن عندَه تسعًا وتسعين رحمةً ، حتى إذا كان يومُ القيامةِ ، اختَلَج[4] الرحمةَ التى كان أهبَطها إلى أهلِ الدنيا ، فحواها إلى ما عندَه ، فجعَلها فى قلوبِ أهلِ الجنةِ ، وعلى أهلِ الجنةِ[5] .

---

(١) تفسير عبد الرزاق ٢٠٤/١، ٢٠٥.

(٢) فى المسند وتفسير البغوى : « غلبت » .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/ ٢٠٥، ومن طريقه أحمد ٤٧٩/١٣ (٨١٢٧) ، والبغوى فى تفسيره ٣/ ١٣٠.

(٤) اختلج : انتزع . اللسان (خ ل ج) ..

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٣ إلى المصنف وعبد بن حميد وأبى الشيخ .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا معمرٌ ، عن قتادةَ ، قال : قال عبدُ اللَّهِ بنُ عمرٍو : إن للَّهِ مِائةَ رحمةٍ ، أهبَط منها إلى الأرضِ رحمةً واحدةٍ ، يَتَراحمُ بها الجنُّ ، والإنسُ ، والطيرُ ، والبهائمُ ، وهوامُّ الأرضِ[(١)] .

حدَّثنا محمدُ بنُ عوفٍ ، قال : أخبَرنا أبو المغيرةِ عبدُ القُدُّوسِ بنُ الحجاجِ ، قال : ثنا صفوانُ بنُ عمرٍو قال : ثنى أبو المُخارِقِ زُهَيرُ بنُ سالمٍ ، قال : قال عمرُ لكعبٍ : ما أوّلُ شيءٍ ابتدَأه اللَّهُ مِن خلقِه ؟ فقال كعبٌ : كتَب اللَّهُ كتابًا لم يَكْتُبْه بقلمٍ ولا مِدادٍ ، ولكن كتَبه بأُصبُعِه يَتْلُوها الزَّبَرْجَدُ واللؤلؤُ والياقوتُ : أنا اللَّهُ لا إلهَ إلا أنا ، سبَقت رحمتى غضبى[(٢)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ .

وهذه اللامُ التى فى قولِه : ﴿ لَيَجْمَعَنَّكُمْ ﴾ . لامُ قَسَمٍ .

ثم اختلَف أهلُ العربيةِ فى جالِبِها ، فكان بعضُ نحويِّى الكوفةِ يقولُ[(٣)] : إن شِئْتَ جعَلت ﴿ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ غايةَ كلامٍ ، ثم استأنَفت بعدَها : ﴿ لَيَجْمَعَنَّكُمْ ﴾ . قال : وإن شِئْت جعَلته فى موضِعِ نصبٍ - يَعْنى كتَب[(٤)] ليجمعنَّكم - كما قال : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ﴾ [الأنعام : ٥٤] . يُريدُ : كتَب أنه مَن عمِل منكم . قال : والعربُ تَقولُ فى الحروفِ التى يَصْلُحُ معها جوابُ[(٥)] الأَيْمانِ بـ « أن » المفتوحةِ وباللامِ ، فيَقُولون : أرْسَلتُ إليه

---

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ٢٠٤.

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/ ٦ إلى المصنف . وقال عنه الشيخ شاكر : وهو خبر كما ترى ، عن كعب الأحبار ، مشوب بما كان من دأبه فى ذكر الإسرائيليات .

(٣) هو الفراء فى معانى القرآن ١/ ٣٢٨.

(٤) سقط من : ص، ت١، ت٣، س .

(٥) بعده فى النسخ : « كلام » . والمثبت كما فى معانى القرآن .

١٥٧/٧ أن / يقومَ ، وأرْسَلْتُ إليه لَيَقُومَنَّ . قال : وكذلك قولُه : ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُاْ ٱلْآيَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ [يوسف : ٣٥] . قال : وهو فى القرآنِ كثيرٌ ، ألا ترى أنك لو قلتَ : بَدَا لهم أن يَسْجُنوه . لَكان صوابًا ؟

وكان بعضُ نحويِّى البصرةِ يقولُ : نُصِبَت لامُ ﴿ لَيَجْمَعَنَّكُمْ ﴾ ؛ لأن معنى ﴿ كَتَبَ ﴾ القسمُ[1] ، كأنه قال : واللَّهِ لَيَجْمَعَنَّكم .

والصوابُ مِن القولِ فى ذلك عندى أن يكونَ قولُه : ﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ . غايةَ خبرٍ[2] ، وأن يكونَ قولُه : ﴿ لَيَجْمَعَنَّكُمْ ﴾ . خبرًا مبتدأً ، ويَكونَ معنى الكلامِ حينَئذٍ : لَيَجْمَعَنَّكم اللَّهُ أيُّها العادِلون باللَّهِ ليومِ القيامةِ الذى لا رَيْبَ فيه ؛ لِيَنْتَقِمَ منكم بكُفْرِكم به .

وإنما قلتُ : هذا القولُ أولى بالصوابِ مِن إعمالِ : ﴿ كَتَبَ ﴾ . فى : ﴿ لَيَجْمَعَنَّكُمْ ﴾ ؛ لأن قولَه : ﴿ كَتَبَ ﴾ . قد عمِل فى ﴿ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ ، فغيرُ جائزٍ وقد عمِل فى ﴿ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ أن يَعْمَلَ فى : ﴿ لَيَجْمَعَنَّكُمْ ﴾ . لأنه لا يَتَعَدَّى إلى اثنين .

فإن قال قائلٌ : فما أنت قائلٌ فى قراءةِ مَن قرأ : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ ﴾ بفتحِ « أنّ » ؟

قيل : إن ذلك إذا قُرِئ كذلك ، فإن « أنّ » بيانٌ عن الرحمةِ وترجمةٌ عنها ؛ لأن معنى الكلامِ : كتَب على نفسِه الرحمةَ أن يَرْحَمَ مِن عبادِه[3] من تاب[3] بعدَ اقْتِرافِ السُّوءِ بجَهالةٍ ويَعْفُوَ . والرحمةُ يُتَرجَمُ عنها ويُبَيَّنُ معناها بصفتِها ، وليس مِن صفةِ

---

(١) سقط من النسخ ، وأثبتها الشيخ شاكر هكذا : معنى «كتب» فَرض وأوجب ، وهو بمعنى القسم.

(٢) سقط من : م .

(٣ - ٣) زيادة يستقيم بها السياق، من معنى الآية .

الرحمةِ ﴿ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ فيكونَ مُبيَّنًا به عنها . فإن كان ذلك كذلك ، فلم يَبْقَ إلا أن يُنْصَبَ بنيةِ تَكريرِ « كتَب » مرةً أخرى معه ، ولا ضرورةَ بالكلامِ إلى ذلك ، فيُوَجَّهَ إلى ما ليس بموجودٍ فى ظاهرِه .

وأما تأويلُ قولِه : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ . فإنه : لاشَكَّ فيه . يقولُ : فى أن اللَّهَ يَجْمَعُكم إلى يومِ القيامةِ ، فيَحْشُرُكم إليه جميعًا ، ثم يُؤْتى كلَّ عاملٍ منكم أجرَ ما عمِل مِن حسنٍ أو سيئٍ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ .

يعنى تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ﴾ : العادِلِين به الأوثانَ والأصنامَ . يقولُ تعالى ذكرُه : لَيَجْمَعَنَّ اللَّهُ الذين خسِروا أنفسَهم . يقولُ : الذين أهْلَكوا أنفسَهم وغَبَنوها بادِّعائِهم للَّهِ النِّدَّ والعَدِيلَ ، فأَوْبَقوها بإيجابِهم سَخَطَ اللَّهِ وأليمَ عقابِه فى المَعادِ .

وأصلُ الخَسارِ الغَبْنُ ، يقالُ منه : خسِر الرجلُ فى البيعِ . إذا غُبِن ، كما قال الأعْشَى[1] :

لا يَأْخُذُ الرِّشْوَةَ فى حُكْمِهِ ولا يُبالِى خَسَرَ[2] الخاسِرِ

وقد بيَّنا ذلك فى غيرِ هذا الموضعِ بما أغْنَى عن إعادتِه[3] .

ومَوضعُ ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ فى قولِه : ﴿ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ﴾ ./ نصبٌ ، على الرَّدِّ على الكافِ والميمِ فى قولِه : ﴿ لَيَجْمَعَنَّكُمْ ﴾ . على وجهِ البيانِ عنها ، ١٥٨/٧

(١) ديوانه ص ١٤١.

(٢) فى الديوان : « غبن » .

(٣) ينظر ماتقدم فى ١/ ٤٤٢.

وذلك أن الذين خسِروا أنفسَهم هم الذين خُوطِبوا بقولِه : ﴿ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ ﴾ .

وقولُه : ﴿ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ . يقولُ : فهم لإهلاكِهم أنفسَهم ، وغَبْنِهم إياها حظَّها ، ﴿ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ . أى : لا يُوَحِّدون اللَّهَ ، ولا يُصَدِّقون بوعدِه ووَعيدِه ، ولا يُقِرُّون بنبوةِ محمدٍ ﷺ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝١٣ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : لا يُؤْمِنُ هؤلاء العادِلون باللَّهِ الأوثانَ ، فيُخْلِصوا له التوحيدَ ، ويُفْرِدوا له الطاعةَ ، ويُقِرُّوا بالألوهيةِ جهلًا ، ﴿ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ ﴾ . يقولُ : وله مُلْكُ كلِّ شيءٍ ؛ لأنه لا شيءَ مِن خَلْقِ اللَّهِ إلا وهو ساكنٌ فى الليلِ والنهارِ . فمعلومٌ بذلك أن معناه ما وصَفْنا ، ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ ما يقولُ هؤلاء المشركون فيه مِن ادِّعائِهم له شريكًا ، وما يَقولُ غيرُهم مِن خلقِه[1] ذلك ، ﴿ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ بما يُضْمِرونه [٧٤٦/١و] فى أنفسِهم ، وما يُظْهِرونه بجوارِحِهم ، لا يَخْفَى عليه شيءٌ مِن ذلك ، فهو يُحْصِيه عليهم ؛ ليُوَفِّىَ كلَّ إنسانٍ ثوابَ ما اكْتَسَب ، وجَزاءَ ما عمِل .

وبنحوِ الذى قلنا فى تأويلِ قولِه : ﴿ سَكَنَ ﴾ . قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المُفَضَّلِ ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السديِّ : ﴿ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ ﴾ . يقولُ : ما اسْتَقَرَّ فى الليلِ والنهارِ[2] .

---

(١) فى م : « خلاف » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٦٩/٤ (٧١٤٦) من طريق أحمد بن مفضل به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٣ إلى أبى الشيخ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : قلْ يا محمدُ لهؤلاءِ المشركين العادِلين بربِّهم الأوثانَ والأصنامَ ، والمُنْكِرين عليك إخلاصَ التوحيدِ لربِّك ، الداعين إلى عبادةِ الآلهةِ والأوثانِ : أشيئًا غيرَ اللَّهِ تعالى أتَّخِذُ وليًّا أَستَنْصِرُه وأَستَعِينُه على النَّوائِبِ والحوادثِ ؟

كما حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المُفضَّلِ ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السدِّىِّ : ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا ﴾ . قال : أما الولىُّ ، فالذى يَتَوَلَّوْنه ويُقِرُّون له بالربوبيةِ[(١)] .

﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ . يقولُ : أشيئًا غيرَ اللَّهِ فاطرِ السماواتِ والأرضِ أتَّخِذُ وليًّا ؟ فـ ﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ مِن نعتِ ﴿ ٱللَّهِ ﴾ وصفتِه ، ولذلك خُفِض .

ويعنى بقولِه : ﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ : مُبْتَدِعَهما ومُبْتَدِئَهما وخالقَهما .

كالذى حدَّثنا به ابنُ وَكيعٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ سعيدٍ القَطَّانُ ، عن سفيانَ ، عن إبراهيمَ بنِ مُهاجِرٍ ، / عن مُجاهِدٍ ، قال : سَمِعْتُ ابنَ عباسٍ يقولُ : كنتُ لا أَدْرِى ما : ﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ . حتى أتانى أعرابيان يَخْتَصِمان فى بئرٍ ، فقال أحدُهما لصاحبِه : أنا فطَرْتُها . يقولُ : أنا ابْتَدَأْتُها[(٢)] . ١٥٩/٧

حدَّثنا محمدُ بنُ الحسين ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المُفضَّلِ ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٦٩/٤ (١٧٤٧) من طريق أحمد بن المفضل به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٣ إلى أبى الشيخ .

(٢) أخرجه أبو عبيد فى فضائل القرآن ص٢٠٦ ومن طريقه البيهقى فى الشعب (١٦٨٢) من طريق يحيى بن سعيد به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧/٣ إلى ابن الأنبارى فى الوقف والابتداء ، وفى ٢٤٤/٥ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم .

السدىِّ : ﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ . قال : خالقُ السماواتِ والأرضِ .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا مَعْمرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ . قال : خالقُ السماواتِ والأرضِ[(١)] .

يقالُ مِن ذلك : فطَرَها اللَّهُ يَفطُرُها ، ويَفْطِرُها فَطْرًا وفُطُورًا ، ومنه قولُه : ﴿ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴾ [الملك : ٣] يعنى : شُقـوقًا وصُدوعًا[(٢)] . يقالُ : سيفٌ فُطَارٌ . إذا كثُر [(٣)] فيه التشقُّقُ[(٣)] ، وهو عيبٌ فيه . ومنه قولُ عَنْترةَ[(٤)] :

وسَيْفِى كالعَقِيقةِ[(٥)] فهْوَ كِمْعِى[(٦)] سِلاحى لا أَفَلَّ[(٧)] ولا فُطَارَا

ومنه يُقالُ : فَطَر نابُ الجملِ . إذا شقَّ[(٨)] اللحمَ[(٩)] فخرَج . ومنه قولُه : ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ﴾ [الشورى : ٥] . أى : يَتَشَقَّقْن ويَتَصَدَّعن[(٩)] .

وأما قولُه : ﴿ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ . فإنه يَعْنى : وهو يَرْزُقُ خَلْقَه ولا يُرْزَقُ .

كما حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ : ﴿ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ . قال : يَرْزُقُ ولا يُرْزَقُ[(١٠)] .

---

(١) تفسير عبد الرزاق ٢٠٨/١. وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٧٠/٤ (٧١٤٩) عن الحسن بن يحيى به ؛ وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٤٤/٥ إلى عبد بن حميد .

(٢) لعل هنا سقطا ، فقد انتقل سياق الكلام فجأة من «فطر» بمعنى «خلق» إلى «فطر» بمعنى «شقّ» .

(٣ - ٣) فى ص، ت١، ت٣، س : « الرماة فيه تشقق » .

(٤) ديوانه ص ٦٤.

(٥) العقيقة : البرق إذا رأيته فى وسط السحاب كأنه سيف مسلول . اللسان (ع ق ق) والبيت فيه .

(٦) الكمع : الضجيع . اللسان (ك م ع) .

(٧) الفل : الثلم فى السيف . اللسان (ف ل ل) . والبيت فى اللسان فى هذه المواضع .

(٨) فى النسخ : « تشقق » . والمثبت هو الصواب ، انظر مثلا اللسان (ف ط ر) ، (ش ق ق) .

(٩) سقط من : ص، ت١، ت٣، س .

(١٠) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٧٠/٤ (٧١٥٠، ٧١٥١) من طريق أحمد بن المفضل به . وعزاه السيوطى فى الدرالمنثور ٧/٣ إلى أبى الشيخ .

وقد ذُكِر عن بعضِهم أنه كان يقرأُ[١] ذلك : (وهو يُطْعِمُ ولا يَطْعَمُ)[٢] . أى أنه يُطْعِمُ خلقَه ، ولا يأْكُلُ هو . ولا معنى لذلك ؛ لقلةِ القَرَأةِ[٣] به .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : ﴿ قُلْ ﴾ يا محمدُ للذين يَدْعُونك إلى اتخاذِ الآلهةِ أولياءَ مِن دونِ اللَّهِ ، ويَحُثُّونك على عبادتِها : أغيرَ اللَّهِ فاطرِ السماواتِ والأرضِ ، وهو يَرْزُقُنى وغيرى ، ولا يَرْزُقُه أحدٌ ، أَتَّخِذُ وليًّا هو له عبدٌ مملوكٌ ، وخلقٌ مخلوقٌ ؟ وقلْ لهم أيضًا : إنى أمَرَنى ربى[٤] ﴿ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ﴾ . يقولُ : أولَ مَن خضَع له بالعبوديةِ ، وتذَلَّل لأمرِه ونهيِه ، وانقاد له مِن أهلِ دهْرِى وزمانى ، ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ . يقولُ : وقلْ : وقيل لى : لا تَكُونَنَّ مِن المشركين باللَّهِ ، الذين يَجْعَلون الآلهةَ والأندادَ شركاءَ . وجعَل قولَه : ﴿ أُمِرْتُ ﴾ . بدلًا مِن « قيل لى » ؛ لأن قولَه : ﴿ أُمِرْتُ ﴾ . معناه « قيل لى » . فكأنه قيل : قل : إنى قيل لى : كنْ أولَ مَن أسْلَم ، ولا تَكُونَنَّ مِن المشركين . فاجْتُزِئَ بذكرِ الأمرِ مِن ذكرِ القولِ ، إذ كان الأمرُ معلومًا أنه قولٌ .

/القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ ﴾ . ١٦٠/٧

---

(١) فى النسخ : « يقول » . والمثبت هوالصواب .

(٢) وهى قراءة الأعمش كما فى مختصر الشواذ لابن خالويه ص ٤٢ ، ونسبها أبو حيان أيضا فى البحر المحيط ٨٥/٤ إلى سعيد بن جبير وأبى حيوة وعمرو بن عبيد، وأبى عمرو فى رواية عنه ، وكذا نسبها إلى مجاهد ، أما ابن خالويه فقد ذكر أن قراءة مجاهد بفتح الياء فى الأولى وضمها فى الثانية: (يَطْعَمُ ولا يُطْعَم) .

(٣) فى م : « القراءة » .

(٤) بعده فى ص، ت ١: « إنى أمرت » ، وفى س: « إنى » .

يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : ﴿ قُلْ ﴾ لهؤلاء المشركين العادِلين باللَّهِ ، الذين يَدْعُونك إلى عبادةِ أوثانِهم : إن ربى نهانى عن عبادةِ شيءٍ سِواه ، و ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى ﴾ فعبَدْتُها ، ﴿ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ . يعنى : عذابَ يومِ القيامةِ . ووصَفه تعالى ذكرُه بالعِظَمِ ؛ لعِظَمِ هَوْلِه وفَظاعةِ شأنِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ ﴾ .

اختلَفتِ القرأةُ فى قراءةِ ذلك ؛ فقرَأته عامةُ قرأةِ الحجازِ والمدينةِ والبصرةِ : ﴿ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ ﴾ . بضمِّ الياءِ وفتحِ الراءِ ، بمعنى : مَن يُصْرَفْ عنه العذابُ يومَئذٍ . وقرَأ ذلك عامةُ قرأةِ الكوفةِ : (مَن يَصْرِفْ عنه) . بفتحِ الياءِ وكسرِ الراءِ ، بمعنى : مَن يَصْرِفِ اللَّهُ عنه العذابَ يومَئذٍ[(١)] .

وأولى القراءتين[(٢)] فى ذلك بالصوابِ عندى قراءةُ مَن قرَأه (يَصْرِفْ عنه) . بفتحِ الياءِ وكسرِ الراءِ ؛ لدَلالةِ قولِه : ﴿ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ﴾ . على صحةِ ذلك ، وأن القراءةَ فيه بتسميةِ فاعلِه ، ولو كانت القراءةُ فى قولِه : ﴿ مَّن يُصْرَفْ ﴾ . على وجهِ ما لم يُسَمَّ فاعلُه ، كان الوجهُ فى قولِه : ﴿ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ﴾ . أن يقالَ : فقد رُحِم . غيرَ مُسَمًّى فاعلُه . وفى تسميةِ الفاعلِ فى قولِه : ﴿ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ﴾ . دليلٌ بيِّنٌ على أن ذلك كذلك فى قولِه : (من يَصْرِفْ عنه)[(٣)] .

---

(١) القراءة الأولى قراءة ابن كثير ونافع وأبى عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم ، والقراءة الثانية قراءة حمزة والكسائى وشعبة عن عاصم . انظر كتاب السبعة ص ٢٥٤.

(٢) فى ص، ت١،ت٢، ت٣ : « القولين » ، وفى س: « القراءتين القولين » .

(٣) قال ابن عطية كما فى البحر المحيط ٤/ ٨٧: وأما المعنى فالقراءتان واحد . ثم نقل عن أبى عمرو الزاهد فى كتاب اليواقيت أن أبا العباس أحمد بن يحيى ثعلبا كان لا يرى التراجيح بين القراءات السبع. وقال ثعلب : إذا اختلف الإعراب فى القرآن عن السبعة لم أفضل إعرابا على إعراب فى القرآن .

وإذ كان ذلك هو الوجهَ الأَوْلَى بالقراءةِ ، فتأويلُ [١/٧٤٦ظ] الكلامِ : مَن يَصْرِفْ عنه مِن خلقِه يومَئذٍ عذابَه فقد رحِمه ، ﴿ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴾ . ويعنى بقولِه : ﴿ وَذَٰلِكَ ﴾ : وصَرْفُ اللَّهِ عنه العذابَ يومَ القيامةِ ورحْمتُه إياه ، ﴿ ٱلْفَوْزُ ﴾ . أى : النجاةُ مِن الهَلَكةِ ، والظَّفَرُ بالطَّلِبةِ ، ﴿ ٱلْمُبِينُ ﴾ . يعنى الذى بيَّنَ لمَن رآه أنه الظَّفَرُ بالحاجةِ ، وإدْراكُ الطَّلِبةِ .

وبنحوِ الذى قلنا فى قولِه : ﴿ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ ﴾ . قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا معمرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ﴾ . قال : مَن يُصْرَفْ عنه العذابُ[(١)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : يا محمدُ ، إن يُصِبْك اللَّهُ ﴿ بِضُرٍّ ﴾ . يقولُ : بشدةٍ فى دُنْياك ،/ وشَظَفٍ فى عيشِك ، وضيقٍ فيه[(٢)] ، فلن يَكْشِفَ ذلك عنك إلا اللَّهُ الذى أمَرك أن تكونَ أولَ مَن أسْلَم لأمرِه ونهيِه ، وأذْعَن له مِن أهلِ زمانِك ، دون ما يَدْعُوك العادِلون به إلى عبادتِه مِن الأوثانِ والأصنامِ ، ودونَ كلِّ شىءٍ سواها مِن خلقِه ، ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ ﴾ . يقولُ : وإن يُصِبْك ﴿ بِخَيْرٍ ﴾ . أى : برخاءٍ فى عيشٍ ، وسَعَةٍ فى الرزقِ ، وكثرةٍ فى[(٣)] المالِ ، فتُقِرَّ أنه أصابك بذلك ،

١٦١/٧

---

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ٢٠٨، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/ ١٢٧٠ (٧١٥٥) عن الحسن بن يحيى به .

(٢) بعده فى ص، ت١، ت٣، س : « وأرك » وفى ت ٢: « دارك » .

(٣) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س : « من » .

﴿ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : واللَّهُ الذى أصابك بذلك فهو على كلِّ شىء قديرٌ ، هو القادرُ على نفعِك وضرِّك ، وهو على كلِّ شىءٍ يُريدُه قادرٌ ، لا يُعْجِزُه شىءٌ يُريدُه ، ولا يَمْتَنِعُ منه شىءٌ[١] طلَبَه ، ليس كالآلهةِ الذَّليلةِ المَهِينةِ التى لا تَقْدِرُ على اجتلابِ نفعٍ على أنفسِها ولا غيرِها ، ولا دفعِ ضُرٍّ عنها ولا غيرِها . يقولُ تعالى ذكرُه : فكيف تَعْبُدُ مَن كان هكذا ؟ أم كيف لا تُخْلِصُ العبادةَ ، وتُقِرُّ لمن كان بيدِه الضرُّ والنفعُ ، والثوابُ والعقابُ ، وله القدرةُ الكاملةُ ، والعزةُ الظاهرةُ ؟

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ .

يعنى تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ وَهُوَ ﴾ : نفسَه . يقولُ : واللَّهُ القاهِرُ[٢] فوقَ عبادِه . ويعنى بقولِه : ﴿ ٱلْقَاهِرُ ﴾ : المذلِّلَ المُسْتَعْبِدَ خلقَه ، العالىَ عليهم . وإنما قال : ﴿ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ . لأنه وصَف نفسَه تعالى بقهرِه إياهم ، ومِن صفةِ كلِّ قاهرٍ شيئًا أن يَكونَ مُسْتَعْلِيًا عليه .

فمعنى الكلامِ إذن : واللَّهُ الغالبُ عبادَه ، المذلِّلُهم ، العالى عليهم بتذليلِه لهم ، وخلقِه إياهم ، فهو فوقَهم بقهرِه إياهم ، وهم دونَه .

﴿ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ﴾ . يقولُ : واللَّهُ الحكيمُ فى علوِّه على عبادِه ، وقهرِه إياهم بقدرتِه ، وفى سائرِ تدبيرِه ، ﴿ ٱلْخَبِيرُ ﴾ بمصالحِ الأشياءِ ومضارِّها ، الذى لا يَخْفَى عليه عواقبُ الأمورِ وبَوادِيها ، ولا يَقَعُ فى تدبيرِه خَلَلٌ ، ولا يَدْخُلُ حكمَه دَخَلٌ[٣] .

القولُ فى تأويلِ قولِه عز ذكرُه : ﴿ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدُۢ بَيْنِى

---

(١) سقط من : ص، ت ١، ت ٢، ت ٣، س .

(٢) فى ص ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « الظاهر » .

(٣) الدخَل : الفساد . اللسان (د خ ل) .

وَبَيْنَكُمْ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : ﴿ قُلْ ﴾ يا محمدُ لهؤلاء المشركين الذين يُكَذِّبونك ويَجْحَدون نبوَّتَك مِن قومِك : أَىُّ شىءٍ أعظمُ شهادةً وأكبرُ ؟ ثم أَخْبِرْهم بأن أكبرَ الأشياءِ شهادةً اللَّهُ الذى لا يَجوزُ أن يَقَعَ فى شهادتِه ما يَجوزُ أن يقعَ فى شهادةِ[1] غيرِه مِن خلقِه ؛ مِن السهوِ والخطأِ والغلطِ والكذبِ . ثم قلْ لهم : إن / الذى هو أكبرُ الأشياءِ شهادةً ﴿ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ﴾ بالمحقِّ منا مِن المُبْطِلِ ، والرَّشيدِ منا - فى فعلِه وقولِه - مِن السفيهِ ، وقد رضِينا به حَكَمًا بينَنا . ١٦٢/٧

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال جماعةُ أهلِ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ تعالى : ﴿ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ﴾ . قال : أُمِر محمدٌ أن يَسْأَلَ قريشًا ، ثم أُمِر أن يُخْبِرَهم فيقولَ : ﴿ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ﴾[2] .

حدَّثنى المثنَّى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ نحوَه .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : قلْ لهؤلاء المشركين الذين يُكذِّبونك :

---

(١) سقط من : م .

(٢) تفسير مجاهد ص ٣٢٠. ومن طريقه أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٧١/٤ (٧١٥٩، ٧١٦٠) ، والبيهقى فى الأسماء والصفات (٦١٤) ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧/٣ إلى آدم بن أبى إياس وابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وأبى الشيخ .

﴿ ٱللَّهُ شَهِيدُۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ﴾ ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ ﴾ عقابَه ، وأُنذِرَ به مَن بلَغه مِن سائرِ الناسِ غيرِكم ، إن لم يَنْتَهِ إلى العملِ بما فيه ، وتحليلِ حلالِه ، وتحريمِ حرامِه ، والإيمانِ بجميعِه - نزولَ نقمةِ اللَّهِ به .

وبنحوِ الذى قلْنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدُۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ : ذُكِر لنا أن نبىَّ اللَّهِ ﷺ كان يقولُ : « يا أيُّها الناسُ ، بلِّغوا ولو آيةً مِن كتابِ اللَّهِ ، فإنه مَن بلَغه آيةٌ مِن كتابِ اللَّهِ فقد بلَغه أمرُ اللَّهِ ؛ (١) أخذه أو تركه (١) » (٢) .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ : أن النبىَّ ﷺ قال : « بَلِّغُوا عن اللَّهِ ، فمَن بلَغَه آيةٌ مِن كتابِ اللَّهِ ، فقد بلَغه أمرُ اللَّهِ » (٣) .

حدَّثنا هنادٌ ، قال : ثنا وكيعٌ ، وحدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، [٧٤٧/١و] قال : ثنا أبى ، عن موسى بنِ عُبيدةَ ، عن محمدِ بنِ كعبٍ القُرَظىِّ : ﴿ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ . قال : مَن بلَغه القرآنُ فكأنَّما رأَى النبىَّ ﷺ . ثم قرأ : ﴿ وَمَنۢ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ ﴾ (٤) .

(١ - ١) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س : «أخذه أو تاركه»، وفى الدر المنثور : «أخذها أو تركها» .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧/٣ إلى المصنف وأبى الشيخ من طريق قتادة عن الحسن.

(٣) تفسير عبد الرزاق ٢٠٥/١. وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسير ١٢٧٢/٤ (٧١٦٦) عن الحسن بن يحيى به. وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧/٣ إلى عبد بن حميد .

(٤) أخرجه ابن أبى شيبة ٤٦٨/١٠ (١٠٠٠٧) عن وكيع به بلفظ : من قرأ . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٧١/٤ (٧١٦٥) ، من طريق وكيع وأبى أسامة وأبى خالد به ، بزيادة : وكلمة . فى حديث أبى خالد .

وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧/٣ إلى ابن الضريس وابن المنذر وأبى الشيخ .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا حميدُ بنُ عبدِ الرحمنِ ، عن حسنِ بنِ صالحٍ ، قال : سألْتُ ليثًا : هل بقِى أحدٌ لم تَبلُغْه الدعوةُ ؟ قال : كان مجاهدٌ يقولُ : حيثما يأْتِى القرآنُ فهو داعٍ ، وهو نذيرٌ . ثم قرأ : ﴿ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ ﴾[1] .

/حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَمَنۢ بَلَغَۚ ﴾ : مَن أسلَم [2]مِن العجَمِ[2] وغيرِهم[3] . ١٦٣/٧

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا خالدُ بنُ يَزيدَ ، قال : ثنا أبو مَعْشَرٍ ، عن محمدِ بنِ كعبٍ فى قولِه : ﴿ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ ﴾ . قال : مَن بلَغه القرآنُ فقد أبْلَغه محمدٌ ﷺ[4] .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ ﴾ : يعنى أهلَ مكةَ ، ﴿ وَمَنۢ بَلَغَۚ ﴾ : يعنى : ومَن بلَغه هذا القرآنُ فهو له نذيرٌ[5] .

حدَّثنا يونُسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : سمِعْتُ سفيانَ الثورىَّ يُحَدِّثُ ، لا أَعْلَمُه إلا عن مجاهدٍ أنه قال فى قولِه : ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ ﴾ :

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/٧ إلى المصنف وأبى الشيخ .

(٢ - ٢) فى تفسير ابن أبى حاتم : « من العرب والعجم » .

(٣) تفسير مجاهد ص ٣٢٠ ، ومن طريقه أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٢٧١ (٧١٦٤) ، والبيهقى فى الأسماء والصفات (٥٩٥) .

(٤) تفسير مجاهد ص٣٢٠ ، وأخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٨٧٠ تفسير) من طريق أبى معشر به .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٢٧١ (٧١٦٣) ، والبيهقى فى الأسماء والصفات (٥٩٤) من طريق عبد الله بن صالح به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/٧ إلى ابن المنذر.

العربُ ، ﴿ وَمَنۢ بَلَغَۚ ﴾ : العجمُ[(١)] .

حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ ﴾ : أما : ﴿ مَنۢ بَلَغَۚ ﴾ ، فمَن بلَغه القرآنُ فهو له نذيرٌ .

حدَّثنى يونُسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ ﴾ . قال : يقولُ : مَن بلَغه هذا القرآنُ فأنا نذيرُه . وقرَأ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف : ١٥٨] . قال : فمَن بلَغه القرآنُ ، فرسولُ اللَّهِ ﷺ نذيرُه .

فمعنى هذا الكلامِ : لأُنْذِرَكم بالقرآنِ أيُّها المشركون ، وأُنْذِرَ مَن بلَغه القرآنُ مِن الناسِ كلِّهم .

و ﴿ مَنۢ ﴾ فى موضعِ نصبٍ بوقوعِ « أُنذِر » عليه ، و ﴿ بَلَغَۚ ﴾ فى صلتِه ، وأُسقِطَت الهاءُ العائدةُ على ﴿ مَنۢ ﴾ فى قولِه : ﴿ بَلَغَۚ ﴾ . لاستعمالِ العربِ ذلك فى صِلاتِ « من » و « ما » و « الذى » .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰۚ قُل لَّآ أَشْهَدُۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : قلْ لهؤلاء المشركين الجاحِدين نبوتَك ، العادِلين باللَّهِ ربًّا غيرَه : ﴿ أَئِنَّكُمْ ﴾ أيُّها المشركون ، ﴿ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰۚ ﴾ . يقولُ : تَشْهَدون أن معه مَعْبوداتٍ غيرَه ، مِن الأوثانِ والأصنامِ .

---

(١) تفسير سفيان ص ١٠٦ . وأخرج أوله ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٢٧١ (٧١٦٢) عن يونس به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/٧ إلى آدم بن أبى إياس وعبد بن حميد وابن المنذر وأبى الشيخ .

وقال : ﴿ أُخْرَىٰ ﴾ . ولم يَقُلْ : أُخَرَ . والآلهةُ جمعٌ ؛ لأن الجموعَ يَلْحَقُها التأنيثُ ، كما قال تعالى : ﴿ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [طه : ٥١] . ولم يَقُلِ : الأُوَلِ . ولا : الأوَّلين .

ثم قال لنبيِّه محمدٍ ﷺ : قل يا محمدُ : ﴿ لَّآ أَشْهَدُ ﴾ بما تَشْهَدون أن مع اللَّهِ آلهةً أخرى ، بل أَجْحَدُ ذلك وأُنْكِرُه ، ﴿ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ . يقولُ : إنما هو معبودٌ واحدٌ ، لا شَريكَ له فيما يَسْتَوْجِبُ على خلقِه مِن العبادةِ ، ﴿ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ . يقولُ : قل : وإننى برىءٌ مِن كلِّ شريكٍ تَدْعُونه للَّهِ ، وتُضِيفونه إلى شَرِكتِه ، وتَعْبُدونه / معه ، لا أَعْبُدُ سوى اللَّهِ شيئًا ، ولا أَدْعُو غيرَه إلهًا . ١٦٤/٧

وقد ذُكِر أن هذه الآيةَ نَزَلَت فى قومٍ مِن اليهودِ بأعْيانِهم ، مِن وَجْهٍ لم تَثْبُتْ صحتُه .

وذلك ما حدَّثنا به هَنَّادُ بنُ السَّرِىِّ وأبو كُرَيبٍ ، قالا : ثنا يونسُ بنُ بُكَيرٍ ، قال : ثنى محمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : ثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، قال : ثنى سعيدُ بنُ جبيرٍ ، أو عِكْرمةُ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : جاء النَّحَّامُ بنُ زيدٍ ، وقَرْدَمُ بنُ كعبٍ ، وبَحْرِىُّ(١) بنُ عَمْرٍو(٢) ، فقالوا : يا محمدُ ، ما تَعْلَمُ مع اللَّهِ إلهًا غيرَه ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لا إلهَ إلا اللَّهُ ، بذلك بُعِثْتُ ، وإلى ذلك أَدْعُو » . فأنزَل اللَّهُ تعالى فيهم وفى قولِهم : ﴿ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ﴾ . إلى قولِه : ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾(٣) .

---

(١) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س: « يحيى » .

(٢) فى النسخ : « عمير » . والمثبت من مصادر التخريج .

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٥٦٨ . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٢٧٢ (٧١٦٨) من طريق سلمة عن ابن إسحاق عن محمد بن أبى محمد من قوله. وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/٧ إلى ابن إسحاق وابن المنذر وأبى الشيخ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٠) ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ : التوراةَ والإنجيلَ ، يَعْرِفون أنما هو إلهٌ واحدٌ ، لا جماعةُ الآلهةِ ، وأن محمدًا نبيٌّ مبعوثٌ ، ﴿ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ﴾ .

وقولُه : ﴿ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ﴾ . مِن نعتِ ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ الأُولى .

ويعنى بقولِه : ﴿ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ﴾ : أهْلَكُوها وأَوْبَقوها[1] فى نارِ جهنمَ ، بإنكارِهم محمدًا أنه للَّهِ رسولٌ مُرسَلٌ ، وهم بحقيقةِ ذلك عارِفون ، ﴿ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ . يقولُ : فهم بخَسارتِهم بذلك أنفسَهم لا يُؤْمِنون .

وقد قيل : إن معنى خَسارتِهم أنفسَهم ، أن كلَّ عبدٍ له منزلٌ فى الجنةِ ومنزلٌ فى النارِ ، فإذا كان يومُ القيامةِ جعَل اللَّهُ لأهلِ الجنةِ منازلَ أهلِ النارِ فى الجنةِ ، وجعَل لأهلِ النارِ مَنازلَ أهلِ الجنةِ فى النارِ ، فذلك خُسْرانُ الخاسرين منهم ؛ لبَيْعِهم منازلَهم مِن النارِ بمنازلِ أهلِ الجنةِ مِن النارِ ، بما فرَط منهم فى الدنيا ؛ مِن معصيتِهم اللَّهَ ، وظلمِهم أنفسَهم ، وذلك معنى قولِ اللَّهِ تعالى ذكرُه : ﴿ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[2] [المؤمنون : ١١] .

وبنحوِ ما قلنا فى معنى قولِه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ﴾ . قال أهلُ التأويلِ .

---

(١) فى م : « ألقوها » .

(٢) ذكر هذا القول الفراء فى معانى القرآن ١/ ٣٢٩، وما سيذكره المصنف فى تفسير هذه الآية فى موضعه من التفسير .

ذكرُ مَن قال ذلك

[١/٧٤٧ظ] حدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ﴾ : يَعْرِفون أن الإسلامَ دينُ اللَّهِ ، وأن محمدًا رسولُ اللَّهِ ، يَجِدُونه مكتوبًا عندَهم فى التوراةِ والإنجيلِ[1] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، عن مَعْمَرٍ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ﴾ : النصارى واليهودُ ، يَعْرِفون رسولَ اللَّهِ فى كتابِهم ، كما يَعْرِفون أبناءَهم[2] .

/حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ﴾[3] . ١٦٥/٧

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيجٍ قولَه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ﴾ : يعنى النبىَّ ﷺ . قال : زَعَم أهلُ المدينةِ عن[4] أهلِ الكتابِ ممن أسلَم أنهم قالوا : واللَّهِ لَنحن أعرفُ به مِن أبنائِنا ، مِن أجلِ الصفةِ والنعتِ الذى نَجِدُه فى الكتابِ ، وأمَّا أبناؤُنا فلا نَدْرِى ما أحْدَثَ النساءُ .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسير ١٢٧٣/٤ (٧١٧٢) من طريق يزيد به .

(٢) تفسير عبد الرزاق ٢٠٦/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٧٢/٤ (٧١٦٩، ٧١٧٠) عن الحسن ابن يحيى به .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨/٣ إلى أبى الشيخ وحده ، وفيه: قال: يعنى يعرفون النبى كما يعرفون أبناءهم ؛ لأن نعته معهم فى التوراة، ﴿ الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون ﴾ لأنهم كفروا به بعد المعرفة .

(٤) فى ص، ت١، ت٣،س : «من» .

القولُ في تأويلِ قولِه: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾.

يقولُ تعالى ذكرُه: ومَن أشدُّ اعتداءً، وأخطأُ فعلًا، وأخطَلُ قولًا، ﴿ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾؟ يعني: ممن اختلَق[1] على اللهِ قيلَ باطلٍ، واخترَق[1] مِن نفسِه عليه كذبًا، فزعَم أن له شريكًا مِن خلقِه، وإلهًا يُعْبَدُ مِن دونِه - كما قاله المشركون مِن عَبَدةِ الأوثانِ - أو ادَّعى له ولدًا أو صاحبةً، كما قالته النصارى، ﴿ أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ﴾. يقولُ: أو كذَّب بحُجَجِه وأعلامِه وأدلتِه التي أعطاها رسلَه على حقيقةِ [2]نبوتِها، كما[2] كذَّبت بها اليهودُ، ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾. يقولُ: إنه لا يُنْجِحُ[3] القائلون على اللهِ الباطلَ، ولا يُدْرِكون البقاءَ في الجنانِ، والمُفْترون عليه الكذبَ، والجاحِدون بنبوةِ أنبيائِه.

القولُ في تأويلِ قولِه: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾.

يقولُ تعالى ذكرُه: إن هؤلاء المُفْتَرِين على اللهِ كذبًا، والمُكذِّبين بآياتِه، لا يُفْلِحون اليومَ في الدنيا، ولا ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ﴾. يعني: ولا في الآخرةِ. ففي الكلامِ محذوفٌ قد استُغْنى بذكرِ ما ظهَر عما حُذِف.

وتأويلُ الكلامِ: إنه لا يُفْلِحُ الظالمون اليومَ في الدنيا ويومَ نَحشُرُهم جميعًا.

فقولُه: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ ﴾. مَردودٌ على المرادِ في الكلامِ؛ لأنه وإن كان

---

(١) اختلق واخترق: ابتدع الكذب. انظر اللسان (خ ر ق)، (خ ل ق).

(٢ - ٢) في م: «نبوتهم».

(٣) في ص، ت ١: «يصح»، وفي م، ت٢، ت٣، س: «يفلح». والمثبت كما تقدم في تفسير المصنف للفلاح، انظر ١/٢٥٦، ٣/٢٨١، ٦/٣٣٧ وغيرها.

محذوفًا منه ، فكأنه فيه ، لمعرفةِ السامِعِين بمعناه .

﴿ ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ﴾ . يقولُ : ثم نقولُ إذا حشَرْنا هؤلاء المُفْتَرِين على اللَّهِ الكذبَ ، بادِّعائِهم له في سلطانِه شريكًا ، والمكذِّبين بآياتِه ورسلِه ، فجمَعْنا جميعَهم يومَ القيامةِ : ﴿ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ أنهم لكم آلهةٌ مِن دونِ اللَّهِ ؛ افتراءً وكذبًا ، وتَدْعُونهم مِن دونِه أربابًا فأْتُوا بهم إن كنتم صادقين !

/القولُ في تأويلِ قولِه : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ . ١٦٦/٧

يقولُ تعالى ذكرُه : ثم لم يَكُنْ قولُهم إذ قلنا لهم : ﴿ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ ؟ إجابةً منهم لنا عن سؤالِنا إياهم ذلك إذ فتنَّاهم فاختبَرْناهم ، ﴿ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ . كذبًا منهم في أَيمانِهم على قيلِهم ذلك .

ثم اختلَفت القرأةُ في قراءةِ ذلك ؛ فقرأته جماعةٌ مِن قرأةِ المدينةِ والبصرةِ وبعضُ الكُوفيين : (ثم لم تَكُنْ فِتْنَتَهم)[(١)] . بالنصبِ[(٢)] ، بمعنى : لم يَكُنِ اختبارَناهم[(٣)] إلا قيلُهم : ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ ، غيرَ أنهم كانوا[(٤)] يقْرءون : (تكن) . بالتاءِ على التأنيثِ ، وإن كانت للقولِ لا للفتنةِ ؛ لمجاورتِها[(٥)] الفتنةَ وهي خبرٌ . وذلك عندَ أهلِ العربيةِ شاذٌّ غيرُ فَصيحٍ في الكلامِ . وقد رُوِي بيتٌ للَبيدٍ بنحوِ ذلك ، وهو قولُه[(٦)] :

---

(١) بعده في ص ، ت١ ، ت٢ ، س : « بالياء » .

(٢) وهذه قراءة نافع وأبي عمرو، وعاصم في رواية أبي بكر وفي رواية عن ابن كثير . السبعة لابن مجاهد ص٢٥٥.

(٣) في م : « اختبارنا لهم » .

(٤) سقط من : م .

(٥) في م : « لمجاورته » .

(٦) شرح ديوان لبيد ص ٣٠٦.

فمضَى وقدَّمَها وكانت عادةً منه إذا هى عرَّدَتْ[١] إقْدامُها

فقال : وكانت . بتأنيثِ[٢] الإقدامِ ؛ لمُجاورتِها[٢] قولَه : عادةً .

وقرَأ ذلك جماعةٌ مِن قرأةِ الكُوفيين : (ثم لم يَكُنْ) . بالياءِ ، (فِتْنَتَهم) . بالنصبِ ﴿ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ﴾ . بنحوِ المعنى الذى قصَده الآخرون الذين ذكَرْنا قراءتَهم[٣] ، غيرَ أنهم ذكَّروا (يَكونُ) لتذكيرِ (أن)[٤] .

وهذه القراءةُ عندَنا أولى القراءتين بالصوابِ ؛ لأن « أن » أثبتُ فى المعرفةِ مِن الفتنةِ .

واختلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ قولِه : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ ﴾ ؛ فقال بعضُهم : معناه : ثم لم يكنْ قولُهم .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا معمرٌ ، قال : قال قتادةُ فى قولِه : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ ﴾ . قال : مقالتُهم . قال معمرٌ : وسمِعْتُ غيرَ قتادةَ يقولُ : معذرتُهم[٥] .

---

(١) عردت : فرّت . اللسان (ع ر د) .

(٢ - ٢) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س : « وإن كانت وهى » .

(٣) وهذه قراءة حمزة والكسائى ولم يذكر المصنف قراءة من قرأ ﴿ثم لم تكن﴾ بالتاء (فتنتهم) بالرفع . وهى قراءة ابن عامر ، وعاصم فى رواية حفص ، ورواية عن ابن كثير. المصدر السابق . وانظر ما تقدم فى ٦/ ١٢٢.

(٤) قال أبو حيان فى البحر المحيط ٤/٩٥ عن توجيه هذه القراءة : لأن « أن » مع ما بعدها أجريت فى التعريف مجرى المضمر . وقال قبل ذلك فى ٤/ ٨٧: وقد تقدم لنا غير مرة أنا لا نرجح بين القراءتين المتواترتين .

(٥) تفسير عبد الرزاق ١/ ٢٠٦.

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن عطاءٍ الخُراسانيِّ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ ﴾ . قال : قولُهم[1] .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ﴾ الآية : فهو كلامُهم ، قالوا : ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ .

/حُدِّثْتُ عن الحسينِ بنِ الفرجِ ، قال : سمِعْتُ أبا مُعاذٍ الفضلَ بنَ خالدٍ يقولُ : ثنا عبيدُ بنُ سليمانَ ، قال سمِعْتُ الضحاكَ : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ ﴾ : يعنى كلامَهم[2] . ١٦٧/٧

وقال آخرون : معنى ذلك معذرتُهم .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ بشارٍ وابنُ المثنى ، قالا : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، قال : ثنا شعبةُ ، عن قتادةَ : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ ﴾ . قال : معذرتُهم[3] .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ [٧٤٨/١و] وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ . يقولُ : اعتذارُهم بالباطلِ والكذبِ[4] .

والصوابُ مِن القولِ فى ذلك أن يُقالَ : معناه : ثم لم يَكُنْ قيلُهم عندَ فتنتِنا إياهم ، اعتذارًا مما سلَف منهم مِن الشركِ باللَّهِ ، ﴿ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا

(١) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٧٣/٤ (٧١٧٥) عن عطاء عن ابن عباس معلقا .
(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٧٤/٤ (٧١٧٩) من طريق أبى معاذ به .
(٣) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٧٣/٤ عقب الأثر (٧١٧٧) معلقا .
(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨/٣ إلى عبد بن حميد .

مُشْرِكِينَ ﴾ فوُضِعَت الفتنةُ موضعَ القولِ ؛ لمعرفةِ السامعينِ معنى الكلامِ .

وإنما الفتنةُ الاختبارُ والابتلاءُ ، ولكن لما كان الجوابُ مِن القومِ غيرَ واقعٍ هنالك إلا عندَ الاختبارِ ، وُضِعَت الفتنةُ التى هى الاختبارُ موضعَ الخبرِ عن جوابِهم ومعذرتِهم .

واختلَفَت القرأةُ أيضًا فى قراءةِ قولِه : ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ ؛ فقرأ ذلك عامةُ قرأةِ المدينةِ وبعضُ الكوفيين والبصريين : ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا ﴾ . خفضًا ، على أن الربَّ نعتٌ للَّهِ .

وقرأ ذلك جماعةٌ مِن التابعين : (واللَّهِ ربَّنا) . بالنصب ، بمعنى : واللَّهِ يا ربَّنا . وهى قراءةُ عامةِ قَرَأةِ أهلِ الكُوفةِ[١] .

وأولى القراءتين عندى بالصوابِ[٢] فى ذلك قراءةُ من قرأ : (واللَّهِ ربَّنا) . بنصبِ الرَّب ، بمعنى : يا ربَّنا . وذلك أن هذا جوابٌ من المسئولين المَقُولِ لهم : ﴿ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ ؟ وكان من جوابِ القومِ لربِّهم : واللَّهِ يا ربَّنا ما كنا مشركين . فنفَوْا أن يَكُونوا قالوا ذلك فى الدنيا .

يقولُ اللَّهُ تعالى ذكرُه لمحمدٍ ﷺ : ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ .

ويعنى بقولِه : ﴿ مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾: ما كنا نَدْعُو لك شريكًا، ولا نَدْعو[٣] سِواك .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

---

(١) بالنصب قرأ حمزة والكسائى ، وقرأ الباقون بالكسر. التيسير ص٨٤ .

(٢) القراءتان كلتاهما صواب .

(٣) بعده فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س : « لك » .

يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : انْظُرْ يا محمدُ ، فاعْلَمْ كيف كذَب هؤلاء المشركون العادِلون بربِّهم الأوثانَ والأصنامَ فى الآخرةِ عندَ لقاءِ اللَّهِ ، على أنفسِهم بقِيلِهم : واللَّهِ يا ربَّنا ما كنا مشركين . واستَعْمَلوا هنالك الأخلاقَ التى كانوا بها يَتَخلَّقون[1] فى الدنيا ، من الكذبِ والفِرْيَةِ .

ومعنى النظرِ فى هذا الموضعِ النظرُ بالقلبِ ، لا النظرُ بالبصرِ ، وإنما معناه : تَبَيَّنْ فاعْلَمْ كيف كَذَبوا فى الآخرةِ .

وقال : ﴿ كَذَبُواْ ﴾ . ومعناه : يكذِبون ؛ لأنه لمّا كان الخبرُ قد مضَى فى الآيةِ قبلَها ، صار كالشىءِ الذى قد كان ووُجِدَ .

﴿ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ . يقولُ : وفارَقَهم الأندادُ والأصنامُ ،/ وتبَرَّءوا منها ، فسلكوا غيرَ سبيلِها ؛ لأنها هلكت ، وأُعِيدَ[2] الذين كانوا يَعْبُدونها اجتراءً ، ثم أُخِذوا بما كانوا يَفْتَرونه مِن قِيلِهم فيها على اللَّهِ ، وعبادتِهم إياها ، وإشراكِهم إياها فى سلطانِ اللَّهِ ، فضلَّت عنهم ، وعوقِب عابِدوها بفِرْيَتِهم . ١٦٨/٧

وقد بيَّنَّا فيما مضَى أن معنى « الضلالِ » الأخذُ على غيرِ الهدى[3] .

وقد ذُكِر أن هؤلاء المشركين يَقُولون هذا القولَ عندَ معاينتِهم سَعَةَ رحمةِ اللَّهِ يومَئذٍ .

ذكرُ الروايةِ بذلك

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا حَكّامٌ ، قال : ثنا عمرٌو ، عن مُطَرِّفٍ ، عن المنهالِ

---

(١) فى ص، ت١، ت٢، ت ٣: « متخلقون » ، وفى م : « متخلقين » .
(٢) فى ص، ت١، ت٢،ت٣، س: « عبدوا » .
(٣) ينظر ما تقدم فى ٤١٥/٢، ٤١٦.

ابنِ عمرٍو ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، قال : أتى رجلٌ ابنَ عباسٍ (١ فقال : قال اللَّهُ : ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ ١) . وقال فى آيةٍ أُخرى : ﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴾ [النساء : ٤٢] . قال ابنُ عباسٍ : أما قولُه : ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ . فإنه لما رَأَوْا أنه لا يَدْخُلُ الجنةَ إلا أهلُ الإسلامِ ، فقالوا : تعالَوْا لنَجْحَدْ . قالُوا : ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ . فختَم اللَّهُ على أفواهِهم ، وتكلَّمت أيديهم وأرجلُهم ، ﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴾(٢) .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ تعالى : ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ . قال : قولُ أهلِ الشركِ حين رَأَوُا الذنوبَ تُغْفَرُ - ولا يَغْفِرُ اللَّهُ لمشركٍ - ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ : بتكذيبِ اللَّهِ إياهم(٣) .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ بنحوِه .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ . ثم قال : ﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴾ بجوارِحِهم(٤) .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال ثنا أبى ، عن حمزةَ الزياتِ ، عن رجلٍ يقالُ له : هاشمٌ(٥) ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا

(١ - ١) سقط من : ص، ت١، ت٢، ت٣، س .

(٢) تقدم تخريجه فى ٧/ ٤٢.

(٣) تفسير مجاهد ص ٣٢٠، ومن طريقه أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/ ١٢٧٤، ١٢٧٥ (٧١٨٢، ٧١٨٤) .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/ ٨ إلى المصنف وابن المنذر.

(٥) فى م : « هشام » . وينظر التاريخ الكبير ٨/ ٢٣٤.

مُشْرِكِينَ ﴾ قال: حلفوا واعْتَذَروا ، قالوا : ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا ﴾ [1] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا قَبِيصةُ بنُ عقبةَ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، قال : أقسَموا واعتذَروا : ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا ﴾ .

حدَّثنا هَنَّادٌ ، قال : ثنا وكيعٌ ، عن حمزةَ الزياتِ ، عن رجلٍ يُقالُ له : هاشمٌ [2] ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ بنحوِه .

حدَّثنا هنادٌ ، قال : ثنا أبو معاويةَ ، عن سفيانَ بنِ زيادٍ العُصْفُرىِّ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ فى قولِه : ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ . قال : لما أُمِر بإخراجِ رجالٍ [3] [4] مِن النارِ مِن أهلِ التوحيدِ ، قال مَن فيها من المشركين : تعالَوْا نَقُولُ : لا إلهَ إلا اللَّهُ . لعلنا نَخْرُجُ مع هؤلاء . قال : فلم يُصَدِّقُوا . قال : فحلَفوا : ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ . قال : فقال اللَّهُ : ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ : أى : يُشْرِكون [5] .

/حدَّثنى الحارثُ ، قال : ثنا عبدُ العزيزِ ، [١/٧٤٨ظ] قال : ثنا المنهالُ بنُ عمرٍو ، ١٦٩/٧ عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ . قال : لما رأى المشركون أنه لا يَدْخُلُ الجنةَ إلا مسلمٌ ، قالوا : تعالَوْا إذا سُئِلنا [6] قلنا : ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٧٤/٤ (٧١٨٣) من طريق حمزة الزيات به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨/٣ إلى عبد بن حميد وأبى الشيخ .

(٢) سقط من : س، وفى ص، م، ت١، ت٢، ت ٣: « هشام ».

(٣) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س : « رجل » .

(٤) بعده فى ت١، ت٢، ت٣، س : « أهل » .

(٥) بعده فى م، والدر المنثور ٨/٣ : « به » .

والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٧٥/٤ (٧١٨٧) من طريق يزيد به. وهو فى الدر المنثور من تمام الأثر المتقدم فى ص ١٩١.

(٦) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س : « سألنا » .

مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ . فسُئِلوا ، فقالوا ذلك ، فختَم اللَّهُ على أفواهِهم ، وشهِدت عليهم جوارحُهم بأعمالِهم ، فَوَدَّ الذين كفروا حينَ رَأَوْا ذلك : ﴿ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾[1] .

حدَّثنى الحارثُ ، قال : ثنى عبدُ العزيزِ ، قال : ثنا مسلمُ بنُ خالدٍ[2] ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : يأتى على الناسِ يومَ القيامةِ ساعةٌ ، لما رأوا[3] أهلَ الشركِ أهلَ التوحيدِ يُغْفرُ لهم ، فيقُولون : ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ . قال : ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ .

حدَّثنى الحارثُ ، قال : ثنا عبدُ العزيزِ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن رجلٍ ، عن سعيدِ ابنِ جبيرٍ أنه كان يقولُ : ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ . بخَفْضِها[4] ، قال : أقسَموا واعتذَروا . قال الحارثُ : قال عبدُ العزيزِ : قال سفيانُ مرةً أخرى : ثنى هاشمٌ[5] ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : ومِن هؤلاءِ العادلين بربِّهم الأوثانَ والأصنامَ مِن قومِك يا محمدُ ﴿ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ ﴾ . يقولُ : مَن يَسْتَمِعُ القرآنَ منك ، ويَسْتَمِعُ ما تَدْعُوه إليه مِن توحيدِ ربِّك وأمرِه ونهيِه ، ولا يَفْقَهُ ما تقولُ ، ولا يُوعِيه قلبَه ، ولا يَتَدَبَّرُه ، ولا يُصْغِى له سمعَه ليَتَفَقَّهَه فيَفْهَمَ حججَ اللَّهِ عليه فى تنزيلِه الذى أنزَله عليك ، إنما يَسْمَعُ

---

(١) ينظر ما تقدم تخريجه فى ٧/ ٤٢.

(٢) فى النسخ : « خلف » . وتقدم على الصواب فى ٢/٥١٣، ٥٣٧ .

(٣) فى م : « رأى » .

(٤) فى م : « بخفضها » .

(٥) فى النسخ : « هشام » .

صوتَك وقراءتَك وكلامَك ، ولا يَعْقِلُ عنك ما تقولُ ؛ لأن اللَّهَ قد جعَل على قلبِه أَكِنَّةً .

وهى جمعُ كِنانٍ ، وهو الغطاءُ ، مثلُ سِنانٍ وأسنةٍ ، يُقالُ منه : أكننتُ الشيءَ فى نفسى - بالألفِ - وكَننتُ الشيءَ ، إذا غطَّيته . ومِن ذلك ﴿ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾ [الصافات : ٤٩] ، وهو الغطاءُ . ومنه قولُ الشاعرِ[1] :

تحتَ عينٍ[2] كِنانُنا ظلُّ بُرْدٍ مُرَحَّلُ[3]

يعنى غطاءهم الذى يُكِنُّهم .

/﴿ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : وجعَل فى آذانِهم ثِقَلًا وصَمَمًا عن فَهمِ ما تَتلو عليهم ، والإصغاءِ لما تَدْعوهم إليه . ١٧٠/٧

والعربُ تَفتَحُ الواوَ من الوَقْرِ فى الأُذُنِ ، وهو الثِّقَلُ فيها ، وتَكْسِرُها فى الحِمْلِ ، فتقولُ : هو وِقْرُ الدابةِ . ويقالُ مِن الحِمْلِ : أَوْقَرْتُ الدابةَ . فهى موقورةٌ[4] ، ومن السمعِ : وَقَرْتُ سمعَه . فهو موقَرٌ[5] . ومنه قولُ الشاعرِ[6] :

* ولى هامةٌ قد وقَّر الضربُ سمعَها *

وقد ذُكِر سماعًا منهم : وَقِرَت أُذُنُه إذا ثَقُلت ، فهى مَوْقُورةٌ ، وأَوْقَرَتِ النخلةُ فهى مُوقِرٌ . كما قيل : امرأةٌ طامثٌ وحائضٌ . لأنه لا حظَّ فيه للمذكرِ ، فإذا أُرِيد أن اللَّهَ أَوْقَرها ، قيل : مُوقَرَةٌ .

---

(١) البيت لعمر بن أبى ربيعة، كما فى مجاز القرآن ١/٤٦، ١٨٨ واللسان (ك ن ن) . وليس فى ديوانه .

(٢) العين : السحاب . اللسان (ع ى ن) .

(٣) المرحل: ضَرْب من بُرود اليمن، سمى مرحلا لأن عليه تصاوير رحل . اللسان (ر ح ل) .

(٤) فى م : « موقرة » .

(٥) فى م : « موقور » .

(٦) التبيان ٤/ ١٠٣.

وقال تعالى ذكره : ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ ﴾ . بمعنى : ألَّا يَفقَهوه . كما قال : ﴿ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ ﴾ [النساء : ١٧٦] . بمعنى : ألَّا تَضِلُّوا ؛ لأن الكِنَّ إنما جُعِل على القلبِ لئلا يَفْقَهَه ، لا ليَفْقَهَه .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرَنا معمرٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ . قال : يَسْمَعونه بآذانِهم ، ولا يَعُون منه شيئًا ، كمثَلِ البهيمةِ التى تَسْمَعُ النداءَ ، ولا تَدْرِى ما يُقالُ لها[1] .

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدِّىِّ : ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ : أما ﴿ أَكِنَّةً ﴾ : فالغِطاءُ أَكَنَّ قلوبَهم ، لا يَفْقَهون الحقَّ ، ﴿ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ . قال : صَمَمٌ[2] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴾ . قال : قريشٌ[3] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن

---

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ٢٠٩. وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٢٧٦ (٧١٩٢) عن الحسن بن يحيى به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٢٧٥، ١٢٧٦ (٧١٩٠، ٧١٩١، ٧١٩٣) من طريق أحمد بن المفضل به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/ ٨ إلى أبى الشيخ .

(٣) تفسير مجاهد ص ٣٢٠. ومن طريقه أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٢٧٥ (٧١٨٨) .

مُجاهدٍ مثلَه .

القولُ في تأويلِ قولِه : ﴿وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : وإن يَرَ هؤلاء العادِلون بربِّهم الأوثانَ والأصنامَ ، الذين جَعَلْتُ على قلوبِهم أَكِنَّةً أن / يَفْقَهوا عنك ما يَسْمَعون منك ، ﴿كُلَّ ءَايَةٍ﴾ . ١٧١/٧ يقولُ : كلَّ حُجةٍ وعلامةٍ تَدُلُّ أهلَ الحِجَا والفهمِ على توحيدِ اللَّهِ ، وصدقِ قولِك ، وحقيقةِ نبوَّتِك ، ﴿لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ . يقولُ : لا يُصدِّقون بها ، ولا يُقِرُّون بأنها دالةٌ على ما هي عليه دالةٌ ، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ﴾ . يقولُ : حتى إذا صاروا إليك بعدَ مُعاينتِهم الآياتِ الدالةَ على حقيقةِ ما جئتَهم به ، ﴿يُجَٰدِلُونَكَ﴾ . يقولُ : يُخاصِمونك ، ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا﴾ . يعني بذلك : الذين جحَدوا آياتِ اللَّهِ وأنكَروا حقيقتَها ، يقولون لنبيِّ اللَّهِ ﷺ إذا سمِعوا حُجَجَ اللَّهِ التي احتجَّ بها عليهم ، وبيانَه الذي بيَّنه لهم : ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ . أي : ما هذا إلا أساطيرُ الأولين .

والأساطيرُ جمعُ إسْطارةٍ وأُسْطُورةٍ ، مثلَ أُفْكُوهةٍ وأُضْحُوكةٍ . وجائزٌ أن يَكونَ الواحدُ أسْطارًا ، مثلَ أبياتٍ وأَبابِيتَ ، وأقوالٍ وأَقاوِيلَ ، مِن قولِ اللَّهِ تعالى ذكرُه : ﴿وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ﴾ [الطور : ٢] . مِن : سطَرَ يَسْطُرُ سَطْرًا .

[٧٤٩/١و] فإن كان مِن هذا ، فإن تأويلَه : ما هذا إلا ما كتَبه الأوَّلون .

وقد ذُكِر عن ابنِ عباسٍ وغيرِه أنهم كانوا يَتأوَّلُونه بهذا التأويلِ ، ويقولون : معناه : إن هذا إلا أحاديثُ الأوَّلين .

حدَّثني بذلك المثنى بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثني معاويةُ ،

عن عليِّ بنِ أبى طلحةَ، عن ابنِ عباسٍ[(١)].

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ، قال: ثنا أحمدُ بنُ مفضلٍ، قال: ثنا أسْباطُ، عن السديِّ: أمَّا ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: فأَساجيعُ الأوَّلين[(٢)].

وكان بعضُ أهلِ العلمِ - وهو أبو عُبَيدةَ مَعْمَرُ بنُ المثنَّى - بكلامِ العربِ يقولُ[(٣)]: الإسطارةُ لغةٌ، [(٤)]ومجازُها[(٤)] التُّرَّهاتُ.

وكان الأخفشُ يقولُ: قال بعضُهم: واحدُه أُسْطورةٌ. وقال بعضُهم: إسْطارةٌ. قال: ولا أُراه إلا مِن الجميعِ[(٥)] الذى ليس له واحدٌ، نحوَ العَباديدِ[(٦)] والمَذَاكيرِ والأبابيلِ. قال: وقال بعضُهم: واحدُ الأبابيلِ إِبِّيلٌ. وقال بعضُهم: إِبَّوْلٌ. مثلَ عِجَّوْلٍ[(٧)]، ولم أَجِدِ العربَ تَعْرِفُ له واحدًا، وإنما هو مثلُ عَبادِيدَ لا واحدَ لها. وأما الشَّماطِيطُ[(٨)]، فإنهم يَزْعُمون أن واحدَه شِمْطاطٌ. قال: وكلُّ هذه لها واحدٌ، إلا أنه لم يُسْتَعْمَلْ ولم يُتَكَلَّمْ به؛ لأن هذا المثالَ لا يَكونُ إلا جميعًا[(٩)]. قال: وسمِعْتُ العربَ الفُصَحاءَ تقولُ: أَرْسَل خَيلَه أبابيلَ. تُرِيدُ جَماعاتٍ، فلا تَتَكَلَّمُ بها بواحدةٍ[(١٠)].

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨/٣ إلى المصنف.

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٧٦/٤ (٧١٩٧) من طريق أحمد بن مفضل به. وهو من تمام الأثر المتقدم فى ص ١٩٨.

(٣) مجاز القرآن ١/ ١٨٩.

(٤ - ٤) فى م: «الخرافات»، وفى مجاز القرآن: «ومجازها مجاز الترهات».

(٥) فى م: «الجمع».

(٦) فى م: «العبابيد» والعباديد والعبابيد: الخيل المتفرقة فى ذهابها ومجيئها. اللسان (ع ب د).

(٧) العجول والعجل: ولد البقرة. اللسان (ع ج ل).

(٨) الشماطيط: القطع المتفرقة. اللسان (ش م ط).

(٩) فى م: «جمعا».

(١٠) فى م: «موحده».

وكانت مُجادلتُهم رسولَ اللَّهِ ﷺ التى ذكَرها اللَّهُ فى هذه الآيةِ فيما ذُكِر ، ما حدَّثنى به محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ ﴾ الآية . قال : هم المشركون ، يُجادِلون المسلمين فى الذَّبيحةِ ، يقولون : أما ما ذبَحْتُم وقتَلْتُم فتأْكُلون ، وأما ما قتَل اللَّهُ فلا تأْكُلون ، وأنتم تتَّبِعون أمرَ اللَّهِ تعالى ![1]

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

اختلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُۖ ﴾ ؛ فقال بعضُهم : معناه : هؤلاء المشركون المُكذِّبون بآياتِ اللَّهِ ، يَنْهَوْنَ الناسَ عن اتِّباعِ محمدٍ ﷺ والقبولِ منه ، ﴿ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُۖ ﴾ : يَتَباعَدون عنه .

/ذكرُ مَن قال ذلك ١٧٢/٧

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : ثنا حفصُ بنُ غِياثٍ وهانئُ بنُ سعيدٍ ، عن حجاجٍ ، عن سالمٍ ، عن ابنِ الحَنَفيةِ : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُۖ ﴾ . قال : يَتَخلَّفون عن النبيِّ ﷺ ولا يُجيبُونه ، ويَنْهَوْن الناسَ عنه[2] .

حدَّثنا المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُۖ ﴾ . يعنى : يَنْهَوْن الناسَ عن محمدٍ أن يُؤْمِنوا به ، ﴿ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُۖ ﴾ : يعنى : يَتَباعَدون عنه[3] .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٧٦/٤ (٧١٩٤، ٧١٩٦) عن محمد بن سعد به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٧٧/٤ (٧٢٠١) من طريق حفص بن غياث به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨/٣ إلى ابن أبى شيبة وابن المنذر .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٧٧/٤، ١٢٧٨ (٧٢٠٠، ٧٢٠٧) من طريق عبد الله بن صالح به. وعزاه السيوطى الدر المنثور ٨/٣ إلى ابن المنذر .

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدِّىِّ : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ﴾ : أن يُتَّبَعَ محمدٌ ، ويَتَباعَدون هم منه[1] .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ﴾ . يقولُ : لا يَلْقَوْنَه ، ولا يَدَعُون أحدًا يَأْتِيه[2] .

حُدِّثْتُ عن الحسينِ بنِ الفرجِ ، قال : سمِعْتُ أبا مُعاذٍ يقولُ فى قولِه : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ﴾ . يقولُ : عن محمدٍ ﷺ .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ﴾ : جمَعُوا النَّهْىَ والنَّأْىَ ، والنَّأْىُ[3] التباعُدُ .

وقال بعضُهم : بل معناه : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ﴾ : عن القرآنِ أن يُسْمَعَ له ويُعْمَلَ بما فيه .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبرَنا معمرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ﴾ . قال : يَنْهَوْن عن القرآنِ وعن النبىِّ ﷺ ، ﴿ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ﴾ : ويَتَباعَدون عنه[4] .

---

(١) انظر تفسير البغوى ٣/١٣٦.

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/٨ إلى المصنف .

(٣) فى ص، ت١، ت٢، ت٣ س : « النهى » .

(٤) تفسير عبد الرزاق ١/٢٠٥. وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٢٧٧ (٧٢٠٣) عن الحسن بن يحيى به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/٩ إلى ابن المنذر وأبى الشيخ .

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ قولَه : ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ . قال : قريشٌ ، عن الذِّكْرِ ، ﴿وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ . يقولُ : يَتَباعَدون[1] .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ : قريشٌ عن الذكرِ ، ﴿يَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ : يَتَباعَدون .

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثَوْرٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ : ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ . قال : يَنْهَوْن عن القرآنِ وعن النبيِّ ﷺ ، ويَتَباعَدون عنه .

حدَّثني يونُسُ ، قال : أخْبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِه : ﴿يَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ . قال : ﴿يَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ يَبْعُدونه[2] .

وقال آخَرون : معنى ذلك : وهم يَنْهَوْن عن أذَى محمدٍ ﷺ ، ﴿وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ : يَتَباعَدون عن دينِه واتِّباعِه .

١٧٣/٧

/ذِكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا هنادٌ ، قال : ثنا وَكيعٌ وقَبيصةُ ، وحدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبي ، عن سفيانَ ، عن حَبيبِ بنِ أبي ثابتٍ ، عمَّن سمِع ابنَ عباسٍ يقولُ : نزَلَت في

---

(١) تفسير مجاهد ص٣٢١، ومن طريقه أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٧٧/٤ (٧٢٠٢) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٩/٣ إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) في م : « يبعدون » .

والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٧٨/٤ (٧٢٠٨) من طريق أصبغ بن الفرج عن ابن زيد به .

أبى طالبٍ ، كان يَنْهَى عن محمدٍ أن يُؤْذَى ، ويَنْأَى عما جاء به أن يُؤْمِنَ به[(١)] .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن حَبيبِ بنِ أبى ثابتٍ ، قال : ثنى مَن سمِع ابنَ عباسٍ يقولُ : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ [١/٧٤٩ظ] وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُۖ ﴾ . قال : نزَلَت فى أبى طالبٍ ، يَنْهَى عنه أن يُؤْذَى ، ويَنْأَى عما جاء به .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا الثوريُّ ، عن حَبيبِ بنِ أبى ثابتٍ ، عمّن سمِع ابنَ عباسٍ : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُۖ ﴾ . قال : نزلت فى أبى طالبٍ ، كان[(٢)] يَنْهَى المشركين أن يُؤْذُوا محمدًا ، ويَنْأَى عمَّا جاء به[(٣)] .

حدَّثنا هنادٌ ، قال : ثنا عَبْدةُ ، عن إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ ، عن القاسمِ بنِ مُخَيْمِرَةَ ، قال : كان أبو طالبٍ يَنْهَى عن النبيِّ ﷺ ولا يُصَدِّقُه .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ قال : ثنا أبى ومحمدُ بنُ بشرٍ ، عن إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ ، عن القاسمِ بنِ مُخَيْمِرةَ فى قولِه : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُۖ ﴾ . قال : نزَلَت فى أبى طالبٍ . قال ابنُ وكيعٍ : قال ابنُ بشرٍ : كان أبو طالبٍ يَنْهَى عن النبيِّ ﷺ أن يُؤْذَى ، ولا يُصَدِّقُ به[(٤)] .

حدَّثنا هنادٌ ، قال : ثنا يونُسُ بنُ بُكَيرٍ ، عن أبى محمدٍ الأَسَدىِّ ، عن حبيبِ بنِ

---

(١) تفسير سفيان ص ١٠٦، ومن طريقه الحاكم ٢/ ٣١٥، والبيهقى فى الدلائل ٢/ ٣٤٠، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٢٧٦، ١٢٧٨ (٧١٩٩، ٧٢٠٦) من طريق وكيع به. وأخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٨٧٤ -تفسير) ، والطبرانى (١٢٦٨٢) من طريق حبيب بن أبى ثابت به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/٨ إلى الفريابى وعبد بن حميد وابن المنذر وأبى الشيخ وابن مردويه.

(٢) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س: « قال ».

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/ ٢٠٦، ومن طريقه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٣٤٠.

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/٨ إلى المصنف وابن أبى شيبة وابن المنذر وأبى الشيخ .

أبى ثابتٍ ، قال : ثنى مَن سمِع ابنَ عباسٍ يقولُ فى قولِ اللَّهِ تعالى ذكرُه : ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ : نزَلَت فى أبى طالبٍ ، كان يَنْهى عن أذى محمدٍ ، ويَنْأَى عما جاء به أن يَتَّبِعَه[(١)] .

حدَّثنا هنادٌ ، قال : ثنا وكيعٌ ، عن إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ ، عن القاسمِ بنِ مُخَيْمِرةَ فى قولِه : ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ . قال : نزَلَت فى أبى طالبٍ .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا عبيدُ[(٢)] اللَّهِ بنُ موسى ، عن عبدِ العزيزِ بنِ سِيَاهٍ ، عن حبيبٍ ، قال : ذاك أبو طالبٍ . فى قولِه : ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ .

حدَّثنا يونُسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : ثنى سعيدُ بنُ أبى أيوبَ ، قال : قال عطاءُ بنُ دينارٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ : إنها نزَلَت فى أبى طالبٍ ، أنه كان يَنْهَى الناسَ عن إيذاءِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ويَنْأَى عما جاء به مِن الهُدَى[(٣)] .

وأولى هذه الأقوالِ بتأويلِ الآيةِ قولُ مَن قال : تأويلُه : ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ : عن اتباعِ محمدٍ ﷺ مَن سواهم مِن الناسِ ، ويَنْأَوْنَ عن اتباعِه . وذلك أن الآياتِ قبلَها جرَت بذكرِ جماعةِ المشركين العادِلين به[(٤)] ، والخبرِ عن تكذيبِهم رسولَ اللَّهِ ﷺ ، والإعراضِ عما جاءهم به مِن تنزيلِ اللَّهِ ووحيِه ، فالواجبُ أن يكونَ قولُه : ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ . خبرًا عنهم ، إذ لم يَأْتِنا ما يَدُلُّ / على انصرافِ الخبرِ عنهم إلى غيرِهم ، بل ما قبلَ هذه الآيةِ وما بعدَها يَدُلُّ على صحةِ ما قلنا مِن أن ذلك خبرٌ عن جماعةِ مُشْرِكى قومِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، دونَ أن يكونَ خبرًا عن خاصٍّ منهم .

١٧٤/٧

---

(١) ينظر تفسير ابن كثير ٣/ ٢٤٣.

(٢) فى النسخ : « عبد » . وقد مضى مرارا .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/ ٨ إلى المصنف .

(٤) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س : « بهم » .

وإذ كان ذلك كذلك ، فتأويلُ الآيةِ : وإن يَرَ هؤلاء المشركون يا محمدُ كلَّ آيةٍ لا يُؤْمِنوا بها ، حتى إذا جاءوك يُجادِلونك يقولون : إنْ هذا الذى جئْتَنا به إلا أحاديثُ الأوَّلين وأخبارُهم . وهم يَنْهَون عن استماعِ التنزيلِ ، ويَنْأَوْنَ عنك ، فيَبْعُدون منك ومِن اتباعِك ، ﴿ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ﴾ . يقولُ : وما يُهْلِكون بصدِّهم عن سبيلِ اللَّهِ ، وإعراضِهم عن تنزيلِه ، وكفرِهم بربِّهم إلا أنفسَهم لا غيرَها ؛ وذلك أنهم يُكْسِبونها بفعلِهم ذلك سَخَطَ اللَّهِ وأليمَ عقابِه ، وما لا قِبَلَ لها به ، ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ . يقولُ : وما يَدْرُون ما هم مُكْسِبوها مِن الهلاكِ والعَطَبِ بفعلِهم .

والعربُ تقولُ لكلِّ مَن بعُد عن شيءٍ : قد نأَى عنه ، فهو يَنْأَى نَأْيًا . ومَسموعٌ منهم : نأَيْتُكَ . بمعنى : نأَيْتُ عنك . وأما إذا أرادوا : أبْعَدْتُك عنى . قالوا : أَنْأَيْتُك . ومِن : نأَيْتُك . بمعنى : نأَيْتُ عنك . قولُ الحُطَيئةِ[1] :

نَـأَتْـكَ أُمَـامَـةُ إلا سُـؤَالَا وأَبْصَرْتَ منها بطَيْفٍ[2] خيَالَا[3]

القولُ فى تأويلِ قولِه عز ذكره : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ ﴾ يا محمدُ هؤلاء العادِلين بربِّهم الأصنامَ والأوثانَ ، الجاحِدين نبوّتَك ، الذين وصَفْتُ لك صفتَهم ﴿ إِذْ وُقِفُواْ ﴾ . يقولُ : إذ حُبِسوا ﴿ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ : يعنى : فى النارِ . فوُضِعَت « على » موضعَ « فى » ، كما قال : ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ﴾ [البقرة : ١٠٢] .

(١) ديوانه ص ٢١٤.

(٢) فى نسخة من الديوان : « بغيب » ، وفى نسخة : « بعين » .

(٣) بعده فى ص، ت ١، ت ٢، ت٣، س : « حدثنى يونس ، قال: أخبرنا ابن وهب ، قال: حدثنى سعيد بن أبى أيوب، قال: قال عطاء بن دينار فى قول الله تعالى ذكره: ﴿وهم ينهون عنه وينأون عنه﴾ إنها نزلت فى أبى طالب، كان ينهى الناس عن رسول الله صلى الله عليه سلم، وينأى عما جاء به » . وهو تكرار للأثر المتقدم فى ص٢٠٥.

بمعنى : فى ملكِ سليمانَ .

وقيل : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ ﴾ . ومعناه : إذا وُقِفوا ؛ لِمَا وصَفْنا قبلُ فيما مضَى أن العربَ قد تَضَعُ « إذ » مكانَ « إذا » ، و « إذا » مكانَ « إذ » ، وإن كان حظُّ « إذ » أن تُصاحِبَ مِن الأخبارِ ما قد وُجِد فقضَى ، وحظُّ « إذا » أن تُصاحِبَ مِن الأخبارِ ما لم يُوجَدْ[1] ، ولكنَّ ذلك كما قال الراجزُ ، وهو أبو النجمِ[2] :

مَدَّ لنا فى عُمْرِه رَبُّ طَهَا[3]

ثم جَـزاه اللَّهُ عنا إذ جَزَى

جناتِ عَدْنٍ فى العَلَالِىِّ العُلَا

فقال : ثم جَزاه اللَّهُ عنا إذ جزَى . فوضَع « إذ » مكان « إذا » .

وقيل : ﴿ وُقِفُواْ ﴾ . ولم يُقَلْ : أُوقِفوا . لأن ذلك هو الفصيحُ مِن كلامِ العربِ ، يقالُ : وقَفْتُ الدابةَ وغيرَها - بغيرِ ألفٍ - إذا حبَسْتَها . وكذلك : وقَفْتُ الأرضَ . إذا جعَلْتَها صدقةً حَبيسًا . بغيرِ ألفٍ .

/وقد حدَّثنى الحارثُ ، عن[4] أبى عُبيدٍ ، قال : أخبرَنى اليَزيدىُّ والأصْمَعىُّ ، كلاهما عن أبى عمرٍو ، قال : ما سَمِعْتُ أحدًا مِن العربِ يقولُ : أوْقَفْتُ الشيءَ . بالألفِ . قال : إلا أنى لو رأَيْتُ رجلًا بمكانٍ فقلتُ : ما أوْقَفك هلهنا ؟ بالألفِ ، [٧٥٠/١و] لرأَيْتُه حسنًا[5] . ١٧٥/٧

---

(١) ينظر ما تقدم فى ص ١٣٤ ، ١٣٥.

(٢) تقدم تخريج الأبيات فى ص ١٣٤.

(٣) قال فى اللسان (ط و ا) : فإنما أراد : رب طه السورة فحذف الألف .

(٤) فى م : « بن » ، وهو خطأ .

(٥) تهذيب اللغة ٩/ ٣٣٣، الصحاح (و ق ف) بنحو ما هنا .

﴿ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ ﴾ . يقولُ : فقال هؤلاء المشركون بربِّهم إذ حُبِسوا فى النارِ : يا ليتَنا نُرَدُّ إلى الدنيا حتى نَتوبَ ونُراجِعَ طاعةَ اللَّهِ ، ﴿ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا ﴾ . يقولُ : ولا نُكَذِّبَ بحُجَجِ ربِّنا ولا نَجْحَدَها ، ﴿ وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ . يقولُ : ونكونَ مِن المُصدِّقين باللَّهِ وحُجَجِه ورسلِه ، مُتَّبِعى أمرِه ونهيِه .

واختلَفت القَرَأةُ فى قراءةِ ذلك ؛ فقرأَته عامةُ قرأةِ الحجازِ والمدينةِ والعراقَيْنِ[(١)] : (يا ليتنا نُرَدُّ ولا نُكَذِّبُ بآياتِ ربِّنا ونكونُ من المؤمِنين)[(٢)] . بمعنى : يا ليتَنا نُرَدُّ ، ولسنا نُكَذِّبُ بآياتِ ربِّنا ، ولكُنَّا[(٣)] نكونُ مِن المؤمنين .

وقرَأ ذلك بعضُ قرأةِ الكوفةِ : ﴿ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ . بمعنى : يا ليتَنا نُرَدُّ ، وأن لا نُكَذِّبَ بآياتِ ربِّنا ، ونكونَ مِن المؤمنين[(٤)] .

وتأوَّلوا فى ذلك شيئًا حدَّثَنيه أحمدُ بنُ يوسُفَ ، قال : ثنا القاسمُ بنُ سَلَّامٍ ، قال : ثنا حجاجٌ ، عن هارونَ ، قال : فى حرفِ ابنِ مسعودٍ : (يا ليتَنا نُرَدُّ فلا نُكَذِّبَ) . بالفاءِ[(٥)] .

وذُكِر عن بعضِ قرأةِ أهلِ الشامِ أنه قرَأ ذلك : (يا ليتَنا نُرَدُّ ولا نُكَذِّبُ) بالرفعِ (ونكونَ)[(٦)] بالنصبِ . كأنه وجَّه تأويلَه إلى أنهم تمنَّوُا الردَّ ، وأن يكونوا مِن المؤمنين ، وأخْبَرُوا أنهم لا يُكَذِّبون بآياتِ ربِّهم إن رُدُّوا إلى الدنيا .

---

(١) فى النسخ : « العراقيين » . والعراقان هما البصرة والكوفة . وينظر ما سيأتى فى ص ٢١٩.

(٢) وهى قراءة نافع وابن كثير وأبى عمرو والكسائى وعاصم فى رواية أبى بكر . السبعة لابن مجاهد ص ٢٥٥.

(٣) فى م : « لكن » .

(٤) وهى قراءة حمزة وعاصم فى رواية حفص ، ورواية ابن ذكوان عن ابن عامر . المصدر السابق .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/٩ إلى المصنف وأبى عبيد ، والقراءة شاذة .

(٦) وهى رواية هشام بن عمار عن ابن عامر . ينظر السبعة ص ٢٥٥.

واختلَف أهلُ العربيةِ في معنى ذلك منصوبًا ومرفوعًا ؛ فقال بعضُ نحويى البصرةِ : ﴿ لَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ نصبٌ لأنه جوابٌ للتمنى ، وما بعدَ الواوِ كما بعدَ الفاءِ . قال : وإن شئتَ رفعتَ ، وجعلتَه على غيرِ التمنى ، كأنهم قالوا : ولا نُكذِّبُ واللَّهِ بآياتِ ربِّنا ، ونَكونُ واللَّهِ مِن المؤمنين . هذا إذا كان على ذا الوجهِ كان مُنقَطِعًا مِن الأولِ . قال : والرفعُ وجهُ الكلامِ ؛ لأنه إذا نصَب جعَلها واوَ عطفٍ ، فإذا جعَلها واوَ عطفٍ ، فكأنهم قد تمنَّوْا أن لا يُكَذِّبوا ، وأن يَكُونوا مؤمنين . قال : وهذا - واللَّهُ أعلمُ - لا يَكونُ ؛ لأنهم لم يَتَمَنَّوْا هذا ، إنما تمنَّوُا الردَّ ، وأَخْبَرُوا أنهم لا يُكَذِّبون ويَكُونون مِن المؤمنين .

وكان بعضُ نحويى الكُوفةِ يقولُ : لو نُصِب ﴿ نُكَذِّبَ ﴾ و ﴿وَنَكُونَ﴾ على الجوابِ بالواوِ[1] لكان صوابًا . قال : والعربُ تُجِيبُ بالواوِ و « ثم » كما تُجِيبُ بالفاءِ ، يقولون : ليت لى مالًا وأُعطِيَك ، وليت لى مالًا فأُعطِيَك ، و :ثم أُعطِيَك . قال : وقد تَكونُ نصبًا على الصَّرفِ[2] ، كقولِك : لا يَسَعُنى شيءٌ ويعجِزَ عنك .

وقال آخرُ منهم : لا أُحِبُّ النصبَ فى هذا ؛ لأنه ليس بتَمَنٍّ منهم ، إنما هو خبرٌ أخبَروا به عن أنفسِهم ، ألا تَرَى أن اللَّهَ تعالى قد كذَّبهم فقال : ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ﴾ . وإنما يَكونُ التكذيبُ للخبرِ لا للتمنِّى .

وكان بعضُهم يُنْكِرُ أن يَكونَ الجوابُ بالواوِ ، وبحرفٍ غيرِ الفاءِ ، وكان يقولُ : إنما الواوُ موضعُ حالٍ : لا يَسَعُنى شيءٌ ويَضِيقَ عنك . أى : وهو يَضِيقُ عنك . قال : وكذلك الصَّرفُ فى جميعِ العربيةِ . قال : وأما الفاءُ فجوابُ جزاءٍ : ما قمتَ فنَأْتِيَك[3] . أى : لو قمتَ لأَتَيْناك . قال : فهكذا حكمُ الصرفِ والفاءِ .

---

(١) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س : « قالوا » .

(٢) ينظر كلام المصنف على الصرف فى ١/ ٦٠٧، ٦٠٨، ٦/ ٩٢.

(٣) فى م : « فآتيك » وفى س : « فأتيتك » .

١٧٦/٧ / قال : وأما قولُه : ﴿ وَلَا نُكَذِّبَ ﴾ ﴿ وَنَكُونَ ﴾ . فإنما جاز لأنهم قالوا : يا ليتَنا نُرَدُّ فى غيرِ الحالِ التى وُقِفْنا فيها على النارِ . فكان وَقْفُهم فى تلك ، فتمَنَّوْا أن لا يَكونوا وُقِفوا فى تلك الحالِ .

وكأن مَعْنِىَّ صاحبِ هذه المقالةِ فى قولِه هذا : ولو تَرَى إذ وُقِفوا على النارِ فقالوا : قد وُقِفْنا عليها مُكَذِّبين بآياتِ ربِّنا كفارًا ، فيا ليتَنا نُرَدُّ إليها فنُوقَفَ عليها غيرَ مُكَذِّبين بآياتِ ربِّنا ، ولا كفارًا .

وهذا تأويلٌ يَدْفَعُه ظاهرُ التنزيلِ ، وذلك قولُ اللَّهِ تعالى ذكرُه : ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ . فأخبرَ اللَّهُ تعالى ذكرُه أنهم فى قِيلِهم ذلك كَذَبةٌ ، والتكذيبُ لا يَقَعُ فى التمنى ، ولكنَّ صاحبَ هذه المَقالةِ أَظُنُّ به أنه لم يَتَدَبَّرِ التأويلَ ، ولزِم سَنَنَ العربيةِ .

والقراءةُ التى لا أَختارُ غيرَها فى ذلك : (يا ليتَنا نُرَدُّ ولا نُكَذِّبُ بآياتِ ربِّنا ونَكونُ مِن المؤمنين) . بالرفعِ فى كليهما ، بمعنى : يا ليتَنا نُرَدُّ ، ولسنا نُكَذِّبُ بآياتِ ربِّنا إن رُدِدْنا ، ولكُنَّا نكونُ مِن المؤمنين . على وجهِ الخبرِ منهم عما يَفْعَلون إن هم رُدُّوا إلى الدنيا ، لا على التمنِّى منهم ألا يُكَذِّبوا بآياتِ ربِّهم ، ويَكُونوا مِن المؤمنين ؛ لأن اللَّهَ تعالى ذكرُه قد أخبرَ عنهم أنهم لو رُدُّوا لَعادوا لما نُهُوا عنه ، وأنهم كَذَبةٌ فى قيلِهم ذلك . ولو كان قيلُهم ذلك على وجهِ التمنِّى لَاسْتَحال تكذيبُهم فيه ؛ لأن التمنِّىَ لا يُكَذَّبُ ، وإنما يَكونُ التصديقُ والتكذيبُ فى الأخبارِ .

وأما النصبُ فى ذلك ، فإنى أَظُنُّ بقارئِه أنه برجاءِ[1] تأويلِ قراءةِ عبدِ اللَّهِ التى ذكَرْناها عنه ، وذلك قراءتُه ذلك : (يا ليتَنا نُرَدُّ فلا نُكَذِّبَ بآياتِ ربِّنا ونكونَ مِن المؤمنين) . على وجهِ جوابِ التمنى بالفاءِ ، وهو إذا قُرِئَ بالفاءِ كذلك ، [2]ولا[2] شكَّ

(١) كذا فى م، ت٢، س، وغير منقوطة فى ص، ت١، وأثبتها الشيخ شاكر : « توخى » .

(٢ - ٢) فى م : « لا » .

في صحةِ إعرابِه ومعناه في ذلك ؛ أن تأويلَه إذا قُرِئَ كذلك : لو أنا رُدِدْنا إلى الدنيا ما كذَّبْنا بآياتِ ربِّنا ، ولكُنَّا مِن المؤمنين . فإن يَكُنِ الذي[1] حَكَى من حَكَى عن العربِ مِن السَّماعِ منهم الجوابَ بالواوِ و « ثم » ، كهيئةِ الجوابِ بالفاءِ صحيحًا ، فلا شكَّ في صحةِ قراءةِ مَن قرَأ ذلك : ﴿ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ ﴾ . نصبًا على جوابِ التمنى بالواوِ ، على تأويلِ قراءةِ عبدِ اللَّهِ ذلك بالفاءِ ، وإلا فإن القراءةَ بذلك بعيدةُ المعنى مِن تأويلِ التنزيلِ ، ولستُ أَعْلَمُ سَماعَ ذلك مِن العربِ صحيحًا ، بل المعروفُ مِن كلامِها الجوابُ بالفاءِ ، والصرفُ بالواوِ .

القولُ في تأويلِ قولِه : ﴿ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : ما [2]قصدُ هؤلاءِ[2] العادلين بربِّهم ، الجاحدين نبوَّتَك يا محمدُ ، في قيلِهم إذا وُقِفوا على النارِ : ﴿ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ . الأسَى والندمَ على تركِ [١/٧٥٠ظ] الإيمانِ باللَّهِ والتصديقِ بك ، لكنْ بهم الإشفاقُ مما هو نازلٌ بهم مِن عقابِ اللَّهِ وأليمِ عذابِه ، على مَعاصِيهم التي كانوا يُخْفُونها عن أعينِ الناسِ ، ويَسْتُرُونها منهم ، فأبْداها اللَّهُ منهم يومَ القيامةِ ، وأظْهَرَها على رءوسِ الأشهادِ ، ففضَحهم بها ، ثم جازاهم بها جزاءَهم .

يقولُ : بل بدا لهم ما كانوا يُخْفُون من[3] أعمالِهم السيئةِ التي كانوا يُخْفُونها مِن قبلِ ذلك في الدنيا ، فظهَرَت ، ﴿ وَلَوْ رُدُّوا ﴾ . يقولُ : ولو رُدُّوا إلى الدنيا فأُمْهِلوا ،/ ﴿ لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ﴾ . يقولُ : لَرجَعوا إلى مثلِ العملِ الذي كانوا ١٧٧/٧

(١) بعده في ص، ت١، ت٢، ت٣، س : « ذكر » .

(٢ - ٢) في ص، ت١، ت٢، ت٣، س : « هؤلاء » . وأثبتها الشيخ شاكر : « بهؤلاء » . استظهارًا من السياق بعدها .

(٣) سقط من : ص، ت١، ت٢، ت٣، س .

يَعْمَلونه فى الدنيا قبلَ ذلك ؛ مِن جُحودِ آياتِ اللَّهِ ، والكفرِ به ، والعملِ بما يُسْخِطُ عليهم ربَّهم ، ﴿ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ فى قيلِهم : لو رُدِدْنا لم نُكَذِّبْ بآياتِ ربِّنا وكنا مِن المؤمنين . لأنهم قالوه حينَ قالوه خشيةَ العذابِ لا إيمانًا باللَّهِ .

وبالذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ : ﴿ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ﴾ . يقولُ : بدَتْ لهم أعمالُهم فى الآخرةِ التى أخْفَوْها فى الدنيا[1] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا معمرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ﴾ . قال : مِن أعمالِهم[2] .

حدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ ﴾ . يقولُ : ولو وصَل اللَّهُ لهم دنيا كدنياهم ، لَعادوا إلى أعمالِهم ؛ أعمالِ السوءِ[3] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

وهذا خبرٌ مِن اللَّهِ تعالى ذكرُه عن هؤلاء المشركين العادلين به الأوثانَ

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٢٧٩ (٧٢١٤، ٧٢١٥) من طريق أحمد بن المفضل به، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/٩ إلى أبى الشيخ .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/٢٠٧ وسقط منه : قال : أخبرنا معمر - وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٢٧٩ (٧٢١٣) عن الحسن بن يحيى به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٢٧٩ (٧٢١٨، ٧٢١٩) من طريق يزيد به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/٩ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبى الشيخ .

والأصنامَ ، الذين ابْتَدَأ هذه السورةَ بالخبرِ عنهم .

يقولُ تعالى ذكرُه : ﴿ وَقَالُوٓاْ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا ﴾ . يُخْبِرُ عنهم أنهم يُنْكِرون أن اللَّهَ يُحْيِي خلقَه بعدَ أن يُميتَهم ، ويقولون : لا حياةَ بعدَ المَماتِ ، ولا بعثَ ولا نُشورَ بعدَ الفَناءِ . فهم بجُحودِهم ذلك ، وإنكارِهم ثوابَ اللَّهِ وعقابَه فى الدارِ الآخرةِ ، لا يُبالون ما أتَوْا وما ركِبوا مِن إثمٍ ومعصيةٍ ؛ لأنهم لا يَرْجُون ثوابًا على إيمانٍ باللَّهِ ، وتصديقٍ برسولِه ، وعملٍ صالحٍ بعدَ موتٍ ، ولا يَخافُون عقابًا على كفرِهم باللَّهِ ورسولِه ، وسَيِّئٍ[1] مِن عملٍ يَعْمَلونه .

وكان ابنُ زيدٍ يقولُ : هذا خبرٌ مِن اللَّهِ تعالى ذكرُه عن هؤلاء الكفَرةِ الذين وُقِفوا على النارِ ، أنهم لو رُدُّوا إلى الدنيا لَقالوا : ما هى إلَّا حَياتُنا الدُّنيا وما نحنُ بمَبْعُوثِينَ .

حدَّثنا يونُسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ ﴾ : وقالوا حينَ يُرَدُّون : ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾[2] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : لو ترَى يا محمدُ هؤلاء القائلين : ما هى إلا حياتُنا الدنيا وما نحن بمبعوثِين ./ ﴿ إِذْ وُقِفُواْ ﴾ يومَ القيامةِ ، أى : حُبِسوا ﴿ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ ﴾ . يعنى : على حكمِ اللَّهِ وقضائِه فيهم ، ﴿ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۚ ﴾ . يقولُ : فقيل لهم : ١٧٨/٧

(١) فى م، س، ت١، ت ٣: « شىء » . وغير منقوطة فى ص، ت ٢.

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/ ١٢٧٩ (٧٢٢٠) من طريق أصبغ بن الفرج عن ابن زيد به .

أليس هذا البعثُ والنَّشْرُ بعدَ المَماتِ الذى كنتم تُنكِرونه فى الدنيا حقًّا ؟ فأجابوا فقالوا : ﴿ بَلَىٰ ﴾ واللهِ إنه لحقٌّ . ﴿ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ﴾ . يقولُ : فقال اللهُ تعالى ذكرُه لهم : فذُوقوا العذابَ الذى كنتُم به فى الدنيا تُكَذِّبون ، ﴿ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ . يقولُ : بتكذيبِكم به وجحودِكموه الذى كان منكم فى الدنيا .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا ﴾ .

يعنى تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ ﴾ : قد هلَك ووُكس فى بيعِهم الإيمانَ بالكفرِ ، ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ ﴾ . يعنى : الذين أنْكَروا البعثَ بعدَ المماتِ ، والثوابَ والعقابَ ، والجنةَ والنارَ ، مِن مُشرِكى قريشٍ ومَن سلَك سبيلَهم فى ذلك ، ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ ﴾ . يقولُ : حتى إذا جاءَتْهم الساعةُ التى يَبْعَثُ اللهُ فيها الموتى مِن قبورِهم .

وإنما أُدْخِلَت الألفُ واللامُ فى ﴿ ٱلسَّاعَةُ ﴾ ؛ لأنها معروفةُ المعنى عندَ المُخاطَبِين بها ، وأنها مقصودٌ بها قصدُ الساعةِ التى وَصَفْت .

ويعنى بقولِه : ﴿ بَغْتَةً ﴾ : فجأةً مِن غيرِ علمٍ مَن تَفْجَؤُه بوقتِ مُفاجأتِها إياه . يقالُ منه : بغَتُّه أَبْغَتُه بَغْتةً . إذا أَخَذْتَه كذلك .

﴿ قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : وُكِس الذين كذَّبوا بلقاءِ اللهِ ، ببيعِهم منازلَهم مِن الجنةِ بمنازلِ مَن اشتَرَوا منازلَه مِن أهلِ الجنةِ مِن النارِ ، فإذا جاءَتْهم الساعةُ بَغْتةً قالوا إذا عايَنوا ما باعوا وما اشْتَرَوْا ، وتبيَّنوا خَسارةَ صَفْقةِ بَيْعِهم التى سلَفَت منهم فى الدنيا ؛ تَنَدُّمًا وتلهُّفًا على عظيمِ الغَبْنِ الذى غَبَنُوه أنفسَهم ، وجليلِ الخُسْرانِ الذى لا خُسْرانَ أجلُّ منه : ﴿ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا ﴾ . يقولُ : يا نَدامتَنا على ما ضيَّعْنا فيها . يعنى : فى صفقتِهم تلك .

والهاءُ والألفُ في قوله : ﴿ فِيهَا ﴾ . مِن ذكرِ الصَّفقةِ ، ولكن اكْتُفِى بدَلالةِ قولِه : ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ ﴾ . عليها مِن ذكرِها ؛ إذ كان معلومًا أن الخُسرانَ لا يكونُ إلا في صفقةِ بيعٍ قد خَسِرَت[1] .

وإنما معنى الكلامِ : قد وُكِس الذين كذَّبوا بلقاءِ اللَّهِ ، ببيعِهم الإيمانَ الذى يَسْتَوْجِبون به مِن اللَّهِ رِضوانَه وجنتَه ، بالكفرِ الذى يَسْتَوْجِبون به منه سَخَطَه وعقوبتَه ، ولا يَشْعُرون ما عليهم مِن الخُسْرانِ في ذلك [١/٧٥١و] حتى تَقومَ الساعةُ ، فإذا جاءَتهم الساعةُ بَغْتَةً ، فرأَوْا ما لَحِقهم مِن الخُسْرانِ في بيعِهم ، قالوا حينئذٍ تندُّمًا : ﴿ يَحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا ﴾ .

وبنحوِ الذى قلنا في ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ قولَه : / ﴿ يَحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا ﴾ : أما ﴿ يَحَسْرَتَنَا ﴾ : فندامتُنا ، ﴿ عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا ﴾ فضيَّعْنا مِن عملِ الجنةِ[2] . ١٧٩/٧

حدَّثنا محمدُ بنُ عُمارةَ الأَسَديُّ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ مِهْرانَ ، قال : ثنا أبو بكرِ بنُ عَيَّاشٍ ، عن الأعمشِ ، عن أبي صالحٍ ، عن أبي سعيدٍ ، عن النبيِّ ﷺ في قولِه : ﴿ يَحَسْرَتَنَا ﴾ . قال : « يَرَى أهلُ النارِ منازلَهم مِن الجنةِ فيَقُولون : يا حَسْرتَنا »[3] .

---

(١) في ص، ت١: « جرت » .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٨١/٤ (٧٢٢٦) من طريق أحمد بن المفضل به مقتصرًا على آخره.

(٣) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ٣٨٩/٣ من طريق داود بن مهران - بدلا من يزيد بن مهران - به . وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٨٠/٤ معلقا عن الأعمش به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٩/٣ إلى الطبراني وأبي الشيخ وابن مردويه .

القولُ فى تأويلِ قوله : ﴿ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : وهؤلاء الذين كذَّبوا بلقاءِ اللَّهِ يَحْمِلُون أوزارَهم على ظُهورِهم . وقولُه : ﴿ وَهُمْ ﴾ . من ذكرِهم ، ﴿ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ ﴾ . يقولُ : آثامُهم وذنوبُهم . واحدُها وِزْرٌ ، يقالُ منه : قد وَزَر الرجلُ يَزِرُ . إذا أَثِم ، [1]قال اللَّهُ : ﴿ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ [1] . فإن أُرِيد أنهم أُثِّموا ، قيل : قد وُزِر القومُ ، فهم يُوزَرُون ، وهم مَوْزُورون .

وقد زعَم بعضُهم أن الوِزْرَ الثِّقلُ والحِمْلُ . ولستُ أَعْرِفُ ذلك كذلك فى شاهدٍ ، ولا مِن روايةِ ثقةٍ عن العربِ .

وقال تعالى ذكرُه : ﴿ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ﴾ . لأن الحِمْلَ قد يكونُ على الرأسِ والمَنْكِبِ وغيرِ ذلك ، فبيَّن موضعَ حَمْلِهم ما يَحْمِلون مِن ذلك ، وذكَر أن حَمْلَهم أوزارَهم يومَئذٍ على ظهورِهم ، نحوَ الذى حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا الحكمُ بنُ بَشيرِ ابنِ سَلْمانَ[2] ، قال : ثنا عمرُو بنُ قيسٍ المُلائىُّ ، قال : إن المؤمنَ إذا خرَج مِن قبرِه اسْتَقْبَله[3] أحسنُ صورةٍ ، وأطيبُه ريحًا ، فيقولُ له : هل تَعْرِفُنى ؟ فيقولُ : لا ، إلا أن اللَّهَ قد طيَّب ريحَك ، وحسَّن صورتَك . فيقولُ : كذلك كنتَ فى الدنيا ، أنا عملُك الصالحُ ، طالما ركِبْتُك فى الدنيا ، فارْكَبْنى أنت اليومَ . وتلا : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴾ [مريم : ٨٥] . وإن الكافرَ يَسْتَقْبِلُه أقبحُ شىءٍ صورةً ، وأنْتَنُه ريحًا ، فيقولُ : هل تَعْرِفُنى ؟ فيقولُ : لا ، إلا أن اللَّهَ قد قبَّح صورتَك ، وأنْتَنَ

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) فى م : « سليمان » . وينظر تهذيب الكمال ٧/ ٨٩ .

(٣) بعده فى م ، والدر المنثور ٣/ ٩ : « عمله فى » ، وفى حاشية س : « لعله : عمله فى » والمثبت من باقى النسخ، وهو موافق لما سيأتى فى ١٥/ ٦٣٠، وفى المطبوعة هناك كما فى النسخ هنا .

ريحَك . فيقولُ : كذلك كنتَ فى الدنيا ، أنا عملُك السيئُ ، طالما ركِبْتَنى فى الدنيا ، فأنا اليومَ أَرْكَبُك . وتلا : ﴿ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾[(1)] .

حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ : ﴿ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ﴾ : فإنه[(2)] ليس مِن رجلٍ ظالمٍ يموتُ فيَدْخُلُ قبرَه ، إلا جاءه رجلٌ قبيحُ الوجهِ ، أسودُ اللونِ ، مُنْتِنُ الريحِ ، عليه ثيابٌ دَنِسةٌ ، حتى يَدْخُلَ معه قبرَه ، فإذا رآه قال له : ما أَقْبَحَ وجهَك ! قال : كذلك كان عملُك قبيحًا . قال : ما أَنْتَنَ ريحَك ! قال : كذلك كان عملُك مُنْتِنًا . قال : ما أَدْنَسَ ثيابَك ! قال : فيقولُ : إن عملَك كان دَنِسًا . قال : مَن أنت ؟ قال : أنا عملُك . قال : فيكونُ معه فى قبرِه ، فإذا بُعِث يومَ القيامةِ قال له : إنى كنتُ أَحمِلُك فى الدنيا باللذّاتِ والشَّهَواتِ ، فأنت اليومَ تَحْمِلُنى . قال : فيَرْكَبُ على ظهرِه ، فيَسوقُه حتى يُدْخِلَه النارَ ، فذلك قولُه : ﴿ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ﴾[(3)] .

وأما قولُه تعالى : ﴿ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ . فإنه يعنى : ألا ساء الوِزْرُ الذى يَزِرون . أى : الإثمُ الذى يَأْثَمونه[(4)] بربِّهم .

/كما حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا معمرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ . قال : ساء ما يَعْمَلون[(5)] . ١٨٠/٧

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/ ٩ إلى المصنف وابن أبى حاتم ، وأخرج آخره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/ ١٢٨١ (٧٢٢٨) من طريق أبى خالد عن عمرو بن قيس عن أبى مرزوق به .

(٢) فى م : « قال » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٨١/٤ (٧٢٢٩) من طريق أحمد بن المفضل .

(٤) بعده فى م : « كفرهم » .

(٥) تفسير عبد الرزاق ١/ ٢٠٧. وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٨١/٤ (٧٢٣٠) عن الحسن ابن يحيى به .

القولُ في تأويلِ قولِه : ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ[1] ﴿٣٢﴾ ﴾ .

وهذا تكذيبٌ مِن اللهِ تعالى ذكرُه هؤلاءِ الكفارَ المُنْكِرِين البعثَ بعدَ المَماتِ في قولِهم : ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه مُكَذِّبًا لهم في قيلِهم ذلك : ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ ﴾ أيُّها الناسُ ، ﴿ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ . يقولُ : ما باغى لذَّاتِ الحياةِ التي أُدْنِيَتْ لكم ، وقُرِّبَتْ منكم في دارِكم هذه ، ونعيمَها وسرورَها فيها ، والـمُـلْتَذُّ[2] بها ، والمنافِسُ عليها - إلا في لعبٍ ولهوٍ ؛ لأنها عما قليلٍ تَزُولُ عن المُستَمْتِعِ بها ، والـمُلْتَذِّ فيها بمَلاذِّها ، أو تأْتِيه الأيامُ بفَجائعِها وصُروفِها ، فتُمِرُّ[3] عليه وتَكْدُرُ[4] ، كاللاعبِ اللاهى الذى يُسْرِعُ اضمِحْلالُ لهوِه ولعبِه عنه ، ثم يُعْقِبُه منه ندمًا ، ويُورِثُه منه تَرَحًا[5] . يقولُ : لا تَغْتَرُّوا أيُّها الناسُ بها ، فإن المُغْتَرَّ بها عما قليلٍ يَنْدَمُ .

﴿ وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ . يقولُ : ولَلعملُ بطاعتِه ، والاستعدادُ للدارِ الآخرةِ بالصالحِ مِن الأعمالِ التي تَبْقَى منافعُها لأهلِها ، ويَدُومُ سرورُ أهلِها فيها ، خيرٌ مِن الدارِ التي تَفْنَى وشيكًا[6] ، فلا يَبْقَى لعُمَّالِها فيها سُرورٌ ، ولا يَدومُ لهم فيها نَعيمٌ . ﴿ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ . يقولُ : للذين يَخْشَوْن اللهَ ، فيَتَّقُونه بطاعتِه ، واجتنابِ مَعاصِيه ، والمسارعةِ إلى رضاه ، ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ . يقولُ : أفلا يَعْقِلُ هؤلاء المكذِّبون بالبعثِ حقيقةَ ما نُخْبِرُهم به مِن أن الحياةَ الدنيا لعبٌ ولهوٌ ، وهم

---

(١) في س : « يعقلون » . وهى قراءة ابن كثير وأبي عمرو والكسائى وحمزة ، وعاصم فى رواية أبى بكر . ينظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٥٦ .

(٢) في م : « المتلذذ » .

(٣) تمر : تصير مرة بعد حلاوتها .

(٤) في م : « تكر » .

(٥) الترح : الحزن .

(٦) سقط من : م .

يَرَوْن مَن يُخْتَرَمُ منهم ، ومَن يَهْلِكُ فيَموتُ ، ومَن تَنوبُه فيها النَّوائبُ ، وتُصِيبُه المصائبُ ، وتَفْجَعُه الفَجائعُ ، ففى ذلك لمن عقَل مُدَّكَرٌ ومُزْدَجَرٌ عن الرُّكونِ إليها ، واستعبادِ النفسِ لها ، ودليلٌ واضحٌ [١/٧٥١ظ] على أن لها مُدَبِّرًا ومُصَرِّفًا يَلْزَمُ الخلْقَ إخلاصُ العبادةِ له بغيرِ إشراكِ شيءٍ سِواه معه .

القولُ فى تأويلِ قولِه عز ذكرُه : ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : ﴿ قَدْ نَعْلَمُ ﴾ يا محمدُ إنه لَيَحْزُنُك الذى يَقولُ المشركون ، وذلك قولُهم له : إنه كذابٌ . ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ ﴾ .

واختلَفَت القرأةُ فى قراءةِ ذلك ؛ (١) فقرأه بعضُ قرأةِ المدينةِ والكوفةِ : (فإنهم لا يُكْذِبُونَك) . بالتخفيفِ (١) ، بمعنى : إنهم لا يُكْذِبونك فيما أتيتَهم به مِن وحيِ اللَّهِ ، ولا يَدْفَعون أن يكونَ ذلك صحيحًا ، بل يَعْلَمُون صحتَه ، ولكنهم يَجْحَدون حقيقتَه قولًا ، فلا يُؤْمِنون به .

وكان بعضُ أهلِ العلمِ بكلامِ العربِ[٢] يَحْكِى عن العربِ أنهم يقولون : أَكْذَبْتُ الرجلَ . إذا أَخبَرْتَ أنه جاء بالكذبِ وَرَواه ./ قال : ويقولون : كذَّبْتُه . إذا أخبَرْتَ أنه كاذبٌ . ١٨١/٧

وقرأَته جماعةٌ مِن قرأةِ المدينةِ والعراقَيْنِ[٣] ؛ الكوفةِ والبصرةِ : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ ﴾[٤] . بمعنى : إنهم لا يُكذِّبونك علمًا ، بل يَعْلَمون أنك صادقٌ ،

(١ - ١) سقط من النسخ ، ولابد من هذه الزيادة ، وهذه قراءة نافع المدنى والكسائى وهو من قرأة الكوفة. ينظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٥٧.

(٢) هذه مقالة الكسائى ، ينظر تهذيب اللغة ١٠/ ١٦٨، والبحر المحيط ٤/ ١١٠.

(٣) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س: « العراقيين » ، وفى م : « العراقيين و » . والمثبت هو الصواب .

(٤) وهى قراءة باقى السبعة . ينظر التيسير ص ٨٤.

ولكنهم يُكَذِّبونك قولًا، عِنادًا وحَسَدًا.

والصوابُ مِن القولِ في ذلك عندى أن يُقالَ: إنهما قراءتان مشهورتان، قد قرَأ بكلِّ واحدةٍ منهما جماعةٌ مِن القرأةِ، ولكلِّ واحدةٍ منهما فى الصحةِ مَخْرَجٌ مفهومٌ؛ وذلك أن المشركين لا شكَّ أنه كان منهم قومٌ يُكَذِّبون رسولَ اللَّهِ ﷺ، ويَدْفَعونه عما كان اللَّهُ تعالى خصَّه به مِن النبوةِ، فكان بعضُهم يقولُ: هو شاعرٌ. وبعضُهم يقولُ: هو كاهنٌ. وبعضُهم يقولُ: هو مجنونٌ. ويَنْفِى جميعُهم أن يَكونَ الذى أتاهم به مِن وحيِ السماءِ، ومِن تنزيلِ ربِّ العالمين قولًا. وكان بعضُهم قد تبيَّن أمرَه، وعلِم صحةَ نبوتِه، وهو فى ذلك يُعانِدُ ويَجْحَدُ نبوتَه حسدًا له وبَغْيًا.

فالقارئُ: (فإنهم لا يُكْذِبونك). بمعنى[1] أن الذين كانوا يَعْرِفون حقيقةَ نبوتِك، وصدْقَ قولِك فيما تقولُ، يَجْحَدون أن يَكونَ ما تَتْلوه عليهم مِن تنزيلِ اللَّهِ، ومِن عندِ اللَّهِ، قولًا، وهم يَعْلَمون أن ذلك مِن عندِ اللَّهِ علمًا صحيحًا - مُصيبٌ؛ لما ذكَرْنا مِن أنه قد كان فيهم مَن هذه صفتُه.

وفى قولِ اللَّهِ تعالى فى هذه السورةِ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ﴾. أوضحُ الدليلِ على أنه قد كان فيهم المعانِدُ[2] فى جُحودِ نبوتِه ﷺ، مع علمٍ منه[3] به وصحةِ نبوتِه.

وكذلك القارئُ: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾. بمعنى[4] أنهم لا يُكَذِّبون رسولَ اللَّهِ ﷺ إلا عنادًا لا جهلًا بنبوتِه وصدقِ لَهْجتِه - مُصيبٌ؛ لما ذكَرْنا مِن أنه

(١) فى ص، س، ت ١، ت ٢، ت ٣: «معنى»، وفى م: «يعنى به». والمثبت كما سيأتى فى تأويل القراءة بعدها.

(٢) فى م: «العناد».

(٣) فى م: «منهم».

(٤) فى م: «يعنى».

قد كان فيهم مَن هذه صفتُه .

وقد ذهَب إلى كلٍّ واحدٍ مِن هذين التأويلين جماعةٌ مِن أهلِ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال : معنى ذلك : فإنهم لا يُكْذِبونك ، ولكنهم يَجْحَدون الحقَّ على علمٍ منهم بأنك نبيٌّ للَّهِ صادقٌ .

حدَّثنا هنادٌ ، قال : ثنا أبو معاويةَ ، عن إسماعيلَ بنِ أبي خالدٍ ، عن أبي صالحٍ ، في قولِه : (قد نَعْلَمُ إنه لَيَحْزُنُك الذي يقولون فإنهم لا يُكْذِبونك) . قال : جاء جبريلُ إلى النبيِّ ﷺ ذاتَ يومٍ وهو جالسٌ حزينٌ ، فقال له : ما يَحْزُنُك ؟ فقال : « كذَّبَني هؤلاء » . قال : فقال له جبريلُ : إنهم لا يُكْذِبونك ، هم يَعْلَمون أنك صادقٌ ، ولكن الظالمين بآياتِ اللَّهِ يجْحَدون .

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : ثنا أبو مُعاويةَ ، عن إسماعيلَ ، عن أبي صالحٍ ، قال : جاء جبريلُ إلى النبيِّ ﷺ وهو جالسٌ حَزينٌ ، فقال له : ما يَحْزُنُك ؟ فقال : « كذَّبَني هؤلاء » . فقال له جبريلُ : إنهم لا يُكْذِبونك ، إنهم لَيَعْلَمون أنك صادقٌ ، ولكنَّ الظالمين بآياتِ اللَّهِ يَجْحَدون[1] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا معمرٌ ، عن قتادةَ في قولِه : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ . قال : يَعْلَمون أنك رسولُ اللَّهِ ويَجْحَدون[2] .

حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/ ١٠ إلى المصنف .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/ ٢٠٧. وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/ ١٢٨٣ (٧٢٤١) عن الحسن بن يحيى به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/ ١٠ إلى ابن المنذر .

السديّ في قولِه: (قد نَعْلَمُ إنه لَيَحْزُنُك الذى يَقُولون فإنهم لا يُكْذِبونك ولكن الظالمين بآياتِ اللهِ / يَجْحَدون): لمَّا كان يومُ بدرٍ قال الأَخْنَسُ بنُ شَرِيقٍ لبنى زُهْرةَ: يا بنى زُهْرةَ، إن محمدًا ابنُ أختِكم، فأنتم أحقُّ مَن كَفَّ عنه، فإنه إن كان نبيًّا لم تُقاتِلوه[1] اليومَ وإن كان كاذبًا كنتم أحقَّ مَن كَفَّ عن ابنِ أختِه[2]، قِفوا هاهنا حتى أَلْقَى أبا الحكمِ، فإن غُلِب محمدٌ رجَعتُم سالمين، وإن غلَب محمدٌ، فإن قومَكم لا يَصْنَعون بكم شيئًا. فيومَئذٍ سُمِّى الأَخْنَسَ، وكان اسمَه أُبَيٌّ، فالْتقَى الأخنسُ وأبو جهلٍ، فخلا الأخنسُ بأبى جهلٍ، فقال: يا أبا الحكمِ، أَخْبِرْنى عن محمدٍ، أصادقٌ هو أم كاذبٌ؟ فإنه ليس هاهنا مِن قريشٍ أحدٌ غيرى وغيرُك يَسْمَعُ كلامَنا. فقال أبو جهلٍ: وَيْحَك، واللهِ إن محمدًا لَصادقٌ، وما كذَب محمدٌ قطُّ، ولكن إذا ذهَب بنو قُصَيٍّ باللواءِ والحِجابةِ والسِّقايةِ والنبوةِ، فماذا يَكونُ لسائرِ قريشٍ؟ فذلك قولُه: (فإنهم لا يُكْذِبوك ولكن الظالمين بآياتِ اللهِ يَجْحَدون). فآياتُ اللهِ محمدٌ ﷺ[3].

١٨٢/٧

حدَّثنى الحارثُ بنُ محمدٍ، قال: ثنا عبدُ العزيزِ، قال: ثنا قيسٌ، عن سالمٍ الأَفْطَسِ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ: (فإنَّهم لا يُكْذِبونك). قال: ليس يُكْذِبون محمدًا، ولكنهم بآياتِ اللهِ يَجْحَدون.

ذكرُ مَن قال: ذلك بمعنى:

فإنهم لا يُكَذِّبونك ولكنهم يُكَذِّبون ما جئتَ به.

حدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ، قال: ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مَهْدىٍّ، قال: [٧٥٢/١و] ثنا سفيانُ، عن أبى إسحاقَ، عن ناجيةَ، قال: قال أبو جهلٍ للنبيِّ ﷺ: ما نَتَّهِمُك،

---

(١) فى م: «تقاتلونه».

(٢) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س: «أخيه».

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٣/٢٤٦، ٢٤٧ عن المصنف. وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٢٨٣ (٢٨٤٠) من طريق أحمد بن المفضل به مقتصرا على آخره دون ذكر القصة.

ولكن نتَّهِمُ الذى جئتَ به . فأنزَل اللَّهُ تعالى ذكرُه : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾[1] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ آدمَ ، عن سفيانَ ، عن أبى إسحاقَ ، عن ناجيةَ بنِ كعبٍ ، أن أبا جهلٍ قال للنبيِّ ﷺ : إنا لا نُكَذِّبُك ، ولكن نُكَذِّبُ الذى جئتَ به . فأنزَل اللَّهُ تعالى ذكرُه : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ .

وقال آخَرون : معنى ذلك : فإنهم لا يُبْطِلون ما جئتَهم به .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : ثنا إسحاقُ بنُ سليمانَ ، عن أبى مَعْشَرٍ ، عن محمدِ بنِ كعبٍ : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ ﴾ . قال : لا يُبْطِلون ما فى يديك[2] .

وأما قولُه : ﴿ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ . فإنه يقولُ : ولكنَّ المشركين باللَّهِ ، بحُجَجِ اللَّهِ وآيِ كتابِه ورسولِه يَجْحَدون ، فيُنْكِرون صحةَ ذلك كلِّه .

وكان السديُّ يقولُ : الآياتُ فى هذا الموضعِ معنيٌّ بها محمدٌ ﷺ . وقد ذكَرْنا الروايةَ بذلك عنه قبلُ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِي

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٨٢/٤ (٧٢٣٥) من طريق عبد الرحمن بن مهدى به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٨٢/٤ (٧٢٣٧) من طريق أبى يحيى الرازى إسحاق بن سليمان به.
وأخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٨٧٦ - تفسير) من طريق أبى معشر به. وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٠/٣ إلى ابن المنذر وأبى الشيخ .

ﵟٱلۡمُرۡسَلِينَ ٣٤ﵞ .

١٨٣/٧ /وهذا تسليةٌ مِن اللهِ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ ، وتعزيةٌ له عما ناله مِن المَساءَةِ بتكذيبِ قومِه إياه على ما جاءهم به مِن الحقِّ مِن عندِ اللهِ .

يقولُ تعالى ذكرُه : إن يُكَذِّبْك يا محمدُ هؤلاء المشركون مِن قومِك ، فيَجْحَدوا نبوتَك ، ويُنْكِروا آياتِ اللهِ أنها مِن عندِه ، فلا يَحْزُنْك ذلك ، واصْبِرْ على تكذيبِهم إياك ، وما تَلْقَى منهم مِن المكروهِ في ذاتِ اللهِ ، حتى يَأْتِيَ[1] نصرُ اللهِ ، فقد كُذِّبَت رسلٌ مِن قبلِك ، أرْسَلْتُهم إلى أممِهم ، فنالُوهم بمكروهٍ ، فصبَروا على تكذيبِ قومِهم إياهم ، ولم يُثْنِهم ذلك مِن المُضِيِّ لأمرِ اللهِ الذى أمَرَهم به مِن دعاءِ قومِهم إليه ، حتى حكَم اللهُ بينَهم وبينَهم ، ﴿ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ﴾ . يقولُ[2] : ولا مُغَيِّرَ لكلماتِ اللهِ . وكلماتُه تعالى ما أنْزَل اللهُ إلى نبيِّه محمدٍ ﷺ مِن وعدِه إياه النصرَ على مَن خالَفَه وضادَّه ، والظَّفَرَ على مَن تولَّى عنه وأدْبَر .

﴿ وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ . يقولُ : ولقد جاءك يا محمدُ مِن خبرِ مَن كان قبلَك مِن الرسلِ ، وخبرِ أممِهم ، وما صنَعْتُ بهم حينَ جحَدوا آياتى ، وتمادَوْا في غيِّهم وضلالِهم أنباءٌ . وترَك ذكرَ « أنباءٍ » لدلالةِ « مِن » عليها . يقولُ تعالى ذكرُه : فانْتَظِرْ أنت أيضًا مِن النُّصرةِ والظَّفَرِ مثلَ الذى كان منى في مَن كان قبلَك مِن الرسلِ ، إذ كذَّبهم قومُهم[3] ، واقْتَدِ بهم في صبرِهم على ما لَقُوا مِن قومِهم .

وبنحوِ ذلك تأوَّل مَن تأوَّل هذه الآيةَ مِن أهلِ التأويلِ .

---

(١) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س : « أتاهم » .

(٢) سقط من : م .

(٣) فى م : « قومك » .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ ﴾ : يُعزِّى نبيَّه ﷺ كما تَسْمَعون ، ويُخْبِرُه أن الرسلَ قد كُذِّبَت قبلَه ، فصبَروا على ما كُذِّبوا حتى حكَم اللَّهُ ، وهو خيرُ الحاكِمين[1] .

حدَّثنى المثنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا أبو زُهَيْرٍ ، عن جُوَيْبِرٍ ، عن الضحاكِ : ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ﴾ . قال : يُعزِّى نبيَّه ﷺ[2] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ[3] : ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ﴾ الآية . قال : يُعزِّى نبيَّه ﷺ[4] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : وإن كان عَظُم عليك يا محمدُ إعراضُ هؤلاءِ المشركين عنك ، وانصرافُهم عن تصديقِك فيما جئتَهم به مِن الحقِّ الذى بعَثْتُك به ، فشقَّ ذلك عليك ، ولم تَصْبِرْ لمكروهِ ما ينالُك منهم ، ﴿ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ . يقولُ : فإن استطَعْتَ أن تتَّخِذَ سَرَبًا فى الأرضِ - مثلَ / نافِقاءِ اليَرْبُوعِ ، وهى أحدُ جِحَرتِه - فتذْهَبَ فيه ، ﴿ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ . يقولُ : أو مِصْعَدًا ١٨٤/٧

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٨٣/٤، ١٢٨٤ (٧٢٤٣، ٧٢٤٤) من طريق يزيد به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٠/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبى الشيخ .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٠/٣ إلى المصنف .

(٣) فى م : « جرير » .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٠/٣ إلى المصنف وابن المنذر .

تَصْعَدُ فيه ، كالدَّرَجِ وما أشبهَها ، كما قال الشاعرُ[١] :

لا يُحْرِزُ المَرْءَ أحْجاءُ[٢] البلادِ ولا يُبْنَى له فى السماواتِ السَّلالِيمُ

﴿ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ﴾ منها ، يعنى : بعلامةٍ وبرهانٍ على صحةِ قولِك ، غيرِ الذى أتيتُك ، فافْعَلْ .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال بعضُ أهلِ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ : والنَّفَقُ السَّرَبُ ، فتَذْهَبَ فيه فتأتيَهم بآيةٍ ، أو [٣]تجْعَلَ لهم[٣] سُلَّمًا فى السماءِ فتَصْعَدَ عليه ، فتأْتِيهم بآيةٍ أفضلَ مما أتَيْناهم به ، فافْعَلْ[٤] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ . قال : سَرَبًا ، ﴿ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ . قال : يعنى الدَّرَجَ[٥] .

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن

---

(١) هو تميم بن أُبيّ بن مقبل ، والبيت فى ديوانه ص ٢٧٣.

(٢) أحجاء البلاد : نواحيها وأطرافها . اللسان (ح ج و) والبيت فيه .

(٣ - ٣) فى م : « تجعل لك » ، وفى ت ١: « يجعل الله لهم » ، وفى ت٢، ت ٣: « يجعل لهم » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٨٤/٤ (٧٢٤٨، ٧٢٤٩) من طريق أبى صالح به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٠/٣ إلى ابن المنذر .

(٥) تفسير عبد الرزاق ١/ ٢٠٧. وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٨٤/٤ (٧٢٤٦، ٧٢٤٧) عن الحسن ابن يحيى به .

السدىّ : ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ [١/٧٥٢ظ] فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ : أما النَّفقُ فالسَّرَبُ ، وأما السُّلَّمُ فالمِصْعَدُ[(١)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن عطاءٍ الخُراسانىِّ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ . قال : سَرَبًا[(٢)] .

وتُرِك جوابُ الجزاءِ فلم يُذْكَرْ ؛ لدَلالةِ الكلامِ عليه ، ومعرفةِ السامِعِين بمعناه ، وقد تَفْعَلُ العربُ ذلك فيما كان يُفْهَمُ[(٣)] معناه عندَ المخاطَبِين به ، فيَقولُ الرجلُ منهم للرجلِ : إنِ استَطَعتَ أن تَنْهَضَ معنا فى حاجتِنا ، إن قدَرْتَ على مَعُونتِنا . ويَحْذِفُ الجوابَ ، وهو يُرِيدُ : إن قدَرْتَ على مَعونتِنا فافْعَلْ . فأما إذا لم يَعْرِفِ المُخاطَبُ والسامعُ معنى الكلامِ إلا بإظهارِ الجوابِ لم يَحْذِفوه ، لا يُقالُ : إن تَقُمْ . فتَسْكُتُ وتَحْذِفُ الجوابَ ؛ لأن المَقُولَ ذلك له لا يَعْرِفُ جوابَه إلا بإظهارِه ، حتى يُقالَ : إن تَقُمْ تُصِبْ خيرًا . أو : إن تَقُمْ فحسنٌ . وما أشْبَهَ ذلك . ونظيرُ ما فى الآيةِ مما حُذِف جَوابُه وهو مُرادٌ ؛ لفهمِ المُخاطَبِ لمعنى الكلامِ ، قولُ الشاعرِ[(٤)] :

فَبِحَظٍّ مما نَعِيشُ ولا تَذْ هَبْ بكِ التُّرَّهاتُ فى الأهْوالِ

(٥) والمعنى : فبحظٍّ مما نَعِيشُ فَعِيشِى (٥) .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٨٤/٤ عقب الأثر (٧٢٤٦، ٧٢٤٨) من طريق عمرو بن حماد ، عن أسباط به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٨٤/٤ (٧٢٤٥) من طريق ابن جريج به .

(٣) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س : « معهم ما » .

(٣) هوعبيد بن الأبرص، وتقدم البيت فى ٣/ ٢١.

(٥ - ٥) سقط من : م .

يقولُ تعالى ذكرُه : إن الذين يُكَذِّبونك مِن هؤلاء الكفارِ يا محمدُ ، فيَحْزُنُك تكذيبُهم إياك ، لو أشاءُ / أن أَجْمَعَهم على استقامةٍ مِن الدِّينِ ، وصوابٍ مِن مَحَجَّةِ الإسلامِ ، حتى تكونَ كلمةُ جَمْعِكم[1] واحدةً ، وملتُكم وملتُهم واحدةً ، لجمَعْتُهم على ذلك ، ولم يكنْ بعيدًا[2] علىَّ ؛ لأنى القادرُ على ذلك بلُطْفى ، ولكنى لم أفْعَلْ ذلك لسابقِ علمى فى خَلْقِى ، ونافذِ قَضائى فيهم ، مِن قبلِ أن أَخْلُقَهم ، وأُصَوِّرَ أجسامَهم ، ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ ﴾ يا محمدُ ﴿ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ . يقولُ : فلا تَكُونَنَّ ممَّن لا يَعْلَمُ أن اللَّهَ لو شاء لجَمَع على الهُدَىَ جميعَ خلقِه بلُطْفِه ، وأن مَن يَكْفُرُ به مِن خَلْقِه ، إنما يَكْفُرُ به لسابقِ علمِ اللَّهِ فيه ، ونافذِ قَضائِه بأنه كائنٌ مِن الكافرين به اختيارًا لا اضطِرارًا ، فإنك إذا علِمْتَ صحةَ ذلك لم يَكْبُرْ عليك إعراضُ مَن أعْرَض مِن المشركين عما تَدْعُوه إليه مِن الحقِّ ، وتكذيبُ مَن كذَّبك منهم .

١٨٥/٧

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال بعضُ أهلِ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ : يقولُ اللَّهُ سبحانَه : لو شئتُ لجَمَعْتُهم على الهُدَى أجمعين[3] .

وفى هذا الخبرِ مِن اللَّهِ تعالى الدلالةُ الواضحةُ على خطأً ما قال أهلُ التَّفْويضِ مِن القَدَريةِ ، المنكرون أن يَكونَ عندَ اللَّهِ لطائفُ لـمن شاء توفيقَه مِن خلقِه ، يَلْطُفُ

---

(١) فى م : « جميعكم » .

(٢) سقط من : ص، ت١، ت٢، ت٣، س .

(٣) من تمام الأثر المتقدم فى ص ٢٢٦ ، وهذا اللفظ ليس عند ابن أبى حاتم فى الموضعين ، ولكن أخرجه فى ٤/١٢٨٤ (٧٢٥٠) من طريق أبى صالح به بلفظ آخر .

بها له ، حتى يَهْتَدِىَ للحقِّ فيَنْقادَ له ، ويُنِيبَ إلى الرَّشادِ ، فيُذْعِنَ به ، ويُؤْثِرَه على الضلالِ والكفرِ باللَّهِ . وذلك أنه تعالى ذكرُه أخبَرَ أنه لو شاء هدايةَ جميعِ مَن كفَر به حتى يَجْتَمِعوا على الهُدَى ، فعَل ، ولاشكَّ أنه لو فعَل ذلك بهم كانوا مُهْتَدِين لا ضُلَّالًا ، وهم لو كانوا مُهْتَدِين كان لاشكَّ أن كونَهم مهتدِين كان خيرًا لهم . وفى تركِه تعالى ذكرُه أن يَجْمَعَهم على الهدَى ، تركٌ منه أن يَفْعَلَ بهم فى دينِهم بعضَ ما هو خيرٌ لهم فيه ، مما هو قادرٌ على فعلِه بهم ، وقد ترَك فعلَه بهم . وفى تركِه فعلَ ذلك بهم أوضحُ الدليلِ أنه لم يُعْطِهم كلَّ الأسبابِ التى بها يَصِلون إلى الهدايةِ ، ويَتَسَبَّبون بها إلى الإيمانِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ ۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ۝٣٦ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : لا يَكْبُرَنَّ عليك إعراضُ هؤلاء المعرِضِين عنك ، وعن الاستجابةِ لدعائِك ، إذا دعَوتَهم إلى توحيدِ ربِّهم ، والإقرارِ بنبوتِك ، فإنه لا يَسْتَجِيبُ لدعائِك إلى ما تَدْعُوه إليه مِن ذلك ، إلا الذين فتَح اللَّهُ أسماعَهم للإصغاءِ إلى الحقِّ ، وسهَّل لهم اتباعَ الرُّشدِ ، دونَ مَن ختَم اللَّهُ على سمعِه ، فلا يَفْقَهُ مِن دعائِك إياه إلى اللَّهِ ، وإلى اتباعِ الحقِّ ، إلا ما تَفْقَهُ الأنعامُ مِن أصواتِ رُعاتِها ، فهم كما وصَفَهم اللَّهُ به تعالى ذكرُه : ﴿ صُمٌّۢ بُكۡمٌ عُمۡىٌ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾ [البقرة : ١٧١] .

﴿ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ . يقولُ : والكفارُ يَبْعَثُهم اللَّهُ مع الموتى . فجعَلَهم تعالى ذكرُه فى عِدادِ الموتى الذين لا يَسْمَعون صوتًا ، ولا يَعْقِلون دعاءً ، ولا يَفْقَهون قولًا ، إذ كانوا لا يَتَدَبَّرون حُجَجَ اللَّهِ ، ولا يَعْتَبِرون آياتِه ، ولا يَتَذَكَّرون فيَنْزَجِروا عما هم عليه مِن تكذيبِ رسلِ اللَّهِ وخلافِهم .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

١٨٦/٧

/ ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ : المؤمنون للذكرِ ، ﴿ وَٱلْمَوْتَىٰ ﴾ : الكفارُ ، حينَ يَبْعَثُهم اللَّهُ مع الموتى[1] .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ . قال : هذا مَثَلُ المؤمنِ ، سمِع كتابَ اللَّهِ ، فانْتَفَع به ، وأخَذَ به وعقَله . ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا [٧٥٣/١و] صُمٌّ وَبُكْمٌ ﴾ : وهذا مَثَلُ الكافرِ ، أصَمُّ أبْكَمُ ، لا يُبْصِرُ هُدًى[2] ، ولا يَنْتَفِعُ به[3] .

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : ثنا أبو أسامةَ ، عن سفيانَ الثوريِّ ، عن محمدِ بنِ جُحَادةَ ، عن الحسنِ : ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ : المؤمنون : ﴿ وَٱلْمَوْتَىٰ ﴾ . قال : الكفارُ[4] .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن محمدِ بنِ جُحَادةَ ، قال : سمِعْتُ الحسنَ يقولُ في قولِه : ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ . قال : الكفارُ[4] .

---

(١) تفسير مجاهد ص ٣٢١، ومن طريقه أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٨٥/٤ (٧٢٥٢، ٧٢٥٥) . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٠/٣ إلى عبد بن حميد وابن أبي شيبة وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٢) في ت ١: « شيئا » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٨٥/٤ ، ١٢٨٦ (٧٢٥٣، ٧٢٦٣) من طريق يزيد به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٠/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٨٥/٤ (٧٢٥١، ٧٢٥٤) من طريق أبي أسامة به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٠/٣ إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وأبي الشيخ .

وأما قولُه : ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ . فإنه يقولُ تعالى ذكرُه : ثم إلى اللَّهِ يُرْجَعون ؛ المؤمنون الذين استجابوا للَّهِ والرسولِ ، والكفارُ الذين يَحُولُ اللَّهُ بينَهم وبينَ قُلوبِهم[(١)] أن يَفْقَهوا عنك شيئًا ، فيُثِيبُ هذا المؤمنَ على ما سلَف مِن صالحِ عملِه فى الدنيا ، بما وعَد أهلَ الإيمانِ به مِن الثوابِ ، ويُعاقِبُ هذا الكافرَ بما أوْعَد أهلَ الكفرِ به مِن العقابِ ، لا يَظْلِمُ أحدًا[(٢)] منهم مثقالَ ذرةٍ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : وقال هؤلاء العادِلون بربِّهم ، المُعْرِضون عن آياتِه : ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ . يقولُ : قالوا : هلَّا نُزِّل على محمدٍ آيةٌ مِن ربِّه . كما قال الشاعرُ[(٣)] :

تَعُدُّون عَقْرَ النِّيبِ أفضلَ مَجْدِكم بنى ضَوْطَرَى لولا الكَمِيَّ المُقَنَّعَا

بمعنى : هلَّا الكَمِيَّ .

والآيةُ العلامةُ ، وذلك أنهم قالُوا : ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ / لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ [الفرقان : ٧، ٨] . قال اللَّهُ تعالى لنبيِّه محمدٍ ﷺ : ﴿قُلْ﴾ يا محمدُ لقائلى هذه المقالةِ لك : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً﴾ . يعنى : حُجَّةً على ما يُريدون ويَسْألون ، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ . يقولُ : ولكن أكثرَ[(٤)] الذين يَقُولون ذلك ، فيَسْأَلونك آيةً ، لا يَعْلَمون ما

١٨٧/٧

(١) سقط من : م، وفى ص، ت١، ت٢، ت٣: « قولهم » .

(٢) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س: « أحد » .

(٣) هو جرير ، وتقدم فى ٢/ ٤٧٦.

(٤) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س: « أكثرهم » .

عليهم فى الآيةِ إن نَزَّلها مِن البلاءِ ، ولا يَدْرُون ما وجهُ تركِ اللهِ[(١)] إنزالَ ذلك عليك ، ولو علِموا السببَ الذى مِن أجلِه لم أُنَزِّلْها عليك ، لم يَقُولوا ذلك ولم يَسْأَلوكه ، ولكنَّ أكثرَهم لا يَعْلَمون ذلك .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : قلْ لهؤلاء المُعْرِضِين عنك ، المُكَذِّبِين بآياتِ اللّهِ : أيُّها القومُ ، لا تَحْسَبُنَّ اللَّهَ غافلًا عما تَعْمَلون ، أو أنه غيرُ مُجازِيكم على ما تَكْسِبون ، وكيف يَغْفُلُ عن أعمالِكم ، أو يَتْرُكُ مُجازاتَكم عليها ، وهو غيرُ غافلٍ عن عملِ شيءٍ دبَّ على الأرضِ صغيرٍ أو كبيرٍ ، ولا عملِ طائرٍ طار بجَناحَيْه فى الهواءِ ، بل جعَل ذلك كلَّه أجْناسًا مُجَنَّسةً ، وأصنافًا مُصَنَّفةً ، تَعْرِفُ كما تَعْرِفون ، وتَتَصَرَّفُ فيما سُخِّرَت له كما تَتَصَرَّفون ، ومحفوظٌ عليها ما عمِلَت مِن عملٍ لها وعليها ، ومُثْبَتٌ كلُّ ذلك مِن أعمالِها فى أُمِّ الكتابِ (٢ثم إنَّه٢) تعالى ذكرُه مميتُها ثُمَّ مُنْشِرُها ومُجازِيها يومَ القيامةِ جزاءَ أعمالِها ، يقولُ : فالربُّ الذى لم يُضَيِّعْ حفظَ أعمالِ البهائمِ والدوابِّ فى الأرضِ ، والطيرِ فى الهواءِ ، حتى حفِظ عليها حركاتِها وأفعالَها ، وأثبَت ذلك منها فى أمِّ الكتابِ ، وحشَرها ثم جازاها على ما سلَف منها فى دارِ البلاءِ[(٣)] ، أحْرَى ألَّا يُضَيِّعَ أعمالَكم ، ولا يُفَرِّطَ فى حِفْظِ أفعالِكم التى تَجْتَرِحُونها أيُّها الناسُ ، حتى يَحْشُرَكم فيُجازِيَكم على جميعِها إنْ خيرًا فخيرًا ، وإن شرًّا فشرًّا ، إذ كان قد خصَّكم مِن نِعَمِه ، وبسَط عليكم مِن فضلِه ، ما لم يَعُمَّ به غيرَكم فى الدنيا ، وكنتم بشكرِه أحقَّ ، وبمعرفةِ واجبِه عليكم أولى ؛ لما أعطاكم مِن

---

(١) سقط من : م .

(٢ - ٢) سقط من : ص، ت١، س .

(٣) فى ت ١: « الإسلام » .

العقلِ الذى به بيْنَ الأشياءِ تُمَيِّزُون ، والفهمِ الذى لم يُعْطِه البهائمَ والطيرَ ، الذى به بيْنَ مَصالِحِكم ومَضَارِّكم تُفَرِّقون .

وبنحوِ الذى قلْنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ : أصنافٌ مُصَنَّفةٌ تُعْرَفُ بأسمائِها[1] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرنا معمرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : / ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ . يقولُ : الطيرُ أمةٌ ، والإنسُ أمةٌ ، والجنُّ أمةٌ[2] . ١٨٨/٧

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ مفضلٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ قولَه : ﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ . يقولُ : إلا خَلْقٌ أمْثالُكم[3] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ فى قولِه : ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ . قال : الذَّرَّةُ فما

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم ١٢٨٥/٤ (٧٢٥٦) من طريق ابن أبى نجيح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٠/٣ إلى الفريابى وعبد بن حميد وابن المنذر وأبى الشيخ .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/ ٢٠٨، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٨٥/٤ (٧٢٥٧) عن الحسن بن يحيى به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٠/٣، ١١ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٨٦/٤ (٧٢٥٨) من طريق أحمد بن مفضل به .

فوقَها مِن ألوانٍ ما خلَق اللَّهُ مِن الدوابِّ[(١)] .

وأما قولُه : ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ . فإن معناه : ما ضيَّعْنا إثباتَ شيءٍ منه .

كالذى **حدَّثنى** المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ : ما ترَكْنا شيئًا إلا قد كتَبْناه فى أُمِّ الكتابِ[(٢)] .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخْبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ . قال : لم نُغْفِل [٧٥٣/١ظ] الكتابَ[(٣)] ، ما مِن شىءٍ إلا وهو فى الكتابِ[(٤)] .

وحدَّثنى به يونُسُ مرةً أُخرى ، قال فى قولِه : ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ . قال : كلُّهم مكتوبٌ فى أُمِّ الكتابِ .

وأما قولُه : ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ . **فإن أهلَ التأويلِ اختلَفوا** فى معنى حشْرِهم الذى عناه اللَّهُ تعالى ذكرُه فى هذا الموضعِ ؛ **فقال بعضُهم** : حشْرُها موتُها .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عُمارةَ الأسَدىُّ ، قال : ثنا عبيدُ[(٥)] اللَّهِ بنُ موسى ، عن

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١١/٣ إلى المصنف وأبى الشيخ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٨٦/٤ (٧٢٥٩) من طريق أبى صالح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١١/٣ إلى ابن المنذر .

(٣) سقط من : م، ت٢، ت ٣. والمعنى : لم نغفل كتابته .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٨٦/٤ (٧٢٦٠) من طريق أصبغ ، عن ابن زيد .

(٥) فى النسخ : « عبد » .

إسرائيلَ ، عن سعيدِ بنِ[1] مسروقٍ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾ . قال ابنُ عباسٍ : موتُ البهائمِ حشرُها[2] .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ . قال : يعنى بالحشرِ الموتَ[3] .

حُدِّثْتُ عن الحسينِ بنِ الفرجِ ، قال : سمِعْتُ أبا مُعاذٍ الفضلَ بنَ خالدٍ ، قال : ثنا عُبَيدُ بنُ سليمانَ[3] ، قال : سمِعْتُ الضحاكَ يقولُ فى قولِه : ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ : يعنى بالحشرِ الموتَ[4] .

وقال آخرون : الحشرُ فى هذا الموضعِ يُعْنَى به الجمعُ لبعثِ الساعةِ وقيامِ القيامةِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثَوْرٍ ، عن معمرٍ ، **وحدَّثنا** الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أَخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أَخْبَرَنا معمرٌ ، عن جعفرِ بنِ بُرْقانَ ، عن يزيدَ بنِ الأَصَمِّ ، عن أبى هريرةَ فى قولِه : ﴿ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ . قال : / يَحْشُرُ اللَّهُ الخلْقَ كلَّهم يومَ القيامةِ ؛ البهائمَ ، والدوابَّ ، والطيرَ ، وكلَّ شىءٍ ، فيَبْلُغُ مِن عدْلِ اللَّهِ يومَئذٍ أن يَأْخُذَ ١٨٩/٧

(١) فى النسخ : « عن » . وتقدم على الصواب فى ٦/٣، ١٤٤، وسيأتى فى ص ٤٩٨ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٨٦/٤ (٧٢٦١) من طريق سعيد به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١١/٣ إلى أبى الشيخ .

(٣) ينظر تفسير ابن كثير ٢٤٩/٣ .

(٤) فى م : « سليم » .

(٥) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٨٦/٤ عقب الأثر (٧٢٦١) معلقًا .

للجمَّاءِ مِن القَرْناءِ ، ثم يقولُ : كونى تُرابًا . فلذلك يقولُ الكافرُ : ﴿ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ﴾[1] [النبأ : ٤٠] .

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثَوْرٍ ، عن مَعْمَرٍ ، وحدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا معمرٌ ، عن الأعمشِ ، ذكَره عن أبى ذَرٍّ ، قال : بينا أنا عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ إذ انْتَطَحَت عَنْزان ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أتَدْرُون فيما انْتَطَحَتا ؟ » . قالوا : لا نَدْرِى . قال : « لكِنَّ اللَّهَ يَدْرِى ، وسيَقْضِى بينَهما »[2] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ بنُ سليمانَ[3] ، قال : ثنا فطرُ[4] بنُ خَليفةَ ، عن مُنْذِرٍ الثَّوريِّ ، عن أبى ذرٍّ ، قال : انْتَطَحَت شاتان عندَ النبىِّ ﷺ ، فقال لى : « يا أبا ذرٍّ ، أتَدْرِى فيمَ انْتَطَحَتا ؟ » . قلتُ : لا . قال : « لكنَّ اللَّهَ يَدْرِى ، وسيَقْضِى بينَهما » . قال أبو ذرٍّ : لقد ترَكْنا رسولُ اللَّهِ ﷺ وما يُقَلِّبُ طائرٌ جَناحَيْه فى السماءِ إلا ذكَّرَنا منه عِلْمًا[5] .

والصوابُ من القولِ فى ذلك عندى أن يُقالَ : إن اللَّهَ تعالى ذكرُه أخبَرَ أن كلَّ دابةٍ وطائرٍ محشورٌ إليه ، وجائزٌ أن يكونَ معنيًّا بذلك حشرُ القيامةِ ، وجائزٌ أن يكونَ معنيًّا به حشرُ الموتِ ، وجائزٌ أن يَكونَ مَعْنيًّا به الحَشْران جميعًا ، ولا دَلالةَ فى ظاهرِ

---

(١) تفسير عبد الرزاق ٢٠٦/١ ، ومن طريقه الحاكم ٣١٦/٢ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٨٦/٤ (٧٢٦٢) من طريق جعفر به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١١/٣ إلى أبى عبيد وابن المنذر .

(٢) تفسير عبد الرزاق ٢٠٦/١ ، وذكره ابن كثير فى تفسيره ٢٤٩/٣ عن المصنف وعبد الرزاق ، وفيه : عن الأعمش ، عمن ذكره .

(٣) فى م ، ت٢ ، ت ٣ : « سليم » .

(٤) فى م ، ت٢ ، ت ٣ : « مطر » .

(٥) أخرجه الطيالسى (٤٨٢) ، وأحمد ١٦٢/٥ من طريق أبى يعلى منذر الثورى عن أشياخ له عن أبى ذر به ، وأما قول أبى ذر فأخرجه أحمد ١٦٢/٥ (الميمنية) من طريق فطر به .

التنزيلِ ولا فى خبرٍ عن النبىِّ ﷺ أىُّ ذلك المرادُ بقولِه : ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ . إذ كان الحشرُ فى كلامِ العربِ الجمعَ ، مِن ذلك قولُ اللَّهِ تعالى ذكرُه : ﴿ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [ص : ١٩] . يعنى مجموعةً . فإذ كان الجمعُ هو الحشرَ ، وكان اللَّهُ تعالى ذكرُه جامعًا خلقَه إليه يومَ القيامةِ ، وجامعَهم بالموتِ - كان أصوبُ القولِ فى ذلك أن يُعَمَّ بمعنى الآيةِ ما عمَّه اللَّهُ بظاهرِها ، وأن يقالَ : كلُّ دابةٍ وكلُّ طائرٍ محشورٌ إلى اللَّهِ بعد الفَناءِ ، وبعدَ بَعْثِ القيامةِ . إذ كان اللَّهُ تعالى ذكرُه قد عمَّ بقولِه : ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ . ولم يَخْصُصْ به حشرًا دونَ حشرٍ .

فإن قال قائلٌ : فما وجهُ قولِه : ﴿ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ ؟ وهل يَطيرُ الطائرُ إلا بجَناحيْه ؟ فما فى الخبرِ عن طيرانِه بالجناحين مِن الفائدةِ ؟

قيل : قد قدَّمْنا القولَ فيما مضَى أن اللَّهَ تعالى ذكرُه أنْزَل هذا الكتابَ بلسانِ قومٍ ، وبلُغاتِهم وما يَتَعارَفونه[(١)] بينَهم ويَستَعْمِلونه فى مَنْطِقِهم خاطَبَهم ، فإذ كان مِن كلامِهم إذا أرادوا المبالغةَ فى الكلامِ ، أن يقولوا : كلَّمْتُ فلانًا بفَمِى ، ومشَيْتُ إليه برجلِى ، وضرَبْتُه بيدِى . خاطَبَهم تعالى ذكرُه بنظيرِ ما يَتَعارَفونه فى كلامِهم ، ويَستَعْمِلونه فى خطابِهم ، ومِن ذلك قولُه تعالى ذكرُه : (إنَّ هَذَا أخى له تِسْعٌ وَتِسْعُون نَعْجَةً أنثى[(٢)]) .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ ﴾ .

/ يقولُ تعالى ذكرُه : والذين كذَّبوا بحُجَجِ اللَّهِ وأعلامِه وأدلتِه صُمٌّ عن سماعِ ١٩٠/٧

---

(١) فى ص : « يتعارفونهم » .

(٢) سقط من : م . وبدونها يسقط موضع الاستشهاد، وهى قراءة ابن مسعود، وهى قراءة شاذة ، وسيذكرها المصنف فى تفسير الآية ٢٣ من سورة ص .

الحقِّ ، بُكْمٌ عن القيلِ به ﴿ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ ﴾ . يعني : في ظلمةِ الكفرِ حائرًا[(١)] فيها ، يقولُ : هو مُرْتَطِمٌ في ظلماتِ الكفرِ ، لا يُبْصِرُ آياتِ اللَّهِ فيَعْتَبِرَ بها ويَعْلَمَ أن الذى خلَقَه وأنْشَأَه ، فدبَّره [(٢)] أحكمَ تدبيرٍ [(٢)] ، وقدَّره أحسنَ تقديرٍ ، وأعطاه القوةَ ، وصحَّح له آلةَ جسمِه لم يَخْلُقْه عَبَثًا ، ولم يَتْرُكْه سُدًى ، ولم يُعْطِه ما أعطاه مِن الآلاتِ إلا لاستعمالِها في طاعتِه وما يُرْضِيه ، دونَ معصيتِه وما يُسْخِطُه ، فهو لحيرتِه في ظلماتِ الكفرِ ، وتَرَدُّدِه في غَمَراتِها ، غافلٌ عما اللَّهُ قد أثْبَت له في أمِّ الكتابِ ، وما هو به فاعلٌ يومَ يُحْشَرُ إليه مع سائرِ الأممِ . ثم أخْبَر تعالى ذكرُه أنه المُضِلُّ مَن يشاءُ إضلالَه مِن خلقِه عن الإيمانِ إلى الكفرِ ، والهادى إلى الصراطِ المستقيمِ منهم مَن أحَبَّ هدايتَه ، فمُوَفِّقُه بفضلِه وطَوْلِه للإيمانِ به ، وتركِ الكفرِ به [١/٧٥٤و] وبرسلِه ، وما جاءت به أنبياؤُه ، وأنه لا يَهْتَدِى مِن خلقِه أحدٌ إلا مَن سبَق له في أمِّ الكتابِ السعادةُ ، ولا يَضِلُّ منهم أحدٌ إلا مَن سبَق له فيها الشَّقاءُ ، وأنَّ بيدِه الخيرَ كلَّه ، وإليه الفضلَ كلَّه ، له الخلقُ والأمرُ .

وبنحوِ الذى قلنا في ذلك قال قتادةُ .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ صُمٌّ وَبُكْمٌ ﴾ : هذا مَثَلُ الكافرِ أصَمُّ أبْكَمُ ، لا يُبْصِرُ هدًى ، ولا يَنْتَفِعُ به ، صمٌّ عن الحقِّ ، في الظلماتِ لا يَسْتَطِيعُ منها خروجًا[(٣)] ، مُتَسَكِّعٌ[(٤)] فيها[(٥)] .

---

(١) في م : « حائر » .

(٢ - ٢) في م : « وأحكم تدبيره » .

(٣) بعده في م : « له » .

(٤) متسكع : متحير . القاموس المحيط (س ك ع) .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/١٢٨٦، ١٢٨٧ (٧٢٦٣، ٧٢٦٤) من طريق يزيد به ، وعزاه السيوطى في الدر المنثور ٣/١١ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

القولُ في تأويلِ قولِه : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

اخْتَلَف أهلُ العربيةِ في معنى قولِه : ﴿ أَرَءَيْتَكُمْ ﴾ ؛ فقال بعضُ نحويِّى البصرةِ : **الكافُ التى بعدَ التاءِ مِن قولِه** : ﴿ أَرَءَيْتَكُمْ ﴾ . إنما جاءَت للمُخاطَبةِ ، وتُرِكَت التاءُ مفتوحةً ، كما كانت للواحدِ . قال : وهى مِثْلُ كافِ : رُوَيْدَكَ زيدًا . إذا قلتَ : أَرْوِد زيدًا . هذه الكافُ ليس لها موضعٌ مُسَمًّى بحرفٍ ؛ لا رفعٌ ولا نصبٌ ، وإنما هى فى المُخاطَبةِ مثلُ كافِ « ذاك » ، ومثلُ ذلك قولُ العربِ : أَبْصِركَ[1] زيدًا . يُدْخِلون الكافَ للمُخاطَبةِ .

وقال آخَرون منهم : معنى ﴿ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ ﴾ : أرأيْتُم . قال : وهذه الكافُ تَدْخُلُ للمُخاطَبةِ مع التوكيدِ ، والتاءُ وحدَها هى الاسمُ ، كما أُدْخِلَت الكافُ التى تُفَرِّقُ بينَ الواحدِ والاثنين والجميعِ فى المُخاطَبةِ ، كقولِهم : هذا ، وذاك ، وتلك ، وأولئك . فتَدْخُلُ الكافُ للمخاطبةِ وليست باسمٍ ، والتاءُ هو الاسمُ للواحدِ والجميعِ ، تُرِكَت على حالٍ واحدةٍ ، ومثلُ ذلك قولُهم : ليسك ثَمَّ إلا زيدٌ . يُرادُ : ليس ولا سِيَّك زيدٌ . فيرادُ : ولا سِيَّما زيدٌ . و : بَلاك . فيُرادُ : بلى . فى معنى « نَعَمْ »[2] . و : لبِئسَك رجلًا ، ولنِعْمَك رجلًا . وقالوا : انْظُرْك زيدًا ما أَصْنَعُ به ، وأَبْصِرْك ما أَصْنَعُ به . بمعنى[3] : أَبْصِرْ . وحكَى بعضُهم : أَبْصِرْكم[4] ما أَصْنَعُ به . يُرادُ : أَبْصِروا . وانْظُرْكم زيدًا . أى : انْظُرُوا . وحُكِى عن بعضِ بنى كِلابٍ : أَتَعْلَمُك كان أحدٌ أشعرَ مِن ذى الرُّمَّةِ ؟ فأدْخَل الكافَ .

---

(١) فى م، ت٢، ت ٣: « انصرك » .

(٢) سقط من : م .

(٣) بعده فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س : « ما » .

(٤) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س : « أبصرك » .

١٩١/٧ وقال بعضُ نحويِّى الكوفةِ[1] : أرأَيْتَك عمرًا . أكثرُ الكلامِ فيه تركُ / الهمزِ . قال : والكافُ مِن « أرَأَيْتَك » فى موضعِ نصبٍ ، كأنَّ الأصلَ : أرأَيْتَ نفسَك على غيرِ هذه الحالِ . قال : فهذا يُثَنَّى ويُجْمَعُ ويُؤَنَّثُ ، فيُقالُ : أرأيْتُماكما وأرَأَيْتُموكم وأرأيْتُنَّكُنَّ[2] . أوْقَع فعلَه على نفسِه ، وسأَله عنها ، ثم كثُر به الكلامُ حتى ترَكوا التاءَ مُوَحَّدةً للتذكيرِ والتأنيثِ والتثنيةِ والجمعِ ، فقالوا[3] : أرأَيْتَكم زيدًا ما صنَع ، وأرأيْتَكُنَّ زيدًا ما صنَع ، فوحَّدوا التاءَ وثنَّوُا الكافَ وجمَعوها ، فجعَلُوها بدلًا مِن التاءِ ، كما قال : ﴿ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴾ [الحاقة : ١٩] . وهاءَ يا رجلُ ، وهاؤُما . ثم قالوا : هاكم . اكْتُفِى بالكافِ والميمِ مما كان يُثَنَّى ويُجْمَعُ ، فكأن الكافَ فى موضعِ رفعٍ ، إذ كانت بدلًا مِن التاءِ ، وربما وُحِّدَت للتثنيةِ والجمعِ ، والتذكيرِ والتأنيثِ ، وهى كقولِ القائلِ : عليك زيدًا . الكافُ فى موضعِ خفضٍ ، والتأويلُ رفعٌ . فأما ما يُجْلَبُ فأكثرُ ما يَقَعُ على الأسماءِ ، ثم تأْتى بالاستفهامِ ، فيُقالُ : أرأَيْتَك زيدًا هل قام ؟ لأنها صارت بمعنى : أخْبِرْنى عن زيدٍ . ثم بيِّنْ عما يَسْتَخْبِرُ . فهذا أكثرُ الكلامِ . ولم يأْتِ و[4] الاستفهامُ يليها[5] ، لم يُقَلْ : أرأَيْتَك هل قمتَ ؟ لأنهم أرادوا أن يُبَيِّنوا عمَّن يَسْأَلُ ، ثم تُبَيِّنُ الحالةُ التى يَسْأَلُ عنها ، وربما جاء بالجزاءِ[6] ولم يأْتِ بالاسمِ ، فقالوا : أرأَيْتَ [7] إن أتيتُ [7] زيدًا هل يأْتينا ؟ و : أرأَيْتَك . أيضًا ، و : أرأيت زيدًا إن أتَيْتُه هل يأْتينا ؟ إذا كانت بمعنى : أخْبِرْنى . فيُقالُ باللغاتِ الثلاثِ .

وتأويلُ الكلامِ : قلْ يا محمدُ لهؤلاءِ العادِلِين باللَّهِ الأوثانَ والأصنامَ : أخْبِرونى

---

(١) هو الفراء فى معانى القرآن ٣٣٣/١ .

(٢) فى م ، ت ٢: « أرأيتن كن » .

(٣) فى ص، ت١، ت ٢: « نقال » .

(٤) سقط من : م .

(٥) فى م : « ثنيها » ، وفى ت١، ت٢، س: « بينها » .

(٦) فى م : « بالخبر » .

(٧ - ٧) سقط من: م.

إن جاءكم أيُّها القومُ ، عذابُ اللَّهِ كالذى جاء مَن قبلكم مِن الأممِ الذين[1] هلَك بعضُهم بالرَّجْفةِ ، وبعضُهم بالصاعقةِ ، أو جاءَتْكم الساعةُ التى تُنْشَرُون فيها مِن قبورِكم ، وتُبْعَثون لموقفِ القيامةِ ، أغيرَ اللَّهِ هناك تَدْعُون لكشفِ ما نزَل بكم مِن البلاءِ ، أو إلى غيرِه مِن آلهتِكم تفزَعون ؛ ليُنَجِّيَكم مما نزَل بكم مِن عظيمِ البلاءِ ؟ ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ . يقولُ : إن كنتم مُحِقِّين فى دَعْواكم وزعمِكم أن آلهتَكم التى تَدْعُونها مِن دونِ اللَّهِ تَنْفَعُ أو تَضُرُّ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه مُكَذِّبًا لهؤلاء العادِلِين به الأوثانَ : ما أنتم أيُّها المشركون باللَّهِ الآلهةَ والأندادَ ، إن أتاكم عذابُ اللَّهِ ، أو أتَتْكم الساعةُ - بمُسْتَجِيرِين بشىءٍ غيرِ اللَّهِ فى حالِ شدةِ الهَوْلِ النازلِ بكم ، مِن آلهةٍ ووَثَنٍ وصنمٍ ، بل تَدْعُون هناك ربَّكم الذى خلقَكم ، وبه تَسْتَغِيثون ، وإليه تفزَعون دونَ كلِّ شىءٍ غيرِه ، ﴿ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ ﴾ . يقولُ : فيُفَرِّجُ عنكم عندَ اسْتِغاثتِكم به ، وتَضَرُّعِكم إليه عظيمَ البلاءِ النازلِ بكم ، إن شاء أن يُفَرِّجَ ذلك عنكم ؛ لأنه القادرُ على كلِّ شىءٍ ، ومالكُ كلِّ شىءٍ ، دونَ ما تَدْعُونه إلهًا مِن الأوثانِ والأصنامِ . ﴿ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾ . يقولُ : وتَنْسَوْن حينَ يأْتِيكم عذابُ اللَّهِ ، أو تأْتِيكم الساعةُ بأهوالِها ، ما تُشْرِكونه مع اللَّهِ فى عبادتِكم إياه ، فتَجْعَلونه له نِدًّا ، [١/٧٥٤ظ] مِن وَثَنٍ وصَنَمٍ ، وغيرِ ذلك مما تَعْبُدونه مِن دونِه وتَدْعُونه إلهًا .

/ القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ . ١٩٢/٧

---

(١) فى ص، ت١، ت ٢: « الذى »، وفى ت ٣: « التى ».

يقولُ تعالى ذكرُه مُتَوَعِّدًا لهؤلاء العادِلِين به الأصنامَ ، ومحذِّرَهم أن يَسْلُكَ بهم إن هم تمادَوْا فى ضَلالِهم ، سبيلَ مَن سلَك سبيلَهم مِن الأمِ قبلَهم ، فى تعجيلِ اللَّهِ عقوبتَه لهم فى الدنيا ، ومخبرًا نبيَّه عن سنتِه فى الذين خَلَوْا قبلَهم مِن الأمِ على مِنْهاجِهم مِن تكذيبِ الرسلِ : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ ﴾ يا محمدُ ﴿ إِلَىٰٓ أُمَمٍ ﴾ . يعنى : إلى جماعاتٍ وقُرونٍ ﴿ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ ﴾ . يقولُ : فأمَرْناهم ونهَيْناهم ، فكذَّبوا رسلَنا ، وخالَفوا أمرَنا ونهيَنا ، فامْتَحَنَّاهم بالابتلاءِ ، ﴿ بِٱلْبَأْسَآءِ ﴾ . وهى شدةُ الفقرِ ، والضيقُ فى المعيشةِ ، ﴿ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾ . وهى الأسقامُ والعللُ العارضةُ فى الأجسامِ .

وقد بيَّنا ذلك بشواهدِه ووجوهِ إعرابِه فى سورةِ « البقرةِ » ، بما أغْنَى عن إعادتِه فى هذا الموضعِ[1] .

وقولُه : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ . يقولُ : فعَلْنا ذلك بهم ليَتَضرَّعوا إلىَّ ، ويُخْلِصوا لىَ العبادةَ ، ويُفْرِدوا رغبتَهم إلىَّ دونَ غيرِى ، بالتذللِ منهم لى بالطاعةِ ، والاسْتِكانةِ منهم إلىَّ بالإنابةِ .

وفى الكلامِ محذوفٌ قد اسْتُغْنِى بما دلَّ عليه الظاهرُ عن[2] إظهارِه دون[3] قولِه : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم ﴾ . وإنما كان سببُ أخذِه إياهم تكذيبَهم الرسلَ ، وخلافَهم أمرَه ، لا إرسالَ الرسلِ إليهم . وإذ كان ذلك كذلك ، فمعلومٌ أن معنى الكلامِ : ولقد أرْسَلْنا إلى أُمٍ من قبلِك رسلًا فكذَّبوهم ، فأخَذْناهم بالبأساءِ .

والتضرُّعُ هو التَّفَعُّلُ[4] مِن الضَّراعةِ ، وهى الذِّلةُ والاسْتِكانةُ .

---

(١) ينظر ما تقدم فى ٨٦/٣ - ٩١ .

(٢) فى ص، ت٢، ت٣، س : « من » .

(٣) فى م : « من » .

(٤) فى ص، ت١، ت٢، ت ٣: « الفعل » .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ .

وهذا أيضًا مِن الكلامِ الذى فيه متروكٌ استُغْنِى بدلالةِ الظاهرِ عن ذكرِ ما تُرِك ، وذلك أنه تعالى ذكرُه أخبرَ عن الأممِ التى كذَّبَت رسلَها أنه أخذَهم بالبأساءِ والضَّراءِ ليتَضَرَّعوا . ثم[1] قال : ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ ﴾ . ولم يُخْبِرْ عما كان منهم مِن الفعلِ عندَ أخذِه إياهم بالبأساءِ والضراءِ .

ومعنى الكلامِ : ولقد أرْسَلْنا إلى أُممٍ من قبلِك فأخَذناهم بالبأساءِ والضراءِ لعلهم يتضرَّعون ، فلم يَتَضَرَّعوا ، فلولا إذ جاءهم بأسُنا تضرَّعوا .

ومعنى ﴿ فَلَوْلَآ ﴾ فى هذا الموضعِ : فهلَّا ، والعربُ إذا أَوْلَتْ « لولا » اسمًا مرفوعًا ، جعَلَت ما بعدَها خبرًا ، وتلقَّتْها[2] بالأمرِ ، فقالت : لولا أخوك لَزُرْتُك ، ولولا أبوك لضرَبْتُك . وإذا أَوْلَتْها فعلًا ، أو لم تُولِها اسمًا ، جعَلوها استفهامًا ، فقالوا : لولا جئْتَنا فنُكْرِمَك ؟ ولولا زُرْتَ أخاك فنَزُورَك . بمعنى : هلَّا . كما قال تعالى ذكرُه : ﴿ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ ﴾ [المنافقون : ١٠] . وكذلك تَفْعَلُ بـ « لوما » . مثلَ فعلِها بـ « لولا » .

فتأويلُ الكلامِ إذن : فهلَّا إذ جاء بأسُنا[3] هؤلاء الأممَ المكذِّبةَ رسلَها الذين لم يَتَضَرَّعوا عندَ أخْذِناهم / بالبأساءِ والضَّرَّاءِ ، تضرَّعوا فاسْتَكانوا لربِّهم ، وخضَعوا لطاعتِه ، فيَصْرِفَ ربُّهم عنهم بأسَه ، وهو عذابُه . ١٩٣/٧

وقد بيَّنَّا معنى « البأسِ » فى غيرِ هذا الموضعِ بما أغْنَى عن إعادتِه فى

---

(١) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س : « به » .

(٢) فى م : « تلتها » .

(٣) سقط من : ص، ت١، ت٢،ت٣، س .

هذا الموضعِ[(١)] .

﴿ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ . يقولُ : ولكن أقاموا على تكذيبِهم رسلَهم ، وأَصَرُّوا على ذلك ، واستكبَروا عن أمرِ ربِّهم ؛ استهانةً بعقابِ اللَّهِ ، واستخفافًا بعذابِه ، وقساوةَ قلبٍ منهم ، ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ . يقولُ : وحسَّن لهم الشيطانُ ما كانوا يَعْمَلون مِن الأعمالِ التى يَكْرَهُها اللَّهُ ويَسْخَطُها منهم .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ .

يعنى تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ﴾ : فلما ترَكوا العملَ بما أمَرْناهم به على ألسنِ رسلِنا .

كالذى حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ﴾ . يعنى : ترَكوا ما ذُكِّروا به[(٢)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ قولَه : ﴿ نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ﴾ . قال : ما دعاهم اللَّهُ إليه ورسلُه أبَوْه وردُّوه عليهم[(٣)] .

﴿ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ . يقولُ : بدَّلْنا مكانَ البأساءِ الرخاءَ والسَّعَةَ فى العيشِ ، ومكانَ الضراءِ الصحةَ والسلامةَ فى الأبدانِ والأجْسامِ ؛ استِدْراجًا منَّا لهم .

---

(١) ينظر ما تقدم فى ٣/ ٩٠ ، ٩١ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/ ١٢٩٠ (٧٢٨٢) من طريق أبى صالح به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/ ١١ إلى ابن المنذر .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/ ١١ إلى المصنف وابن المنذر .

كالذى حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، وحدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ . قال : رَخاءَ الدنيا ويُسْرَها على القرونِ الأولى[1] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا معمرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ . قال : يعنى الرخاءَ وسَعَةَ الرزقِ[2] .

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ مفضلٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ قولَه : ﴿ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ . يقولُ : مِن الرزقِ[3] .

فإن قال لنا قائلٌ : وكيف قيل : ﴿ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ . وقد علِمْتَ أن بابَ الرحمةِ وبابَ التوبةِ لم يُفْتَحْ لهم ، و[4] أبوابٌ أُخَرُ غيرُه كثيرةٌ ؟

[٧٥٥/١و] قيل : إن معنى ذلك على غيرِ الوجهِ الذى ظنَنْتَ مِن معناه ، وإنما معنى ذلك : فتَحْنا عليهم ؛ اسْتِدْراجًا منا لهم ، أبوابَ ، كلِّ ما كنا سدَدْنا عليهم بابَه ، عندَ أخْذِنا إياهم بالبأساءِ والضراءِ ؛ ليَتَضرَّعوا ، إذ لم يَتَضرَّعوا وترَكوا أمْرَ اللَّهِ تعالى ذكرُه . لأن آخرَ هذا الكلامِ مردودٌ على أولِه ، وذلك كما قال تعالى ذكرُه فى موضعٍ آخرَ مِن كتابِه : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِالْبَأْسَآءِ وَالضَّرَّآءِ

---

(١) تفسير مجاهد ص٣٢١، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/ ١٢٩٠ (٧٢٨٥) ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/ ١٢٩٠ (٧٢٨٤) من طريق شبل به، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/ ١١ إلى ابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وأبى الشيخ .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/ ٢٠٩، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/ ١٢٩٠ (٧٢٨٦) عن الحسن بن يحيى به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/ ١٢٩١ (٧٢٩٠) من طريق أحمد به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/ ١١ إلى أبى الشيخ .

(٤) سقط من : ص، ت١، ت٢، ت٣، س .

١٩٤/٧ ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ[(١)] ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا وَّقَالُوا /قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٤، ٩٥]. ففتَح اللَّهِ على القومِ الذين ذكَر في هذه الآيةِ ذِكْرَهم بقولِه: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ - هو تبديلُه لهم مكانَ السيئةِ التي كانوا فيها في حالِ امتحانِه إياهم مِن ضيقِ العيشِ إلى الرخاءِ والسَّعَةِ، ومِن الضُّرِّ في الأجسامِ إلى الصحةِ والعافيةِ، وهو فتحُ أبوابِ كلِّ شيءٍ كان أغْلَق بابَه عليهم، مما[(٢)] جرَى ذكرُه قبلَ قولِه: ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾. فردَّ قولَه: ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ عليه.

ويعني تعالى ذكرُه بقولِه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا بِمَآ أُوتُوٓا﴾. يقولُ: حتى إذا فرِح هؤلاء المكذِّبون رسلَهم بفتحِنا عليهم أبوابَ السَّعَةِ في المَعِيشةِ، والصحةِ في الأجسامِ.

كالذي حدَّثني محمدُ بنُ الحسينِ، قال: ثنا أحمدُ بنُ المُفضَّلِ، قال: ثنا أسباطُ، عن السديِّ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا بِمَآ أُوتُوٓا﴾: مِن الرزقِ[(٣)].

حدَّثنا الحارثُ، قال: ثنا القاسمُ بنُ سَلَّامٍ، قال: سمِعْتُ عبدَ الرحمنِ بنَ مَهْديٍّ، يُحَدِّثُ عن حمادِ بنِ زيدٍ، قال: كان رجلٌ يقولُ: رحِم اللَّهُ رجلًا تلا هذه الآيةَ. ثم فكَّر فيها ماذا أُريد بها: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا بِمَآ أُوتُوٓا أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾.

حدَّثني الحارثُ، قال: ثنا القاسمُ، قال: ثنا ابنُ أبي رَجاءٍ، رجلٌ[(٤)] مِن أهلِ

(١) في ص، م، ت١، ت٢، س: «يتضرعون».
(٢) في ص، ت١، س: «ما».
(٣) تقدم تخريجه في الصفحة السابقة.
(٤) سقط من: م.

الثغرِ[(١)] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ المباركِ ، عن محمدِ بنِ النَّضْرِ الحارثيِّ في قولِه : ﴿ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً ﴾ . قال : أُمْهِلوا عشرين سنةً[(٢)] .

ويعنى تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً ﴾ : أتَيْناهم بالعذابِ فجأةً ، وهم غارُّون ، لا يَشْعُرون أن ذلك كائنٌ ، ولا هو بهم حالٌّ .

كما حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً ﴾ . قال : أَعْجَبَ ما كانت إليهم ، وأغرَّها[(٣)] لهم .

حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً ﴾ . يقولُ : أخَذَهم العذابُ بَغْتةً[(٤)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ : ﴿ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً ﴾ . قال : فجأةً آمِنِين[(٥)] .

وأما قولُه : ﴿ فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ . فإنه هالِكون ، مُنْقَطِعةٌ حُجَجُهم ، نادِمون على ما سلَف منهم مِن تكذيبِهم رسلَهم .

كالذى حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أَسْباطُ ، عن السديِّ : ﴿ فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ . قال : فإذا هم مُهْلَكون ، مُتَغَيِّرٌ

---

(١) فى ص، ت١، س : « الشعر » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٢٩٢ (٧٢٩٦) وأبو نعيم فى حلية الأولياء ٨/٢٢٠ من طريق ابن المبارك به وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/١١ إلى ابن المنذر وأبى الشيخ .

(٣) فى م، ت١، ت٢، ت٣، س : « أعزها » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٢٩١ (٧٢٩٢) من طريق أحمد به .

(٥) تفسير مجاهد ص ٣٢١.

حالُهم[(١)] .

حدَّثني الحارثُ ، قال : ثنا عبدُ العزيزِ ، قال : ثنا شيخٌ ، عن مجاهدٍ : ﴿ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴾ . قال : الاكتئابُ[(٢)] .

حدَّثني يونُسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِه : ﴿ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴾ . / قال : المُبْلِسُ : الذي قد نزَل به الشرُّ الذي لا يَدْفَعُه ، والمُبْلِسُ أشدُّ مِن المُسْتَكِينِ . وقرَأ : ﴿ فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾ [المؤمنون : ٧٦] . وكان أولَ مرةٍ فيه مُعاتَبةٌ وبَقِيَّةٌ[(٣)] . وقرَأ قولَ اللَّهِ : ﴿فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ﴾ . حتى بلَغ : ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ . ثم جاء أمرٌ ليس فيه بَقيَّةٌ[(٣)] ، وقرَأ : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴾ ، فجاء أمرٌ ليس فيه بَقيَّةٌ[(٤)] ، وكان الأولُ ، لو أنهم تَضرَّعوا كُشِف عنهم[(٤)] .

حدَّثني سعيدُ بنُ عمرٍو السَّكونيُّ ، قال : ثنا بقيةُ بنُ الوليدِ ، عن أبي شُرَيْحٍ ضُبَارةَ بنِ مالكٍ ، عن أبي الصَّلْتِ ، عن حَرْمَلةَ أبي عبدِ الرحمنِ ، عن عقبةَ بنِ مسلمٍ ، عن عقبةَ بنِ عامرٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إذا رأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي عبدَه في دنياه ، إنما هو اسْتِدراجٌ » . ثم تلا هذه الآيةَ : ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ﴾ .

١٩٥/٧

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٩٢/٤ (٧٣٠٠) من طريق أحمد بن مفضل به .

(٢) في م : « فإذا هم هالكون »

والأثر عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٢/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) في ص، ت١، ت٢، ت٣، س : « لقية » ، وفي م : « تقية » .

والبقية الاسم من الإبقاء . اللسان (ب ق ي) .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٩٢/٤ (٧٣٠١) من طريق أصبغ ، عن ابن زيد .

إلى قولِه : ﴿ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[(١)] .

وحدَّث بهذا الحديثِ عن محمدِ بنِ حربٍ ، عن ابنِ لَهيعةَ ، عن عقبةَ بنِ مسلمٍ ، عن عقبةَ بنِ عامرٍ ، أن النبيَّ ﷺ ، قال : « إذا رأَيْتَ اللَّهَ تعالى يُعْطِى العبادَ ما يَسْأَلون على مَعاصِيهم إياه ، فإنما ذلك اسْتِدراجٌ منه لهم » . ثم تلا : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ الآية[(٢)] .

وأصْلُ الإبْلاسِ فى كلامِ العربِ عندَ بعضِهم الحزنُ على الشىءِ والندمُ عليه . وعندَ بعضِهم انقطاعُ الحُجَّةِ ، والسكوتُ عندَ انقطاعِ الحجةِ . وعندَ بعضِهم الخشوعُ ، وقالوا : هو المخذولُ المتروكُ ، ومنه قولُ العَجَّاجِ[(٣)] :

يا صاحِ هل تَعْرِفُ رَسْمًا مُكْرَسا
قال نَعَمْ أَعْرِفُه وأَبْلَسا

فتأويلُ قولِه : وأبْلَسا . عندَ[(٤)] الذين زعَموا أن الإبْلاسَ انْقِطاعُ الحُجَّةِ والسكوتُ عندَه ، بمعنى أنه لم يُحِرْ جوابًا .

وتأوَّله الآخَرون بمعنى الخشوعِ ، وتَرْكِ أهلِه إيَّاه مُقيمًا بمكانِه . والآخَرون : بمعنى الحزنِ والندمِ ، يقالُ منه : أبْلَس الرجلُ إبْلاسًا . ومنه قيل لإبليسَ : إبليسُ .

---

(١) أخرجه أحمد ٥٤٧/٢٨ (١٧٣١١) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٩٠/٤ (٧٢٨٨) ، والطبرانى ٣٣٠/١٧ (٩١٣) ، وفى الأوسط (٩٢٧٢) ، والبيهقى فى الشعب (٤٥٤٠) ، والأسماء والصفات (١٠٢١) من طريق حرملة بن عمران به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٢/٣ إلى ابن المنذر وأبى الشيخ وابن مردويه .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٩٠/٤ (٧٢٨٨) ، وابن عبد الحكم فى فتوح مصر ص٢٩٣ ، والطبرانى ٣٣١/١٧ (٩١٤) من طريق ابن لهيعة به .

(٣) ينظر ما تقدم فى ٥٤٣/١ .

(٤) سقط من : ص، ت١، س .

القولُ فى تأويلِ قولِه: ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾.

يعنى تعالى ذكرُه بقولِه: ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴾: فاسْتُؤْصِل القومُ الذين [١/٧٥٥ظ] عَتَوْا على ربِّهم، وكذَّبوا رسلَه، وخالَفوا أمْرَه، عن آخرِهم، فلم يُتْرَكْ منهم أحدٌ إلا أُهْلِك بَغْتةً إذ جاءهم عذابُ اللَّهِ.

وبنحوِ الذى قلْنا فى ذلك قال جماعةٌ مِن أهلِ التأويلِ.

١٩٦/٧

/ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ، قال: ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ، قال: ثنا أسباطُ، عن السدىِّ: ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴾. يقولُ: فقُطِع أصلُ الذين ظلَموا[(١)].

حدَّثنى يونُسُ، قال: أخبَرَنا ابنُ وهبٍ، قال: قال ابنُ زيدٍ فى قولِه: ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴾. قال: اسْتُؤْصِلوا[(٢)].

ودابرُ القومِ الذى يَدْبُرُهم، وهو الذى يَكونُ فى أدْبارِهم وآخرِهم، يقالُ فى الكلامِ: قد دَبَر القومَ فلانٌ يَدْبُرُهم دَبْرًا ودُبورًا. إذا كان آخرَهم، ومنه قولُ أميةَ[(٣)]:

فأُهْلِكوا بعَذابٍ حَصَّ دابِرَهم[(٤)] فما اسْتَطاعوا له صَرْفًا ولا انْتَصَروا

﴿ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾. يقولُ: والثناءُ الكاملُ والشكرُ التامُّ للَّهِ ربِّ العالمين على إنعامِه على رسلِه وأهلِ طاعتِه، بإظهارِ حُجَجِهم على مَن خالَفَهم مِن أهلِ الكفرِ، وتحقيقِ عِدَاتِهم[(٥)] ما وعَدَهم على كفرِهم باللَّهِ، وتكذيبِهم رسلَه، مِن

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٩٣/٤ (٧٣٠٢) من طريق أحمد به.

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٩٣/٤ (٧٣٠٣) من طريق أصبغ، عن ابن زيد.

(٣) ديوانه ص ٦٣.

(٤) «حص دابرهم»: أذهبهم، وأصل الحص: إذهاب الشعر عن الرأس بحلق أو مرض. ينظر التاج (ح ص ص).

(٥) فى م، ت٢، ت ٣: «عدتهم». وعداتهم جمع عِدَة.

نِقَمِ اللَّهِ وعاجلِ عذابِه .

القولُ في تأويلِ قولِه : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَـٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْءَايَـٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : قلْ يا محمدُ لهؤلاء العادِلين بيَ الأوثانَ والأصنامَ ، المكذِّبين بك : أرأَيْتُم أيُّها المشركون باللَّهِ غيرَه إن أَصمَّكم اللَّهُ فذهَب بأسماعِكم ، وأعْماكم فذهبَ بأبصارِكم ، وختَم على قلوبِكم ، فطبَع عليها حتى لا تَفْقَهوا قولًا ، ولا تُبْصِروا حُجَّةً ، ولا تَفْهَموا مفهومًا ، أيُّ إلهٍ غيرُ اللَّهِ الذي له عِبادةُ كلِّ عابدٍ ﴿ يَأْتِيكُم بِهِ ﴾ . يقولُ : يَرُدُّ عليكم ما ذهَب اللَّهُ به منكم مِن الأسْماعِ والأبْصارِ والأفهامِ ، فتَعْبُدوه أو تُشْرِكوه في عبادةِ ربِّكم الذي يَقْدِرُ على [(1)]ذَهابِه بذلك[(1)] منكم ، وعلى ردِّه عليكم إذا شاء ؟

وهذا مِن اللَّهِ تعالى ذكرُه تَعْليمٌ[(2)] نبيَّه الحجةَ على المشركين به ، يقولُ له : قلْ لهم : إن الذين تَعْبُدونهم مِن دونِ اللَّهِ لا يَمْلِكون لكم ضَرًّا ولا نفعًا ، وإنما يَسْتَحِقُّ العبادةَ عليكم مَن كان بيدِه الضرُّ والنفعُ ، والقبضُ والبَسْطُ ، القادرُ على كلِّ ما أراد ، لا العاجزُ الذي لا يَقْدِرُ على شيءٍ .

ثم قال تعالى لنبيِّه محمدٍ ﷺ : ﴿ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْءَايَـٰتِ ﴾ . يقولُ : انْظُرْ كيف نُتابِـعُ عليهم الحُجَجَ ، ونَضْرِبُ لهم الأمثالَ والعِبَرَ ؛ ليَعْتَبِروا ويَذكروا فيُنيبوا . ﴿ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾ . يقولُ : ثم هم مع مُتابَعتِنا عليهم الحججَ ، وتَنْبيهِنا إياهم بالعِبَرِ ، عن الادِّكارِ والاعْتبارِ يُعْرِضون .

(١ - ١) في ص، ت١، س : « ذهاب ذلك به » .

(٢) في ص، س : « تعلم » ، وفي ت ١ : « يعلم » .

يقالُ منه : صدَف فلانٌ عنى بوجهِه ، فهو يَصْدِفُ صُدوفًا وصَدْفًا . أى : عدَل وأعرَض . ومنه قولُ ابنِ الرِّقَاعِ[1] :

١٩٧/٧ /إذا ذكَرْنَ حديثًا قُلْنَ أَحْسَنَه وهُنَّ عن كلِّ سُوءٍ يُتَّقَى صُدُفُ[2]

وقال لبيدٌ[3] :

يُرْوِى قَوامِحَ[4] قبلَ الليلِ صادِقَةً أشباهَ جِنٍّ عليها الرَّيْطُ[5] والأُزُرُ

فإن قال قائلٌ : وكيف قيل : ﴿ مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِۗ ﴾ . فوحَّد الهاءَ ، وقد مضَى الذكرُ قبلُ بالجمعِ ، فقال : ﴿ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم ﴾ ؟

قيل : جائزٌ أن تكونَ الهاءُ عائدةً على « السمعِ » ، فتكونَ مُوَحَّدةً لتوحيدِ « السمعِ » ، وجائزٌ أن تكونَ مَعْنيًّا بها : مَن إلهٌ غيرُ اللَّهِ يأْتيكم بما أخَذ منكم ؛ مِن السمعِ والأبصارِ والأفئدةِ ؟ فتكونَ مُوَحَّدةً لتوحيدِ (ما) . والعربُ تَفْعَلُ ذلك إذا كنَتْ عن الأفعالِ وحَّدَتِ الكِنايةَ ، وإن كثُر ما يُكْنَى بها عنه مِن الأفاعيلِ ، كقولِهم : إقبالُك وإدبارُك يُعْجِبُنى .

وقد قيل : إن الهاءَ التى فى ﴿ بِهِۗ ﴾ كنايةٌ عن الهُدَى .

وبنحوِ ما قلنا فى تأويلِ قولِه : ﴿ يَصْدِفُونَ ﴾ . قال أهلُ التأويلِ .

---

(١) تفسير القرطبى ٦/ ٤٢٨ .

(٢) صدف ، جمع صدوف ، وهى المرأة تَعرِض وجهها عليك ثم تصدف . تاج العروس (ص د ف) .

(٣) شرح ديوان لبيد ص٦٦.

(٤) قوامح ، جمع قامح ، وهو التارك للشرب . ينظر التاج (ق م ح) .

(٥) الريط ، جمع ريطة ، وهى كل ملاءة غير ذات لفقين، أى لم يضم بعضه ببعض بخيط أو نحوه . التاج (ر ى ط) .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ في قولِه : ﴿ يَصۡدِفُونَ ﴾ . قال : يُعْرِضون[1] .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حُذَيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ مثلَه .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن عليِّ بنِ أبي طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ يَصۡدِفُونَ ﴾ . قال : يَعْدِلون[2] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبرَنا معمرٌ ، عن قتادةَ في قولِه : ﴿ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ هُمۡ يَصۡدِفُونَ ﴾ . قال : يُعْرِضون عنها[3] .

حدَّثني محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السديِّ : ﴿ ثُمَّ هُمۡ يَصۡدِفُونَ ﴾ . قال : يَصُدُّون[4] .

القولُ في تأويلِ قولِه : ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغۡتَةً أَوۡ جَهۡرَةً هَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : قلْ يا محمدُ لهؤلاء العادِلِين بربِّهم الأوثانَ ، المكذِّبين / بأنك لى رسولٌ إليهم : أخْبِرُوني إن أتاكم عذابُ وعقابُه ١٩٨/٧ [٧٥٦/١و] على ما تُشْرِكون به ما تشركون مِن الأوثانِ والأندادِ ، وتَكْذِيبِكم إيايَ ، بعدَ الذى قد عايَنْتُم مِن البُرْهانِ على حقيقةِ قولى ، ﴿ بَغۡتَةً ﴾ . يقولُ : فجأةً على

(١) تفسير مجاهد ص ٣٢١، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٩٤/٤ (٧٣١١) .
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٩٤/٤ (٧٣١٠) من طريق أبي صالح به .
(٣) تفسير عبد الرزاق ٢/ ٢٠٦، ٢٠٧.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٩٤/٤ (٣٧١٢) من طريق أحمد به .

غِرَّةٍ لا تَشْعُرون ، ﴿ أَوْ جَهْرَةً ﴾ . يقولُ : أو أتاكم عذابُ اللَّهِ وأنتم تُعايِنونه وتَنْظُرون إليه ، ﴿ هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ . يقولُ : هل يُهْلِكُ اللَّهُ منا ومنكم إلا مَن كان يَعْبُدُ غيرَ مَن يَسْتَحِقُّ علينا العبادةَ ، وترَك عبادةَ مَن يَسْتَحِقُّ علينا العبادةَ ؟

وقد بيَّنَّا معنى « الجَهْرةِ » فى غيرِ هذا الموضعِ بما أغْنَى عن إعادتِه ، وأنها مِن الإجهارِ ، وهو إظهارُ الشيءِ للعينِ[1] .

كما حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ : ﴿ جَهْرَةً ﴾ . قال : وهم يَنْظُرون .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً ﴾ : فجْأةً آمِنين ، ﴿ أَوْ جَهْرَةً ﴾ : وهم يَنْظُرون[2] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : وما نُرْسِلُ رسلَنا إلا بِبِشارةِ أهلِ الطاعةِ لنا بالجنةِ والفوزِ المبينِ يومَ القيامةِ ؛ جزاءً منا لهم على طاعتِنا ، وبإنذارِ مَن عصانا وخالَف أمْرَنا ، عقوبتَنا إيَّاه على معصيتِنا يومَ القيامةِ ؛ جزاءً منا على معصيتِنا ، لنُعْذِرَ إليه فيَهْلِكَ إن هلَك عن بيِّنةٍ ، ﴿ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ ﴾ . يقولُ : فمَن صدَّق مَن أرْسَلْنا إليه مِن رسُلِنا إنذارَهم إياه ، وقبِل[3] منهم ما جاءوه به مِن عندِ اللَّهِ ، وعمِل صالحًا فى الدنيا ، ﴿ فَلَا

(١) ينظر ما تقدم فى ١/٦٨٧ وما بعدها .

(٢) تفسير مجاهد ص ٣٢١، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٢٩٤ (٧٣١٣، ٧٣١٤) .

(٣) فى م : « قبل » .

خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ عندَ قدومِهم على ربِّهم ، مِن عقابِه وعذابِه الذى أعَدَّه اللَّهُ لأعدائِه وأهلِ مَعاصِيه ، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ عندَ ذلك ، على ما خلَّفوا وراءَهم فى الدنيا .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٤٩)﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : وأما الذين كذَّبوا بمَن أرْسَلْنا إليه مِن رسلِنا ، وخالَفوا أمْرَنا ونهيَنا ، ودافَعوا حُجَّتَنا ، فإنهم يُباشِرُهم عذابُنا وعقابُنا على تكذيبِهم ما كذَّبوا به مِن حُجَجِنا ، ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ . يقولُ : بما كانوا يُكَذِّبون .

وكان ابنُ زيدٍ يقولُ : كلُّ فِسْقٍ فى القرآنِ فمعناه الكَذِبُ .

حدَّثنى بذلك يونُسُ ، قال : أخبَرَنا ابنُ وهبٍ عنه[(١)] .

/ القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ (٥٠)﴾ . ١٩٩/٧

يقولُ تعالى ذكرُه : قُلْ لهؤلاءِ المُنْكِرين نبوَّتَك : لستُ أقولُ لكم : إنى الربُّ الذى له خزائنُ السماواتِ والأرضِ ، وأعلمُ غيوبَ الأشياءِ الخفيةِ التى لا يعلمُها إلا الربُّ الذى لا يَخْفَى عليه شىءٌ ، فتُكذِّبونى فيما أقولُ مِن ذلك ؛ لأنه لا ينبغى أن يكونَ ربًّا إلا مَن له مُلْكُ كلِّ شىءٍ ، وبيدِه كلُّ شىءٍ ، ومَن لا يَخْفَى عليه خافيةٌ . وذلك هو اللَّهُ الذى لا إلهَ غيرُه ، ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾ ؛ لأنه لا ينبغى لمَلَكٍ أن

(١) تقدم تخريجه ص ١٠٧ ، كما عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٢/٣ إلى المصنف .

يكونَ ظاهرًا بصورتِه[(١)] لأبصارِ البشرِ في الدنيا، فتَجْحدوا ما أقولُ لكم مِن ذلك، ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾. يقولُ: قل لهم: ما أَتَّبِعُ فيما أقولُ لكم وأدْعوكم إليه إلا وحيَ اللَّهِ الذي يُوحِيه إليَّ، وتنزيلَه الذي يُنَزِّلُه عليَّ، فأَمْضِى لوحيِه وأَأْتَمِرُ[(٢)] لأمرِه، وقد أتيتُكم بالحُججِ القاطعةِ مِن اللَّهِ عذرَكم على صحةِ قولى في ذلك، وليس الذي أقولُ مِن ذلك بمُنكَرٍ في عقولِكم، ولا مستحيلٍ كونُه، بل ذلك مع وجودِ البرهانِ على حقيقتِه هو الحكمةُ البالغةُ، فما وجهُ إنكارِكم ذلك؟

وذلك تنبيهٌ مِن اللَّهِ تعالى ذكرُه نبيَّه ﷺ على موضعِ حُجتِه على منكرى نبوَّتِه مِن مشركى قومِه.

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾. يقولُ تعالى ذكرُه: قل يا محمدُ لهم: هل يَستوِى الأعمى عن الحقِّ والبصيرُ به؟ والأعمى هو الكافرُ الذي قد عَمِى عن حُججِ اللَّهِ فلا يَتبيَّنُها فيتَّبِعَها، والبصيرُ المؤمنُ الذي قد أبصَر آياتِ اللَّهِ وحُججَه، فاقْتدَى[(٣)] بها واستضاء بضيائِها، ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾. يقولُ لهؤلاء الذين كذَّبوا بآياتِ اللَّهِ: أفلا تتفكرون فيما أَحتَجُّ عليكم به أيُّها القومُ مِن هذه الحُججِ، فتعلَموا صحةَ ما أقولُ وأدْعُوكم إليه، مِن فسادِ ما أنتم عليه مقيمون؛ مِن إشراكِ الأوثانِ والأندادِ باللَّهِ ربِّكم، وتكذيبِكم إيايَ، مع ظهورِ حُججِ صدقى لأعينِكم، فتدَعوا ما أنتم عليه مِن الكفرِ مقيمون، إلى ما أدْعُوكم إليه مِن الإيمانِ الذي به تفوزون؟

وبنحوِ الذي قلنا في تأويلِ ذلك قال جماعةٌ مِن أهلِ التأويلِ.

---

(١) في ص، ت١، س: «بعبودته».
(٢) في م: «أمر».
(٣) في ص، ت١،: «ما يقتدى».

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴾ . قال : الضالُّ والمُهتدِى(١) .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴾ الآية . قال : الأعمى : الكافرُ الذى قد عَمِىَ عن حقِّ اللَّهِ وأمرِه ونِعَمِه عليه ، والبصيرُ : العبدُ المؤمنُ الذى أبصَر بصرًا نافعًا ، فوحَّد اللَّهَ وحدَه ، وعمِل بطاعةِ ربِّه ، وانتَفع بما آتاه اللَّهُ(٢) .

/ القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ . ٢٠٠/٧

يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : وأنذِرْ [٧٥٦/١ظ] يا محمدُ بالقرآنِ الذى أنزَلناه إليك ، القومَ الذين يَخافون أن يُحْشَروا إلى ربِّهم ، علمًا منهم بأن ذلك كائنٌ ، فهم مُصَدِّقون بوعدِ اللَّهِ ووعيدِه ، عاملون بما يُرضِى اللَّهَ ، دائبون(٣) فى السعيِ فيما يُنقِذُهم فى معادِهم مِن عذابِ اللَّهِ حينَ(٤) ليس لهم مِن عذابِ اللَّهِ إن عذَّبهم ، ولىٌّ يَنْصُرُهم فيَسْتَنْقِذُهم منه ، ولا شفيعٌ يَشْفَعُ لهم عندَ اللَّهِ تعالى فيُخَلِّصُهم مِن عقابِه ،

---

(١) تفسير مجاهد ص ٣٢٢، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٩٦/٤ (٧٣٢٢، ٧٣٢٤) .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٩٦/٤ (٧٣٢٥) من طريق يزيد به .

(٣) فى م ، ت ٢: « دائمون » .

(٤) فى م ، ت ١، ت ٢، ت٣ : « ليس لهم من دونه ولى أى » .

﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ . يقولُ : أنذِرْهم كى يَتَّقوا اللَّهَ فى أنفسِهم ، فيُطيعوا ربَّهم ، ويَعْمَلوا لمَعادِهم ، ويَحْذَروا سخَطَه باجتنابِ معاصيه .

وقيل : ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ ﴾ ومعناه : يَعْلَمون أنهم يُحْشَرون . فوُضِعت « المخافةُ » موضعَ « العلمِ » ؛ لأن خوفَهم كان مِن أجلِ علمِهم بوُقوعِ ذلك ووجودِه مِن غيرِ شكٍّ منهم فى ذلك .

وهذا أمرٌ مِن اللَّهِ تعالى ذكرُه نبيَّه محمدًا ﷺ بتعليمِ أصحابِه ما أنزَل اللَّهُ إليه مِن وحيِه ، وتذكيرِهم ، والإقبالِ عليهم بالإنذارِ ، [(١)] وصدَّ عنه المشركون [(١)] به بعدَ الإعذارِ إليهم ، وبعدَ إقامةِ الحجةِ عليهم ، حتى يكونَ اللَّهُ هو الحاكمَ فى أمرِهم بما يَشاءُ مِن الحكمِ فيهم .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ .

ذُكِر أن هذه الآيةَ نزَلت على رسولِ اللَّهِ ﷺ فى سببِ جماعةٍ مِن ضعفاءِ المسلمين ، قال المشركون له : لو طرَدتَ هؤلاء عنك لغَشَيناك وحضَرنا مجلسَك .

ذكرُ الروايةِ بذلك

حدَّثنا هنادُ بنُ السرىِّ ، قال : ثنا أبو زُبَيدٍ [(٢)] ، عن أشعثَ ، عن كُردوسٍ الثعلبىِّ ، عن ابنِ مسعودٍ ، قال : مرَّ الملأُ مِن قريشٍ بالنبىِّ ﷺ وعندَه صُهيبٌ وعمارٌ وبلالٌ وخبَّابٌ ، ونحوُهم مِن ضعفاءِ المسلمين ، فقالوا : يا محمدُ ، رضِيتَ بهؤلاء مِن قومِك ، أهؤلاء الذين منَّ اللَّهُ عليهم مِن بينِنا ؟ أنحن نكونُ تبَعًا لهؤلاء ؟ اطْرُدْهم

(١ - ١) فى م، ت ٢: « وصده عن المشركين » .

(٢) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « زيد » .

عنك ، فلعلك إن طرَدتَهم أن نتَّبِعَك . فنزَلت هذه الآيةُ : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ - ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾ إلى آخرِ الآيةِ[1] .

حدَّثنا جريرٌ[2] ، عن أشعثَ ، عن كُردوسٍ الثعلبيِّ ، عن عبدِ اللَّهِ ، قال : مرَّ الملأُ مِن قريشٍ على رسولِ اللَّهِ ﷺ . ثم ذكَر نحوَه[3] .

٢٠١/٧ / حدَّثنى أبو السائبِ ، قال : ثنا حَفصُ بنُ غياثٍ ، عن أشْعَثَ ، عن كُرْدُوسٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : مَرَّ على رسولِ اللَّهِ ﷺ ملأٌ مِن قريشٍ . ثم ذَكَر نحوَه[4] .

حدَّثنى الحسينُ بنُ عمرِو بنِ محمدٍ العَنْقَزِيُّ ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ ، عن أبى سعيدٍ[5] الأَزْدِيِّ - وكان قارئَ الأَزْدِ - عن أبى الكَنُودِ ، عن خَبَّابٍ فى قولِ اللَّهِ تعالى : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ إلى قولِه : ﴿ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ . قال : جاء الأقرعُ بنُ حابسٍ التَّميمىُّ وعُيَينةُ بنُ حِصْنٍ الفَزارِىُّ ، فوَجَدوا النبىَّ ﷺ قاعدًا مع بلالٍ وصُهَيبٍ وعَمَّارٍ وخَبَّابٍ ، فى أُناسٍ مِن [6] الضعفاءِ من [6] المؤمنين ، فلما رَأَوهم حولَه حَقَروهم ، فأَتَوه فقالوا : إنَّا نُحِبُّ أن تَجْعَلَ لنا منك مَجْلِسًا تَعْرِفُ لنا العربُ به

---

(١) أخرجه أحمد ٩٢/٧ (٣٩٨٥) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٩٩/٤ (٧٣٤٢) ، والطبرانى (١٠٥٢٠) ، والواحدى فى أسباب النزول ص١٦٢ ، ١٦٣ من طريق أشعث به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٢/٣ إلى أبى الشيخ وابن مردويه .

(٢) كذا فى النسخ ، وسقط منها شيخ المصنف ، وشيخ المصنف فى مثل هذا الإسناد إما أن يكون محمد بن حميد ، وإما أن يكون سفيان بن وكيع ، وقد يكونان هما معا ، ينظر ٤٠/٥ ، ٥٣٢/٧ ، ٥٥٠ ، ٥٠٩/١١ ، ٥١٨ ، ٥٢٢ ، ٦٠٩/١٢ .

(٣) أخرجه أبو نعيم فى الحلية ٣٤٦/١ من طريق جرير به .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٩٦/٤ (٧٣٢٦) من طريق أشعث به .

(٥) فى ص ، س : « سعد » . وكلاهما صواب . ينظر تهذيب الكمال ٣٤٤/٣٣ .

(٦ - ٦) فى م ، ت٢ ، ت٣ : « ضعفاء » .

فَضْلَنا ، فإن وفودَ العربِ تأتيك فنستَحْيِى أن تَرانا العربُ مع هؤلاءِ الأَعْبُدِ ، فإذا نحن جِئْناك فأقِمْهم عنا ، فإذا نحن فَرَغْنا فاقعُدْ معهم إن شِئْتَ . قال : « نعم » . قالوا : فاكتُبْ لنا عليك بذلك كتابًا . قال : فَدَعا بالصحيفةِ ، ودَعا عليًّا ليَكتُبَ ، قال : ونحن قعودٌ فى ناحيةٍ ، إذْ نَزَلَ جبريلُ بهذه الآيةِ : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ . ثم قال : ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّٰكِرِينَ ﴾ . ثم قال : ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ فألقَى رسولُ اللهِ ﷺ الصحيفةَ مِن يدِه ، ثم دَعانا ، فأتَيناه وهو يقولُ : « ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ » . فكُنَّا نَقْعُدُ معه ، فإذا أرادَ أن يقومَ قامَ وتَرَكَنا ، فأنزَل اللهُ تعالى ذكرُه : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ﴾ [الكهف : ٢٨] . قال : فكان رسولُ اللهِ ﷺ يَقْعُدُ مَعنا بعدُ ، فإذا بَلَغَ الساعةَ التى يقومُ فيها ، قُمْنا وتَرَكْناه حتى يقومَ[(١)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المُفَضَّلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ ، عن أبى سعيدٍ الأزْدِىِّ ، عن أبى الكَنُودِ ، عن خَبَّابِ بنِ الأَرَتِّ بنحوِ حديثِ الحسينِ بنِ عمرٍو ، إلا أنه قال فى حديثِه : فلمَّا رَأَوْهم حولَه نَفَّرُوهم ، فأتَوه فَخَلَوا به . وقال أيضًا : ﴿ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ . ثم

(١) أخرجه البزار (٢١٢٩) ، وأبو يعلى - كما فى المطالب العالية (٣٩٧٧) - عن الحسين بن عمرو به ، وأخرجه ابن ماجه (٤١٢٧) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٩٧/٤، ١٣٠٠ (٧٣٣١، ٧٣٤٦) من طريق عمرو بن محمد العنقزى به ، وأخرجه الواحدى فى أسباب النزول ص ١٦٢ ، والبيهقى فى الدلائل ١/ ٣٥٢، ٣٥٣ من طريق السدى به مختصرا ، وعزاه الزيلعى فى تخريج الكشاف ٤٣٩/١ إلى ابن راهويه فى مسنده ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٣/٣ إلى ابن المنذر وأبى الشيخ وابن مردويه .

ذَكر الأَقْرَعَ وصاحبَه ، فقال : ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾ الآية . وقال أيضًا : فَدَعانا فأتَيْناه وهو يقولُ : « ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ﴾ » . فدَنَونا منه يومَئذٍ حتى وَضَعْنا رُكَبَنا على رُكْبَتَيْه . وسائرُ الحديثِ نحوَه[1] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ ، وحدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأَعْلَى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثَوْرٍ ، عن مَعْمَرٍ ، عن قتادةَ والكلبيِّ ، أن ناسًا مِن كفارِ قريشٍ قالوا للنبيِّ ﷺ : إن سَرَّكَ أن نَتَّبِعَك ، فاطْرُدْ عنَّا فلانًا وفلانًا - ناسًا مِن ضعفاءِ المسلمين - فقال اللَّهُ تعالى : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾[2] .

/ حدَّثنا بِشْرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ ﴾ إلى قولِه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾ الآية . قال : وقد قال قائلون مِن الناسِ لرسولِ اللَّهِ ﷺ : يا محمدُ ، إن سَرَّكَ أن نَتَّبِعَك ، فاطْرُدْ عَنَّا فُلانًا وفُلانًا - لأُناسٍ كانوا دونَهم فى الدنيا ، ازْدَراهم المشركون - فأنزَل اللَّهُ تعالى هذه الآيةَ إلى آخرِها . ٧/٢٠٢

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ ﴾ : بلالٌ وابنُ أمِّ عبدٍ ، كانا يُجالِسان [٧٥٧/١و] محمدًا ﷺ ، فقالت قريشٌ مُحَقِّرَتَهما : لولاهما وأمثالُهما لجالَسْناه . فنُهِى عن طَرْدِهم ، حتى قولِه : ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ . قال : ﴿فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ . فيما بينَ ذلك فى هذا[3] .

---

(١) أخرجه ابن أبى شيبة ١٢/ ٢٠٧، ٢٠٨ - ومن طريقه الطبرانى (٣٦٩٣) ، وأبو نعيم فى الحلية ١/ ٣٤٤- والبزار (٢١٣٠) ، والطحاوى فى المشكل (٣٦٧) من طريق أحمد بن المفضل به .

(٢) تفسير عبد الرزاق ٢/ ٢٠٨.

(٣) تفسير مجاهد ص ٣٢٢، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٩٩/٤ (٧٣٣٩) .

حدَّثني المُثنَّى ، قال : ثنا أبو حُذَيفةَ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن المِقْدامِ بنِ شُرَيحٍ ، عن أبيه ، قال : قال سعدٌ[1] : نَزَلَت هذه الآيةُ في ستةٍ مِن أصحابِ النبيِّ ﷺ ؛ منهم ابنُ مسعودٍ ، قال : كُنَّا نَسْبِقُ إلى النبيِّ ﷺ ونَدْنُو منه ، ونَسْمَعُ منه ، فقالت قريشٌ : يُدْنِي هؤلاء دونَنا ! فنزَلَت : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ ﴾[2] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنا حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيجٍ ، عن عِكْرِمةَ في قولِه : ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ الآية . قال : جاء عُتْبةُ ابنُ ربيعةَ ، وشَيْبةُ بنُ ربيعةَ ، ومُطْعِمُ بنُ عَدِيٍّ ، والحارثُ بنُ نوفلٍ ، وقُرَظَةُ بنُ عبدِ عمرِو بنِ نوفلٍ ، في أشرافٍ مِن بني عبدِ منافٍ مِن الكفارِ ، إلى أبي طالبٍ ، فقالوا : يا أبا طالبٍ ، لو أن ابنَ أخيك يَطْرُدُ عنه موالِيَنا وحلفاءَنا ، فإنما هم عبيدُنا وعُسَفاؤُنا[3] ، كان أعظمَ في صدورِنا ، وأطوعَ له عندَنا ، وأدْنى لاتِّباعِنا إياه ، وتَصْديقِنا له . قال : فأتى أبو طالبٍ النبيَّ ﷺ ، فحَدَّثه بالذي كَلَّموه به ، فقال عمرُ ابنُ الخطابِ : لو فعلتَ ذلك حتى تَنْظُرَ ما الذي يُريدون ، وإلامَ يَصِيرون مِن قولِهم ؟ فأنزَل اللَّهُ تعالى هذه الآيةَ : ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ ، ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ إلى قولِه : ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ قال : وكانوا : بلالًا ، وعمارَ بنَ ياسرٍ ، وسالمًا مولى أبي حُذَيفةَ ، وصُبَيْحًا مولى أَسِيدٍ ، ومِن الحلفاءِ : ابنُ مسعودٍ ، والمِقْدادُ بنُ عمرٍو ، ومسعودُ بنُ القارِيِّ ، وواقِدُ بنُ عبدِ اللَّهِ

---

(١) في النسخ : « سعيد » والمثبت من مصادر التخريج .

(٢) أخرجه مسلم (٤٥/٢٤١٣) ، والنسائي (٨٢٢٠) ، وفي فضائل الصحابة (١١٦، ١٦٠) ، والبزار (١٢٢٨) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٩٨/٤، وأبو يعلى (٨٢٦) من طرق عن سفيان به ، وأخرجه مسلم (٤٦/٢٤١٣) ، وابن ماجه (٤١٢٨) وعبد بن حميد (١٣١) ، وابن حبان (٦٥٧٣) ، وأبو نعيم في الحلية ١/ ٣٤٦، والحاكم ٣/ ٣١٩، والواحدي في أسباب النزول ص ١٦٢ ، والبيهقي في الدلائل ٣٥٣/١ من طريق المقدام به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٣/٣ إلى الفريابي وأحمد وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه .

(٣) العسفاء : الأُجراء. واحدهم عَسِيف. النهاية ٣/ ٢٣٦.

الحَنْظَلِيُّ ، وعمرُو بنُ عبدِ عمرٍو ذو الشِّمالَين ، ومَرْثَدُ بنُ أبى مَرْثدٍ - وأبو مَرْثَدٍ مِن غَنِىٍّ ، حليفُ حمزةَ بنِ عبدِ المطلبِ - وأشْباهُهم مِن الحلفاءِ . ونزَلَت فى أئمةِ الكفرِ مِن قريشٍ والموالى والحلفاءِ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ﴾ الآية . فلما نزَلَت أقبَل عمرُ بنُ الخطابِ فاعْتَذَر مِن مَقالتِه ، فأنزَل اللَّهُ تعالى ذكرُه : ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ﴾ الآية[1] .

٢٠٣/٧ / حدَّثنى يونسُ بنُ عبدِ الأعْلَى ، قال : أخبرَنا ابنُ وَهْبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ ، قال رجلٌ للنبىِّ ﷺ : إنى أسْتَحْيِى مِن اللَّهِ أن يَرانى مع سلمانَ وبلالٍ وذَوِيهم فاطرُدْهم عنك ، وجالِسْ فلانًا وفلانًا . قال : فنزَل القرآنُ : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ فقرَأ حتى بلَغ : ﴿ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ . ما بينَك وبينَ أن تكونَ مِن الظالمين إلا أن تَطرُدَهم . ثم قال : ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ . ثم قال : وهؤلاء الذين أمَروك أن تَطْرُدَهم ، فأبلِغْهم منِّى السلامَ وبَشِّرْهم ، وأخبِرْهم أنى قد غفَرْتُ لهم . وقرَأ : ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ . فقرَأ حتى بلَغَ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ . قال : لتَعرِفَها[2] .

واختلَف أهلُ التأويلِ فى « الدعاءِ » الذى كان هؤلاء الرَّهْطُ الذين نَهَى اللَّهُ نبيَّه ﷺ عن طَرْدِهم ، يَدْعون ربَّهم به ؛ **فقال بعضُهم** : هى الصلواتُ الخمسُ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا المُثَنَّى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٣/٣ إلى المصنف وابن المنذر .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٩٩/٤ (٧٣٤٠) من طريق أصبغ ، عن ابن زيد .

عليِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ ﴾ . يعنى : يَعْبُدون ربَّهم بالغداةِ والعَشِيِّ ، يعنى الصلاةَ المكتوبةَ[(١)] .

حدَّثنا المُثَنَّى ، قال : ثنا الحجاجُ بنُ المِنْهالِ ، قال : ثنا حَمَّادٌ ، عن أبى حمزةَ ، عن إبراهيمَ فى قولِه : ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ . قال : هى الصلواتُ الخمسُ الفرائضُ ، ولو كان يقولُ القُصَّاصَ ، هَلَكَ مَن لم يجلِسْ إليهم[(٢)] .

حدَّثنا هَنَّادُ بنُ السَّرِيِّ وابنُ وكيعٍ ، قالا : ثنا ابنُ فُضَيلٍ ، عن الأعْمشِ ، عن إبراهيمَ : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ . قال : هى الصلاةُ[(٢)] .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا أبو حُذَيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ ﴾ : الصلاةُ المفروضةُ ، الصبحُ والعصرُ[(٣)] .

حدَّثنى [(٤)] موسى بنُ عبدِ الرحمنِ [(٤)] الكِنْدِيُّ ، قال : ثنا حسينٌ[(٥)] الجُعْفِيُّ ، قال : أخبرَنى حمزةُ بنُ المغيرةِ ، عن حمزةَ بنِ عيسى ، قال : دَخَلتُ على الحسنِ فسألتُه ، فقلتُ : يا أبا سعيدٍ ، أرأيتَ قولَ اللَّهِ : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ ﴾ [الكهف : ٢٨] . أهم هؤلاء القُصَّاصُ ؟ قال : لا ، ولكنهم

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٩٨/٤ (٧٣٣٣) من طريق أبى صالح ببعضه ، وعلق باقيه عقب الأثر (٧٣٣٦) ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٤/٣ إلى ابن المنذر .

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٩٨/٤ عقب الأثر (٧٣٣٦) معلقًا .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٩٨/٤، ١٢٩٩ (٧٣٣٦، ٧٣٣٧) من طريق ابن أبى نجيح به .

(٤ - ٤) فى ص، ت٣: «محمد بن موسى بن عبد الرحمن». وتقدم فى ١٧٢/١، ٥٠٨، ٣/ ٣٨٦، وينظر تهذيب الكمال ٢٩/ ٩٨.

(٥) فى م، ت١، ت٢، ت ٣: «حسن».

المُحافِظون على الصلواتِ فى الجماعةِ[1] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، وحدَّثنى الحارثُ ، قال : ثنا الحسنُ ، قال : ثنا ورقاءُ ، جميعًا عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ ﴾ . قال : الصلاةُ المكتوبةُ[2] .

/حُدِّثْتُ عن الحسينِ بنِ الفرجِ ، قال : سمِعتُ أبا مُعاذٍ ، قال : أخبرَنا عُبَيدٌ ، قال : سمِعتُ الضحاكَ يقولُ فى قولِه : ﴿ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ ﴾ . قال : يَعْبُدون ربَّهم بالغداةِ [١/٧٥٧ظ] والعَشِيِّ ، يعنى : الصلاةَ المفروضةَ . ٢٠٤/٧

حدَّثنا بِشْرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ ﴾ [الكهف : ٢٨] : هما الصَّلاتان ؛ صلاةُ الصبحِ ، وصلاةُ العصرِ .

حدَّثنى ابنُ البَرْقِيِّ ، قال : ثنا ابنُ أبى مَرْيمَ ، قال : ثنا يحيى بنُ أيوبَ ، قال : ثنا محمدُ بنُ عَجْلانَ ، عن نافعٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ فى هذه الآيةِ : ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ ﴾ [الكهف : ٢٨] الآية : إنهم الذين يَشْهَدون الصلواتِ المكتوبةَ[3] .

حدَّثنا ابنُ بَشَّارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن منصورٍ ، عن مجاهدٍ وإبراهيمَ : ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ ﴾ .

---

(١) ينظر تفسير ابن كثير ٣/ ٢٥٤.

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٩٨/٤ عقب الأثر (٧٣٣٦) معلقًا .

(٣) أخرجه الطحاوى فى المشكل ٣٤١/١ عقب الحديث (٣٦٧) من طريق ابن أبى مريم به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢١٩/٤ إلى ابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه .

قالا : الصلواتُ الخمسُ[(١)] .

حدَّثنا ابنُ بَشَّارٍ ، قال : ثنا يحيى ، عن سفيانَ ، عن منصورٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيجٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ ﴾ . قال : المُصلِّين المؤمنين ، بلالٌ وابنُ أمِّ عبدٍ[(٢)] .

قال ابنُ جُرَيجٍ : وأخبرَنى عبدُ اللَّهِ بنُ كثيرٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : صَلَّيْتُ الصبحَ مع سعيدِ بنِ المسيبِ ، فلما سَلَّمَ الإمامُ ابْتَدَر الناسُ القاصَّ ، فقال سعيدٌ : ما أسْرَعَهم[(٣)] إلى هذا المجلسِ ! قال مجاهدٌ : فقلتُ : يَتأوَّلون ما قال اللَّهُ تعالى . قال : وما قال ؟ قلتُ : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ ﴾ . قال : وفى هذا ذا ؟ إنما ذاك فى الصلاةِ التى انصرَفْنا عنها الآنَ ، إنما ذاك فى الصلاةِ[(٤)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنا وكيعٌ ، عن أبيه ، عن منصورٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى عَمْرةَ ، قال : الصلاةُ المكتوبةُ[(٥)] .

حدَّثنا المُثنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا وَكِيعٌ ، عن إسرائيلَ ، عن جابرٍ ، عن عامرٍ ، قال : هى الصلاةُ .

حدَّثنا المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا وكيعٌ ، عن أبيه و[(٦)] إسرائيلَ ، عن عامرٍ ، قال : هى الصلاةُ .

---

(١) أخرجه البيهقى فى الشعب (٢٩١٦) من طريق عبد الرحمن بن مهدى به .

(٢) تفسير مجاهد ص ٣٢٢، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٩٩/٤ (٧٣٣٩) .

(٣) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س : « أسرع » .

(٤) ينظر تفسير البغوى ١٤٦/٣، ١٤٧.

(٥) ينظر البحر المحيط ١٣٦/٤.

(٦) فى ص ، م ، ت ٢، ت ٣: « عن » . وينظر ما تقدم فى ٤٩٧/٨.

حدَّثنا بِشْرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ . يقولُ : صلاةُ الصبحِ ، وصلاةُ العصرِ .

حدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ ، قال : ثنا جَرِيرٌ ، عن منصورٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : صلَّى عبدُ الرحمنِ (١ بنُ أبى عمرةَ ١) فى مسجدِ الرسولِ ، فلمَّا صَلَّى قامَ فاسْتَنَد إلى حجرةِ النبيِّ ﷺ ، فانْثالَ[٢] الناسُ عليه ، فقال : يا أيُّها الناسُ ، إليكم . فقيل : يَرْحَمُكَ اللَّهُ ، إنما جاءوا يُريدون هذه الآيةَ ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ ﴾ . فقال : وهذا عُنِى بهذا ؟! إنما هو فى الصلاةِ .

٢٠٥/٧ / **وقال آخرون** : هى الصلاةُ ، ولكنَّ القومَ لم يَسْألوا رسولَ اللَّهِ ﷺ طَرْدَ هؤلاءِ الضعفاءِ عن مجلسِه ، ولا تَأْخِيرَهم عن مجلسِه ، وإنما سألوه تأخيرَهم عن الصفِّ الأولِ حتى يكونوا وراءَهم فى الصفِّ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾ الآية : فهم أُناسٌ كانوا مع النبيِّ ﷺ مِن الفقراءِ ، فقال أُناسٌ مِن أشرافِ الناسِ : نُؤمِنُ لك ، وإذا صَلَّيْنا فأخِّرْ هؤلاءِ الذين معك ، فليُصَلُّوا خَلْفَنا[٣] .

وقال آخرون : بل معنى دُعائِهم كان ذكرَهم اللَّهَ تعالى ذكرُه .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، وحدَّثنا هَنَّادٌ ، قال : ثنا وكيعٌ ، عن سفيانَ ،

(١ - ١) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٢) انثال الناس عليه : انصبوا عليه . تاج العروس (ث و ل) .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٤/٣ إلى ابن مردويه .

عن منصورٍ، عن إبراهيمَ قولَه: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ﴾. قال: أهلُ الذكرِ[1].

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ، قال: ثنا جريرٌ، عن منصورٍ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ﴾. قال: هم أهلُ الذكرِ.

حدَّثنا ابنُ حميدٍ، قال: ثنا جريرٌ، عن منصورٍ، عن إبراهيمَ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ﴾. قال: لا تَطْرُدْهم عن الذكرِ[2].

وقال آخرون: بل كان ذلك تَعَلُّمَهم القرآنَ وقراءتَه.

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى المُثَنَّى، قال: ثنا إسحاقُ، قال: ثنا وكيعٌ، عن إسرائيلَ، عن جابرٍ، عن أبى جعفرٍ قولَه: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ﴾. قال: كان يُقْرِئُهم القرآنَ، [3]مَن الذى يَقُصُّ على[3] النبيِّ ﷺ[4]؟!

وقال آخرون: بل عَنَى بدعائِهم ربَّهم عبادتَهم إياه.

ذكرُ مَن قال ذلك

حُدِّثْتُ عن الحسينِ، قال: سمِعتُ أبا مُعاذٍ، قال: ثنا عُبيدُ بنُ سليمانَ، قال: سمِعتُ الضحاكَ يقولُ فى قولِه: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ﴾. قال: يعنى:

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٩٨/٤ (٧٣٣٤) من طريق وكيع، عن سفيان، عن مغيرة عن إبراهيم، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٤/٣ إلى ابن أبى شيبة وابن المنذر وأبى الشيخ.

(٢) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٨٧٩ - تفسير) من طريق جرير به.

(٣ - ٣) سقط من: م.

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٩٨/٤ (٧٣٣٥) من طريق إسرائيل به بنحوه.

يَعْبُدون، أَلَا تَرَى أنه قال: ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ﴾ [غافر: ٤٣]. يعنى: تَعْبُدون[1].

والصوابُ مِن القولِ فى ذلك أن يقالَ: إن اللَّهَ تعالى ذكرُه نَهَى نبيَّه محمدًا ﷺ أن يَطْرُدَ قومًا كانوا يَدْعُون ربَّهم بالغداةِ والعشىِّ. والدعاءُ للَّهِ يكونُ بذكرِه وتمجيدِه والثناءِ عليه قولًا وكلامًا، وقد يكونُ بالعملِ له بالجوارحِ الأعمالَ التى كان عليهم فرْضُها، وغيرَها مِن النوافلِ التى تُرْضَى، والعاملُ له عابدُه بما هو عاملٌ له، وقد يجوزُ أن يكونَ القومُ كانوا جامِعِين هذه المعانىَ كلَّها، فوصَفَهم اللَّهُ بذلك، بأنهم يَدْعُونه بالغداةِ والعشىِّ؛ لأن اللَّهَ قد سَمَّى العبادةَ دعاءً، فقال تعالى ذكرُه: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ / أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ [١/٧٥٨و] يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠]. وقد يَجوزُ أن يَكونَ ذلك على خاصٍّ مِن الدعاءِ. ٢٠٦/٧

ولا قولَ أولى بذلك بالصحةِ مِن وصْفِ القومِ بما وصَفَهم اللَّهُ به، مِن أنهم كانوا يَدْعُون ربَّهم بالغَداةِ والعَشِىِّ، فيُعَمُّون بالصفةِ التى وصَفَهم بها ربُّهم، ولا يُخَصُّون منها بشىءٍ دونَ شىءٍ.

فتأويلُ الكلامِ إذن: يا محمدُ، أَنْذِرْ بالقرآنِ الذى أنْزَلْتُه إليك، الذين يَعْلَمون أنهم إلى ربِّهم مَحْشُورون، فهم مِن خوفِ وُرودِهم على اللَّهِ الذى لا شَفيعَ لهم مِن دونِه ولا نَصيرَ، فى العملِ له دائمون، إذ أَعْرَض عن إنذارِك واستماعِ ما أنْزَل اللَّهُ عليك المُكذِّبون باللَّهِ واليومِ الآخرِ مِن قومِك؛ استِكبارًا على اللَّهِ. ولا تَطْرُدْهم ولا تُقْصِهم فتَكونَ ممَّن وضَع الإقْصاءَ فى غيرِ موضعِه، فأقْصَى وطرَد مَن لم يَكُنْ له طردُه وإقْصاؤُه، وقرَّب مَن لم يَكُنْ له تقديمُه بقُرْبِه وإدْناؤُه، فإن الذين نَهَيْتُك عن

---

(١) ينظر البحر المحيط ١٣٦/٤، والآية المذكورة لا يستقيم بها الاستدلال، ولعله أراد الآية (٦٦) من سورة غافر: ﴿ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾.

طردِهم هم الذين يَدْعُون ربَّهم ، فيَسْأَلون عفوَه ومغفرتَه بصالحِ أعمالِهم ، وأداءِ ما أَلْزَمهم مِن فَرائضِه ونوافلِ تطوُّعِهم ، وذكْرِهم إياه بألسنتِهم بالغَداةِ والعشيِّ ، يَلْتَمِسون بذلك القُرْبةَ إلى اللهِ والدنوَّ مِن رِضاه ، ﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾ . يقولُ : ما عليك مِن حسابِ ما رزَقْتُهم مِن الرزقِ مِن شيءٍ ، وما عليهم مِن حسابِ ما رزَقْتُك مِن الرزقِ مِن شيءٍ ﴿ فَتَطْرُدَهُمْ ﴾ حِذارَ مُحاسَبتى إياك بما خوَّلْتُهم فى الدنيا مِن الرزقِ .

وقولُه : ﴿ فَتَطْرُدَهُمْ ﴾ . جوابٌ لقولِه : ﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ ﴾ .

وقولُه : ﴿ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ جوابٌ لقولِه : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم ﴾ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ (٥٣) ﴾ .

يعنى تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾ : وكذلك اخْتبَرْنا وابْتَلَيْنا .

كالذى **حدَّثنا** محمدُ بنُ عبدِ الأعْلَى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثَوْرٍ ، عن معمرٍ ، **وحدَّثنا** الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أَخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أَخْبَرَنا معمرٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾ يقولُ : ابْتَلَينا بعضَهم ببعضٍ[(١)] .

وقد دلَّلْنا فيما مضَى مِن كتابِنا هذا على معنى « الفتنةِ » ، وأنها الاخْتبارُ والابْتلاءُ ، بما أغْنَى عن إعادتِه فى هذا الموضعِ[(٢)] .

---

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ٢٠٨، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/ ١٤ إلى ابن المنذر وأبى الشيخ .

(٢) ينظر ما تقدم فى ٢/ ٣٥٦، ٣٥٧ .

وإنما فتنةُ اللَّهِ تعالى ذكرُه بعضَ خلقِه ببعضٍ مخالفتُه بينَهم فيما قسَم لهم مِن الأرزاقِ والأخلاقِ ، فجعَل بعضًا غنيًّا وبعضًا فقيرًا ، وبعضًا قويًّا وبعضًا ضعيفًا ، فأحْوَجَ بعضَهم إلى بعضٍ ؛ اختبارًا منه لهم بذلك .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال جماعةٌ مِن أهلِ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

/ حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن عليِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾ : يعنى أنه جعَل بعضَهم أغنياءَ وبعضَهم فقراءَ ، فقال الأغنياءُ للفقراءِ : ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ﴾ . يعنى : هداهم اللَّهُ . وإنما قالوا ذلك استهزاءً وسخريًّا[1] . ٢٠٧/٧

وأما قولُه : ﴿ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : اختبَرْنا الناسَ بالغنى والفقرِ ، والعزِّ والذُّلِّ ، والقوةِ والضعفِ ، والهدى والضلالِ ؛ كى يَقولَ مَن أضلَّه اللَّهُ وأعماه عن سبيلِ الحقِّ للذين هداهم اللَّهُ ووفَّقهم : ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم ﴾ بالهُدَى والرُّشْدِ ، وهم فقراءُ ضعفاءُ أذلاءُ ، ﴿ مِّنۢ بَيْنِنَآ ﴾ ، ونحن أغنياءُ أقوياءُ ؟ استِهزاءً بهم ، مَعابةً[2] للإسلامِ وأهلِه .

يقولُ تعالى : ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ . وهذا منه تعالى ذكرُه إجابةٌ لهؤلاءِ المشركين الذين أنكَروا أن يَكونَ اللَّهُ هدَى أهلَ المَسْكَنةِ والضعفِ للحقِّ ، وخذَلَهم عنه وهم أغنياءُ ، وتَقْريرٌ لهم : أنا أعْلَمُ بمَن كان مِن خَلْقِى شاكرًا نِعْمتى ،

---

(١) فى م ، س : « سخرية » .

والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٩٩/٤ (٧٣٤١) من طريق أبى صالح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٤/٤ إلى ابن المنذر .

(٢) فى م، ت٢، ت ٣: «معاداة » .

ممَّن هو (١)لها كافرٌ(١)، فمَنِّي على مَن منَنْتُ عليه منهم بالهدايةِ؛ جزاءَ شكرِه إياى على نعمتى، وتَخْذيلى مَن خذَلْتُ منهم عن سبيلِ الرَّشادِ؛ عقوبةَ كُفْرانِه إياى نعمتى - لا لغِنَى الغنىِّ منهم، ولا لفقْرِ الفقيرِ؛ لأن الثوابَ والعقابَ لا يَسْتَحِقُّه أحدٌ إلا جزاءً على عملِه الذى اكْتَسَبه، لا على غناه وفقرِه؛ لأن الغِنَى والفقرَ، والعجزَ والقوةَ، ليس مِن أفعالِ خلقى.

القولُ فى تأويلِ قولِه: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾.

اختَلَف أهلُ التأويلِ فى الذين عنَى اللَّهُ تعالى ذكرُه بهذه الآيةِ؛ فقال بعضُهم: عنَى بها الذين نهَى اللَّهُ نبيَّه عن طردِهم. وقد مضَت الروايةُ بذلك عن قائليه.

وقال آخرون: عنَى بها قومًا استَفْتَوُا النبىَّ ﷺ فى ذنوبٍ أصابوها عظامٍ، فلم يُؤَيِّسْهم اللَّهُ مِن التوبةِ.

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ، قال: ثنا يحيى بنُ سعيدٍ، قال: ثنا سفيانُ، عن مُجَمِّعٍ، قال: سمِعْتُ ماهانَ، قال: جاء قومٌ إلى النبىِّ ﷺ قد أصابوا ذنوبًا عظامًا، قال ماهانُ: فما إخالُه ردَّ عليهم شيئًا. قال: فأنزَل اللَّهُ هذه الآيةَ: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ الآية(٢).

حدَّثنا هنادٌ، قال: ثنا قَبيصةُ، عن سفيانَ، عن مُجَمِّعٍ، عن ماهانَ، أن قومًا

(١ - ١) فى ص، ت١، ت٢، ت٣: «له كافرا».

(٢) تفسير سفيان ص١٠٧، ١٠٨، وأخرجه مسدد فى مسنده - كما فى المطالب العالية (٣٩٧٣) - من طريق يحيى بن سعيد به، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٤/٣ إلى الفريابى وعبد بن حميد وابن المنذر وأبى الشيخ.

جاءوا إلى النبيِّ ﷺ ، فقالوا : يا محمدُ ، إنا أصَبْنا ذنوبًا عظامًا . فما إخالُه ردَّ عليهم شيئًا ، فانْصرَفوا ، فأنزَل اللَّهُ تعالى ذكرُه : ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ . قال : فدعاهم ، فقرَأها عليهم .

/ حدَّثنا المثنى ، قال : ثنا أبو نُعَيْمٍ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن مُجَمِّعٍ التَّميميِّ ، قال : سَمِعْتُ ماهانَ يقولُ [١/٧٥٨ظ] . فذكَر نحوَه[1] . ٢٠٨/٧

وقال آخَرون : بل عُنِى بها قومٌ مِن المؤمنين كانوا أشاروا على النبيِّ ﷺ بطردِ القومِ الذين نهاه اللَّهُ عن طردِهم ، فكان ذلك منهم خَطيئةً ، فغفَرها اللَّهُ لهم ، وعفا عنهم ، وأمَر نبيَّه ﷺ إذا أتَوْه أن يُبَشِّرَهم بأن قد غفَر لهم خَطيئتَهم التي سلَفَت منهم بمَشُورتِهم على النبيِّ ﷺ بطردِ القومِ الذين أشاروا عليه بطردِهم . وذلك قولُ عكرمةَ وعبدِ الرحمنِ بنِ زيدٍ ، وقد ذكَرْنا الروايةَ عنهما بذلك قبلُ .

وأولى الأقوالِ فى ذلك عندى بتأويلِ الآيةِ قولُ مَن قال : المعنيُّون بقولِه : ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ﴾ . غيرُ الذين نهَى اللَّهُ النبيَّ ﷺ عن طردِهم ؛ لأن قولَه : ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ خبرٌ مُسْتأْنَفٌ بعدَ تَقَضِّى الخبرِ عن الذين نهَى اللَّهُ نبيَّه ﷺ عن طردِهم ، ولو كانوا هم لقيل : وإذا جاءوك فقلْ : سلامٌ عليكم . وفى ابتداءِ اللَّهِ الخبرَ عن قصةِ هؤلاء وتركِه وَصْلَ الكلامِ بالخبرِ عن الأوَّلين ما يُنْبِئُ عن أنهم غيرُهم .

فتأويلُ الكلامِ[2] إذ كان الأمرُ على ما وصَفْنا : وإذا جاءك يا محمدُ القومُ الذين يُصَدِّقون بتنزيلِنا وأدلتِنا وحُجَجِنا ، فيُقِرُّون بذلك قولًا وعملًا ، مُسْتَرْشِدِيك عن ذنوبِهم التي سلَفَت منهم بينى وبينَهم ، هل لهم منها توبةٌ ؟ فلا تُؤَيِّسْهم منها ، وقل

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٣٠٠ (٧٣٤٥) من طريق أبى نعيم به .

(٢) بعده فى س : « إذن » .

لهم : ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ﴾ أَمَنَةُ اللهِ لكم مِن ذنوبِكم ، أن يُعاقِبَكم عليها بعدَ توبتِكم منها ، ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ . يقولُ : قضَى ربُّكم الرحمةَ بخلقِه ﴿ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

واختَلَفت القرأةُ فى قراءةِ ذلك ؛ فقرأتْه عامَّةُ قرأةِ المَدَنيِّين : (أنه من عمِل منكم سوءًا) . فيَجعَلون « أنَّ » منصوبةً على الترجمةِ بها عن « الرحمةِ » ، (ثم تاب مِن بعدِه وأصْلَح فإنه غفورٌ رحيمٌ)[1] . على ائْتِنافِ « إنه » بعدَ الفاءِ ، فيَكْسِرونها ويَجْعَلونها أداةً لا موضعَ لها ، بمعنى : فهو له غفورٌ رحيمٌ ، أو : فله المغفرةُ والرحمةُ .

وقرَأهما بعضُ الكوفيِّين بفتحِ الألفِ منهما جميعًا ، بمعنى : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ ثم ترْجَم بقولِه : ﴿ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ﴾ . عن الرحمةِ ، ﴿ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[2] . فيَعْطِفُ بـ « أنه » الثانيةِ ، على « أنه » الأولى ، ويَجْعَلُهما اسمين منصوبين على ما بيَّنْتُ .

وقرَأ ذلك بعضُ المكيِّين وعامةُ قرأةِ أهلِ العراقِ مِن الكوفةِ والبصرةِ ، بكسرِ الألفِ مِن « إنه » و « إنه » على الابْتداءِ ، وعلى أنهما أداتان لا موضعَ لهما[3] .

وأولى القراءاتِ فى ذلك عندى بالصوابِ قراءةُ مَن قرَأهما بالكسرِ : (كتب ربُّكم على نفسِه الرحمةَ إنه) على ابتداءِ الكلامِ ، وأن الخبرَ قد انْتَهى عندَ قولِه : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ ، ثم اسْتُؤْنِف الخبرُ عما هو فاعلٌ تعالى ذكرُه بمَن عمِل سوءًا بجَهالةٍ ثم تاب وأصْلَح منه .

---

(١) وهى قراءة نافع وأبى جعفر . ينظر النشر ٢/ ١٩٤.

(٢) وهى قراءة عاصم وابن عامر ويعقوب . المصدر السابق .

(٣) وهى قراءة ابن كثير وأبى عمرو وحمزة والكسائى وخلف . المصدر السابق .

ومعنى قولِه : ﴿ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ﴾ : أنه مَن اقْتَرَف منكم ذنبًا ، فجهِل باقْتِرافِه إياه ، ثم تاب / وأصْلَح ﴿ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ ﴾ لذنبِه إذا تاب وأناب ، وراجَع العملَ بطاعةِ اللَّهِ ، وترَك العَوْدَ إلى مثلِه مع الندمِ على ما فرَط منه ﴿ رَّحِيمٌ ﴾ بالتائبِ أن يُعاقِبَه على ذنبِه بعدَ توبتِه منه . ٢٠٩/٧

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال جماعةٌ مِن أهلِ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبو خالدٍ الأحمرُ ، عن عثمانَ ، عن مجاهدٍ : ﴿ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ﴾ . قال : مَن جهِل أنه لا يَعْلَمُ حلالًا مِن حرامٍ ، ومِن جَهالتِه ركِب الأمرَ[(١)] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبو خالدٍ ، عن جُوَيْبرٍ ، عن الضحاكِ مثلَه .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا جَريرٌ ، عن ليثٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ﴾ [النساء: ١٧] . قال : مَن عمِل بمعصيةِ اللَّهِ ، فذاك منه جهلٌ حتى يَرْجِعَ[(٢)] .

حدَّثنى الحارثُ ، قال : ثنا عبدُ العزيزِ ، قال : ثنا بكرُ بنُ خُنَيْسٍ ، عن ليثٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ﴾ . قال : كلُّ مَن عمِل بخطيئةٍ فهو بها جاهلٌ .

حدَّثنى الحارثُ ، قال : ثنا عبدُ العزيزِ ، قال : ثنا خالدُ بنُ دينارٍ أبو خَلْدةَ ، قال : كنا إذا دخَلْنا على أبى العاليةِ قال : ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٠١/٤ (٧٣٤٧) من طريق أبى خالد به بنحوه .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٠١/٤ (٧٣٤٨) من طريق ابن أبى نجيح ، عن مجاهد بنحوه .

عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾(١) .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ .

يعنى تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ ﴾ : وكما فصَّلْنا لك فى هذه السورةِ مِن ابتدائِها وفاتحتِها يا محمدُ إلى هذا الموضعِ ، حجتَنا على المشركين مِن عَبَدةِ الأوثانِ ، وأدلتَنا ، وميَّزْناها لك وبيَّناها ، كذلك نُفَصِّلُ لك أعلامَنا وأدلتَنا فى كلِّ حقٍّ يُنْكِرُه أهلُ الباطلِ مِن سائرِ أهلِ المللِ غيرِهم ، فنُبَيِّنُها لك حتى يَتَبَيَّنَ حقُّه مِن باطلِه ، وصَحيحُه مِن سَقيمِه .

واختلَفت القرأةُ فى قراءةِ قولِه : ﴿ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ ؛ فقرَأ ذلك عامةُ قرأةِ أهلِ المدينةِ : (ولتَسْتَبِينَ) بالتاءِ (سَبِيلَ المجرِمين)(٢) بنصبِ « السبيلِ » ، على أنَّ « تَستبين » خطابٌ للنبيِّ ﷺ ، كأن معناه عندَهم : ولِتَسْتَبِينَ أنت يا محمدُ سبيلَ المجرمين .

وكان ابنُ زيدٍ يَتَأَوَّلُ ذلك : ولِتَسْتَبِينَ أنت يا محمدُ سبيلَ المجرمين الذين سألوك طَرْدَ النفرِ الذين سألوه طردَهم عنه مِن أصحابِه .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : (ولِتَسْتَبِينَ سبيلَ المُجْرِمين) . قال : الذين يَأْمُرُونك بطردِ هؤلاءِ(٣) .

وقرَأ ذلك بعضُ المكِّيِّين وبعضُ البصريين : ﴿ وَلِتَسْتَبِينَ ﴾ بالتاءِ ﴿ سَبِيلُ

(١) أخرجه أبو نعيم فى الحلية ٢/ ٢٢١، وابن عساكر فى تاريخه ١٨/ ١٨٥ من طريق أبى خلدة به .
(٢) وهى قراءة نافع وأبى جعفر . ينظر النشر ٢/ ١٩٤ .
(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/ ١٣٠٢ (٧٣٥٧) من طريق أصبغ ، عن ابن زيد .

ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾[1] برفعِ « السبيلِ » على أن القصدَ للسبيلِ ، ولكنه يُؤَنِّثُها ، وكأن معنى الكلامِ عندَهم : وكذلك نُفَصِّلُ الآياتِ ولِتَتَّضِحَ لك وللمؤمنين طريقُ المجرمين .

وقرَأ ذلك عامةُ قرأةِ أهلِ الكوفةِ : / (وليَسْتَبِينَ) بالياءِ (سبيلُ المجْرِمين)[2] ٢١٠/٧ برفعِ « السبيلِ » ، على أن الفعلَ للسبيلِ ، ولكنهم يُذَكِّرونه ، [١/٧٥٩و] ومعنى هؤلاء فى هذا الكلامِ ، ومعنى مَن قرَأ ذلك بالتاءِ فى : ﴿ وَلِتَسْتَبِينَ ﴾ ، ورفَع السبيلَ ، واحدٌ ، وإنما الاختلافُ بينَهم فى تذكيرِ السبيلِ وتأنيثِها .

وأولى القراءتين بالصوابِ عندى فى « السبيلِ » الرفعُ ؛ لأن اللَّهَ تعالى ذكرُه فصَّل آياتِه فى كتابِه وتنزيلِه ليَتَبَيَّنَ الحقُّ بها مِن الباطلِ جميعُ مَن خُوطِب بها ، لا بعضٌ دونَ بعضٍ .

ومَن قرَأ « السبيلَ » بالنصبِ ، فإنما جعَل تَبْيِينَ ذلك مخصورًا على النبىِّ ﷺ .

وأما القراءةُ فى قولِه : ﴿ وَلِتَسْتَبِينَ ﴾ فسواءٌ قُرِئَت بالتاءِ أو بالياءِ ؛ لأن مِن العربِ مَن يُذَكِّرُ « السبيلَ » ، وهى تميمٌ وأهلُ نجدٍ ، ومنهم مَن يُؤَنِّثُ « السبيلَ » ، وهم أهلُ الحجازِ ، وهما قراءتان مُسْتَفِيضتان فى قرأةِ الأمصارِ ، ولغتان مشهورتان مِن لغاتِ العربِ ، وليس فى قراءةِ ذلك بإحداهما خلافٌ لقراءتِه بالأُخرى ، ولا وجهَ لاختيارِ إحداهما على الأُخرى بعدَ أن يُرْفَعَ « السبيلُ » ؛ للعلةِ التى ذكَرْنا .

وبنحوِ الذى قلنا فى تأويلِ قولِه : ﴿ نُفَصِّلُ ٱلْآيَـٰتِ ﴾ . قال أهلُ التأويلِ .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرَنا معمرٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَـٰتِ ﴾ : نُبَيِّنُ الآياتِ[3] .

---

(١) وهى قراءة ابن كثير ، وحفص عن عاصم ، وأبى عمرو وابن عامر ويعقوب . ينظر النشر ٢/ ١٩٤.

(٢) وهى قراءة حمزة والكسائى وأبى بكر عن عاصم ، وخلف . النشر ٢/ ١٩٤.

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/ ٢١٧.

حدَّثني يونُسُ ، قال : أخبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في : ﴿ نُفَصِّلُ ٱلْآيَـٰتِ ﴾ : نُبيِّنُ .

القولُ في تأويلِ قولِه : ﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : قلْ يا محمدُ لهؤلاء المشركين بربِّهم مِن قومِك ، العادِلين به الأوثانَ والأندادَ الذين يَدْعُونك إلى موافقتِهم على دينِهم ، وعبادةِ الأوثانِ - : إن اللَّهَ نهاني أن أَعْبُدَ الذين تَدْعُون مِن دونِه ، فلن أَتَّبِعَكم على ما تَدْعُونني إليه مِن ذلك ، ولا أُوافِقَكم عليه ، ولا أُعْطِيَكم محبَّتَكم وهواكم فيه ، وإن فعَلْتُ ذلك فقد ترَكْتُ مَحَجَّةَ الحقِّ ، وسلَكْتُ على غيرِ الهُدَى ، فصِرْتُ ضالًّا مثلَكم على غيرِ استقامةٍ .

وللعربِ في « ضَلَلْتُ » لغتان ؛ فتحُ اللامِ وكسرُها ، واللغةُ الفصيحةُ المشهورةُ هي فتحُها ، وبها قرَأ عامةُ قرأةِ الأمصارِ ، وبها نَقْرَأُ ؛ لشهرتِها في العربِ ، وأما الكسرُ فليس بالغالبِ في كلامِها ، والقرأةُ بها قليلون[1] ، فمَن قال : « ضَلَلْتُ » قال : أَضِلُّ . ومَن قال : « ضلِلْتُ » قال في المستقبلِ : أَضَلُّ . وكذلك القراءةُ عندَنا في سائرِ القرآنِ ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا ﴾ [السجدة : ١٠] بفتحِ اللامِ .

القولُ في تأويلِ قولِه : ﴿ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَـٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ .

٢١١/٧ يقولُ / تعالى ذكرُه لنبيِّه ﷺ : ﴿ قُلْ ﴾ يا محمدُ لهؤلاء العادِلين بربِّهم ، الداعِين لك إلى الإشراكِ بربِّك : ﴿ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي ﴾ أي : إني على بيانٍ قد تبيَّنْتُه ، وبرهانٍ قد وضَح لي ﴿ مِّن رَّبِّي ﴾ . يقولُ : مِن توحيدِه[2] ، وما أنا عليه مِن

---

(١) وهي قراءة شاذة ، قرأ بها السلمي وابن وثاب وطلحة . البحر المحيط ٤/ ١٤٢.

(٢) في ص، ت١، ت٢، ت٣، س : « توحيدي » .

إخلاصِ عبودتِه مِن غيرِ إشراكِ شيءٍ به .

وكذلك تقولُ العربُ : فلانٌ على بينةٍ من هذا الأمرِ . إذا كان على بيانٍ منه ، ومن ذلك قولُ الشاعرِ (١) :

أَبَيِّنةً تَبْغُون بعدَ اعترافِهِ وقولِ سُوَيْدٍ قد كفَيْتُكُمْ بِشْرَا

﴿ وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ﴾ . يقولُ : وكذَّبْتُم أنتم بربِّكم . والهاءُ في قولِه : ﴿ به ﴾ (٢) مِن ذكرِ الربِّ جلّ وعزّ . ﴿ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ ﴾ . يقولُ : ما الذى تَستَعْجِلون مِن نِقَمِ اللَّهِ وعذابِه بيدى ، ولا أنا على ذلك بقادرٍ . وذلك أنهم قالوا حينَ بعَث اللَّهُ نبيَّه محمدًا ﷺ بتوحيدِه ، فدعاهم إلى اللَّهِ ، وأخبَرَهم أنه رسولُه إليهم : ﴿ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣] . وقالوا للقرآنِ : هو أضْغاثُ أحلامٍ . وقال بعضُهم : بل هو اخْتِلاقٌ اخْتَلَقَه . وقال آخرون : بل محمدٌ شاعرٌ ، فلْيَأْتِنا بآيةٍ كما أُرْسِل الأوَّلون . فقال اللَّهُ لنبيِّه ﷺ : أَجِبْهم بأن الآياتِ بيدِ اللَّهِ لا بيدِك ، وإنما أنت رسولٌ ، وليس عليك إلا البلاغُ لمَا أُرْسِلْتَ به ، وأن اللَّهَ يَقْضِى الحقَّ فيهم وفيك ، ويفصِلُ به بينَك وبينَهم ، فيَتَبَيَّنُ المُحِقُّ منكم والمُبْطِلُ ، ﴿ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴾ . أىْ : وهو خيرُ مَن بيَّنَ وميَّز بينَ المُحِقِّ والمُبْطِلِ ، وأعْدلُهم ؛ لأنه لا يَقَعُ فى حكمِه وقَضائِه حَيْفٌ إلى أحدٍ ، لوسيلةٍ له إليه ، ولا لقرابةٍ ولا مُناسبةٍ ، ولا فى قضائِه جَوْرٌ ؛ لأنه لا يَأْخُذُ الرِّشْوةَ فى الأحكامِ فيَجُورَ ، فهو أعدلُ الحكامِ وخيرُ الفاصِلين .

وقد ذُكِر لنا فى قراءةِ عبدِ اللَّهِ : (وهو أسْرَعُ الفاصِلين) (٣) .

حدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، قال : ثنا شعبةُ ، عن أبى

---

(١) مجاز القرآن ١/ ١٩٣.

(٢) سقط من : م .

(٣) البحر المحيط ٤/ ١٤٣ ، وهى قراءة شاذة لمخالفتها رسم المصحف .

بشرٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ أنه قال : فى قراءةِ عبدِ اللَّهِ : (يَقْضِى الحقَّ وهو أَسْرَعُ الفاصِلِين)[١] .

واختَلَفَت القرأةُ فى قراءةِ قولِه : (يَقْضِى الحقَّ) ؛ فقرَأه عامةُ قرأةِ الحجازِ والمدينةِ وبعضُ قرأةِ أهلِ الكوفةِ والبصرةِ : ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ﴾ ، بالصادِ بمعنى القَصَصِ[٢] . وتأوَّلوا فى ذلك قولَ اللَّهِ تعالى ذكرُه : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾ [يوسف : ٣] . وذُكِر ذلك عن ابنِ عباسٍ .

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : ثنا ابنُ عُيَيْنةَ ، عن عمرِو بنِ دينارٍ ، عن عطاءٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : ﴿ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ﴾ . وقال [١/٧٥٩ظ] : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾[٣] .

وقرَأ ذلك جماعةٌ مِن قرأةِ الكوفةِ والبصرةِ : (إِنِ الحكْمُ إلَّا للَّهِ يَقْضِى الحقَّ) بالضادِ[٤] ، مِن القضاءِ بمعنى الحكمِ والفصلِ بالقَضاءِ ، واعْتَبَروا صحةَ ذلك بقولِه : ﴿ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴾ . وأن الفصلَ بينَ المختلِفِين إنما يكونُ بالقضاءِ لا بالقَصَصِ .

وهذه القراءةُ عندَنا أولى القراءتين بالصوابِ[٥] ؛ لِما ذكَرْنا لأهلِها مِن العلةِ .

٢١١ فمعنى الكلامِ إذن : ما الحكمُ / فيما تَسْتَعْجِلون به أيُّها المشركون مِن عذابِ اللَّهِ ،وفيما بينى وبينَكم ، إلا للَّهِ الذى لا يَجورُ فى حكمِه ، وبيدِه الخلقُ والأمرُ ، يَقْضِى الحقَّ بينى وبينَكم ، وهو خيرُ الفاصِلِين بينَنا بقضائِه وحكمِه .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/١٤ إلى المصنف وابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) وهى قراءة نافع وأبى جعفر وابن كثير وعاصم . النشر ١/ ١٩٤.

(٣) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٨٨٠ - تفسير) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٣٠٣ (٧٣٦٠) من طريق ابن عيينة به .

(٤) وهى قراءة أبى عمرو وابن عامر وحمزة والكسائى وخلف ويعقوب . النشر ١/ ١٩٤.

(٥) القراءتان كلتاهما صواب .

القولُ في تأويلِ قولِه : ﴿ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : قلْ يا محمدُ لهؤلاء العادِلين بربِّهم الآلهةَ والأوثانَ ، المُكَذِّبيك فيما جئتَهم به ، السائِليك أن تأْتِيَهم بآيةٍ ؛ استِعْجالًا منهم بالعذابِ : لو أن بيدى ما تَسْتَعْجِلون به مِن العذابِ ﴿ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ ﴾ ففُصِل ذلك أسرعَ الفَصْلِ بتَعْجِيلى لكم ما تَسْأَلُونى من ذلك وتَسْتَعْجِلونه ، ولكنَّ ذلك بيدِ اللَّهِ ، الذى هو أعلمُ بوقتِ إرسالِه على الظالمين ، الذين يَضَعُون عبادتَهم التى لا تَنْبَغِى أن تَكونَ إلا للَّهِ فى غيرِ موضعِها ، فيَعْبُدُون مِن دونِه الآلهةَ والأصنامَ ، وهو أعلمُ بوقتِ الانتقامِ منهم ، وحالِ القضاءِ بينى وبينَهم .

وقد قيل : معنى قولِه : ﴿ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ ﴾ : الذبحُ للموتِ .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبو خالدٍ الأحمرُ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : بلَغَنى فى قولِه : ﴿ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾ . قال : ذبحُ الموتِ[1] .

وأحسَبُ أن قائلَ هذا النوعِ نزَع لقولِه : ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ ﴾ [مريم : ٣٩] . فإنه رُوِى عن النبىِّ ﷺ فى ذلك قصةٌ تَدُلُّ على معنى ما قاله هذا القائلُ فى قضاءِ الأمرِ[2] . وليس قولُه : ﴿ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ ﴾ مِن ذلك فى شىءٍ ، وإنما هذا أمرٌ مِن اللَّهِ تعالى ذكرُه نبيَّه محمدًا ﷺ أن يَقولَ لمن استَعْجَله فصْلَ القضاءِ بينَه وبينَهم مِن قولِه بآيةٍ يَأْتِيهم بها : لو أن العذابَ والآياتِ بيدى وعندى ، لعاجَلْتُكم بالذى تَسْأَلُونى مِن ذلك ، ولكنه بيدِ مَن هو أعلمُ بما

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٠٣/٤ (٧٣٦٥) من طريق أبى خالد الأحمر به .

(٢) يشير إلى ما رواه البخارى (٤٧٣٠) ومسلم (٢٨٤٩) من حديث أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : « يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار » . ثم ذكر ذبحه .

يُصْلِحُ خلقَه منى ومِن جميعِ خلقِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۚ﴾ .

يقولُ : وَعِنْدَ اللَّهِ مفاتحُ الغيبِ . والمَفاتحُ : جمعُ مِفْتَحٍ ، يقالُ فيه : مِفْتَحٌ ومِفْتاحٌ . فمَن قال : مِفْتَحٌ . جمَعه مَفاتحَ ، ومَن قال : مِفْتاحٌ . جمَعه مَفاتيحَ .

ويعنى بقولِه : ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ : خزائنُ الغيبِ .

كالذى حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المُفَضَّلِ ، قال : ثنا أَسْباطُ ، عن السدىِّ : ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ . قال : يقولُ : خَزائنُ الغيبِ[(١)] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن مِسْعَرٍ ، عن عمرِو بنِ مُرَّةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ سلِمةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، قال : أُعْطِى نبيُّكم[(٢)] كلَّ شىءٍ إلا مَفاتحَ الغيبِ[(٣)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن عطاءٍ الخُراسانىِّ ، عن / ابنِ عباسٍ : ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ . قال : هن خمسٌ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ إلى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[(٤)] [لقمان : ٣٤] .

٢١٣/٧

فتأويلُ الكلامِ إذن : واللَّهُ أعلمُ بالظالمين مِن خلقِه ، وما هم مُسْتَحِقُّوه ، وما هو

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٠٤/٤ (٧٣٦٨) من طريق أحمد بن المفضل به .

(٢) بعده فى ص: « علم » .

(٣) أخرجه أحمد ٢٨٦/٧ (٤٢٥٣) عن وكيع به ، وأخرجه ابن أبى شيبة ٤٧٧/١١ من طريق مسعر به ، وأخرجه الطيالسى (٣٨٥) ، وأحمد ١٧٢/٦، ٢٣٢/٧ (٣٦٥٩، ٤١٦٧) من طريق عمرو بن مرة به .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٥/٣ إلى المصنف وابن المنذر .

بهم صانعٌ ، فإن عندَه علمَ ما غاب علمُه عن خلقِه ، فلم يَطَّلِعُوا عليه ولم يُدْرِكوه ولم يَعْلَموه ، ولن[1] يُدْرِكوه ، ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ . يقولُ : وعندَه علمُ ما لم يَغِبْ أيضًا عنكم ؛ لأن ما فى البرِّ والبحرِ مما هو ظاهرٌ للعينِ يَعْلَمُه العبادُ .

فكأن معنى الكلامِ : وعندَ اللَّهِ علمُ ما غاب عنكم أيُّها الناسُ مما لا تَعْلَمونه ولن تَعلَموه مما اسْتَأْثرَ بعلْمِه نفسَه ، ويَعْلَمُ أيضًا مع ذلك جميعَ ما يَعْلَمُه جميعُكم ، لا يَخْفَى عليه شىءٌ ؛ لأنه لا شىءَ إلا ما يَخْفَى عن الناسِ ، أو ما لا يَخْفَى عليهم ، فأخْبَرَ تعالى ذكرُه أن عندَه علمَ كلِّ شىءٍ كان ويَكونُ ، وما هو كائنٌ مما لم يَكُنْ بعدُ ، وذلك هو الغيبُ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : ولا تَسْقُطُ ورقةٌ فى الصَّحارِى والبَرارِىِّ ، ولا فى الأمصارِ والقُرَى ، إلا اللَّهُ يَعْلَمُها ، ﴿ وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ . يقولُ : ولا شىءَ أيضًا مما هو موجودٌ ، أو مما سيُوجَدُ ولم يُوجَدْ بعدُ ، إلا وهو مُثْبَتٌ فى اللَّوْحِ المحفوظِ ، مكتوبٌ ذلك فيه ، ومرسومٌ عددُه ومَبْلَغُه ، والوقتُ الذى يُوجَدُ فيه ، والحالُ التى يَفْنَى فيها .

ويعنى بقولِه : ﴿ مُّبِينٍ ﴾ . أنه يُبِينُ عن صحةِ ما هو فيه بوُجودِ ما رُسِم فيه على ما رُسِم .

فإن قال قائلٌ : وما وجهُ إثباتِه فى اللوحِ المحفوظِ والكتابِ المبينِ ما لا يَخْفَى عليه ، وهو بجميعِه عالمٌ لا يَخافُ نسيانَه ؟

---

(١) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س : « لا » .

قيل له : للَّهِ تعالى فعلُ ما شاء ، وجائزٌ أن يَكونَ كان ذلك [١/٧٦٠و] منه امْتحانًا منه لحفَظَتِه ، واختبارًا للمُوَكَّلين بكتابةِ أعمالِهم ، فإنهم فيما ذُكِر مَأْمورون بكتابةِ أعمالِ العبادِ ، ثم بعرضِها على ما أثبَتَه اللَّهُ مِن ذلك فى اللوحِ المحفوظِ ، حتى أَثْبَت فيه ما أَثْبَت كلَّ يومٍ . وقيل : إن ذلك معنى قولِه : ﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجاثية : ٢٩] . وجائزٌ أن يَكونَ ذلك لغيرِ ذلك ، مما هو أعلمُ به ، إما بحُجةٍ يَحتَجُّ بها على بعضِ ملائكتِه ، وإما على بنى آدمَ ، وغيرِ ذلك .

وقد حدَّثنى زيادُ بنُ يحيى [(١)] الحَسَّانىُّ أبو الخطابِ ، قال : ثنا مالكُ بنُ سُعَيرٍ ، قال : ثنا الأعمشُ ، عن يزيدَ بنِ أبى زِيادٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الحارثِ ، قال : ما فى الأرضِ مِن شجرةٍ ولا كمَغْرِزِ إبرةٍ ، إلا عليها ملكٌ مُوَكَّلٌ بها ، يأْتى اللَّهَ بعلمِها [(٢)] ؛ يُبْسِها إذا يَبِسَت ، ورُطوبتِها إذا رَطِبَت [(٣)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَهُوَ الَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِالَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ﴾ .

٧/٢١٤ /يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه ﷺ : وقلْ لهم يا محمدُ : واللَّهُ أعلمُ بالظالمين ، واللَّهُ هو الذى يَتَوَفَّى أرْواحَكم بالليلِ ، فيَقبِضُها مِن أجسادِكم ، ﴿ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ﴾ . يقولُ : ويَعْلَمُ ما كسَبْتُم مِن الأعمالِ بالنهارِ .

ومعنى « التَّوَفِّى » فى كلامِ العربِ اسْتيفاءُ العددِ ، كما قال الشاعرُ [(٤)] :

---

(١) فى ص، ت١، س: « عبد الله » . وينظر تهذيب الكمال ٥٢٣/٩، والأنساب ٢١٧/٢.

(٢) فى م : « يعلمه » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٠٤/٤ (٧٣٧١) من طريق مالك به ، وأخرجه ابن أبى شيبة ١٩/١٤، وأبو الشيخ فى العظمة (٣٢٨) من طريق الأعمش به .

(٤) هو منظور الوبرى ، والرجز فى تهذيب اللغة ٥٨٥/١٥، واللسان (و ف ى) .

إن بنى الأَدْرمِ[١] ليسوا مِن أَحَدْ

ولا تَوَفَّاهم قُرَيشٌ فى العَدَدْ

بمعنى : لم تُدْخِلْهم قريشٌ فى العددِ .

وأما الاجْتِراحُ عندَ العربِ فهو عملُ الرجلِ بيدِه أو رجلِه أو فمِه ، وهى الجوارحُ عندَهم ، جوارحُ البدنِ فيما ذُكِر عنهم ، ثم يُقالُ لكلِّ مُكْتَسِبٍ عملًا : جارحٌ ؛ لاستعمالِ العربِ ذلك فى هذه الجوارحِ ، ثم كثُر ذلك فى الكلامِ ، حتى قيل لكلِّ مُكْتَسِبٍ كَسْبًا ، بأىِّ أعضاءِ جسمِه اكْتَسَب : مُجْتَرِحٌ .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ﴾ : أما ﴿ يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ ﴾ ففى النومِ ، وأما ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ﴾ . فيقولُ : ما اكْتَسَبْتُم مِن الإثمِ .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ﴾ : يعنى : ما اكْتَسَبْتُم مِن الإثمِ[٢] .

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثَوْرٍ ، قال : ثنا معمرٌ ، عن

---

(١) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س : «الأدم» ، وفى م، واللسان : «الأدرد» والصواب ما أثبتناه من تهذيب اللغة . وبنو الأدرم حى من قريش . اللسان (د ر م) .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٣٠٥ (٧٣٧٦) من طريق عبد الله بن صالح به .

قتادةَ : ﴿ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ﴾ . قال : ما عمِلْتم بالنهارِ .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا معمرٌ ، عن قتادةَ مثلَه[١] .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ ﴾ : يعنى بذلك نومَهم ، ﴿ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ﴾ ، أى : ما عمِلْتم مِن ذنبٍ فهو يَعْلَمُه ، لا يَخْفَى عليه شىءٌ مِن ذلك .

حدَّثنا المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ﴾ . قال : أما وفاتُه إياهم بالليلِ فمنامُهم ، وأما ﴿ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ﴾ فيقولُ : ما اكْتَسَبتم بالنهارِ[٢] .

وهذا الكلامُ وإن كان خبرًا مِن اللَّهِ تعالى ذكرُه عن قدرتِه وعلمِه ، فإن فيه احتجاجًا على المشركين به الذين كانوا يُنْكِرون قدرتَه على إحيائِهم بعدَ مماتِهم ، وبعثِهم بعدَ فنائِهم ، فقال تعالى ذكرُه مُحتجًّا عليهم : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى / يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ . يقولُ : فالذى يَقْبِضُ أرواحَكم بالليلِ ، ويَبْعَثُكم فى النهارِ لتَبلُغوا أجلًا مُسمًّى ، وأنتم ترَوْن ذلك وتَعْلَمون صحتَه ، غيرُ مُنْكَرٍ له القدرةُ على قبضِ أرْواحِكم وإفنائِكم ، ثم ردِّها إلى أجسادِكم وإنشائِكم بعدَ مماتِكم ، فإن ذلك نظيرُ ما تُعاينون وتُشاهِدون ، وغيرُ مُنْكَرٍ لمن قدَر على ما تُعاينون مِن ذلك ، القدرةُ على ما لم تُعاينوه ، وإن الذى لم ترَوْه

٢١٥/٧

(١) تفسير عبد الرزاق ٢٠٨/١، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٠٦/٤ (٧٣٧٧) عن الحسن بن يحيى به مختصرًا ، وذكر باقيه معلقًا عقب الأثر (٧٣٧٦، ٧٣٧٨) . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٦/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبى الشيخ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٠٥/٤ (٧٣٧٥) من طريق أبى حذيفة به ، دون آخره ، فقد علقه عقب الأثر (٧٣٧٦) .

ولم تُعاينوه مِن ذلك ، شبيهُ ما رأيْتُم وعايَنْتُم .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : ﴿ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ ﴾ : يُثيرُكم ويُوقِظُكم مِن مَنامِكم ، ﴿ فِيهِ ﴾ . يعنى : فى النهارِ . والهاءُ التى فى[1] ﴿ فِيهِ ﴾ راجعةٌ على النهارِ . ﴿ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ . يقولُ : ليَقْضِىَ اللَّهُ الأجلَ الذى سماه لحياتِكم ، وذلك الموتُ ، فيَبْلُغُ مدتَه ونهايتَه ، ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ﴾ . يقولُ : ثم إلى اللَّهِ مَعادُكم ومَصيرُكم ، ﴿ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ . يقولُ : ثم يُخْبِرُكم بما كنتم تَعْمَلون فى حياتِكم الدنيا ، ثم يُجازِيكم بذلك ، إن خيرًا فخيرًا ، وإن شرًّا فشرًّا .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ : ﴿ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ ﴾ . قال : فى النهارِ[2] .

[١/٧٦٠ظ] **حدَّثنا** محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثورٍ ، قال : ثنا معمرٌ ، عن قتادةَ : ﴿ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ ﴾ : فى النهارِ ، والبعثُ اليَقَظةُ .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن قتادةَ مثلَه[3] .

حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن

---

(١) زيادة يقتضيها السياق .

(٢) تفسير مجاهد ص ٣٢٣.

(٣) تفسير عبد الرزاق ٢٠٨/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٠٦/٤ (٧٣٧٧) عن الحسن بن يحيى به.

السدىّ : ﴿ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ ﴾ . قال : (١) فى النهارِ (١) .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : قال عبدُ اللَّهِ بنُ كَثيرٍ : ﴿ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ ﴾ . قال : يَبْعَثُكم فى المنامِ .

﴿ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ : وذلك الموتُ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ : وهو الموتُ (٢) .

حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ مفضلٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ : ﴿ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ . قال : هو أجلُ الحياةِ إلى الموتِ .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : قال عبدُ اللَّهِ بنُ كثيرٍ : ﴿ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ . قال: مدَّتُهم (٣) .

٢١٦/٧ / القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ (٦١) ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ ﴾ : واللَّهُ الغالبُ خلقَه ، العالى عليهم بقدرتِه ، لا المقهورُ مِن أوثانِهم وأصنامِهم ، المذلَّلُ المَعْلوُّ (٤) عليه لذلَّتِه .

(١ - ١) فى ص، ت٢، ت٣، س : « بالنهار » .

والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٠٦/٤ عقب الأثر (٧٣٧٨) من طريق عمرو بن حماد ، عن أسباط به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٠٦/٤ (٧٣٧٩) من طريق أبى حذيفة به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٠٦/٤ (٧٣٨٠) من طريق الحجاج به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٦/٢ إلى ابن المنذر.

(٤) فى م، ت٢، ت٣، س : « المغلوب » .

﴿ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾ . وهى ملائكتُه الذين يَتَعاقَبونكم ليلًا ونهارًا ، يَحْفَظون أعمالكم ويُحْصُونها ، ولا يُفَرِّطون فى حفظِ ذلك وإحصائِه ولا يُضَيِّعون .

وبنحوِ ما قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ قولَه : ﴿ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾ . قال : هى المُعَقِّباتُ مِن الملائكةِ ، يَحْفَظونه ويَحْفَظون عملَه[(1)] .

حدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ . يقولُ : حَفَظةٌ يا بنَ آدمَ يَحْفَظون عليك عملَك ورزقَك وأجلَك ، إذا توَفَّيْتَ ذلك قُبِضْتَ إلى ربِّك[(2)] .

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : إن ربَّكم يَحْفَظُكم برسلٍ يُعَقِّبُ بينَها ، يُرْسِلُهم إليكم بحفظِكم وبحفظِ أعمالِكم ، إلى أن يَحْضُرَكم الموتُ ويَنْزِلَ بكم أمرُ اللَّهِ ، فإذا جاء ذلك أحدَكم ، توَفَّاه أملاكُنا المُوَكَّلون بقبضِ الأرواحِ ، ورسلُنا المُرْسَلون به ، وهم لا يُفَرِّطون فى ذلك فيُضَيِّعونه .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٠٦/٤ (٧٣٨٣) من طريق أحمد بن مفضل به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٦/٣ إلى أبى الشيخ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٠٦/٤ (٧٣٨٤) من طريق يزيد به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٦/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبى الشيخ .

فإن قال قائلٌ : أوَ ليس الذى يَقْبِضُ الأرْواحَ ملَكُ الموتِ ، فكيف قيل : ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ﴾ . والرسلُ جملةٌ وهو واحدٌ ؟ أوليس قد قال : ﴿ قُلْ يَتَوَفَّنكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ [السجدة: ١١] .

قيل : جائزٌ أن يكونَ اللَّهُ تعالى ذكرُه أعان مَلكَ الموتِ بأعوانٍ مِن عندِه ، فيَتَوَلَّوْن ذلك بأمرِ ملَكِ الموتِ ، فيكونُ التَّوَفِّى مضافًا - وإن كان ذلك مِن فعلِ أعوانِ ملكِ الموتِ - إلى ملكِ الموتِ ، إذ كان فعلُهم ما فعَلوا مِن ذلك بأمرِه ، كما يُضافُ قتلُ مَن قتَل أعوانُ السلطانِ وجلدُ مَن جلَدوه بأمرِ السلطانِ ، إلى السلطانِ ، وإن لم يَكُنِ السلطانُ باشَر ذلك بنفسِه ولا ولِيَه بيدِه .

وقد تأوَّل ذلك كذلك جماعةٌ مِن أهلِ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا ابنُ إدريسَ ، قال : ثنا الحسنُ بنُ عُبيدِ اللَّهِ ، عن إبراهيمَ فى قولِه : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ . قال : كان ابنُ عباسٍ يقولُ : لِمَلَكِ الموتِ أعوانٌ مِن الملائكةِ[1] .

٢١٧/٧ /حدَّثنى أبو السائبِ ، قال : ثنا ابنُ إدريسَ ، عن الحسنِ بنِ عُبيدِ اللَّهِ فى قولِه : ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ . قال : سُئِل ابنُ عباسٍ عنها ، فقال : إن لملكِ الموتِ أعوانًا مِن الملائكةِ .

حدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن الحسنِ بنِ عُبيدِ اللَّهِ ، عن إبراهيمَ فى قولِه : ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ . قال : أعوانُ

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٠٧/٤ (٧٣٨٧) ، وأبو الشيخ فى العظمة (٤٥٨) من طريق الحسن بن عبيد الله به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٦/٢ إلى ابن المنذر .

ملكِ الموتِ[(١)] .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن منصورٍ ، عن إبراهيمَ : ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ . قال : الرسلُ تَوَفَّى الأنفسَ ، ويَذْهَبُ بها ملكُ الموتِ[(٢)] .

حدَّثنا هنادٌ ، قال : ثنا حفصٌ ، عن الحسنِ بن عُبيدِ اللَّهِ ، [(٣)] عن إبراهيمَ[(٣)] ، عن ابنِ عباسٍ: ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ قال : أعوانُ ملكِ الموتِ مِن الملائكةِ[(٤)] .

حدَّثنا هنادٌ ، قال : ثنا قَبيصةُ ، عن سفيانَ ، عن الحسنِ بنِ عُبيدِ اللَّهِ ، عن إبراهيمَ : ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ﴾ . قال : هم الملائكةُ أعوانُ ملكِ الموتِ .

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثَوْرٍ ، قال : ثنا معمرٌ ، عن قتادةَ : ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ﴾ . قال : إن ملكَ الموتِ له رُسلٌ ، فيُرْسَلُ ويُرْفَعُ ذلك إليه ، وقال الكلبيُّ : إن ملكَ الموتِ هو يَلِي ذلك ، فيَدْفَعُه إن كان مؤمنًا إلى ملائكةِ الرحمةِ ، وإن كان كافرًا إلى ملائكةِ العذابِ .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبرَنا معمرٌ ، عن قتادةَ : ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ﴾ . قال : يَلِي قبضَها الرسلُ ، ثم يَدْفَعونها إلى ملكِ الموتِ[(٥)] .

---

(١) بعده فى م : « حدثنا هناد ، قال : ثنا حفص، عن الحسن بن عبيد الله ، عن إبراهيم ، عن ابن عباس : ﴿توفته رسلنا وهم لا يفرطون﴾ . قال: الرسل توفى الأنفس ، ويذهب بها ملك الموت .

والأثر فى تفسير سفيان ص١٠٨ ، ومن طريقه عبد الرزاق فى تفسيره ٢٠٩/١ ، وأبو الشيخ فى العظمة (٤٥٧).

(٢) تفسير سفيان ص١٠٨، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٠٧/٤ (٧٣٨٦) ، وأبو الشيخ فى العظمة (٤٥٦) .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) أخرجه ابن أبى شيبة ٣٧٢/١٣ عن حفص به .

(٥) تفسير عبد الرزاق ٢٠٩/١، ومن طريقه أبو الشيخ فى العظمة ص ١٦٤ (٤٥٥) .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا الثوريُّ ، عن منصورٍ ، عن إبراهيمَ [١/٧٦١و] في قولِه : ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ﴾ . قال : يَتَوفَّاه الرسلُ ، ثم يَقْبِضُ منهم ملكُ الموتِ الأنفسَ[(١)] .

قال الثوريُّ : وأخبرَني الحسنُ بنُ عُبيدِ اللَّهِ ، عن إبراهيمَ ، قال : هم أعوانٌ لملكِ الموتِ[(١)] .

قال الثوريُّ : وأخبرَني رجلٌ ، عن مجاهدٍ ، قال : جُعِلَت الأرضُ لملكِ الموتِ مثلَ الطَّشتِ يَتناوَلُ مِن حيث شاء ، وجُعِلَت له أعوانٌ يَتَوفَّون الأنفسَ ثم يَقْبِضُها منهم[(١)] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا ابنُ إدريسَ ، عن الحسنِ بنِ عُبيدِ اللَّهِ ، عن إبراهيمَ ، عن ابنِ عباسٍ في قولِه : ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ﴾ . قال : أعوانُ ملكِ الموتِ مِن الملائكةِ .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن سفيانَ ، عن الحسنِ بنِ عبيدِ اللَّهِ ، عن إبراهيمَ ، قال : الملائكةُ أعوانُ ملكِ الموتِ .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا قَبيصةُ ، عن سفيانَ ، عن منصورٍ ، عن إبراهيمَ : ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ﴾ . قال : يَتَوفَّوْنه ثم يَدْفَعونه إلى ملكِ الموتِ .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، قال : سألْتُ الربيعَ بنَ / أنسٍ عن ملكِ الموتِ ، أهو وحدَه الذى يَقْبِضُ الأرْواحَ ؟ قال : هو الذى يَلِى أمرَ الأرواحِ ، وله أعوانٌ على ذلك ، ألا تَسْمَعُ إلى قولِ اللَّهِ تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ ﴾ [الأعراف : ٣٧] . وقال : ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ . غيرَ أن ملكَ الموتِ هو[(٢)] الرئيسُ ، و[(٢)] كلُّ خطوةٍ منه مِن المشرقِ

٢١٨/٧

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ٢٠٩.

(٢ - ٢) فى النسخ : « الذى يسير » . والمثبت من مصدرى التخريج .

إلى المغربِ . قلتُ : أين تكونُ أرواحُ المؤمنين؟ قال : عندَ السِّدْرةِ في الجنةِ[١] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا محمدُ بنُ مسلمٍ ، عن إبراهيمَ بنِ مَيْسَرةَ ، عن مجاهدٍ ، قال : ما مِن أهلِ بيتِ شَعَرٍ ولا مَدَرٍ إلا وملكُ الموتِ يُطِيفُ بهم كلَّ يومٍ مرتين[٢] .

وقد بيَّنا أن معنى « التَّفريطِ » التَّضْييعُ فيما مضَى قبلُ[٣] ، وكذلك تأوَّله المتأوِّلون في هذا الموضعِ .

حدَّثنا المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن عليِّ بنِ أبي طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿لَا يُفَرِّطُونَ﴾ . يقولُ : لا يُضَيِّعون[٤] .

حدَّثني محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ . قال : لا يُضَيِّعون[٥] .

القولُ في تأويلِ قولِه : ﴿ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : ثم رُدَّت الملائكةُ الذين تَوَفَّوْهم ، فقبَضوا نفوسَهم وأرواحَهم إلى اللَّهِ سيدِهم الحقِّ . ﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ يقولُ : ألا له الحكمُ والقضاءُ

---

(١) أخرجه أبو الشيخ فى العظمة (٤٣٣) من طريق عبد الله به .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/ ٢١٠، وأخرجه أبو الشيخ فى العظمة (٤٦٩) من طريق محمد بن مسلم به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/ ١٦ إلى ابن المنذر .

(٣) ينظر ما تقدم فى ص ٢٣٤.

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/ ١٣٠٧ (٧٣٨٨) من طريق عبد الله بن صالح به .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/ ١٣٠٧ عقب الأثر (٧٣٨٨) من طريق عمرو بن حماد ، عن أسباط به .

دونَ مَن سواه من جميعِ خلقِه ، ﴿ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾ . يقولُ : وهو أسرعُ مَن حسَب عدَدَكم وأعمالَكم وآجالَكم وغيرَ ذلك مِن أمورِكم أيُّها الناسُ ، وأحْصاها وعرَف مقاديرَها ومَبالغَها ؛ لأنه لا يَحْسُبُ بعقْدِ يدٍ ، ولكنه يَعْلَمُ ذلك ، ولا يَخْفَى عليه منه خافيةٌ ، ولا يَعْزُبُ عنه مِثْقالُ ذرةٍ فى السماواتِ ولا فى الأرضِ ، ولا أصغرُ مِن ذلك ولا أكبرُ إلا فى كتابٍ مُبينٍ[(١)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا[(٢)] مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه ﷺ : قل يا محمدُ لهؤلاءِ العادِلِين بربِّهم ، الداعِين لك إلى عبادةِ أوثانِهم : مَن الذى يُنَجِّيكم من ظلماتِ البرِّ إذا ضلَلْتُم فيه فتحيَّرْتُم ، فأظْلَم عليكم الهُدَى والمَحَجَّةُ ، ومِن ظلماتِ البحرِ إذا ركِبْتُموه فأخْطَأْتُم فيه المَحَجَّةَ ، فأظْلَم عليكم فيه السبيلُ ، [(٣)]فلم تَهْتَدوا[(٣)] له - غيرُ اللَّهِ الذى إليه[(٤)] مَفْزَعُكم حينَئذٍ بالدعاءِ ، تَضَرُّعًا منكم إليه واسْتِكانةً ، جهرًا ﴿ وَخُفْيَةً ﴾ . يقولُ : وإخْفاءً للدعاءِ أحيانًا ، وإعلانًا وإظهارًا ، تقولون : (لئن أنْجَيْتَنا مِن هذه) يارَبِّ ، أى : مِن هذه الظلماتِ التى نحن فيها ، ﴿ لَنَكُونَنَّ مِنَ / الشَّاكِرِينَ ﴾ . يقولُ : لَنَكونَنَّ ممَّن يُوَحِّدُك بالشكرِ ، ويُخْلِصُ لك العبادةَ ، دونَ مَن كنا نُشْرِكُه معك فى عبادتِك . ٢١٩/٧

وبنحوِ ما قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

---

(١) تضمين للآية (٣) من سورة « سبأ » .

(٢) فى ص ، ت ١، ت ٢، ت ٣، س : « أنجيتنا » . وهى قراءة نافع وابن كثير وأبى عمرو وابن عامر ، والمثبت قراءة الكوفيين ينظر حجة القرآات ص ٢٥٥.

(٣ - ٣) فى م : « فلا تهتدون » .

(٤) سقط من : م .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابنِ عباسٍ قولَه: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾. يقولُ: إذا أَضَلَّ الرجلُ الطريقَ دعا اللَّهَ: (لئن أنجيتنا من هذه لنكونَنَّ من الشاكرين)[1].

حدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ، قال: ثنا يزيدُ، قال: ثنا سعيدٌ، عن قتادةَ قولَه: ﴿مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾. يقولُ: مِن كَرْبِ البرِّ والبحرِ[2].

القولُ فى تأويلِ قولِه: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾﴾.

يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ: قل يا محمدُ لهؤلاء العادِلِين بربِّهم سواه مِن الآلهةِ إذا أنت استَفْهَمْتَهم عمَّن به يَستَعِينون عندَ نزولِ الكرْبِ بهم فى البرِّ والبحرِ: اللَّهُ القادرُ على فَرَجِكم عندَ حلولِ الكربِ بكم، يُنَجِّيكم مِن عظيمِ النازلِ بكم فى البرِّ والبحرِ، مِن هَمِّ الضَّلالِ، وخوفِ الهلاكِ، ومِن [3]كلِّ كربٍ[3] سوى [٧٦١/١ظ] ذلك وهَمٍّ، لا آلهتُكم التى تُشرِكون بها فى عبادتِه، ولا أوثانُكم التى تَعْبُدُونها مِن دونِه التى لا تَقْدِرُ لكم على نفعٍ ولا ضَرٍّ، ثم أنتم بعدَ تفضُّلِه عليكم بكشفِ النازلِ بكم مِن الكربِ ودفعِ الحالِّ بكم مِن جَسيمِ الهَمِّ تَعْدِلون به آلهتَكم وأصنامَكم، فتُشرِكونها

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٠٨/٤ (٧٣٩٤) عن محمد بن سعد به.

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٠٨/٤ (٧٣٩١) من طريق يزيد به، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٦/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبى الشيخ.

(٣ - ٣) فى م: «كرب كل».

فى عبادتِكم إياه، وذلك منكم جهلٌ بواجبِ حقِّه عليكم، وكفرٌ لأياديه عندَكم، وتعرُّضٌ منكم لإنزالِ عقوبتِه عاجلًا بكم.

القولُ فى تأويلِ قولِه: ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾.

يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ: قلْ لهؤلاء العادِلين بربِّهم[1] الأصنامَ والأوثانَ يا محمدُ: إن الذى يُنَجِّيكم مِن ظلماتِ البرِّ والبحرِ، ومِن كلِّ كربٍ، ثم تعُودون للإشراكِ به، هو القادرُ على أن يُرْسِلَ عليكم عذابًا مِن فوقِكم أو مِن تحتِ أرجلِكم؛ لشركِكم به، وادِّعائِكم معه إلهًا آخرَ غيرَه، وكفرانِكم نعمَه، مع إسباغِه عليكم آلاءَه ومِنَنَه.

وقد اختلَف أهلُ التأويلِ فى معنى «العذابِ» الذى توعَّد اللَّهُ به هؤلاء القومَ أن يَبْعَثَه عليهم مِن فوقِهم أو مِن تحتِ أرجلِهم؛ **فقال بعضُهم**: أما العذابُ الذى توعَّدَهم به أن يَبْعثَه عليهم مِن فوقِهم فالرجمُ. وأما الذى توعَّدهم أن يَبْعثَه عليهم مِن تحتِهم فالخَسْفُ.

٢٢٠/٧ / **ذكرُ مَن قال ذلك**

حدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ وابنُ وكيعٍ، قالا: ثنا عبدُ الرحمنِ، قال: ثنا سفيانُ، عن السديِّ، عن أبى مالكٍ: ﴿ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾ [2]قال: الرجمُ[2]. ﴿ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾. قال: الخَسْفُ[3].

---

(١) بعده فى م: «غيره من».

(٢ - ٢) سقط من النسخ. والمثبت موافق لما فى مصادر التخريج.

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/ ١٣١٠، ١٣١١ (٧٤٠٢، ٧٤٠٩) من طريق عبد الرحمن بن مهدى به، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/ ١٦ إلى عبد بن حميد وأبى الشيخ.

حدَّثنا سفيانُ ، قال : ثنا يحيى بنُ آدمَ ، عن الأشْجَعيِّ ، عن سفيانَ ، عن السديِّ ، عن أبي مالكٍ وسعيدِ بنِ جُبيرٍ مثلَه .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبو أسامةَ ، عن شِبْلٍ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ : ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ . قال : الخَسْفُ[1] .

حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾ : فعذابُ السماءِ ، ﴿ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ : فيَخْسِفُ بكم الأرضَ[1] .

حدَّثني يونُسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِه : ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ . قال : كان ابنُ مسعودٍ يَصِيحُ وهو في المجلسِ - أو على المنبرِ - : ألا أيُّها الناسُ ، إنه نزَل بكم ؛ إن اللَّهَ يقولُ : ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾ لو جاءَكم عذابٌ مِن السماءِ لم يُبْقِ منكم أحدًا ، ﴿ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ لو خسَف بكم الأرضَ أهلَكَكم ولم يُبْقِ منكم أحدًا ، ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ ألا إنه نزَل بكم أسوأُ الثلاثِ[2] .

وقال آخرون : عُنِى بالعذابِ من فوقِهم أئمةُ السَّوْءِ ، أو من تَحتِ أرجلِهم ، الخَدَمُ وسَفِلةُ الناسِ .

(١) ينظر تفسير ابن كثير ٣/ ٢٧٠.

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ٣/ ٢٧٠ نقلا عن المصنف .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني يونُسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : سمِعْتُ خَلَّادًا يقولُ : سمِعْتُ عامرَ بنَ عبدِ الرحمنِ يقولُ : إن ابنَ عباسٍ كان يقولُ في هذه : ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ : فأما العذابُ مِن فوقِكم فأئمةُ السَّوْءِ ، وأما العذابُ مِن تحتِ أرجلِكم فخَدَمُ السَّوْءِ [(١)] .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن عليِّ بنِ أبي طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾ . يعني : مِن أمرائِكم ، ﴿ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ : يعني : سَفِلتِكم [(٢)] .

وأولى التأويلين في ذلك بالصوابِ عندى قولُ مَن قال : عُني بالعذابِ مِن فوقِهم الرجمُ أو الطُّوفانُ ، وما أشْبَهَ ذلك مما ينزِلُ عليهم مِن فوقِ رءوسِهم ، ومِن تحتِ أرجلِهم الخَسْفُ وما أشْبَهَه . وذلك أن المعروفَ في كلامِ العربِ مِن معنى « فوق » و « تحت » الأرجلِ ، هو ذلك دونَ غيرِه ، وإن كان لما رُوِى عن ابنِ / عباسٍ في ذلك وجهٌ صحيحٌ ، غيرَ أن الكلامَ إذا تُنوزِع في تأويلِه ، فحملُه على الأغلبِ الأشهرِ مِن معناه أحقُّ وأوْلَى مِن غيرِه ، ما لم تأتِ حُجَّةٌ مانعةٌ مِن ذلك يَجِبُ التسليمُ لها . ٢٢١/٧

القولُ في تأويلِ قولِه : ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : أو يَخْلِطَكم ﴿ شِيَعًا ﴾ : فِرَقًا ، واحدتُها شِيعةٌ .

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٣٠٩، ١٣١٠ (٧٤٠٠، ٧٤٠٧) عن يونس بن عبد الأعلى به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٦/٣ إلى أبي الشيخ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣١١/٤ (٧٤٠٨) من طريق عبد الله بن صالح به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٦/٣ إلى أبي الشيخ .

وأما قولُه : ﴿ يَلْبِسَكُمْ ﴾ فهو مِن قولِك : لبَسْتُ عليه الأمرَ ، إذا خلَطْتَ ، فأنا أَلْبِسُه . وإنما قلتُ : إن ذلك كذلك ؛ لأنه لاخلافَ بينَ القرأةِ فى ذلك بكسرِ الباءِ ، ففى ذلك دليلٌ بيِّنٌ على أنه مِن : لبَس يَلْبِسُ . وذلك هو معنى الخلطِ . وإنما عنَى بذلك : أو يَخْلِطَكم أهواءً مختلفةً ، وأحزابًا مفترقةً .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبو أسامةَ ، عن شبلٍ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ﴾ : الأهواءُ المفترقةُ[(١)] .

حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ﴾ . قال : يُفَرِّقُ بينَكم[(٢)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ : ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ﴾ . [٧٦٢/١و] قال : ما كان فيكم مِن الفتنِ والاختلافِ[(٣)] .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ﴾ . قال : الذى فيه الناسُ اليومَ مِن الاختلافِ والأهواءِ وسفكِ دماءِ بعضِهم بعضًا .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ﴾ . قال : الأهواءُ والاختلافُ .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٦/٣ إلى المصنف وابن المنذر .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣١٢/٤ (٧٤١٤) من طريق أحمد بن مفضل به .

(٣) تفسير مجاهد ص ٣٢٣، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣١١/٤ (٧٤١٣) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثني معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن عليٍّ بنِ أبي طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ : يعنى بالشِّيَعِ الأهواءَ المختلفةَ[1] .

وأما قولُه : ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ . فإنه يعنى : يُقْتَلُ بعضُكم بيدِ بعضٍ .

والعربُ تقولُ للرجلِ يَنالُ الرجلَ بسلاحٍ ، فيَقْتُلُه به : قد أذاق فلانٌ فلانًا الموتَ ، وأذاقه بأسَه . وأصلُ ذلك مِن ذَوْقِ الطعامِ ، وهو يَطْعَمُه ، ثم اسْتُعْمِل ذلك فى كلِّ ما وصَل إلى الرجلِ مِن لذةٍ وحلاوةٍ ، أو مَرارةٍ ومكروهٍ وألمٍ .

وقد بيَّنْتُ معنى البأسِ فى كلامِ العربِ فيما مضَى ، بما أغْنَى عن إعادتِه فى هذا الموضعِ[2] .

وبنحوِ ما قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السديِّ : ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ : بالسيوفِ .

٢٢٢/٧ /حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو النُّعمانِ عارمٌ ، قال : ثنا حمادٌ ، عن أبي هارونَ العَبْدىِّ ، عن نَوْفٍ البِكالىِّ أنه قال فى قولِه : ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ . قال : هى واللَّهِ الرجالُ فى أيديهم الحِرابُ ، يَطْعُنون فى خَواصِرِكم[3] .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى مُعاويةُ بنُ صالحٍ ، عن

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ١٣١١/٤ (٧٤١٢) من طريق عبد الله بن صالح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٣ إلى ابن المنذر .

(٢) تقدم فى ٣/ ٩٠، ٧/ ٢٦٧.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ١٣١٢/٤ (٧٤١٧) من طريق حماد بن أبي سليمان به .

عليِّ بنِ أبي طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ . قال : يُسَلِّطُ بعضَكم على بعضٍ بالقتلِ والعذابِ[1] .

حدَّثنا سعيدُ بنُ الربيعِ الرازيُّ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ ، قال : عذابُ هذه الأُمَّةِ أهلِ الإقرارِ بالسيفِ ، ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ . وعذابُ أهلِ التكذيبِ الصَّيْحةُ والزَّلْزلةُ[2] .

ثم اختَلَف أهلُ التأويلِ في مَن عُنى بهذه الآيةِ ؛ فقال بعضُهم : عُنى بها المسلمون مِن أمةِ محمدٍ ﷺ ، وفيهم نزَلَت .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني محمدُ بنُ عيسى الدَّامَغانيُّ ، قال : أخبَرَنا ابنُ المباركِ ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ ، عن أبي العاليةِ في قولِه : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾ الآية . قال : فهن أربعٌ ، وكلُّهن عذابٌ ، فجاء [3] مستقَرُّ اثنتين [3] بعدَ وفاةِ رسولِ اللهِ ﷺ بخمسٍ وعشرين سنةً ؛ فلُبِسوا شِيَعًا ، وأُذِيق بعضُهم بأسَ بعضٍ ، وبقِيَت اثنتان ، فهما لابدَّ واقِعتانِ . يعني الخَسْفَ والمَسْخَ .

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ في قولِه : ﴿ مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ : لأمةِ محمدٍ ﷺ ، وأعفاكم منه ، ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ﴾ . قال : ما كان فيكم مِن الفتنِ والاختلافِ[4] .

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/١٣١٢ (٧٤١٦) من طريق عبد الله بن صالح به .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣/١٧ إلى المصنف وابن أبي حاتم .

(٣ - ٣) في م : « منهن اثنتين » .

(٤) تفسير مجاهد ص٣٢٣، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٣١٠، ١٣١١ (٧٤٠٤، ٧٤١٣) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا ﴾ الآية : ذُكِر لنا أن رسولَ اللَّهِ ﷺ صلَّى ذاتَ يومِ الصبحَ فأطالها ، فقال له بعضُ أهلِه : يا نبيَّ اللَّهِ ، لقد صلَّيْتَ صلاةً ما كنتَ تُصَلِّيها ! قال : « إنها صلاةُ رَغْبةٍ ورَهْبةٍ ، وإني سأَلْتُ ربي فيها ثلاثًا ؛ سأَلْتُه ألّا يُسَلِّطَ على أُمَّتي عدوًّا مِن غيرِهم فيُهْلِكَهم ، فأعْطانيها ، وسأَلْتُه ألّا يُسَلِّطَ على أمتي السَّنَةَ ، فأعْطانِيها ، وسأَلْتُه ألّا يَلْبِسَهم شِيَعًا ولا يُذِيقَ بعضَهم بأسَ بعضٍ ، فمنَعَنيها »[1] . ذُكِر لنا أن نبيَّ اللَّهِ ﷺ كان يقولُ : « لاتزالُ طائفةٌ مِن أُمَّتي يُقاتِلون على الحقِّ ظاهِرين ، لا يَضُرُّهم مَن خذَلهم حتى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ »[2] .

حدَّثنا أحمدُ بنُ الوليدِ القرشيُّ وسعيدُ بنُ الربيعِ الرازيُّ ، قالا : ثنا سفيانُ بنُ عيينةَ ، عن عمرٍو ، سمِع جابرًا يقولُ : لمَّا أنزَل اللَّهُ تعالى على النبيِّ ﷺ : ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ / عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ . قال : « أَعوذُ بوجهِك » . ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ . قال : « هاتان أيْسَرُ ، أو أهْوَنُ »[3] . ٢٢٣/٧

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا ابنُ عُيَينةَ ، عن عمرٍو ، عن جابرٍ ، قال : لمَّا نزَلَت

---

(١) أخرجه أحمد ٤٦٨/١٩ (١٢٤٨٦) من حديث أنس بن مالك ، وأخرجه مسلم (٢٨٨٩) من حديث ثوبان بنحوه .

(٢) أخرجه البخارى (٧٤٦٠) من حديث معاوية .

(٣) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢١١/٢، والحميدى (١٢٥٩)، ونعيم بن حماد فى الفتن (١٧٣٠) ، وأحمد ٢١٨/٢٢ (١٤٣١٦) ، والبخارى (٧٣١٣) ، والترمذى (٣٠٦٥) ، وأبو يعلى (١٩٦٧) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣١١/٤ (٧٤١٠) ، وابن حبان (٧٢٢٠) ، والبيهقى فى الأسماء والصفات (٦٤٦) من طريق سفيان به ، وأخرجه النسائى فى الكبرى (١١١٦٤، ١١١٦٥) ، والبيهقى فى الأسماء والصفات (٦٤٧) من طريق عمرو به ، وزاد عزوه السيوطى فى الدر المنثور ١٧/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبى الشيخ وابن مردويه .

﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ . قال : « نَعوذُ بك ، نَعوذُ بك » . ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ . قال : « هو أهْوَنُ » .

حدَّثنى زيادُ بنُ عُبيدِ اللَّهِ المرِّيُّ[1] ، قال : ثنا مَرْوانُ بنُ معاويةَ الفَزاريُّ ، قال : ثنا أبو مالكٍ ، قال : ثنى نافعُ بنُ خالدٍ الخُزاعيُّ ، عن أبيه ، أن النبيَّ ﷺ صلَّى صلاةً [٧٦٢/١ظ] خفيفةً تامَّةَ الركوعِ والسجودِ ، فقال : « قد كانت صلاةَ رَغْبةٍ ورَهْبةٍ ، فسألْتُ اللَّهَ فيها ثلاثًا ، فأعْطانى اثنتين وبقِى واحدةٌ ؛ سألْتُ اللَّهَ ألا يُصِيبَكم بعذابٍ أصاب به مَن قبلكم ، فأعْطانيها ، وسألْتُ اللَّهَ ألّا يُسَلِّطَ عليكم عدوًّا يَستبيحُ بَيْضتَكم ، فأعْطانيها ، وسألْتُه ألا يَلْبِسَكم شِيَعًا ويُذِيقَ بعضَكم بأسَ بعضٍ ، فمنَعَنيها »[2] . قال أبو مالكٍ : فقلتُ له : أبوك سمِع هذا مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ؟ فقال : نعم ، سمِعْتُه يُحدِّثُ بها القومَ أنه سمِعها مِن فى رسولِ اللَّهِ ﷺ[3] .

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن أيوبَ ، عن أبى قِلابةَ ، عن أبى الأشعثِ ، عن أبى أسماءَ الرَّحَبيِّ ، عن شَدَّادِ بنِ أوْسٍ ، يَرْفَعُه إلى النبيِّ ﷺ ، أنه قال : « إن اللَّهَ زَوَى لىَ الأرضَ حتى رأيْتُ مَشارقَها ومَغاربَها ، وإن مُلْكَ أمتى سيَبْلُغُ ما زُوِى لى منها ، وإنى أُعْطِيتُ الكنزَيْن الأحمرَ والأبيضَ ، وإنى سألْتُ ربى ألّا يُهْلِكَ قومى بسَنَةٍ عامَّةٍ ، وألا يَلْبِسَهم شِيَعًا ، ولا يُذِيقَ بعضَهم بأسَ بعضٍ ، فقال : يا محمدُ ، إنى إذا قضَيْتُ قَضاءً فإنه لا يُرَدُّ ، وإنى أعْطَيْتُك لأمَّتِك ألّا أُهْلِكَهم بسَنَةٍ بعامَّةٍ[4] ، ولا أُسَلِّطَ عليهم عَدُوًّا ممَّن سِواهم فيُهْلِكوهم[5]

(١) فى النسخ : « المزنى » . وتقدم على الصواب فى ٢٧٢/٦ .

(٢) فى ص، ت ١: « فمنعتها » .

(٣) أخرجه الطبرانى (٤١١٢، ٤١١٤) من طريق مروان بن معاوية به ، وأخرجه البخارى فى تاريخه ١٣٨/٣، والطبرانى (٤١١٢ - ٤١١٤) وابن مردويه - كما فى تفسير ابن كثير ٢٦٨/٣ - من طريق أبى مالك الأشجعى به .

(٤) فى م : « عامة » .

(٥) فى م ، ت٢، ت ٣: « فيهلكهم » .

بعامَّةٍ ، حتى يَكونَ بعضُهم يُهْلِكُ بعضًا ، وبعضُهم يَقْتُلُ بعضًا ، وبعضُهم يَسْبِى بعضًا » . فقال النبيُّ ﷺ : « إنى أَخافُ على أُمَّتى الأئمةَ المُضِلِّين ، فإذا وُضِع السيفُ فى أُمَّتى لم يُرْفَعْ عنهم إلى يومِ القيامةِ » .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا مَعْمرٌ ، قال : أخبَرَنى أيوبُ ، عن أبى قِلابةَ ، عن أبى الأشعثِ ، عن أبى أسماءَ الرَّحَبيِّ ، عن شَدَّادِ ابنِ أوسٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ . فذكَر نحوَه ، إلا أنه قال : وقال النبيُّ ﷺ : « إنى لا أَخافُ على أُمَّتى إلا الأئمةَ المُضِلِّين »[(١)] .

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثَوْرٍ ، قال : ثنا معمرٌ ، عن الزهريِّ عن عبدِ اللهِ بنِ الحارثِ بنِ نوفلٍ ، عن عبدِ اللهِ بنِ خَبّابٍ ، قال : راقَب خبَّابُ بنُ الأَرَتِّ ، وكان بدريًّا ، النبيَّ ﷺ وهو يُصَلِّى ، حتى إذا فرَغ ، وكان فى الصبحِ ، قال له : يا رسولَ اللَّهِ ، لقد رأَيْتُك تُصَلِّى صلاةً ما رأَيْتُك صلَّيْتَ مثلَها ! قال : « أَجَلْ ، إنها صلاةُ رَغَبٍ ورَهَبٍ ، سأَلْتُ ربى ثلاثَ خِصالٍ ، فأعْطانى اثنتين ومنَعَنى واحدةً ؛ سأَلْتُه ألا يُهْلِكَنا بما أَهْلَك به الأمَمَ ، فأعْطانى ، وسأَلْتُه ألا يُسَلِّطَ علينا عدوًّا ، فأعطانى ، وسأَلْتُه ألا يَلْبِسَنا شِيَعًا ، فمنَعَنى » .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا مَعْمرٌ ، عن الزهريِّ [(٢)] عن عبدِ اللهِ بنِ الحارثِ بنِ نوفلٍ ، عن عبدِ اللهِ بنِ خَبّابٍ [(٢)] فى قولِه : ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ﴾ . قال : راقَب خبَّابُ بنُ الأَرَتِّ ، وكان بدريًّا ، رسولَ اللَّهِ ﷺ . فذكَر نحوَه ، إلا أنه قال : « ثلاثَ خَصَلاتٍ »[(٣)] .

---

(١) تفسير عبد الرزاق ٢١٠/١، ومن طريقه أخرجه أحمد ٣٣٩/٢٨ (١٧١١٥) والبزار (٣٤٨٧) .

(٢ - ٢) سقط من النسخ ، والمثبت من مصادر التخريج .

(٣) تفسير عبد الرزاق ٢١٠/١ ، ومن طريقه الطبرانى (٣٦٢٤) ، وأخرجه أحمد ١٠٨/٥، ١٠٩ (الميمنية) ، والترمذى (٢١٧٥) ، والنسائى (١٦٣٧) ، والطبرانى (٣٦٢١- ٣٦٢٣) وابن حبان (٧٢٣٦) ، من طرق عن الزهرى به .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا معمرٌ ، عن عمرِو بنِ دينارٍ ، قال : سمِعْتُ جابرَ بنَ عبدِ اللَّهِ يقولُ : لمَّا نزَلَت على النبيِّ ﷺ : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾ . قال النبيُّ ﷺ : « أَعوذُ بوجهِك » . ﴿ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ . قال النبيُّ ﷺ : « أَعوذُ بوجهِك » . ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ﴾ . قال : « هذه أهونُ »[(1)] .

حدَّثنى يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا ابنُ عُليةَ ، عن يونُسَ ، عن الحسنِ ، أن النبيَّ ﷺ قال : « سألْتُ ربى أربعًا[(2)] ، فأُعْطِيتُ ثلاثًا ، ومُنِعْتُ واحدةً ؛ سأَلْتُه ألا يُسَلِّطَ على أمتى عدوًّا مِن غيرِهم يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهم ، ولا يُسَلِّطَ عليهم جُوعًا ، ولا يَجْمَعَهم على ضَلالةٍ ، فأُعْطِيتُهن ، وسأَلْتُه ألا يَلْبِسَهم شِيَعًا ويُذِيقَ بعضَهم بأسَ بعضٍ ، فمُنِعْتُ » .

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السديِّ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنى سأَلْتُ ربى خِصالًا ، فأعْطانى ثلاثًا ومنَعَنى واحدةً ؛ سأَلْتُه ألا تَكْفُرَ أمتى صَفْقَةً واحدةً ، فأعْطانيها ، وسأَلْتُه ألا يُظْهِرَ عليهم عدوًّا مِن غيرِهم ، فأعْطانيها ، وسأَلْتُه ألَّا يُعَذِّبَهم بما عذَّب به الأممَ مِن قبلِهم ، فأعْطانيها ، وسأَلْتُه ألا يَجْعَلَ بأسَهم بينَهم ، فمنَعَنيها » .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن أبى بكرٍ ، عن الحسنِ ، قال : لما نزَلَت هذه الآيةُ ؛ قولُه : ﴿ وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ . قال الحسنُ : ثم قال لمحمدٍ ﷺ وهو يُشهِدُه عليهم : ﴿ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ . فقام رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فتوضَّأ ، فسأَل ربَّه ألا يُرْسِلَ عليهم عذابًا مِن

---

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ٢١١ ، وتقدم فى ص ٣٠٢ .

(٢) سقط من : م .

فوقِهم ، أو مِن تحتِ أرجلِهم ، ولا يَلْبِسَ أمته شِيَعًا ، ويُذِيقَ بعضَهم بأسَ بعضٍ ، كما أذاق بنى إسرائيلَ ، فهبَط إليه جبريلُ عليه السلامُ ، فقال : يا محمدُ ، إنك سأَلْتَ ربَّك أربعًا ، فأعْطاك اثنتين ومنَعَك اثنتين ؛ لن يَأْتِيَهم عذابٌ مِن فوقِهم ولا مِن تحتِ أرجلِهم يَسْتَأْصِلُهم ، فإنهما عذابان لكلِّ أمةٍ اسْتَجْمعت[1] على تكذيبِ نبيِّها وردِّ كتابِ [٧٦٣/١و] ربِّها ، ولكنهم يَلْبِسُهم شِيَعًا ويُذِيقُ بعضَهم بأسَ بعضٍ ، وهذان عذابان لأهلِ الإقرارِ بالكتبِ والتصديقِ بالأنبياءِ ، ولكن يُعَذَّبون بذنوبِهم ، وأَوْحَى إليه : ﴿ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴾ . يقولُ : مِن أمتِك ﴿ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ ﴾ [الزخرف : ٤٢] . مِن / العذابِ وأنت حيٌّ ؛ ﴿ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴾ ٢٢٥/٧ [الزخرف : ٤١، ٤٢] . فقام نبيُّ اللَّهِ ﷺ ، فراجَع ربَّه ، فقال : « أيُّ مُصيبةٍ أشدُّ مِن أن أَرَى أمتي يُعَذِّبُ بعضُها بعضًا » . وأَوْحَى إليه : ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت : ١- ٣] . فأعْلَمه أن أُمَّته لم تُخَصَّ دونَ الأممِ بالفتنِ ، وأنها ستُبْتَلَى كما ابْتُلِيَتِ الأممُ ، ثم أَنْزَل عليه : ﴿ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ ۝٩٣ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المؤمنون : ٩٣، ٩٤] . فتعَوَّذ نبيُّ اللَّهِ فأعاذه اللَّهُ ، لم يَرَ مِن أمتِه إلا الجماعةَ والأُلْفةَ والطاعةَ ، ثم أَنْزَل عليه آيةً حذَّر فيها أصحابَه الفتنةَ ، فأَخْبَرَه أنه إنما يُخَصُّ بها ناسٌ منهم دونَ ناسٍ ، فقال : ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الأنفال : ٢٥] . فخَصَّ بها أقوامًا مِن أصحابِ محمدٍ ﷺ بعدَه ، وعصَم بها أقوامًا[2] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن أبي جعفرٍ ، عن الربيعِ

(١) فى م : « اجتمعت » .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٩/٣ إلى المصنف .

ابنِ أنسٍ ، عن أبى العاليةِ ، قال : لمَّا جاء جبريلُ إلى النبىِّ ﷺ ، فأخبَرَه بما يَكونُ فى أمتِه مِن الفُرْقةِ والاختِلافِ ، فشقَّ ذلك عليه ، ثم دعا ، فقال : « اللهم أَظْهِرْ عليهم أفضلَهم بَقِيَّةً[(١)] » .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو الأسودِ ، قال : أخبَرنا ابنُ لهيعةَ ، عن خالدِ بنِ يزيدَ ، عن أبى الزُّبيرِ ، قال : لمَّا نزَلَت هذه الآيةُ : ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾ قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَعُوذُ باللَّهِ مِن ذلك » . قال : ﴿ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ . قال : « أَعُوذُ باللَّهِ مِن ذلك » . قال : ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ﴾ . قال : « هذه أَيْسرُ » . ولو استَعاذه لأَعاذَه[(٢)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا المُؤَمَّلُ البصرىُّ ، قال : أخبَرَنا يعقوبُ بنُ إسماعيلَ بنِ يَسارٍ المَدِينىُّ ، قال : ثنا زيدُ بنُ أسلمَ ، قال : لمَّا نزَلَت : ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ . قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لا ترْجِعوا بعدى كفارًا يَضْرِبُ بعضُكم رقابَ بعضٍ بالسيوفِ » . فقالوا : ونحن نَشْهَدُ ألا إلهَ إلا اللَّهُ ، وأنك رسولُ اللَّهِ ! قال : « نعم » . فقال بعضُ الناس : لا يَكونُ هذا أبدًا . فأنزَل اللَّهُ : ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام : ٦٥-٦٧][(٣)] .

وقال آخرون : عُنِى ببعضِها أهلُ الشركِ ، وببعضِها أهلُ الإسلامِ .

---

(١) فى م : « تقية » . وبقية : يقال : قوم لهم بقية ، إذا كانت بهم مُسْكة وفيهم خير . ينظر اللسان (ب ق ى).

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٣١١ (٧٤١١) من طريق أبى الأسود موصولًا عن أبى الزبير ، عن جابر .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٣١٢ (٧٤١٨) من طريق المؤمل به .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا سُوَيْدُ بنُ نصرٍ ، قال : أخبرَنا ابنُ المباركِ ، عن هارونَ بنِ موسى ، عن حفصِ بنِ سليمانَ ، عن الحسنِ في قولِه : ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ . قال : هذا للمشركين . ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ . قال : هذا للمسلمين[1] .

والصوابُ مِن القولِ عندى أن يُقالَ : إن اللَّهَ تعالى ذكرُه توعَّد بهذه الآيةِ أهلَ الشركِ به مِن عَبَدةِ الأوثانِ ، / وإياهم خاطَب بها ؛ لأنها بينَ إخبارٍ عنهم وخطابٍ لهم ، وذلك أنها تَتْلو قولَه : ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا[2] مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾ . ويَتْلُوها قولُه : ﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ . وغيرُ جائزٍ أن يَكونَ المؤمنون كانوا به مُكَذِّبين ، فإذا كان غيرَ جائزٍ أن يَكونَ ذلك كذلك ، وكانت هذه الآيةُ بينَ هاتين الآيتين ، كان بيِّنًا أن ذلك وَعيدٌ لمَن تقدَّم وصفُ اللَّهِ إياه بالشركِ ، وتأخَّر الخبرُ عنه بالتكذيبِ ، لا لمَن لم يَجْرِ له ذكرٌ ، غيرَ أن ذلك وإن كان كذلك ، فإنه قد عَمَّ وعيدُه بذلك كلَّ مَن سلَك سبيلَهم مِن أهلِ الخلافِ على اللَّهِ وعلى رسولِه ، والتكذيبِ بآياتِ اللَّهِ مِن هذه وغيرِها .

٢٢٦/٧

وأما الأخبارُ التي رُوِيَت عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أنه قال : « سأَلْتُ ربى ثلاثًا ، فأعْطانى اثنتَيْنِ ومنَعَنى واحدةً » . فجائزٌ[3] أن هذه الآيةَ نزَلَت في ذلك الوقتِ وعيدًا

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٣١٠ (٧٤٠٥) من طريق هارون به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣/ ٢٠ إلى أبي الشيخ .

(٢) في ص، ت١، ت٢، ت٣، س : « أنجيتنا » . وهي قراءة ، وينظر الكلام عليها في ص ٢٩٤ .

(٣) في ص، ت١، ت٢، ت٣، س : « و » .

لمَن ذكَرْتُ مِن المشركين ومَن كان على مِنْهاجِهم مِن المخالِفِين ربَّهم ، فسأَل رسولُ اللَّهِ ﷺ ربَّه أن يُعيذَ أمتَه مما ابْتُلِى به الأممُ الذين اسْتَوْجَبوا مِن اللَّهِ تعالى ذكرُه بمعصيتِهم إياه هذه العقوباتِ ، فأعاذَهم بدعائِه إياه ورغبتِه إليه مِن المعاصى التى يَسْتَحِقُّون بها مِن هذه الخِلال الأربعِ مِن العقوباتِ اثْنَتَين[1] ،ولم يُعِذْهم مِن ذلك [١/٧٦٣ظ] ما يَسْتَحِقُّون به اثنتين منها .

وأما الذين تأوَّلوا أنه عنَى بجميعِ ما فى هذه الآيةِ هذه الأمةَ ، فإنى أراهم تأوَّلوا أن فى هذه الأمةِ مَن سيَأْتى مِن مَعاصِى اللَّهِ وركوبِ ما يُسْخِطُ اللَّهَ ، نحوَ الذى ركِب مَن قبلَهم مِن الأممِ السالفةِ ، مِن خلافِه والكفرِ به ، فيَحِلُّ بهم مثلُ الذى حَلَّ بمَن قبلَهم مِن المَثُلاتِ والنَّقِماتِ ، وكذلك قال أبو العاليةِ ومَن قال بقولِه : جاء [2]مستقرُّ اثنتين[2] بعدَ رسولِ اللَّهِ ﷺ بخمسٍ وعشرين سنةً ، وبقِيَت اثنتان ؛ الخَسْفُ والمَسْخُ . وذلك أنه رُوِى عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أنه قال : « سيَكُونُ فى هذه الأمةِ خَسفٌ ومَسْخٌ وقَذْفٌ »[3] . وأن قومًا مِن أمتِه سيَبِيتون على لهوٍ ولعبٍ ، ثم يُصْبِحون قِرَدةً وخَنازيرَ[4] . وذلك إذا كان ، فلا شكَّ أنه نظيرُ الذى كان فى الأممِ الذين عَتَوْا على ربِّهم فى التكذيبِ وجحَدوا آياتِه .

وقد رُوِى نحوُ الذى رُوِى ، عن أبى العاليةِ ، عن أُبَىٍّ .

حدَّثنا هَنَّادٌ ، قال : ثنا وَكيعٌ ، وحدَّثنا سفيانُ ، قال : أخبرَنا أبِى ، عن أبى جعفرٍ الرازىِّ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ ، عن أُبىِّ بنِ كعبٍ : ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ

(١) فى م : « أغلظها » .

(٢ - ٢) فى م : « منهن اثنتان » .

(٣) أخرجه الترمذى (٢١٨٥) .

(٤) أخرجه البخارى (٥٥٩٠) معلقا من حديث أبى عامر أو أبى مالك الأشعرى ، ووصله البيهقى ١٠/ ٢٢١، والحافظ فى التغليق ٥/ ١٧.

عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ﴾ . قال : هنَّ أربعُ خِلالٍ ، وكلُّهن عذابٌ ، وكلُّهن واقعٌ قبلَ يومِ القيامةِ ، فمضَت اثنتان بعدَ وفاةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ بخمسٍ وعشرين سنةً ؛ أُلْبِسوا[1] شِيَعًا ، وأُذِيق بعضُهم بأسَ بعضٍ ، وثنتان واقِعتان لا مَحالةَ ؛ الخسفُ والرجمُ[2] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ (٦٥) ﴾ :

يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : انظُرْ يا محمدُ بعينِ قلبِك إلى تَرْدِيدِنا حُجَجَنا على هؤلاء المكذِّبين بربِّهم ، الجاحِدين نِعَمَه ، وتَصْريفِنا ها فيهم ﴿ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ . يقولُ : ليتفقَّهوا[3] ذلك / ويَعْتَبِروه ، فيَذَّكَّروا ويَزْدَجِروا عما هم عليه مُقِيمون ، مما يَسْخَطُه اللَّهُ منهم مِن عبادةِ الأوثانِ والأصنامِ ، والتكذيبِ بكتابِ اللَّهِ تعالى ذكرُه ورسولِه ﷺ . ٢٢٧/٧

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ (٦٦) لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٦٧) ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : وكذَّب يا محمدُ قومُك بما تَقولُ وتُخْبِرُ وتُوعِدُ مِن الوَعيدِ ، ﴿ وَهُوَ الْحَقُّ ﴾ . يقولُ : والوعيدُ الذى أوْعَدْناهم على مُقامِهم على شركِهم ، مِن بعثِ العذابِ مِن فوقِهم ، أو مِن تحتِ أرجلِهم ، أو لَبْسِهم شِيَعًا ،

(١) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س : « ثم لبسوا » .

(٢) أخرجه ابن أبى شيبة ١٥/ ١٨٠، وأحمد فى مسنده ٥/ ١٣٤، ١٣٥ (الميمنية)، وأبو نعيم فى الحلية ١/ ٢٥٣ من طريق وكيع به ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/ ١٣٠٩ (٣٧٩٨) من طريق أبى جعفر به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/ ١٧ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبى الشيخ وابن مردويه .

(٣) فى م : « ليفقهوا » .

وإذاقةِ بعضِهم بأسَ بعضٍ - الحقُّ الذى لاشكَّ فيه أنه واقعٌ ، إن هم لم يَتُوبوا ويُنِيبُوا مما هم عليه مُقِيمون مِن معصيةِ اللَّهِ والشركِ به ، إلى طاعةِ اللَّهِ والإيمانِ به . ﴿ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾ . يقولُ : قلْ لهم يا محمدُ : لسْتُ عليكم بحَفيظٍ ولا رَقيبٍ ، وإنما أنا رسولٌ أُبَلِّغُكم ما أُرْسِلْتُ به إليكم ، ﴿ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ﴾ . يقولُ : لكلِّ خبرٍ ﴿ مُّسْتَقَرٌّ ﴾ . يعنى : قَرارٌ يَسْتَقِرُّ عندَه ، ونهايةٌ يَنْتَهِى إليها ، فيَتَبَيَّنَ حقُّه وصدقُه مِن كذبِه وباطِلِه . ﴿ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ . يقولُ : وسوف تَعْلَمون أيُّها المُكَذِّبون بصحةِ ما أُخْبِرُكم به مِن وعيدِ اللَّهِ إياكم أيُّها المشركون ، وحقيقتِه[1] عندَ حلولِ عذابِه بكم ، فرَأَوْا ذلك وعايَنوه ، فقتَلَهم يومَئذٍ بأيْدِى أوليائِه مِن المؤمنين .

وبنحوِ الذى قلنا مِن التأويلِ فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المُفَضَّلِ ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السديِّ : ﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ . يقولُ : كذَّبَت قريشٌ بالقرآنِ وهو الحقُّ . وأما الوكيلُ فالحفيظُ . وأما ﴿ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ﴾ ، فكان نبأُ القرآنِ اسْتَقَرَّ يومَ بدرٍ ، بما كان يَعِدُهم مِن العذابِ[2] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ﴾ : لكلِّ نبأٍ حقيقةٌ ، إما فى الدنيا وإما فى الآخرةِ ،

---

(١) فى م : « حقيته » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣١٣/٤ (٧٤٢٠ ، ٧٤٢١ ، ٧٤٢٤) من طريق أحمد بن مفضل به، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٠/٣ إلى أبى الشيخ .

﴿ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ ما كان فى الدنيا فسوف ترَوْنه ، وما كان فى الآخرةِ يَبْدُو لكم[(١)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا عبدُاللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : حدَّثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ،عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ﴾ . يقولُ : حقيقةٌ[(٢)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ . يقولُ : فعلٌ وحقيقةٌ ، ما كان منه فى الدنيا ، وما كان منه فى الآخرةِ[(٣)] .

وكان الحسنُ يَتَأَوَّلُ فى ذلك أنه الفتنةُ التى كانت بينَ أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ .

٢٢٨/٧ /حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا سُوَيْدُ بنُ نصرٍ ، قال : أخبَرنا ابنُ المباركِ ، عن جعفرِ بنِ حَيَّانَ ، عن الحسنِ أنه قرَأ : ﴿ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ﴾ . قال : حُبِست عقوبتُها ، حتى إذا[(٤)] عُمِل ذنبُها أُرسِلَت عقوبتُها[(٥)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣١٣/٤ (٧٤٢٥) من طريق أبى حذيفة به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٠/٣ إلى أبى الشيخ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣١٣/٤ (٧٤٢٢) من طريق أبى صالح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٠/٣ إلى المصنف وابن المنذر .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٠/٣ إلى المصنف .

(٤) سقط من النسخ والدر المنثور ، والمثبت من تفسير ابن أبى حاتم .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣١٣/٤ (٧٤٢٣) من طريق جعفر بن حيان به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٠/٣ إلى ابن المنذر وأبى الشيخ .

يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : وإذا رأيْتَ يا محمدُ المشركين الذين يَخُوضُون فى آياتِنا التى أنْزَلناها [١/٧٦٤ظ] إليك ، ووحْينا الذى أوْحَيْناه إليك . وخوضُهم فيها كان استهزاءَهم بها ، وسَبَّهم مَن أنْزَلها وتكَلَّم بها ، وتَكْذيبَهم بها . ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ . يقولُ : فصُدَّ عنهم بوجهِك ، وقُمْ عنهم ، ولا تَجْلِسْ معهم ﴿ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ﴾ . يقولُ : حتى يَأْخُذوا فى حديثٍ غيرِ الاستهزاءِ بآياتِ اللَّهِ ، مِن حديثِهم بينَهم . ﴿ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ . يقولُ : وإن أنْساك الشيطانُ نَهْيَنا إياك عن الجلوسِ معهم ، والإعراضَ عنهم ، فى حالِ خوضِهم فى آياتِنا ، ثم ذكَرتَ ذلك ، فقُمْ عنهم ، ولا تَقْعُدْ بعدَ ذكْرِك ذلك مع القومِ الظالمين الذين خاضُوا فى غيرِ الذى لهم الخوضُ فيه ، بما خاضُوا به فيه . وذلك هو معنى ظلمِهم فى هذا الموضعِ .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبرَنا معمرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ﴾ . قال : نهاه اللَّهُ أن يَجْلِسَ مع الذين يَخُوضُون فى آياتِ اللَّهِ يُكَذِّبون بها ، فإن نسِى فلا يَقْعُدْ بعدَ الذكرى[1] مع القومِ الظالمين[2] .

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثَوْرٍ ، قال : أخْبَرنا معمرٌ ، عن قتادةَ بنحوِه .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا مُؤَمَّلٌ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن السدىِّ ، عن أبى مالكٍ

---

(١) فى ص، ت ١: « الذكر » .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/ ٢١٢، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/ ٢٠ إلى عبد بن حميد .

وسعيدِ بنِ جبيرٍ فى قولِه : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا ﴾ . قال : الذين يُكَذِّبون بآياتِنا[1] .

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السدىِّ : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ . قال : كان المشركون إذا جالَسوا المؤمنين وَقَعوا فى النبىِّ ﷺ والقرآنِ ، فسبُّوه واسْتَهْزَءوا به ، فأمَرَهم اللَّهُ ألا يَقْعُدُوا معهم حتى يَخُوضُوا فى حديثٍ غيرِه[2] .

وأما قولُه : ﴿ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ . يقولُ : نَهْيَنا[3] ، فتقْعُدُ معهم ، فإذا ذَكَرْتَ فقُمْ .

٢٢٩/٧ /حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ : ﴿ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا ﴾ . قال : يُكَذِّبون بآياتِنا[4] .

حدَّثنى يحيى بنُ طلحةَ اليَرْبُوعىُّ ، قال : ثنا فُضيلُ بنُ عِياضٍ ، عن ليثٍ ، عن أبى جعفرٍ ، قال : لا تُجالِسوا أهلَ الخُصوماتِ ، فإنهم الذين يَخوضُون فى آياتِ اللَّهِ[5] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ

---

(١) سيأتى تخريجه فى ص ٣١٦ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣١٤/٤ (٧٤٣٠) من طريق أحمد بن مفضل به .

(٣) فى م : « نسيت » .

(٤) تفسير مجاهد ص ٣٢٣.

(٥) أخرجه أبو نعيم فى الحلية ١٨٤/٣ من طريق ليث ، عن الحكم ، عن أبى جعفر ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٠/٣ إلى عبد بن حميد .

أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا ﴾ . وقولَه : ﴿ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا ﴾ [الأنعام : ١٥٩] . وقولَه : ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾ [آل عمران : ١٠٥] . وقولَه : ﴿ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ﴾ [الشورى : ١٣] . ونحوَ هذا فى القرآنِ . قال : أمَر اللَّهُ المؤمنين بالجماعةِ ، ونهاهم عن الاختلافِ والفُرْقةِ ، وأخْبَرَهم أنه إنما هلَك[1] مَن كان قبلَهم بالمِراءِ والخُصوماتِ فى دينِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ[2] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن مُجاهدٍ قولَه : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا ﴾ . قال : يَسْتَهْزِئون بها . قال : نُهِى رسولُ اللَّهِ ﷺ أن يَقْعُدَ معهم إلا أن يَنْسَى ، فإذا ذكَر فلْيَقُمْ ، فذلك قولُه : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ .

قال ابنُ جُريجٍ : كان المشركون يَجْلِسون إلى النبىِّ ﷺ يُحِبُّون أن يَسْمَعوا منه ، فإذا سمِعوا اسْتَهْزَءوا ، فنزَلَت : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ الآية[3] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا سفيانُ ، عن منصورٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا ﴾ . قال : يُكَذِّبون .

---

(١) فى ص، ت ١: « أهلك » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣١٤/٤ (٧٤٢٦) من طريق أبى صالح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٠/٣ إلى ابن المنذر .

(٣) تفسير مجاهد ص ٣٢٣. وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣١٥/٤ (٧٤٣٣) من طريق يحيى ، عن مجاهد ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٠/٣ إلى ابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر ، وسيأتى قول ابن جريج بتمامه فى ص ٣١٧ .

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : ثنا عُبيدُ[1] اللَّهِ ، عن إسرائيلَ ، عن السديِّ ، عن أبى مالكٍ قولَه : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ﴾ . يعنى المشركين ، ﴿ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ : إن نسِيتَ فذكَرْتَ فلا تَجْلِسْ معهم[2] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : ومَن اتَّقى اللَّهَ فخافَه ، فأطاعه فيما أمَرَه به ، واجْتَنَب ما نهاه عنه ، فليس عليه بتركِ الإعْراضِ عن هؤلاء الخائِضِين فى آياتِ اللَّهِ فى حالِ خوضِهم فى آياتِ اللَّهِ - شىءٌ مِن تَبِعةٍ فيما بينَه وبينَ اللَّهِ ، إذا لم يَكُنْ تركُه الإعراضَ عنهم رِضًا بما هم فيه ، وكان للَّهِ بحقوقِه مُتَّقِيًا ، ولا عليه مِن إثمِهم بذلك حَرَجٌ ، ولكن لِيُعْرِضوا عنهم حينَئِذٍ ذِكْرَى لأمرِ اللَّهِ ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ . يقولُ : ليَتَّقُوا .

٧/٢٣٠ ومعنى « الذكرى » / الذكرُ ، والذكرُ والذكرى بمعنًى .

وقد يَجوزُ أن يَكونَ ﴿ ذِكْرَىٰ ﴾ فى موضعِ نصبٍ ورفعٍ ؛ فأما النصبُ فعلى ما وصَفْتُ مِن تأويلٍ : ولكن لِيُعْرِضوا عنهم ذكرى . وأما الرفعُ فعلى تأويلِ : وما على الذين يَتَّقُون مِن حسابِهم شىءٌ[3] بتركِ الإعْراضِ[4] ، ولكن إعْراضُهم ذكرى

---

(١) فى النسخ : « عبد الله » وتقدم مرارًا .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣١٤/٤ ، ١٣١٥ (٧٤٢٩ ، ٧٤٣٥) من طريق عبيد الله بن موسى به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٠/٣ إلى عبد بن حميد وأبى داود فى ناسخه وابن المنذر وأبى الشيخ .

(٣) سقط من : ص، ت١، ت٢، ت٣، س .

(٤) بعده فى : ص، ت١، ت٢، ت٣، س : « بمعنى » .

لأمرِ اللَّهِ ، لعلهم يَتَّقُون .

وقد ذُكِر أن النبيَّ ﷺ إنما أُمِر بالقيامِ عن المشركين إذا خاضُوا [١/٧٦٤ظ] في آياتِ اللَّهِ ؛ لأن قيامَه عنهم كان مما[1] يكرهونه ، فقال اللَّهُ له : إذا خاضُوا في آياتِ اللَّهِ ، فقُمْ عنهم ؛ ليتَّقوا الخوضَ فيها ويتْرُكوا ذلك .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثني حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : كان المشركون يَجْلِسون إلى النبيِّ ﷺ يُحِبُّون أن يَسْمَعوا منه ، فإذا سمِعوا استهْزءوا ، فنزَلَت : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ﴾ الآية . قال : فجعَل[2] إذا استهْزَءوا قام ، فحذِروا وقالوا : لا تَسْتَهْزِئوا فيقومَ . فذلك قولُه : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ أن يَخوضوا فيقومَ ، ونزَل : ﴿ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾ إن تَقْعُدْ[3] معهم ، ولكن لا تَقْعُدْ[4] ، ثم نسَخ ذلك قولُه بالمدينةِ : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ﴾ [النساء : ١٤٠] فنسِخ قولُه : ﴿ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾ الآية[5] .

حدَّثني محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ قولَه : ﴿ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾ . يقولُ : مِن

(١) في ص، ت١، س : « فيما » .

(٢) في ص، س، والدر : « فجعلوا » .

(٣) في ص، س، ت ١ : « قعد » ، وفي م، ت٢،ت ٣: « قعدوا » ، والمثبت من الدر المنثور .

(٤) في م : « تقعدوا » .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣/ ٢٠، ٢١ إلى المصنف وابن المنذر وأبي الشيخ .

حسابِ الكفارِ مِن شيءٍ ، ﴿ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ ﴾ . يقولُ : إذا ذكرتَ فقمْ ، ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ مَساءتَكم ، إذا رأَوْكم لا تُجالِسونهم استَحْيَوْا منكم فكفُّوا عنكم ، ثم نسَخها اللَّهُ بعدُ ، فنهاهم أن يَجْلِسوا معهم أبدًا ، قال : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا ﴾ الآية[1] [النساء: ١٤٠] .

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ : ﴿ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾ : إن قعَدوا ، ولكن لا تَقْعُدْ[2] .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ مثلَه .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا عُبيدُ اللَّهِ ، عن إسرائيلَ ، عن السديِّ ، عن أبي مالكٍ : ﴿ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ ﴾ . قال : وما عليك أن يَخوضُوا في آياتِ اللَّهِ إذا فعَلْتَ ذلك[3] .

القولُ في تأويلِ قولِه : ﴿ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ/ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَا ۗ ﴾ . ٢٣١/٧

يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : ذَرْ هؤلاء الذين اتخذوا دينَ اللَّهِ وطاعتَهم إياه لعبًا ولهوًا ، فجعَلوا حُظوظَهم مِن طاعتِهم إياه اللعبَ بآياتِه ، واللهوَ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣١٦/٤ ، ١٣١٧ (٧٤٤١ ، ٧٤٤٤) من طريق أحمد بن المفضل به .
(٢) تفسير مجاهد ص ٣٢٣، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢١/٣ إلى عبد بن حميد وأبي الشيخ.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣١٦/٤ (٧٤٣٩) من طريق عبيد الله بن موسى به ، وتقدم أوله في ص ٣١٤، ٣١٦.

والاستِهزاءَ بها إذا سمِعوها وتُلِيَت عليهم ، فأعْرِضْ عنهم ، فإنى لهم بالمِرْصادِ ، وإنى لهم مِن وراءِ الانتقامِ منهم ، والعقوبةِ لهم على ما يَفْعَلون ، وعلى اغترارِهم بزينةِ الحياةِ الدنيا ، ونسيانِهم المَعادَ إلى اللَّهِ تعالى ذكرُه ، والمصيرَ إليه بعدَ المماتِ .

كالذى حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ . قال : كقولِه : ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر : ١١] .[(١)]

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

وقد نسَخ اللَّهُ تعالى هذه الآيةَ بقولِه : ﴿ٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة : ٥] . وكذلك قال عددٌ مِن أهلِ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا حجاجُ بنُ المِنْهالِ ، قال : ثنا همامُ بنُ يحيى ، عن قتادةَ : ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ : ثم أَنْزَل فى سورةِ « براءة » ، فأمَر بقتالِهم[(٢)] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا عَبْدةُ بنُ سليمانَ ، قال : قرَأْتُ على ابنِ أبى عَروبةَ ، فقال : هكذا سمِعْتُه مِن قتادةَ : ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ : ثم

---

(١) تفسير مجاهد ص ٣٢٤. ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٣١٧ (٧٤٤٧) .
وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/٢١ إلى عبد بن حميد وأبى الشيخ .
(٢) أخرجه ابن الجوزى فى ناسخه ص٣٢٦ من طريق همام به ، وأخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ١/ ٢١٢- ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٣١٧ (٧٤٤٨) ، والنحاس فى الناسخ ص٤١٨ - عن معمر عن قتادة بلفظ آخر ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/٢١ إلى عبد بن حميد وأبى داود فى ناسخه وابن المنذر .

أنزَل اللَّهُ تعالى ذكرُه « براءة » ، وأمَر بقتالِهم ، فقال : ﴿ اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ .

وأما قولُه : ﴿ وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ . فإنه يعني به : وذكِّرْ يا محمدُ بهذا القرآنِ هؤلاء المُوَلِّين عنك وعنه ، ﴿ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ ﴾ . بمعنى : ألَّا تُبسَلَ ، كما قال : ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا ﴾ [النساء: ١٧٦] . بمعنى : ألَّا تَضِلُّوا . وإنما معنى الكلامِ : وذكِّرْهم[1] به ليُؤْمِنوا ويَتَّبِعوا ما جاءَهم مِن عندِ اللَّهِ مِن الحقِّ ، فلا تُبسَلَ أنفسُهم بما كسَبَت مِن الأَوْزارِ . ولكن حُذِفَت « لا » لدلالةِ الكلامِ عليها .

واختلَف أهلُ التأويلِ في تأويلِ قولِه : ﴿ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ ﴾ ؛ فقال بعضُهم : معنى ذلك : أن تُسْلَمَ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ واضحٍ ، قال : ثنا الحسينُ بنُ واقدٍ ، عن يزيدَ النَّحْويِّ ، عن عكرمةَ قولَه : ﴿ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ . قال : تُسْلَمَ[2] .

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثَوْرٍ ، عن معمرٍ ، عن الحسنِ : ﴿ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ ﴾ . قال : أن تُسْلَمَ .

٢٣٢/٧ /حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا معمرٌ ، عن الحسنِ مثلَه[2] .

---

(١) في م : « ذكر » .

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣١٨/٤ عقب الأثر (٧٤٥٢) معلقا .

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبي نجيحٍ ، عن مجاهدٍ في قولِ اللَّهِ تعالى ذكرُه : ﴿أَن تُبْسَلَ﴾ . قال : تُسْلَمَ[1] .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ﴾ . قال : تُسْلَمَ .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا حكَّامٌ ، عن عَنْبَسةَ ، عن ليثٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ﴾ : أُسْلِموا[2] .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : تُحْبَس .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ [١/٧٦٥و] الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثَوْرٍ ، عن مَعْمرٍ ، عن قتادةَ : ﴿أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ﴾ . قال : تُؤْخَذَ فتُحْبَسَ .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا معمرٌ ، عن قتادةَ مثلَه[3] .

حدَّثني يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِه : ﴿أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ﴾ : أن تُؤْخَذَ نفسٌ بما كسَبَت[4] .

وقال آخرون : معناه : تُفْضَحَ .

---

(١) تفسير مجاهد ص ٣٢٤.

(٢) سقط من : ص، ت١، ت٢، ت٣، س .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣١٨/٤ (٧٤٥٤) عن الحسن بن يحيى به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢١/٣ إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣١٩/٤ (٧٤٥٩) من طريق أصبغ ، عن ابن زيد.

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، [(١] قال : حدَّثني معاويةُ بنُ صالحٍ [١)] ، عن عليٍّ بنِ أبي طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسُۢ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ . يقولُ : تُفْضَحَ [(٢)] .

وقال آخرون : معناه : أن تُجْزَى .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ واضحٍ ، قال : ثنا الحسينُ بنُ واقدٍ ، قال : قال الكلبيُّ : ﴿ أَن تُبْسَلَ ﴾ : أن تُجْزَى .

وأصلُ « الإبْسالِ » التحريمُ ، يقالُ منه : أبْسَلْتُ المكانَ . إذا حرَّمْتَه فلم يُقْرَبْ [(٣)] . ومنه قولُ الشاعرِ [(٤)] :

بَكَرَتْ [(٥)] تَلُومُكَ بعدَ وَهْنٍ [(٦)] في النَّدَى بَسْلٌ عليكِ مَلامَتى وعِتابى

أى : حرامٌ [(٧] عليك ملامتى وعتابى . ومنه قولُهم : أسدٌ باسلٌ [٧)] . يُرادُ به : لا

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣١٨/٤ (٧٤٥٣) من طريق عبد الله بن صالح به ، وعزاه السيوطى في الدر المنثور ٢١/٣ إلى ابن المنذر .

(٣) في م : « تقربه » .

(٤) هو ضمرة بن ضمرة النهشلى كما في النوادر لأبي زيد ص٢، والأمالي للقالي ٢٧٩/٢ ونسبه في الوحشيات ص ٢٥٦ إلى ابنه حَرِّى بن ضمرة .

(٥) بكرت : عجلت . ينظر اللسان (ب ك ر) .

(٦) الوهن : نحو من نصف الليل ، أو بعد ساعة منه ، أو هو حين يدبر الليل ، أو هو ساعة تمضى من الليل . التاج (و هـ ن) .

(٧ - ٧) في النسخ : « ومنه قولهم : وعتابى أسد آسد » . وينظر معاني القرآن للفراء ٣٣٨/١، وتعليق الشيخ شاكر على هذا الموضع .

يَقْرَبُه شيءٌ . فكأنه قد حرَّم نفسَه . ثم يُجْعَلُ ذلك / صفةً لكلِّ شديدٍ يَتحامَى ٢٣٣/٧
لشدتِه ، ويُقالُ : أَعْطِ الراقىَ بُسْلَتَه[١] . يُرادُ بذلك : أُجْرتَه . وشرابٌ بَسِيلٌ . بمعنى : متروكٌ . وكذلك المُبْسَلُ بالجَريرةِ[٢] ، وهو المُرْتَهَنُ بها ، قيل له : مُبْسَلٌ . لأنه مُحَرَّمٌ[٣] مِن كلِّ شيءٍ إلا مما رُهِن فيه وأُسْلِم به . ومنه قولُ عوفِ بنِ الأَحوصِ الكِلابيِّ[٤] :

وإبْسَالِى بَنِىَّ بغيرِ جُرْمٍ بعَوْناه[٥] ولا بدَمٍ مُراقِ

وقال الشَّنْفَرَى[٦] :

هنالِك لا أَرْجُو حياةً تَسُرُّنى سَمِيرَ[٧] الليالى مُبْسَلًا بالجَرَائِرِ

فتأويلُ الكلامِ إذن : وذَكِّرْ بالقرآنِ هؤلاء الذين يَخُوضُون فى آياتِنا ، وغيرَهم ممَّن سلَك سبيلَهم مِن المشركين ، كيلا تُبْسَلَ نفسٌ بذنوبِها وكفرِها بربِّها ، وتُرْتَهَنَ فتَغْلَقَ[٨] بما كسَبَت مِن أجرامِها فى عذابِ اللَّهِ ، ﴿ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ . يقولُ : ليس لها حينَ تُسْلَمُ بذنوبِها ، فتُرْتَهَنُ بما كسَبَت مِن آثامِها ، أحدٌ يَنْصُرُها ، فيُنْقِذُها مِن اللَّهِ الذى جازاها بذنوبِها جزاءَها ، ولا شفيعٌ يَشفَعُ لها ، لوسيلةٍ له عندَه .

القولُ فى تأويلِ قولِه عز ذكرُه : ﴿ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ﴾ .

---

(١) فى م : « بسيلته » .

(٢) الجريرة : الجناية . الصحاح (ج ر ر) .

(٣) بعده فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س : « ومنه » .

(٤) النوادر لأبى زيد ١٥١، ومجاز القرآن ١/١٩٤، والمعانى الكبير ٢/١١١٤.

(٥) بعا الذنب يبعاه ويبعوه : اجترمه واكتسبه . اللسان (ب ع و) ، والبيت فيه .

(٦) ديوانه الطرائف الأدبية ص ٣٦.

(٧) فى الديوان : « سجيس » . وسمير الليالى وسجيها : أبد الليالى . اللسان (س م ر ، س ج س) . والبيت فيه .

(٨) هو من غلق الرهن ، وذلك إذا لم يُفتكّ فى الوقت المشروط ، فيستحقه المرتهن . ينظر اللسان (غ ل ق) .

يقولُ تعالى ذكرُه : وإن تَعْدِلِ النفسُ التى أُبْسِلَت بما كسَبَت ، يعنى : ﴿ وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٖ ﴾ . يعنى : كلَّ فِداءٍ .

يقالُ منه : عدَل يَعْدِلُ ، إذا فَدَى ، عَدْلًا . ومنه قولُ اللَّهِ تعالى ذكرُه : ﴿ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا ﴾ [المائدة : ٩٥] . وهو ما عادَله مِن غيرِ نوعِه .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثَوْرٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ : ﴿ وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٖ لَّا يُؤۡخَذۡ مِنۡهَآۗ ﴾ . قال : لو جاءَت بملءِ الأرضِ ذهبًا لم يُقْبَلْ منها(١) .

حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المُفضَّلِ ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السديِّ فى قولِه : ﴿ وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٖ لَّا يُؤۡخَذۡ مِنۡهَآۗ ﴾ : فما يَعْدِلُها ، لو جاءَت بملءِ(٢) الأرضِ ذهبًا لتَفْتَدِىَ به ما قُبِل منها .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٖ لَّا يُؤۡخَذۡ مِنۡهَآۗ ﴾ . قال : ﴿ وَإِن تَعۡدِلۡ ﴾ : وإن تَفْتَدِ ، يكونُ له الدنيا وما فيها يَفْتَدِى بها ، لا يُؤْخذُ منه ، عَدْلًا عن نفسِه ، لا يُقْبَلُ منه(٣) .

وقد تأوَّل ذلك بعضُ أهلِ العلمِ بالعربيةِ(٤) بمعنى : وإن تُقْسِطْ كلَّ قِسْطٍ لا

---

(١) تفسير عبد الرزاق ٢١٢/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣١٨/٤ (٧٤٥٥) عن الحسن بن يحيى به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢١/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) فى ص : « بمثل » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣١٩/٤ (٧٤٥٦) من طريق أصبغ بن الفرج عن ابن زيد به .

(٤) هو أبو عبيدة فى مجاز القرآن ١/ ١٩٥.

٢٣٤/٧

يُقْبَلْ منها . / وقال : لأنَّما[١] التوبةُ فى الحياةِ .

وليس لِمَا قال مِن ذلك معنًى ؛ وذلك أن كلَّ تائبٍ فى[٢] الدنيا فإن اللَّهَ تعالى ذكرُه يَقْبَلُ توبتَه .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : وهؤلاء الذين إن فَدَوْا أنفسَهم مِن عذابِ اللَّهِ يومَ القيامةِ كلَّ فِداءٍ ، لم يُؤْخَذْ منهم ، هم ﴿ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْۖ ﴾ . يقولُ : أُسْلِموا لعذابِ اللَّهِ ، فرُهِنوا به ؛ جَزاءً بما كسَبوا فى الدنيا مِن الآثامِ والأوزارِ ﴿ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴾ . والحَميمُ هو الحارُّ فى كلامِ العربِ ، وإنما هو مَحمومٌ صُرِف إلى فَعيلٍ ، ومنه قيل للحَمَّامِ : حَمَّامٌ . لإسخانِه الجسمَ ، ومنه قولُ مُرَقِّشٍ[٣] :

فى كلِّ مُمْسًى لها مِقْطَرَةٌ[٤] فيها كِباءٌ[٥] مُعَدٌّ وحَميمْ

يعنى بذلك ماءً حارًّا . ومنه قولُ أبى ذُؤَيْبٍ الهُذَلىِّ فى صفةِ فرسٍ[٦] :

تَأْبَى بدِرَّتِها[٧] إذا ما اسْتُغْضِبت[٨] إلا الحَميمَ فإنه يَتَبَضَّعُ[٩]

---

(١) فى ص ، ت١ ، س : « لأنها » . وفى م ، ت٢ ، ت ٣ : « إنها » . والمثبت من مجاز القرآن .

(٢) سقط من : ص ، ت١ ، س .

(٣) المفضليات ص٢٤٨ .

(٤) المقطرة : المجمرة . اللسان (ق ط ر) . والبيت فيه .

(٥) الكباء : ضرب من العود والدخنة . اللسان (ك ب ي) .

(٦) ديوان الهذليين ١/ ١٧ .

(٧) الدرة : درة العدو ، أى : تأبى أن تدّر بما عندها من الجرى إذا استغضبتها . شرح أشعار الهذليين ١/ ٣٥ .

(٨) فى ص ، ت٢ ، ت٣ ، س : « استصعبت » ، وهى رواية ، وفى ت ١ : « استعصيت » . ورواية الديوان : « استكرهت » .

(٩) يتبضع : يتبزل ويتفجر ويتفتح بالعرق ، ويرشح به الجلد على كره . المصدر السابق .

يعنى بالحَميمِ عَرَقَ الفرسِ .

وإنما جعَل تعالى ذكرُه لهؤلاء الذين وصَف صفتَهم فى هذه الآيةِ شرابًا مِن حَميمٍ ؛ لأن الحارَّ مِن الماءِ لا يَرْوِى مِن عَطَشٍ . فأخْبَرَ أنهم إذا عطِشوا فى جهنمَ لم يُغاثوا بماءٍ يَرْوِيهم ، ولكن بما يَزِيدون به[(١)] عَطَشًا على ما بهم مِن العطشِ . ﴿ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ ﴾ . يقولُ : ولهم أيضًا مع الشرابِ مِن[(٢)] الحميمِ مِن اللَّهِ العذابُ الأليمُ ، والهَوانُ المقيمُ ، ﴿ بِمَا كَانُوا۟ يَكۡفُرُونَ ﴾ . يقولُ : بما كان مِن كفرِهم فى الدنيا باللَّهِ ، وإنكارِهم توحيدَه ، وعبادتِهم معه آلهةً دونَه .

٢٣٥/٧ /حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السديِّ : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبۡسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ۖ ﴾ . [١/٧٦٥ظ] قال : يقولُ : أُسْلِموا .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحة ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبۡسِلُوا۟ ﴾ . قال : فُضِحوا[(٣)] .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخْبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبۡسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ۖ ﴾ . قال : أُخِذوا بما كسَبوا[(٤)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه عز وجل : ﴿ قُلۡ أَنَدۡعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعۡقَابِنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلۡأَرۡضِ حَيۡرَانَ لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٌ يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى ٱئۡتِنَاۗ ﴾ .

---

(١) سقط من ص، ت١، ت٢، ت٣، س .

(٢) سقط من : م .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٣١٩ (٧٤٥٨) من طريق عبد الله بن صالح به ، وتقدم أوله فى ص ٣٢٢.

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٣١٩ (٧٤٥٩) من طريق أصبغ بن الفرج ، عن ابن زيد .

وهذا تَنبيهٌ مِن اللَّهِ تعالى ذكرُه نبيَّه ﷺ على حجَّتِه على مُشْرِكى قومِه مِن عَبَدةِ الأوثانِ ، يقولُ له تعالى ذكرُه : قلْ يا محمدُ لهؤلاء العادِلِين بربِّهم الأوثانَ والأندادَ ، والآمِرين لك باتباعِ دينِهم ، وعبادةِ الأصنامِ معهم : أَنَدْعُو مِن دونِ اللَّهِ حجرًا أو خشبًا لا يَقْدِرُ على نفعِنا أو ضَرِّنا ، فنُخْلِصَه[1] بالعبادةِ دونَ اللَّهِ ، ونَدَعَ عبادةَ الذى بيدِه الضَّرُّ والنفعُ ، والحياةُ والموتُ ، إن كنتم تَعْقِلون فتُمَيِّزون بينَ الخيرِ والشرِّ ؟ فلا شكَّ أنكم تَعْلَمون أن خدمةَ ما يُرْتَجَى نفعُه ويُرْهَبُ ضرُّه ، أحقُّ وأولى مِن خدمةِ مَن لا يُرْجَى نفعُه ولا يُخْشَى ضرُّه .

﴿ وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا ﴾ . يقولُ : ونُرَدُّ إلى أدبارِنا ، فنَرْجِعُ القَهْقَرَى خلفَنا ، لم نَظْفَرْ بحاجتِنا .

وقد بيَّنا معنى « الردِّ على العَقِبِ » ، وأن العربَ تقولُ لكلِّ طالبِ حاجةٍ لم يَظْفَرْ بها : رُدَّ على عقِبَيْه . فيما مضَى ، بما أغْنَى عن إعادتِه فى هذا الموضعِ[2] .

وإنما يُرادُ به فى هذا الموضعِ : ونُرَدُّ مِن الإسلامِ إلى الكفرِ ، ﴿ بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ فوفَّقَنا له ، فيكونُ مَثَلُنا فى ذلك مثلَ الرجلِ الذى اسْتَتْبَعَه الشيطانُ يَهْوِى فى الأرضِ حَيْرانَ .

وقولُه : ﴿ ٱسْتَهْوَتْهُ ﴾ . اسْتَفْعَلَتْه ، مِن قولِ القائلِ : هَوَى فلانٌ إلى كذا ، يَهْوِى إليه . و[3] مِن قولِ اللَّهِ تعالى ذكرُه : ﴿ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ ﴾ [إبراهيم : ٣٧] . بمعنى : تَنْزِعُ إليهم وتُرِيدُهم .

وأما ﴿ حَيْرَانَ ﴾ فإنه فَعْلانُ ، مِن قولِ القائلِ : قد حار فلانٌ فى الطريقِ ، فهو

---

(١) فى م : « فنخصه » ، وفى ت ٢ : « لنخلصه » ، وفى س : « فيخلصه » .

(٢) ينظر ما تقدم فى ٢/ ٦٤٦.

(٣) سقط من ص، ت١، ت٢، ت٣، س .

يَحارُ فيه حَيْرةً وحَيَرانًا وحيرُورةً . وذلك إذا ضَلَّ فلم يَهْتَدِ للمَحَجَّةِ .

﴿ لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٌ يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى ﴾ . يقولُ : لهذا الحَيْرانِ الذى قد استَهْوَتْه الشياطينُ فى الأرضِ ، أصحابٌ على المَحَجَّةِ واستقامةٍ من[1] السبيلِ ، يَدْعُونه إلى المحجةِ ؛ [2]لطريقِ الهدى[2] الذى هم[3] عليه ، يقولون له[4] : ائْتِنا .

وتُرِك إجراءُ ﴿ حَيۡرَانَ ﴾ ؛ لأنه فَعْلانُ ، وكلُّ اسمٍ كان على فَعْلانَ مما أُنْثاه فَعْلى ، فإنه لا يُجْرَى فى كلامِ العربِ فى معرفةٍ ولا نكرةٍ .

وهذا مَثَلٌ ضرَبه اللَّهُ تعالى ذكرُه لمن كفَر باللَّهِ بعدَ إيمانِه ، فاتَّبَع الشياطينَ مِن أهلِ الشركِ باللَّهِ ، وأصحابُه الذين كانوا أصحابَه فى حالِ إسلامِه ، المُقِيمون على الدينِ الحقِّ ، يَدْعُونه إلى الهُدَى الذى هم عليه / مُقِيمون ، والصوابِ الذى هم به مُتَمَسِّكون ، وهو له مُفارِقٌ ، وعنه زائلٌ ، يقولون له : ائْتِنا ، فكُنْ معنا على استقامةٍ وهدًى . وهو يأْبَى ذلك ، ويَتَّبِعُ دواعىَ الشيطانِ ، ويَعْبُدُ الآلهةَ والأوثانَ . ٢٣٦/٧

وبمثلِ الذى قلنا فى ذلك قال جماعةٌ مِن أهلِ التأويلِ ، وخالَف فى ذلك جماعةٌ .

ذكرُ مَن قال فى[5] ذلك مثلَ ما قلنا

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن

---

(١) سقط من : م .

(٢ - ٢) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س : « الطريق ولا الهدى » ، ولعل صواب ما فى هذه النسخ أن يكون هكذا : المحجة - طريق - وإلى الهدى .

(٣) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س : « هو » .

(٤) بعده فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س : « أيضا » .

(٥) سقط من : م .

السدىّ : ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ﴾ . قال : قال المشركون للمؤمنين : اتَّبِعوا سبيلَنا واترُكوا دينَ محمدٍ[(١)] . فقال اللَّهُ تعالى ذكرُه : ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ﴾ : فهذه الآلهةُ ، ﴿ وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ فيَكونُ مَثَلُنا كمثلِ الذى ﴿ ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ . يقولُ : مَثَلُكم إن كفَرْتم بعدَ الإيمانِ كمثلِ رجلٍ كان مع قومٍ على الطريقِ ، فضلَّ الطريقَ ، فحيَّرَتْه الشياطينُ ، واستَهْوَتْه فى الأرضِ ، وأصحابُه على الطريقِ ، فجعَلوا يَدْعُونه إليهم ، يقولون : ائْتِنا فإنا على الطريقِ . فأَبَى أن يَأْتِيَهم ، فذلك مَثَلُ مَن يَتْبَعُكم بعدَ المعرفةِ بمحمدٍ ، ومحمدٌ الذى يَدْعُو إلى الطريقِ ، والطريقُ هو الإسلامُ[(٢)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالحٍ ، قال : ثنى مُعاويةُ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا ﴾ . قال : هذا مَثَلٌ ضرَبه اللَّهُ للآلهةِ ومَن يَدْعو إليها ، وللدعاةِ الذين يَدْعُون إلى اللَّهِ ، كمَثَلِ رجلٍ ضَلَّ عن الطريقِ [(٣)]تائهًا ضالًّا[(٣)] ، إذ ناداه مُنادٍ : يا فلانُ بنَ فلانٍ ، هلمَّ إلى الطريقِ . وله أصحابٌ يَدْعونه : يا فلانُ ، هلمَّ إلى الطريقِ . فإن اتَّبع الداعىَ الأولَ ، انطَلَق به حتى يُلْقِيَه فى الهَلَكةِ ، وإن أجاب مَن يَدْعُوه إلى الهُدَى اهْتَدَى إلى الطريقِ ، وهذه الداعيةُ التى تَدْعُو فى البَرِّيَّةِ مِن الغِيلانِ ، يقولُ : مَثَلُ مَن يَعْبُدُ هؤلاء

---

(١) بعده فى النسخ ، وتفسير ابن أبى حاتم : « صلى الله عليه وسلم » . ولا يقوله المشركون ، وينظر فى تفسير ابن كثير ٣/٢٧٤ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٣٢٠ - ١٣٢٢ (٧٤٦٦ ، ٧٤٦٨، ٧٤٧٢، ٧٤٧٤) من طريق أحمد بن المفضل به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/٢٢ إلى أبى الشيخ .

(٣ - ٣) سقط من : م .

الآلهةَ مِن دونِ اللَّهِ ، فإنه يَرَى أنه فى شىءٍ ، حتى يأتِيَه الموتُ فيستقبِلَ الهلكةَ والنَّدامةَ .

وقولُه : ﴿ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ . وهم الغِيلانُ ، يَدْعُونه باسمِه واسمِ أبيه واسمِ جدِّه ، فيَتْبَعُها ، فيَرَى أنه فى شىءٍ ، فيُصْبِحُ[(١)] وقد ألْقَتْه فى الهَلَكةِ ، وربما أكَلَتْه ، أو تُلْقِيه فى مَضَلَّةٍ مِن الأرضِ ، يَهلِكُ فيها عطشًا ، فهذا مَثَلُ[(٢)] مَن أجاب الآلهةَ التى تُعْبَدُ مِن دونِ اللَّهِ عز وجل[(٣)] .

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثورٍ ، قال : ثنا معمرٌ ، عن قتادةَ : ﴿ ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ . قال : أضَلَّته فى الأرضِ حَيْرانَ[(٤)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ فى قولِه : ﴿ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ﴾ . قال : الأوْثانُ[(٥)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، وحدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ تعالى : ﴿ ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ ﴾ . قال : رجلٌ حَيْرانُ يَدْعُوه أصحابُه إلى الطريقِ ، فذلك[(٦)] مَثَلُ مَن يَضِلُّ بعدَ إذ هُدِى[(٥)] .

---

(١) سقط من : ت٢، وفى ص ، ت ١، ت ٣، س : « فيصير » .

(٢) سقط من : ص، ت١، ت٢، ت٣، س .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٢١/٤ (٧٤٦٩، ٧٤٧٣) من طريق أبى صالح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢١/٣ إلى ابن المنذر .

(٤) تفسير عبد الرزاق ٢١٢/١ عن معمر به .

(٥) تفسير مجاهد ص ٣٢٤ ، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٢٠/٤ ، ١٣٢١ (٧٤٦٧، ٧٤٧١) ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٢/٣ إلى ابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وأبى الشيخ .

(٦) فى ص ، م ، ت١ ، ت٢، ت٣، س : « كذلك » .والمثبت من تفسير ابن أبى حاتم والدر المنثور، وفى تفسير مجاهد : « ذلك » . وهو صواب أيضا .

٢٣٧/٧ /حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى، قال: ثنا محمدُ بنُ ثورٍ، عن معمرٍ، قال: ثنا رجلٌ، عن مجاهدٍ قال: ﴿ حَيْرَانَ ﴾: هذا مَثَلٌ ضرَبه اللَّهُ للكافرِ، يقولُ: الكافرُ حَيرانُ، يَدْعوه المسلمُ إلى الهُدَى فلا يُجِيبُ[1].

حدَّثنا بشرٌ، قال: ثنا يزيدُ، قال: ثنا سعيدٌ، عن قتادةَ قولَه: ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ﴾. حتى بلَغ: ﴿ لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[2]: علَّمها اللَّهُ محمدًا وأصحابَه، يُخاصِمون بها أهلَ الضَّلالةِ[3].

وقال آخرون فى تأويلِ ذلك بما حدَّثنى به محمدُ بنُ سعدٍ، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابنِ عباسٍ قولَه: ﴿ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ﴾: فهو الرجلُ الذى لا يَسْتَجِيبُ لهُدى اللَّهِ، وهو رجلٌ أطاع الشيطانَ، وعمِل فى الأرضِ بالمعصيةِ، وحار عن الحقِّ، وضلَّ عنه، وله أصحابٌ يَدْعونه إلى الهُدى، ويَزْعُمون أن الذى يَأْمُرُونه هُدًى، يقولُ اللَّهُ ذلك لأوليائِهم مِن الإنسِ، يقولُ[4]: إن الهُدى هُدى اللَّهِ، والضلالةَ ما تَدْعو إليه الجنُّ[5].

فكأن ابنَ عباسٍ على هذه الروايةِ كان يَرَى أن أصحابَ هذا الحيرانِ الذين يَدْعونه، إنما يَدْعونه إلى الضلالِ، ويَزْعُمون أن ذلك هدًى، وأن اللَّهَ أكْذَبَهم بقولِه: ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ﴾. لا ما يَدْعُوه إليه أصحابُه.

---

(١) تفسير عبد الرزاق ٢١٢/١ عن معمر ورجل، عن مجاهد.

(٢) بعده فى تفسير ابن أبى حاتم والدر المنثور: «خصومة».

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٢٢/٤ (٧٤٧٦) من طريق يزيد به، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٢/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبى الشيخ.

(٤) سقط من: م.

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٢٢/٤ (٧٤٧٥) عن محمد بن سعد به.

وهذا تأويلٌ له وجهٌ لو[(١)] لم يَكُنِ اللَّهُ سمَّى الذى دعا الحيرانَ إليه أصحابُه هُدًى ، وكان الخبرُ بذلك عن أصحابِه الدُّعاةِ له إلى ما دعَوْه إليه ، أنهم هم الذين سمَّوْه ، ولكنَّ اللَّهَ سمَّاه هدًى ، وأخبَر عن أصحابِ الحيرانِ أنهم يَدْعُونه إليه ، وغيرُ جائزٍ أن يُسَمِّىَ اللَّهُ الضلالَ هدًى ؛ لأن ذلك كذِبٌ ، وغيرُ جائزٍ وصفُ اللَّهِ بالكذبِ ؛ لأن ذلك وصفُه بما ليس مِن صفتِه ، وإنما كان يَجوزُ توجيهُ ذلك إلى الصوابِ ، لو كان ذلك خبرًا مِن اللَّهِ عن الداعى الحيرانَ أنهم قالوا له : تعالَ إلى الهدَى . فأما وهو قائلٌ : ﴿ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ﴾ . فغيرُ جائزٍ أن يكونَ ذلك وهم كانوا يَدْعُونه إلى الضلالِ .

وأما قولُه : ﴿ ٱئْتِنَا ﴾ . فإن معناه : يقولُون : ائتِنا ، هَلُمَّ إلينا . فحذَف القولَ لدلالةِ الكلامِ عليه .

وذُكِر عن ابنِ مسعودٍ أنه كان يَقْرَأُ ذلك : (يَدْعُونه إلى الهُدَى بيِّنًا) .

حدَّثنا بذلك ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا غُنْدَرٌ ، عن شعبةَ ، عن أبى إسحاقَ ، قال : فى قراءةِ عبدِ اللَّهِ : (يَدْعُونه إلى الهُدَى بيِّنًا)[(٢)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : أخْبَرَنى عبدُ اللَّهِ بنُ كثيرٍ ، أنه سمِع مجاهدًا يقولُ : فى قراءةِ ابنِ مسعودٍ : (له أصحابٌ يَدْعُونه إلى الهُدَى بيِّنًا) . قال : الهُدى الطريقُ ، أنه بَيِّنٌ[(٣)] .

وإذا قُرِئَ ذلك كذلك ، كان « البيِّنُ » مِن صفةِ « الهدى » ، ويكونُ نصبُ « البيِّنِ » على القطعِ مِن « الهُدى » ، كأنه قيل : يَدْعُونه إلى الهُدى البيِّنِ . ثم نُصِب

---

(١) سقط من : ص، ت١، ت٢، ت٣، س .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/٢٢ إلى المصنف وابن الأنبارى ، وينظر مختصر الشواذ لابن خالويه ص ٤٤ .

(٣) وأخرجه أبو عبيد فى فضائل القرآن ص ١٧١ عن حجاج به دون آخره ، وعزاه السيوطى فى الدر ٣/٢٢ إلى أبى الشيخ .

« البيِّنُ » لمَّا حُذِفَت الألفُ واللامُ ، وصار نكرةً مِن صفةِ المعرفةِ .

وهذه القراءةُ التى ذكَرْناها عن ابنِ مسعودٍ تُؤَيِّدُ قولَ مَن قال : الهُدى فى هذا الموضعِ هو الهُدى على الحقيقةِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٧١) ﴾ .

/يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : قلْ يا محمدُ لهؤلاء العادِلين بربِّهم الأوثانَ ، القائلين لأصحابِك : اتَّبِعُوا سبيلَنا ولْنَحْمِلْ خَطاياكم فإنا على هُدًى : ليس الأمرُ كما زعَمْتُم ، ﴿ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ﴾ . يقولُ : إن طريقَ اللَّهِ الذى بيَّنه لنا وأوْضَحه ، وسبيلَه الذى أمَرَنا بلزومِه ، ودينَه الذى شرَعه لنا فبيَّنه ، هو الهدى والاستقامةُ التى لا شكَّ فيها ، لا عبادةُ الأوثانِ والأصنامِ التى لا تَضُرُّ ولا تَنْفَعُ ، فلا نَتْرُكُ الحقَّ ونَتَّبِعُ الباطلَ ، ﴿ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . يقولُ : وأمَرَنا ربُّنا وربُّ كلِّ شىءٍ تعالى وجهُه ، لنُسْلِمَ له ؛ لنَخْضَعَ له بالذِّلةِ والطاعةِ والعُبوديةِ ، فنُخْلِصَ ذلك له ، دونَ ما سواه مِن الأندادِ والآلهةِ . ٢٣٨/٧

وقد بيَّنا معنى « الإسلامِ » بشَواهدِه فيما مضَى مِن كتابِنا ، بما أغْنَى عن إعادتِه[(١)] .

وقيل : ﴿ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ ﴾ . بمعنى[(٢)] : وأُمِرْنا كى نُسْلِمَ ، وأُمِرْنا[(٣)] أنْ نُسْلِمَ لربِّ العالمين ؛ لأن العربَ تَضَعُ « كى » و « اللامَ » التى بمعنى « كى » ، مكانَ « أن » ، و « أن » مكانَها .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِى إِلَيْهِ

---

(١) ينظر ما تقدم فى ٤٣٢/٢.

(٢) فى ص، س : « يعنى » .

(٣) سقط من : م .

تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾.

يقولُ تعالى ذكرُه: وأُمِرْنا أن أَقِيموا الصلاةَ.

وإنما قيل: ﴿ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ ﴾ فعطَف بـ﴿ أَنْ ﴾ على اللامِ مِن ﴿ لِنُسْلِمَ ﴾؛ لأن قولَه: ﴿ لِنُسْلِمَ ﴾. معناه: أن[1] نُسْلِمَ. فردَّ قولَه: ﴿ وَأَنْ أَقِيمُوا ﴾. على معنى ﴿ لِنُسْلِمَ ﴾. إذ كانت اللامُ التى فى قولِه: ﴿ لِنُسْلِمَ ﴾. لامًا لا تَصْحَبُ إلا المستقبلَ مِن الأفعالِ، وكانت[2] «أنْ» مِن الحروفِ التى تَدُلُّ على الاستقبالِ دَلالةَ اللامِ التى فى: ﴿ لِنُسْلِمَ ﴾. فعطَف [١/٧٦٦ظ] بها عليها؛ لاتفاقِ معنيَيْهما فيما ذكَرْتُ، فـ«أنْ» فى موضعِ نصبٍ بالردِّ على اللامِ[3].

وكان بعضُ نحويِّى البصرةِ يقولُ: إما أن يَكونَ ذلك: ﴿ أُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ ﴾. يقولُ: أُمِـرْنا كى نُسْلِمَ. كما قال: (٤) ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٤) [الزمر: ١٢]. أىْ: إنما أُمِرْتُ لذلك، ثم قال: ﴿ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَاتَّقُوهُ ﴾. أىْ: أُمِرْنا أن أَقِيموا الصلاةَ. أو يَكونَ أوْصَل الفعـلَ باللامِ. والمعنى: أُمِرْتُ أن أَكونَ. كما أَوْصَل[5] الفعلَ باللامِ فى (٦) قولِه: ﴿ هُمْ (٦) لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٤].

فتأويلُ الكلامِ: وأُمِرنا بإقامةِ الصلاةِ، وذلك أداؤُها بحدودِها التى فُرِضَت

---

(١) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س: «وأن».

(٢) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س: «فكانت».

(٣) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س: «الأمر»، وينظر معانى القرآن للفراء ١/ ٣٣٩.

(٤ - ٤) فى النسخ: «وأمرت لأن أكون من المؤمنين». وصواب ما فى هذه النسخ: ﴿ وأمرت أن أكون من المؤمنين ﴾ [يونس ١٠٤]. والمثبت هو صواب الاستشهاد فى هذا الموضع، وينظر الكتاب ٣/ ١٦١.

(٥) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س: «أفعل».

(٦ - ٦) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س: «قولهم».

علينا، ﴿وَاتَّقُوهُ﴾. يقولُ: واتَّقُوا ربَّ العالمين الذى أُمِرْنا أن نُسْلِمَ له، فخافوه، واحْذَروا سَخَطَه بأداءِ الصلاةِ المفروضةِ عليكم، والإذعانِ له بالطاعةِ، وإخلاصِ العبادةِ له، ﴿وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾. يقولُ: وربُّكم ربُّ العالمين هو الذى إليه تُحْشَرون، فتُجْمَعون يومَ القيامةِ، فيُجازِى كلَّ عاملٍ منكم بعملِه، وتُوَفَّى كلُّ نفسٍ ما كسَبَت.

القولُ فى تأويلِ قولِه: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (٧٣)﴾.

/ يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ: قلْ يا محمدُ لهؤلاء العادِلِين بربِّهم الأندادَ، الداعيك إلى عبادةِ الأوثانِ: أُمِرْنا لِنُسْلِمَ لربِّ العالمين، الذى خلَق السماواتِ والأرضَ بالحقِّ، لا مَن لا يَنْفَعُ ولا يَضُرُّ، ولا يَسْمَعُ ولا يُبْصِرُ. ٢٣٩/٧

واختَلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ قولِه: ﴿بِالْحَقِّ[1]﴾؛ فقال بعضُهم: معنى ذلك: وهو الذى خلَق السماواتِ والأرضَ حقًّا وصوابًا، لا باطلًا وخطأً، كما قال تعالى ذكرُه: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾ [ص: ٢٧]. قالوا: وأُدْخِلَت فيه الباءُ والألفُ واللامُ كما تَفْعَلُ العربُ فى نظائرِ ذلك، فتقولُ: فلانٌ يقولُ بالحقِّ. بمعنى: أنه يقولُ الحقَّ. قالوا: ولا شىءَ فى قولِه بالحقِّ غيرَ إصابتِه الصوابَ فيه، [2]لا أن[2] الحقَّ معنًى غيرُ القولِ، وإنما هو صفةٌ للقولِ، إذا كان بها القولُ كان القائلُ موصوفًا بالقولِ بالحقِّ، وبقولِ الحقِّ. قالوا: فكذلك خلقُ السماواتِ والأرضِ، حكمةٌ مِن حكمِ اللهِ، فاللهُ موصوفٌ بالحكمةِ فى خلقِهما، وخلقِ ما

(١) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س: «قوله الحق».

(٢ - ٢) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س: «لأن».

سواهما مِن سائرِ خلقِه ، لا أن ذلك حقٌّ[(١)] [(٢)]سوى خَلْقِهما خلقهما[(٢)] به .

وقال آخرون : معنى ذلك : خلَق السماواتِ والأرضَ بكلامِه وقولِه لهما : ﴿ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾ [فصلت : ١١] . قالوا : فالحقُّ فى هذا الموضعِ معنىٌّ به كلامُه . واستَشْهَدوا لقيلِهم ذلك[(٣)] بقولِه : ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ[(٣)] ٱلْحَقُّ ﴾ : الحقُّ هو قولُه وكلامُه . قالوا : واللَّهُ خلَق الأشياءَ بكلامِه وقيلِه ، فما[(٤)] خلَق به الأشياءَ ، فغيرُ[(٥)] الأشياءِ المخلوقةِ . قالوا : فإذ كان ذلك كذلك ، وجَب أن يَكونَ كلامُ اللَّهِ الذى خلَق به الخلقَ غيرَ مخلوقٍ .

وأما قولُه : ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ﴾ . فإن أهلَ العربيةِ اختَلَفوا فى العاملِ فى ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ﴾ . وفى معنى ذلك ؛ فقال بعضُ نحويِّى البصرةِ : اليومُ مضافٌ إلى ﴿ يَقُولُ[(٦)] كُن فَيَكُونُ ﴾ . قال : وهو نصبٌ ، وليس له خبرٌ ظاهرٌ ، واللَّهُ أعلمُ ، وهو على ما فسَّرتُ لك . كأنه يعنى بذلك أن نصْبَه على : واذْكُرْ يومَ يقولُ : كُنْ فيكونُ . قال : وكذلك ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ﴾ . قال : وقال بعضُهم : ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ عَٰلِمُ ﴾ .

وقال بعضُهم[(٧)] : ﴿ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ﴾ . للصُّورِ خاصةً .

فمعنى الكلامِ على تأويلِهم : يومَ يَقولُ للصُّورِ : كُنْ . فيَكونُ . قولُه الحقُّ يومَ

---

(١) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س : « حقا » .

(٢ - ٢) فى م : « سوًى خلقهما به » . وينظر التبيان ٤/ ١٧٢.

(٣ - ٣) فى ص، ت١، ت٢، ت ٣: « قوله ويوم يقول كن فيكون قوله » .

(٤) فى م : « كما » .

(٥) فى ص، ت١،ت٢، ت٣، س : « بغير » ، وفى م : « غير » ، والمثبت هو الصواب .

(٦) فى ص، ت١،ت٢، ت٣، س: « قوله ».

(٧) هو الفراء فى معانى القرآن ١/ ٣٤٠.

يُنْفَخُ فيه ، عالمُ الغيبِ والشهادةِ . فيَكونُ القولُ حينَئذٍ[1] مرفوعًا ، بالحقِّ ، والحقُّ بالقولِ ، وقولُه : ﴿ يَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ﴾ ، و﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ﴾ صلةُ الحقِّ .

وقال آخَرون : بل قولُه : ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾ . معنيٌّ به كلُّ ما كان اللَّهُ مُعيدَه فى الآخرةِ بعدَ إفنائِه ، ومُنْشِئَه بعدَ إعدامِه . فالكلامُ على مذهبِ هؤلاء مُتَناهٍ عندَ قولِه : ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾ . وقولُه : ﴿ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ﴾ . خبرٌ مبتدأٌ .

وتأويلُه : وهو الذى خلَق السماواتِ والأرضَ بالحقِّ ويومَ يقولُ للأشياءِ : كنْ فيكونُ . خلَقَهما بالحقِّ بعدَ فنائِهما ، ثم ابْتَدَأ الخبرَ عن قولِه ووعدِه خلقَه أنه مُعِيدُهما بعدَ فنائِهما ، عن أنه حقٌّ ، فقال : قولُه / هذا الحقُّ الذى لا شكَّ فيه . وأخبَر أن له المُلْكَ يومَ يُنْفَخُ فى الصُّورِ ، فـ ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ﴾ يَكونُ على هذا التأويلِ مِن صلةِ المُلْكِ . ٢٤٠/٧

وقد يجوزُ على هذا التأويلِ أن يكونَ قولُه : ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ﴾ . مِن صلةِ الحقِّ .

وقال آخَرون : بل معنى الكلامِ : ويومَ يقولُ لِمَا فنى : كُنْ . فيَكونُ ، قولُه الحقُّ . فجعَل القولَ مرفوعًا بقولِه : ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ﴾ . وجعَل قولَه : ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾ . للقولِ مَحَلًّا ، وقولَه : ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ﴾ . مِن صلةِ الحقِّ ، كأنه وجَّه تأويلَ ذلك إلى : ويومئذٍ قولُه الحقُّ ، يومَ يُنْفَخُ فى الصُّورِ . وإن جُعِل على هذا التأويلِ : ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ﴾ بيانًا عن اليومِ الأولِ ، كان وجهًا صحيحًا ، ولو جُعِل قولُه : ﴿ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ﴾ . مرفوعًا بقولِه : ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي

---

(١) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س : « يومئذ » .

ٱلصُّورِۚ ﴾ ، وقولُه : ﴿ يَوۡمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِۚ ﴾ . مَحلًّا ، وقولُه : ﴿ وَيَوۡمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ ﴾ . مِن صلتِه ، كان جائزًا .

والصوابُ مِن القولِ فى ذلك عندى أن يُقالَ : إن اللَّهَ تعالى ذكرُه أخْبَرَ أنه المنفردُ بخلقِ السماواتِ والأرضِ دونَ كلِّ ما سِواه ، مُعَرِّفًا مَن أشْرَكَ به مِن [١/٧٦٧و] خلقِه جهلَه فى عبادتِه[(١)] الأوثانَ والأصنامَ ، وخطأَ ما هم عليه مُقيمون مِن عبادةِ ما لا يَضُرُّ ولا يَنْفَعُ ، ولا يَقْدِرُ على اجْتلابِ نفعٍ إلى نفسِه ، ولا دفعِ ضَرٍّ عنها ، ومُحْتَجًّا عليهم فى إنكارِهم البعثَ بعدَ المماتِ ، والثوابَ والعقابَ ، بقدرتِه على ابتداعِ ذلك ابتداءً ، وأن الذى ابْتَدَع ذلك غيرُ مُتَعَذِّرٍ عليه إفناؤُه ، ثم إعادتُه بعدَ إفنائِه ، فقال : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ أيها العادِلون بربِّهم مَن لا يَنْفَعُ ولا يَضُرُّ ، ولا يَقْدِرُ على شىءٍ ، ﴿ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ ﴾ حجةً على خلقِه ؛ ليَعْرِفوا بها صانعَها ، وليَسْتَدِلُّوا بها على عظيمِ قدرتِه وسلطانِه ، فيُخْلِصوا له العبادةَ ، ﴿ وَيَوۡمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ ﴾ . يقولُ : ويومَ يقولُ حينَ تُبَدَّلُ الأرضُ غيرَ الأرضِ والسماواتُ كذلك : ﴿ كُن فَيَكُونُۚ ﴾ . كما شاء تعالى ذكرُه ، فتكونُ الأرضُ غيرَ الأرضِ . [(٢)] ويكونُ[(٢)] الكلامُ[(٣)] عندَ قولِه : ﴿ كُن فَيَكُونُۚ ﴾ . مُتَناهِيًا .

وإذا كان كذلك معناه ، وجَب أن يَكونَ فى الكلامِ محذوفٌ يَدُلُّ عليه الظاهرُ ، ويكونَ معنى الكلامِ : ويومَ يقولُ كذلك[(٤)] : ﴿ كُن فَيَكُونُۚ ﴾ . تَبَدُّلُه[(٥)] غيرَ السماواتِ والأرضِ . ويَدُلُّ على ذلك قولُه : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ

---

(١) فى م : « عبادة » .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ ، س .

(٣) سقط من النسخ ، والمثبت يقتضيه السياق .

(٤) فى م : « لذلك » .

(٥) فى م : « تبدل » .

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ﴾، ثم ابْتَدَأ الخبرَ عن القولِ فقال: ﴿قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ﴾. بمعنى: وعدُه هذا[1] الذى وعَدَ تعالى ذكرُه، مِن تبديلِه السماواتِ والأرضَ غيرَ الأرضِ والسماواتِ، الحقُّ الذى لا شكَّ فيه، ﴿وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ﴾. فيكونُ قولُه: ﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ﴾. مِن صلةِ المُلْكِ، ويكونُ معنى الكلامِ: وللَّهِ الملكُ يومَئذٍ؛ لأن النفخةَ الثانيةَ فى الصورِ حالَ تبديلِ اللَّهِ السماواتِ والأرضَ غيرَهما[2].

وجائزٌ أن يكونَ القولُ، أعْنى: ﴿قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ﴾. مرفوعًا بقولِه: ﴿وَيَوۡمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ﴾. ويكونَ قولُه: ﴿كُن فَيَكُونُۚ﴾. محلًّا للقولِ مُرافعًا.

فيكونُ تأويلُ الكلامِ: وهو الذى خلَق السماواتِ والأرضَ بالحقِّ، ويومَ يُبَدِّلُها غيرَ السماواتِ والأرضِ فيقولُ لذلك: ﴿كُن فَيَكُونُۚ قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ﴾.

/وأما قولُه: ﴿وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ﴾. فإنه خُصَّ بالخبرِ عن ملكِه يومَئذٍ، وإن كان الملكُ له خالصًا فى كلِّ وقتٍ فى الدنيا والآخرةِ؛ لأنه عنَى تعالى ذكرُه أنه لا مُنازِعَ له فيه يومَئذٍ، ولا مُدَّعِىَ له، وأنه المنفردُ به دونَ كلِّ مَن كان يُنازِعُه فيه فى الدنيا مِن الجَبابرةِ، فأذْعَن جميعُهم يومَئذٍ له به، وعلِموا أنهم كانوا مِن دَعْواهم فى الدنيا فى باطلٍ. ٧/٢٤١

واختُلِف فى معنى «الصورِ» فى هذا الموضعِ؛ فقال بعضُهم: هو قرنٌ يُنْفَخُ فيه نَفْختان؛ إحداهما لفناءِ مَن كان حيًّا على الأرضِ، والثانيةُ لنشرِ كلِّ مَيتٍ. واعْتَلُّوا لقولِهم ذلك بقولِه[3]: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا

---

(١) بعده فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س: «هو».

(٢) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س: «وغيرهما».

(٣) سقط من: ص، ت١، ت٢، ت٣، س.

مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ﴾ [الزمر: ٦٨]. وبالخبرِ الذى رُوِى عن رسولِ اللَّهِ ﷺ، أنه قال إذ سُئِل عن الصورِ: «هو قَرْنٌ يُنْفَخُ فيه»[١].

وقال آخرون: الصورُ فى هذا الموضعِ جمعُ صُورةٍ، يُنْفَخُ فيها رُوحُها فتَحْيا، كقولِهم[٢]: سُورٌ. لسورِ المدينةِ، وهو جمعُ سُورةٍ، كما قال جريرٌ[٣]:

* سُورُ المدينةِ والجبالُ الخُشَّعُ *

والعربُ تقولُ: نُفِخ فى الصورِ، ونُفِخ الصورُ. ومِن قولِهم: نُفِخ الصورُ. قولُ الشاعرِ[٤]:

لولا ابنُ جَعْدةَ لم تُفْتَحْ قُهُنْدُزُكُمْ[٥] ولا خُراسانُ حتى يُنْفَخَ الصُّورُ

والصوابُ مِن القولِ فى ذلك عندَنا ما تَظاهَرَت به الأخبارُ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أنه قال: «إن إسْرافيلَ قد الْتَقَم الصُّورَ وحنَى جَبْهَتَه، يَنْتَظِرُ متى يُؤْمَرُ فيَنْفُخَ». وأنه قال: «الصُّورُ قرنٌ يُنْفَخُ فيه».

وذُكِر عن ابنِ عباسٍ أنه كان يقولُ فى قولِه: ﴿ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ ﴾. يعنى: أن عالمَ الغيبِ والشهادةِ [٦]هو الذى يَنْفُخُ فى الصورِ[٦].

---

(١) ينظر ما سيأتى تخريجه فى تفسير الآية ٩٩ من سورة الكهف، والآية ٨٧ من سورة النمل، والآية ١٨ من سورة النبأ.

(٢) فى النسخ: «لقولهم». والمثبت هو الصواب.

(٣) تقدم تخريج البيت بتمامه فى ١/ ٦٢٣.

(٤) البيت فى نسب قريش ص٣٤٥، ومعانى القرآن للفراء ١/ ٣٤٠ والمعرب للجواليقى ص ٣١٥، واللسان (ن ف خ، ص و ر).

(٥) القهندز: اسم جنس لكل حصن فى وسط المدينة العظمى، وقلّ ما يخلو بلد من خراسان وما وراء النهر من قهندز. المشترك وضعا ص ٣٦٣.

(٦ - ٦) سقط من: ص، ت١، ت٣، س.

حدَّثني به المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنا معاويةُ ، عن عليِّ بنِ أبي طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ في قولِه : ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ . يعنى : أن عالمَ الغيبِ والشهادةِ هو الذى يَنفُخُ فى الصورِ[(١)] .

فكأن ابنَ عباسٍ تأوَّل فى ذلك أن قولَه : ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ . اسمُ الفاعلِ الذى لم يُسَمَّ فى قولِه : ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ﴾ . وأن معنى الكلامِ : يومَ يَنفُخُ اللَّهُ فى الصورِ عالمُ الغيبِ والشهادةِ . كما تقولُ العربُ : أُكِل طعامُك عبدُ اللَّهِ . فتُظْهِرُ اسمَ الآكلِ بعدَ أن قد جرَى الخبرُ بما لم يُسَمَّ آكِلُه . وذلك وإن / كان وجهًا غيرَ مدفوعٍ ، فإن أحسنَ مِن ذلك أن يكونَ قولُه : ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ . مرفوعًا على أنه نعتٌ لـ ﴿ ٱلَّذِى ﴾ ، فى قولِه : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ﴾ .

٢٤٢/٧

ورُوِى عنه أيضًا أنه كان يقولُ : الصُّورُ فى هذا الموضعِ النَّفْخةُ الأُولى .

حدَّثني محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ : يعنى بالصُّورِ النفخةَ الأُولى ، ألم تَسْمَعْ أنه يقولُ : ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ ﴾ يعنى الثانيةَ ، ﴿ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ [الزمر : ٦٨][(٢)] .

ويعنى بقولِه : ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ : عالمُ ما تُعاينون أيُّها الناسُ فتُشاهِدُونه ، [(٣)]وما[(٣)] يَغِيبُ عن حَواسِّكم وأبصارِكم فلا تُحِسُّونه ولا تُبْصِرونه ،

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٢٤/٤ (٧٤٨٥) من طريق أبى صالح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٣/٣ إلى ابن المنذر .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٢٣/٤ (٧٤٨٤) عن محمد بن سعد به .

(٣ - ٣) فى ص: « مما » .

﴿ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ﴾ فى تدبيرِه وتصريفِه خلقَه مِن حالِ الوجودِ إلى العدمِ ، ثم مِن حالِ العدمِ والفناءِ إلى الوجودِ ، ثم فى مُجازاتِهم بما يُجازِيهم به ، مِن ثوابٍ أو عقابٍ ، ﴿ ٱلْخَبِيرُ ﴾ بكلِّ ما يَعْمَلونه ويَكْسِبونه مِن حسنٍ وسيئٍ ، حافظٌ ذلك عليهم ، ليُجازِيَهم على كلِّ ذلك . يقولُ تعالى ذكرُه : فاحْذَروا أيها العادِلون بربِّكم عقابَه ؛ فإنه عليمٌ بكلِّ ما تأْتُون وتَذَرُون ، وهو لكم مِن وراءِ الجَزاءِ على ما تَعْمَلون .

*القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : واذْكُرْ يا محمدُ لحِجاجِك الذى تُحاجُّ به قومَك ، وخُصومتِك إياهم فى آلهتِهم ، وما تُراجِعُهم فيها ، مما نُلْقِيه إليك ، ونُعْلِمُكه مِن البرهانِ والدلالةِ على باطلِ ما عليه قومُك مُقيمون ، وصحةِ ما أنت عليه مُقيمٌ مِن الدينِ ، وحقيقةِ[(١)] ما أنت[(٢)] عليهم مُحتَجٌّ - حِجاجَ إبراهيمَ خليلى قومَه ، ومُراجَعتَه إياهم فى باطلِ ما كانوا عليه مُقيمين مِن عبادةِ الأوثانِ ، وانقطاعَه إلى اللَّهِ ، والرضا به وليًّا وناصرًا دونَ الأصنامِ ، فاتَّخِذْه إمامًا ، واقْتَدِ به ، واجْعَلْ سيرتَه فى قومِه لنفسِك مثالًا ، إذ قال لأبيه مُفارِقًا لدينِه ، وعائبًا[(٣)] عليه[(٤)] عبادتَه الأصنامَ دونَ بارئِه وخالقِه : يا آزرُ .

ثم اخْتَلَف أهلُ العلمِ فى المعنىِّ بـ ﴿ ءَازَرَ ﴾ ، وما هو ، اسمٌ هو[(٤)] أم صفةٌ ؟ وإن كان اسمًا فمَن المُسَمَّى به ؟ فقال بعضُهم : هو اسمُ أبيه .

---

* من هنا تبدأ نسخة مركز الملك فيصل ، وسنشير إليها بالرمز « ف » .

(١) فى م : « حقية » .

(٢) فى ص ، ت٢ ، ت٣ ، س : « أنعم » وفى ف : « أنهم » .

(٣) فى ت١ ، ت٢ ، ت٣ ، س ، ف : « عاتبا » .

(٤) سقط من : م .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المُفَضَّلِ ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السديِّ : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ ﴾ . قال : اسمُ أبيه آزرُ[1] .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ بنُ الفضلِ ، قال : ثني محمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : آزرُ أبو إبراهيمَ ، وكان فيما ذُكِر لنا - واللَّهُ أعلمُ - رجلًا مِن أهلِ كُوثَى ، مِن قريةٍ بالسَّوادِ ، سَوادِ الكوفةِ[2] .

/حدَّثني ابنُ البَرْقيِّ ، قال : ثنا عمرُو بنُ أبي سلمةَ ، قال : سمِعْتُ سعيدَ بنَ عبدِ العزيزِ يَذْكُرُ قال : هو آزَرُ ، وهو تارَحُ ، مثلُ إسرائيلَ ويعقوبَ . ٢٤٣/٧

[3]وقال آخَرون : إنه ليس أبا إبراهيمَ[3] .

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ حميدٍ وسفيانُ بنُ وكيعٍ ، قالا : ثنا جريرٌ ، عن ليثٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : ليس آزرُ أبا إبراهيمَ[4] .

حدَّثني الحارثُ ، قال : ثني عبدُ العزيزِ ، قال : ثنا الثوريُّ ، قال : أخْبَرَني رجلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ ﴾ . [5]قال : آزرُ[5] لم

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٢٤/٤ (٧٤٩٠) من طريق أحمد بن مفضل به ، بزيادة تأتي في الصفحة القادمة .

(٢) أخرجه المصنف في تاريخه ٢٣٣/١ عن ابن حميد به ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٢٥/٤ (٧٤٩٤) من طريق سلمة به .

(٣ - ٣) سقط من ص، ت١، ت٢ ، ت٣، س، ف .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٣٢٥ (٧٤٩٢) من طريق جرير به ، وضعفه الحافظ في الفتح ٨/ ٤٩٩، وقال : « وهو شاذ » .

(٥ - ٥) سقط من ت١، ت٢، ت٣، س، ف .

يَكُنْ بأبيه ، إنما هو صنمٌ[١] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ يمانٍ ، عن سفيانَ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ ، قال : آزرُ اسمُ صنمٍ .

حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ ، قال : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ ﴾ . قال : اسمُ أبيه . ويقالُ : لا ، بل اسمُه تارَحُ[٢] ، واسمُ الصنمِ آزرُ ، يقولُ : أتتَّخِذُ آزرَ[٣] أصْنامًا آلهةً[٤] .

وقال آخرون : هو سبٌّ وعيبٌ بكلامِهم ، ومعناه مُعْوَجٌّ . كأنه تأوَّل أنه عابه بزَيْغِه واعْوِجاجِه عن الحقِّ .

واختلَفت القرأةُ في قراءةِ ذلك ؛ فقرَأتْه عامةُ قرأةِ الأمصارِ : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ ﴾ . بفتحِ آزرَ على إتْباعِه الأبَ في الخفضِ ، ولكنه لمَّا كان اسمًا أعجميًّا فتحُوه ، إذ لم يُجْرُوه ، وإن كان في موضعِ خفضٍ .

وذُكِر عن أبي يزيدَ المَدِينيِّ والحسنِ البصريِّ أنهما كانا يَقْرَآن ذلك : (آزرُ) . بالرفعِ على النداءِ ، بمعنى : يا آزرُ[٥] .

فأما الذي ذُكِر عن السديِّ مِن[٦] حكايتِه أن آزرَ اسمُ صنمٍ ، وإنما نصْبُه بمعنى : أتتَّخِذُ آزرَ أصنامًا آلهةً . فقولٌ مِن الصوابِ مِن جهةِ العربيةِ بعيدٌ ؛ وذلك أن العربَ لا

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٣/٣ إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) في ت١، ف : « تارخ » ، وهو قول فيه . ينظر اللسان (أ ز ر) .

(٣) زيادة من : م ، وهو موافق لما سيأتي في كلام المصنف في رد قول السدى .

(٤) تقدم تخريجه في الصفحة السابقة .

(٥) ينظر النشر ١٩٥/٢، وإتحاف فضلاء البشر ص١٢٧، وفيهما أن الذى قرأ برفع الراء هو يعقوب الحضرمى ، وأن قراءة أبي جعفر يزيد بن القعقاع - وهما من العشرة- بفتح الراء .

(٦) في ص، ت١، ت٢، ت٣، س : « عن » .

تَنْصِبُ اسمًا بفعلٍ بعدَ حرفِ الاستفهامِ ، لا تقولُ : أخاك أكلَّمْتَ ؟ وهى تُرِيدُ : أكلَّمْتَ أخاك ؟

والصوابُ مِن القراءةِ فى ذلك عندى قراءةُ مَن قرَأ بفتحِ الراءِ مِن ﴿ ءَازَرَ ﴾[1] ، على إتْباعِه إعرابَ الأبِ ، وأنه فى موضعِ خفضٍ ، ففتِح إذ لم يَكُنْ جاريًا ؛ لأنه اسمٌ أعجميٌّ . وإنما اختَرْتُ[2] قراءةَ ذلك كذلك ؛ لإجماعِ الحجةِ مِن القرأةِ عليه .

وإذ كان ذلك هو الصوابَ مِن القراءةِ ، وكان غيرَ جائزٍ أن يَكونَ منصوبًا بالفعلِ الذى بعدَ حرفِ الاستفهامِ ، صحَّ لك فتحُه مِن أحدِ وجهين ؛ إما أن يَكونَ اسمًا لأبى إبراهيمَ صلواتُ اللَّهِ عليه وعلى جميعِ أنبيائِه ورسلِه ، فيَكونَ فى موضعِ خفضٍ ردًّا على الأبِ ، ولكنه فُتِح لِمَا ذكَرْتُ مِن أنه لمَّا كان اسمًا أعجميًّا تُرِك إجْراؤُه ، ففُتِح كما تَفْعَلُ[3] العربُ فى أسماءِ العجمِ . أو يَكونَ نعتًا له ، فيَكونَ أيضًا خفضًا ، بمعنى تَكريرِ اللامِ[4] عليه ، ولكنه لمَّا خرَج مَخْرَجَ أحمرَ وأسودَ ، تُرِك إجراؤُه ، وفُعِل به كما يُفْعَلُ بأشكالِه . / فيكونُ تأويلُ الكلامِ حينَئذٍ : وإذ قال إبراهيمُ لأبيه الزائغِ[5] : أتتَّخِذُ أصنامًا آلهةً ؟ ٧/٢٤٤

وإن لم يَكُنْ له وجهٌ[6] فى الصوابِ إلا أحدُ هذين الوجهين ، فأولى القولين منهما[7] بالصوابِ عندى قولُ مَن قال : هو اسمُ أبيه . لأن اللَّهَ تعالى ذكرُه أخبَر أنه أبوه ، وهو القولُ المحفوظُ مِن قولِ أهلِ العلمِ ، دونَ القولِ الآخرِ الذى زعَم قائلُه أنه نعتٌ .

---

(١) القراءتان كلتاهما صواب .

(٢) فى م : « أجيزت » .

(٣) فى م : « فتح » .

(٤) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س، ف : « الأمر » .

(٥) فى النسخ : « آزر » وهو لفظ الآية لا تأويلها ، والمثبت كما أثبته الشيخ شاكر .

(٦) فى ص، م : « وجهة » .

(٧) سقط من : م .

فإن قال قائلٌ : فإن أهلَ الأنسابِ إنما يَنْسِبون إبراهيمَ إلى تارَحَ[(١)] ، فكيف يَكونُ آزرُ اسمًا له ، والمعروفُ به مِن الاسمِ تارَحُ[(١)] ؟

قيل له : غيرُ مُحالٍ أن يَكونَ كان[(٢)] له اسمان ، كما لكثيرٍ مِن الناسِ في دهْرِنا هذا ، وكان ذلك فيما مضَى لكثيرٍ منهم ، وجائزٌ أن يَكونَ كان[(٢)] لَقبًا [(٣)]يُلقَّبُ به[(٣)] .

القولُ في تأويلِ قولِه : ﴿ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ ﴾ .

وهذا خبرٌ مِن اللَّهِ تعالى ذكرُه عن قِيلِ إبراهيمَ لأبيه آزرَ أنه قال : أتتَّخِذُ أصْنامًا آلهةً تَعْبُدُها وتتَّخِذُها ربًّا دونَ اللَّهِ الذي خلَقَك فسوَّاك ورزَقَك ؟

والأصنامُ جمعُ صنمٍ ، والصنمُ [٧٦٨/١و] التمثالُ مِن حجرٍ أو خشبٍ أو مِن غيرِ ذلك ، في صورةِ إنسانٍ ، وهو الوَثَنُ ، وقد يقالُ للصورةِ المُصَوَّرةِ على صورةِ الإنسانِ في الحائطِ وغيرِه : صَنَمٌ ووَثَنٌ .

﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ . يقولُ : إني أراك يا آزرُ وقومَك الذين يَعْبُدون معك الأصنامَ ، ويتَّخِذُونها آلهةً ، ﴿ فِي ضَلَٰلٍ ﴾ . يقولُ : في زَوالٍ عن مَحَجَّةِ الحقِّ ، وعدولٍ عن سبيلِ الصوابِ ، ﴿ مُّبِينٍ ﴾ . يقولُ : يَتَبَيَّنُ لمَن أبْصَره أنه جَوْرٌ عن قصدِ السبيلِ ، وزوالٌ عن مَحَجَّةِ الطريقِ القويمِ . يعني بذلك : أنه قد ضلَّ هو وهم عن توحيدِ اللَّهِ وعبادتِه ، الذي اسْتَوْجَب عليهم إخلاصَ العبادةِ له بآلائِه

(١) في ت١، ف : « تارخ » .

(٢) سقط من : م .

(٣ - ٣) في م، ف : « والله تعالى أعلم » .

وللعلامة أحمد شاكر ، رحمه الله ، تحقيق جيد في إثبات اسم أبي إبراهيم ، عليه السلام ، وأن اسمه آزر ، وقد ألحق هذا التحقيق في آخر تحقيقه للمعرب للجواليقي ، فانظره من ص٤٠٧ - ٤١٣ .

عندَهم ، دونَ غيرِه مِن الآلهةِ والأوثانِ .

القولُ في تأويلِ قولِه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيَ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ .

يعني تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ : وكما أَرَيْناه البصيرةَ في دينِه ، والحقَّ في خلافِه[(١)] ما[(٢)] كانوا عليه مِن الضَّلالِ ، نُرِيه مَلَكوتَ السماواتِ والأرضِ . يعني مُلْكَه[(٣)] .

وزِيدَت فيه التاءُ كما زِيدَت في[(٤)] الجبَروتِ مِن الجَبْرِ ، وكما قيل : رَهَبُوتٌ خيرٌ مِن رَحَمُوتٍ . بمعنى : رَهْبةٌ خيرٌ مِن رحمةٍ . وحُكِي عن العربِ سَماعًا : له مَلَكوتُ اليمنِ والعراقِ . بمعنى : له ملكُ ذلك .

واختَلَف أهلُ التأويلِ في تأويلِ قولِه : ﴿ نُرِيَ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ؛ **فقال بعضُهم** : معنى ذلك : نُرِيه خلقَ السماواتِ والأرضِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : حدَّثني مُعاويةُ بنُ صالحٍ ، عن عليِّ بنِ أبي طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ نُرِيَ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ . يقولُ[(٥)] : خلْقَ السماواتِ والأرضِ[(٦)] .

---

(١) في م : « خلاف » ، وبعدها في ص، س بياض بقدر كلمة ، وكتب مقابله في ص: « ط » .
(٢) في ص، ت١، ت٢، ت٣، س، ف : « بما » .
(٣) في ص، ت١، ت٢، ت٣، س، ف : « ملكوت » . وبعده في ص، س بياض بمقدار كلمتين ، وكتب مقابله أيضا في ص، ف : « ط » .
(٤) سقط من : ص، ت١، ت٢، ت٣، س، ف .
(٥) في م : « أى » .
(٦) ذكره البغوى في تفسيره ١٥٨/٣.

٢٤٥/٧ /حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ : أى خلْقَ السماواتِ والأرضِ ، ﴿ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾ .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ : [(١] يعنى بـ ﴿ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [١)] خلقَ السماواتِ والأرضِ[(٢)] .

وقال آخرون : معنى الملكوتِ المُـلْكُ . بنحوِ التأويلِ الذى تأوَّلْناه .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ واضحٍ ، قال : ثنا عمرُ بنُ أبى زائدةَ ، قال : سمِعتُ عكرمةَ ، وسأَله رجلٌ عن قولِه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ . قال : [(٣] هو المُلْكُ [٣)] ، غيرَ أنه[(٤)] بكلامِ النَّبطِ مَلكوثا[(٥)] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن ابنِ أبى زائدةَ ، عن عكرمةَ ، قال : هى بالنَّبطيةِ مَلكوثا[(٦)] .

(١ - ١) فى ص: « يعنى ملكوت السماوات والأرض قال » ، وفى ت١، ت٢، ت٣، س : « قال » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٢٦/٤ (٧٤٩٩) عن محمد بن سعد به .

(٣ - ٣) سقط من ص، ت١، ت٢، ت٣، س، ف .

(٤) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س : « أنها » .

(٥) فى ص، ت٢، ت٣، س، ف، وتفسير ابن أبى حاتم « ملكوتا » ، والمثبت من ت١، والدر المنثور ، وهو الصواب ، فقد نص ابن خالويه فى مختصره ص ٤٤ ، وأبو حيان فى البحر المحيط ٤/ ١٦٥ ، أن عكرمة قرأها بالثاء المثلثة ، إلا أن أبا حيان قال : وقال : ملكوثا باليونانية أو القبطية .

والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٢٦/٤ (٧٥٠٠) من طريق عمر بن أبى زائدة به .

وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٤/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٦) فى ص، م، ت٢، ت٣، ف : « ملكوتا » .

وقال آخرون : معنى ذلك : آيات السماواتِ والأرضِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا هنادُ بنُ السَّرِىِّ ، قال : ثنا وكيعٌ ، عن سفيانَ ، عن منصورٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ . قال : آياتِ السماواتِ والأرضِ .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ تعالى ذكرُه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ . قال : آياتِ[1] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ . قال : تفرَّجَت لإبراهيمَ السماواتُ السبعُ حتى العرشِ ، فنظَر فيهن ، وتفرَّجَت [2]له الأَرَضُون[2] السبعُ فنظَر فيهن[3] .

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السدىِّ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ . قال : أُقِيم على صخرةٍ ، وفُتِحَت له السماواتُ ، فنظَر إلى مُلْكِ اللَّهِ فيها ، حتى نظَر إلى مكانِه فى الجنةِ ، وفُتِحَت له الأَرَضون ، حتى نظَر إلى أسفلِ

---

(١) تفسير مجاهد ص٣٢٤، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٢٧/٤ (٧٥٠٣) ، والبيهقى فى الأسماء والصفات (٦١٣) .

(٢ - ٢) فى ص: « الأرضين » . وفى ت١، ت٢، ت٣، س، ف : « الأرض » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٢٦/٤ (٧٥٠١) من طريق أبى حذيفة به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٤/٣ إلى آدم بن أبى إياس وابن المنذر وأبى الشيخ .

الأرضِ ، فذلك قولُه : ﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ﴾ [العنكبوت : ٢٧] . يقولُ : آتيْناه مكانَه فى الجنةِ . ويقالُ : أجرُه الثناءُ الحسنُ(١) .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن القاسمِ بنِ أبى بَزَّةَ ، عن مجاهدٍ قولَه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ . قال : فُرِجَت له السماواتُ ، فنظَر إلى ما فيهن ، حتى انْتَهى بصرُه إلى العرشِ ، وفُرِجَت له الأَرَضُون السبعُ ، فنظَر ما فيهن .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا حَكَّامٌ ، عن عَنْبَسةَ ، عن سالمٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ / إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ . قال : كُشِف له عن أَدِيمِ السماواتِ والأرضِ ، حتى نظَر إليهن على صخرةٍ ، والصخرةُ على حُوتٍ ، والحوتُ على(٢) خاتَمِ ربِّ العِزَّةِ ، لا إلهَ إلا اللَّهُ . ٢٤٦/٧

حدَّثنا هنادٌ وابنُ وَكيعٍ ، قالا : ثنا أبو مُعاويةَ ، عن عاصمٍ ، عن أبى عثمانَ ، عن سلمانَ ، قال : لمَّا أُرِىَ(٣) إبراهيمُ مَلكوتَ السماواتِ والأرضِ رأَى عبدًا على فاحشةٍ ، فدعا عليه فهلَك ، ثم رأَى آخرَ على فاحشةٍ ، فدعا عليه فهلَك ، ثم رأَى آخرَ على فاحشةٍ ، فدعا عليه فهلَك ، فقال : أَنْزِلوا عبدى لا يُهْلِكْ عبادى(٤) .

حدَّثنا هنادٌ ، قال : ثنا قَبِيصةُ ، عن سفيانَ ، عن طلحةَ بنِ عمرٍو ، عن عطاءٍ ،

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٢٦/٤ (٧٥٠٢) من طريق أحمد بن مفضل به ، وأخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٨٨٣ -تفسير) عن الحكم بن ظهير ، عن السدى ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٤/٣ إلى ابن المنذر .

(٢) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س، ف : « فى » .

(٣) فى م : « رأى » .

(٤) أخرجه ابن أبى شيبة ١٨٠/١٣ عن أبى معاوية به ، وأخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٨٨٤ -تفسير) من طريق شهر بن حوشب عن سلمان بنحوه ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٤/٣ إلى ابن المنذر وأبى الشيخ .

قال : لمَّا رفَع اللَّهُ إبراهيمَ فى الملكوتِ فى السماواتِ ، أشْرَف فرأَى عبدًا يَزْنى ، فدعا عليه فهلَك ، ثم رُفِع ، فأشْرَف فرأَى عبدًا يَزْنى ، فدعا عليه فهلَك ، ثم رُفِع ، فأشْرَف فرأَى عبدًا يَزْنى ، فدعا عليه ، فنُودِى : على رِسْلِك يا إبراهيمُ ، فإنك عبدٌ مُسْتَجابٌ لك ، وإنى مِن عبدى على ثلاثٍ ؛ إما أن يَتوبَ إلىَّ فأتُوبَ عليه ، وإما أن أُخْرِجَ منه ذريةً طيبةً ، وإما أن يَتَمادَى فيما هو فيه ، فأنا مِن ورائِه[1] .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى عَدِىٍّ ومحمدُ بنُ جعفرٍ وعبدُ الوَهَّابِ ، عن عوفٍ ، عن قسامةَ[2] ، أن إبراهيمَ خليلَ الرحمنِ حدَّث نفسَه أنه أرحمُ الخلقِ ، وأن اللَّهَ رفَعَه حتى أشْرَف على أهلِ الأرضِ فأبْصَر أعمالَهم ، فلمَّا رآهم يَعْمَلون بالمَعاصِى ، قال : اللهم دمِّرْ عليهم . فقال له ربُّه : أنا أَرْحمُ بعبادى منك ، اهْبِطْ فلعلَّهم أن يَتُوبوا إلىَّ ويُراجِعوا[3] .

وقال آخَرون : بل معنى ذلك ما أخْبَر تعالى أنه أراه مِن النُّجومِ والقمرِ والشمسِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبو خالدٍ الأحمرُ ، عن جُوَيْبِرٍ ، عن الضحاكِ : ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ . قال : الشمسَ والقمرَ والنجومَ .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن منصورٍ ، عن

---

(١) أخرجه البيهقى فى الشعب (٦٦٩٩) من طريق سفيان به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/ ٢٤ إلى عبد ابن حميد وأبى الشيخ .

(٢) فى م : « أسامة » ، وينظر تهذيب الكمال ٢٣/ ٦٠٢ .

(٣) فى م : « يرجعوا » .

مجاهدٍ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ . قال : الشمسَ والقمرَ .

حدَّثنا المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى مُعاويةُ ، عن عليِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ : يعنى به[1] الشمسَ والقمرَ والنجومَ[2] .

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ ، قال : خُبِّئَ[3] إبراهيمُ عليه السلامُ مِن جبارٍ مِن الجبابرةِ ، فجُعِل له رزقٌ فى أصابعِه ، فإذا مصَّ أصبعًا مِن أصابعِه وجَد فيها رزقًا ، فلمَّا خرَج أراه اللَّهُ ملكوتَ السماواتِ والأرضِ ، فكان ملكوتُ السماواتِ الشمسَ والقمرَ والنجومَ ، وملكوتُ الأرضِ الجبالَ والشجرَ والبحارَ[4] .

حدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ذُكِر لنا أن نبىَّ اللَّهِ إبراهيمَ عليه السلامُ [5]فُرَّ به مِن[5] جبَّارٍ مُتْرَفٍ ، فجُعِل فى سَرَبٍ[6] ، وجُعِل رزقُه فى أطرافِه ، فجعَل لا يَمُصُّ أصبعًا مِن أصابعِه إلا وجَد فيها / رزقًا ، فلمَّا خرَج مِن ذلك السَّرَبِ أراه اللَّهُ ملكوتَ السماواتِ ، فأراه شمسًا وقمرًا ونجومًا وسَحابًا ، وخلقًا ٢٤٧/٧

(١) بعده فى م : « نريه » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/ ١٣٢٦ (٧٤٩٨) ، والبيهقى فى الأسماء والصفات (٦١٢) من طريق أبى صالح به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/ ٢٣ إلى ابن المنذر .

(٣) فى تاريخ دمشق : « خشى » .

(٤) تفسير عبد الرزاق ١/ ٢١٢، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/ ١٣٢٧ (٧٥٠٥) مختصرا ، وبلفظه ابن عساكر فى تاريخه ٦/ ١٧٢.

(٥ - ٥) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س، ف : « قربه » .

(٦) السرب : بيت تحت الأرض . التاج (س ر ب) .

عظيمًا ، وأراه ملكوتَ الأرضِ ، فأراه جبالًا وبحورًا وأنهارًا وشجرًا ، ومِن كلِّ الدوابِّ ، وخلقًا عظيمًا[(١)] .

وأولى الأقوالِ فى تأويلِ ذلك بالصوابِ قولُ مَن قال : عنَى اللَّهُ تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ . أنه أراه ملكَ السماواتِ والأرضِ ، وذلك ما خلَق فيهما مِن الشمسِ والقمرِ والنجومِ [(٢)] والجبالِ[(٢)] والشجرِ والدوابِّ ، وغيرِ ذلك مِن عظيمِ سُلْطانِه فيهما ، وجلَّى له بَواطنَ الأمورِ وظَواهرَها ؛ لِما ذكَرْنا قبلُ مِن معنى الملكوتِ فى كلامِ العربِ ، فيما مضَى قبلُ .

وأما قولُه : ﴿ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾ . فإنه يعنى أنه أراه مَلكوتَ السماواتِ والأرضِ ليَكونَ ممَّن يتَوَحَّدُ بتوحيدِ اللَّهِ ، ويَعْلَمُ حقيقةَ[(٣)] ما هداه له وبصَّرَه إياه مِن معرفةِ وَحْدانيتِه ، وما عليه قومُه مِن الضَّلالةِ مِن عبادتِهم الأصنامَ ، واتخاذِهم إياها آلهةً دونَ اللَّهِ تعالى ذكرُهُ .

وكان ابنُ عباسٍ يقولُ فى تأويلِ ذلك ما حدَّثنى به محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾ : إنه جلَّى له الأمرَ ؛ سِرَّه وعَلانيتَه ، فلم يَخْفَ عليه شىءٌ مِن أعمالِ الخَلائقِ ، فلمَّا جعَل يَلْعَنُ أصحابَ الذنوبِ ، قال اللَّهُ : إنك لا تَستَطِيعُ هذا . فردَّه اللَّهُ كما كان قبلَ ذلك[(٤)] .

فتأويلُ ذلك على هذا التأويلِ : أَرَيْناه ملكوتَ السماواتِ والأرضِ ليكونَ ممَّن يُوقِنُ علمَ كلِّ شىءٍ حِسًّا لا خبرًا .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/٢٥ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبى الشيخ .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) فى م : « حقية » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٣٢٧ (٧٥٠٧) عن محمد بن سعد به .

حدَّثنى العباسُ بنُ الوليدِ ، قال : أخبَرَنى أبى ، قال : ثنا ابنُ[(١)] جابرٍ ، قال : وحدَّثنا الأوزاعىُّ أيضًا ، قال : ثنى خالدُ [(٢)] بنُ اللَّجْلاجِ [(٢)] ، قال : سمِعْتُ عبدَ الرحمنِ ابنَ عائشٍ[(٣)] الحضرمىَّ يقولُ : صلَّى بنا رسولُ اللَّهِ ﷺ ذاتَ غَداةٍ ، فقال له قائلٌ : ما [(٤)] رأيتُك أسفَرَ وجهًا [(٤)] منك الغَداةَ . قال : « وما لى وقد [(٥)] تبدَّى لى [(٥)] ربى فى أحسنِ صُورةٍ ، فقال : فيمَ[(٦)] يَخْتَصِمُ الملأُ الأعلى يا محمدُ ؟ قلتُ : أنت أعلمُ [(٧)] يا ربِّ [(٧)] . فوضَع يدَه بينَ كَتِفىَّ ، [(٨)] فوجدتُ بردَها بين ثديىَّ [(٨)] ، فعلِمْتُ ما فى السماواتِ والأرضِ » . ثم تلا هذه الآيةَ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾[(٩)] .

[٧٦٩/١و] القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : فلمَّا واراه الليلُ وغيَّبه[(١٠)] .

يقالُ منه : جنَّ عليه الليلُ ، وجَنَّه الليلُ ، وأجنَّه ، وأجَنَّ عليه . وإذا أُلْقِيَت

---

(١) فى النسخ « أبو » والمثبت من مصادر التخريج . وتهذيب الكمال ١٨/ ٥.

(٢ - ٢) فى النسخ : « الحلاج » . والمثبت من مصادر التخريج ، وتهذيب الكمال ٨/ ١٦٠.

(٣) فى النسخ : « عياش » . والمثبت من مصادر التخريج ، وانظر تهذيب الكمال ١٧/ ٢٠٢.

(٤ - ٤) فى النسخ : « رأيت أسعد » . والمثبت من مصادر التخريج .

(٥ - ٥) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س « سانى » كذا غير منقوطة ، وفى م : « أتانى » ، وفى ف : « هيانى » . والمثبت من مصادر التخريج .

(٦) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س، ف : « فقم » ، وفى م : « ففيم » . والمثبت من مصادر التخريج .

(٧ - ٧) سقط من النسخ ، والمثبت من مصادر التخريج .

(٨ - ٨) سقط من : م ، وفى ص : « ثدى » ، وفى ت١، ت٢، ت٣، س، ف : « يدى » . والمثبت من مصادر التخريج .

(٩) أخرجه المصنف فى المنتخب من ذيل المذيل ص٥٨٤ ، والبيهقى فى الأسماء والصفات (٦٤٤) من طريق العباس بن الوليد به .

(١٠) فى م : « جنه » .

« على » ، كان الكلامُ بالألفِ أفْصَحَ منه بغيرِ الألفِ : أجَنَّه الليلُ ، أفْصَحُ مِن : أجَنَّ عليه ، و : جَنَّ عليه الليلُ ، أفْصَحُ مِن : جَنَّه . وكلُّ ذلك مقولٌ[1] مسموعٌ مِن العربِ . وجَنَّه الليلُ فى أَسَدٍ ، وأجَنَّه وجَنَّه فى تَميمٍ . والمصدرُ مِن : جَنَّ عليه ، جَنًّا وجُنُونًا وجَنَانًا . ومِن : أجَنَّ ، إجْنانًا . ويقالُ : أتَى[2] فلانٌ فى جِنِّ / الليلِ . والجِنُّ مِن ذلك ؛ لأنهم اسْتَجَنُّوا عن أعينِ بنى آدمَ فلا يُرَوْن ، وكلُّ ما تَوارَى عن أبصارِ الناسِ فإن العربَ تقولُ فيه[3] : قد جَنَّ . ومنه قولُ الهُذَلىِّ[4] :

٢٤٨/٧

وماءٍ وَرَدْتُ [5]قُبَيْلَ الكَرَى[5] وقد جَنَّه السَّدَفُ[6] الأَدْهَمُ[7]

وقال عَبيدٌ[8] :

وخَرْقٍ[9] تَصِيحُ البُومُ[10] فيه مع الصَّدَى[11] مَخُوفٍ إذا ما جنَّه الليلُ مَرْهوبِ

ومنه : أجْنَنْتُ الميتَ ، إذا وارَيْتَه فى اللَّحْدِ ، وجنَنْتُه . وهو نظيرُ جُنونِ الليلِ ، فى معنى : غطَّيْتُه . ومنه قيل للتُّرْسِ : مِجَنٌّ . لأنه يُجِنُّ مَن اسْتَجَنَّ به فيُغَطِّيه ويُوارِيه .

---

(١) فى م : « مقبول » .

(٢) فى ص: « أتانا » ، وفى ت ١: « أتانى » .

(٣) سقط من : ص، ت ١، ت٢، ت٣، س، ف .

(٤) هو البُرَيق ، عياض بن خويلد الخناعى ، والبيت فى ديوان الهذليين ٣/ ٥٦.

(٥ - ٥) فى ديوان الهذليين : « على خيفة » .

(٦) السدف هنا : الليل . اللسان (س د ف) والبيت فيه .

(٧) الأدهم : الأسود . اللسان (د هـ م) .

(٨) ديوانه ص ٢٦.

(٩) الخرق : الأرض الواسعة تتخرق فيها الرياح . الصحاح (خ ر ق) .

(١٠) فى الديوان : « الهام » .

(١١) الصدى : ذكَر البوم . اللسان (ص د ي) .

وقولُه : ﴿ رَءَا كَوْكَبًا ﴾ . يقولُ : أبْصَر كوكبًا حينَ طلَع ، ﴿ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ﴾ .

فرُوِى عن ابنِ عباسٍ فى ذلك ما حدَّثنى به[1] المثنى ، قال : ثنا أبو صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ : يعنى به الشمسَ والقمرَ والنجومَ ، ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي ﴾ فعبَده حتى غاب ، فلمَّا غاب قال : ﴿ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴾ ، ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي ﴾ فعبَده حتى غاب ، فلمَّا غاب قال : ﴿ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ ، ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ﴾ فعبَدها حتى غابَت ، فلمَّا غابَت قال : ﴿ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾[2] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴾ : علِم أن ربَّه دائمٌ لا يَزولُ . فقرَأ حتى بلَغ : ﴿ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ﴾ : [3]فرأى خلقًا[3] هو أكبرُ مِن الخلقَيْن الأوَّلَيْن وأنورُ[4] .

وكان سببَ قِيلِ إبراهيمَ ذلك ما حدَّثنى به محمدُ بنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ابنُ الفضلِ ، قال : ثنى محمدُ بنُ إسحاقَ : فيما ذُكِر لنا - واللَّهُ أعلمُ - أن آزرَ كان رجلًا مِن أهلِ كُوثَى ، مِن قريةٍ بالسَّوادِ ، سوادِ الكوفةِ ، وكان إذ ذاك مُلْكُ المشرقِ

---

(١) زيادة من : م .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/ ١٣٢٨، ١٣٢٩ (٧٥١١، ٧٥١٧، ٧٥٢٠) ، والبيهقى فى الأسماء والصفات (٦١٢) من طريق أبى صالح به . وتقدم أوله فى ص ٣٥٢.

(٣ - ٣) فى ص : « وأى خلقا » ، وفى م : « وأى خلق » وفى تفسير ابن أبى حاتم : « أى خلقا » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/ ١٣٢٩ (٧٥١٥، ٧٥٢٢) شطره الأول من طريق يزيد به .

لنُمْرُودَ[1] ، فلمَّا أراد اللَّهُ أن يَبْعَثَ إبراهيمَ حُجَّةً على قومِه ، ورسولًا إلى عبادِه ، ولم يَكُنْ فيما بينَ نوحٍ وإبراهيمَ نبيٌّ إلا هودٌ وصالحٌ ، فلمَّا تَقارَب زمانُ إبراهيمَ الذى أراد اللَّهُ ما أراد ، أَتَى أصحابُ النجومِ نُمْرودَ ، فقالوا له : تَعَلَّمْ أنا نَجِدُ فى عِلْمِنا أن غلامًا يُولَدُ فى قريتِك هذه ، يقالُ له : إبراهيمُ . يُفارِقُ دينَكم ، ويَكْسِرُ[2] أوثانَكم ، فى شهرِ كذا وكذا ، مِن سنةِ كذا وكذا . فلمَّا دخَلَت السنةُ التى وصَف أصحابُ النجومِ لنُمْرودَ ، بعَث نُمْرودُ إلى كلِّ امرأةٍ حُبْلَى بقريتِه ، فحبَسَها عندَه - إلا ما كان / مِن أمِّ إبراهيمَ امرأةِ آزرَ ، فإنه لم يُعْلَمْ بحبَلِها ، وذلك أنها كانت امرأةً حَدَثَةً[3] فيما يُذْكَرُ ، لم يُعْرَفِ[4] الحبَلُ فى بطنِها ، ولِمَا أراد اللَّهُ أن يَبْلُغَ بولدِها - يُرِيدُ[5] أن يَقْتُلَ كلَّ غلامٍ وُلِد فى ذلك الشهرِ مِن تلك السنةِ ، حَذَرًا على مُلْكِه ، فجعَل لا تَلِدُ امرأةٌ غلامًا فى ذلك الشهرِ مِن تلك السنةِ إلا أَمَر به فذُبِح ، فلمَّا وجَدَت أمُّ إبراهيمَ الطَّلْقَ ، خرَجَت ليلًا إلى مَغارةٍ كانت قريبًا منها ، فولَدَت فيها إبراهيمَ ، وأصْلَحت مِن شأنِه ما يُصْنَعُ بالمولودِ[6] ، ثم سَدَّت عليه المغارةَ ، ثم رجَعَت إلى بيتِها ، ثم كانت تُطالِعُه فى المغارةِ ، فتَنْظُرُ ما فعَل ، فتَجِدُه حيًّا يَمُصُّ إبهامَه ، يَزْعُمون - واللَّهُ أعلمُ - أن اللَّهَ جعَل رزقَ إبراهيمَ فيها ، [7]وما[7] يجِيئُه[8] مِن مصِّه ، وكان آزرُ فيما يَزْعُمون ، سأَل أمَّ إبراهيمَ عن حمْلِها : ما فعَل ؟ فقالت : ولَدْتُ غلامًا فمات . فصدَّقَها ،

٢٤٩/٧

---

(١) بعده فى م : « بن كنعان » ، والذى فى تاريخ المصنف : « لنمرود الخاطئ » .

(٢) بعده فى ت١، ت٢، ت٣، س، ف : « أصنامكم » .

(٣) فى م : « حدبة » . وامرأة حدثة : صغيرة السن شابة . التاج (ح د ث) .

(٤) فى ص : « تعرف » .

(٥) فى م : « أراد » .

(٦) فى م : « مع المولود » .

(٧ - ٧) فى تاريخ المصنف : « ما » .

(٨) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س، ف : « يحييه » .

فسكَت عنها ، وكان اليومُ ، فيما يَذْكُرون ، على إبراهيمَ في الشَّبابِ كالشهرِ ، والشهرُ كالسنةِ ، فلم يَلْبَثْ إبراهيمُ في المغارةِ إلا (١) خمسةَ عشَرَ شهرًا (١) ، حتى قال لأمِّه : أخرِجِينى أنظُرْ . فأخرجَته عِشاءً ، فنظَر وتفكَّر في خلقِ السماواتِ والأرضِ ، وقال : إن الذى خلقَنى ورزَقَنى وأطْعَمَنى وسقانى لَربى ، ما لى إلهٌ غيرُه . ثم نظَر في السماءِ فرأَى كوكبًا ، قال : ﴿ هَٰذَا رَبِّي ﴾ . ثم اتَّبعه يَنظُرُ إليه ببصرِه (٢) حتى غاب ، ﴿ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ ﴾ ، ثم أطْلَع (٣) القمرُ فرآه بازغًا ، قال : ﴿ هَٰذَا رَبِّي ﴾ . ثم أتبَعَه بصرَه حتى غاب ، ﴿ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ فلمَّا دخَل عليه النهارُ وطلَعَت الشمسُ ، أعظَمَ الشمسَ ، ورأَى شيئًا هو أعظمَ نورًا مِن كلِّ شىءٍ رآه قبلَ ذلك ، فقال : ﴿ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ ﴾ فلما أفلت قال : ﴿ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ [٧٦٩/١ظ] وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ . ثم رجَع إبراهيمُ إلى أبيه آزرَ وقد استَقامت وِجهتُه ، وعرَف ربَّه ، وبرِئَ مِن دينِ قومِه ، إلا أنه لم يُبادِهم (٤) بذلك ، وأخبرَه (٥) أنه ابنُه ، وأخبَرَته أمُّ إبراهيمَ أنه ابنُه ، وأخبَرَته بما كانت صنَعَت في (٦) شأنِه ، فسُرَّ بذلك آزرُ وفرِح فرحًا شديدًا ، وكان آزرُ يَصْنَعُ أصنامَ قومِه التى يَعْبُدونها ، ثم يُعْطِيها إبراهيمَ يَبِيعُها ، فيَذْهَبُ بها إبراهيمُ فيما يَذْكُرون ، فيقولُ : مَن يَشْتَرِى ما يَضُرُّه ولا يَنفَعُه ؟ فلا

(١ - ١) في ص، ت١، ت٢، ت٣، س، ف : « خمس عشرة » .

(٢) في ص : « يبصره » .

(٣) في م : « طلع » .

(٤) في م : « يبادئهم » . وبادى فلان بالعداوة : جاهر بها . اللسان (ب د ى) .

(٥) في م : « أخبر » .

(٦) في م : « من » .

يَشْتَرِيها منه أحدٌ ، وإذا بارَت[(١)] عليه ، ذهَب بها إلى نهرٍ ، فصوَّب[(٢)] فيه رءوسَها ، وقال : اشْرَبى . اسْتِهزاءً بقومِه ، وما هم عليه مِن الضلالةِ ، حتى فشا عيبُه إياها واستهزاؤُه بها فى قومِه وأهلِ قريتِه ، مِن غيرِ أن يَكونَ ذلك بلَغ نُمْرودَ الملكَ[(٣)] .

وأنكَر قومٌ مِن غيرِ أهلِ الرِّوايةِ هذا القولَ الذى رُوِى عن ابنِ عباسٍ ، وعمَّن رُوِى عنه ، مِن أن إبراهيمَ قال للكوكبِ أو للقمرِ : ﴿ هَٰذَا رَبِّي ﴾ . وقالوا : غيرُ جائزٍ أن يكونَ للَّهِ نبيٌّ ابْتَعَثه بالرسالةِ ، أتَى عليه وقتٌ مِن الأوقاتِ وهو بالغٌ ، إلا وهو للَّهِ مُوَحِّدٌ ، وبه عارفٌ ، ومِن كلِّ ما يُعْبَدُ مِن دونِه بَرِىءٌ . قالوا : ولو جاز أن يكونَ قد أتَى عليه بعضُ الأوقاتِ وهو به كافرٌ ، لم يَجُزْ أن يَخْتَصَّه بالرسالةِ ؛ لأنه لا معنى فيه إلا وفى غيرِه مِن أهلِ الكفرِ به مثلُه ، وليس بينَ اللَّهِ وبينَ أحدٍ مِن خلقِه مُناسبةٌ فيُحابِيَه باخْتِصاصِه بالكرامةِ . قالوا : وإنما أكْرَم مَن أكْرَم منهم لفضلِه فى نفسِه ، فأثابه لاسْتِحقاقِه الثوابَ بما أثابه مِن الكرامةِ . وزعَموا أن خبرَ اللَّهِ عن قيلِ إبراهيمَ عندَ رؤيتِه الكوكبَ ، أو القمرَ ، أو الشمسَ : ﴿ هَٰذَا رَبِّي ﴾ . لم يَكُنْ لجهلِه بأن ذلك غيرُ جائزٍ أن يَكونَ ربَّه ، وإنما قال ذلك على وجهِ الإنكارِ منه أن يكونَ ذلك ربَّه ، وعلى العيبِ لقومِه / فى عبادتِهم الأصنامَ ، إذ كان الكوكبُ والقمرُ والشمسُ أضْوَأَ وأحسنَ وأبهجَ مِن الأصنامِ ، ولم تكنْ مع ذلك معبودةً[(٤)] ، وكانت آفِلةً زائلةً غيرَ دائمةٍ ، والأصنامُ التى دونَها فى الحسنِ ، وأصغرُ منها فى الجسمِ ، أحقُّ[(٥)] ألا

٢٥٠/٧

(١) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س، ف : « بات » .

(٢) فى النسخ : « فضرب » . والمثبت من تاريخ المصنف، وصوب رءوسها : نكسها . التاج (ص و ب).

(٣) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/٢٣٤ - ٢٣٦ .

وقال ابن كثير فى البداية والنهاية ١/٣٣١ وهو مستند إلى أخبار إسرائيلية لا يوثق بها ، ولاسيما إذا خالفت الحق. وتقدم أوله فى ص ٣٤٣ .

(٤) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س، ف : « معبوداً » .

(٥) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س : « وأحق » .

تَكونَ معبودةً ولا آلهةً . قالوا : وإنما قال ذلك لهم مُعارَضةً ، كما يقولُ أحدُ المُتَناظِرَيْن لصاحبِه ، مُعارِضًا له فى قولٍ باطلٍ قال به بباطلٍ مِن القولِ ، على وجهِ مُطالَبتِه إياه بالفُرْقانِ بينَ القولين الفاسدَين عندَه ، اللذين يُصَحِّحُ خَصْمُه أحدَهما ويَدَّعِى فسادَ الآخرِ .

وقال آخَرون منهم : بل ذلك كان منه فى حالِ طُفُولتِه ، وقبلَ قيامِ الحُجَّةِ عليه ، وتلك حالٌ لا يكونُ فيها كفرٌ ولا إيمانٌ .

وقال آخَرون منهم : إنما معنى الكلامِ : أهذا ربِّى ؟ على وجهِ الإنكارِ والتَّوْبيخِ ؛ أى[1] : ليس هذا ربِّى . وقالوا : قد تَفْعَلُ العربُ مثلَ ذلك ، فتَحذِفُ الألفَ التى تَدُلُّ على معنى الاستفهامِ . وزعَموا أن مِن ذلك قولَ الشاعرِ[2] :

رفَوْنى[3] وقالوا يا خُوَيْلِدُ لا[4] تُرَعْ فقلتُ وأنْكَرْتُ الوُجوهَ هُمُ هُمُ ؟

يعنى : أهم هم ؟ قالوا : ومِن ذلك قولُ أوسٍ[5] :

لعَمْرُك ما أدْرِى [6]وإن كنتُ داريًا[6] شُعَيْثُ[7] ابنُ سَهْمٍ أم شُعَيْثُ[7] ابنُ مِنْقَرِ ؟

بمعنى : أشُعَيْثُ[8] بنُ سهمٍ ؟ فحذَف الألفَ . ونظائر ذلك . وأما تذكيرُ ﴿ هَٰذَا ﴾ فى قولِه : ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى ﴾ . فإنما هو[9] على

---

(١) فى ص، ت ١ : « أن » .

(٢) هو أبو خراش الهذلى ، والبيت فى ديوان الهذليين ١٤٤/٢.

(٣) رفونى : سكّنونى . وكان أصلها: رفئونى فترك الهمز . ينظر شرح أشعار الهذليين ١٢١٧/٣.

(٤) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س، ف : « لم » .

(٥) ديوانه ص ٤٩. ونسبه سيبويه فى الكتاب ١٧٥/٣ إلى الأسود بن يعفر، ونسبه المبرد فى الكامل ٢٤٥/٢، ١٧٨/٣ إلى اللعين المنقرى التميمي.

(٦ - ٦) وفى الديوان : « أمن حزن محجن » .

(٧) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س، ف : « شعيب » ، وفى الموضع الثانى من الديوان : « لحزن » .

(٨) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س، ف : « أشعيب » .

(٩) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س، ف : « هم » .

معنى : هذا الشىءُ الطالعُ ربِّى .

وفى خبرِ اللَّهِ تعالى عن قيلِ إبراهيمَ حينَ أفَلَ القمرُ : ﴿ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ الدليلُ على خطأ هذه الأقوالِ التى قالها هؤلاء القومُ ، وأن الصوابَ مِن القولِ فى ذلك الإقرارُ بخبرِ اللَّهِ تعالى ذكرُه الذى أخْبَر به عنه ، والإعراضُ عما عداه[1] .

وأما قولُه : ﴿ فَلَمَّآ أَفَلَ ﴾ . فإن معناه : فلما غاب وذهَب .

كما حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ بنُ الفضلِ ، قال : قال ابنُ إسحاقَ : الأُفولُ الذَّهابُ .

يقالُ منه : أفَلَ النجمُ يَأْفُلُ ويَأْفِلُ أُفولًا [2]وأَفَلًا[2] ، إذا غاب . ومنه قولُ ذى الرُّمَّةِ[3] :

/مَصابيحُ[4] ليست باللَّواتى يَقودُها نُجومٌ ولا بالآفِلاتِ الدَّوالِكِ[5] ٢٥١/٧

ويقالُ : أين أفَلْتَ عنا ؟ بمعنى : أين غِبْتَ عنا ؟

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ

---

(١) قال الشنقيطى رحمه الله : قوله : ﴿ هذا ربى ﴾ . فى المواضع الثلاثة محتمل لأنه كان يظن ذلك .. ومحتمل لأنه جازم بعدم ربوبية غير الله .. والقرآن يبين بطلان الأول وصحة الثانى ، أما بطلان الأول ، فالله تعالى نفى كون الشرك الماضى عن إبراهيم فى قوله : ﴿ وما كان من المشركين ﴾ . ونفى الكون الماضى يستغرق جميع الزمن الماضى ، فثبت أنه لم يتقدم عليه شرك يوما ما .. إلى آخر ما قال . ينظر أضواء البيان ٢/ ٢٠١، وينظر الكشاف ٣١/٢، والتفسير الكبير ٤٧/١٣ وما بعدها ، وتفسير ابن كثير ٢٨٥/٣.

(٢ - ٢) سقط من : ص، ت١، ت٢، ت٣، س، ف .

(٣) ديوانه ٣/ ١٧٣٤.

(٤) المصباح من الإبل : الذى يبرك فى معرسه فلا ينهض حتى يصبح وإن أثير . اللسان (ص ب ح) .

(٥) الدوالك : المائلات للغروب . ينظر اللسان (د ل ك) .

يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧) ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : فلمَّا طلَع القمرُ فرآه إبراهيمُ طالعًا - وهو بُزُوغُه ، يقالُ منه : بَزَغَت الشمسُ تَبْزُغُ بُزُوغًا ، إذا طلَعَت . وكذلك القمرُ - قال : هذا ربى . ﴿ فَلَمَّا أَفَلَ ﴾ . يقولُ : فلمَّا غاب ﴿ قَالَ ﴾ إبراهيمُ : ﴿ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي ﴾ - ويُوَفِّقْنى لإصابةِ الحقِّ فى توحيدِه ، ﴿ لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾ . أىْ : مِن القومِ الذين أخطَئوا الحقَّ فى ذلك ، فلم يُصِيبوا الهدى ، وعبَدوا غيرَ اللَّهِ .

وقد بيَّنا معنى الضلالِ فى غيرِ هذا الموضعِ ، بما أغْنَى عن إعادتِه فى هذا الموضعِ[1] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ فَلَمَّا رَءَا الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) ﴾ .

يعنى تعالى ذكرُه[2] : فلمَّا رأَى إبراهيمُ الشمسَ طالعةً ﴿ قَالَ ﴾ : هَذا الطالعُ ربِّى ، ﴿ هَٰذَآ أَكْبَرُ ﴾ . يعنى : هذا أكبرُ [٧٧٠/١و] مِن الكوكبِ والقمرِ . فحذَف ذلك لدلالةِ الكلامِ عليه . ﴿ فَلَمَّآ أَفَلَتْ ﴾ . يقولُ : فلمَّا غابَت ، قال إبراهيمُ لقومِه : ﴿ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ . أىْ : مِن عبادةِ الآلهةِ والأصنامِ ودعائِه إلهًا مع اللَّهِ تعالى .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٧٩) ﴾ .

وهذا خبرٌ مِن اللَّهِ تعالى ذكرُه عن خليلِه إبراهيمَ عليه السلامُ ، أنه لمَّا تبيَّنَ له

---

(١) ينظر ما تقدم فى ٤١٥/٢ وما بعدها .

(٢) بعده فى م : ﴿ فلما رأى الشمس بازغة ﴾ .

الحقَّ وعرَفه ، شهِد شهادةَ الحقِّ ، وأظْهَر خلافَ قومِه أهلِ الباطلِ وأهلِ الشركِ باللَّهِ ، ولم تأْخُذْه فى اللَّهِ لومةُ لائمٍ ، ولم يَسْتَوْحِشْ مِن قِيلِ الحقِّ والثباتِ عليه ، مع خلافِ جميعِ قومِه لقولِه ، وإنكارِهم إياه عليه ، و[1] قال لهم : ﴿ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ /مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ مع اللَّهِ الذى خلَقَنى وخلَقَكم ، فى عبادتِه مِن آلهتِكم وأصنامِكم ، إنى وجَّهْتُ وجْهىَ فى عبادتى إلى الذى خلَق السماواتِ والأرضَ ، الدائمِ الذى يَبْقَى ولا يَفْنَى ، ويُحْيِى ويُمِيتُ ، لا إلى الذى يَفْنَى ولا يَبْقَى ، ويَزولُ ولا يَدُومُ ، ولا يَضُرُّ ولا يَنْفَعُ . ٢٥٢/٧

ثم أخبَرَهم تعالى ذكرُه أن توجيهَه[2] وَجهَه لعبادتِه[3] ، بإخلاصِ العبادةِ له ، والاستقامةِ فى ذلك لربِّه[4] على ما يُحِبُّ[5] مِن التوحيدِ ، لا على الوجهِ الذى يُوَجِّهُ له وَجْهَه مَن ليس بحنيفٍ ، ولكنه به مشركٌ ، إذ كان توجيهُ الوجهِ لا[6] على التَّحَنُّفِ غيرَ نافعٍ مُوَجِّهَه ، بل ضارَّه ومُهْلِكَه . ﴿ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ . يقولُ : ولستُ منكم . أىْ : لستُ ممَّن يَدِينُ دينَكم ، ويَتَّبِعُ ملَّتَكم أيُّها المشركون .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك كان ابنُ زيدٍ يقولُ .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِ قومِ إبراهيمَ لإبراهيمَ : ترَكْتَ عبادةَ هذه ؟ فقال : ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ . فقالوا : ما جئتَ بشىءٍ ، ونحن نَعْبُدُه ونَتَوَجَّهُه . فقال : لا ،

---

(١) فى ص: « أو » .

(٢) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س، ف : « توجهه » .

(٣) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س، ف : « لعباده » .

(٤) بعدها فى ت١، س، ف : « فى ذلك » .

(٥) فى ص، م، ت١، س، ف : « يجب » .

(٦) فى ص، ت١، ف : « له » .

﴿ حَنِيفًا ﴾ . قال : مُخْلِصًا لا أُشْرِكُه كما تُشْرِكون .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ[1] وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : وجادَل إبراهيمُ قومَه فى توحيدِ اللَّهِ وبراءتِه مِن الأصنامِ ، وكان جِدالُهم إياه قولَهم : إن آلهتَهم التى يَعْبُدُونها خيرٌ مِن إلهِه . قال إبراهيمُ : ﴿ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ ﴾ . يقولُ : أتُجادِلُوننى فى توحيدىَ اللَّهَ ، وإخلاصى العملَ له دونَ ما سواه مِن آلهةٍ ؟ ﴿ وَقَدْ هَدَىٰنِ ﴾ . يقولُ : وقد وفَّقَنى ربى لمعرفةِ وَحْدانيتِه ، وبصَّرَنى طريقَ الحقِّ ، حتى أيْقَنْتُ[2] ألا شىءَ يَسْتَحِقُّ أن يُعْبَدَ سواه ، ﴿ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ ﴾ . يقولُ : ولا أَرْهَبُ مِن آلهتِكم التى تَدْعونها مِن دونِه شيئًا يَنالُنى به[3] فى نفسى مِن سوءٍ ومكروهٍ . وذلك أنهم قالوا له : إنا نَخافُ أن تَمَسَّك آلهتُنا بسوءٍ ، مِن بَرَصٍ أو خَبَلٍ[4] ؛ لذكرِك إياها بسوءٍ . فقال لهم إبراهيمُ : لا أَخافُ ما تُشْرِكون باللَّهِ مِن هذه الآلهةِ أن تَنالَنى بضُرٍّ ولا مكروهٍ ؛ لأنها لا تَنْفَعُ ولا تَضُرُّ ، ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ﴾ . يقولُ : ولكنَّ خوفى مِن اللَّهِ الذى خلَقَنى ، وخلَق السماواتِ والأرضَ ، فإنه إن شاء أن يَنالَنى فى نفسى أو مالى بما شاء ؛ مِن فَناءٍ أو بقاءٍ ، أو زيادةٍ أو نُقْصانٍ ، أو غيرِ ذلك ، نالَنى به ؛ لأنه القادرُ على ذلك .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك كان ابنُ جُرَيْجٍ يقولُ .

---

(١) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س، ف : « هدانى » . وبإثبات الياء وصلا قرأ أبو عمرو . واختلف عن نافع فى إثباتها وحذفها فى الوصل ، وحذفها باقى السبعة وَصلا ووقفا . السبعة لابن مجاهد ص٢٧٥.

(٢) فى النسخ : « ألفت » . والمثبت من تحقيق الشيخ شاكر ، ويصح أيضا أن تكون : ألْفَيْتُ .

(٣) سقط من : م .

(٤) الخبل : فساد الأعضاء حتى لا يدرى كيف يمشى ، وهو أيضا الجنون أو شبهه. تهذيب اللغة ٧/٤٢٤.

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريْجٍ : ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِۚ[1] ﴾ . قال : دعا قومُه مع اللهِ آلهةً[2] ، وخوَّفوه بآلهتِهم أن يُصِيبَه منها خَبْلٌ ، فقال إبراهيمُ : ﴿ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِۚ[1] ﴾ . قال : قد عرَفْتُ ربى ، لا أَخافُ ما تُشْرِكون به .

﴿ وَسِعَ / رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًاۗ ﴾ . يقولُ : وعَلِم ربى كلَّ شيءٍ ، فلا يَخْفَى عليه شيءٌ ؛ لأنه خالقُ كلِّ شيءٍ ، ليس كالآلهةِ التى لا تَضُرُّ ولا تَنْفَعُ ، ولا تَفْهَمُ شيئًا ، وإنما هى خشبةٌ مَنْحوتةٌ ، وصورةٌ مُمَثَّلةٌ ، ﴿ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ[3] ﴾ . يقولُ : أفلا تَعْتَبِرون أيُّها الجَهَلةُ ، فتَعْقِلوا خطأَ ما أنتم عليه مُقِيمون ؛ مِن عبادتِكم صُورةً مُصَوَّرةً ، وخشبةً مَنْحوتةً ، لا تَقْدِرُ على ضَرٍّ ولا على نفعٍ ، ولا تَفْقَهُ شيئًا ، ولا تَعْقِلُه ، وترْكِكم عبادةَ مَن خلَقكم وخلَق كلَّ شيءٍ ، وبيدِه الخيرُ ، وله القدرةُ على كلِّ شيءٍ ، والعالم بكلِّ شيءٍ .

٢٥٣/٧

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًاۚ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ .

وهذا جوابُ إبراهيمَ لقومِه حينَ خوَّفوه مِن آلهتِهم أن تَمَسَّه ، لذكرِه إياها بسوءٍ ، فى نفسِه بمكروهٍ ، فقال لهم : وكيف أَخافُ وأَرْهَبُ ما أَشْرَكْتُموه فى عبادتِكم ربَّكم ، فعبَدْتُموه مِن دونِه ، وهو لا يَضُرُّ ولا يَنْفَعُ ؟ ولو كانت تَنْفَعُ أو تَضُرُّ ، لدَفَعَت عن أنفسِها كَسْرِى إياها ، وضَرْبى لها بالفأسِ ، وأنتم لا تَخافون اللهَ الذى

(١) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س، ف : « هدانى » .

(٢) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س، ف : « إلها » .

(٣) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س، ف : « تذكرون » .

خلَقكم ورزَقكم ، وهو القادرُ على نفعِكم وضَرِّكم ، فى إشراكِكم فى عبادتِكم إياه ﴿ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ﴾ . يعنى : ما لم يُعْطِكم على إشراكِكم إياه فى عبادتِه [٧٧٠/١ظ] حُجَّةً ، ولم يَضَعْ لكم عليه بُرْهانًا ، ولم يَجْعَلْ لكم به عُذْرًا ، ﴿ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ﴾ . يقولُ : أنا أَحَقُّ بالأمنِ مِن عاقبةِ عبادتى ربى مُخْلِصًا له العبادةَ ، حنيفًا له دينى ، بَريئًا مِن عبادةِ الأوثانِ والأصنامِ ، أم أنتم الذين تَعْبُدون مِن دونِ اللَّهِ أصنامًا لم يَجْعَلِ اللَّهُ لكم بعبادتِكم إياها برهانًا ولا حجةً ، ﴿ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ؟ يقولُ : إن كنتم تَعْلَمون صدقَ ما أَقولُ ، وحقيقةَ ما أَحْتَجُّ به عليكم ، فقولوا وأخْبِرونى : أىُّ الفريقَيْن أحقُّ بالأمنِ ؟

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك كان محمدُ بنُ إسحاقَ يقولُ فيما حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، قال : قال محمدُ بنُ إسحاقَ فى قولِه : ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ ﴾ . يقولُ : كيف أخافُ وَثَنًا تَعْبُدون مِن دونِ اللَّهِ لا يَضُرُّ ولا يَنْفَعُ ، ولا تَخافُون أنتم الذى يَضُرُّ ويَنْفَعُ ، وقد جعَلْتُم معه شُركاءَ لا تَضُرُّ ولا تَنْفَعُ ؟ ﴿ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ . أى : بالأمنِ مِن عذابِ اللَّهِ فى الدنيا والآخرةِ ، أَلذى يَعْبُدُ الذى بيدِه الضرُّ والنفعُ ، أم الذى يَعْبُدُ ما لا يَضُرُّ ولا يَنْفَعُ ؟ يَضْرِبُ لهم الأمثالَ ، ويُصَرِّفُ لهم العِبَرَ ؛ ليَعْلَموا أن اللَّهَ هو أحقُّ أن يُخافَ ويُعْبَدَ مما يَعْبُدون مِن دونِه(١) .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ ، قال : أَفْلَجَ(٢) اللَّهُ إبراهيمَ عليه السلامُ حينَ خاصَمَهم ، فقال : ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٣١/٤، ١٣٣٢ (٧٥٣٥، ٧٥٣٦، ٧٥٤٠) من طريق سلمة به .
وأخرج المصنف آخره فى تاريخه ٢٤٠/١ عن محمد بن حميد به ضمن الأثر المتقدم فى ص ٣٥٩.
(٢) أفلجه على خصمه : غلَّبه وفضَّله . اللسان (ف ل ج) .

سُلْطَٰنًاۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾. ثم قال: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ ﴾.

/حدَّثني المثنى، قال: ثنا أبو حُذيفةَ، قال: ثنا شِبْلٌ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ، عن مُجاهدٍ قولَ إبراهيمَ حينَ سألَهم: ﴿ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ ﴾: وهى حجةُ إبراهيمَ عليه السلامُ[1]. ٢٥٤/٧

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو، قال: ثنا أبو عاصمٍ، قال: ثنا عيسى، عن ابنِ أبي نَجيحٍ، عن مُجاهدٍ في قولِ اللهِ تعالى عن[2] إبراهيمَ حينَ سألَهم: ﴿ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ ﴾. قال: وهى حجةُ إبراهيمَ عليه السلامُ.

حدَّثنا القاسمُ، قال: ثنا الحسينُ، قال: ثني حجاجٌ، عن ابنِ جُرَيْجٍ، قال: ﴿ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾: أمن يَعْبُدُ ربًّا واحدًا، أمن يَعْبُدُ أربابًا كثيرةً؟ يقولُ قومُه: الذين آمَنوا بربٍّ واحدٍ.

حدَّثني يونُسُ، قال: أخبرَنا ابنُ وهبٍ، قال: قال ابنُ زيدٍ في قولِه: ﴿ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾: أمن خاف غيرَ اللهِ ولم يَخَفْه، أمن خاف اللهَ ولم يَخَفْ غيرَه؟ فقال اللهُ تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ الآيةَ[3].

القولُ في تأويلِ قولِه: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٣٢/٤ (٧٥٣٨) من طريق ابن أبي نجيح به. وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٦/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) في ص، ت١، ت٢، ت٣، س، ف: «قال».

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٣٢/٤ (٧٥٣٩) من طريق أصبغ بن الفرج، عن ابن زيد به. وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٦/٣ إلى أبي الشيخ.

اختلَف أهلُ التأويلِ في الذي أخبَر تعالى ذكرُه عنه أنه قائلُ[(١)] هذا القولِ ، أعنى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ الآية ؛ فقال بعضُهم : هذا فصلُ القضاءِ مِن اللَّهِ بينَ إبراهيمَ خليلِه عليه السلامُ ، وبينَ مَن حاجَّه مِن[(٢)] قومِه مِن أهلِ الشركِ باللَّهِ ، إذ قال لهم إبراهيمُ : ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ . فقال اللَّهُ تعالى فاصلًا بينَه وبينَهم : الذين صدَّقوا اللَّهَ ، وأخلَصوا له العبادةَ ، ولم يَخْلِطوا عبادتَهم إياه وتصديقَهم له ﴿ بِظُلْمٍ ﴾ . يعنى : بشركٍ ، ولم يُشْرِكوا في عبادتِه شيئًا ، ثم جعَلوا عبادتَهم للَّهِ خالصًا - أحقُّ بالأمنِ مِن عقابِه مكروهَ عبادتِه ربَّه[(٣)] ، مِن الذين يُشْرِكون في عبادتِهم إياه الأوثانَ والأصنامَ ، فإنهم الخائفون مِن عقابِه مكروهَ عبادتِهم ، أمَّا في عاجلِ الدنيا ، فإنهم وَجِلون مِن حُلولِ سَخَطِ اللَّهِ بهم ، وأما في الآخرةِ ، فإنهم المُوقِنون بأليمِ عذابِ اللَّهِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ بنُ الفضلِ ، قال : ثنا محمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : يقولُ اللَّهُ تعالى ذكرُه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ : أى : الذين أخلَصوا كإخلاصِ إبراهيمَ ﷺ لعبادةِ اللَّهِ وتوحيدِه ، ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ : أى : بشركٍ ، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ : الأمنُ مِن العذابِ ، والهُدَى في الحجةِ بالمعرفةِ والاستقامةِ ، يقولُ اللَّهُ تعالى : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾[(٤)] .

---

(١) في م : « قال » .

(٢) في ص، ت١، ت٢، ت٣، س، ف : « في » .

(٣) سقط من : م .

(٤) أخرج آخره ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/١٣٣٤ (٧٥٤٧) من طريق سلمة به .

/ حدَّثني يونُسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِه : ﴿ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ . قال : فقال اللهُ ، وقضَى بينَهم : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ . قال : بشركٍ . قال : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ : فأما الذنوبُ فليس يَبْرَأُ منها أحدٌ . ٧/٢٥٥

وقال آخَرون : هذا جوابٌ مِن قومِ إبراهيمَ ﷺ لإبراهيمَ حينَ قال لهم : ﴿ أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ﴾ ؟ فقالوا له : الذين آمَنوا باللهِ فوحَّدوه ، أحقُّ بالأمنِ ، إذ لم يَلْبِسوا إيمانَهم بظلمٍ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ : ﴿ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ : أمَن يَعْبُدُ ربًّا واحدًا ، أمَّن يَعْبُدُ أربابًا كثيرةً ؟ يقولُ قومُه : ﴿ ٱلَّذِينَ [١/٧٧١و] ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ : بعبادةِ الأوثانِ ، وهي حجةُ إبراهيمَ ، ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ .

وأولى القولين في ذلك عندي بالصوابِ قولُ مَن قال : هذا خبرٌ مِن اللهِ تعالى عن أَوْلَى الفريقَيْن بالأمنِ ، وفصلُ قَضاءٍ منه بينَ إبراهيمَ ﷺ وبينَ قومِه ، وذلك أن ذلك لو كان مِن قولِ قومِ إبراهيمَ الذين كانوا يَعْبُدون الأوثانَ ، ويُشْرِكونها في عبادةِ اللهِ ، لكانوا قد أقَرُّوا بالتوحيدِ ، واتَّبَعوا إبراهيمَ على ما كانوا يُخالِفونه فيه مِن التوحيدِ ، ولكنه كما ذكَرْتُ مِن تأويلِه بَدِيًّا[1] .

واختَلَف أهلُ التأويلِ في المعنى الذي عناه اللهُ تعالى بقولِه : ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ ؛ فقال بعضُهم : بشركٍ .

---

(١) في م : « بدءا » . والبديّ : الأول . ومنه قولهم : افعل هذا بادى بدىٍّ ، أي : أول كل شيء . اللسان (ب د ي) .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا ابنُ إدريسَ ، قال : ثنا الأعمشُ ، عن إبراهيمَ ، عن علقمةَ ، عن عبدِ اللَّهِ ، قال : لمَّا نزَلَت هذه الآيةُ : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ . شقَّ ذلك على أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ . قال : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ألا ترَوْن إلى قولِ لُقمانَ : ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ ؟ » . [لقمان : ١٣] . قال أبو كُرَيْبٍ : قال ابنُ إدريسَ : حدَّثَنيه أولًا أبي ، عن أبانِ بنِ تَغْلِبَ ، عن الأعمشِ ، ثم سمِعْتُه قيلَ له : مِن الأعمشِ ؟ قال : نعم[(١)] .

حدَّثني عيسى بنُ عثمانَ بنِ عيسى الرَّمْليُّ ، قال : ثني عمي يحيى بنُ عيسى ، عن الأعمشِ ، عن إبراهيمَ ، عن علقمةَ ، عن عبدِ اللَّهِ ، قال : لمَّا نزَلَت : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ . شقَّ ذلك على المسلمين ، فقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، ما منا أحدٌ إلا وهو يَظْلِمُ نفسَه . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ليس [(٢)] بذاك ، ألَم تَسْمَعوا [(٢)] إلى قولِ لُقمانَ لابنِه : ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ ؟ »[(٣)] .

حدَّثنا هَنَّادٌ ، قال : ثنا وَكيعٌ ، عن الأعمشِ ، عن إبراهيمَ ، عن علقمةَ ، عن عبدِ اللَّهِ ، قال : لمَّا نزَلَت هذه الآيةُ : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ . شقَّ ذلك على أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، / وقالوا : أيُّنا لم يَظْلِمْ نفسَه ؟ قال : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ليس كما تَظُنُّون ، وإنما هو ما قال لقمانُ لابنِه : ﴿ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ

٢٥٦/٧

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٨/١٢٤) عن أبي كريب به .

(٢ - ٢) في م : « بذلك ألا تسمعون » .

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٢٩) ، ومسلم (١٩٨/١٢٤) من طريق الأعمش به .

إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ »[1] .

حدَّثنا هَنَّادٌ ، قال : ثنا أبو مُعاويةَ ، عن الأعمشِ ، عن إبراهيمَ ، عن علقمةَ ، عن عبدِ اللَّهِ ، قال : لمَّا نزَلَت هذه الآيةُ : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ ﴾ . شقَّ ذلك على الناسِ ، فقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، وأيُّنا لا يَظْلِمُ نفسَه ؟ فقال : « إنه ليس كما[2] تَعْنُون ، ألم تَسْمَعوا ما قال العبدُ الصالحُ : ﴿ يَبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ ؟ إنما هو الشركُ »[3] .

حدَّثنا ابنُ بشَّارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن الأعمشِ ، عن إبراهيمَ ، عن علقمةَ فى قولِه : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ ﴾ . قال : بشركٍ[4] .

حدَّثنى يحيى بنُ طلحةَ اليَرْبُوعىُّ ، قال : ثنا فُضَيْلٌ ، عن منصورٍ ، عن إبراهيمَ فى قولِه : ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ ﴾ . قال : [5]لم يَخْلِطوه[5] بشركٍ .

[6]حدَّثنا ابنُ وكيعٍ وابنُ حُمَيْدٍ ، قالا : حدَّثنا جريرٌ ، عن منصورٍ ، عن إبراهيمَ : ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ ﴾ . قال بشِرْكٍ[6] .

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : ثنا جَريرٌ ، عن الأعمشِ ، عن إبراهيمَ ، عن علقمةَ ، عن

---

(١) أخرجه البخارى فى (٦٩٣٧) ومسلم (١٩٧/١٢٤) من طريق وكيع به .

(٢) سقط من : ص، ت١، ت٢، ت٣، س، ف .

(٣) أخرجه مسلم (١٩٧/١٢٤) من طريق أبى معاوية به .

(٤) أخرجه ابن مردويه - كما فى فتح البارى ٢٦٥/١٢- من طريق أبى أحمد الزبيرى عن سفيان عن الأعمش به مرسلا . وأخرجه أبو عوانة ٧٤/١، وابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٣٣/٤ (٧٥٤٣) من طريق أبى أحمد الزبيرى عن سفيان موصولا مرفوعا .

(٥ - ٥) سقط من : م، ت١، ت٢، ت٣، س، ف .

(٦ - ٦) سقط من : م، ت١، ت٢، ت٣، س، ف .

عبدِ اللَّهِ ، قال : لمَّا نزَلَت هذه الآيةُ : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ . شقَّ ذلك على أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وقالوا : أيُّنا لم يَلْبِسْ إيمانَه بظلمٍ ؟ فقال النبيُّ ﷺ : « ليس بذاك[1] ، ألم تَسْمَعوا قولَ لُقمانَ : ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ ؟ »[2] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا جريرٌ وابنُ إدريسَ ، عن الشَّيْبانيِّ ، عن أبي بكرِ بنِ أبي موسى ، عن الأسودِ بنِ هلالٍ ، عن أبي بكرٍ : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ . قال : بشركٍ[3] .

حدَّثنا هنادٌ ، قال : ثنا قَبيصةُ ، عن يونُسَ بنِ أبي إسحاقَ ، [4]عن أبي إسحاقَ[4] ، عن أبي بكرٍ : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ . قال : بشركٍ[5] .

حدَّثنا هنادٌ ، قال : ثنا وكيعٌ ، عن سعيدِ بنِ عُبيدٍ الطائيِّ ، عن أبي الأشعرِ العَبْديِّ ، عن أبيه ، أن زيدَ بنَ صُوحانَ سأَل سلمانَ ، فقال : يا أبا عبدِ اللَّهِ ، آيةٌ مِن كتابِ اللَّهِ قد بلَغَت مني كلَّ مَبلَغٍ : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ ، فقال سلمانُ : هو الشركُ باللَّهِ تعالى . فقال زيدٌ : ما يَسُرُّني بها أني لم أَسْمَعْها منك ، وأن لي مثلَ كلِّ شيءٍ أَمْسَيْتُ أَمْلِكُه[6] .

---

(١) في م : « بذلك » .

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٧٦، ٦٩١٨) من طريق جرير به .

(٣) أخرجه الحاكم ٢/ ٤٤٠ من طريق عبد الله بن إدريس عن أبي إسحاق الشيباني به . وأخرجه إسحاق بن راهويه - كما في المطالب العالية (٣٩٧١) من طريق أبي بكر بن أبي موسى به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣/ ٢٧ إلى الفريابي وابن أبي شيبة والحكيم الترمذي في نوادر الأصول وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه .

(٤ - ٤) سقط من : م، ت١، ف .

(٥) أخرجه الحارث بن أبي أسامة - كما في المطالب العالية ٨/ ٥٦٦ (٣٩٧١)- من طريق أبي إسحاق به .

(٦) أخرجه البخاري في تاريخه ٨/ ٩ من طريق أبي الأشعر العبدي به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣/ ٢٧ إلى المصنف والفريابي وعبد بن حميد وأبي الشيخ .

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن سعيدِ بنِ عُبيدٍ ، عن أبى الأشعرِ ، عن أبيه ، عن سلمانَ ، قال : بشركٍ .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ وابنُ وَكيعٍ ، قالا : ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مَهْدىٍّ ، قال : ثنا سفيانُ ، قال : ثنا نُسَيْرُ بنُ ذُعْلُوقٍ ، عن كُرْدوسٍ[1] ، عن حُذَيفةَ فى قولِه : ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ . قال : بشركٍ[2] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا عمرُو بنُ عونٍ ، قال : أخبَرنا هُشَيْمٌ ، عن أبى إسحاقَ الكوفىِّ ، عن رجلٍ ، عن عيسى ، عن حُذيفةَ فى قولِه : ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ . قال : بشركٍ[2] .

/ حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا عارمٌ أبو النُّعمانِ ، قال : ثنا حمادُ بنُ زيدٍ ، عن عطاءِ ابنِ السائبِ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ وغيرِه ، أن ابنَ عباسٍ كان يقولُ : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ . قال : بشركٍ[3] . ٢٥٧/٧

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ ، عن علىٍّ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ . يقولُ : بكفرٍ .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ . يقولُ : لم

---

(١) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س، ف : « ددوس » ، وفى م : « درسب » ، ترجم له مصححو المطبوعة على أنه دُرست . وتقدم فى ص ٢٥٩.

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٧/٣ إلى المصنف والفريابى وعبد بن حميد وابن أبى شيبة وابن أبى شيبة وابن المنذر وأبى عبيد وأبى الشيخ .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٧/٣ إلى المصنف وعبد بن حميد وابن المنذر وأبى الشيخ .

يَلْبِسوا إيمانَهم بالشركِ. وقال: ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾.

حدَّثنا نصرُ بنُ عليٍّ الجَهْضميُّ، قال: ثنى أبى، قال: ثنا [١/٧٧١ظ] جَريرُ بنُ حازمٍ، عن عليِّ بنِ زيدٍ، عن ابن[١] المسيبِ، أن عمرَ بنَ الخطابِ قرَأ: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوٓا إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾. فلمّا قرَأها فزِع، فأتَى أبيَّ بنَ كعبٍ، فقال: يا أبا المُنذرِ، قرأْتُ آيةً مِن كتابِ اللّهِ، مَن يَسْلَمُ؟ فقال: ما هى؟ فقرَأَها عليه، فأيُّنا لا يَظْلِمُ نفسَه؟ فقال: غفَر اللّهُ لك، أما سمِعْتَ اللّهَ تعالى يقولُ: ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾؟ إنما هو: ولم يَلْبِسوا إيمانَهم بشركٍ[٢].

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ، قال: ثنا يزيدُ بنُ هارونَ، عن حمادِ بنِ سلمةَ، عن عليِّ بنِ زيدِ بنِ جُدْعانَ، عن يوسُفَ بنِ مِهْرانَ، عن ابنِ عباسٍ، أن عمرَ دخَل منزلَه فقرَأ فى المصحفِ، فمرَّ بهذه الآيةِ: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوٓا إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾. [٣]فأتَى أُبيًّا[٣] فأخبَرَه، فقال: يا أميرَ المؤمنين، إنما هو الشركُ[٤].

حدَّثنى المثنى، قال: ثنا الحجاجُ بنُ المِنْهالِ، قال: ثنا حمادٌ، عن عليِّ بنِ زيدٍ، عن يوسُفَ بن مِهْرانَ، عن [٥]ابن عباسٍ[٥]، أن عمرَ بنَ الخطابِ كان إذا دخَل بيتَه نشَر المصحفَ فقرَأه، فدخَل ذاتَ يومٍ فقرَأ، فأتَى على هذه الآيةِ: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوٓا إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰٓئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾. فانْفَتَل[٦]، وأخَذ

---

(١) سقط من النسخ، والمثبت من مصدر التخريج.

(٢) أخرجه الحاكم ٣/٣٠٥ من طريق حماد بن زيد عن على به.

(٣ - ٣) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س، ف: «فأتاه أبى».

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/٢٧ إلى ابن المنذر وابن مردويه.

(٥ - ٥) فى ص، ت١ ت٢، ت٣، س، ف: «ابن مهران»، وفى م: «مهران». وينظر تهذيب الكمال ٣٢/٤٦٣، والأثر السابق.

(٦) فى م: «فاشتغل»، وفى ت١، ت٢، ت٣، س، ف: «فاستفل»، كذا رسمت فى ص إلا أنها غير منقوطة، وفى الدر المنثور: «فانتقل». والمثبت من تحقيق الشيخ شاكر، وانفتل: انصرف.

رداءَه ، ثم أتَى أُبيَّ ابنَ كعبٍ ، فقال : يا أبا المنذرِ ، فتلا هذه الآيةَ : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾. (١) وقد ترَى أنا نَظْلِمُ (١) ، ونَفْعَلُ ونَفْعَلُ. فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إن هذا ليس بذاك ، يقولُ اللَّهُ تعالى ذكرُه : ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ . إنما ذلك الشركُ .

حدَّثنا هَنَّادٌ ، قال : ثنا ابنُ فُضَيْلٍ ، عن مُطَرِّفٍ ، عن أبى عثمانَ عمرِو بنِ سالمٍ ، قال : قرَأ عمرُ بنُ الخطابِ هذه الآيةَ : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ . فقال عمرُ : قد أفْلَح مَن لم يَلْبِسْ إيمانَه بظلمٍ . فقال أُبيٌّ : يا أميرَ المؤمنين ، ذاك الشركُ .

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : ثنا (٢) أَسْباطُ بنُ محمدٍ ، عن مُطَرِّفٍ (٢) ، عن ابنِ سالمٍ ، قال : قرَأ عمرُ بنُ الخطابِ . فذكَر نحوَه .

حدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن أبى إسحاقَ ، عن أبى مَيْسَرةَ فى قولِه : ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ . قال : بشركٍ (٣) .

/ حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن سفيانَ ، عن أبى إسحاقَ ، عن أبى مَيْسَرةَ مثلَه . ٧/٢٥٨

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : ثنا حسينُ بنُ (٤) عليٍّ ، عن زائدةَ ، عن الحسنِ بنِ

(١ - ١) سقط من : ص، ت١، ت٢، ت٣، س، ف .

(٢ - ٢) فى ص، س : « أسباط عن محمد عن مطرف » . وفى م، ت١، ت٢، ت٣، ف : « أسباط عن محمد بن مطرف » . تهذيب الكمال ٢/ ٣٥٤، ٢٨/ ٦٢.

(٣) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٨٨٦ - تفسير) من طريق أبى إسحاق به .

(٤) فى النسخ : « عن » . وينظر تهذيب الكمال ٦/ ٤٤٩ .

عبيدِ[1] اللَّهِ ، عن إبراهيمَ : ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ . قال : بشركٍ .

حدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قَتادةَ قولَه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ : أى : بشركٍ[2] .

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : ثنا حميدٌ ، عن أبيه ، عن أبى إسحاقَ ، عن أبى مَيْسَرةَ مثلَه .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ . قال : بعبادةِ الأوثانِ[3] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شِبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ مثلَه .

حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المُفَضَّلِ ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السديِّ : ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ . قال : بشركٍ[4] .

حدَّثنى يونُسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ . قال : بشركٍ .

حدَّثنى محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثَوْرٍ ، عن معمرٍ ، عن الأعمشِ ، أن ابنَ مسعودٍ قال : لمَّا نزَلَت : ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ . كبُر

---

(١) فى النسخ : « عبد » . وينظر تهذيب الكمال ١٩٩/٦.

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٣٣/٤ عقب الأثر (٧٥٤٣) معلقا .

(٣) تفسير مجاهد ص ٣٢٥، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٧/٣ إلى عبد بن حميد وأبى الشيخ .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/ ١٣٣٣، عقب الأثر (٧٥٤٣) من طريق عمرو بن حماد ، عن أسباط به .

ذلك على المسلمين ، فقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، ما منا أحدٌ إلا وهو يَظْلِمُ نفسَه . فقال النبيُّ ﷺ : « أمَا سمِعْتُم قولَ لقمانَ : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[1] ؟ » .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا حَكَّامٌ ، عن عَنْبَسةَ ، عن محمدِ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن القاسمِ بنِ أبي بَزَّةَ ، عن مجاهدٍ في قولِه : ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ . قال : عبادةِ الأوثانِ .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا محمدُ بنُ بشرٍ ، عن مِسْعَرٍ ، عن أبي حَصِينٍ ، عن أبي عبدِ الرحمنِ ، قال : بشركٍ[2] .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، قال : قال ابنُ إسحاقَ : ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ . قال : بشركٍ .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولم يَخْلِطوا إيمانَهم بشيءٍ مِن معاني الظلمِ ؛ وذلك فعلُ ما نَهَى اللَّهُ عن فعلِه ، أو تركُ ما أمَر اللَّهُ بفعلِه . وقالوا : الآيةُ على العمومِ ؛ لأن اللَّهَ لم يَخُصَّ به معنًى مِن معاني الظلمِ .

قالوا : فإن قال لنا قائلٌ : أفلا أَمْنَ في الآخرةِ إلا لمن لم يَعْصِ اللَّهَ في صغيرةٍ ولا كبيرةٍ ، وإلّا لمَن لقِي اللَّهَ ولا ذنبَ له ؟ قلنا : إن اللَّهَ عنَى بهذه الآيةِ خاصًّا مِن خلقِه دونَ الجميعِ منهم ، والذي عنَى بها وأراده بها خليلَه إبراهيمَ ﷺ ، فأما غيرُه فإنه إذا لقِي اللَّهَ لا يُشْرِكُ به شيئًا ، فهو في مشيئتِه إذا كان قد أتَى بعضَ مَعاصِيه التي لا تَبْلُغُ أن تَكونَ كفرًا ، فإن شاء لم يُؤْمِنْه مِن عذابِه ، وإن شاء تفَضَّل عليه فعفا عنه .

---

(١) تفسير عبد الرزاق ٢١٣/١ عن معمر به .

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٣٣/٤ عقب الأثر (٧٥٤٣) معلقا .

قالوا : وذلك [٧٧٢/١و] قولُ جماعةٍ مِن السلفِ ، وإن كانوا مختلفين فى المعنىّ بالآيةِ ؛ **فقال بعضُهم** : عُنى بها إبراهيمُ .

وقال بعضُهم : عُنى بها المهاجرون[1] مِن أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ .

٢٥٩/٧ / **ذكرُ مَن قال : عُنى بهذه الآيةِ إبراهيمُ خليلُ الرحمنِ ﷺ**

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ يَمانٍ وحميدُ بنُ عبدِ الرحمنِ ، عن قيسِ ابنِ الربيعِ ، عن زيادِ بنِ عِلاقةَ ، عن زيادِ بنِ حَرْملةَ ، عن علىٍّ ، قال : هذه الآيةُ لإبراهيمَ ﷺ خاصةً ، ليس لهذه الأمةِ منها شىءٌ[2] .

ذكرُ مَن قال : عُنى بها المهاجرون خاصةً

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ يَمانٍ وحميدُ بنُ عبدِ الرحمنِ ، عن قيسِ ابنِ الربيعِ ، عن سِماكٍ ، عن عكرمةَ : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ . قال : هى لمَن هاجرَ إلى المدينةِ .

وأولى القولين بالصحةِ فى ذلك ما صحَّ به الخبرُ عن رسولِ اللهِ ﷺ ، وهو الخبرُ الذى رواه ابنُ مسعودٍ عنه أنه قال : الظلمُ الذى ذكَره اللهُ تعالى فى هذا الموضعِ هو الشركُ .

وأما قولُه : ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ . فإنه يعنى : هؤلاء الذين آمنوا ، ولم يَخْلِطُوا إيمانَهم بشركٍ ، ﴿ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ ﴾ يومَ القيامةِ مِن عذابِ اللهِ ، ﴿ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ . يقولُ : وهم المُصِيبون سبيلَ الرشادِ ، والسالكون طريقَ النَّجاةِ .

---

(١) فى م : « المهاجرين » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٣٣/٤ (٧٥٤٤) من طريق قيس بن الربيع به . والحاكم ٣١٦/٢ من طريق زياد بن علاقة به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٧/٣ إلى الفريابى وعبد بن حميد وأبى الشيخ وابن مردويه .

القولُ فى تأويلِ قولِه: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣) ﴾.

يعنى تعالى ذكرُه بقولِه: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ﴾. قولَ إبراهيمَ لمُخاصِميه مِن قومِه المشركين: ﴿ أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ﴾ أَمَن يَعْبُدُ ربًّا واحدًا مُخْلِصًا له الدينَ والعبادةَ، أَمَّن يَعْبُدُ أربابًا كثيرةً؟ وإجابتُهم إياه بقولِهم: بل مَن يَعْبُدُ ربًّا واحدًا أحقُّ بالأمنِ. وقضاؤُهم له على أنفسِهم، فكان فى ذلك قطعُ عذرِهم، وانقطاعُ حجتِهم، واستِعلاءُ حجةِ إبراهيمَ عليهم، فهى الحجةُ التى آتاها اللَّهُ إبراهيمَ على قومِه[1].

كالذى حدَّثنى الحارثُ، قال: ثنا عبدُ العزيزِ، قال: ثنا سفيانُ الثورىُّ، عن رجلٍ، عن مُجاهدٍ: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾. قال: هى[2] ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾.

حدَّثنى الحارثُ، قال: ثنا عبدُ العزيزِ، قال: ثنا يحيى بنُ زكريا، عن ابنِ جُرَيْجٍ، عن مجاهدٍ، قال: قال إبراهيمُ حينَ سأل: ﴿ أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ﴾. قال: هى حجةُ إبراهيمَ[3].

وقولُه: ﴿ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾. يقولُ: لقَّنَّاها إبراهيمَ، و[4]بصَّرْناها إياه[4]، ورفَعْناه[5] على قومِه.

---

(١) تقدم فى ص ٣٦٩ أن المصنف، رحمه الله، رجح أن قوله: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ خبر من الله تعالى عن أولى الفريقين بالأمن، وفصل قضاء منه بين إبراهيم عليه السلام وبين قومه، ثم عاد هنا فذكر أنه من قول قوم إبراهيم عليه السلام، وهو ما رده هناك ولم يرتضه.

(٢) فى ص: «هو»، وفى ف: «هؤلاء».

(٣) ينظر ما تقدم تخريجه فى ص ٣٦٧.

(٤ - ٤) فى م: «بصرناه إياها».

(٥) فى ص: «عرفناه».

﴿ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ﴾ . واختلَفت القرأةُ في قراءةِ ذلك ؛ فقرأتْه عامةُ قرأةِ الحجازِ والبصرةِ : (نَرْفَعُ دَرَجاتِ مَن نَشاءُ) . بإضافةِ الدرجاتِ إلى « مَن » ، بمعنى : نَرْفَعُ الدرجاتِ لِمَن نَشاءُ[1] .

وقرأ ذلك عامةُ قرأةِ الكوفةِ : ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ﴾ . بتنوينِ الدرجاتِ ، بمعنى : نَرْفَعُ مَن نَشاءُ دَرَجاتٍ[2] . والدرجاتُ جمعُ دَرَجةٍ ، وهي المرتبةُ ، وأصلُ ذلك مَراقى السُّلَّمِ ودرجُه ، ثم تُسْتَعْمَلُ في ارتفاعِ المنازلِ والمراتبِ .

٧/٢٦٠ / والصوابُ مِن القولِ في ذلك عندى أن يُقالَ : هما قراءتان قد قرَأ بكلِّ واحدةٍ منهما أئمةٌ مِن القرأةِ ، متقاربٌ معناهما . وذلك أن مَن رُفِعَت درجتُه فقد رُفِع في الدَّرَجِ ، ومَن رُفِع في الدَّرَجِ فقد رُفِعَت درجتُه ، فبأيِّهما قرَأ القارئُ فمُصيبٌ الصوابَ في ذلك .

فمعنى الكلامِ إذن : وتلك حُجَّتُنا آتيناها إبراهيمَ على قومِه ، فرفَعْنا بها درجتَه عليهم ، وشرَّفْناه بها عليهم في الدنيا والآخرةِ ، فأما في الدنيا فآتَيْناه فيها أجرَه ، وأما في الآخرةِ فهو مِن الصالحين . ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ﴾ . أي : بما فعَل[3] مِن ذلك وغيرِه[4] .

وأما قولُه : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ . فإنه يعني : إن ربَّك يا محمدُ حكيمٌ في سِياستِه خلقَه ، وتَلْقينِه أنبياءَه الحججَ على أُممِهم المُكَذِّبةِ لهم ، الجاحدةِ توحيدَ ربِّهم ، وفي غيرِ ذلك مِن تدبيرِه ، عليمٌ بما يَئُولُ إليه أمرُ رسلِه والمُرسَلين إليه[5] ؛ مِن

(١) هي قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وأبي عمرو . السبعة لابن مجاهد ص ٢٦١ .
(٢) وهي قراءة عاصم وحمزة والكسائي . المصدر السابق .
(٣) في ص، ت١، ت٢، ت٣، س، ف : « فعلت » .
(٤) بعده في ص، ت١، ت٢، ت٣، س، ف : « حكيم عليم » .
(٥) في م : « إليهم » .

ثَباتِ الأممِ على تكذيبِهم إياهم ، وهلاكِهم على ذلك ، أو إنابتِهم وتوبتِهم منه بتوحيدِ اللَّهِ تعالى ، وتصديقِ رسلِه ، والرجوعِ إلى طاعتِه .

يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : فأْتَسِ يا محمدُ فى نفسِك وقومِك المُكَذِّبيك والمشركين ، بأبيك خليلى إبراهيمَ ﷺ ، واصْبِرْ على ما يَنوبُك منهم صبرَه ، فإنى بالذى يَئُولُ إليه أمرُك وأمرُهم عالمٌ بالتدبيرِ فيك وفيهم حكيمٌ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : فجَزَيْنا إبراهيمَ ﷺ على طاعتِه إيانا وإخلاصِه توحيدَ ربِّه ، ومُفارقتِه دينَ قومِه المشركين باللَّهِ ، بأن رفَعْنا درجتَه فى عِلِّيِّين ، وآتَيْناه أجرَه فى الدنيا ، ووهَبْنا له أولادًا اخْتَصَصْناهم[1] بالنبوةِ ، وذريةً شرَّفْناهم منا بالكرامةِ ، وفضَّلْناهم على العالَمين ؛ منهم ابنُه إسحاقُ ، وابنُ ابنِه يعقوبُ ، ﴿ كُلًّا هَدَيْنَا ﴾ . يقولُ : هدَيْنا جميعَهم لسبيلِ الرشادِ ، فوفَّقْناهم للحقِّ والصوابِ مِن الأديانِ ، ﴿ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ﴾ . يقولُ : وهدَيْنا لمثلِ الذى هدَيْنا إبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ مِن الحقِّ والصوابِ ، فوفَّقْناه له ، نوحًا مِن قَبْلِ إبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ . ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ ﴾ والهاءُ التى فى قولِه : ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ ﴾ مِن ذكرِ « نوحٍ » . وذلك أن اللَّهَ تعالى ذكرُه ذكَر فى سياقِ الآياتِ التى تَتْلُو هذه الآيةَ [٧٧٢/١ظ] لوطًا ، فقال : ﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ . ومعلومٌ أن لوطًا لم يَكُنْ مِن ذريةِ إبراهيمَ صلَّى اللَّهُ عليهم أجمعين . فإذ

---

(١) فى م : « خصصناهم » .

كان ذلك كذلك، وكان معطوفًا على أسماءٍ من سمَّينا مِن ذريتِه، كان لا شكَّ أنه لو أُرِيد بالذريةِ ذريةُ إبراهيمَ، لمَّا دخَل يونُسُ ولوطٌ فيهم، ولا شكَّ أن لوطًا ليس مِن ذريةِ إبراهيمَ، ولكنه مِن ذريةِ نوحٍ، فلذلك وجَب أن تَكونَ الهاءُ فى الذريةِ مِن ذكرِ نوحٍ.

فتأويلُ الكلامِ: ونوحًا وفَّقْنا للحقِّ والصوابِ مِن قبلِ إبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ، وهدَيْنا أيضًا مِن ذريةِ نوحٍ داودَ وسليمانَ.

و﴿دَاوُۥدَ﴾ هو داودُ بنُ إيشى. و﴿سُلَيْمَـٰنَ﴾ هو ابنُه سليمانُ بنُ داودَ، ﴿وَأَيُّوبَ﴾ هو أيوبُ / بنُ مُوصِ بنِ رازحَ[1] بنِ عِيصِ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ. ٢٦١/٧ و﴿يُوسُفَ﴾ هو يوسُفُ بنُ يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ. و﴿مُوسَىٰ﴾ هو موسى بنُ عِمْرانَ بنِ يصهرَ بنِ قاهثَ بنِ لَاوِى بنِ يعقوبَ. و﴿هَـٰرُونَ﴾ هو[2] أخو موسى.

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾. يقولُ تعالى ذكرُه: جزَيْنا نوحًا بصبرِه على ما امْتُحِن به فينا، بأن هدَيْناه فوفَّقْناه لإصابةِ الحقِّ الذى خذَلْنا عنه مَن عصانا فخالَف أمْرَنا ونهْيَنا مِن قومِه، وهدَيْنا مِن ذريتِه مِن بعدِه مَن ذكَر تعالى ذكرُه مِن أنبيائِه لمثلِ الذى هدَيْناه له، وكما جزَيْنا هؤلاء بحسنِ طاعتِهم إيانا، وصبرِهم على المِحَنِ فينا، كذلك نَجْزِى بالإحسانِ كلَّ مُحسِنٍ.

القولُ فى تأويلِ قولِه: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾﴾.

---

(١) فى النسخ: «روح»، والمثبت من تاريخ المصنف ١/ ٣٢٢.

(٢) سقط من: م.

يقولُ تعالى ذكرُه : وهدَيْنا أيضًا لمثلِ الذى هدَيْنا له نوحًا مِن الهُدَى والرَّشادِ مِن ذريتِه زكريا بنَ إدُّو[(١)] بنِ بركيا ، ويحيَى بنَ زكريا ، وعيسى ابنَ مريمَ ابنةِ عِمْرانَ ابن ياشهمَ[(٢)] بنِ أمونَ بنِ حزقيا ﴿ وَإِلْيَاسَ ﴾ واختلَفوا فى « إلياسَ » ، فكان ابنُ إسحاقَ يقولُ : هو إلْياسُ بنُ تسبى[(٣)] بنِ فِنحاصَ بنِ العيزارِ بنِ هارونَ بنِ عمرانَ ابنِ أخى موسى نبىِّ اللَّهِ ﷺ .

وكان غيرُه يقولُ : هو إدريسُ . وممن ذُكِر ذلك عنه عبدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ .

حدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : ثنا أبو أحمدَ ، قال : ثنا إسرائيلُ ، عن أبى[(٤)] إسحاقَ ، عن عَبيدةَ بنِ ربيعةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ ، قال : إدريسُ هو إلياسُ ، وإسرائيلُ هو يعقوبُ[(٥)] .

وأما أهلُ الأنسابِ فإنهم يقولون : إدريسُ جدُّ نوحِ بنِ لَـمْكِ[(٦)] بنِ متُّوشلخَ بنِ أخنُوخَ . وأخنوخُ هو إدريسُ بنُ يَرْدَ بنِ مهلائيلَ[(٦)] . وكذلك رُوِى عن وهبِ بنِ مُنَبِّهٍ[(٧)] .

والذى يقولُ أهلُ الأنسابِ أشبهُ بالصوابِ ، وذلك أن اللَّهَ تعالى نسَب إلياسَ فى هذه الآيةِ إلى نوحٍ ، وجعَله مِن ذريتِه ، ونوحٌ هو ابنُ إدريسَ عندَ أهلِ العلمِ ،

---

(١) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س، ف : « ادر » ، وفى م : « أزن » ، وفى تاريخ المصنف ١/ ٥٩٠ : « أدى » ، وفى سفر زكريا ، الأصحاح الأول ص ١٣٤٠ : « عِدُّو » ولعل المثبت هو الصواب .

(٢) فى م : « أشيم » .

(٣) فى م : « يسى » ، وفى ف: « شى » ، وفى تاريخ المصنف ٤٦١/١ : « ياسين » . قال ابن كثير : قال علماء النسب : هو إلياس بن تسبى . ويقال : ابن ياسين . البداية والنهاية ٢٧٢/٢. وينظر طبقات ابن سعد ٥٥/١ ، ومختصر تاريخ دمشق ٢٣/٥.

(٤) فى النسخ : « ابن » .

(٥) أخرجه عبد بن حميد فى تفسيره - كما فى التغليق ٩/٤ - وابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٣٦/٤ (٧٥٥٦) ، وابن حبان فى الثقات ٢٠٠/٩ ، وابن عساكر فى تاريخه ٢٠٧/٩ من طريق إسرائيل به .

(٦) ينظر أنساب الأشراف ٧/١ .

(٧) أخرجه الحاكم ٥٤٩/٢ .

فمُحالٌ أن يَكونَ جَدُّ أبيه منسوبًا إلى أنه مِن ذريتِه .

وقولُه : ﴿ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ . يقولُ : مَن ذكَرْنا مِن هؤلاء الذين سمَّيْنا مِن الصالحين . يعنى زكريا ويحيى وعيسى وإلياسَ صلَّى اللهُ عليهم .

القولُ في تأويلِ قولِه : ﴿ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : وهدَيْنا أيضًا مِن ذريةِ نوحٍ إسماعيلَ ، وهو إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ ، ﴿ وَٱلْيَسَعَ ﴾ هو الْيَسَعُ بنُ أخْطُوبَ بنِ العجوزِ .

واختَلَفت القرأةُ فى قراءةِ اسمِه ؛ فقرَأَتْه عامةُ قرأةِ الحجازِ والعراقِ : ﴿ وَٱلْيَسَعَ ﴾ بلامٍ واحدةٍ مُخفَّفةٍ[1] .

وقد زعَم قومٌ أنه « يَفْعَل » ، مِن قولِ القائلِ : وسِع يَسَعُ . ولا تَكادُ العربُ تُدْخِلُ الألفَ واللامَ على اسم يَكونُ / على هذه الصورةِ - أَعْنِى : على « يَفْعَل » ، لا يقولون : رأيْتُ اليزيدَ ، ولا أتانى اليحيى[2] ، ولا مرَرْتُ باليَشْكُرِ - إلا فى ضرورةِ شعرٍ ، وذلك أيضًا إذا تُحُرِّىَ به المدحُ ، كما قال بعضُهم[3] :

وجَدْنا الوليدَ بنَ اليزيدِ مُبارَكًا شديدًا بأحناءِ[4] الخِلافةِ كاهِلُهْ

فأدْخَل فى « اليزيدِ » الألفَ واللامَ ؛ وذلك لإدخالِه إياهما فى « الوليدِ » ، فأتْبَعه « اليزيدَ » بمثلِ لفظِه .

وقرَأ ذلك جماعةٌ مِن قرأةِ الكوفيين : (واللَّيْسَعَ) بلامَيْن وبالتشديدِ[5] .

(١) هى قراءة نافع وابن كثير وأبى عمرو وابن عامر وعاصم وأبى جعفر ويعقوب . النشر ١٩٥/٢ .

(٢) فى م : « التجيب » .

(٣) هو ابن ميادة الرماح بن أبرد ، والبيت فى معانى القرآن للفراء ٣٤٢/١ ، وأمالى ابن الشجرى ٢٥٢/٢ .

(٤) فى م : « بأعباء » . قال البغدادى : والأحناء جمع حِنو بالكسر ، وهو الجانب والجهة ، وقيل : هو هنا بمعنى السَّرج والقتَب ، كنى به عن أمور الخلافة الشاقة . خزانة الأدب ٢٢٧/٢ .

(٥) هى قراءة حمزة والكسائى وخلف . النشر ١٩٥/٢ .

وقالوا : إذا قُرِئَ كذلك كان أشبهَ بأسماءِ العجمِ . وأنكَروا التخفيفَ وقالوا : لا نَعْرِفُ فى كلامِ العربِ اسمًا على « يَفْعَل » فيه ألفٌ ولامٌ .

والصوابُ مِن القراءةِ فى ذلك عندى قراءةُ مَن قرَأه بلامٍ واحدةٍ مخففةٍ ؛ لإجماعِ أهلِ الأخبارِ على أن ذلك هو المعروفُ مِن اسمِه ، دون التشديدِ ، مع أنه اسمٌ أعْجَمِىٌّ ، فيُنْطَقُ به على ما هو به . وإنما نُقيمُ[1] دخولَ الألفِ واللامِ فيما جاء مِن أسماءِ العربِ على « يَفْعَل » . وأما الاسمُ الذى يَكونُ أعْجَميًّا ، فإنما يُنْطَقُ به على ما سَمَّوْا به ، فإن غُيِّر منه شىءٌ إذا تكَلَّمت العربُ به ، فإنما يُغَيَّرُ بتقويمِ حرفٍ منه ، مِن غيرِ حذفٍ ولا زيادةٍ فيه ولا نُقصانٍ ، و« اللَّيْسَعُ » إذا شُدِّد لحَقَتْه زيادةٌ لم تَكُنْ فيه قبلَ التشديدِ . وأُخرى ، أنه لم يُحْفَظْ عن أحدٍ مِن أهلِ العلمِ علِمْنا أنه قال : اسمُه لَيْسَعُ . فيَكونَ مُشَددًا عندَ دخولِ الألفِ [١/٧٧٣و] واللامِ اللتين تَدْخُلان للتعريفِ[2] .

و﴿ يُونُسَ ﴾ هو يونُسُ بنُ مَتَّى ، ﴿ وَلُوطًاۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا ﴾ مِن ذريةِ نوحٍ ونوحًا ، لهم بيَّنا الحقَّ ، ووفَّقْناهم له ، وفضَّلْنا جميعَهم ﴿ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ يعنى : على عالَمِ أزمانِهم .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : وهدَيْنا أيضًا مِن آباءِ هؤلاء الذين سمَّاهم تعالى ذكرُه ، ومِن ذرياتِهم وإخوانِهم آخرين سواهم لم يُسَمِّهم ، للحقِّ والدينِ الخالصِ الذى لا

---

(١) فى ص: « يقيم » ، وفى م : « لا يستقيم » .

(٢) القراءتان كلتاهما صواب ؛ لأنهما متواترتان .

شركَ فيه ، فوفَّقْناهم له ، ﴿ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ ﴾ . يقولُ : واخْتَرْناهم لدينِنا وبلاغِ رسالتِنا إلى مَن أرسلْناهم إليه ، كالذى اخْتَرْنا ممَّن سمَّيْنا . يقالُ منه : اجْتَبَى فلانٌ لنفسِه كذا ، إذا اخْتاره واصْطَفاه ، يَجْتَبِيه اجْتِباءً .

وكان مجاهدٌ يقولُ فى ذلك ما حدَّثنى به محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ تعالى ذكرُه : ﴿ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ ﴾ . قال : أخْلَصْناهم[(1)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ مثلَه .

﴿ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ . يقولُ : وسدَّدْناهم فأرْشَدْناهم إلى طريقٍ غيرِ مُعْوَجٍّ ، وذلك دينُ اللَّهِ الذى لا عِوَجَ فيه ، وهو الإسلامُ الذى ارْتَضاه اللَّهُ ربُّنا لأنبيائِه ، وأمَر به عبادَه .

٢٦٣/٧ /القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٨٨ ﴾ .

يعنى تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ ﴾ : هو الهدى الذى هدَيْتُ به مَن سمَّيْتُ مِن الأنبياءِ والرسلِ ، فوفَّقْتُهم به لإصابةِ الدينِ الحقِّ الذى نالوا بإصابتِهم إياه رضا ربِّهم ، وشرفَ الدنيا ، وكرامةَ الآخرةِ ، هو ﴿ هُدَى ٱللَّهِ ﴾ . يقولُ : هو توفيقُ اللَّهِ ولُطْفُه الذى يُوَفِّقُ به مَن يَشاءُ ، ويَلْطُفُ به لمَن أحَبَّ مِن خلقِه ، حتى يُنِيبَ إلى طاعةِ اللَّهِ ، وإخلاصِ العملِ له ، وإقرارِه بالتوحيدِ ، ورفضِ الأوثانِ والأصنامِ ،

---

(١) تفسير مجاهد ص٣٢٥ ، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٣٦/٤ (٧٥٥٨) .

﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ . يقولُ : (١) ولو أشْرَك هؤلاء الأنبياءُ الذين سمَّيْناهم ، بربِّهم تعالى ذكرُه ، فعبَدوا معَه غيرَه ﴿ لَحَبِطَ عَنْهُم ﴾ . يقولُ (١) : لبطَل فذهَب عنهم أجرُ أعمالِهم التى كانوا يَعْمَلون ؛ لأن اللَّهَ لا يَقْبَلُ مع الشركِ به عملًا .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ﴾ .

يعنى تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ﴾ : هؤلاء الذين سمَّيْناهم مِن أنبيائِه ورسلِه ؛ نوحًا وذريتَه الذين هداهم لدينِ الإسلامِ ، واجْتَباهم (٢) لرسالتِه إلى خلقِه ، هُم ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ . يعنى بذلك : صحفَ إبراهيمَ وموسى ، وزَبورَ داودَ ، وإنجيلَ عيسى ، صلواتُ اللَّهِ عليهم أجمعين ، ﴿ وَٱلْحُكْمَ ﴾ يعنى الفهمَ بالكتابِ ومعرفةَ ما فيه مِن الأحكامِ .

ورُوِى عن مجاهدٍ فى ذلك ما حدَّثنى المثنَّى ، قال : ثنا مسلمُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا أبانٌ ، قال : ثنا مالكُ بنُ شدَّادٍ (٣) ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ﴾ . قال : الحكمُ هو اللُّبُّ (٤) .

وعنَى بذلك مجاهدٌ إن شاء اللَّهُ ما قلتُ ؛ لأن اللُّبَّ هو العقلُ ، فكأنه أراد أن اللَّهَ آتاهم العقلَ بالكتابِ ، وهو بمعنى ما قلنا مِن أنه الفهمُ به (٥) .

وقد بيَّنَّا معنى « النبوةِ » و « الحكمِ » فيما مضَى بشَواهدِهما ، فأغْنَى ذلك عن إعادتِه (٦) .

(١ - ١) سقط من : ت٢ ، س ، ف .

(٢) فى م : « اختارهم » .

(٣) لم نجد له ترجمة ، وأبان هو ابن يزيد العطار يروى عن مالك بن دينار ، فلعله تحرف عنه .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٨/٣ إلى أبى الشيخ .

(٥) بعده فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س، ف : « والنبوة » .

(٦) تقدم تفسير النبوة فى ٣٠/٢، ٣١، ٢٨٩/٥، وتفسير الحكم فى ٥٧٧/٢، ٥٢٤/٥ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : فإن يَكْفُرْ يا محمدُ بآياتِ كتابى الذى أنْزَلْتُه إليك ، فيَجْحَدْ هؤلاءِ المشركون العادِلون بربِّهم ، كالذى حدَّثنى علىُّ بنُ داودَ ، قال : ثنا أبو صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَآءِ ﴾ . يقولُ : إن يَكْفُروا بالقرآنِ[1] .

٧/٢٦٤ /ثم اختَلَف أهلُ التأويلِ فى المعنىِّ بـ ﴿ هَٰؤُلَآءِ ﴾ ؛ فقال بعضُهم : عُنِى بهم كفارُ قريشٍ ، وعُنى بقولِه : ﴿ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾ . الأنصارُ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : ثنا سليمانُ ، قال : ثنا أبو هلالٍ ، عن قتادةَ فى قولِ اللَّهِ تعالى : ﴿ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَآءِ ﴾ . قال : أهلُ مكةَ ، ﴿ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا ﴾ أهلَ المدينةِ[2] .

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : ثنا عَبْدةُ بنُ سليمانَ ، عن جُوَيْبرٍ ، عن الضحاكِ : ﴿ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾ . قال : الأنصارُ[3] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مَغْراءَ ، عن جُويبرٍ ، عن الضحاكِ : ﴿ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَآءِ ﴾ . قال : إن يَكْفُرْ بها أهلُ مكةَ ، ﴿ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا ﴾ أهلَ المدينةِ الأنصارَ ، ﴿ لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾[4] .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٣٨/٤ (٧٥٧٠) من طريق أبى صالح به.

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٣٨/٤ عقب الأثر (٧٥٧١) معلقًا .

(٣) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٣٩/٤ عقب الأثر (٧٥٧٤) معلقًا .

(٤) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٣٨/٤، ١٣٣٩ عقب الأثر (٧٥٧١، ٧٥٧٤) معلقًا .

حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ . يقولُ : إن يَكْفُرْ بها قريشٌ ، ﴿ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا ﴾ الأنصارَ[1] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ : ﴿ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ أهلُ مكةَ ، ﴿ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾ أهلَ المدينةِ .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾ . [٧٧٣/١ظ] قال : كان أهلُ المدينةِ قد تبوَّءُوا الدارَ والإيمانَ قبلَ أن يَقْدَمَ عليهم رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فلمَّا أنْزَل اللَّهُ عليهم الآياتِ جحَد بها أهلُ مكةَ ، فقال اللَّهُ تعالى ذكرُه : ﴿ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾ . قال عطيةُ : ولم أَسْمَعْ هذا مِن ابنِ عباسٍ ، ولكن سمِعْتُه مِن غيرِه .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ ، عن عليِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ . يعنى : أهلُ مكةَ ، يقولُ : إن يَكْفُروا بالقرآنِ ﴿ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾ . يعنى : أهلَ المدينةِ والأنصارَ[2] .

وقال آخرون : معنى ذلك : فإن يَكْفُرْ بها أهلُ مكةَ فقد وكَّلْنا بها الملائكةَ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبو أسامةَ ، عن عوفٍ ، عن أبى رَجاءٍ : ﴿ فَإِن يَكْفُرْ

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ١٣٣٨/٤، ١٣٣٩ عقب الأثرين (٧٥٧١، ٧٥٧٤) من طريق عمرو بن حماد ، عن أسباط به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٣٨/٤، ١٣٣٩ (٧٥٧١، ٧٥٧٤) من طريق أبى صالح به .

بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾ . قال : هم الملائكةُ[1] .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ وابنُ أبى عَدِىٍّ وعبدُ الوهَّابِ ، عن عوفٍ ، عن أبى رَجاءٍ مثلَه .

وقال آخرون : عُنِى بقولِه : ﴿ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ . يعنى : قريشٌ . وبقولِه : ﴿ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا /قَوْمًا ﴾ الأنبياءَ الذين سمَّاهم فى الآياتِ التى مضَت قبلَ هذه الآيةِ . ٢٦٥/٧

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ . يعنى : أهلُ مكةَ ، ﴿ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾ وهم الأنبياءُ الثمانيةَ عشَرَ الذين قال اللَّهُ : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ ﴾[2] .

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثَوْرٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ : ﴿ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ . قال : يعنى : قومُ محمدٍ . ثم قال : ﴿ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾ . يعنى : النبيين الذين قصَّ قبلَ هذه الآيةِ قَصصَهم . ثم قال : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ ﴾[3] .

وأولى هذه الأقوالِ فى تأويلِ ذلك بالصوابِ قولُ مَن قال : عُنِى بقولِه : ﴿ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ . كفارُ قريشٍ ، ﴿ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾ . يعنى به الأنبياءَ الثمانيةَ عشرَ الذين سمَّاهم اللَّهُ تعالى ذكرُه فى الآياتِ قبلَ هذه الآيةِ ،

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٣٩/٤ (٧٥٧٧) من طريق عوف به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٤٠/٤ (٧٥٨١) من طريق شيبان ، عن قتادة بنحوه .

(٣) تفسير عبد الرزاق ٢١٣/١، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٣٨/٤، ١٣٣٩ (٧٥٧٢، ٧٥٧٦).

وذلك أن الخبرَ فى الآياتِ قبلَها عنهم مضَى ، وفى التى بعدَها عنهم ذُكِر ، (١ فما بينَها ١) بأن يَكونَ خبرًا عنهم أولى وأحقُّ مِن أن يكونَ خبرًا عن غيرِهم .

فتأويلُ الكلامِ إذ كان ذلك كذلك : فإن يَكْفُرْ (٢) قومُك مِن قريشٍ يا محمدُ بآياتِنا ، وكذَّبوا وجحَدوا حقيقتَها ، فقد اسْتَحْفَظْناها واسْتَرْعَيْنا القيامَ بها رسلَنا وأنبياءَنا مِن قبلِك ، الذين لا يَجْحَدون حقيقتَها ، ولا يُكَذِّبون بها ، ولكنهم يُصَدِّقون بها ويُؤْمِنون بصحتِها .

وقد قال بعضُهم : معنى قولِه : ﴿ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا ﴾ . رزَقْناها قومًا .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ : هؤلاء القومُ الذين وكَّلْنا بآياتِنا وليسوا بها بكافرين ، هم الذين هداهم اللَّهُ لدينِه الحقِّ ، وحفظِ ما وُكِّلوا بحفظِه مِن آياتِ كتابِه ، والقيامِ بحدودِه ، واتباعِ حلالِه وحرامِه ، والعملِ بما فيه مِن أمرِ اللَّهِ ، والانتهاءِ عما فيه مِن نهيِه ، فوفَّقَهم جلَّ ثناؤُه لذلك ، ﴿ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : فبالعملِ الذى عمِلوا ، والمنهاجِ الذى سلَكوا ، وبالهدى الذى هدَيْناهم ، والتوفيقِ الذى وفَّقْناهم ، ﴿ ٱقْتَدِهْۗ ﴾ يا محمدُ ، أى : فاعْمَلْ وخُذْ به واسْلُكْه ، فإنه عملٌ للَّهِ فيه رضًا ، ومِنْهاجٌ مَن سلَكه اهْتَدَى .

وهذا التأويلُ على مذهبِ مَن تأوَّل قولَه : ﴿ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾ أنهم الأنبياءُ المُسَمَّوْن فى الآياتِ المتقدمةِ ، وهو القولُ الذى اخْتَرْناه فى تأويلِ ذلك .

(١ - ١) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س، ف : « فيما بينهم » ، وفى م : « ففيما بينها » . والصواب ما أثبتناه .

(٢) بعده فى ت١ ، ت٢ ، ت٣ ، س ، ف : « بها » .

وأما على تأويلِ مَن تأوَّل ذلك أن القومَ الذين وُكِّلوا بها هم أهلُ المدينةِ ، أو أنهم هم الملائكةُ ، فإنهم جعَلوا قولَه : ﴿ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾ . اعتراضًا بينَ الكلامين ، ثم ردُّوا قولَه : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ /هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ على قولِه : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ﴾ . ٢٦٦/٧

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ قولَه : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ إلى قولِه : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ يا محمدُ .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ﴾ يا محمدُ ، ﴿ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ ولا تَقْتَدِ بهؤلاء[(١)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنى أحمدُ بنُ المُفضَّلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ ، قال : ثم رجَع إلى النبيِّ ﷺ فقال : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ .

حدَّثنى عليُّ بنُ داودَ ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن عليِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، [١/٧٧٤و] قال : ثم قال فى الأنبياءِ الذين سمَّاهم فى هذه الآيةِ : ﴿ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾[(٢)] .

ومعنى الاقْتِداءِ فى كلامِ العربِ ، بالرجلِ ، اتباعُ أثَرِه ، والأخذُ بهديِه ، يقالُ : فلانٌ يَقْدُو فلانًا . إذا نحا نحوَه ، واتَّبع أثَره ، قِدَةً وقُدْوةً وقِدْوةً [(٣)] وقِدْيةً [(٣)] .

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٤٠/٤ (٧٥٨٠) من طريق أصبغ ، عن ابن زيد .
(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٣٦/٤ (٧٥٥٧) من طريق أبى صالح به .
(٣ - ٣) سقط من : م، س، ف . وينظر اللسان (ق د و) .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ۝٩٠ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : قلْ لهؤلاء الذين أمَرْتُك أن تُذَكِّرَهم بآياتى أن تُبْسَلَ نفسٌ بما كسَبَت مِن مشركى قومِك يا محمدُ : لا أسأَلُكم على تذكيرى إياكم ، والهدى الذى أَدْعُوكم إليه ، والقرآنِ الذى جئْتُكم به ، عِوَضًا أَعْتاضُه منكم عليه ، وأجْرًا آخُذُه منكم ، وما ذلك منى إلا تذكيرٌ لكم ، ولكلِّ مَن كان مثلكم ، ممَّن هو مقيمٌ على باطلٍ - بأسَ اللَّهِ أن يَحُلَّ بكم ، وسَخَطَه أن يَنْزِلَ بكم ، على شركِكم به وكفرِكم ، وإنذارٌ لجميعِكم ، بينَ يَدَىْ عذابٍ شديدٍ ؛ لتذَّكَّروا وتَنْزَجِروا .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍۗ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ : وما أجَلُّوا اللَّهَ حقَّ إجْلالِه ، ولا عظَّمُوه حقَّ تعظيمِه ، ﴿ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍۗ ﴾ . يقولُ : حينَ قالوا : لم يُنْزِلِ اللَّهُ على آدمىٍّ كتابًا ولا وحيًا .

واختَلَف أهلُ التأويلِ فى المعنىِّ بقولِه : ﴿ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍۗ ﴾ . وفى تأويلِ ذلك ؛ **فقال بعضُهم** : كان قائلُ ذلك رجلًا مِن اليهودِ .

ثم اختَلَفوا فى اسمِ ذلك الرجلِ ؛ **فقال بعضُهم** : / كان اسمُه مالكَ بنَ الصَّيْفِ . **وقال بعضُهم** : كان اسمُه فِنْحاصَ . ٢٦٧/٧

واختَلَفوا أيضًا فى السببِ الذى مِن أجلِه قال ذلك .

ذكرُ مَن قال : كان قائلُ ذلك مالكَ بنَ الصَّيْفِ

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا يعقوبُ القُمِّىُّ ، عن جعفرِ بنِ أبى المُغيرةِ ، عن سعيدِ

ابنِ جبيرٍ، قال: جاء رجلٌ مِن اليهودِ يقالُ له: مالكُ بنُ الصيفِ. يُخاصِمُ النبيَّ ﷺ، فقال له النبيُّ ﷺ: «أَنْشُدُك بالذى أنْزَل التوراةَ على موسى، أمَا تَجِدُ فى التوراةِ أن اللَّهَ يُبْغِضُ الحَبْرَ السَّمينَ؟». وكان حبرًا سَمينًا، فغضِب، فقال: واللَّهِ ما أنْزَل اللَّهُ على بشرٍ مِن شىءٍ. فقال له أصحابُه الذين معه: ويحَك، ولا موسى؟ فقال: واللَّهِ ما أنْزَل اللَّهُ على بشرٍ مِن شىءٍ. فأنْزَل اللَّهُ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾ الآية[1].

حدَّثنا القاسمُ، قال: ثنا الحسينُ، قال: ثنى حجاجٌ، عن ابنِ جُرَيْجٍ، عن عكرمةَ قولَه: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ﴾. قال: نزَلَت فى مالكِ بنِ الصيفِ، كان مِن قُرَيْظةَ، مِن أحبارِ يهودَ. ﴿قُلْ﴾ يا محمدُ: ﴿مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ﴾ الآية[2].

ذكرُ مَن قال: نزَلَت فى فِنْحاصَ اليهودىِّ

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ، قال: ثنا عمرُو بنُ حمادٍ، قال: ثنا أسباطُ، عن السدىِّ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ﴾. قال: قال فِنْحاصُ اليهودىُّ: ما أنْزَل اللَّهُ على محمدٍ مِن شىءٍ[3].

وقال آخَرون: بل عُنِى بذلك جماعةٌ مِن اليهودِ سأَلوا النبيَّ ﷺ آياتٍ مثلَ آياتِ موسى.

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٤٢/٤ (٧٥٩٧) من طريق يعقوب به. وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٩/٣ إلى ابن المنذر.

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٩/٣ إلى المصنف وابن المنذر.

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٤٢/٤ (٧٥٩٤) من طريق أحمد بن مفضل، عن أسباط به. وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٩/٣ إلى أبى الشيخ.

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا هنادٌ ، قال : ثنا يونُسُ ، قال : ثنا أبو مَعْشَرٍ المَدَنيُّ ، عن محمدِ بنِ كعبٍ القُرَظيِّ ، قال : جاء ناسٌ مِن يهودَ إلى النبيِّ ﷺ وهو مُحْتَبٍ ، فقالوا : يا أبا القاسمِ ، ألَا تأْتِينا بكتابٍ مِن السماءِ كما جاء به موسى ألواحًا يَحْمِلُها مِن عندِ اللَّهِ ؟ فأنْزَل اللَّهُ : ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ الآية [النساء: ١٥٣] فجَثَا رجلٌ مِن يهودَ فقال : ما أنْزَل اللَّهُ عليك ، ولا على موسى ، ولا على عيسى ، ولا على أحدٍ شيئًا . فأنْزَل اللَّهُ : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ . قال محمدُ بنُ كعبٍ : ما علِموا كيف اللَّهُ إذْ قالوا : ﴿ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا ﴾ . فحلَّ رسولُ اللَّه ﷺ حُبْوتَه ، وجعَل يقولُ : « ولا على أحدٍ »[1] !

حدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ /إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ﴾ إلى قولِه : ﴿ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ : هم اليهودُ والنصارى ، قومٌ آتاهم اللَّهُ علمًا فلم يَقْتَدوا[2] به ، ولم يأْخُذوا به ، ولم يَعْمَلوا به ، فذمَّهم اللَّهُ فى عملِهم ذلك . ذُكِر لنا أن أبا الدرداءِ رضِى اللَّهُ عنه كان يقولُ : إن مِن أكثرِ ما أنا مخاصَمٌ به غدًا ، أن يُقالَ : يا أبا الدرداءِ ، قد علِمْتَ ، فماذا عمِلْتَ فيما علِمْتَ ؟[3]

٢٦٨/٧

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٩/٣ إلى المصنف .

(٢) فى م ، ت١، ت٢، ت٣، س ، ف : « يهتدوا » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٤٣/٤ (٧٦٠٥) من طريق يزيد به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٩/٣ إلى عبد بن حميد .

وقول أبى الدرداء أخرجه معمر فى جامعه (٢٠٤٦٧) ، وابن أبى شيبة ١٤٢/١٤ من طريق قتادة به ، وأخرجه ابن المبارك فى الزهد (٣٩) ، وابن أبى شيبة ٣١١/١٣ ، وأحمد فى الزهد ص١٣٦، والدارمى ٨٢/١، وأبو نعيم فى الحلية ٢١٣/١، وابن عساكر فى تاريخه ١٤٨/٤٧ من طرق عن أبى الدرداء بنحوه .

حدَّثني المثنى، قال: ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ، قال: ثني معاويةُ، عن عليِّ بنِ أبي طلحةَ، عن ابنِ عباسٍ قولَه: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾. يعني: مِن بني إسرائيلَ، قالت اليهودُ: يا محمدُ، أنزَل اللَّهُ عليك كتابًا؟ قال: «نعم». قالوا: واللَّهِ ما أنزَل اللَّهُ مِن السماءِ كتابًا. فأنزَل اللَّهُ: ﴿قُلْ﴾ يا محمدُ: ﴿مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى [١/٧٧٤ظ] لِّلنَّاسِ﴾ إلى قولِه: ﴿وَلَا آبَاؤُكُمْ﴾. قال: «اللَّهُ أنزَله»[1].

وقال آخَرون: هذا خبرٌ مِن اللَّهِ جلَّ ثناؤُه عن مُشْرِكى قريشٍ أنهم قالوا: ﴿مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾.

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا القاسمُ، قال: ثنا الحسينُ، قال: ثني حجاجٌ، قال: قال ابنُ جُرَيْجٍ: قال عبدُ اللَّهِ بنُ كثيرٍ: إنه سمِع مُجاهدًا يقولُ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾: قالها مُشْرِكو قريشٍ. قال: وقولُه: (قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الكتابَ الذى جاء به موسى نورًا وهدًى للناسِ يَجْعَلُونَه قراطِيسَ يُبْدُونَها ويُخْفُونَ كَثِيرًا)[2]. قال: هم يهودُ الذين يُبْدُونها ويُخْفُون كثيرًا. قال: وقولُه: ﴿وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ﴾. قال: هذه للمسلمين[3].

حدَّثني المثنى، قال: ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ، قال: ثني معاويةُ، عن عليِّ بنِ أبي طلحةَ، عن ابنِ عباسٍ قولَه: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾. قال: هم الكفارُ، لم

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٤٢/٤ (٧٥٩٣، ٧٥٩٥، ٧٥٩٦) من طريق أبي صالح به.

(٢) قراءة ابن كثير وأبي عمرو بالغيب في الأفعال الثلاثة، وقراءة الباقين بتاء الخطاب فيهن جميعًا. وينظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ١/ ٤٤٠.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٤١/٤، ١٣٤٣ (٧٥٩٢، ٧٦٠٦) مقتصرا على أوله وآخره من طريق حجاج به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٩/٣ إلى أبي الشيخ.

يُؤْمِنوا بقدرةِ اللَّهِ عليهم ، فمَن آمَن أن اللَّهَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ ، فقد قدَر اللَّهَ حقَّ قَدْرِه ، ومَن لم يُؤْمِنْ بذلك فلم يَقْدُرِ اللَّهَ حقَّ قدرِه[1] .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ . يقولُ : مُشْرِكو قريشٍ[2] .

وأولى هذه الأقوالِ بالصوابِ في تأويلِ ذلك قولُ مَن قال : عُنى بذلك : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ . مُشْركو قريشٍ . وذلك أن ذلك في سياقِ الخبرِ عنهم أولًا ، فأن يكونَ ذلك أيضًا خبرًا عنهم ، أشبهُ مِن أن يَكونَ خبرًا عن اليهودِ ولمَّا يَجْرِ لهم ذكرٌ يكونُ هذا به متصلًا ، مع ما في الخبرِ عمَّن أخْبَرَ اللَّهُ عنه في هذه الآيةِ مِن إنكارِه أن يكونَ اللَّهُ أنْزَل على بشرٍ شيئًا مِن الكتبِ ، وليس ذلك مما تَدِينُ به اليهودُ ، بل المعروفُ مِن دينِ اليهودِ الإقرارُ بصُحُفِ إبراهيمَ وموسى وزَبورِ داودَ ، وإذا لم يَكُنْ بما رُوِى مِن الخبرِ ، بأن قائلَ ذلك كان رجلًا مِن اليهودِ ، خبرٌ صحيحٌ متصلُ السندِ ، ولا كان على أن ذلك كان كذلك مِن أهلِ التأويلِ إجماعٌ ، وكان الخبرُ مِن أولِ السورةِ ومُبْتَدَئِها إلى هذا الموضعِ خبرًا عن المشركين مِن عبَدةِ الأوثانِ ، وكان / قولُه : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ موصولًا بذلك غيرَ مفصولٍ منه ، لم يَجُزْ لنا أن نَدَّعِيَ أن ذلك مصروفٌ عما هو به موصولٌ ، إلا بحجةٍ يَجِبُ التسليمُ لها مِن خبرٍ أو عقلٍ . ٢٦٩/٧

ولكني أَظُنُّ أن الذين تأوَّلوا ذلك خبرًا عن اليهودِ ، وجَدوا قولَه : (قُلْ مَن أنْزَل الكتابَ الذى جاء به موسى نورًا وهدى للناسِ يَجعَلونه قَراطِيسَ يُبْدُونها ويُخْفُون

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/١٣٤١ (٧٥٨٦) من طريق أبي صالح به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/١٣٤١ (٧٥٨٧) من طريق أبي حذيفة به .

كثيرًا وعُلِّمْتُم ما لم تَعْلَموا أنتم ولا آباؤُكم) فوجَّهوا تأويلَ ذلك إلى أنه لأهلِ التوراةِ ، فقرَءُوه على وجهِ الخطابِ لهم : ﴿ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًاۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْۖ ﴾ فجعَلوا ابتداءَ الآيةِ خبرًا عنهم ، إذ كانت خاتمتُها خطابًا لهم عندَهم . وغيرُ ذلك مِن التأويلِ والقراءةِ أشبهُ بالتنزيلِ ؛ لِمَا وصَفْتُ قبلُ مِن أن قولَه : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ . في سياقِ الخبرِ عن مُشْرِكي العربِ وعَبَدةِ الأوثانِ ، وهو به متصلٌ ، فالأولى أن يَكونَ ذلك خبرًا عنهم .

والأصوبُ مِن القراءةِ في قولِه : (يَجْعَلونه قَراطيسَ يُبْدُونها ويُخْفُون كثيرًا) . أن يَكونَ بالياءِ لا بالتاءِ ، على معنى أن اليهودَ يَجْعَلونه قراطيسَ يُبْدُونها ويُخْفُون كثيرًا ، ويَكونَ الخطابُ بقولِه : ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ لمُشْرِكي قريشٍ ، وهذا هو المعنى الذي قصَده مجاهدٌ إن شاء اللَّهُ في تأويلِ ذلك ، وكذلك كان يَقْرَأُ .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا الحجاجُ بنُ المِنْهالِ ، قال : ثنا حمادٌ ، عن أيوبَ ، عن مجاهدٍ أنه كان يَقْرَأُ هذا الحرفَ : (يَجْعَلونه قَراطِيسَ يُبْدُونها ويُخْفُون كثيرًا) .

القولُ في تأويلِ قولِه : ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًاۖ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : ﴿ قُلْ ﴾ يا محمدُ لمُشْرِكي قومِك القائلين لك : ﴿ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍۗ ﴾ : ﴿ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا ﴾ . يعني : جَلاءً وضِياءً مِن ظُلْمةِ الضَّلالةِ ، ﴿ وَهُدًى لِّلنَّاسِۖ ﴾ . يقولُ : بيانًا للناسِ ، يُبَيِّنُ لهم به الحقَّ مِن الباطلِ ، فيما أشْكَل عليهم مِن أمرِ دينِهم ، (يَجْعَلونه قَراطِيسَ يُبْدُونها) .

فمَن قرَأ ذلك : ﴿ تَجْعَلُونَهُۥ ﴾ جعَله خطابًا لليهودِ ، على ما بيَّنْتُ مِن تأويلِ مَن

تأوَّل ذلك كذلك . ومَن قرَأه بالياءِ : (يَجْعَلونه) فتأويلُه فى قراءتِه : يَجْعَلُه أهلُه قَراطيسَ .

وجرَى الكلامُ فى (يُبْدونها) بذكرِ القراطيسِ ، والمرادُ منه المكتوبُ فى القَراطيسِ . يُرادُ : يُبْدون كثيرًا مما يَكْتُبون فى القراطيسِ فيُظْهِرونه للناسِ ، ويُخْفُون كثيرًا مما يُثْبِتونه فى القَراطيسِ فيُسِرُّونه ويَكْتُمونه الناسَ .

ومما كانوا يَكْتُمونه إياهم ما فيها مِن أمرِ محمدٍ ﷺ ونبوتِه .

كالذى **حدَّثنى** المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : (قَراطيسَ يُبْدونها ويُخْفون كثيرًا) . اليهودُ[(١)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن عكرمةَ : قلْ يا محمدُ : (مَن أنْزَل الكتابَ الذى جاء به موسى نورًا وهدًى للناسِ يَجْعَلونه قَراطيسَ يُبْدُونها) . / يعنى يهودَ ؛ لِمَا أظْهَروا مِن التوراةِ ، (ويُخْفُون[(٢)] كثيرًا) مما أخْفَوْا مِن ذكرِ محمدٍ ﷺ وما أُنْزِل عليه . قال ابنُ جُرَيْجٍ : وقال عبدُ اللَّهِ ابنُ كثيرٍ : إنه سمِع مجاهدًا يقولُ : (يَجْعَلونه قَراطيسَ يُبْدُونها ويُخْفون كثيرًا) . قال : هم يهودُ الذين يُبْدُونها ويُخْفون كثيرًا . ٢٧٠/٧

[٧٧٥/١و] **القولُ فى تأويلِ قولِه** : ﴿ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : وعلَّمَكم اللَّهُ جلَّ ثناؤُه بالكتابِ[(٣)] الذى أنْزَله إليكم ﴿ مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ ﴾ مِن أخبارِ مَن قبلَكم ، ومِن أنباءِ مَن بعدَكم ، وما هو كائنٌ فى

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٤٣/٤ (٧٦٠٢) من طريق أبى حذيفة به .

(٢) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س، ف : « يظهرون » .

(٣) فى النسخ : « الكتاب » .

مَعادِكم يومَ القيامةِ ، ﴿ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ﴾ . يقولُ : ولم يَعْلَمْه آباؤُكم أيُّها المؤمنون باللَّهِ مِن العربِ وبرسولِه ﷺ .

كالذى حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاجُ بنُ المِنْهالِ ، قال : ثنا حمادٌ ، عن أيوبَ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَعُلِّمْتُم ﴾ معشرَ العربِ ﴿ مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ﴾[(١)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : قال عبدُ اللَّهِ بنُ كثيرٍ : إنه سمِع مُجاهدًا يقولُ فى قولِه : ﴿ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ﴾ . قال : هذه للمسلمين[(٢)] .

وأما قولُه : ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ . فإنه أمرٌ مِن اللَّهِ جلَّ ثناؤُه نبيَّه محمدًا ﷺ أن يُجيبَ استفهامَه هؤلاء المشركين عما أَمَرَه باستفهامِهم عنه بقولِه : (قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الكتابَ الذى جاء به موسى نورًا وهدًى للناسِ يَجْعَلُونه قراطيسَ يُبْدُونَها ويُخْفُونَ كثيرًا) . بقيلِه : ﴿ ٱللَّهُ ﴾ . كأمْرِه إياه فى موضعٍ آخَرَ فى هذه السورةِ بقولِه : (قُل مَن يُنَجيكُم مِن ظُلُماتِ البرِ والبحرِ تدعُونَهُ تَضَرُّعًا وخفيةً لئِن أَنجَيْتَنا[(٣)] من هذهِ لَنكُونَنَّ مِنَ الشاكرين) [الأنعام: ٦٣] فأمَرَه باستفهامِ المشركين عن ذلك ، كما أمَرَه باستفامِهم إذ قالوا : ﴿ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ﴾ عمَّن أنْزَل الكتابَ الذى جاء به موسى ، نورًا وهدًى للناسِ ، ثم أمَرَه بالإجابةِ عنه هنالك بقيلِه : ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام : ٦٤] . كما أمَرَه بالإجابةِ هلهنا عن ذلك بقيلِه : اللَّهُ أنزَلَه على موسى .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٩/٣ إلى عبد بن حميد وابن أبى شيبة وابن المنذر وأبى الشيخ .

(٢) تقدم تخريجه فى ص ٣٩٦ .

(٣) فى م : « أنجانا » . وهما قراءتان . كما تقدم فى ص ٢٩٤ .

كما حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ ، عن عليِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾ . قال : اللَّهُ أنزَله[1] .

ولو قيل : معناه : قلْ : هو اللَّهُ . على وجهِ الأمرِ مِن اللَّهِ له بالخبرِ عن ذلك ، لا على وجهِ الجوابِ - إذ لم يَكُنْ قولُه : ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ مسألةً مِن المشركين لمحمدٍ ﷺ ، فيَكونَ قولُه : ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ جوابًا لهم عن مسألتِهم ، وإنما هو أمرٌ مِن اللَّهِ لمحمدٍ بمسألةِ القومِ : ﴿مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ ، فيَجِبُ أن يكونَ الجوابُ منهم غيرَ الذى قاله ابنُ عباسٍ مِن تأويلِه - كان جائزًا ؛ مِن أجلِ أنه استفهامٌ ، ولا يَكونُ للاستفهامِ جوابٌ ، وهو الذى اخترْنا مِن القولِ فى ذلك ؛ لِمَا بيَّنّا .

وأما قولُه : ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ . فإنه يقولُ لنبيِّه محمدٍ ﷺ : ثم ذَرْ هؤلاء المشركين العادِلين بربِّهم الأوثانَ والأصنامَ - بعدَ احتجاجِك عليهم فى قيلِهم : ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ / بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ . بقولِك : ﴿مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾ . وإجابتِك ذلك بأن الذى أنزَله اللَّهُ الذى أنزَل عليك كتابَه - ﴿فِى خَوْضِهِمْ﴾ . يعنى : فيما يَخُوضُون فيه مِن باطِلِهم وكفرِهم باللَّهِ وآياتِه ، ﴿يَلْعَبُونَ﴾ . يقولُ : يَسْتَهْزِئون ويَسْخَرون . ٢٧١/٧

وهذا مِن اللَّهِ وَعيدٌ لهؤلاء المشركين وتهدُّدٌ[2] لهم ، يقولُ اللَّهُ جلَّ ثناؤُه : ثم دَعْهم لاعِبين يا محمدُ ، فإنى مِن وراءِ ما هم فيه مِن استهزائِهم بآياتى بالمِرْصادِ ، وأُذِيقُهم بأسى ، وأُحِلُّ بهم إن تمادَوْا فى غيِّهم سَخَطى .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٤٤/٤ (٧٦٠٨) من طريق أبى صالح به .

(٢) فى م : « تهديد » .

وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : وهذا القرآنُ يا محمدُ ﴿ كِتَٰبٌ ﴾ . وهو اسمٌ مِن أسماءِ القرآنِ ، قد بيَّنْته وبيَّنْتُ معناه فيما مضى قبلُ ، بما أغْنَى عن إعادتِه[(١)] . ومعناه : مكتوبٌ ، فوُضِع « الكتابُ » مكانَ « المكتوبِ » .

﴿ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ . يقولُ : أوْحَيْناه إليك ، ﴿ مُبَارَكٌ ﴾ وهو مُفاعَلٌ مِن البركةِ ، ﴿ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ . يقولُ : صدَّق هذا الكتابُ ما قبلَه مِن كتبِ اللَّهِ التى أنزَلها على أنبيائِه قبلَك ، لم يُخالِفْها [(٢)] دلالةً ومعنًى [(٢)] ، نورًا وهدًى للناسِ . يقولُ : هو الذى أنْزَل إليك يا محمدُ هذا الكتابَ مُبارَكًا مُصَدِّقًا كتابَ موسى وعيسى وغيرَ ذلك مِن كتبِ اللَّهِ . ولكنه جلَّ ثناؤُه ابْتَدَأ الخبرَ عنه ، إذ كان قد تقَدَّم الخبرُ عن ذلك ما يَدُلُّ على أنه [(٣)] به مُتَّصِلٌ [(٣)] ، فقال : ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ إليك ، ﴿ مُبَارَكٌ ﴾ ، ومعناه : وكذلك أنْزَلْتُ إليك كتابى هٰذا مبارَكًا ، كالذى أنْزَلْتُ مِن التوراةِ إلى موسى هدًى ونورًا .

وأما قولُه : ﴿ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ . فإنه يقولُ : أنْزَلْنا إليك يا محمدُ هذا الكتابَ مُصَدِّقًا ما قبلَه مِن الكتبِ ، ولتُنْذِرَ به عذابَ اللَّهِ وبأسَه مَن فى أمِّ القرى ، وهى مكةُ ، ﴿ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ شرقًا وغربًا ، مِن العادِلِين بربِّهم غيرَه مِن الآلهةِ والأندادِ ، والجاحِدِين برسلِه ، وغيرِهم مِن أصنافِ الكفارِ .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

---

(١) ينظر ما تقدم فى ١/ ٩٥.

(٢ - ٢) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س، ف : « ولا سا ومعنى » ، وفى م : « ولا بنبأ وهو معنى » . والمثبت مستفاد من تحقيق الشيخ شاكر .

(٣ - ٣) فى ص، ف : « من أصل » .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالحٍ ، قال : ثنى مُعاويةُ بنُ صالحٍ ، عن عليِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَاۚ ﴾ : يعنى بـ ﴿ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ ﴾ مكةَ ، ﴿ وَمَنْ حَوْلَهَاۚ ﴾ مِن القرى ، إلى المشرقِ والمغربِ[(١)] .

حدَّثني محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، [٧٧٥/١ظ] عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَاۚ ﴾ : و أمُّ القُرَى : مكةُ ، ومن حولَها : الأرضُ كلُّها .

/ حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثورٍ ، قال : ثنا معمرٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ ﴾ . قال : هى مكةُ[(٢)] . ٢٧٢/٧

وبه عن مَعْمرٍ ، عن قتادةَ ، قال : بلَغَنى أن الأرضَ دُحِيَت مِن مكةَ[(٢)] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَاۚ ﴾ : كنا نُحدَّثُ أن أمَّ القرى مكةُ ، وكنا نُحدَّثُ أن منها دُحِيَت الأرضُ .

حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المُفَضَّلِ ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السديِّ : ﴿ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَاۚ ﴾ : أما أمُّ القرى فهى مكةُ ، وإنما سُمِّيَت أمَّ

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٤٥/٤ (٧٦١٤، ٧٦١٨) ، والبيهقى فى الأسماء والصفات (٥٩٤) من طريق أبى صالح به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٩/٣ إلى ابن المنذر .

(٢) تفسير عبد الرزاق ٢١٣/١ . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٩/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

القرى لأنها أولُ بيتٍ وُضِع بها[(١)] .

وقد بيَّنا فيما مضَى العلةَ التى مِن أجلِها سُمِّيَت مكةُ أمَّ القرى ، بما أغنَى عن إعادتِه فى هذا الموضعِ[(٢)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : ومَن كان يُؤْمِنُ بقيامِ الساعةِ والمَعادِ فى الآخرةِ إلى اللَّهِ ، ويُصَدِّقُ بالثوابِ والعقابِ ، فإنه يُؤْمِنُ بهذا الكتابِ الذى أنزَلْناه إليك يا محمدُ ، ويُصَدِّقُ به ، ويُقِرُّ بأن اللَّهَ أنزَلَه ، ويُحافِظُ على الصلواتِ المكتوباتِ التى أمَرَه اللَّهُ بإقامتِها ؛ لأنه مُنْذِرُ مَن بلَغه وعيدُ اللَّهِ على الكفرِ به ، وعلى مَعاصِيه ، وإنما يَجْحَدُ به وبما فيه ويُكَذِّبُ ، أهلُ التكذيبِ بالمَعادِ ، والجُحودِ لقيامِ الساعةِ ؛ لأنه لا يَرْجُو مِن اللَّهِ إن عمِل بما فيه ثوابًا ، ولا يَخافُ إن لم يَجْتَنِبْ ما يَأْمُرُه باجتنابِه عقابًا .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ .

يعنى جلَّ ذكرُه بقولِه : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ : ومَن أخطأُ قولًا ، وأجهَلُ فعلًا ﴿ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ يعنى : ممَّن اختَلَق على اللَّهِ كَذِبًا ، فادَّعَى عليه أنه بعَثه نبيًّا ، وأرْسَله نَذيرًا ، وهو فى دَعْواه مُبْطِلٌ ، وفى قِيلِه كاذبٌ .

وهذا تَسْفيةٌ مِن اللَّهِ لمشركى العربِ ، وتجهيلٌ منه لهم فى معارضةِ عبدِ اللَّهِ بنِ سعدِ ابنِ أبى سَرْحٍ ، والحنفىِّ مُسَيْلِمةَ ، لنبىِّ اللَّهِ ﷺ ، بدعوى أحدِهما النبوةَ ، ودعوى الآخَرِ أنه قد جاء بمثلِ ما جاء به رسولُ اللَّهِ ﷺ ، ونفْىٌ منه عن نبيِّه

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٤٥/٤ (٧٦١٦) من طريق أحمد بن المفضل به .

(٢) ينظر ما تقدم فى ١٠٦/١.

محمدٍ ﷺ اختلاقَ الكذبِ عليه، ودعوى الباطلِ.

وقد اختلَف أهلُ التأويلِ فى ذلك؛ فقال بعضُهم فيه نحوَ الذى قلنا فيه.

ذكرُ مَن قال ذلك

/حدَّثنا القاسمُ، قال: ثنا الحسينُ، قال: ثنى حجاجٌ، عن ابنِ جُرَيْجٍ، عن عكرمةَ قولَه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾. قال: نزَلَت فى مُسَيْلِمةَ أخى بنى عَدِىِّ بنِ حَنيفةَ، فيما كان يَسْجَعُ ويَتَكَهَّنُ به، ﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ نزَلَت فى عبدِ اللَّهِ بنِ سعدِ بنِ أبى سَرْحٍ، أخى بنى عامرِ بنِ لُؤَىٍّ، كان كتَب[1] للنبىِّ ﷺ، وكان فيما يُمْلِى: عزيزٌ حكيمٌ. فيَكْتُبُ: غفورٌ رحيمٌ. فيُغَيِّرُه، ثم يَقْرأُ عليه كذا وكذا لِمَا حوَّل، فيقولُ: «نعم سَواءٌ». فرجَع عن الإسلامِ، ولحِق بقريشٍ، وقال لهم: لقد كان يَنْزِلُ عليه: عزيزٌ حكيمٌ، فأُحَوِّلُه، ثم أَقولُ لِمَا[2] أَكْتُبُ، فيقولُ: «نعم سَواءٌ». ثم رجَع إلى الإسلامِ قبلَ فتحِ مكةَ، إذ نزَل النبىُّ ﷺ بمَرٍّ[3].

وقال بعضُهم: بل نزَل ذلك فى عبدِ اللَّهِ بنِ سعدٍ خاصةً.

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ، قال: ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ، قال: ثنا أسباطُ، عن السدىِّ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾

---

(١) فى م: «يكتب».

(٢) سقط من: ص، ت١، ت٣، ف.

(٣) مر: هى مر الظهران. والظهران واد قرب مكة وعنده قرية يقال لها: مر، تضاف إلى هذا الوادى فيقال: مر الظهران. معجم البلدان ٣/ ٥٨١.

والأثر عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/ ٣٠ إلى المصنف وأبى الشيخ.

إلى قولِه : ﴿ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ ﴾ . قال : نزَلَت فى عبدِ اللَّهِ بنِ سعدِ بنِ أبى سَرْحٍ ، أسْلَم وكان يَكْتُبُ للنبيِّ ﷺ ، فكان إذا أَمْلَى عليه : سميعًا عليمًا . كتَب هو : عليمًا حكيمًا . وإذا قال : عليمًا حكيمًا . كتَب : سميعًا عليمًا . فشكَّ وكفَر ، وقال : إن كان محمدٌ يُوحَى إليه ، فقد أُوحِى إلىَّ ، وإن كان اللَّهُ يُنْزِلُه ، فقد أَنْزَلْتُ مثلَ ما أَنْزَل اللَّهُ ، قال محمدٌ : « سميعًا عليمًا » . فقلتُ أنا : عليمًا حكيمًا . فلَحِق بالمشركين ، ووشَى بعمارٍ وجُبَيْرٍ عندَ ابنِ الحَضْرَمىِّ ، أو لبنى عبدِ الدارِ ، فأَخَذُوهم فعُذِّبوا حتى كفَروا ، وجُدِع أذنُ عمارٍ يومَئذٍ ، فانْطَلَق عمارٌ إلى النبىِّ ﷺ ، فأخْبَره بما لقِى ، والذى أعْطاهم مِن الكفرِ ، فأبَى النبىُّ ﷺ أن يَتَوَلَّاه ، فأنزَل اللَّهُ فى شأنِ ابنِ أبى سَرْحٍ وعمارٍ وأصحابِه : ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ ﴾ [النحل : ١٠٦] . فالذى أُكْرِه عمارٌ وأصحابُه ، والذى شرَح بالكفرِ صدرًا فهو ابنُ أبى سَرْحٍ (١) .

وقال آخرون : بل القائلُ : ﴿ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ ﴾ مُسَيْلِمةُ الكذَّابُ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ : ذُكِر لنا أن هذه الآيةَ نزَلَت فى مُسَيْلِمةَ ، ذُكِر لنا أن نبىَّ اللَّهِ ﷺ قال : « رأَيْتُ فيما يَرَى النائمُ كأنَّ فى يدىَّ سِوارَيْن مِن ذهبٍ ، فكَبُرا علىَّ وأهَمَّانى (٢) ، فأُوحِى إلىَّ أنِ انفُخْهما ، فنفَخْتُهما فطارا ، فأوَّلْتُهما فى مَنامى الكذَّابَيْن [١/٧٧٦و] اللذين أنا بينَهما ؛ كذَّابَ اليَمامةِ مُسَيْلِمةَ ، وكذابَ صَنْعاءَ العَنْسىَّ » . وكان يقالُ له : الأسودُ .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٤٦/٤ (٧٦٢٦) ، من طريق أحمد به مختصرا .

(٢) فى ص، ت١، س، ف : « أهمنى » .

/حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثَوْرٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ ، قال : ﴿ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ ﴾ . قال : نزَلَت فى مُسَيْلِمةَ . ٢٧٤/٧

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرَنا معمرٌ ، عن قتادةَ ، وزاد فيه : وأخبَرَنى الزهرىُّ أن النبىَّ ﷺ قال : « بينا أنا نائمٌ رأيْتُ فى يدىَّ سِوارَيْن مِن ذهبٍ ، فكَبُر ذلك علىَّ ، فأُوحِىَ إلىَّ أنِ انفُخْهما ، فنفَخْتُهما فطارا ، فأوَّلْتُ ذلك كذَّابَ اليمامةِ وكذَّابَ صَنْعاءَ العَنْسىَّ »[1] .

وأولى الأقوالِ فى ذلك عندى بالصوابِ أن يقالَ : إن اللَّهَ قال : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ ﴾ . ولا تَمانُعَ بينَ علماءِ الأمةِ أن ابنَ أبى سَرْحٍ كان ممَّن قال : إنى قد قلتُ مثلَ ما قال محمدٌ . وأنه ارْتَدَّ عن إسلامِه ، ولحِق بالمشركين ، فكان لا شكَّ بذلك مِن قيلِه مُفْتريًا كذبًا . وكذلك لا خلافَ بينَ الجميعِ أن مُسَيْلِمةَ والعَنْسىَّ الكذَّابيْن ادَّعَيا على اللَّهِ كذبًا أنه بعَثهما نبيَّيْن ، وقال كلُّ واحدٍ منهما : إن اللَّهَ أَوْحَى إليه . وهو كاذبٌ فى قيلِه .

فإذ كان ذلك كذلك ، فقد دخَل فى هذه الآيةِ كلُّ مَن كان مُخْتَلِقًا على اللَّهِ كذبًا ، وقائلًا فى ذلك الزمانِ وفى غيرِه : أَوْحَى اللَّهُ إلىَّ . وهو فى قيلِه كاذبٌ ، لم يُوحِ اللَّهُ إليه شيئًا . فأما التنزيلُ فإنه جائزٌ أن يَكونَ نزَل بسببِ بعضِهم ، وجائزٌ أن يَكونَ نزَل بسببِ جميعِهم ، وجائزٌ أن يَكونَ عُنِى به جميعُ المشركين مِن العربِ ، إذ كان قائلو ذلك منهم ، فلم يُغَيِّروه ، فعيَّرهم اللَّهُ بذلك ، وتوعَّدهم بالعقوبةِ على

---

(١) تفسير عبد الرزاق ٢١٣/١ ، ٢١٤ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٤٦/٤ (٧٦٢٥) عن الحسن بن يحيى به ولم يذكر المرفوع ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٠/٣ إلى عبد بن حميد وأبى الشيخ .

والحديث أصله فى البخارى (٤٣٧٥، ٧٠٣٧) ، ومسلم (٢٢/٢٢٧٤) من حديث أبى هريرة .

تركِهم نَكيرَ ذلك ، ومع تركِهم نكيرَه هم بنبيِّه محمدٍ ﷺ مكذِّبون ، ولنُبُوَّتِه جاحِدون ، ولآياتِ كتابِ اللَّهِ وتنزيلِه دافِعون ، فقال لهم جلَّ ثناؤُه : ومَن أظْلَمُ ممَّن ادَّعَى علىَّ النبوةَ كاذبًا ، وقال : أُوحِىَ إليه . ولم يُوحَ إليه شىءٌ ، ومع ذلك يقولُ : ما أنزل اللهُ على بشرٍ من شىءٍ . فيَنْقُضُ قولَه بقولِه ، ويُكَذِّبُ بالذى تَحَقَّقَه ، ويَنْفِى ما يُثْبِتُه ، وذلك إذا تدَبَّره العاقلُ الأَرِيبُ ، علِم أن فاعلَه مِن عقلِه عَديمٌ .

وقد رُوِى عن ابنِ عباسٍ أنه كان يقولُ فى قولِه : ﴿ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ ما حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ . قال : زعَم أنه لو شاء قال مثلَه . يعنى الشعرَ[(١)] .

فكأنَّ ابنَ عباسٍ فى تأويلِه هذا على ما تأَوَّله ، يُوَجِّهُ معنى قولِ قائلٍ : ﴿ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ . إلى : سأُنزِلُ مثلَ ما قال اللَّهُ مِن الشعرِ . وكذلك تأوَّله السدىُّ ، وقد ذكَرْنا الروايةَ عنه قبلُ فيما مضَى .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : ولو تَرَى يا محمدُ حينَ يَغْمُرُ الموتُ بسَكَراتِه هؤلاء الظالمين العادِلين بربِّهم الآلهةَ والأندادَ ، والقائلين : ﴿ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ﴾ [الأنعام : ٩١] ، والمُفْتَرين على اللَّهِ كذبًا ، الزاعمين أن اللَّهَ أوْحَى إليه ، ولم يُوحَ إليه شىءٌ ، والقائلين : ﴿ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ . فتُعايِنُهم

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٤٧/٤ (٧٦٢٧) عن محمد بن سعد به .

٢٧٥/٧ وقد غَشِيَتْهم /سَكَراتُ الموتِ ، ونزَل بهم أمرُ اللَّهِ ، وحان فَناءُ آجالِهم ، والملائكةُ باسِطو أيديهم ، يَضْرِبون وجوهَهم وأدبارَهم ، كما قال جلَّ ثناؤُه : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ ﴾ [محمد : ٢٧، ٢٨] . يقولون لهم : أَخْرِجوا أنفسَكم .

والغَمَراتُ جمعُ غَمْرةٍ ، وغمرةُ كلِّ شيءٍ كثرتُه ومعظمُه ، وأصلُه الشيءُ الذي يَغْمُرُ الأشياءَ فيُغَطِّيها ، ومنه قولُ الشاعرِ[1] :

وهل يُنْجِى مِن الغَمَراتِ إلا بَراكاءُ[2] القِتالِ أو الفِرارُ

ورُوِى عن ابنِ عباسٍ فى ذلك ما حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ قولَه : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ ﴾ . قال : سَكَراتِ الموتِ[3] .

حُدِّثْتُ عن الحسينِ بنِ الفرجِ ، قال : سمِعْتُ أبا مُعاذٍ ، قال : ثنا عُبيدُ بنُ سليمانَ ، قال : سمِعْتُ الضحاكَ يقولُ فى قولِه : ﴿ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ ﴾ : يعنى : سَكَراتِ الموتِ[4] .

وأما « بسطُ الملائكةِ أيديَها[5] » ، فإنه مدُّها .

ثم اختَلَف أهلُ التأويلِ فى سببِ بسطِها أيديَها عندَ ذلك ؛ فقال بعضُهم بنحوِ الذى قلنا فى ذلك .

---

(١) هو بشر بن أبى خازم الأسدى ، والبيت فى ديوانه ص ٧٩.

(٢) البراكاء ، بفتح الباء وضمها : الثبات فى الحرب والجد، وأصله من البروك . تاج العروس (ب ر ك) .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٢/٣ إلى المصنف وابن المنذر وأبى الشيخ .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٤٧/٤ (٧٦٣١) من طريق أبى معاذ به .

(٥) فى م، ت٢، ت ٣: « أيديهم » .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن عليِّ بنِ أبي طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ ﴾ . قال : هذا عندَ الموتِ ، والبَسْطُ الضربُ ، يَضْرِبون وجوهَهم وأدبارَهم[1] .

حدَّثني محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ ﴾ . يقولُ : الملائكةُ باسطو أيديهم يَضْرِبون وجوهَهم وأدبارَهم ، والظالِمون فى غمراتِ الموتِ ، وملكُ الموتِ يَتَوفَّاهم .

حدَّثني محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ ﴾ : يَضْرِبونهم .

وقال آخرون : بل بسطُها أيديَها بالعذابِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبو خالدٍ الأحمرُ ، عن جُوَيْبِرٍ ، عن الضحاكِ : ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ ﴾ . قال : [٧٧٦/١ظ] بالعذابِ[2] .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ ، عن ابنِ عُيَيْنةَ ،

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٤٧/٤، ١٣٤٨ (٧٦٣٠، ٧٦٣٥) من طريق أبي صالح به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٢/٣ إلى ابن المنذر .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٤٨/٤ (٧٦٣٦) من طريق أبي خالد الأحمر به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٢/٣ إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر .

عن إسماعيلَ بنِ /أبى خالدٍ، عن أبى صالحٍ: ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ ﴾: ٢٧٦/٧
بالعذابِ[1].

وكان بعضُ نحويى الكوفيين[2] يَتأوَّلُ ذلك بمعنى: باسطو أيديهم بإخراجِ أنفسِهم.

فإن قال قائلٌ: ما وجهُ قولِه: ﴿ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ﴾. ونفوسُ بنى آدمَ إنما يُخْرِجُها مِن أبدانِ أهلِها ربُّ العالمين؟ فكيف خُوطِب هؤلاء الكفارُ وأُمِروا فى حالِ الموتِ بإخراجِ أنفسِهم؟ فإن كان ذلك كذلك فقد وجَب أن يكونَ بنو آدمَ هم يَقْبِضون أنفسَ أجسامِهم!

قيل: إن معنى ذلك بخلافِ الذى ذهَبْتَ، وإنما ذلك أمرٌ مِن اللَّهِ على ألسنِ رسلِه الذين يَقْبِضون أرواحَ هؤلاء القومِ مِن أجسامِهم، بأداءِ ما أسْكَنها ربُّها مِن الأرواحِ إليه، وتسليمِها إلى رسلِه الذين يَتَوَفَّونها.

القولُ فى تأويلِ قولِه: ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾.

وهذا خبرٌ مِن اللَّه جلَّ ثناؤُه عما تقولُ رسلُ اللَّهِ التى تَقْبِضُ أرواحَ هؤلاء الكفارِ لها، يُخْبِرُ عنها أنها تقولُ لأجسامِها ولأصحابِها: أخرِجوا أنفسَكم إلى سَخَطِ اللَّهِ ولعنتِه، فإنكم اليومَ تُثابون على كفرِكم باللَّهِ، وقيلِكم عليه الباطلَ، وزعمِكم أن اللَّهَ أوْحَى إليكم، ولم يُوحِ إليكم شيئًا، [3]وإنكارِكم[3] أن يَكونَ اللَّهُ أنزَل على بشرٍ

---

(١) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٣٤٨ عقب الأثر (٧٦٣٦) معلقا.

(٢) هو الفراء فى معانى القرآن ١/ ٣٤٥.

(٣ - ٣) سقط من: ت٢، وفى ص،م، ت١، س، ف: «وإنذاركم».

شيئًا، واستكبارِكم عن الخضوعِ لأمرِ اللهِ وأمرِ رسولِه، والانقيادِ لطاعتِه - ﴿عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ وهو عذابُ جهنمَ الذى يُهِينُهم فيُذِلُّهم، حتى يَعْرِفوا صَغارَ أنفسِهم وذِلَّتَها.

كما حدَّثني محمدُ بنُ الحسينِ، قال: ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ، قال: ثنا أسباطُ، عن السديِّ: أمَّا ﴿عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ فالذى يُهِينُهم[1].

حدَّثنا القاسمُ، قال: ثنا الحسينُ، قال: ثنى حجاجٌ، عن ابنِ جُريجٍ: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾. قال: عذابُ الهُونِ فى الآخرةِ بما كنتم تعملون.

والعربُ إذا أرادَت بالهُونِ معنى الهَوانِ ضمَّت الهاءَ[2]، وإذا أرادت به الرفقَ والدَّعةَ وخفةَ المَئُونةِ فتَحَت الهاءَ، فقالوا: هو قليلُ هَوْنِ المئونةِ. ومنه قولُ اللهِ: ﴿ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣]. يعنى: بالرفقِ والسكينةِ والوَقارِ. ومنه قولُ [3]المثنَّى بنِ جندَلٍ[3] الطُّهَويِّ:

ونَقْضَ أيامٍ نقَضْنَ أَسْرَه
هَوْنًا وأَلْقَى كلُّ شيخٍ فَخْرَه

ومنه قولُ الآخرِ[4]:

هَوْنَكما لا يَرُدُّ الدهرُ ما فاتا   لا تَهْلِكا أسَفًا فى إثْرِ مَن ماتا

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٤٨/٤ (٧٦٣٧) من طريق أحمد بن المفضل به.

(٢) فى ص، ت ١، ف: «الهون».

(٣ - ٣) كذا فى النسخ فى هذا الموضع، وكذا سيأتى فى ٢٩/١٤، وفى تفسير الآية ٢٣ من سورة الزخرف، وصوابه: جندل بن المثنى. ينظر سمط اللآلئ ٦٤٤/٢، والأعلام ١٣٧/٢.

(٤) هو ذو جدن الحميرى، والبيت فى سيرة ابن هشام ٣٨/١، وتاريخ المصنف ١٢٥/٢، والأغانى ٣٠٥/١٧ بنحو ما هنا.

يريدُ : أرْوِدا[(١)] . وقد حُكِي فتحُ الهاءِ فى ذلك بمعنى الهَوانِ ، واسْتَشْهَدوا على ذلك ببيتِ عامرِ بنِ جُوَيْنٍ[(٢)] :

/نُهِينُ النفوسَ وهَوْنُ النفوسِ عندَ الكَريهةِ أغلَى لها ٢٧٧/٧

والمعروفُ مِن كلامِهم ضمُّ الهاءِ منه إذا كان بمعنى الهَوانِ والذلِّ ، كما قال ذو الإِصْبَعِ العَدْوانيُّ[(٣)] :

اذْهَبْ إليك فما أُمِّى براعيةٍ[(٤)] تَرْعَى المَخاضَ ولا أُغْضِى على الهُونِ[(٥)]

يعنى : على الهَوانِ . وإذا كان بمعنى الرفقِ ففتحُها .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ﴾ .

وهذا خبرٌ مِن اللَّهِ جلَّ ثناؤُه عما هو قائلٌ يومَ القيامةِ لهؤلاء العادِلين به الآلهةَ والأندادَ ، يُخْبِرُ عبادَه أنه يقولُ لهم عندَ وُرودِهم عليه : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ ﴾ .

ويعنى بقولِه : ﴿ فُرادَى ﴾ : وُحدانًا لا مالَ معهم ولا[(٦)] إناثَ ولا رقيقَ[(٦)] ، ولا شىءَ مما كان اللَّهُ خوَّلَهم فى الدنيا ، ﴿ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ عُراةً غُلْفًا غُرْلًا حُفاةً

---

(١) فى م : « رودا » . وأرودا : ارفقا وتمهلا . اللسان (ر و د) .

(٢) البيت للخنساء ، كما فى أنيس الجلساء فى ملخص شرح ديوان الخنساء ص ١١٥ .

(٣) البيت فى اللسان (هـ و ن) ، وينظر المفضليات ص ١٦٠، وأمالى المرتضى ٢٥٢/١.

(٤) يعنى : لست ابن أمة . ينظر المفضليات الموضع السابق .

(٥) المخاض : اسم للنوق الحوامل . المصدر السابق .

(٦ - ٦) فى م، ت١، ت٢، ت ٣: « أثاث ولا رفيق » ، وفى ف : « إناث ولا رفق » . وينظر تفسير البغوى ٣/ ١٦٩.

كما ولدَتْهم أمهاتُهم ، وكما خلَقَهم جلَّ ثناؤُه في بُطونِ أمهاتِهم ، لا شيءَ عليهم ولا معهم مما كانوا يَتَباهَوْن به في الدنيا .

و « فُرادَى » جمعٌ ، يقالُ لواحدِها : فَرِدٌ . كما قال نابغةُ بنى ذُبْيانَ[1] :

مِن وَحْشِ وَجْرةَ مَوْشيٍّ أَكارِعُه طاوِى المَصِيرِ كَسَيْفِ الصَّيْقَلِ الفَرِدِ[2]

وفَرَدٌ وفَرِيدٌ ، كما يقالُ : وحَدٌ ووَحِدٌ ووَحِيدٌ . في واحدِ الأَوحادِ ، وقد يُجْمَعُ الفَرَدُ الفُرَادَ ، كما يُجْمَعُ الوَحَدُ الوُحادَ ، ومنه قولُ الشاعرِ[3] :

تَرَى النُّعَراتِ الزُّرْقَ فوقَ لَبانِه فُرادَ ومَثْنَى أَصْعَقَتْها صَواهِلُهْ

وكان يونُسُ الجَرْمِيُّ[4] فيما ذُكِر عنه يقولُ : فُرادٌ جمعُ فَرْدٍ . كما قيل : تُؤْمٌ وتُؤَامٌ . للجميعِ ، ومنه الفُرَادى / والرُّدَافى والقُرَانى[5] ، ويقالُ : رجلٌ فردٌ . وامرأةٌ فردٌ . إذا لم يَكُنْ لها أخٌ ، وقد فرَد الرجلُ فهو يَفْرُدُ فُرُودًا ، يُرادُ به تفرَّد ، فهو فاردٌ . ٢٧٨/٧

---

(١) ديوانه ص ٧.

(٢) قال الأصمعى : وجرة : فلاة بين مران وذات عرق وهى مجمع الوحش ، وهى قليلة الشرب للماء هناك. وموشى أكارعه : بيض وفى قوائمه نقط سود. وطاوى المصير : يريد ضامرا ، والمصير : المِعَى وجمعه المصران . وقوله : كسيف الصيقل الفرد . يريد : أنه يلوح كأنه سيف صقيل ، ويقال : فرْد وفرَد . قال : ولم أسمع فرِدا إلا فى هذا البيت . ديوان النابغة .

(٣) هو تميم بن أبى بن مقبل . وتقدم فى ٦/٣٧١، ٣٧٢ .

(٤) فى ص ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « الحرمى » . وينظر ما تقدم فى ٨/ ٢٤٥.

(٥) فى ص: « العوابى » بدون نقط ، وفى م، ت١ ، ت٢، ت ٣: « الغوانى » ، وفى س : « العوافى » وفى ف : « العوابى » .

والقرانى يعنى المقترنين ، يقال : جاءوا قرانى . أى : مقترنين . والقرانى تثنية الفرادى يقال : جاءوا قرانى وجاءوا فرادى. ينظر اللسان (ق ر ن) .

حدَّثني يونُسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : قال : أخبَرني عمرٌو ، أن ابنَ أبي هلالٍ حدَّثه ، أنه سمِع القرظيَّ[1] يقولُ : قرَأت عائشةُ زوجُ النبيِّ ﷺ قولَ اللَّهِ : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ [١/٧٧٧و] أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ . فقالت : واسَوْءَتاه ، إن الرجالَ والنساءَ يُحشَرون جميعًا يَنظُرُ بعضُهم إلى سَوْءةِ بعضٍ ! فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لكلِّ امرئٍ منهم يومَئذٍ شأنٌ يُغْنِيه ، لا يَنظُرُ الرجالُ إلى النساءِ ، ولا النساءُ إلى الرجالِ ، شُغِل بعضُهم عن بعضٍ »[2] .

وأما قولُه : ﴿ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ﴾ . فإنه يقولُ : خلَفْتُم أيُّها القومُ ما مَلَّكناكم[3] في الدنيا ، مما كنتم تَتَباهَوْن به فيها ، خلفَكم في الدنيا ، فلم تَحمِلوه معكم . وهذا تَعْييرٌ مِن اللَّهِ جلَّ ثناؤُه لهؤلاء المشركين بمُباهاتِهم التي كانوا يَتَباهَوْن بها في الدنيا بأموالِهم .

وكلُّ من ملَّكْتَه غيرَك وأعْطَيْتَه ، فقد خوَّلْتَه ، يقالُ منه : خال الرجلُ يَخالُ أشدَّ الخِيالِ . بكسرِ الخاءِ ، وهو خائلٌ ، ومنه قولُ أبي النَّجْمِ[4] :

أَعْطَى فلم يَبْخَلْ ولم يُبَخَّلِ
كُومَ الذُّرا[5] مِن خَوَلِ المُخَوِّلِ

وقد ذُكِر أن أبا عمرِو بنَ العلاءِ كان يُنْشِدُ بيتَ زُهَيْرٍ[6] :

---

(١) في ص ، م : « القرطبي » ، والمثبت موافق لما في مصادر التخريج الآتية .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٤٩/٤ (٧٦٣٩) عن يونس عن ابن وهب عن عمرو به ، وأخرجه الحاكم ٥٦٥/٤ من طريق ابن وهب عن عمرو بن الحارث به .

(٣) في م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « مكناكم » .

(٤) ديوانه (مجموع) ص١٧٥ .

(٥) كوم جمع كوماء : وهي الناقة العظيمة السنام طويلته . والذرا جمع ذروة : وهي أعلى كل شيء ، وأراد السنام . ينظر اللسان (ك و م ، ذ ر و) .

(٦) ينظر شرح ديوان زهير ص ١١٢ . وينظر ما سيأتي في تفسير الآية (٨) من سورة « الزمر » .

هنالك إن يُسْتَخْوَلوا المالَ يُخْوِلُوا وإن يُسْأَلوا يُعْطُوا وإن يَيْسِروا يُغْلُوا[(١)]

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ : ﴿ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ ﴾ : مِن المالِ والخَدَمِ . ﴿ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ﴾ فى الدنيا[(٢)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه لهؤلاء العادِلين بربِّهم الأندادَ يومَ القيامةِ : ما نَرَى معكم شفعاءَكم الذين كنتم فى الدنيا تَزْعُمون أنهم يَشْفَعون لكم عندَ ربِّكم يومَ القيامةِ .

وقد ذُكِر أن هذه الآيةَ نزَلَت فى النَّضْرِ بنِ الحارثِ ، لقيلِه إن اللاتَ والعُزَّى يَشْفَعان له عندَ اللَّهِ يومَ القيامةِ .

وقيل : إن ذلك كان قولَ كافةِ عَبَدةِ الأوثانِ .

---

(١) ورواية الديوان :

هنالك إن يُسْتَخْبَلُوا المالَ يُخْبِلُوا ...

ويبيسروا : من الميسر ، يغلوا : يأخذون سمان الجزر لا ينحرون إلا غالية . ينظر شرح ديوان زهير ص ١١٢ وحاشيته .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٥٠/٤ (٧٦٤٢، ٧٦٤٣) من طريق أحمد بن المفضل به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٢/٣ إلى أبى الشيخ .

ذكرُ مَن قال ذلك

٢٧٩/٧ /حدَّثني محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : أما قولُه : ﴿ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ ﴾ . فإن المشركين كانوا يَزْعُمون أنهم كانوا يَعْبُدون الآلهةَ لأنهم شُفعاءُ ، يَشْفَعون لهم عندَ اللَّهِ ، وأن هذه الآلهةَ شركاءُ للَّهِ[1] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، قال : قال ابنُ جُرَيْجٍ : أخبَرنى الحكمُ بنُ أبانٍ ، عن عكرمةَ ، قال : قال النَّضْرُ بنُ الحارثِ : سوف تَشْفَعُ لىَ اللاتُ والعُزَّى . فنزَلَت هذه الآيةُ : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ إلى قولِه : ﴿ شُرَكَٰٓؤُاْ ﴾[2] .

القولُ في تأويلِ قولِه : ﴿ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه مُخْبِرًا عن قيلِه يومَ القيامةِ لهؤلاء المشركين به الأندادَ : ﴿ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾ . يعنى تَواصُلَهم الذى كان بينَهم فى الدنيا ، ذهَب ذلك اليومَ ، فلا تَواصُلَ بينَهم ولا تَوادَّ ولا تَناصُرَ ، وقد كانوا فى الدنيا يَتَواصَلون ويَتَناصَرون ، فاضْمَحَلَّ ذلك كلُّه فى الآخرةِ ، فلا أحدَ منهم يَنْصُرُ صاحبَه ، ولا يُواصِلُه .

وبنحوِ ما قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/ ١٣٥٠ (٧٦٤٥) من طريق أحمد بن المفضل به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/ ١٣٥٠ (٧٦٤٤) من طريق حجاج به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/ ٣٢ إلى ابن المنذر وأبى الشيخ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ : البَيْنُ تَواصُلُهم[(١)] .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ . قال : تَواصُلُهم في الدنيا[(٢)] .

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ : ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ . قال : وَصْلُكم .

وحدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن قتادةَ في قولِه : ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ . قال : ما كان بينَكم مِن الوَصْلِ[(٣)] .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثني معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن عليِّ بنِ أبي طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ يعني : الأرحامُ والمنازلُ[(٤)] .

حدَّثني محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ . يقولُ : تقطَّع ما بينَكم[(٥)] .

حدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : قال أبو بكرِ بنُ عَيَّاشٍ : (لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنُكم) : التواصُلُ

---

(١) تفسير مجاهد ص٣٢٥.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٥٠/٤ (٧٦٤٧) من طريق أبي حذيفة به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٣/٣ إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٣) تفسير عبد الرزاق ٢/ ٢١٤، وعزاه السيوطي في الدرالمنثور ٣٢/٣ إلى عبد بن حميد وأبي الشيخ .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٥٠/٤ (٧٦٤٦) من طريق أبي صالح به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٣/٣ إلى ابن المنذر .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٥٠/٤ (٧٦٤٨) من طريق أحمد بن المفضل به .

في الدنيا .

واختلفت القرأةُ في قولِه : ﴿ بَيْنَكُمْ ﴾ ؛ فقرَأته عامةُ قرأةِ أهلِ المدينةِ نصبًا[١] ، بمعنى : لقد تقَطَّع ما بينَكم .

وقرَأ ذلك عامةُ قرأةِ مكةَ والعراقَيْن[٢] : (لقد تَّقَطَّع بينُكم) رفعًا[٣] ، بمعنى : لقد تقَطَّع وصلُكم .

والصوابُ مِن القولِ عندى في ذلك أن يُقالَ : إنهما قراءتان مَشْهورتان باتفاقِ المعنى ، فبأيتِهما قرَأ/ القارئُ فمُصيبٌ الصوابَ ، وذلك أن العربَ قد تَنْصِبُ « بينَ » في موضعِ الاسمِ ، ذُكِر سماعًا منها : أتاني[٤] نحوَك ودونَك وسَواءَك . نصبًا في موضعِ الرفعِ ، وقد ذُكِر عنها سماعًا الرفعُ في « بينَ » إذا كان [١/٧٧٧ظ] الفعلُ لها ، وجُعِلَت اسمًا ، ويُنْشَدُ بيتُ مُهَلْهِلٍ[٥] :

٢٨٠/٧

كأنَّ رِماحَهم أَشْطانُ بئرٍ بعيدٍ بينُ جالَيْها[٦] جَرُورِ[٧]

برفعِ « بين » إذ كانت اسمًا ، غيرَ أن الأغلبَ عليهم في كلامِهم النصبُ فيها في حالِ كونِها صفةً ، وفي حالِ كونِها اسمًا .

---

(١) هى قراءة نافع وأبو جعفر المدنيان والكسائى وحفص . النشر ١٩٥/٢ .

(٢) فى ف، م : « العراقيين » .

(٣) هى قراءة ابن كثير وأبى عمرو وابن عامر وحمزة وأبى بكر ويعقوب وخلف العاشر . ينظر النشر ٢/ ١٩٥.

(٤) فى م : « إيابى » . وينظر معانى القرآن للفراء ١/ ٣٤٥.

(٥) هو مهلهل بن ربيعة ، والبيت فى أمالى القالى ٢/ ١٣٢، والمحتسب لابن جنى ١٩٠/٢ .

(٦) الأشطان : الحبال ، واحدها شطن ، والبئر هٰهنا : الهواء الذى من الجال إلى الجال . وجال البئر وجولها : ناحيتها وما يحبس الماء منها . الأمالى ١٣٢/٢ ، ١٣٣ .

(٧) الجرور من الآبار : البعيدة القعر . وقال الأصمعى : بئر جرور ، وهى التى يستقى منها على بعير ، وإنما قيل لها ذلك لأن دلوها تجر على شفيرها لبعد قعرها . اللسان (ج ر ر) .

وأما قولُه : ﴿ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ . فإنه يقولُ : وحاد عن طريقِكم ومِنْهاجِكم ما كُنتم مِن آلهتِكم تَزْعُمون أنه شَريكُ ربِّكم ، وأنه لكم شَفيعٌ عندَ ربِّكم ، فلا يَشْفَعُ لكم اليومَ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ﴾ .

وهذا تنبيهٌ مِن اللهِ جلَّ ثناؤُه ، هؤلاء العادِلين به الآلهةَ والأوثانَ ، على موضعِ حجَّتِه عليهم ، وتعريفٌ منه لهم خطأَ ما هم عليه مُقِيمون ، مِن إشراكِ الأصنامِ فى عبادتِهم إياه ، يقولُ تعالى ذكرُه : إن الذى له العبادةُ أيُّها الناسُ دونَ كلِّ ما تَعْبُدون مِن الآلهةِ والأوثانِ ، هو اللهُ الذى فلَق الحبَّ ، يعنى : شقَّ الحبَّ مِن كلِّ ما يَنْبُتُ مِن النباتِ ، فأخْرَج منه الزرعَ ، والنَّوَى مِن كلِّ ما يُغْرَسُ مما له نَواةٌ ، فأخْرَج منه الشجرَ .

و « الحبُّ » جمعُ الحبَّةِ ، و « النَّوَى » جمعُ النَّواةِ .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال جماعةٌ مِن أهلِ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ﴾ : أما ﴿ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ﴾ ففالقُ الحبِّ عن السُّنْبُلةِ ، وفالقُ النَّواةِ عن النخلةِ[1] .

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ : ﴿ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ﴾ . قال : يَفْلِقُ الحبَّ والنَّوَى عن النباتِ[2] .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٥١/٤ (٧٦٥٤) من طريق أحمد بن المفضل به .

(٢) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢١٤/١، – ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٥١/٤ (٧٦٥١) – عن معمر به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٣/٣ إلى ابن المنذر وأبى الشيخ .

حدَّثني يونُسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِه : ﴿ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ﴾ . قال : اللَّهُ فالقُ ذلك ، فلَقَه فأنبَت منه ما أنبَت ؛ فلَق النَّواةَ فأخرَج منها نَباتَ نخلةٍ ، وفلَق الحبةَ فأخرَج نباتَ الذي خلَق .

٢٨١/٧ /وقال آخرون : معنى فالقٍ : خالقٌ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا هنادُ بنُ السَّرِيِّ ، قال : ثنا مَرْوانُ بنُ معاويةَ ، عن جُويبرٍ ، عن الضحاكِ في قولِه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ﴾ . قال : خالقُ الحبِّ والنَّوى[(١)] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا المحاربيُّ ، عن جويبرٍ ، عن الضحاكِ مثلَه .

حدَّثني محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ﴾ . قال : خلَق[(٢)] الحبَّ والنوى[(٣)] .

وقال آخرون : معنى ذلك أنه فلَق الشَّقَّ الذي في الحبَّةِ والنَّواةِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ في قولِ اللَّهِ : ﴿ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ﴾ . قال : الشُّقَّان اللذان فيهما[(٤)] .

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٥١/٤ (٧٦٥٢) من طريق مروان به .

(٢) في م، ت٢، ت٣، ف : « خالق » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٥١/٤ (٧٦٥٠) عن محمد بن سعد به .

(٤) تفسير مجاهد ص ٣٢٦، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٥١/٤ (٧٦٥٣) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٣/٣ إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا مُعَلَّى بنُ أَسَدٍ ، قال : ثنا خالدٌ ، عن حُصَيْنٍ ، عن أبي مالكٍ في قولِ اللَّهِ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ﴾ . قال : الشَّقُّ الذي يَكونُ في النَّواةِ وفي الحِنْطةِ[1] .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا حكامٌ ، عن عَنْبَسةَ ، عن محمدِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ أبي ليلى ، عن القاسمِ بنِ أبي بَزَّةَ ، عن مجاهدٍ : ﴿ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ﴾ . قال : الشَّقَّان اللذان فيهما .

حُدِّثْتُ عن الحسينِ بنِ الفرجِ ، قال : سمِعْتُ أبا مُعاذٍ ، قال : ثني عُبيدُ بنُ سليمانَ ، قال : سمِعْتُ الضحاكَ يقولُ في قولِه : ﴿ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ﴾ . يقولُ : خالقُ الحبِّ والنوى . يعني : كلَّ حبةٍ .

وأولى الأقوالِ في ذلك بالصوابِ عندى ما قدَّمْنا القولَ به ، وذلك أن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه أتْبَع ذلك بإخبارِه عن إخراجِه الحيَّ مِن الميتِ ، والميتَ مِن الحيِّ ، فكان معلومًا بذلك أنه إنما عنَى بإخبارِه عن نفسِه أنه فالقُ الحبِّ عن النباتِ ، والنوى عن الغُرُوسِ والأشجارِ ، كما هو مُخْرِجُ الحيِّ مِن الميتِ ، والميتِ مِن الحيِّ .

وأما القولُ الذي حُكِي عن الضحاكِ في معنى فالقٍ أنه خالقٌ ، فقولٌ إن لم يَكُنْ أراد به أنه خالقٌ منه النباتَ والغُروسَ بفَلْقِه إياه ، لا أَعْرِفُ له وجهًا ؛ لأنه لا يُعْرَفُ في كلامِ العربِ : فلَق اللَّهُ الشيءَ . بمعنى : خلَق .

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٨٩١ - تفسير) من طريق خالد به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٣/٣ إلى ابن المنذر .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : يُخْرِجُ السُّنْبُلَ الحىَّ مِن الحبِّ الميتِ ، ومخرِجُ الحبِّ الميتِ مِن السنبلِ الحىِّ ، والشجرِ الحىَّ مِن النوى الميتِ ، والنوى الميِّتِ مِن الشجرِ الحىِّ .

والشجرُ ما دام قائمًا على أصولِه لم يَجِفَّ ، والنباتُ على ساقِه لم يَيْبَسْ ، فإن العربَ تُسَمِّيه حَيًّا ، فإذا يَبِس وجَفَّ أو قُطِع مِن أصلِه ، سمَّوْه ميتًا .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال جماعةٌ مِن أهلِ التأويلِ .

/ذكرُ مَن قال ذلك

٢٨٢/٧

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ : أما ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ ﴾ فيُخْرِجُ السُّنْبُلةَ الحيةَ مِن الحبةِ الميتةِ ، ويُخْرِجُ الحبةَ [١/٧٧٨و] الميتةَ مِن السنبلةِ الحيةِ ، ويُخْرِجُ النخلةَ الحيةَ مِن النَّواةِ الميتةِ ، ويُخْرِجُ النواةَ الميتةَ مِن النخلةِ الحيةِ[(١)] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن سفيانَ ، عن السدىِّ ، عن أبى مالكٍ : ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّۚ ﴾ . قال : النخلةَ مِن النواةِ ، والنواةَ مِن النخلةِ ، والحبةَ مِن السنبلةِ ، والسنبلةَ مِن الحبةِ[(٢)] .

وقال آخرون بما حدَّثنى به المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ ابنُ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ

---

(١) ينظر التبيان ٤/ ٢٠٩.

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٣٥٢، ١٣٥٣ (٧٦٥٩، ٧٦٦٤) من طريق وكيع به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/٣٣ إلى عبد بن حميد.وأبى الشيخ .

وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾ . قال : يُخْرِجُ النُّطْفةَ الميتةَ مِن الحىِّ ، ثم يُخْرِجُ مِن النطفةِ بشرًا حيًّا[1] .

وإنما اخْتَرْنا التأويلَ الذى اخْتَرْنا فى ذلك ؛ لأنه عَقِيبَ قولِه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ﴾ . على أن قولَه : ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾ . وإن كان خبرًا مِن اللَّهِ عن إخراجِه مِن الحبِّ السنبلَ ، ومِن السنبلِ الحبَّ ، فإنه داخلٌ فى عمومِه ما رُوِى عن ابنِ عباسٍ فى تأويلِ ذلك : وكلُّ ميتٍ أخْرَجه اللَّهُ مِن جسمٍ حىٍّ ، وكلُّ حىٍّ أخْرَجه اللَّهُ مِن جسمٍ ميتٍ .

وأما قولُه : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ﴾ . فإنه يقولُ : فاعلُ ذلك كلِّه اللَّهُ جلَّ جلالُه ، ﴿ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ . يقولُ : فأىُّ وجوهِ الصدِّ عن الحقِّ أيُّها الجاهِلون تَصُدُّون عن الصوابِ وتُصْرَفون ، أفلا تَتَدَبَّرون فتعْلَمون أنه لا يَنْبَغى أن يُجْعَلَ لِمَن أنْعَم عليكم بفلْقِ الحبِّ والنَّوَى ، فأخْرَج لكم مِن يابسِ الحبِّ والنوى زروعًا وحُروثًا وثمارًا تَتَغذَّوْن ببعضِه ، وتَفَكَّهون ببعضِه - شريكٌ فى عبادتِه ما لا يَضُرُّ ولا يَنْفَعُ ، ولا يَسْمَعُ ولا يُبْصِرُ ؟

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ[2] ٱلَّيْلَ سَكَنًا ﴾ .

يعنى بقولِه : ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ ﴾ : شاقٌّ عمودَ الصبحِ عن ظلمةِ الليلِ وسَوادِه .

والإصباحُ مصدرٌ مِن قولِ القائلِ : أَصْبَحْنا إصْباحًا .

وبنحوِ ما قلنا فى ذلك قال عامةُ أهلِ التأويلِ .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٥٢/٤ (٧٦٥٨) من طريق آخر عن ابن عباس وعلق باقيه عقب الأثر (٧٦٦٢) .

(٢) فى ص، ف : « جاعل » . وهى قراءة كما سيأتى .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ، قال: ثنا المُحاربيُّ، عن جُويبرٍ، عن الضحاكِ: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾. قال: إضاءةُ الصبحِ.

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو، قال: ثنا أبو عاصمٍ، قال: ثنا عيسى، عن ابنِ أبى نَجيحٍ، عن مجاهدٍ: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾. قال: إضاءةُ الفجرِ[(١)].

/حدَّثنى المثنى، قال: ثنا أبو حُذَيفةَ، قال: ثنا شبلٌ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ، عن مجاهدٍ مثلَه. ٢٨٣/٧

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى، قال: أخبَرنا عبدُ الرزاقِ، قال: أخبَرنا معمرٌ، عن قتادةَ فى قولِه: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾. قال: فالقُ الصبحِ[(٢)].

حدَّثنى المثنى، قال: ثنا أبو صالحٍ، قال: ثنى معاويةُ بنُ صالحٍ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾: يعنى بالإصباحِ ضوءَ الشمسِ بالنهارِ، وضوءَ القمرِ بالليلِ[(٣)].

حدَّثنا ابنُ حميدٍ، قال: ثنا حكَّامٌ، قال: ثنا عَنْبَسةُ، عن محمدِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ أبى ليلى، عن القاسمِ بنِ أبى بَزَّةَ، عن مجاهدٍ: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾. قال: فالقُ الصُّبْحِ.

---

(١) تفسير مجاهد ص ٣٢٦، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٥٤/٤ (٧٦٧٣)، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٣/٣ إلى ابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وأبى الشيخ.

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/ ٢١٤، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٣/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٥٣/٤ (٧٦٧٠) من طريق أبى صالح به. وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٣/٣ إلى ابن المنذر.

حدَّثنا به ابنُ حميدٍ مرةً بهذا الإسنادِ ، عن مجاهدٍ ، فقال فى قولِه : ﴿ فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ ﴾ . قال : إضاءةُ الصبحِ .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ ﴾ . قال : فلَق الإصباحَ عن الليلِ .

حُدِّثتُ عن الحسينِ بنِ الفرجِ ، قال : سمِعْتُ أبا مُعاذٍ يقولُ : ثنا عبيدُ بنُ سليمانَ ، قال : سمِعْتُ الضحاكَ يقولُ فى قولِه : ﴿ فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ ﴾ . يقولُ : خالقُ النورِ ؛ نورِ النهارِ[(١)] .

وقال آخرون : معنى ذلك خالقُ الليلِ والنهارِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : (فالِقُ الإصْباحِ وَجاعِلُ اللَّيْلِ سَكَنًا) . يقولُ : خالقُ[(٢)] الليلِ والنهارِ[(٣)] .

وذُكِر عن الحسنِ البصرىِّ أنه كان يَقْرَأُ فى قولِه : (فالقُ الأَصْباحِ) . بفتحِ الألفِ[(٤)] ، كأنه تأوَّل ذلك بمعنى جمعِ « صبحٍ » ، كأنه أراد صبحَ كلِّ يومٍ ، فجعَله أصْباحًا ، ولم يَبْلُغْنا عن أحدٍ سِواه أنه قرَأ كذلك[(٥)] .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٣٥٤ (٧٦٧٤) من طريق أبى معاذ به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/٣٣ إلى أبى الشيخ .

(٢) فى النسخ : « خلق » . والمثبت كما فى مصدر التخريج والبحر المحيط ٤/ ١٨٥.

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٣٥٣، ١٣٥٤ (٧٦٦٩، ٧٦٧١) عن محمد بن سعد به .

(٤) ينظر مختصر الشواذ لابن خالويه ص ٤٥.

(٥) وكذلك قرأ عيسى بن عمر وأبو رجاء العطاردى . ينظر البحر المحيط ٤/ ١٨٥.

والقراءةُ التى لا نَسْتَجِيزُ تَعدِّيَها[1] بكسرِ الألفِ ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ ﴾ ؛ لإجماعِ الحُجَّةِ مِن القرأةِ وأهلِ التأويلِ على صحةِ ذلك ورفضِ خلافِه .

وأما قولُه : (وَجاعِلُ اللَّيْلِ سَكَنًا) فإن القرأةَ اختلَفت فى قراءتِه ؛ فقرَأ ذلك عامةُ قرأةِ أهلِ[2] الحجازِ والمدينةِ ، وبعضُ البصريين : (وَجاعِلُ اللَّيْلِ) بالألفِ على لفظِ الاسمِ ، ورفعِه عطفًا على (فالقِ) ، وخفضِ (الليل[3]) بإضافةِ (جاعل) إليه ، ونصبِ (الشمس والقمر) عطفًا على موضعِ (الليل) ؛ لأن (الليل) وإن كان مخفوضًا فى اللفظِ ، فإنه فى موضعِ النصبِ ؛ لأنه مفعولُ (جاعل) ، وحَسُن عطفُ ذلك على معنى (الليل) لا على لفظِه ؛ لدخولِ قولِه : ﴿ سَكَنًا ﴾ . بينَه وبينَ (الليل) ، قال الشاعرُ[4] :

قُعودًا لَدى الأبْوابِ طُلَّابَ[5] حاجةٍ عَوانٍ مِن الحاجاتِ أو حاجةً بِكْرَا

فنصَب « الحاجةَ » الثانيةَ عطفًا بها على معنى « الحاجةِ » الأُولى لا على لفظِها ؛ لأن معناها النصبُ ، وإن كانت /فى اللفظِ خفضًا ، وقد يَجِيءُ مثلُ هذا أيضًا ٢٨٤/٧ معطوفًا بالثانى على معنى الذى قبلَه لا على لفظِه ، وإن لم يَكُنْ بينَهما حائلٌ ، كما قال بعضُهم[6] :

(١) فى م : « غيرها » ، وفى ت٢، ت٣، ف : « بعدها » .

(٢) سقط من : م .

(٣) هى قراءة نافع وابن كثير وأبى عمرو وابن عامر وأبى جعفر ويعقوب . النشر ١٩٦/٢ .

(٤) تقدم البيت فى ٨٨/٢ منسوبا إلى الفرزدق ، ونسب أيضا إلى ذى الرمة ، وهو فى ديوانه ١٨٧١/٣ .

(٥) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س، ف : « طالب » .

(٦) شعر نصيب بن رباح ص١٠٤ ، ينظر مصادره ص١٨٨ ، وهو منسوب أيضا إلى رجل من قيس عيلان كما فى الكتاب لسيبويه ١/ ١٧١. والبيت فيه خرم ، وينظر معانى القرآن للفراء ١/ ٣٤٦.

بينا نحن ننظره أتانا مُعلّقَ شَكْوةٍ وزِنادَ راعِ[(١)]

وقرَأ ذلك عامةُ قرأةِ الكوفيين : ﴿ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ ﴾ على « فَعَلَ » ، بمعنى الفعلِ الماضى ، ونصبِ ﴿ٱلَّيْلَ﴾[(٢)] .

والصوابُ مِن القولِ فى ذلك عندَنا أن يُقالَ : إنهما قراءتان مُسْتَفِيضتان [٧٧٨/١ظ] فى قراءةِ الأمصارِ ، مُتَّفِقتا المعنى ، غيرُ مُخْتلفتَيْه ، فبأيِّهما قرَأ القارئُ فهو مُصيبٌ فى الإعرابِ والمعنى .

وأخبَر جلَّ ثناؤُه أنه جعَل الليلَ سكنًا ؛ لأنه يَسْكُنُ فيه كلُّ متحركٍ بالنهارِ ، ويَهْدَأُ فيه ، فيَسْتَقِرُّ فى مسكنِه ومأواه .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ﴾ .

قال أبو جعفرٍ رحِمه اللَّهُ : اختلَف أهلُ التأويلِ فى ذلك ؛ **فقال بعضُهم** : معنى ذلك : وجعَل الشمسَ والقمرَ يَجْرِيان فى أفلاكِهما بحسابٍ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى المثنَّى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ﴾ : يعنى عددَ الأيامِ والشهورِ والسِّنينَ[(٣)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن

---

(١) الشكوة : وعاء من أدم للماء واللبن ، والزناد : العود الذى يقدح به النار . تاج العروس (ز ن د ، ش ك و) .

(٢) قرأ بها عاصم وحمزة والكسائى وخلف العاشر . النشر ١٩٦/٢ .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٥٤/٤ (٧٦٧٧) من طريق أبى صالح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٣/٣ إلى ابن المنذر .

أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًاۚ ﴾ . قال : يَجْرِيان إلى أجلٍ جُعِل لهما[1] .

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضَّلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًاۚ ﴾ . يقولُ : بحسابٍ[2] .

حدَّثنى المثنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ فى قولِه : ﴿ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًاۚ ﴾ . قال : الشمسُ والقمرُ فى حسابٍ ، فإذا خَلَت أيامُهما ، فذاك آخرُ الدهرِ ، وأولُ الفزَعِ الأكبرِ ، ﴿ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾[3] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا معمرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًاۚ ﴾ . قال : يَدُوران فى حسابٍ[4] .

/حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن مُجاهدٍ : ﴿ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًاۚ ﴾ . قال : هو مثلُ قولِه : ﴿ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يس : ٤٠] . ومِثلُ قولِه : ﴿ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾[1] [الرحمن : ٥] . ٢٨٥/٧

وقال آخرون : معنى ذلك : وجعَل الشمسَ والقمرَ ضِياءً .

---

(١) ينظر التبيان ٤/ ٢١١.

(٢) أخرجه أبو الشيخ فى العظمة (٦٥٣) من طريق أسباط به .

(٣) أخرجه أبو الشيخ فى العظمة (٦٥٢) من طريق عبد الله بن أبى جعفر به .

(٤) تفسير عبد الرزاق ٢١٤/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٥٤/٤ (٧٦٧٨) عن الحسن بن يحيى به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٣/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ﴾ . أى : ضياءً[1] .

وأولى القولين فى تأويلِ ذلك عندى بالصوابِ تأويلُ مَن تأوَّله : وجعَل الشمسَ والقمرَ يَجْرِيان بحسابٍ وعددٍ لبلوغِ أمرِهما ، ونهايةِ آجالِهما ، ويَدُوران لمصالحِ الخلقِ التى جُعِلا لها .

وإنما قلنا : ذلك أولى التأويلين بالآيةِ ؛ لأن اللَّهَ تعالى ذكرُه ذكَر قبلَه أياديَه عندَ خلقِه ، وعظمَ سلطانِه ، بفَلْقِه الإصباحَ لهم ، وإخراجِ النباتِ والغِراسِ مِن الحبِّ والنَّوَى ، وعقَّب ذلك بذكرِه خلقَ النجومِ لهدايتِهم فى البرِّ والبحرِ ، فكان وصفُه إجراءَه الشمسَ والقمرَ لمنافِعِهم أشبهَ بهذا الموضعِ مِن ذكرِ إضاءتِهما ؛ لأنه قد وصَف ذلك قبلُ بقولِه : ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ ﴾ . فلا معنى لتكريرِه مرةً أُخرى فى آيةٍ واحدةٍ لغيرِ معنًى .

والحُسْبانُ فى كلامِ العربِ جمعُ حسابٍ ، كما الشُّهْبانُ جمعُ شهابٍ . وقد قيل : إن الحُسْبانَ فى هذا الموضعِ مصدرٌ مِن قولِ القائلِ : حَسَبْتُ الحسابَ ، أَحْسُبُه حِسابًا وحُسْبانًا . وحُكِى عن العربِ : على اللَّهِ حُسْبانُ فلانٍ وحِسْبتُه . أى : حسابُه .

وأَحْسَبُ أن قتادةَ فى تأويلِ ذلك بمعنى الضياءِ ، ذهَب إلى شىءٍ يُرْوَى عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الكهف : ٤٠] . قال : نارًا . فوجَّه تأويلَ قولِه : ﴿ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ﴾ إلى ذلك التأويلِ ، وليس هذا مِن ذلك المعنى فى شىءٍ .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٥٥/٤ (٧٦٧٩) من طريق سعيد بن بشير ، عن قتادة . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٣/٣ إلى عبد بن حميد وأبى الشيخ .

وأما الحِسْبانُ بكسرِ الحاءِ فإنه جمعُ الحِسْبانةِ[(١)] ، وهى الوِسادةُ الصغيرةُ ، وليست مِن الأوَّلَيْن أيضًا فى شىءٍ ، يقالُ : حَسَّبْتُه . أجْلَسْتُه عليها .

ونُصِب قولُه : ﴿ حُسۡبَانٗاۚ ﴾ . بقولِه : ﴿ وَجَعَلَ ﴾ .

وكان بعضُ البصريين[(٢)] يقولُ : معناه ﴿ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ﴾ . أى : بحسابٍ . فحذَف الباءَ كما حذَفها مِن قولِه : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦۖ ﴾ [الأنعام : ١١٧] . أىْ : أعلمُ بمَن يَضِلُّ عن سبيله .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : وهذا الفعلُ الذى وصَفه أنه فعلُه ، وهو فلْقُه الإصباحَ وجعْلُه الليلَ سكنًا والشمسَ والقمرَ حُسْبانًا ، تقديرُ الذى عزَّ سلطانُه ، فلا يَقْدِرُ أحدٌ أراده بسوءٍ وعقابٍ أو انتقامٍ ، مِن الامتناعِ منه ، العليمِ بمصالحِ خلقِه وتدبيرِهم ، لا تقديرُ الأصنامِ والأوثانِ التى لا تَسمَعُ ولا تُبصِرُ ، ولا تَفْقَهُ شيئًا ولا تَعْقِلُه ، ولا تَضُرُّ ولا تَنفَعُ ، وإن أُرِيدَت بسوءٍ لم تَقْدِرْ على الامتناعِ منه ممَّن أرادها به . يقولُ جلَّ ثناؤُه : وأخْلِصوا أيُّها الجَهَلةُ عبادتَكم لفاعلِ هذه الأشياءِ ، ولا تُشرِكوا فى عبادتِه شيئًا غيرَه .

/القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ . ٢٨٦/٧

يقولُ تعالى ذكرُه : واللَّهُ الذى جعَل لكم أيُّها الناسُ النجومَ أدلةً فى البرِّ والبحرِ إذا ضلَلْتُم الطريقَ ، أو تحيَّرْتُم فلم تَهْتَدُوا فيها ليلًا ، تَسْتَدِلُّون بها على المَحَجَّةِ ، فتَهْتَدُون بها إلى الطريقِ والمحجةِ ، فتسْلُكونه [١/٧٧٩و] وتَنْجون بها مِن ظلماتِ

---

(١) الذى فى كتب اللغة أنه بضم الحاء لا بكسر الحاء .

(٢) هو الأخفش ، كما فى اللسان (ح س ب) .

ذلك، كما قال جلَّ ثناؤُه: ﴿ وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [النحل: ١٦]. أى: مِن ضلالِ الطريقِ فى البرِّ والبحرِ. وعنَى بالظلماتِ ظلمةَ الليلِ، وظلمةَ الخطأِ والضلالِ، وظلمةَ الأرضِ أو الماءِ.

وقولُه: ﴿ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾. يقولُ: قد ميَّزْنا الأدلةَ، وفرَّقْنا الحُجَجَ فيكم وبيَّناها أيُّها الناسُ؛ ليَتَدبَّرَها أولو العلمِ باللَّهِ منكم، ويَفْهَمَها أولو الحِجا منكم، فيُنِيبوا مِن جهلِهم الذى هم عليه مُقِيمون، ويَنْزَجِروا عن خطأِ فعلِهم الذى هم عليه ثابِتون، ولا يَتمادَوْا [(١)]عنادًا للَّهِ[(١)]، مع علمِهم بأن ما هم عليه مُقِيمون خطأٌ فى غَيِّهم[(٢)].

وبنحوِ ما قلنا فى ذلك قال جماعةٌ مِن أهلِ التأويلِ.

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابنِ عباسٍ قولَه: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾. قال: يَضِلُّ الرجلُ وهو فى الظلمةِ، والجَوْرُ عن الطريقِ[(٣)].

القولُ فى تأويلِ قولِه: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ۝٩٨ ﴾.

يقولُ تعالى ذكرُه: وإلهُكم أيُّها العادِلون باللَّهِ غيرَه ﴿ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم ﴾. يعنى: الذى ابْتَدأَ خلقَكم مِن غيرِ شىءٍ، فأوْجَدَكم بعدَ أن لم تكونوا شيئًا ﴿ مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾. يعنى: مِن آدمَ عليه السلامُ.

(١ - ١) فى م: «فى عناد الله»، وفى ف: «عباد الله».

(٢) فى ت١، ف: «غيرهم».

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٣٥٥ (٧٦٨١) عن محمد بن سعد به.

كما حدَّثني محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضَّلِ ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ . قال : آدمَ عليه السلامُ[1] .

حدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ : مِن آدمَ عليه السلامُ[2] .

وأما قولُه : ﴿ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ . فإن أهلَ التأويلِ في تأويلِه مُختلِفون ؛ فقال بعضُهم : معنى ذلك : /وهو الذي أنشأكم مِن نفسٍ واحدةٍ ، فمنكم مُستقرٌّ في الرحمِ ، ومنكم مُستَوْدَعٌ في القبرِ حتى يَبعَثَه اللَّهُ لنَشْرِ القيامةِ . ٢٨٧/٧

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : ثنا أبو مُعاويةَ ، عن إسماعيلَ بنِ أبي خالدٍ ، عن إبراهيمَ ، عن عبدِ اللَّهِ : ﴿ يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴾ [هود: ٦]. قال : ﴿ مُسْتَقَرَّهَا ﴾ في الأرحامِ ، ﴿ وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴾ حيثُ تموتُ[3] .

حدَّثني يَعقوبُ ، قال : ثنا هُشَيمٌ ، عن إسماعيلَ ، عن إبراهيمَ ، عن عبدِ اللَّهِ ، أنه قال : المُستَوْدَعُ حيثُ تموتُ ، والمُستَقَرُّ ما في الرحمِ .

حُدِّثتُ عن عُبيدِ اللَّهِ بنِ موسى ، عن إسرائيلَ ، عن السديِّ ، عن مُرَّةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ ، قال : المُستَقَرُّ الرحمُ ، والمُستَوْدَعُ المكانُ الذي تموتُ

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٥٥/٤ (٧٦٨٢) من طريق أحمد بن المفضل به .

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٥٥/٤ عقب الأثر (٧٦٨٢) معلقا .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٥٦/٤ (٧٦٨٥) ، والطبراني في الكبير (٩٠١٦) ، من طريق إسماعيل بن أبي خالد به ، وأخرجه الحاكم ٣٤١/٢ من طريق إسماعيل ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن ابن مسعود ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٦/٣، ٣٢١ إلى ابن أبي شيبة وعبد ابن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ والفريابي .

فيه[(١)] .

حدَّثني محمدُ بنُ عُبَيدٍ المحاربيُّ ، قال : ثنا محمدُ بنُ فُضَيْلٍ وعليُّ بنُ هاشمٍ ، عن إسماعيلَ بنِ أبي خالدٍ ، عن إبراهيمَ : ﴿ يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴾ . قال : ﴿ مُسْتَقَرَّهَا ﴾ في الأرحامِ ، ﴿ وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴾ في الأرضِ حيثُ تموتُ فيها .

حدَّثنا أبو كريبٍ وأبو السائبِ ، قالا : ثنا ابنُ إدريسَ ، عن ليثٍ ، عن مِقْسَمٍ ، قال : ﴿ مُسْتَقَرَّهَا ﴾ في الصُّلْبِ حيثُ تأْوِي إليه ، ﴿ وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴾ حيثُ تَموتُ[(٢)] .

وقال آخرون : المُسْتَوْدَعُ ما كان في أصلابِ الآباءِ ، والمُسْتَقَرُّ ما كان في بُطُونِ النساءِ وبطونِ الأرضِ أو على ظهورِها .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا ابنُ عُلَيَّةَ ، قال : ثنا كُلْثومُ بنُ جَبْرٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ في قولِه : ﴿ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ . قال : مُسْتَوْدَعون ما كانوا في أصلابِ الرجالِ ، فإذا قَرُّوا في أرحامِ النساءِ ، أو على ظهرِ الأرضِ ، أو في بطنِها ، فقد اسْتَقَرُّوا[(٣)] .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا ابنُ عُليةَ ، عن كُلْثومِ بنِ جَبْرٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ : ﴿ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ . قال : المُسْتَوْدَعون ما كانوا في أصلابِ الرجالِ ، فإذا قَرُّوا

---

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٥٥/٤ عقب الأثر (٧٦٨٣) ، ٢٠٠٢/٦ معلقا بشطره الأول ، وأخرج باقيه في ١٣٥٧/٤(٧٦٩٤)، ٢٠٠٣/٦ من طريق عبيد الله به .

(٢) سيأتي في ٣٢٥/١٢ من طريق آخر ، عن ليث ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس بلفظ : ﴿مستقرها﴾ حيث تأوى ، و﴿مستودعها﴾ حيث تموت .

(٣) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٥٧/٤ عقب الأثر (٧٦٩٣) معلقا بشطره الأول ، وأخرج باقيه في ١٣٥٦/٤ (٧٦٩١) ، ٢٠٠٢/٦، ٢٠٠٣ من طريق ابن علية به .

فى أرحامِ النساءِ ، أو على ظهرِ الأرضِ ، فقد اسْتَقَرُّوا .

حدَّثنا محمدُ بنُ المثنى ، قال : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، قال : ثنا شعبةُ ، عن المغيرةِ بنِ النعمانِ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ : ﴿ يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴾ . قال : المُسْتَوْدَعُ فى الصُّلْبِ ، والمُسْتَقَرُّ ما كان على وجهِ الأرضِ أو فى الأرضِ[1] .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ﴿ فَمُسْتَقَرٌّ ﴾ فى الأرضِ على ظهورِها ، ﴿ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ عندَ اللَّهِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

/حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ يَمانٍ ، عن سفيانَ ، عن المغيرةِ ، عن أبى [2]الجبرِ بنِ[2] تميمِ بنِ حَذْلمٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : المُسْتَقَرُّ الأرضُ ، والمُسْتَوْدَعُ عندَ الرحمنِ . ٢٨٨/٧

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : ثنا عُبيدُ اللَّهِ ، عن إسرائيلَ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : المستقرُّ الأرضُ ، والمستودعُ عندَ ربِّك[3] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا ابنُ عُيَيْنةَ ، عن إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ ، عن إبراهيمَ ، قال : قال عبدُ اللَّهِ : ﴿ مُسْتَقَرَّهَا ﴾ فى الدنيا

---

(١) أخرجه الحاكم ٢/ ١٦٠ من طريق المغيرة بن النعمان به ، بمعنى الشطر الأول .

(٢ - ٢) فى ص : « الحر » . وفى م، ت١، ت٢، ت٣، س، ف : « الخير » . والمثبت من المؤتلف والمختلف للدارقطنى ١/ ٣٧٨، والإكمال ٢/ ١٦، وينظر الجرح والتعديل ٩/ ٣٥٥ ، وتصحيفات المحدثين ٢/ ٧٤٨.

(٣) أخرج شطره الأول ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/ ١٣٥٦ (٧٦٨٨) من طريق إسرائيل عن أبى يحيى عن مجاهد .

﴿ وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴾ فى الآخرةِ . يعنى : ﴿ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾[(١)] .

حدَّثنى المثنَّى ، قال : ثنا سُوَيْدُ بنُ نصرٍ ، قال : أخبَرنا ابنُ المبارَكِ ، عن شعبةَ ، عن أبى بشرٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، قال : المستودعُ فى الصُّلْبِ ، والمستقرُّ فى الآخرةِ ، وعلى وجهِ الأرضِ[(٢)] .

وقال آخرون : معنى ذلك : فمستقَرٌّ فى الرحمِ ، ومستودَعٌ فى الصلبِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا هنادٌ ، قال : ثنا أبو الأحوصِ ، عن أبى الحارثِ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿ فَمُسْتَقَرٌّ [١/٧٧٩ظ] وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ . قال : مستقرٌّ فى الرحمِ ، ومستودَعٌ فى صلبٍ لم يُخْلَقْ سيُخْلَقُ[(٣)] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا جريرٌ ، عن يحيى الجابرِ[(٤)] ، عن عكرمةَ : ﴿ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ . قال : المستقرُّ الذى قد اسْتَقَرَّ فى الرحمِ ، والمُسْتَوْدَعُ الذى قد اسْتُودِع فى الصلبِ[(٥)] .

---

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ٢١٥، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/ ١٣٥٥، ١٣٥٧ (٧٦٨٤، ٧٦٩٥) ، ٦/ ٢٠٠٢، ٢٠٠٣ عن الحسن بن يحيى به . وعزاه السيوطى أيضا فى الدر المنثور ٣/ ٣٦ إلى أبى الشيخ . وقال ابن أبى حاتم : رواه الثقات عن إسماعيل بن أبى خالد عن النخعى عن ابن مسعود قال : مستقرها فى الرحم . وهكذا أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٨٩٥ - تفسير) - ومن طريقه الطبرانى (٩٠١٧) - عن ابن عيينة به بلفظ : مستودعها فى الدنيا ومستقرها فى الرحم . وتقدم فى ص ٤٣٣، وسيأتى فى ١٢/ ٣٢٥.

(٢) سيأتى تخريجه فى الصفحة القادمة .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/ ١٣٥٥، ١٣٥٧ (٧٦٨٣، ٧٦٩٢) ، ٦/ ٢٠٠٢، ٢٠٠٣ من طريق عكرمة به بنحوه .

(٤) فى م ، ت ٢، ت ٣: « الجابرى » .

(٥) ينظر : التبيان ٤/ ٢١٤.

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا جريرٌ ، عن مغيرةَ ، عن أبى [(١] الجبرِ بنِ [١)] تميمٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ : سَلْ . فقلتُ : مستقرٌّ ومستودعٌ ؟ قال : المستقرُّ فى الرحمِ ، والمستودَعُ ما اسْتُودِع فى الصلبِ .

حدَّثنا أبو كُريبٍ وأبو السائبِ ، قالا : ثنا ابنُ إدريسَ ، عن قابُوسَ ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ . قال : المستقرُّ الرحمُ ، والمستودَعُ ما كان عندَ ربِّ العالمين ، مما هو خالقُه ولم يُخْلَقْ .

حدَّثنى يعقوبُ ، قال : ثنا هُشَيْمٌ ، قال : أخبَرنا أبو بشرٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ . قال : المستقرُّ ما كان فى الرحمِ مما هو حيٌّ ، ومما قد مات ، والمستودَعُ ما فى الصُّلْبِ [(٢)] .

حدَّثنى يعقوبُ ، قال : ثنا هُشَيْمٌ ، قال : أخْبَرنا أبو بشرٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، قال : قال لى ابنُ عباسٍ ، وذلك قبلَ أن يَخْرُجَ وجهى [(٣)] : أتزَوَّجْتَ يا بنَ جبيرٍ ؟ قال : قلتُ : لا ، وما أُرِيدُ ذاك يومى هذا . قال : فقال : أمَا إنه مع ذلك سيَخْرُجُ ما كان فى صلبِك مِن المستودَعين [(٤)] .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، قال : حدَّثنا شعبةُ ، عن أبى بشرٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ،/ قال : قال لى ابنُ عباسٍ : تزَوَّجْتَ ؟ قلتُ : لا . قال : فضرَب ظهرى ، وقال : ما كان مِن مُسْتَوْدَعٍ فى ظهرِك سيَخْرُجُ . ٢٨٩/٧

(١ - ١) فى النسخ : « الخير » . وينظر ص ٤٣٥.

(٢) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٨٩٢ - تفسير) ، والحاكم ٣١٦/٢ من طريق هشيم به .

(٣) قال الشيخ شاكر : يعنى : قبل أن تنبت لحيته ، وهذا تعبير عزيز لا تجد تفسيره فى كتب اللغة والمجاز .

(٤) أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه (١٢٥٨١) عن هشيم به ، وأخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٤٩٥) ، (٨٩٣ - تفسير) من طريق أبى بشر به بنحوه .

حدَّثني محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ . قال : المستقَرُّ فى الأرحامِ ، والمستودَعُ فى الصلبِ ، لم يُخْلَقْ وهو خالقُه .

حدَّثني المثنَّى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ . قال : المستقَرُّ فى الرحمِ ، والمستودَعُ ما اسْتُودِع فى أصلابِ الرجالِ والدَّوابِّ[1] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا جريرٌ ، عن ليثٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : المستقَرُّ ما اسْتَقَرَّ فى الرحمِ ، والمستودَعُ ما اسْتُودِع فى الصلبِ .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا جريرٌ ، عن مغيرةَ ، عن أبى الجبرِ بنِ تميمٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ بنحوِه .

حدَّثنا هنادٌ ، قال : ثنا عَبِيدةُ بنُ حميدٍ ، عن عمارٍ الدُّهْنىِّ[2] ، عن رجلٍ ، عن كُريبٍ ، قال : دعانى ابنُ عباسٍ ، فقال : اكْتُبْ : بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، مِن عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ ، إلى فلانٍ حَبْرِ تَيْماءَ ، سلامٌ عليك ، فإنى أَحْمَدُ إليك اللَّهَ الذى لا إلهَ إلا هو ، أما بعدُ . قال : فقلتُ : تَبْدَؤُه تقولُ : السلامُ عليك ؟ فقال : إن اللَّهَ هو السلامُ . ثم قال : اكْتُبْ : سلامٌ عليك ، أما بعدُ ، فحدِّثْنى عن مستقَرٍّ ومستودَعٍ . قال : ثم بعَثَنى بالكتابِ إلى اليهودىِّ ، فأعْطَيْتُه إياه . فلمَّا نظَر إليه قال : مرحبًا بكتابِ خليلى مِن المسلمين . فذهَب بى إلى بيتِه ، ففتَح أَسْفاطًا[3] له كبيرةً ، فجعَل يَطْرَحُ تلك الأشياءَ لا يَلْتَفِتُ إليها ، قال : قلتُ : ما شأنُك ؟ قال : هذه أشياءُ كتَبَها اليهودُ . حتى أخرَج سِفرَ

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٣٥٧ (٧٦٩٣) من طريق عبد الله بن صالح به .

(٢) فى ص : « الزهنى » وفى ت١، ف : « الذهى » . وينظر تهذيب الكمال ٢١/ ٢٠٨.

(٣) الأسفاط جمع سفط ، بفتحتين . الذى يُعبَّى فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء . تاج العروس (س ف ط) .

موسى عليه السلامُ ، قال : فنظَر إليه مرتين ، فقال : المستقَرُّ الرحمُ . قال : ثم قرَأ : ﴿ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ ﴾ [الحج: ٥]. وقرَأ : ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ ﴾ [البقرة: ٣٦]. قال : مستقَرُّه فوقَ الأرضِ ، ومستقَرُّه فى الرحمِ ، ومستقرُّه تحتَ الأرضِ ، حتى يَصيرَ إلى الجنةِ أو إلى النارِ[1] .

حدَّثنا هنادٌ ، قال : ثنا قَبيصةُ ، عن سفيانَ ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن عطاءٍ : ﴿ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ . قال : المستقَرُّ ما اسْتَقَرَّ فى أرحامِ النساءِ ، والمستودَعُ ما اسْتُودِع فى أصلابِ الرجالِ[2] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا عُبيدُ اللَّهِ ، عن سفيانَ ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن عطاءٍ ، قال : المستقَرُّ الرحمُ ، والمستودَعُ فى أصلابِ الرجالِ .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا رَوْحُ بنُ عُبادةَ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن عطاءٍ ، وعن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : المستقرُّ الرحمُ ، والمستودَعُ فى الأصلابِ .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ فَمُسْتَقَرٌّ ﴾ : ما اسْتَقَرَّ فى أرحامِ النساءِ ، ﴿ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ : ما كان فى أصلابِ الرجالِ[3] .

/**حدَّثنى** المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ بنحوِه . ٢٩٠/٧

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٨٩٨ - تفسير) عن عبيدة به - واسم الرجل عنده : حماد المديني - وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٦١/٣ (٤١٥٧) من طريق عمار ، مختصرا - واسم الرجل عنده : حميد .

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٥٥/٤ ، ١٣٥٧ عقب الأثر (٧٦٨٣ ، ٧٦٩٣) ، ٢٠٠٢/٦ معلقا .

(٣) تفسير مجاهد ص ٣٢٦ .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ وابنُ وَكيعٍ ، قالا : ثنا جريرٌ ، عن ليثٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : المستقَرُّ ما استقَرَّ في الرحمِ ، والمستودَعُ ما اسْتُودِع في الصلبِ .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ يمانٍ ، عن سفيانَ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : المستقَرُّ الرحمُ ، والمستودَعُ الصلبُ .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا مُعاذُ بنُ مُعاذٍ ، عن ابنِ عَوْنٍ ، قال : أتَيْنا إبراهيمَ عندَ المساءِ ، فأخْبَرونا أنه قد مات ، فقلنا : هل سأَله أحدٌ عن شيءٍ ؟ قالوا : عبدُ الرحمنِ ابنُ الأسودِ ، عن [١/٧٨٠و] المستقَرِّ والمستودَعِ . فقال : المستقَرُّ في الرحمِ ، والمستودَعُ في الصلبِ .

حدَّثنا حميدُ بنُ مَسْعَدَةَ ، قال : ثنا بشرُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا ابنُ عونٍ ، قال : أتَيْنا إبراهيمَ وقد مات ، قال : فحدَّثني بعضُهم أن عبدَ الرحمنِ بنَ الأسودِ سأَله قبلَ أن يَموتَ عن المستقَرِّ والمستودَعِ ، فقال : المستقَرُّ في الرحمِ ، والمستودَعُ في الصلبِ .

حدَّثني يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا ابنُ عُليةَ ، عن ابنِ عونٍ ، قال : أتَيْنا منزلَ إبراهيمَ ، فسأَلْنا عنه ، فقالوا : قد تُوُفِّي ، وسأَله عبدُ الرحمنِ بنُ الأسودِ . فذكَر نحوَه .

حدَّثني به يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا ابنُ عُليةَ ، عن ابنِ عونٍ ، أنه بلَغه أن عبدَ الرحمنِ بنَ الأسودِ سأَل إبراهيمَ عن ذلك . فذكَر نحوَه .

حدَّثنا عُبيدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ الفِرْيابيُّ ، قال : ثنا ضَمْرةُ بنُ ربيعةَ ، عن العَلاءِ بنِ هارونَ ، قال : انْتَهَيْتُ إلى منزلِ إبراهيمَ حين قُبِض ، فقلتُ لهم : هل سأَله أحدٌ عن شيءٍ ؟ قالوا : سأَله عبدُ الرحمنِ بنُ الأسودِ عن مستقَرٍّ ومستودَعٍ ، فقال : أمّا المستقَرُّ فما استقَرَّ في أرحامِ النساءِ ، والمستودَعُ ما في أصلابِ الرجالِ .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ وأبو السائبِ ، قالا : ثنا ابنُ إدريسَ ، عن ليثٍ ، عن مجاهدٍ في : ﴿ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ . قال : المستقرُّ الرحمُ ، والمستودعُ الصلبُ .

حدَّثني يونُسُ ، قال : ثني سفيانُ ، عن رجلٍ حدَّثه عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، قال : قال لى ابنُ عباسٍ : ألا تنكِحُ ؟ ثم قال : أمَا إنى أقولُ لك هذا ، وإنى لأَعْلَمُ أن اللَّهَ مُخرِجٌ مِن صلبِك ما كان فيه [(١)]من مُسْتَودَعٍ[(١)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ ، قال : المستقَرُّ فى الرحمِ ، والمستودَعُ فى الصلبِ[(٢)] .

حدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ . قال : مستقَرٌّ فى الرحمِ ، ومستودَعٌ فى الصلبِ .

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ : ﴿ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ . قال : مستقَرٌّ فى الرحمِ ، ومستودَعٌ فى الصلبِ[(٣)] .

/حُدِّثْتُ عن الحسينِ بنِ الفرجِ ، قال : سمِعْتُ أبا مُعاذٍ يقولُ : ثنا عُبيدُ بنُ سليمانَ ، عن الضحاكِ : ﴿ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ : أمَّا مستقَرٌّ ، فما استقَرَّ فى الرحمِ ، وأما مستودَعٌ ، فما استُودِع فى الصلبِ[(٤)] . ٢٩١/٧

(١ - ١) فى م، ت ١: « مستودعا » وفى ت٢، س، ف : « مستودع » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/ ١٣٥٥، ١٣٥٧ عقب الأثرين (٧٦٨٣، ٧٦٩٣) ، ٦/ ٢٠٠٢، ٢٠٠٣ من طريق عمرو بن حماد ، عن أسباط به .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/ ٢١٤.

(٤) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/ ١٣٥٥، ١٣٥٧ عقب الأثرين (٧٦٨٣، ٧٦٩٣) ، ٢٠٠٢/٦، ٢٠٠٣ معلقا .

حدَّثني يونُسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِه : ﴿ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ . قال : مستقرٌّ في الأرحامِ ، ومستودَعٌ في الأصلابِ[(١)] .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا الحجاجُ بنُ المِنْهالِ ، قال : ثنا حمادٌ ، عن عطاءِ بنِ السائبِ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، وأبي حمزةَ ، عن إبراهيمَ ، قالا : مستقَرٌّ ومستودَعٌ ؛ المستقَرُّ في الرحمِ ، والمستودَعُ في الصلبِ .

وقال آخرون : المستقَرُّ في القبرِ ، والمستودَعُ في الدنيا .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، قال : كان الحسنُ يقولُ : مستقَرٌّ في القبرِ ، ومستودَعٌ في الدنيا ، وأَوْشَك أن يَلْحَقَ بصاحبِه[(٢)] .

وأولى التأويلاتِ في ذلك بالصوابِ أن يقالَ : إن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه عمَّ بقولِه : ﴿ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ . كلَّ خلقِه الذى أنْشأ مِن نفسٍ واحدةٍ مستقَرًّا ومستودَعًا ، ولم يَخْصُصْ مِن ذلك معنًى دون معنًى ، ولا شكَّ أن مِن بنى آدمَ مستقَرًّا في الرحمِ ، ومستودَعًا في الصلبِ ، ومنهم مَن هو مستقَرٌّ على ظهرِ الأرضِ أو بطنِها ، ومستودَعٌ في أصلابِ الرجالِ ، ومنهم مستقَرٌّ في القبرِ ، مستودَعٌ على ظهرِ الأرضِ ، فكلٌّ مستقَرٌّ أو مستودَعٍ بمعنًى مِن هذه المعاني ، فداخلٌ في عمومِ قولِه : ﴿ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ . ومرادٌ به ، إلا أن يأْتىَ خبرٌ يَجِبُ التسليمُ له بأنه معنيٌّ به معنًى دونَ معنًى ، وخاصٌّ دونَ عامٍّ .

---

(١) ينظر التبيان ٤/ ٢١٤.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/١٣٥٦، ١٣٥٧ (٧٦٨٩، ٧٦٩٦) من طريق منصور عن الحسن بمعناه . وذكره البغوى في تفسيره ١٧٢/٣ عن الحسن بلفظه .

واختلَفت القرأةُ فى قراءةِ قولِه : ﴿ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ ؛ فقرأَت ذلك عامةُ قرأةِ أهلِ المدينةِ والكوفةِ : ﴿ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾[1] بمعنى : فمنهم مَن استقَرَّه اللَّهُ فى مقَرِّه[2] فهو مستقَرٌّ ، ومنهم مَن اسْتَوْدَعه اللَّهُ فيما اسْتَوْدَعه فيه فهو مستودَعٌ فيه .

وقرَأ ذلك بعضُ أهلِ المدينةِ وبعضُ أهلِ البصرةِ : (فمستقِرٌّ) بكسرِ القافِ[3] ، بمعنى : فمنهم مَن اسْتَقَرَّ فى مقَرِّه ، فهو مستقِرٌّ فيه[4] .

وأولى القراءتين بالصوابِ عندى - وإن كان لكِلَيْهما عندى وجهٌ صحيحٌ - ﴿ فَمُسْتَقَرٌّ ﴾ بمعنى : اسْتَقَرَّه اللَّهُ فى مستقَرِّه ؛ ليأْتَلِفَ المعنى فيه وفى « المستودَعِ » ، فى أن كلَّ واحدٍ منهما لم يُسَمَّ فاعلُه ، وفى إضافةِ الخبرِ بذلك إلى اللَّهِ فى أنه المستقِرُّ هذا والمستودِعُ هذا . وذلك أن الجميعَ مُجْمِعون على قراءةِ قولِه : ﴿ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ . بفتحِ الدالِ على وجهِ ما لم يُسَمَّ فاعلُه ، فإجْراءُ الأولِ - أعنِى قولَه : ﴿ فَمُسْتَقَرٌّ ﴾ - عليه ، أشبهُ مِن عُدُولِه عنه .

وأما قولُه : ﴿ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ . يقولُ تعالى : قد بيَّنا [١/٧٨٠ظ] الحُجَجَ ، وميَّزْنا الأدلةَ والأعلامَ ، وأحْكَمْناها لقومٍ يَفْقَهون مواقعَ الحججِ ، ومواضعَ العِبَرِ ، ويَفْهَمون الآياتِ والذكرَ ، فإنهم إذا اعْتَبَروا بما نبَّهتُهم عليه مِن إنشائى مِن نفسٍ واحدةٍ ما عايَنوا مِن البشرِ ، وخلْقِى ما خلَقْتُ منها ، مِن عجائبِ الألوانِ والصورِ - علِموا أن ذلك [5]مِن فعلِ مَن ليس[5] له مِثْلٌ ولا شَرِيكٌ ، فيُشْرِكوه فى عبادتِهم إياه .

---

(١) وهى قراءة نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى وأبى جعفر وخلف ورويس . النشر ١٩٦/٢ .

(٢) فى ت١، س، ف : « مقبره » .

(٣) وهى قراءة : ابن كثير وأبى عمرو وروح . النشر ٢/ ١٩٦.

(٤) فى م : « به » .

(٥ - ٥) فى ص، ف : « ليس من فعل من » .

٢٩٢/٧ /كما حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ . يقولُ : قد بيَّنا الآياتِ لقومٍ يفقَهون[1] .

القولُ في تأويلِ قولِه : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : واللَّهُ الذى له العبادةُ خالصةً ، لا شريكَ[2] فيها لشيءٍ سواه ، هو الإلهُ الذى أنْزَل مِن السماءِ ماءً ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ فأخْرَجْنا بالماءِ الذى أنْزَلْناه مِن السماءِ مِن غِذاءِ الأنعامِ والبَهائمِ والطيرِ والوحشِ ، وأرزاقِ بنى آدمَ وأقواتِهم ، ما يَتغذَّوْن به ويأْكُلونه ، فيَنْبُتون عليه ويَنْمُون . وإنما معنى قولِه : ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ : فأخْرَجْنا به ما يَنْبُتُ به كلُّ شيءٍ ويَنْمُو عليه ويَصْلُحُ .

ولو قيل معناه : فأخْرَجْنا به نباتَ جميعِ أنواعِ النباتِ . فيكونُ ﴿ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ هو أصنافَ النباتِ . كان مذهبًا ، وإن كان الوجهُ الصحيحُ هو القولَ الأولَ .

وقولُه : ﴿ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا ﴾ . يقولُ : ﴿ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ ﴾ . يعنى : مِن الماءِ الذى أنْزَلْناه مِن السماءِ ، ﴿ خَضِرًا ﴾ رَطْبًا مِن الزرعِ .

والخَضِرُ هو الأخضرُ ، كقولِ العربِ : أرِنيها نَمِرةً أُرِكْها مَطِرَةً[3] . يقالُ : خضِرَت الأرضُ خَضِرًا وخَضارةً . والخَضِرُ رطْبُ البُقولِ ، ويقالُ : نخلةٌ

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٥٨/٤ (٧٦٩٩) من طريق يزيد به .

(٢) فى م : « شركة » .

(٣) مثل ، نسبه صاحب اللسان فى (ن م ر) إلى أبى ذؤيب ولم ينسبه فى (خ ض ر) ، ولا الميدانى فى مجمع الأمثال ٢/ ٣٧. والنمرة : السحاب على لون النمر . يُضرب مثلا أنك إذا رأيت دليل الشيء علمت ما يتبعه .

خَضِيرةٌ[1] . إذا كانت تَرْمِى بِبُسْرِها أَخْضَرَ قبلَ أن يَنْضَجَ . وقد اختُضِر الرجلُ واغْتُضِر : إذا مات شابًّا مُصَحَّحًا . ويقالُ : هو لك خَضِرًا مَضِرًا . أى : هنيئًا مَريئًا .

قولُه : ﴿ نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا ﴾ . يقولُ : نُخرِجُ مِن الخَضِرِ حبًّا . يعنى : ما فى السُّنْبُلِ ؛ سُنْبُلِ الحِنْطةِ والشَّعيرِ والأُرْزِ ، وما أَشْبَهَ ذلك مِن السَّنابلِ التى حَبُّها يَرْكَبُ بعضُه بعضًا .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال جماعةُ أهلِ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ مفضلٍ ، قال : ثنا أَسْباطُ ، عن السدىِّ قولَه : ﴿ مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا ﴾ : فهذا السُّنْبُلُ[2] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : ومِن النخلِ مِن طَلْعِها قِنْوانُه[3] دانيةٌ . ولذلك رُفِعت القِنْوانُ .

والقِنْوانُ جمعُ قِنْوٍ ، كما الصِّنْوانُ جمعُ صِنْوٍ ، وهو العِذْقُ[4] . يقالُ للواحدِ : هو قِنْوٌ وقُنْوٌ وقَنًا ، يُثَنَّى قِنْوانِ ، ويُجْمَعُ قِنْوانٌ /وقُنْوانٌ . قالوا : فى جمعِ قليلِه : ثلاثةُ أَقْناءٍ . والقِنْوانُ مِن لغةِ الحجازِ . والقُنْوانُ مِن لغةِ قيسٍ . وقال امرُؤُ القيسِ[5] : ٢٩٣/٧

---

(١) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س، ف : « خضرة » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٥٨/٤ (٧٧٠٣) من طريق أحمد بن المفضل به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٦/٣ إلى أبى الشيخ .

(٣) فى النسخ : « قنوان » . والمثبت من معانى القرآن للفراء ١/ ٣٤٧.

(٤) العِذْق : هو بمنزلة العنقود من الكرم . المخصص ١٠٧/١١ .

(٥) ديوانه ص٥٧، وروايته :

فأَثَّتْ[(١)] أَعالِيه وآدَتْ أُصولُه[(٢)] ومالَ بقِنْوانٍ مِن البُسْرِ أحْمَرَا

وقِنْيان ، جميعًا .

وقال آخَرُ[(٣)] :

لها ذَنَبٌ كالقِنْوِ قد مَذِلَت به وأَسْمَحَ[(٤)] للتَّخْطارِ[(٥)] بعدَ التَّشَذُّرِ

وتَميمٌ تَقولُ : قُنْيانٌ . بالياءِ .

ويعنى بقولِه : ﴿ دانيةٌ ﴾ . قريبةٌ مُتَهَدِّلةٌ .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن عليِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ ﴾ : يعنى بالقِنْوانِ الدانيةِ : قِصارُ النخلِ ، لاصقةٌ عُذوقُها[(٦)] بالأرضِ[(٧)] .

= سوامق جبّار أثيث فروعه وعالين قنوانا من البسر أحمرا

وأورده فى اللسان (أ ى د) كما ذكره المصنف ، وفيه : بقنيان ، كالرواية الأخرى .

(١) أث النبات يئث أثاثة : كثر والتفّ ، وهو أثيث ، ويوصف به الشعر الكثير ، والنبات الملتف . اللسان (أ ث ث) .

(٢) آدت أصوله : قويت . اللسان (أ ى د) .

(٣) النوادر لأبى زيد ص ١٨٢ ، ولم ينسبه ، وقال : التشذر إذا لَقِحت الناقة عقدت ذنَبها ونصبته على عَجُزها من التخيل ، فذاك التشذر ، والمَذَلُ ألا تحرك ذنبها .

(٤) فى النسخ : « أسحم » . والمثبت من النوادر ، وأسمحت الدابة بعد استصعاب : لانت وانقادت. اللسان (س م ح) .

(٥) خطر الفحل بذنبه : رفعه مرة بعد مرة ، وضرب به حاذيه ، وهما ما ظهر من فخذيه حيث يقع شعر الذنب ، وقيل : ضرب يمينًا وشمالا . اللسان (خ ط ر) .

(٦) فى ت١، ت٢، ت٣، س، ف : « عروقها » .

(٧) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س، ف : « بالنخل » .

=

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ ﴾ . قال عُذُوقٌ مُتَهَدِّلَةٌ .

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ : ﴿ قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ ﴾ . يقولُ : مُتَهدِّلةٌ[1] .

حدَّثنا هنادٌ ، قال : ثنا وكيعٌ ، وحدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن سفيانَ ، عن أبى إسحاقَ ، عن البراءِ فى قولِه : ﴿ قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ ﴾ . قال : قريبةٌ[2] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا الثوريُّ ، عن أبى إسحاقَ ، عن البراءِ بنِ عازبٍ : ﴿ قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ ﴾ . قال : قريبةٌ[3] .

/حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ ﴾ . قال : الدانيةُ لتهَدُّلِ العُذوقِ[4] مِن الطَّلْعِ[5] . ٢٩٤/٧

حُدِّثْتُ عن الحسينِ بنِ الفرجِ ، قال : سمِعْتُ أبا معاذٍ ، قال : ثنا عُبيدُ بنُ سليمانَ ، قال : سمِعْتُ الضحاكَ يقولُ فى قولِه : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ

= والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٥٩/٤ (٧٧٠٥) من طريق أبى صالح به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٦/٣ إلى ابن المنذر .

(١) تفسير عبد الرزاق ٢١٥/١ - ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٥٩/٤ (٧٧١٢) - عن معمر به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٦/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبى الشيخ .

(٢) تفسير سفيان ص ١٠٩، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٥٩/٤ (٧٧٠٩) ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٦/٣ إلى الفريابى وعبد بن حميد وابن المنذر وأبى الشيخ .

(٣) تفسير عبد الرزاق ٢١٥/١.

(٤) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س، ف : « العروق » .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٥٩/٤ (٧٧١١) عن محمد بن سعد به .

دَانِيَةٌ ﴾: يعنى النخلَ القِصارَ المُلْتَزِقةَ بالأرضِ، والقِنْوانُ طَلْعُه[1].

القولُ فى تأويلِ قولِه: ﴿ وَجَنَّتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ ﴾.

يقولُ تعالى ذكرُه: وأخْرَجْنا أيضًا جناتٍ مِن أعنابٍ. يعنى: بَساتينَ مِن أعنابٍ.

واختَلَفت القَرَأةُ فى قراءةِ ذلك؛ فقرَأه عامةُ القرَأةِ: [١/٧٨١و] ﴿ وَجَنَّتٍ ﴾ نصبًا، غيرَ أن التاءَ كُسِرَت لأنها تاءُ جمعِ المؤنثِ، وهى تُخْفَضُ فى موضعِ النصبِ.

وقد حدَّثنى الحارثُ، قال: ثنا القاسمُ بنُ سلَّامٍ، عن الكِسائىِّ، قال: أخْبَرنا حمزةُ، عن الأعمشِ أنه قرَأ: (وجَناتٌ مِن أعنابٍ) بالرفعِ[2].

فرفَع (جناتٌ) على إتْباعِها القِنْوانَ فى الإعرابِ وإن لم تَكُنْ مِن جنسِها، كما قال الشاعرُ[3]:

ورأيْتِ زوجَكِ فى الوَغَى ... مُتَقَلِّدًا سيفًا ورُمْحا

والقراءةُ التى لا أَستَجِيزُ أن يُقْرَأَ ذلك إلا بها، النصبُ: ﴿ وَجَنَّتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ ﴾. لإجماعِ الحُجَّةِ مِن القَرَأةِ على تصويبِها والقراءةِ بها، ورفضِهم ما

---

(١) أخرج شطره الأول أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٣٥٨ (٧٧٠٤) من طريق أبى معاذ به. وأخرج آخره فى ٤/ ١٣٥٩ (٧٧٠٨) من طريق على بن الحكم، عن الضحاك.

(٢) وقرأ بها أيضا محمد بن أبى ليلى والأعمش وأبو بكر فى رواية عنه عن عاصم، وهى شاذة. البحر المحيط ٤/١٩٠.

(٣) تقدم تخريجه فى ١/ ١٤٠.

عداها ، وبُعْدِ معنى ذلك مِن الصوابِ إذا قُرِئَ رفعًا[١] .

وقولُه : ﴿ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ ﴾ . عطفٌ بالزيتونِ على الجناتِ ، بمعنى : وأخرَجنا الزيتونَ والرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وغيرَ مُتَشابِهٍ .

وكان قتادةُ يقولُ فى معنى : ﴿ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ﴾ ما حدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ﴾ . قال[٢] : مُشْتَبِهًا ورَقُه ، مُخْتَلِفًا ثمرُه[٣] .

وجائزٌ أن يَكونَ مُرادًا به : مُشْتَبِهًا فى الخلْقِ ، مُخْتَلِفًا فى الطعمِ .

ومعنى الكلامِ : وشجرَ الزيتونِ والرُّمَّانِ . فاكْتُفِى مِن ذكرِ الشجرِ بذكرِ ثمرِه ، كما قيل : ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف : ٨٢] . فاكْتُفِى بذكرِ القريةِ مِن ذكرِ أهلِها ؛ لمعرفةِ المخاطَبِين بذلك بمعناه .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ﴾ .

اخْتَلَفَت القَرأةُ فى قراءةِ ذلك ؛ فقرَأَته عامةُ قرأةِ أهلِ المدينةِ وبعضُ أهلِ البصرةِ : ﴿ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ ﴾ . بفتحِ الثاءِ والميمِ[٤] .

وقرَأه بعضُ قرأةِ أهلِ مكةَ وعامةُ قرأةِ الكوفيين : (إلى ثُمُرِه) بضمِّ الثاءِ والميمِ[٥] .

---

(١) قال أبو حيان فى البحر المحيط ١٩٠/٤ : ولا يجوز إنكار هذه القراءة ولها التوجيه الجيد فى العربية . ثم ذكر توجيههم لقراءة الرفع . وينظر تفسير القرطبى ٤٩/٧ ، وينظر أيضا كلام المصنف على الآية ٢٢ من سورة الواقعة فى موضعه من التفسير .

(٢) فى ص : « يقول » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٥٩/٤ (٧٧١٣) من طريق خالد بن قيس ، عن قتادة ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٦/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبى الشيخ .

(٤) وهى قراءة ابن كثير ونافع وأبى عمرو وعاصم وابن عامر ، السبعة لابن مجاهد ص ٢٦٤ .

(٥) وهى قراءة حمزة والكسائى . المصدر السابق .

فكأن مَن فتح الثاءَ والميمَ مِن ذلك وجَّه معنى الكلامِ: انظُروا إلى ثَمَرِ[1] هذه الأشجارِ التى سمَّيْنا مِن النخلِ والأعْنابِ والزيتونِ والرُّمَّانِ إذا أثْمَر، وأن الثَّمَرَ[2] جمعُ ثَمَرةٍ، كما القَصَبُ جمعُ قَصَبةٍ، والخَشَبُ جمعُ خَشَبَةٍ.

وكأن مَن ضمَّ الثاءَ والميمَ وجَّه ذلك إلى أنه جمعُ ثِمارٍ، كما [3]الحُمُرُ جمعُ حِمارٍ[3]، والجُرُبُ جمعُ جِرابٍ.

٢٩٥/٧ / وقد حدَّثنى المثنى، قال: ثنا إسحاقُ، قال: ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ أبى حمادٍ، عن ابنِ إدريسَ، عن الأعمشِ، عن يحيى بنِ وَثَّابٍ أنه كان يَقْرَأُ: (إلى ثُمُرِه). يقولُ: هو أصنافُ المالِ.

حدَّثنى المثنى، قال: ثنا إسحاقُ، قال: ثنا ابنُ أبى حمادٍ، قال: ثنا محمدُ بنُ عُبَيدِ اللَّهِ، عن قيسِ بنِ سعدٍ، عن مُجاهدٍ، قال: الثُّمُرُ هو المالُ، والثَّمَرُ ثَمَرُ النخلِ.

وأولى القراءتين فى ذلك عندى بالصوابِ[4] قراءةُ مَن قرَأ: (انظُروا إلى ثُمُرِه). بضمِّ الثاءِ والميمِ؛ لأن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه وصَف أصنافًا مِن المالِ، كما قال يحيى بنُ وَثَّابٍ، وكذلك حَبُّ الزَّرْعِ المُتَراكِبُ، وقِنْوانُ النخلِ الدانيةُ، والجناتُ مِن الأعْنابِ، والزيتونُ والرُّمَّانُ، فكان ذلك أنواعًا مِن الثَّمَرِ، فجُمِعَت الثَّمَرةُ ثَمَرًا، ثم جُمِع الثَّمَرُ ثِمارًا، ثم جُمِع ذلك فقيل: (انظُروا إلى ثُمُرِه). فكان ذلك جمعَ الثِّمارِ، والثِّمارُ جمعُ الثَّمَرةِ، وإثْمارُه عقدُ الثَّمَرِ.

وأما قولُه: ﴿وَيَنْعِهِۦٓ﴾. فإنه نُضْجُه وبلوغُه حينَ يَبْلُغُ.

وكان بعضُ أهلِ العلمِ بكلامِ العربِ مِن أهلِ البصرةِ[5] يقولُ فى:

---

(١) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س، ف: «ثمرة».
(٢) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، ف: «الثمرة».
(٣ - ٣) فى ف: «الخمر جمع خمار».
(٤) القراءتان كلتاهما صواب.
(٥) هو أبو عبيدة فى مجاز القرآن ١/ ٢٠٢.

﴿ يَنْعِهِۦٓ ﴾. إذا فُتِحَت ياؤُه : هو جمعُ يانعٍ ، كما التَّجْرُ جمعُ تاجرٍ ، و الصَّحْبُ جمعُ صاحبٍ .

وكان بعضُ أهلِ الكوفةِ يُنْكِرُ ذلك ، ويَرَى أنه مصدرٌ مِن قولِهم : يَنَع الثمرُ فهو يَيْنَعُ يَنْعًا . ويَحْكى فى مصدرِه عن العربِ لغاتٍ ثلاثًا ؛ يَنْعٌ ، ويُنْعٌ ، ويَنَعٌ[1] ، وكذلك فى النُّضجِ : النُّضْجُ والنَّضْجُ .

وأما فى قراءةِ مَن قرَأ ذلك : (ويانِعِه)[2] . فإنه يعنى به : وناضِجِه وبالغِه .

وقد يَجوزُ فى مصدرِه : يُنوعًا ، ومسموعٌ من العربِ : أيْنَعَت الثمرةُ تُونِعُ إيناعًا . ومِن لغةِ الذين قالوا : يَنَع . قولُ الشاعرِ[3] :

فى قِبابٍ عندَ دَسْكَرةٍ[4] حولَها الزيتونُ قد يَنَعا

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَيَنْعِهِۦٓ ﴾ . يعنى : إذا نضِج[5] .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن

---

(١) فى م : « ينوع » .

(٢) وهى قراءة ابن السميقع وابن أبى عبلة . تفسير القرطبى ٧/ ٥٠، والبحر المحيط ٤/ ١٩١. واختلف فى قراءة ابن محيصن فقيل كما هنا ، وقيل : بضم الياء وسكون النون . ينظر مختصر ابن خالويه ص ٤٥ ، وإتحاف فضلاء البشر ص١٢٩ ، والقراءة شاذة .

(٣) اختلف فى نسبة البيت فقيل : ليزيد بن معاوية ، وقيل : لأبى دهبل . وقيل : للأحوص ، وقيل غير ذلك . ينظر الكامل ١/ ٣٨٤، واللسان (د س ك ر، ى ن ع) ، والخزانة ٧/ ٣١٢، وديوان الأحوص ص٢٢٢ وحاشيته .

(٤) الدسكرة : بناء كالقصر، حوله بيوت للأعاجم ، يكون فيها الشراب والملاهى . اللسان (د س ك ر) .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/ ٣٦ إلى المصنف وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبى الشيخ ، وذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/ ١٣٦٠ عقب الأثر (٧٧١٥) معلقا .

أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓ ﴾ . قال : يَنْعِه نُضْجِه .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓ ﴾ أى : نُضْجِه .

٢٩٦/٧ /حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا معمرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ وَيَنۡعِهِۦٓ ﴾ . قال : نُضْجِه[1] .

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السدىِّ : ﴿ وَيَنۡعِهِۦٓ ﴾ . يقولُ : ونُضْجِه[2] .

حُدِّثْتُ عن الحسينِ بنِ الفرجِ ، قال : سمِعْتُ أبا مُعاذٍ ، قال : ثنا عُبيدُ بنُ سليمانَ ، قال : سمِعْتُ الضحاكَ يقولُ فى قولِه : ﴿ وَيَنۡعِهِۦٓ ﴾ . قال : يعنى: نُضْجِه[3] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ : ﴿ وَيَنۡعِهِۦٓ ﴾ . قال : نُضْجِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۝٩٩ ﴾ .

يقولُ [١/٧٨١ظ] تعالى ذكرُه : إن فى إنزالِ اللَّهِ تعالى مِن السماءِ الماءَ الذى أخرَج به نباتَ كلِّ شيءٍ ، والخَضِرِ الذى أخرَج منه الحبَّ المُتَراكِبَ ، وسائرِ ما عَدَّد فى هذه الآيةِ مِن صُنوفِ خَلْقِه ، ﴿ لَأٓيَٰتٖ ﴾ . يقولُ : فى ذلكم أيُّها الناسُ ، إذا أنتم

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ٢١٥.

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٦٠/٤ عقب الأثر (٧٧١٥) من طريق عمرو بن حماد عن أسباط به .

(٣) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٦٠/٤ عقب الأثر (٧٧١٥) معلقا .

نظرْتُم إلى ثمرِه عندَ عقدِ ثمرِه[(١)] ، وعندَ يَنْعِه وانتهائِه ، فرأيْتُم اختلافَ أحوالِه ، وتصرفَه فى زيادتِه ونموِّه ، علِمْتُم أن له مدبِّرًا ليس كمثلِه شىءٌ ، ولا تَصْلُحُ العبادةُ إلا له ، دونَ الآلهةِ والأندادِ ، وكان فيه حُجَجٌ وبرهانٌ وبيانٌ، ﴿ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ . يقولُ : لقومٍ يُصَدِّقون بوَحْدانيةِ اللَّهِ وقدرتِه على ما يَشاءُ .

وخصَّ بذلك تعالى ذكرُه القومَ الذين يُؤْمِنون ؛ لأنهم هم المنتفِعون بحُججِ اللَّهِ والمُعْتبِرون بها ، دونَ مَن قد طَبَع اللَّهُ على قلبِه ، فلا يَعْرِفُ حقًّا مِن باطلٍ ، ولا يَتَبَيَّنُ هُدًى مِن ضَلالةٍ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ .

يعنى بذلك جلَّ ثناؤُه : وجعَل هؤلاء العادِلون بربِّهم الآلهةَ والأندادَ للَّهِ شركاءَ الجنَّ . كما قال جل ثناؤُه : ﴿ وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ﴾ [الصافات : ١٥٨] .

وفى ﴿ ٱلْجِنَّ ﴾ وجهان مِن النصبِ ؛ أحدُهما : أن يكونَ تفسيرًا للشركاءِ[(٢)] . والآخرُ : أن يكونَ معنى الكلامِ : وجعَلوا للَّهِ الجنَّ شركاءَ وهو خالقُهم .

واختلَفوا فى قراءةِ قولِه : ﴿ وَخَلَقَهُمْ ﴾ ؛ فقرَأَته قرأةُ الأمصارِ : ﴿ وَخَلَقَهُمْ ﴾ . على معنى أن اللَّهَ خلقَهم مُنْفرِدًا بخلقِه إياهم .

وذُكِر عن يحيى بنِ يَعْمَرَ ما حدَّثنى به أحمدُ بنُ يوسُفَ ، قال : ثنا القاسمُ بنُ سَلَّامٍ ، قال : ثنا حَجَّاجٌ ، عن هارونَ ، عن واصلٍ مولى أبى عُيَيْنةَ ، عن يحيى بنِ عَقيلٍ ، عن يحيى بنِ يَعْمَرَ أنه قال : (شُرَكاءَ الجنِّ وخَلْقَهم) . بجزمِ اللامِ[(٣)] .

---

(١) فى ص، ت١،س : « شجره » .

(٢) التفسير هنا هو البدل .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٧/٣ إلى أبى الشيخ . وذكر هذه القراءة عنه ابن خالويه فى مختصر الشواذ ص ٤٥، وهى كذلك فى مصحف عبد الله . البحر المحيط ١٩٤/٤ .

بمعنى أنهم قالوا : إن الجنَّ شركاءُ للَّهِ فى خلقِه إيانا .

٢٩٧/٧ /وأولى القراءتين بالصوابِ قراءةُ مَن قرأ ذلك : ﴿ وَخَلَقَهُمْ ﴾ ؛ لإجماعِ الحجةِ مِن القرأةِ عليها .

وأما قولُه : ﴿ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ . فإنه يعنى بقولِه : ﴿ خَرَقُوا ﴾ : اختلَقوا ، يقالُ : اختلَق فلانٌ على فلانٍ كذبًا واخترَقه ، إذا افتَعله وافتَراه .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى المُثنى ، قال : ثنا أبو صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ ﴾ : واللَّهُ خلَقهم ، ﴿ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ ﴾ يعنى : أنهم تَخرَّصوا[1] .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ . قال : جَعَلوا له بنينَ وبناتٍ[2] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ . قال : كَذَبوا[3] .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٦٠/٤ (٧٧١٦، ٧٧١٨) من طريق أبى صالح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٦/٣ إلى ابن المنذر.

(٢) بعده فى م، س : « بغير علم » .

والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٦٠/٤ (٧٧١٩) عن محمد بن سعد به .

(٣) تفسير مجاهد ص ٣٢٦، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٦٠/٤ (٧٧٢١) وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٧/٤ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حُذَيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

حدَّثنا بِشْرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ ﴾ : كَذَبوا ، ﴿ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ : عما يَكْذِبون ، أما العربُ فجعَلوا له البناتِ ، ولهم ما يَشْتَهون مِن الغِلْمانِ ، وأما اليهودُ فجعَلوا بينَه وبينَ الجِنَّةِ نسبًا ، ولقد علِمَت الجِنَّةُ إنهم لَمُحْضَرون[1] .

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثَوْرٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ : ﴿ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَـٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍۚ ﴾ . قال : خرَصوا له بنينَ وبناتٍ[2] .

حدَّثني محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السديِّ : ﴿ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَـٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍۚ ﴾ . يقولُ : قطَعوا له بنينَ وبناتٍ ، قالت العربُ : الملائكةُ بناتُ اللَّهِ . وقالت اليهودُ والنصارى : المسيحُ وعُزَيْرٌ ابنا اللَّهِ[3] .

حدَّثني يونُسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِه : ﴿ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَـٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍۚ ﴾ . قال : ﴿ خَرَقُواْ ﴾ : كذَبوا . لم يَكُنْ للَّهِ بنون ولا بناتٌ ، قالت النصارى : المسيحُ ابنُ اللَّهِ . وقال المشركون : الملائكةُ بناتُ اللَّهِ . فكلٌّ خرَقوا الكذبَ ، ﴿ وَخَرَقُواْ ﴾ : اخْتَرَقوا[4] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثني حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ قولَه :

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/١٣٦١ ، ١٣٦٢ (٧٧٢٣، ٧٧٢٩) من طريق خالد بن قيس عن قتادة بلفظ آخر. وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣/٣٧ إلى عبد بن حميد .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/٢١٥ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٣٦٠، ١٣٦١، (٧٧٢٠، ٧٧٢٤) من طريق أحمد بن المفضل به .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/١٣٦١ (٧٧٢٥) من طريق أصبغ بن الفرج ، عن ابن زيد .

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ ﴾ . قال : قولُ الزَّنادقةِ . ﴿ وَخَرَقُوا لَهُ ﴾ . قال ابنُ جُرَيْجٍ : قال مجاهدٌ : ﴿ خَرَقُوا ﴾ : كذَبوا .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبو أسامةَ ، عن جُوَيْبِرٍ ، عن الضحاكِ : ﴿ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ ﴾ . قال : وصَفوا له [1] .

حدَّثنا عمرانُ بنُ موسى ، قال : ثنا عبدُ الوارثِ ، عن أبي عمرٍو [2] : ﴿ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ ﴾ . قال : تفسيرُها : وكذَبوا .

٢٩٨/٧ /فتأويلُ الكلامِ إذن : وجعَلوا للَّهِ الجنَّ شركاءَ في عبادتِهم إياه ، وهو المنفردُ بخلقِهم بغيرِ شريكٍ ولا مُعينٍ ولا ظَهيرٍ ، ﴿ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ ﴾ . يقولُ : وتخرَّصوا للَّهِ كذبًا ، فافْتَعَلوا له بنين وبناتٍ ، بغيرِ علمٍ منهم بحقيقةِ ما يقولون ، ولكن جهلًا باللَّهِ وبعظمتِه ، وأنه لا يَنْبَغِي لمَن كان إلهًا أن يكونَ له بنون وبناتٌ ولا صاحبةٌ ، ولا أن يَشْرَكَه في خلقِه شَريكٌ .

القولُ في تأويلِ قولِه : ﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : تنزَّه اللَّهُ وعلا ، فارْتَفَع عن الذي يَصِفُه به هؤلاءِ الجَهَلةُ مِن خلقِه ، في ادِّعائِهم له شركاءَ مِن الجنِّ ، واختراقِهم له بنينَ وبناتٍ ، وذلك لا يَنْبَغِي أن يَكونَ مِن [١/٧٨٢و] صفتِه ؛ لأن ذلك مِن صفةِ خلقِه الذين يَكونُ منهم الجِماعُ الذي يَحْدُثُ عنه الأولادُ ، والذين تَضْطَرُّهم لضعفِهم الشهواتُ إلى اتخاذِ الصاحبةِ لقضاءِ اللذاتِ ، وليس اللَّهُ تعالى ذكرُه بالعاجزِ ، فيَضْطَرَّه شيءٌ إلى شيءٍ ، ولا بالضعيفِ المحتاجِ فتَدْعُوَه حاجتُه إلى النساءِ إلى اتخاذِ صاحبةٍ لقضاءِ لذةٍ .

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٦١/٤ (٧٧٢٢) من طريق أبي أسامة به .

(٢) في م : « عمر » .

وقولُه : ﴿ تَعَـٰلَىٰ ﴾ : تَفاعَل ، مِن العلوِّ والارتفاعِ .

ورُوِى عن قتادةَ فى تأويلِ قولِه : ﴿ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ . أنه : يَكْذِبون .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ : عما يَكْذِبون[(١)] .

وأَحْسَبُ أن قتادةَ عنَى بتأويلِه ذلك كذلك أنهم يَكْذِبون فى وصفِهم اللَّهَ بما كانوا يَصِفونه به[(٢)] ، مِن ادِّعائِهم له بنين وبناتٍ ، لا أنه وجَّه تأويلَ الوصفِ إلى الكذبِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ ۖ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَـٰحِبَةٌ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : اللَّهُ الذى جعَل هؤلاء الكفَرةُ به له الجنَّ شركاءَ ، وخرَقوا له بنين وبناتٍ بغيرِ علمٍ ، ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ﴾ . يعنى : مُبْتَدِعُها ومُحْدِثُها ومُوجِدُها بعدَ أن لم تكنْ .

كما حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ﴾ . قال : هو الذى ابْتَدَع خلقَهما جلَّ جلالُه ، فخلَقَهما ولم تكونا شيئًا قبلَه .

﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ ۖ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَـٰحِبَةٌ ﴾ والولدُ إنما يَكونُ[(٣)] الذكرُ مِن الأُنثى ، ولا يَنْبَغى أن يكونَ للهِ سبحانَه صاحبةٌ فيَكونَ له ولدٌ ، وذلك أنه هو الذى

---

(١) جزء من الأثر المتقدم تخريجه فى ص ٤٥٥.

(٢) سقط من : م .

(٣) بعده فى م : « من » .

خلَق كلَّ شيءٍ . يقولُ : فإذا كان لا شيءَ إلا اللَّهُ خلَقَه ، فأنَّى يكونُ للَّهِ ولدٌ ، ولم تَكُنْ له صاحبةٌ فيَكونَ له منها ولدٌ ؟

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ (١٠١) ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : واللَّهُ خلَق كلَّ شيءٍ ، ولا خالقَ سِواه ، وكلُّ ما تدعُون أيُّها العادلون باللَّهِ الأوثانَ مِن دونِه ، خلقُه وعَبيدُه ، مَلَكًا كان الذى تدعُونه ربًّا وتَزْعُمون أنه له ولدٌ ، أو جِنيًّا أو إنسيًّا ، / ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ . يقولُ : واللَّهُ الذى خلَق كلَّ شيءٍ ، لا يَخْفَى عليه ما خلَق ولا شيءٌ منه ، ولا يَعْزُبُ عنه مثقالُ ذرةٍ فى الأرضِ ولا فى السماءِ ، عالمٌ بعددِكم وأعمالِكم ، وأعمالِ مَن دعَوْتُموه ربًّا أو للَّهِ ولدًا ، وهو مُحْصِيها عليكم وعليهم ، حتى يُجازِىَ كلًّا بعملِه . ٢٩٩/٧

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢) ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه[١] : الذى خلَق كلَّ شيءٍ وهو بكلِّ شيءٍ عليمٌ ، هو اللَّهُ ربُّكم أيها العادِلون باللَّهِ الآلهةَ والأوثانَ ، والجاعِلون له الجنَّ شركاءَ ، وآلهتِكم التى لا تَمْلِكُ نفعًا ولا ضرًّا ، ولا تَفْعَلُ خيرًا ولا شرًّا ، ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ .

وهذا تكذيبٌ مِن اللَّهِ جلَّ ثناؤُه الذين[٢] زعَموا أن الجنَّ شركاءُ اللَّهِ ، يقولُ جلَّ ثناؤُه لهم : أيُّها الجاهِلون ، إنه لا شيءَ له الألوهيةُ والعبادةُ إلا الذى خلَق كلَّ شيءٍ وهو بكلِّ شيءٍ عليمٌ ، فإنه لا يَنْبَغِى أن تَكونَ عبادتُكم وعبادةُ جميعِ مَن فى السماواتِ والأرضِ إلا له ، خالصةً بغيرِ[٣] شريكٍ تُشْرِكونه فيها ، فإنه خالقُ كلِّ

---

(١) بعده فى ص، ت١، س : « هو » .

(٢) فى م : « للذين » .

(٣) بعده فى ف : « شك ولا » .

شيءٍ وبارئُه وصانعُه ، وحقٌّ على المصنوعِ أن يُفْرِدَ صانعَه بالعبادةِ ، ﴿ فَٱعْبُدُوهُ ﴾. يقولُ : فذِلُّوا له بالطاعةِ والعبادةِ والخدمةِ ، واخْضَعوا له بذلك ، ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ . يقولُ : واللَّهُ على كلِّ ما خلَق مِن شيءٍ رقيبٌ وحَفيظٌ ، يقومُ بأرزاقِ جميعِه وأقْواتِه وسياستِه وتدبيرِه وتصريفِه بقدرتِه .

القولُ في تأويلِ قولِه : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ (١٠٣) ﴾ .

اختلَف أهلُ التأويلِ في تأويلِ قولِه : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ ؛ **فقال بعضُهم :** معناه : لا تُحيطُ به الأبصارُ وهو يُحيطُ بها .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ . يقولُ : لا يُحِيطُ بصرُ أحدٍ بالمَلِكِ[(١)] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ : وهو أعظمُ مِن أن تُدْرِكَه الأبصارُ[(٢)] .

حدَّثني سعدُ[(٣)] بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الحكمِ ، قال : ثنا خالدُ بنُ عبدِ الرحمنِ ، قال : ثنا أبو عَرفَجةَ ، عن عطيةَ العَوْفيِّ في قولِه : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة : ٢٢، ٢٣] . قال : هم يَنْظُرون إلى اللَّهِ ، لا تُحيطُ أبصارُهم به مِن عظمتِه ،

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/٣٧ إلى المصنف .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/٣٧ إلى المصنف وعبد بن حميد وأبى الشيخ .

(٣) فى النسخ : « يونس » . وتقدم على الصواب فى ١/ ٣٦٠، وسيأتى على الصواب أيضا فى تفسير الآيتين من سورة القيامة ، فسيذكر المصنف الأثر مرة أخرى بنفس الإسناد .

وبصرُه يُحِيطُ بهم ، فذلك قولُه : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾ الآية .

واعتلَّ قائلو هذه المقالةِ لقولِهم هذا بأن قالوا : إن اللَّهَ قال : ﴿ [(١] حَتَّىٰٓ إِذَآ [١)] أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ ﴾ [يونس: ٩٠] . قالوا : فوصَف اللَّهُ/ تعالى ذكرُه الغرقَ ٣٠٠/٧ بأنه أدْرَك فرعونَ ، ولا شكَّ أن الغرقَ غيرُ موصوفٍ بأنه رآه ، ولا هو مما يَجوزُ وصفُه بأنه يَرَى شيئًا . قالوا : فمعنى قولِه : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾ . بمعنى[(٢)] : لا تراه ، بعيدٌ[(٣)] ؛ لأن الشيءَ قد يُدْرِكُ الشيءَ ولا يَراه ، كما قال جلَّ ثناؤُه مُخبِرًا عن قِيلِ أصحابِ موسى ﷺ لموسى حينَ قرُب منهم أصحابُ فرعونَ : ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ [الشعراء: ٦١] . لأن اللَّهَ قد كان وعَد نبيَّه موسى ﷺ أنهم لا يُدْرَكون ؛ لقولِه : ﴿ وَلَقَدْ [٧٨٢/١ظ] أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَـٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴾ [طه: ٧٧] .

قالوا : فإذ كان الشيءُ قد يَرَى الشيءَ ولا يُدْرِكُه ، ويُدْرِكُه ولا يراه ، فكان معلومًا بذلك أن قولَه : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾ . مِن معنى : لا تَراه الأبصارُ - بمَعْزِلٍ ، وأن معنى ذلك : لا تُحيطُ به الأبصارُ ؛ لأن الإحاطةَ به غيرُ جائزةٍ .

قالوا : فالمؤمنون وأهلُ الجنةِ يَرَوْن ربَّهم بأبصارِهم ، ولا تُدْرِكُه أبصارُهم ، بمعنى : أنها لا تُحيطُ به ، إذ كان غيرُ جائزٍ أن يُوصَفَ اللَّهُ بأن شيئًا يُحِيطُ به .

قالوا : ونظيرُ جَوازِ وصفِه بأنه يُرَى ولا يُدْرَكُ ، جوازُ وصفِه بأنه يُعْلَمُ ولا يُحاطُ به ، وكما قال جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] . قالوا : فنفَى جلَّ ثناؤُه عن خلقِه أن يكونوا يُحيطون بشيءٍ مِن علمِه إلا بما

(١ - ١) في النسخ : « فلما » . والمثبت نص التلاوة .

(٢) في ص، ت١، ت٢، ت٣، س، ف « معنى » .

(٣) في م : « بعيدا » .

شاء . قالوا : ومعنى العلمِ فى هذا الموضعِ : المعلومُ . قالوا : فلم يَكُنْ فى نفيِه عن خلقِه أن يُحِيطوا بشيءٍ مِن علمِه إلا بما شاء ، نفيٌ عن أن يَعْلَموه . قالوا : فإذ لم يَكُنْ فى نفيِ الإحاطةِ بالشيءِ علمًا نفيٌ للعلمِ به ، كان كذلك ، لم يَكُنْ فى نفيِ إدراكِ اللَّهِ عن البصرِ نفيُ رؤيتِه له . قالوا : وكما جاز أن يَعْلَمَ الخلقُ أشياءَ ولا يُحيطُون بها علمًا ، كذلك جائزٌ أن يَرَوْا ربَّهم بأبصارِهم ولا يُدْرِكوه بأبصارِهم ، إذ كان معنى الرؤيةِ غيرَ معنى الإدراكِ ، ومعنى الإدراكِ غيرَ معنى الرؤيةِ ، وأن معنى الإدراكِ إنما هو معنى الإحاطةِ ، كما قال ابنُ عباسٍ فى الخبرِ الذى ذكَرْناه قبلُ .

قالوا : فإن قال لنا قائلٌ : وما أنكَرْتُم أن يَكونَ معنى قولِه : ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ : لا تراه الأبصارُ ؟ قلنا له : أنكَرْنا ذلك لأن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه أخبَر فى كتابِه أن وجوهًا - فى القيامةِ - إليه ناظرةٌ ، وأن رسولَ اللَّهِ ﷺ أخبَر أمتَه أنهم سيَرَوْن ربَّهم يومَ القيامةِ كما يُرَى القمرُ ليلةَ البدرِ ، وكما تَرَوْن الشمسَ ليس دونَها سَحابٌ[(١)] .

قالوا : فإذ كان اللَّهُ قد أخبَر فى كتابِه بما أخبَر ، وحقَّقَتْ أخبارُ رسولِ اللَّهِ ﷺ بما ذكَرْنا عنه مِن قيلِه ﷺ ، أن تأويلَ قولِه : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ أنه نَظَرُ أبصارِ العيونِ للَّهِ جلَّ جلالُه[(٢)] وكان كتابُ اللَّهِ يُصَدِّقُ بعضُه بعضًا ، وكان مع ذلك غيرُ جائزٍ أن يكونَ أحدُ هذين الخبرين ناسخًا للآخرِ ، إذ كان غيرَ جائزٍ فى الأخبارِ ؛ لما قد بيَّنَّا فى كتابِنا : « كتابِ لطيفِ البيانِ عن أصولِ الأحكامِ » وغيرِه - عُلِم أن معنى قولِه : ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ . غيرُ معنى قولِه : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ

---

(١) فى ص، ت١، ت٢، ت ٣، س، ف : « سحابة » .

والحديث أخرجه البخارى (٨٠٦) ، ومسلم (١٨٢) من حديث أبى هريرة ، والبخارى (٤٥٨١) ، ومسلم (١٨٣) من حديث أبى سعيد الخدرى .

(٢) سيأتى تخريجه فى تفسير الآيتين من سورة القيامة .

نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ . فإن أهلَ الجنةِ يَنْظُرون بأبصارِهم يومَ القيامةِ إلى اللَّهِ ، ولا يُدْرِكونه بها ، تَصْديقًا للَّهِ فى كلا الخبرين ، وتسليمًا لما جاء به تنزيلُه ، على ما جاء به فى السُّورَتَين .

وقال آخرون : معنى ذلك : لا تراه الأبصارُ وهو يَرَى الأبصارَ .

ذكرُ مَن قال ذلك

٣٠١/٧ /حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ قولَه : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ : لا يراه شىءٌ ، وهو يَرَى الخلائقَ [١] .

حدَّثنا هنادٌ ، قال : ثنا وَكيعٌ ، عن إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ ، عن عامرٍ ، عن مسروقٍ ، عن عائشةَ ، قالت : مَن حدَّثك أن رسولَ اللَّهِ ﷺ رأى ربَّه فقد كذَب ، ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ ، ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ ﴾ [الشورى : ٥١] . ولكن قد رأى جبريلَ فى صورته مرتين [٢] .

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ ، عن عامرٍ ، عن مسروقٍ ، قال : قلتُ لعائشةَ : يا أمَّ المؤمنين ، هل رأى محمدٌ ربَّه ؟ فقالت : سبحانَ اللَّهِ ! لقد قَفَّ [٣] شعَرى مما قلتَ . ثم قرأت : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا عبدُ الأعلى وابنُ عُلَيَّةَ ، عن داودَ ، عن الشعبىِّ ، عن

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٣٦٤ (٧٧٤٢) من طريق أحمد بن مفضل به .

(٢) تقدم تخريجه فى ٨/ ٥٧٢.

(٣) قف الشعَرُ : إذا قام من الفزع. ينظر النهاية ٤/ ٩١.

مسروقٍ ، عن عائشةَ بنحوِه[1] .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا جريرٌ ، عن مغيرةَ ، عن الشعبيِّ ، قال : قالت عائشةُ : مَن قال : إن أحدًا رأَى ربَّه . فقد أعْظَم الفِرْيةَ على اللَّهِ ، قال اللَّهُ : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾[1] .

فقال قائلو هذه المقالةِ : معنى الإدراكِ فى هذا الموضعِ : الرؤيةُ . وأنكروا أن يَكونَ اللَّهُ يُرَى بالأبصارِ فى الدنيا والآخرةِ . وتأَوَّلوا قولَه : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ . بمعنى انْتظارِها رحمةَ اللَّهِ وثوابَه .

وتأَوَّل بعضُهم فى الأخبارِ التى رُوِيت عن رسولِ اللَّهِ ﷺ بتصحيحِ القولِ برؤيةِ أهلِ الجنةِ ربَّهم يومَ القيامةِ تأويلاتٍ . وأنكَر بعضُهم مجيئَها ، ودافَعوا أن يَكونَ ذلك مِن قولِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وردُّوا القولَ فيه إلى عقولِهم ، فزعَموا أن عقولَهم تُحيلُ جوازَ الرؤيةِ على اللَّهِ عز وجل بالأبصارِ ، وأتَوْا فى ذلك بضروبٍ مِن التَّمْويهاتِ ، وأكْثَروا القولَ فيه مِن جهةِ الاسْتِخْراجاتِ . وكان من أجلِّ ما زعَموا أنهم علِموا به صحةَ قولِهم ذلك مِن الدليلِ ، أنهم لم يَجِدوا أبصارَهم تَرَى شيئًا إلا ما بايَنها دونَ ما لاصَقَها ، فإنها لا تَرَى ما لاصَقَها . قالوا : فما كان للأبصارِ مُبايِنًا مما عايَنَتْه ، فإن بينَه وبينَها فَضاءً وفُرْجةً . قالوا : فإن كانت الأبصارُ تَرَى ربَّها يومَ القيامةِ على نحوِ ما تَرَى الأشخاصَ اليومَ ، فقد وجَب أن يَكونَ الصانعُ محدودًا . قالوا : ومَن وصَفَه بذلك فقد وصَفَه بصفاتِ الأجسامِ التى يَجوزُ عليها الزيادةُ والنقصانُ .

قالوا : وأُخرى ، أن مِن شأنِ الأبصارِ أن تُدْرِكَ الألوانَ ، كما مِن شأنِ الأسماعِ

---

(١) جزء من الأثر المتقدم تخريجه فى ٥٧٢/٨ .

أن تُدْرِكَ الأصواتَ ، ومِن شأنِ المتنسِّمِ[١] أن يُدْرِكَ الأعْرافَ[٢] . قالوا : فمِن الوجهِ الذى فسَد أن يَكونَ جائزًا أن يُقْضَى للسمعِ بغيرِ إدراكِ الأصواتِ ، وللمتنسِّمِ[٣] إلا بإدراكِ الأعرافِ ، فسَد أن يَكونَ جائزًا [٤]القضاءُ للبصرِ[٤] إلا بإدراكِ الألوانِ . قالوا : ولما كان غيرُ جائزٍ أن يكونَ اللَّهُ تعالى ذكرُه موصوفًا بأنه ذو لونٍ ، صحَّ أنه غيرُ جائزٍ أن يكونَ موصوفًا بأنه مرئيٌّ .

٣٠٢/٧ /**وقال آخرون** : معنى ذلك : لا تُدْرِكُه أبصارُ الخَلائقِ فى الدنيا ، وأما فى الآخرةِ فإنها تُدْرِكُه . وقال أهلُ هذه المقالةِ : الإدراكُ فى هذا الموضعِ الرؤيةُ .

واعتَلَّ أهلُ هذه المقالةِ لقولِهم هذا بأن قالوا : الإدراكُ وإن كان قد يَكونُ فى بعضِ الأحوالِ بغيرِ معنى الرؤيةِ ، فإن الرؤيةَ مِن أحدِ معانيه ، وذلك أنه غيرُ جائزٍ أن يَلْحَقَ بصرُه شيئًا فيراه ، وهو لِمَا أبْصَره وعايَنَه غيرُ مُدْرِكٍ ، وإن لم يُحِطْ بأجزائِه كلِّها رؤيةً . قالوا : فرؤيةُ ما عايَنه الرائى إدراكٌ له دونَ ما لم يَرَه . قالوا : وقد أخْبَر اللَّهُ أن وُجوهًا يومَ القيامةِ إليه ناظرةٌ ، قالوا : فمحالٌ أن تَكونَ إليه ناظرةً وهى له غيرُ مُدْرِكةٍ رؤيةً . قالوا : وإذا كان ذلك كذلك ، وكان غيرُ جائزٍ أن يَكونَ فى أخبارِ اللَّهِ تضادٌّ وتعارُضٌ ، وجَب وصحَّ أن قولَه : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ . على الخصوصِ لا على العمومِ ، وأن معناه : لا تُدْرِكُه الأبصارُ فى الدنيا ، وهو يُدْرِكُ الأبصارَ فى الدنيا والآخرةِ . إذ كان اللَّهُ قد اسْتَثْنَى ما اسْتَثْنَى منه بقولِه : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ .

وقال آخرون مِن أهلِ هذه المقالةِ : الآيةُ على الخصوصِ ، إلا أنه جائزٌ أن يَكونَ

---

(١) فى م : « المتنشم » . وتنسّم النسيم : تشممه . اللسان (ن س م) .

(٢) الأعراف ، جمع عَرْف : الريح ، طيبة كانت أو خبيثة . اللسان (ع ر ف) .

(٣) فى م : « للمتنشم » .

(٤ - ٤) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س، ف : « انقضاء البصر » .

معنى الآيةِ : لا تُدْرِكُه أبصارُ الظالمين فى الدنيا والآخرةِ ، وتُدْرِكُه أبصارُ المؤمنين وأولياءِ اللَّهِ . قالوا : وجائزٌ أن يكونَ معناها : لا تُدْرِكُه الأبصارُ بالنهايةِ والإحاطةِ ، وأما بالرؤيةِ فبَلَى . قالوا : وجائزٌ أن يكونَ معناها : لا تُدْرِكُه الأبصارُ فى الدنيا ، وتُدْرِكُه فى الآخرةِ . وجائزٌ أن يَكونَ معناها : لا تُدْرِكُه أبصارُ مَن يَراه ، بالمعنى الذى يُدْرِكُ به القديمُ أبصارَ خلقِه . فيكونَ الذى نفَى عن خلقِه مِن إدراكِ أبصارِهم إياه ، هو الذى أثْبَته لنفسِه ، إذ كانت أبصارُهم ضعيفةً ، لا تَنْفُذُ إلا فيما قوَّاها جلَّ ثناؤُه على النفوذِ فيه ، وكانت كلُّها مُتَجَلِّيَةً لبصرِه ، لا يَخْفَى عليه منها شىءٌ . قالوا : ولا شكَّ فى خصوصِ قولِه : ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ . وأن أولياءَ اللَّهِ سيَرَوْنه يومَ القيامةِ بأبصارِهم ، غيرَ أنَّا لا نَدْرِى أىَّ معانى الخصوصِ الأربعةِ أُرِيد بالآيةِ . واعتلُّوا بتصحيحِ القولِ بأن اللَّهَ يُرَى فى الآخرةِ بنحوِ عِلَلِ الذين ذكَرْنا قبلُ .

وقال آخرون : الآيةُ على العمومِ ، ولن يُدْرِكَ اللَّهَ بصرُ أحدٍ فى الدنيا والآخرةِ ، ولكنَّ اللَّهَ يُحْدِثُ لأوليائِه يومَ القيامةِ حاسَّةً سادسةً سوى حواسِّهم الخمسِ ، فيَرَوْنه بها .

واعتلُّوا لقولِهم هذا بأن اللَّهَ تعالى ذكرُه نفَى عن الأبصارِ أن تُدْرِكَه ، مِن غيرِ أن يَدُلَّ فيها أو بآيةٍ غيرِها على خصوصِها . قالوا : وكذلك أخْبَر فى آيةٍ أُخرى أن وجوهًا إليه يومَ القيامةِ ناظرةٌ . قالوا : فأخبارُ اللَّهِ لا تتنافى[1] ولا تَتعارَضُ ، وكلا الخبرَيْن صحيحٌ معناه ، على ما جاء به التنزيلُ .

واعْتَلُّوا أيضًا مِن جهةِ العقلِ بأن قالوا : إن كان جائزًا أن نراه فى الآخرةِ بأبصارِنا هذه وإن زِيد فى قِواها ، وجَب أن نَراه فى الدنيا وإن ضعُفت ؛ لأن كلَّ حاسةٍ خُلِقَت لإدراكِ معنًى مِن المعانى ، فهى وإن ضعُفَت كلَّ الضعفِ فقد تُدْرِكُ مع

---

(١) فى م: « تتباين » .

ضعفِها ما خُلِقَت لإدراكِه ، وإن ضعُف إدراكُها إياه ، ما لم تُعْدَمْ . قالوا : فلو كان فى البصرِ أن يُدْرِكَ صانعَه فى حالٍ مِن الأحوالِ ، أو وقتٍ مِن الأوقاتِ ويَرَاه ، وجَب أن يكونَ يُدْرِكُه فى الدنيا ويَراه فيها ، وإن ضعُف إدراكُه إياه . قالوا : فلما كان ذلك غيرَ موجودٍ مِن /أبصارِنا فى الدنيا ، كان غيرُ جائزٍ أن تكونَ فى الآخرةِ إلا بهيئتِها فى الدنيا ، فى أنها لا تُدْرِكُ إلا ما كان مِن شأنِها إدْراكُه فى الدنيا . قالوا : فلما كان ذلك كذلك ، وكان اللَّهُ تعالى ذكرُه قد أخْبَرَ أن وجوهًا فى الآخرةِ تَراه ، عُلِم أنها تَراه بغيرِ حاسَّةِ البصرِ ، إذ كان غيرُ جائزٍ أن يَكونَ خبرُه إلا حقًّا .

٣٠٣/٧

والصوابُ مِن القولِ فى ذلك عندَنا ما تَظاهَرت به الأخبارُ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أنه قال : « إنكم ستَرَوْن ربَّكم يومَ القيامةِ كما تَرَوْن القمرَ ليلةَ البدرِ ، وكما تَرَوْن الشمسَ ليس دونَها سَحابٌ »[(١)] . فالمؤمنون يَرَوْنه ، والكافرون عنه يومَئذٍ مَحْجوبون ، كما قال جلَّ ثناؤُه : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين : ١٥] .

فأما ما اعتلَّ به منكرُو رؤيةِ اللَّهِ يومَ القيامةِ بالأبصارِ ، لمَّا كانت لا تَرَى إلا ما بايَنها وكان بينَها وبينَه فضاءٌ وفرجةٌ ، وكان ذلك عندَهم غيرَ جائزٍ أن تكونَ رؤيةُ اللَّهِ بالأبصارِ كذلك ؛ لأن فى ذلك إثباتَ حدٍّ له ونهايةٍ ، فبطَل عندَهم لذلك جوازُ الرؤيةِ عليه ، فإنَّه[(٢)] يقالُ لهم : هل علِمْتُم موصوفًا بالتدبيرِ ، سوى صانعِكم ، إلا مماسًّا لكم أو مُبايِنًا ؟

فإن زعَموا أنهم يَعْلَمون ذلك ، كُلِّفوا تبيينَه ، ولا سبيلَ إلى ذلك .

وإن قالوا : لا نَعْلَمُ ذلك .

---

(١) تقدم تخريجه فى ص ٤٦١.

(٢) فى النسخ : « وإنه » . والسياق يقتضى ما أثبتنا .

قيل لهم : أوَ ليس قد علِمْتُموه لا مماسًّا [١/٧٨٣ظ] لكم ولا مُبايِنًا ، وهو موصوفٌ بالتدبيرِ والفعلِ ، ولم يَجِبْ عندَكم - إذ كنتم لم تَعْلَموا موصوفًا بالتدبيرِ والفعلِ غيرَه ، إلا مماسًّا لكم أو مُبايِنًا - أن يكونَ مستحيلًا العلمُ به ، وهو موصوفٌ بالتدبيرِ والفعلِ ، لا مماسٌّ ولا مُبايِنٌ ؟

فإن قالوا : ذلك كذلك .

قيل لهم : فما تُنْكِرون أن تَكونَ الأبصارُ كذلك ، لا تَرَى إلا ما بايَنها وكانت بينَه وبينَها فرجةٌ ، قد تَراه وهو غيرُ مُبايِنٍ لها ولا فرجةَ بينَها وبينَه ولا فضاءَ ، كما لا تَعْلَمُ القلوبُ موصوفًا بالتدبيرِ إلا مماسًّا لها أو مباينًا ، وقد علِمَتْه عندَكم لا كذلك ؟ وهل بينَكم وبينَ مَن أنكَر أن يَكونَ موصوفًا بالتدبيرِ والفعلِ معلومًا ، إلَّا[(١)] مماسًّا للعالِمِ[(٢)] به أو مُباينًا ، وأجاز أن يَكونَ موصوفٌ[(٣)] برؤيةِ الأبصارِ لا مماسًّا لها ولا مُباينًا - فرقٌ ؟

ثم يُسْأَلون الفرقَ بينَ ذلك ، فلن يقولوا فى شىءٍ مِن ذلك قولًا إلا أُلْزِموا فى الآخرِ مثلَه .

وكذلك يُسْأَلون فيما اعْتَلُّوا به فى ذلك من[(٤)] أن مِن شأنِ الأبصارِ إدراكَ الألوانِ ، كما أن مِن شأنِ الأسماعِ إدراكَ الأصواتِ ، ومِن شأنِ المُتَنَسِّمِ دَرَكَ الأعرافِ ، فمِن الوجهِ الذى فسَد أن يُقْضَى السمعُ لغيرِ دَرَكِ الأصواتِ ، فسَد أن تُقْضَى الأبصارُ لغيرِ دَرَكِ الألوانِ .

---

(١) فى م : « لا » .

(٢) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س، ف : « للعلم » .

(٣) فى م : « موصوفا » .

(٤) سقط من : م .

فيقالُ لهم : ألستم لم تَعْلَموا فيما شاهدْتُم وعايَنْتُم موصوفًا بالتدبيرِ والفعلِ إلا ذا لونٍ ، وقد علِمْتُموه موصوفًا بالتدبيرِ لا ذا لونٍ ؟

فإن قالوا : نعم . لا يَجِدون مِن الإقرارِ بذلك بُدًّا ، إلا أن يَكْذِبوا فيَزْعُموا أنهم قد رأَوْا وعايَنوا موصوفًا بالتدبيرِ والفعلِ غيرَ ذى لونٍ ، فيُكَلَّفوا بيانَ ذلك ، ولا سبيلَ إليه .

فيُقالُ لهم : فإذ كان ذلك كذلك ، فما أنكَرْتُم أن تَكونَ الأبصارُ فيما شاهَدْتُم وعايَنْتُم لم تَجِدوها تُدْرِكُ إلا الألوانَ ، كما لم تَجِدوا أنفسَكم تَعْلَمُ موصوفًا بالتدبيرِ إلا ذا لونٍ ، وقد وجَدْتُموها علِمَتْه موصوفًا بالتدبيرِ غيرَ ذى لونٍ . ثم يُسْأَلون الفرقَ بينَ ذلك ، فلن يقولوا فى أحدِهما شيئًا إلا أُلْزِموا فى الآخرِ مثلَه .

ولأهلِ هذه المقالةِ مسائلُ فيها تَلْبيسٌ ، كرِهْنا ذكرَها وإطالةَ الكتابِ بها وبالجوابِ عنها ، إذ لم يَكُنْ قَصْدُنا فى كتابِنا هذا قصدَ الكشفِ عن تَمْويهاتِهم ، بل قصْدُنا فيه البيانُ عن تأويلِ آيِ الفُرْقانِ ، ولكنا ذكَرْنا القدرَ الذى ذكَرْنا ؛ ليَعْلَمَ الناظرُ فى كتابِنا هذا أنهم لا يَرْجِعون مِن قولِهم/ إلا إلى ما لبَّس عليهم الشيطانُ ، مما يَسْهُلُ على أهلِ الحقِّ البيانُ عن فسادِه ، وأنهم لا يَرْجِعون فى قولِهم إلى آيةٍ مِن التنزيلِ مُحْكَمةٍ ، ولا روايةٍ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ صحيحةٍ ولا سَقيمةٍ ، فهم فى الظُّلماتِ يَخْبِطون ، وفى العَمْياءِ يَتَرَدَّدون ، نَعوذُ باللَّهِ مِن الحَيْرةِ والضَّلالةِ . (٣٠٤/٧)

وأما قولُه : ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ . فإنه يقولُ : واللَّهُ تعالى ذكرُه المتيسِّرُ[1] له مِن إدراكِ الأبصارِ ، والمتأتِّى له مِن الإحاطةِ بها رؤيةُ ما يَعْسُرُ على الأبصارِ ؛ مِن إدراكِها إياه ، وإحاطتِها به ، ويَتَعَذَّرُ عليها ، ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ . يقولُ : العليمُ بخلقِه وأبصارِهم ، والسببِ الذى له تعذَّر عليها إدراكُه ، فلطَف بقدرتِه ، فهيَّأ

---

(١) فى م ، ف : « الميسر » .

أبصارَ خلقِه هيئةً لا تُدرِكُه ، وخبَر بعلمِه كيف تدبيرُها وشئونُها ، وما هو أصلحُ بخلقِه .

كالذى حدَّثنا هنادٌ ، قال : ثنا وكيعٌ ، وحدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن أبى جعفرٍ الرازىِّ ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ ، عن أبى العاليةِ فى قولِه : ﴿ [1-1]ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ [1-1]﴾ . قال : اللطيفُ[2] باستخراجِها ، الخبيرُ[3] بمكانِها[4] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ ﴾ .

وهذا أمرٌ مِن اللهِ جلَّ ثناؤُه نبيَّه محمدًا ﷺ أن يقولَ لهؤلاء الذين نبَّههم بهذه[5] الآياتِ مِن قولِه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ﴾ إلى قولِه : ﴿ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ . على حججِه عليهم ، وعلى سائرِ[6] خلقِه معهم ، العادِلين به الأوثانَ والأندادَ ، والمكذِّبين باللهِ ورسولِه محمدٍ ﷺ ، وما جاءَهم مِن عندِ اللهِ ، قلْ لهم يا محمدُ : ﴿ قَدْ جَآءَكُم ﴾ أيُّها العادِلون باللهِ ، والمكذِّبون رسولَه ، ﴿ بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ . أى : ما تُبْصِرون به الهدى مِن الضلالِ ، والإيمانَ مِن الكفرِ . وهى جمعُ بَصيرةٍ ، ومنه قولُ الشاعرِ[7] :

(١ - ١) فى ص، ت١، ت٢، ت٣،س، ف ، وتفسير ابن أبى حاتم : « لطيف خبير » . وهو نص آية سورة الحج ٦٠، وآية سورة لقمان ١٦.

(٢) فى ص، ت١، س، وتفسير ابن أبى حاتم : « لطيف » .

(٣) فى ص، ت١، س، وتفسير ابن أبى حاتم : « خبير » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٦٤/٤ (٧٧٤٣، ٧٧٤٤) من طريق وكيع به .

(٥) فى النسخ : « لهذه » . والمثبت صواب السياق .

(٦) فى م، ت١، ت٢، ت٣، س، ف : « تبيين » .

(٧) هو الأسعر الجعفى ، والبيت فى الأصمعيات ص ١٤١، والوحشيات ص٤٤، وتهذيب اللغة ١٩٥/٢، ١٧٦/١٢.

حمَلوا[١] بصائرَهم[٢] على أكتافِهم وبَصِيرتى يَعْدُو بها عَتدٌ[٣] وَأَى[٤]

يعنى بالبصيرةِ الحجةَ البينةَ الظاهرةَ .

كما حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ . قال : البصائرُ الهدى ، بصائرُ فى قلوبِهم لدينِهم ، وليست ببصائرِ الرءوسِ . وقرَأ : ﴿ فَإِنَّهَا /لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحج : ٤٦] . قال : إنما الدَّيْنُ[٥] بصرُه وسمعُه فى هذا القلبِ[٦] . ٣٠٥/٧

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ . أى : بينةٌ[٧] .

وقولُه : ﴿ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ﴾ . يقولُ : فمَن تبيَّن حججَ اللَّهِ وعرَفها ، وأقرَّ بها ، وآمَن بما دلَّته عليه مِن توحيدِ اللَّهِ وتصديقِ رسولِه وما جاء به ، فإنما أصاب حظَّ نفسِه ، ولنفسِه عمِل ، وإياها بغَى الخيرَ ، ﴿ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ﴾ . يقولُ : ومَن لم يَستَدِلَّ بها ، ولم يُصدِّقْ بما دلَّته عليه مِن الإيمانِ باللَّهِ ورسولِه وتنزيلِه ، ولكنه عمِى عن دلالتِها التى تَدُلُّ عليها ، يقولُ : فنفسَه ضرَّ ، وإليها أساء لا إلى غيرِها .

وأما قولُه : [١/٧٨٤و] ﴿ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾ . يقولُ : وما أنا عليكم

---

(١) فى مصادر التخريج : « راحوا » .

(٢) البصائر هنا : الدم ، وقيل : الديات ، وقيل : التُّرس . تهذيب اللغة ١٢/ ١٧٦.

(٣) عتد، بفتح التاء وكسرها : الفرس المعد للركوب ، أو هو الشديد التام الخلق المعد للجرى . تهذيب اللغة ٢/ ١٩٥.

(٤) الوأى : الفرس السريع المقتدر الخلق . تهذيب اللغة ١٥/ ٦٥٢.

(٥) فى م : « الذى » .

(٦) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٦٤/٤ (٧٧٤٥) من طريق أصبغ بن الفرج ، عن ابن زيد .

(٧) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٦٤/٤ (٧٧٤٦) من طريق يزيد به. وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٧/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبى الشيخ .

برقيبٍ أُحْصِى عليكم أعمالَكم وأفعالَكم ، وإنما أنا رسولٌ أُبَلِّغُكم ما أُرْسِلْتُ به إليكم ، واللَّهُ الحفيظُ عليكم الذى لا يَخْفَى عليه شىءٌ مِن أعمالِكم .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ[1] وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : كما صرَّفْتُ لكم أيُّها الناسُ الآياتِ والحججَ فى هذه السورةِ وبيَّنْتُها ، فعرَّفْتُكموها فى توحيدى وتصديقِ رسولى وكتابى ، ووقَّفتُكم[2] عليها ، فكذلك أُبيِّنُ لكم آياتى وحُججى فى كلِّ ما جهِلْتُموه فلم تَعْرِفوه مِن أمرى ونهيِى .

كما حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ ﴾ : لهؤلاء العادلين بربِّهم ، كما صرَّفْتُها فى هذه السورةِ ، ولئلا يقولوا : درَسْتَ .

واختَلَفت القرأةُ فى قراءةِ ذلك ؛ فقرأَته عامةُ قرأةِ أهلِ المدينةِ والكوفةِ : ﴿ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ ﴾ . بمعنى[3] : قرأْتَ أنت يا محمدُ . بغيرِ ألفٍ[4] .

وقرَأ ذلك جماعةٌ مِن المتقدِّمين ؛ منهم ابنُ عباسٍ على اختلافٍ عنه فيه ، وغيرُه وجماعةٌ مِن التابِعين ، وهو قراءةُ بعضِ قرأةِ أهلِ البصرةِ : (وليقولوا دارَسْتَ) . بألفٍ[5] ، بمعنى : قارَأْتَ وتعَلَّمْتَ مِن أهلِ الكتابِ .

---

(١) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س، ف : « دارست » . وهى قراءة سيذكرها المصنف .

(٢) في م ، ت١، ت٢، ت٣، س، ف : « وصيتكم » .

(٣) فى ص ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ ، س ، ف : « يعنى » .

(٤) هى قراءة نافع وعاصم وحمزة والكسائى . السبعة لابن مجاهد ص ٢٦٤.

(٥) هى قراءة ابن كثير وأبى عمرو . المصدر السابق .

ورُوِى عن قتادةَ أنه كان يَقْرَؤُه : (دُرِسَتْ)[1] . بمعنى : قُرِئَت وتُلِيَت .

وعن الحسنِ أنه كان يَقْرَؤُه : (دَرَسَتْ) . بمعنى : انْمَحَت[2] .

وأولى القراءاتِ فى ذلك عندى بالصوابِ قراءةُ مَن قرَأه : ﴿ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ ﴾[3] . بتأويلِ : قرأْتَ وتعلَّمْتَ ؛ لأن المشركين كذلك كانوا يقولون للنبيِّ ﷺ ، وقد أخبَر اللَّهُ عن قيلِهم ذلك بقولِه : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ [النحل : ١٠٣] . فهذا خبرٌ مِن اللَّهِ يُنْبِئُ عنهم أنهم كانوا يقولون : إنما يَتَعَلَّمُ محمدٌ ما يأْتيكم به مِن غيرِه . فإذ كان ذلك كذلك ، فقراءةُ : ﴿ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ ﴾ يا محمدُ ، بمعنى : تعلَّمْتَ مِن أهلِ الكتابِ . أشبهُ بالحقِّ ، وأولى بالصوابِ مِن قراءةِ مَن قرَأه : (دارسْتَ) . بمعنى : قارَأْتَهم وخاصَمْتَهم . وغيرِ ذلك مِن القراءاتِ .

٣٠٦/٧ /واختلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ ذلك ، على قدرِ اختلافِ القرأةِ فى قراءتِه .

ذكرُ مَن قرَأ ذلك : ﴿ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ ﴾ .
مِن المتقدِّمين ، وتأوَّله بمعنى : تعلَّمْتَ وقرَأْتَ

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى علىُّ بنُ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ ﴾ . قالوا : قرأْتَ وتعلَّمْتَ . تقولُ ذلك قريشٌ[4] .

---

(١) قراءة شاذة ، وهى أيضا قراءة زيد بن على ، وابن عباس على اختلاف عنه فيه ، ورويت عن الحسن . المحتسب ٢٢٥/١ ، ومختصر الشواذ لابن خالويه ص ٤٥ ، والبحر المحيط ١٩٧/٤ .

(٢) تفسير القرطبى ٥٨/٧ ، وهى قراءة ابن عامر من السبعة ، ويعقوب من العشرة . النشر ١٩٦/٢ .ولكن ذكر فى إتحاف فضلاء البشر ص١٢٩ أن قراءة الحسن بضم الراء : درُست .

(٣) القراءات : (دَرَسْتَ) و (دَارَسْتَ) و (دَرَسَتْ) كلهن صواب .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٦٥/٤ (٧٧٤٨) من طريق أبى صالح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٨/٣ إلى ابن المنذر وابن مردويه .

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : ثنا عبيدُ اللَّهِ ، عن إسرائيلَ ، عن أبى يحيى ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ ﴾ . قال[1] : قرأْتَ وتعلَّمْتَ .

حدَّثنا هنادٌ ، قال : ثنا وَكيعٌ ، وحدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن إسرائيلَ وافَقَه ، عن أبى إسحاقَ ، عن التميميِّ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ ﴾. قال : قرأْتَ وتعلَّمْتَ[2] .

حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ ﴾ . يقولُ : قرأْتَ الكتبَ .

حُدِّثْتُ عن الحسينِ بنِ الفرجِ ، قال : سمِعْتُ أبا مُعاذٍ يقولُ : ثنى عبيدُ بنُ سليمانَ ، قال : سمِعْتُ الضحاكَ يقولُ فى قولِه : ﴿ دَرَسْتَ ﴾ . يقولُ : تعَلَّمْتَ وقرأْتَ .

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : ثنا ابنُ عَطيةَ ، قال : ثنا إسرائيلُ ، عن أبى إسحاقَ ، عن التَّميميِّ ، قال : قلتُ لابنِ عباسٍ : أرأيْتَ قولَه : ﴿ دَرَسْتَ ﴾ ؟ قال : قرأْتَ وتعلَّمْتَ .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا حكامٌ ، عن عَنْبسةَ ، عن أبى إسحاقَ ، عن التَّميميِّ ، عن ابنِ عباسٍ مثلَه .

ذكرُ مَن قرَأ ذلك : (دارَسْتَ) . وتأوَّله بمعنى : جادَلْتَ . مِن المتقدِّمين

حدَّثنا عِمْرانُ بنُ موسى ، قال : ثنا عبدُ الوارثِ ، عن حميدٍ ، عن مجاهدٍ ، عن ابنِ عباسٍ : (دارَسْتَ) . يقولُ : قارَأْتَ .

---

(١) فى س : « قالوا » .

(٢) تفسير سفيان ص١٠٩ - وأخرجه من طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٦٥/٤ (٧٧٤٩) - عن أبى إسحاق به ، وأخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٩٠٣ - تفسير) عن سفيان عن رجل عن أبى إسحاق به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٧/٣ إلى الفريابى وعبد ابن حميد وأبى الشيخ وابن مردويه .

حدَّثني يعقوبُ ، قال : ثنا ابنُ عُليةَ ، عن أيوبَ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، أنه كان يَقْرَؤُها : (ولِيَقُولوا دارَسْتَ). أَحْسَبُه قال : قارَأْتَ أهلَ الكتابِ[١] .

حدَّثني محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن أبي إسحاقَ ، عن التَّميميِّ ، عن ابنِ عباسٍ : (ولِيَقولوا دارَسْتَ). قال : قارَأْتَ وتعلَّمْتَ[٢] .

حدَّثنا محمدُ بنُ المثنى ، قال : ثنا أبو داودَ ، قال : ثنا شعبةُ ، عن أبي إسحاقَ ، قال : سمِعْتُ التَّميميَّ يقولُ : سألْتُ ابنَ عباسٍ عن قولِه : (ولِيَقولوا دارَسْتَ) . قال : قارَأْتَ وتعلَّمْتَ[٣] .

حدَّثنا ابنُ وكِيعٍ ، قال : ثنا ابنُ عُليةَ ، عن أبي المُعَلَّى ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، قال : كان ابنُ عباسٍ يَقْرَؤُها : (دارَسْتَ)[٤] .

حدَّثنا المثنى ، قال :ثنا آدمُ العَسْقلانيُّ ، قال : ثنا شعبةُ ، قال : ثنا أبو المُعَلَّى ، قال : سمِعْتُ سعيدَ بنَ جبيرٍ يقولُ : كان ابنُ عباسٍ يَقْرَأُ : (دارسْتَ). بالألفِ ، بجزمِ السينِ ونصبِ التاءِ .

٣٠٧/٧ /حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا ابنُ عُيينةَ ، عن عمرِو بنِ دينارٍ ، قال : أخبَرني عمرُو بنُ كَيْسانَ ، أن ابنَ عباسٍ كان يَقْرَأُ :

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٨٨٩ - تفسير) من طريق أيوب به ، بلفظ : قارأت . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٧/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه والضياء فى المختارة .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٦٥/٤ (٧٧٤٩) من طريق عبد الرحمن به ، وفيه :درست . وهو فى تفسير سفيان ص١٠٩ باللفظ المتقدم تخريجه فى الصفحة السابقة .

(٣) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٩٠٢- تفسير) من طريق شعبة به بلفظ : قرأت وتعلمت .

(٤) أخرجه ابن أبى شيبة ٥٢٨/٨ عن ابن علية به .

(دارَسْتَ) : تلَوْتَ ، خاصَمْتَ ، جادَلْتَ[١] .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ وابنُ وكيعٍ ، قالا : ثنا سفيانُ بنُ عُيينةَ ، عن عمرِو بنِ دينارٍ ، عن عمرِو بنِ كَيْسانَ ، قال ابنُ عباسٍ فى : (دارَسْتَ) ، قال : تلَوْتَ ، خاصَمْتَ ، جادَلْتَ .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، قال : ثنا شعبةُ ، عن أبى بشرٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ [١/٧٨٤ظ] فى هذه الآيةِ : (وليَقولوا دارَسْتَ) . قال : قارَأْتَ[٢] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا شعبةُ ، قال : ثنا أبو بشرٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ أنه قرَأ : (دارَسْتَ) . بالألفِ أيضًا مُنْتَصِبةَ التاءِ ، وقال : قارَأْتَ .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاجُ ، قال : ثنا أبو عَوانةَ ، عن أبى بشرٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ أنه قرَأ : (دارَسْتَ) . أى : ناسَخْتَ .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ : (دارَسْتَ) . قال : فاقَهْتَ ؛ قرَأْتَ على يهودَ ، وقرَءوا عليك[٣] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : (وليَقولوا دارَسْتَ) . قال : قارَأْتَ ؛ قرَأْتَ على يهودَ ، وقرَءوا عليك .

---

(١) تفسير عبد الرزاق ٢١٦/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٦٥/٤ (٧٧٥١) عن الحسن بن يحيى به ، وأخرجه سعيد بن منصور (٩٠٠ - تفسير) ، والطبرانى (١١٢٨٣) من طريق ابن عيينة به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٧/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه وأبى الشيخ .

(٢) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٩٠٥ - تفسير) عن هشيم عن أبى بشر به بلفظ : قرأت وتعلمت .

(٣) تفسير مجاهد ص٣٢٦، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٦٥/٤ (٧٧٥٢) . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٨/٣ إلى ابن أبى شيبة وعبد بن حميد وأبى الشيخ وابن المنذر .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عمرُو بنُ عونٍ ، قال : ثنا هُشَيْمٌ ، عن جُويبرٍ ، عن الضحاكِ في قولِه : (دارَسْتَ) : يعني أهلَ الكتابِ[1] .

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : ثنا ابنُ عُيَينةَ ، عن ابنِ أبي نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : (دارَسْتَ) . قال : قرَأْتَ على يهودَ ، وقرَءوا عليك[2] .

حدَّثني محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ في قولِه : (وليقولوا دارَسْتَ) . قال : قالوا : دارَسْتَ أهلَ الكتابِ ، وقرَأْتَ الكتبَ وتعَلَّمْتَها .

ذكرُ مَن قرَأ ذلك : (دُرِسَتْ) . بمعنى : تُلِيَت[3] وقُرِئَت .

على وجهِ ما لم يُسَمَّ فاعلُه

حدَّثنا عمرانُ بنُ موسى القَزّازُ ، قال : ثنا عبدُ الوارثِ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا الحسينُ المُعَلِّمُ وسعيدٌ ، عن قتادةَ : (وكذلك نُصَرِّفُ الآياتِ وليقولوا دُرِسَت) . أىْ : قُرِئَت وتُعُلِّمَت .

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثَوْرٍ ، عن معمرٍ ، قال : قال قتادةُ : (دُرِسَت) : قُرِئَت ، وفي حرفِ ابنِ مسعودٍ : (دَرَسَ)[4] .

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٩٠٧ - تفسير) عن هشيم به ، وأحال على حديث أبى بشر عن سعيد ولفظه : قرأت وتعلمت .

(٢) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٩٠٤ - تفسير) عن ابن عيينة عن رجل عن مجاهد .

(٣) فى النسخ : « نبئت » . والمثبت كما تقدم فى ص ٤٧٢.

(٤) تفسير عبد الرزاق ١/ ٢١٦، بلفظ : قرئت وتعلمت . دون آخره . وينظر قراءة ابن مسعود فى المصاحف ص ٦١.

ذكرُ مَن قرَأ ذلك : (درَسَتْ) . بمعنى : انْمَحَت وتَقادَمَت ، أى : هذا الذى تَتلوه علينا قد مرَّ بنا قديمًا ، وتطاوَلَت مدتُه

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، قال : كان الحسنُ يَقرَأُ : (وليَقُولوا درَسَتْ) . أى : انْمَحَت .

/حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا شعبةُ ، قال : ثنا أبو إسحاقَ الهَمْدانىُّ ، قال : فى قراءةِ ابنِ مسعودٍ : (درَسَتْ) . بغيرِ ألفٍ ، بنصبِ السينِ ووَقْفِ[1] التاءِ[2] . ٣٠٨/٧

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا ابنُ عُيينةَ ، عن عمرِو بنِ دينارٍ ، قال : سمِعتُ ابنَ الزبيرِ يقولُ : إن صِبيانًا هلهنا يَقرءون : (دارَسْتَ) . وإنما هى : (درَسَتْ)[3] .

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثَوْرٍ ، عن معمرٍ ، قال : قال الحسنُ : (وليَقُولوا درَسَتْ) . يقولُ : تَقادَمَت ، امَّحَتْ[4] .

وقرَأ ذلك آخرون : (درَس) . مِن : درَس الشىءَ : تلاه .

---

(١) أى : سكون التاء .

(٢) وهى قراءة ابن عامر ويعقوب ، والأثر عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٨/٣ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٣) تفسير عبد الرزاق ٢١٦/١ من تمام الأثر المتقدم ص ٤٧٥، وأخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٩٠١ - تفسير) عن ابن عيينة به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٨/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبى الشيخ .

(٤) فى م : « وانمحت » .

والأثر فى تفسير عبد الرزاق ١/ ٢١٦، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٦٥/٤ (٧٧٥٣) عن الحسن ابن يحيى به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٨/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبى الشيخ .

حدَّثنا أحمدُ بنُ يوسُفَ التَّغْلِبيُّ[1] ، قال : ثنا أبو عُبَيْدٍ[2] ، قال : ثنا حجاجٌ ، عن هارونَ ، قال : هى فى حرفِ أُبيِّ بنِ كعبٍ وابنِ مسعودٍ : (ولِيَقولوا درَسَ) . قال : يعنى النبىَّ ﷺ قرأ[3] .

وإنما جاز أن يُقالَ مرةً : ﴿ درَسْتَ ﴾ ، ومرةً : (درَسَ) ، فيُخاطَبَ مرةً ، ويُخْبَرَ مرةً ؛ مِن أجلِ القولِ .

وقد بيَّنا أولى هذه القراءاتِ فى ذلك بالصوابِ عندَنا ، والدلالةَ على صحةِ ما اخترْنا منها[4] .

وأما تأويلُ قولِه : ﴿ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : كما صرَّفْنا الآياتِ والعبرَ والحججَ فى هذه السورةِ لهؤلاء العادلين بربِّهم الآلهةَ والأندادَ، كذلك نُصرِّفُ لهم الآياتِ فى غيرِها ؛ كيلا يقولوا لرسولِنا الذى أرْسَلْناه إليهم : إنما تعلَّمْتَ ما تأْتِينا به تَتْلُوه علينا مِن أهلِ الكتابِ . فيَنْزَجِروا عن تكذيبِهم إياه ، وتقوُّلِهم عليه الإفكَ والزُّورَ ، ولنُبيِّنَ تَصْريفَنا الآياتِ الحقَّ لقومٍ يَعْلَمون الحقَّ إذا تبيَّن لهم ، فيَتَّبِعوه ويَقْبَلوه ، وليسوا كمَن إذا بُيِّن لهم عَمُوا عنه فلم يَعْقِلوه ، وازْدادوا مِن الفهمِ له[5] بُعْدًا .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ .

---

(١) فى ص، م، ت١، ت٢، ت٣، س : « الثعلبى » ، وفى ف : « الثغلبى » . وتقدم على الصواب فى ٤/ ٦٢٠.

(٢) فى م : « عبيدة » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/ ٣٨ إلى المصنف وأبى عبيد ، وذكره ابن كثير فى تفسيره ٣/ ٣٠٧ وقال : وهذا غريب ، فقد روى عن أبيّ بن كعب خلاف هذا . ثم ذكر ما أخرجه الحاكم وصححه وابن مردويه أن النبى ﷺ أقرأه : دَرَسْتَ .

(٤) ينظر ما تقدم فى ص ٤٧٢ .

(٥) فى النسخ : « به » . والمثبت صواب السياق .

يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : اتَّبِعْ يا محمدُ ما أمَرَك به ربُّك فى وحْيِه الذى أوحاه إليك ، فاعْمَلْ به ، وانْزَجِرْ عما زجَرَك عنه فيه ، ودَعْ ما يَدْعُوك إليه مُشْرِكو قومِك مِن عبادةِ الأوثانِ والأصنامِ ، فإنه ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ . يقولُ : لا معبودَ يَسْتَحِقُّ عليك إخلاصَ العبادةِ له إلا اللَّهُ الذى هو فالقُ الحبِّ والنَّوَى ، وفالقُ الإصْباحِ ، وجاعلُ الليلِ سَكَنًا والشمسِ والقمرِ حُسْبانًا ، ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ . يقولُ : ودَعْ عنك جِدالَهم وخُصومتَهم . ثم نسَخ ذلك جلَّ ثناؤُه بقولِه فى « براءةَ » : ﴿ ٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ الآية [التوبة : ٥] .

كما حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ : أما قولُه : ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ . ونحوُه مما أمَرَ اللَّهُ المؤمنين بالعفوِ عن المشركين ، فإنه نسَخ ذلك قولُه : ﴿ ٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾ .

/يقولُ جلَّ ثناؤُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : أعْرِضْ عن هؤلاء المشركين باللَّهِ ، ودَعْ عنك جِدالَهم وخصومتَهم ومُسابَّتَهم ، ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ﴾ . يقولُ : لو (١) أراد ربُّك (١) هدايتَهم واسْتنقاذَهم مِن ضلالتِهم ، لَلطَف لهم بتوفيقِه إياهم ، فلم يُشْرِكوا به شيئًا ، ولآمنوا بك ، فاتَّبعوك وصدَّقوا ما جئتَهم به مِن الحقِّ مِن عندِ ربِّك ، ﴿ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ . يقولُ جلَّ ثناؤُه : وإنما بعَثْتُك إليهم [١/٧٨٥و] رسولًا مبلغًا ، ولم نَبْعَثْك حافظًا عليهم ما هم عامِلوه ، وتُحْصِى ذلك عليهم ، فإن ذلك إلينا دونَك ، ﴿ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾ . يقولُ : ولستَ عليهم بقَيِّمٍ تَقومُ ٣٠٩/٧

(١ - ١) فى م : « أرادوا بك » .

بأرزاقِهم وأقواتِهم ، ولا بحفظِهم فيما لم يُجْعَلْ إليك حفظُه مِن أمرِهم .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ﴾ : يقولُ سبحانَه : لو شئتُ لجمَعْتُهم على الهدى أجمعين[1] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ وللمؤمنين به : ولا تَسُبُّوا الذين يَدْعُو المشركون مِن دونِ اللهِ مِن الآلهةِ والأندادِ ، فيَسُبَّ المشركون اللهَ جهلًا منهم بربِّهم ، واعتداءً بغيرِ علمٍ .

كما حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ . قال : قالوا : يا محمدُ ، لتَنْتَهِيَنَّ عن سبِّ آلهتِنا ، أو لنَهْجُوَنَّ ربَّك . فنهاهم اللهُ أن يَسُبُّوا أوثانَهم ، فيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بغيرِ علمٍ[2] .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ : كان المسلمون

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٦٦/٤، ١٤١٢/٥، ١٤١٣ (٧٧٥٨، ٨٠٤٧، ٨٠٥١) ، والبيهقى فى الأسماء والصفات (٣٧٧) من طريق أبى صالح به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٦٦/٤ (٧٧٦٠) من طريق أبى صالح ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٨/٣ إلى ابن المنذر وابن مردويه .

يَسُبُّون أوثانَ الكفارِ ، فيَرُدُّون ذلك عليهم ، فنهاهم اللَّهُ أن يَسْتَسِبُّوا[1] لربِّهم ، فإنهم قومٌ جهلةٌ لا علمَ لهم باللَّهِ[2] .

حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السديِّ : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا ٱللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ . قال : لما حضَر أبا طالبٍ الموتُ ، قالت قريشٌ : انْطَلِقوا بنا ، فلْنَدْخُلْ على هذا الرجلِ ، فلْنَأْمُرْه أن يَنْهَى عنا ابنَ أخيه ، فإنا نَسْتَحْيِي أن نَقْتُلَه بعدَ موتِه ، فتقولَ العربُ : كان يَمْنَعُه ، فلما مات قتَلوه . فانْطَلَق أبو سفيانَ ، وأبو جهلٍ ، والنضرُ بنُ الحارثِ ، وأميةُ وأُبيٌّ ابنا خَلَفٍ ، وعقبةُ بنُ أبي مُعَيْطٍ ، وعمرُو بنُ العاصِ ، والأسودُ بنُ البَخْتَرِيِّ ، /وبعَثوا رجلًا منهم يُقالُ له : المطلبُ . قالوا : اسْتَأْذِنْ على أبي طالبٍ . فأتَى أبا طالبٍ ، فقال : هؤلاء مَشْيَخةُ قومِك يُريدون الدخولَ عليك ، فأْذَنْ لهم . فدخَلوا عليه ، فقالوا : يا أبا طالبٍ ، أنت كبيرُنا وسيدُنا ، وإن محمدًا قد آذانا وآذَى آلهتَنا ، فنُحِبُّ أن تَدْعُوَه فتَنْهاه عن ذكرِ آلهتِنا ، ولْنَدَعْه وإلهَه . فدعاه ، فجاء نبيُّ اللَّهِ ﷺ ، فقال له أبو طالبٍ : هؤلاء قومُك وبنو عمِّك . قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ما تُريدون ؟ » . قالوا : نُريدُ أن تَدَعَنا وآلهتَنا ، ونَدَعَك وإلهَك . قال له أبو طالبٍ : قد أنْصَفَك قومُك ، فاقْبَلْ منهم . فقال النبيُّ ﷺ : « أرأَيْتُم إن أعْطَيْتُكم هذا ، هل أنتم مُعْطِيَّ كلمةً إن تكلَّمْتُم بها ملكْتُم العربَ ، ودانَت لكم بها العَجَمُ الخراجَ[3] ؟ » . قال أبو جهلٍ : نعم وأبيك لنُعْطِيَنَّكَها وعشرَ أمثالِها ، فما هي ؟ قال : « قولوا : لا إلهَ إلا اللَّهُ » . فأبَوْا واشْمَأَزُّوا . قال أبو طالبٍ : يابنَ أخي ، قلْ غيرَها ،

٣١٠/٧

(١) أي : أن يعرضوه ويجروه - سبحانه- للسب . ينظر النهاية ٢/ ٣٣٠.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٦٧/٤ (٧٧٦٣) من طريق سعيد بن بشير عن قتادة .

(٣) في م : « بالخراج » ، وفي تفسير ابن أبي حاتم ، وتفسير ابن كثير : « وأدت لك الخراج » . والمثبت موافق لتفسير ابن كثير - النسخة الخطية ، كما في طبعة دار الشعب ٣٠٨/٣ والدرالمنثور ٣/ ٣٨. فقد عزا الأثر إلى المصنف وابن أبي حاتم .

فإن قومَك قد فزِعوا منها . قال : « يا عمِّ ، ما أنا بالذى أَقولُ غيرَها حتى يأتونى[1] بالشمسِ فيَضَعوها فى يدىَّ ، ولو أتَوْنى بالشمسِ فوضَعوها فى يدىَّ ما قلتُ غيرَها » ؛ إرادةَ أن يُؤْيِسَهم ، فغضِبوا[2] وقالوا : لَتَكُفَّنَّ عن شتمِك آلهتَنا ، أو لَنَشْتُمَنَّك ولَنَشْتُمَنَّ مَن يَأْمُرُك . فذلك قولُه : ﴿ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾[3] .

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثَوْرٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ ، قال : كان المسلمون يَسُبُّون أصنامَ الكفارِ ، فيَسُبُّ الكفارُ اللَّهَ عَدْوًا بغيرِ علمٍ ، فأنْزَل اللَّهُ : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾[4] .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ . قال : إذا سبَبْتَ إلهَه ، سَبَّ إلهَك ، فلا تَسُبُّوا آلهتَهم .

وأجْمَعَت الحُجَّةُ[5] مِن قرأةِ الأمصارِ على قراءةِ ذلك : ﴿ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ . بفتحِ العينِ وتسكينِ الدالِ ، وتَخفيفِ الواوِ مِن قولِه : ﴿ عَدْوًا ﴾ . على أنه مصدرٌ مِن قولِ القائلِ : عدا فلانٌ على فلانٍ ، إذا ظلَمَه واعْتَدَى عليه ، يَعْدُو عَدْوًا وعُدُوًّا وعُدْوانًا . والاعْتداءُ إنما هو افْتِعالٌ مِن ذلك .

رُوِى عن الحسنِ البصرىِّ أنه كان يَقْرَأُ ذلك : (عُدُوًّا) . مُشدَّدةَ الواوِ[6] .

حدَّثنى بذلك أحمدُ بنُ يوسُفَ ، قال : ثنا القاسمُ بنُ سَلَّامٍ ، قال : ثنا حجاجٌ ،

---

(١) فى م : « يأتوا » .

(٢) سقط من : ص، ت١، ت٢، ت٣، س، ف .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٦٧/٤ (٧٧٦٢) من طريق أحمد بن مفضل به .

(٤) تفسير عبد الرزاق ٢١٥/١ - ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٦٦/٤ (٧٧٦١) - عن معمر به وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٨/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبى الشيخ .

(٥) فى م، ت١، ت٢، ت٣، س، ف : « الأمة » .

(٦) هى قراءة يعقوب . النشر ١٩٦/٢ .

عن هارونَ ، عن عثمانَ بنِ سعدٍ : (فيَسُبُّوا اللَّهَ عُدُوًّا) . مضمومةَ العينِ مُثَقَّلةً[(١)] .

وقد ذُكِر عن بعضِ البَصْريِّين أنه قرَأ ذلك : (فيَسُبُّوا[(٢)] اللَّهَ عَدُوًّا)[(٣)] . يُوَجِّهُ[(٤)] تأويلَه إلى أنهم جماعةٌ ، كما قال جلَّ ثناؤُه : ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء: ٧٧] . وكما قال : ﴿ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ [الممتحنة: ١] . ويَجْعَلُ نصبَ العَدوِّ حينَئذٍ على الحالِ مِن ذكرِ المشركين في قولِه : ﴿ فَيَسُبُّوا۟ ﴾ .

فيكونُ تأويلُ الكلامِ : ولا تَسُبُّوا أيُّها المؤمنون الذين [١/٧٨٥ظ] يَدْعُو المشركون مِن دونِ اللَّهِ فيَسُبَّ المشركون اللَّهَ أعداءَ اللَّهِ[(٥)] بغيرِ علمٍ . وإذا كان التأويلُ هكذا، كان العَدُوُّ مِن صفةِ المشركين ونعتِهم ، كأنه قيل : فيَسُبَّ المشركون أعداءَ اللَّهِ بغيرِ علمٍ . ولكنَّ العَدُوَّ لما خرَج مَخْرَجَ النكرةِ وهو نعتٌ للمعرفةِ ، نُصِب على الحالِ .

٣١١/٧ / **والصوابُ مِن القراءةِ عندى فى ذلك** قراءةُ مَن قرَأ بفتحِ العينِ وتخفيفِ الواوِ[(٦)] ؛ لإجماعِ الحُجَّةِ مِن القَرأةِ على قراءةِ ذلك كذلك ، وغيرُ جائزٍ خلافُها فيما جاءت به[(٧)] مُجْمِعةً عليه .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : كما زيَّنا لهؤلاء العادِلين بربِّهم الأوثانَ والأصنامَ عبادةَ

---

(١) وذكرها عنه فى الإتحاف ص ١٢٩، وقرأ بها أيضا يعقوب ، وهو من العشرة . النشر ١٩٦/٢.

(٢) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، س، ف : « فليسبوا » .

(٣) وهذه القراءة رواية عن ابن كثير المكى . الكشاف ٢/ ٤٣.

(٤) فى ص : « ويوجه » ، وفى ت١، ت٢،ت ٣: « وتوجيه » ، وفى س : « وتأول » ، وفى ف : « وتوجه » .

(٥) بعده فى ص، ت٢، س: « أعداء الله » . وكتب فى س : « كذا » .

(٦) القراءتان كلتاهما صواب .

(٧) سقط من : م ، ف .

الأوثانِ وطاعةَ الشيطانِ ، بخِذْلانِنا إياهم عن طاعةِ الرحمنِ ، كذلك زيَّنا لكلِّ جماعةٍ اجْتَمَعَت على عملٍ مِن الأعمالِ مِن طاعةِ اللَّهِ و(١) معصيةٍ له(١) ، عملَهم الذى هم عليه مُجْتَمِعون ، ثم مَرْجِعُهم بعدَ ذلك ومَصيرُهم إلى ربِّهم ، ﴿ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ . يقولُ : فيُوقِفُهم ويُخْبِرُهم بأعمالِهم التى كانوا يَعْمَلون بها فى الدنيا ، ثم يُجازِيهم بها ، إن كان خيرًا فخيرٌ ، وإن كان شرًّا فشرٌّ ، أو يَعْفُو بفضلِه ، ما لم يَكُنْ شركًا أو كفرًا .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا ٱلْآيَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : وحلَف باللَّهِ هؤلاء العادِلون باللَّهِ جَهْدَ حَلِفِهم - وذلك أوكدُ ما قدَروا عليه مِن الأيمانِ وأصعبُها وأشدُّها - ﴿ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ ﴾ . يقولُ : قالوا : نُقْسِمُ باللَّهِ لئن جاءَتْنا آيةٌ تُصَدِّقُ ما تقولُ يا محمدُ ، مثلُ الذى جاء مَن قبلَنا مِن الأممِ ، ﴿ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ﴾ . يقولُ : قالوا : لَنُصَدِّقَنَّ بمجيئِها بك ، وأنك للَّهِ رسولٌ مُرْسَلٌ ، وأن ما جئْتَنا به حقٌّ مِن عندِ اللَّهِ .

وقيل : ﴿ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ﴾ . فأخرَج الخبرَ عن الآيةِ ، والمعنى لمجىءِ الآيةِ .

يقولُ لنبيِّه ﷺ : ﴿ قُلْ إِنَّمَا ٱلْآيَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ . وهو القادرُ على إتيانِكم بها دونَ كلِّ أحدٍ مِن خلقِه ، ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ ﴾ . يقولُ : وما يُدْرِيكم ، ﴿ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ؟

وذُكِر أن الذين سألوه الآيةَ مِن قومِه هم الذين آيَس اللَّهُ نبيَّه مِن إيمانِهم مِن مشركى قومِه .

(١ - ١) فى م : « معصيته » .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ﴾ . إلى قولِه : ﴿ يَجْهَلُونَ ﴾ : سألت قريشٌ محمدًا ﷺ أن يأْتِيَهم بآيةٍ ، واستَحْلَفهم لَيُؤْمِنُنَّ بها[1] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، [2]عن مجاهدٍ[2] : ﴿ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ﴾ . ثم ذكَر مثلَه .

حدَّثنا هَنَّادٌ ، قال : ثنا يونُسُ بنُ بكيرٍ ، قال : ثنا أبو مَعْشَرٍ ، عن محمدِ بنِ كعبٍ القُرظىِّ ، قال : /كلَّم رسولُ اللَّهِ ﷺ قُريشًا[3] ، فقالوا : يا محمدُ ، تُخْبِرُنا أن موسى كان معه عصًا يَضْرِبُ بها الحجرَ فانْفَجَرَت منه اثنتا عشْرةَ عينًا ، وتُخْبِرُنا أن عيسى كان يُحْيِى الموتى ، وتُخْبِرُنا أن ثَمُودَ كانت لهم ناقةٌ ، فأْتِنا[4] مِن الآياتِ حتى نُصَدِّقَك . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أىَّ شىءٍ تُحِبُّون أن آتِيَكم به ؟ » . قالوا : تَجْعَلُ لنا الصَّفَا ذهبًا . فقال لهم : « فإن فعَلْتُ تُصَدِّقونى ؟ » . قالوا : نعم واللَّهِ ، لئن فعَلْتَ [5]لَنَتَّبِعَنَّك أجمعين[5] . فقام رسولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو ، فجاءه جبريلُ عليه السلامُ

٣١٢/٧

---

(١) تفسير مجاهد ص ٣٢٦، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٦٨/٤ (٧٧٦٧) . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٩/٣ إلى ابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وأبى الشيخ .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت١ ،ت٢ ،ت٣ ، س ، ف .

(٣) فى م : « قريش » .

(٤) بعده فى م : « بشىء » .

(٥ - ٥) فى م : « لنتبعك أجمعون » .

فقال له[1]: ما شئتَ؛ إن شئتَ أصبَح ذهبًا، ولئن أرسل آيةً فلم يُصَدِّقوا عندَ ذلك لَنُعَذِّبَنَّهم، وإن شئتَ فأترُكْهم[2] حتى يتوبَ تائبُهم. فقال: «بل يَتوبُ تائِبُهم». فأنزَل اللَّهُ تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ﴾ إلى قولِه ﴿يَجْهَلُونَ﴾[3].

القولُ فى تأويلِ قولِه: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٩)﴾.

اختلَف أهلُ التأويلِ فى المخاطَبين بقولِه: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾؛ فقال بعضُهم: خُوطِب بقولِه: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾. المشركون المُقْسِمون باللَّهِ؛ لئن جاءتهم آيةٌ ليُؤْمِنُنَّ. وانتهى الخبرُ عندَ قولِه: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾. ثم اسْتُؤْنِف الحكمُ عليهم بأنهم لا يُؤْمنون عندَ مجيئِها استئنافًا مبتدأً.

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو، قال: ثنا أبو عاصمٍ، قال: ثنا عيسى، عن ابنِ أبى نَجيحٍ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾. قال: ما يُدْرِيكم. قال: ثم أخبَر عنهم أنهم لا يُؤْمِنون[4].

حدَّثنى المثنى، قال: ثنا أبو حذيفةَ، قال: ثنا شبلٌ، عن ابنِ أبى نجيحٍ، عن مجاهدٍ: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾: وما يُدْرِيكم، (إنها إذا جاءت). قال: أَوْجَب عليهم أنها إذا جاءت لا يُؤْمِنون.

---

(١) بعده فى م: «لك».

(٢) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، ف: «فاترحهم» غير منقوطة، وفى س: «فاترحهم». وأثبتها الشيخ شاكر: فأندحهم. وقال: وهو عندى من قولهم: ندحت الشيء ندحا: إذا أوسعته وأفسحته ... أى: أفسح لهم وأجعل لهم مندوحة فى هذا الأمر حتى يتوب تائبهم.

(٣) ذكره ابن كثير فى التفسير ٣/٣٠٩ عن المصنف، ثم قال: وهذا مرسل وله شواهد من وجوه أخر. وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/٣٩ إلى المصنف.

(٤) من تمام الأثر المتقدم تخريجه فى الصفحة السابقة. وأخرج هذا الجزء ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٣٦٨ (٧٧٦٨، ٧٧٦٩) من طريق ورقاء عن ابن أبى نجيح به.

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : سمِعْتُ عبدَ اللَّهِ بنَ يزيدَ[1] يقـولُ : ﴿إِنَّمَا ٱلْأَيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ . ثم يَسْتَأْنِفُ فيقولُ : (إنها إذا جاءَت لا يُؤْمنون) .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن مجاهدٍ قولَه : ﴿إِنَّمَا ٱلْأَيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ : وما يُدْرِيكم أنكم تُؤْمِنون إذا جاءت ، ثم اسْتَقْبل [٧٨٦/١ و] يُخْبِرُ عنهم فقال : ﴿إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[2] .

وعلى هذا التأويلِ قراءةُ مَن قرَأ ذلك بكسرِ ألفِ : (إنها) ، على أن قولَه : (إنَّها إذا جاءت لا يُؤْمنون) . خبرٌ مبتدأٌ منقَطِعٌ عن الأولِ .

وممَّن قرَأ ذلك كذلك بعضُ قرأةِ المكيين والبصريين[3] .

وقال آخَرون منهم[4] : بل ذلك خطابٌ مِن اللَّهِ نبيَّه ﷺ وأصحابَه . قالوا : وذلك أن الذين سأَلوا رسولَ اللَّهِ ﷺ أن يَأْتِيَ بآيةٍ ، المؤمنون به . قالوا : وإنما كان سببَ مسألتِهم إياه ذلك أن المشركين حَلَفوا أن الآيةَ إذا جاءت آمَنوا واتَّبَعوا رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فقال أصحابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ : سَلْ يا رسولَ اللَّهِ ربَّك ذلك . فسأَل ، فأنْزَل اللَّهُ فيهم وفى مسألتِهم إياه ذلك ، ﴿قُلْ﴾ للمؤمنين بك يا محمدُ : ﴿إِنَّمَا ٱلْأَيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ أيُّها المؤمنون بأن[5] الآياتِ إذا جاءَت هؤلاء /المشركين باللَّهِ أنهم لا يُؤْمِنون به . ففتَحوا الألفَ مِن « أن » . ٣١٣/٧

وممَّن قرَأ ذلك كذلك عامةُ قرأةِ أهلِ المدينةِ والكوفةِ[6] ، وقالوا : أُدْخِلَت

---

(١) فى م : « زيد » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٦٨/٤ (٧٧٧٠) من طريق حجاج به عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٩/٣ إلى أبى الشيخ .

(٣) وهى قراءة ابن كثير وأبى عمرو ، وعن أبى بكر الوجهان . الكشف عن وجوه القراءات ١/ ٤٤٤.

(٤) ينظر معانى القرآن للفراء ١/ ٣٥٠.

(٥) فى ص، ت١، س، ف : « بأنه أن » .

(٦) هى قراءة نافع وعاصم فى رواية حفص وحمزة والكسائى . السبعة لابن مجاهد ص٢٦٥ .

﴿ لَا ﴾ في قوله : ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ . صلةٌ[(١)] ، كما أُدْخِلَت في قوله : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ ﴾ [الأعراف : ١٢] . وفى قوله : ﴿ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [الأنبياء: ٩٥] . وإنما المعنى : وحَرامٌ عليهم أن يَرْجِعوا ، وما منَعَك أن تَسْجُدَ .

وقد تأوَّل قومٌ قرءوا ذلك بفتحِ الألفِ مِن : ﴿ أَنَّهَا ﴾ . بمعنى : لعلَّها . وذكَروا أن ذلك كذلك فى قراءةِ أبيِّ بنِ كعبٍ[(٢)] .

وقد ذُكِر عن العربِ سماعًا منها : اذْهَبْ إلى السوقِ أنك تَشْتَرِى لى شيئًا . بمعنى : لعلك تَشْتَرِى .

وقد قيل : إن قولَ عدىِّ بنِ زيدٍ العِبادىِّ[(٣)] :

أَعاذِلَ ما يُدْرِيك أَنَّ مَنِيَّتى إلى ساعةٍ فى اليومِ أو فى ضُحَى الغَدِ

بمعنى : لعل منيَّتى . وقد [(٤)]أنشَدوا فى[(٤)] بيتِ دُرَيْدِ بنِ الصِّمَّةِ[(٥)] :

ذَرِينى أُطَوِّفْ فى البلادِ لأننى أَرَى ما تَرَيْنَ أو بَخيلًا مُخَلَّدَا

بمعنى : لعلَّنى . والذى أنْشَدنى أصحابُنا عن الفَرَّاءِ :

* لعلَّنى أَرَى ما تَرَيْن *

وقد أُنْشِد أيضًا بيتُ تَوْبَةَ بنِ الحُمَيِّرِ[(٦)] :

---

(١) ينظر تعريف الصلة فى ١/ ١٩١.

(٢) ذكرها الفراء فى الموضع السابق ، وانظرها أيضا فى البحر المحيط ٤/ ٢٠٢، وهى شاذة .

(٣) جمهرة أشعار العرب ٢/ ٥٠٩، الشعر والشعراء ١/٢٢٦، معاهد التنصيص ١/ ٣١٦.

(٤ - ٤) فى م : « أنشدونى » .

(٥) الأصمعيات ص١١٣ وروايته هكذا :

ذرينى أطوف فى البلاد لعلني ألاقى بإثْرٍ ثُلَّة من محارب

وينظر ما تقدم فى ٢/٥٦٩ .

(٦) الكتاب ٢/ ٢٠٠ ، والنوادر لأبى زيد ص ٧٢ .

لعلَّك يا تَيْسًا نَزَا فى مَرِيرةٍ[1] مُعَذِّبُ لَيْلَى أن تَرانى أَزُورُها

لَهَنَّك يا تَيْسًا ، بمعنى : لأنّك . التى فى معنى : لعلَّك . وأُنْشِد بيتُ أبى النَّجْمِ العِجْلىِّ :

قلتُ لشَيْبانَ ادْنُ مِن لقائِهْ

أنا نُغَدِّى القومَ مِن شِوائِهْ[2]

بمعنى : لعلَّنا نُغَدِّى القومَ .

/ وأولى التأويلاتِ فى ذلك بتأويلِ الآيةِ قولُ مَن قال : ذلك خطابٌ مِن اللَّهِ للمؤمنين به مِن أصحابِ رسولِه ، أعْنى قولَه : ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ . وأن قولَه : ﴿أَنَّهَآ﴾ . بمعنى : لعلَّها . ٣١٤/٧

وإنما كان ذلك أولى تأويلاتِه بالصوابِ ؛ لاستفاضةِ القراءةِ فى قرأةِ الأمصارِ بالياءِ مِن قولِه : ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ .

ولو كان قولُه : ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ . خطابًا للمشركين ، لكانت القراءةُ فى قولِه : ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ . بالتاءِ ، وذلك وإن كان قد قرَأه بعضُ قرأةِ المكيين كذلك ، فقراءةٌ خارجةٌ عما عليه قرأةُ الأمصارِ ، وكفَى بخلافِ جميعِهم لها دليلًا على ذَهابِها وشُذوذِها[3] .

وإنما معنى الكلامِ : وما يُدْرِيكم أيُّها المؤمنون ، لعلَّ الآياتِ إذا جاءت هؤلاء المشركين لا يُؤْمِنون ، فيُعاجَلوا بالنِّقْمةِ والعذابِ عندَ ذلك ، ولا يُؤَخَّروا به .

---

(١) المريرة : الحبل الشديد الفتل . اللسان (م ر ر) .

(٢) الكتاب ٣/ ١١٦، والمعانى الكبير ٣٦٣/١ ، وفيهما : كما نغدى .

(٣) القراءة بالتاء ليست شاذة ، بل هى متواترة ، وقد قرأ بها ابن عامر وحمزة وهما من السبعة ؛ وقد خرج أبو حيان هذه القراءة فى البحر المحيط ٢٠٢/٤ تخريجا جيدا من حيث المعنى فراجعه .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : اختلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ ذلك ؛ **فقال بعضُهم :** معنى ذلك : لو أنا جِئْناهم بآيةٍ كما سأَلوا ، ما آمَنوا ، كما لم يُؤْمِنوا بما قبلَها أولَ مرةٍ ؛ لأن اللَّهَ حال بينَهم وبينَ ذلك .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ الآية . قال : لما جحَد المشركون ما أنزَل اللَّهُ ، لم تَثْبُتْ قلوبُهم على شىءٍ ، ورُدَّت عن كلِّ أمرٍ[1] .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ ﴾ . قال : نَمْنَعُهم مِن ذلك كما فعَلْنا بهم أولَ مرةٍ . وقرَأ : ﴿ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾[2] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ ﴾ . قال : نَحولُ بينَهم وبينَ الإيمانِ ، ولو جاءَتهم كلُّ آيةٍ فلا يُؤْمِنون ، كما حُلْنا بينَهم وبينَ الإيمانِ أولَ مرةٍ[3] .

وقال آخرون : معنى ذلك : ونُقَلِّبُ أفئدتَهم وأبصارَهم لو رُدُّوا مِن الآخرةِ إلى

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٦٩/٤ (٧٧٧١) عن محمد بن سعد به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٦٩/٤ (٧٧٧٣) من طريق أصبغ بن الفرج ، عن ابن زيد به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٦٩/٤ (٧٧٧٢) من طريق ابن جريج عن ابن كثير عن مجاهد .

الدنيا ، فلا يُؤْمنون كما فعَلْنا بهم ذلك فلم يُؤْمِنوا فى الدنيا . قالوا : وذلك نظيرُ قولِه : ﴿ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ ﴾ [الأنعام: ٢٨] .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : أخبَرَ اللَّهُ سبحانَه ما العبادُ قائلون قبلَ أن يَقولوه ، وعملُهم قبلَ أن يَعْمَلوه . قال : /﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فاطر: ١٤] ، ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ [٧٨٦/١ظ] لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الزمر: ٥٦- ٥٨] . يقولُ : مِن المهتدين . فأخبَرَ اللَّهُ سبحانَه ، أنهم لورُدُّوا [(١] لم يَقْدِروا على الهُدَى ، وقال : ﴿ وَلَوْ رُدُّوا۟ [١)] لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ . وقال : ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ . قال : لو رُدُّوا إلى الدنيا لَحِيل بينَهم وبينَ الهدى ، كما حُلْنا بينَهم وبينَه أولَ مرةٍ وهم فى الدنيا[(٢)] .

٣١٥/٧

وأولى التأويلاتِ فى ذلك عندى بالصوابِ أن يقالَ : إن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه أخبَرَ عن هؤلاء الذين أقْسَموا باللَّهِ جهدَ أيمانِهم : لئن جاءَتهم آيةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بها . أنه يُقَلِّبُ أفئدتَهم وأبصارَهم ويُصَرِّفُها كيف شاء ، وأن ذلك بيدِه ، يُقِيمُه إذا شاء ، ويُزِيغُه إذا أراد ، وأن قولَه : ﴿ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ . دليلٌ على محذوفٍ مِن الكلامِ ، وأن قولَه : ﴿ كَمَا ﴾ . تشبيهُ ما بعدَه بشىءٍ قبلَه .

(١ - ١) سقط من : م ، وفى ص، ت١، ت٢، ت٣، س : « على الهدى وقال ولو ردوا » . وفى ف : « على الهدى وقالوا ولو ردوا » والمثبت من نص الأثر ، كما سيذكره المصنف فى سورة الزمر .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٣٢/٥ إلى المصنف وابن المنذر وابن أبى حاتم ، وأخرج آخره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٦٩/٤ (٧٧٧٥) من طريق أبى صالح به .

وإذ كان ذلك كذلك ، فالواجبُ أن يَكونَ معنى الكلامِ : ونُقَلِّبُ أفئدتَهم فنُزِيغُها عن الإيمانِ ، وأبصارَهم عن رؤيةِ الحقِّ ومعرفةِ موضعِ الحُجَّةِ ، وإن جاءتهم الآيةُ التي سألُوها فلا يُؤْمِنوا باللَّهِ ورسولِه وما جاء به مِن عندِ اللَّهِ ، كما لم يُؤْمِنوا بتقليبِنا إياها قبلَ مجيئِها مرَّةً قبلَ ذلك .

وإذا كان ذلك تأويلَه ، كانت الهاءُ مِن قولِه : ﴿ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِۦٓ ﴾ . كنايةَ ذكرِ التَّقْليبِ .

القولُ في تأويلِ قولِه : ﴿ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : ونَذَرُ هؤلاء المشركين الذين أقْسَموا باللَّهِ جهْدَ أيمانِهم ؛ لَئِن جاءَتهم آيةٌ ليُؤْمِنُنَّ بها عندَ مجيئِها . في تمرُّدِهم على اللَّهِ ، واعتدائِهم في حدودِه ، يَتَرَدَّدون ، لا يَهْتَدون لحقٍّ ، ولا يُبْصِرون صوابًا ، قد غلَب عليهم الخِذْلانُ ، واسْتَحْوذ عليهم الشيطانُ .

١/٨ / **القولُ في تأويلِ قولِه : ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ .**

يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : يا محمدُ ، آيِسْ مِن فلاحِ هؤلاء العادِلين بربِّهم الأوثانَ والأصنامَ ، القائلين لك : لئن جئتنا بآيةٍ لنؤمننَّ لك . فإننا لو نزَّلْنا إليهم الملائكةَ حتى يَرَوْها عِيانًا ، وكلَّمهم الموتى بإحيائِنا إياهم حُجَّةً لك ، ودلالةً على نبوَّتِك ، وأخبَروهم أنك مُحِقٌّ فيما تقولُ ، وأن ما جئتَهم به حقٌّ مِن عندِ اللَّهِ ، وحشَرْنا عليهم كلَّ شيءٍ فجعَلْناهم لك قُبُلًا - ما آمَنوا ، ولا صدَّقوك ، ولا اتَّبَعوك ، إلا أن يَشاءَ اللَّهُ ذلك لمَن شاء منهم ، ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ . يقولُ : ولكنَّ أكثرَ هؤلاء المشركين يَجْهَلون أن ذلك كذلك ، يَحْسَبون أن الإيمانَ إليهم ، والكفرَ

بأيديهم ، متى شاءوا آمَنوا ، ومتى شاءوا كفَروا ، وليس ذلك كذلك ، ذلك بيدى ، لا يُؤْمِنُ منهم إلا مَن هدَيْتُه[(١)] فوفَّقْتُه ، ولا يَكْفُرُ إلا مَن خذَلْتُه عن الرشدِ فأضْلَلْتُه .

وقيل : إن ذلك نزَل فى المستهزئين برسولِ اللَّهِ ﷺ وما جاء به مِن عندِ اللَّهِ مِن مشركى قريشٍ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنا حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، قال : نزَلَت فى المستهزئين الذين سأَلوا النبىَّ ﷺ الآيةَ[(٢)] : ﴿ قل ﴾ يا محمدُ ﴿ إِنَّمَا ٱلْأَيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام : ١٠٩] . ونزَل فيهم : ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا ﴾[(٣)] .

وقال آخرون : إنما قيل : ﴿ مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ ﴾ . يُرادُ به أهلُ الشَّقاءِ ، وقيل : ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ ، فاستَثْنَى ذلك مِن قولِه : ﴿ لِيُؤْمِنُوٓا۟ ﴾ ، يُرادُ به أهلُ الإيمانِ والسعادةِ .

/ذكرُ مَن قال ذلك

٢/٨

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ ﴾ : وهم أهلُ الشَّقاءِ ، ثم قال : ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ . وهم أهلُ السعادةِ الذين سبَق لهم فى علمِه أن يَدْخُلوا فى

(١) بعده فى م : « له » .
(٢) بعده فى م : « فقال » .
(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٩/٣ إلى أبى الشيخ .

الإيمانِ[(١)] .

وأولى القولين في ذلك بالصواب قولُ ابنِ عباسٍ ؛ لأن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه عمَّ بقولِه : ﴿ مَّا كَانُوٓاْ لِيُؤْمِنُوٓاْ ﴾ القومَ الذين تقدَّم ذكرُهم في قولِه : ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ﴾ [الأنعام: ١٠٩] .

وقد يَجوزُ أن يَكونَ الذين سأَلوا الآيةَ كانوا هم المستهزئين الذين قال ابنُ جريجٍ : إنهم عُنُوا بهذه الآيةِ ، ولكن لا دلالةَ في ظاهرِ التنزيلِ على ذلك ، ولا خبرَ تَقومُ به حجةٌ بأن ذلك كذلك ، والخبرُ مِن اللَّهِ خارجٌ مَخرجَ العمومِ ، فالقولُ بأن ذلك عُنِى به أهلُ الشقاءِ منهم أولى ؛ لما وصَفْنا .

واختَلَفت القرأةُ في قراءةِ قولِه : ﴿ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا ﴾ ؛ فقرأَتْه قرأةُ أهلِ المدينةِ : (قِبَلًا) بكسرِ القافِ وفتحِ الباءِ[(٢)] ، بمعنى : مُعاينةً ، مِن قولِ القائلِ : لقِيتُه قِبَلًا . أى : مُعاينةً ومُجاهَرةً .

وقرَأ ذلك عامةُ قرأةِ الكوفيين والبصريين : ﴿ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا ﴾ بضمِّ القافِ والباءِ[(٣)] .

وإذا قُرِئَ كذلك كان له مِن التأويلِ ثلاثةُ أوجهٍ : **أحدُها** ، أن يَكونَ القُبُلُ جمعَ قَبِيلٍ ، كما الرُّغفُ التى هى جمعُ رَغيفٍ ، والقُضُبُ التى هى جمعُ قَضيبٍ ، ويَكونَ القُبُلُ [١/٧٨٧و] الضُّمَناءَ والكُفَلاءَ ، وإذا كان ذلك معناه ، كان تأويلُ الكلامِ : وحشَرْنا عليهم كلَّ شيءٍ كُفَلاءَ يَكْفُلون لهم بأن الذى نَعِدُهم على إيمانِهم

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٣٧١ (٧٧٨٥) من طريق عبد الله بن صالح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/٣٩ إلى ابن المنذر .

(٢) هى قراءة نافع وأبى جعفر وابن عامر . النشر ٢/١٩٦ .

(٣) وهى قراءة ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائى ويعقوب وخلف . المصدر السابق .

باللَّهِ إن آمِنوا، أو نُوعِدُهم على كفرِهم باللَّهِ إن هلَكوا على كفرِهم، ما آمَنوا إلا أن يَشاءَ اللَّهُ.

والوجهُ الآخرُ: أن يَكونَ القُبُلُ بمعنى المُقابَلةِ والمُواجَهةِ، مِن قولِ القائلِ: أتيتُك قُبُلًا لا دُبُرًا. إذا أتاه مِن قِبَلِ وجهِه.

والوجهُ الثالثُ: أن يَكونَ معناه: وحشَرْنا عليهم كلَّ شيءٍ قَبيلةً قَبيلةً، صِنْفًا صنفًا، وجماعةً جماعةً. فيكونَ القُبُلُ حينَئذٍ جمعَ قَبِيلٍ، الذى هو جمعُ قَبيلةٍ، فيَكونَ القُبُلُ جمعَ الجمعِ.

وبكلٍّ ذلك قد قالت جماعةٌ مِن أهلِ التأويلِ.

ذكرُ مَن قال: معنى ذلك: مُعايَنةً

حدَّثنى المثنى، قال: ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ، قال: ثنى معاويةُ بنُ صالحٍ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ، عن ابنِ عباسٍ: (وحشَرْنا عليهم كلَّ شىءٍ قِبَلًا) يقولُ: مُعايَنةً[(١)].

حدَّثنا بشرٌ، قال: ثنا يزيدُ، قال: ثنا سعيدٌ، عن قتادةَ: (وحشَرْنا عليهم كلَّ شىءٍ قِبَلًا): حتى يُعايِنوا ذلك مُعايَنةً ﴿مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[(٢)].

ذكرُ مَن قال: معنى ذلك: قَبيلةً قبيلةً، صنفًا صنفًا

حدَّثنى المثنى، قال: ثنا إسحاقُ، قال: ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ يزيدَ: مَن قرَأ: ﴿قُبُلًا﴾: معناه: قَبيلًا قبيلًا[(٣)].

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٣٧٠ (٧٧٨٣) من طريق عبد الله بن صالح به.

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/٣٩ إلى عبد بن حميد وأبى الشيخ.

(٣) ذكره الطوسى فى التبيان ٤/ ٢٣٩، وأبو حيان فى البحر المحيط ٤/ ٢٠٥.

٣/٨ / حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، قال : قال مجاهدٌ : ﴿ قُبُلًا ﴾ : أفواجًا ، قبيلًا قبيلًا[(١)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ يونُسَ ، عن أبى خَيثَمةَ ، قال : ثنا أبانُ بنُ تَغلِبَ ، قال : ثنى طلحةُ أن مجاهدًا قرأ فى « الأنعامِ » : ﴿ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا ﴾ . قال : قبائلَ ؛ قَبيلًا وقبيلًا وقبيلًا .

ذكرُ مَن قال : معناه : مُقابَلةً .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا ﴾ . يقولُ : لو استَقْبَلَهم ذلك كلُّه لم يُؤْمِنوا إلا أن يَشاءَ اللَّهُ[(٢)] .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا ﴾ . قال : حُشِروا إليهم جميعًا ، فقابَلوهم وواجَهوهم[(٣)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ يزيدَ : قرأ عيسى : ﴿ قُبُلًا ﴾ . ومعناه : عِيانًا .

وأولى القراءتين فى ذلك بالصوابِ عندَنا قراءةُ مَن قرأ : ﴿ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا ﴾ . بضمِّ القافِ والباءِ ؛ لِما ذكَرْنا مِن احتمالِ ذلك الأوجهَ التى بيَّنَّا مِن المعانى ، وأن معنى القِبَلِ داخلٌ فيه ، وغيرُ داخلٍ فى القِبَلِ معانى القُبُلِ .

وأما قولُه : ﴿ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ فإن معناه : وجمَعْنا عليهم ، وسُقْنا إليهم .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/٣٩ إلى أبى الشيخ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٣٧٠ (٧٧٨٢) عن محمد بن سعد به .

(٣) ذكره القرطبى فى تفسيره ٧/ ٦٦، وأبو حيان فى البحر المحيط ٤/ ٢٠٥، وابن كثير فى تفسيره ٣/ ٣١١.

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ مُسَلِّيه بذلك عما لقِى مِن كفَرةِ قومِه فى ذاتِ اللَّهِ ، وحاثًّا له على الصبرِ على ما ناله فيه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا ﴾ . يقولُ : وكما ابْتَلَيْناك يا محمدُ بأن جعَلْنا لك مِن مُشْرِكى قومِك أعداءً ؛ شياطينَ يُوحِى بعضُهم إلى بعضٍ زُخْرُفَ القولِ ؛ ليَصُدُّوهم بمُجادَلَتِهم إيَّاك بذلك عن اتِّباعِك والإيمانِ بك وبما جئتَهم به مِن عندِ ربِّك ، كذلك ابْتَلَيْنا مَن قبلَك مِن الأنبياءِ والرسلِ بأن جعَلْنا لهم أعداءً مِن قومِهم يُؤْذُونهم بالجِدالِ والخصوماتِ . يقولُ : فهذا الذى امْتَحَنْتُك به ، لم تُخْصَصْ به مِن بينِهم وحدَك ، بل قد عمَمْتُهم بذلك معك ؛ لأَبْتَلِيَهم وأَخْتَبِرَهم ، مع قُدْرتى على منعِ مَن آذاهم مِن أَذاهم[1] ، فلم أَفْعَلْ ذلك إلا لأَعْرِفَ أولى العَزْمِ منهم مِن غيرِهم . يقولُ : فاصْبِرْ أنت كما صبَر أولو العزمِ مِن الرسلِ .

وأما « شياطينُ الإنسِ والجنِّ » فإنهم مَرَدتُهم . وقد بيَّنا الفعلَ الذى منه بُنِى هذا الاسمُ بما أغْنَى عن إعادتِه[2] .

ونُصِبَ « العدو » و « الشياطين » بقولِه : ﴿ جَعَلْنَا ﴾ .

وأما قولُه : ﴿ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ . فإنه يعنى أنه يُلْقِى المُلْقِى منهم القولَ الذى زيَّنه وحسَّنه بالباطلِ إلى صاحبِه ؛ ليَغْتَرَّ به مَن سمِعه فيَضِلَّ عن سبيلِ اللَّهِ .

/**ثم اختَلَف أهلُ التأويلِ فى معنى قولِه : ﴿ شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ ﴾ ؛ فقال** ٤/٨

---

(١) فى م : « إيذائهم » .

(٢) ينظر ما تقدم فى ١/ ١٠٩، ١١٠.

بعضُهم : معناه : شياطينُ الإنسِ التى مع الإنسِ ، وشياطينُ الجنِّ التى مع الجنِّ ، وليس للإنسِ شياطينُ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المُفَضَّلِ ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السديِّ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًاۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ ﴾ : أما شياطينُ الإنسِ فالشياطينُ التى تُضِلُّ الإنسَ ، وشياطينُ الجنِّ الذين يُضِلُّون الجنَّ ، يَلْتَقِيان فيَقولُ كلُّ واحدٍ منهما : إنى أضْلَلْتُ صاحبى بكذا وكذا ، وأضْلَلْتَ أنت صاحبَك بكذا وكذا . فيُعَلِّمُ بعضُهم بعضًا[(١)] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبو نُعَيْمٍ ، عن شَريكٍ ، عن سعيدِ بنِ مَسْروقٍ ، عن عكرمةَ : ﴿ شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ ﴾ . قال : ليس فى الإنسِ شياطينُ ، ولكنَّ شياطينَ الجنِّ يُوحُون إلى شياطينِ الإنسِ ، وشياطينَ الإنسِ يُوحُون إلى شياطينِ الجنِّ[(٢)] .

حدَّثنى الحارثُ ، قال : ثنا عبدُ العزيزِ ، قال : ثنا إسرائيلُ ، عن السديِّ ، [(٣)] عن عكرمةَ[(٣)] فى قولِه : ﴿ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًاۚ ﴾ . قال : للإنسانِ شيطانٌ ، وللجنيِّ شيطانٌ ، فيَلْقَى شيطانُ الإنسِ شيطانَ الجنِّ ، فيُوحِى بعضُهم إلى بعضٍ زُخْرفَ القولِ غُرورًا[(٤)] .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٧٢/٤ عقب الأثر (٧٧٩١) من طريق أسباط به .

(٢) ذكره البغوى فى تفسيره ٣/ ١٧٩.

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٣١٣/٣ عن المصنف .

قال أبو جعفرٍ : جعَل عكرمةُ والسديُّ فى تأويلِهما هذا الذى ذكَرْتُ عنهما ، عدوَّ الأنبياءِ الذين ذكَرهم اللَّهُ فى قولِه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا ﴾ أولادَ إبليسَ دونَ أولادِ آدمَ ، ودونَ الجنِّ ، وجعَل الموصوفين بأن بعضَهم يُوحِى إلى بعضٍ زُخْرفَ القولِ غُرورًا ولدَ إبليسَ ، وأن مع ابنِ آدمَ مِن ولدِ إبليسَ مَن يُوحِى إلى مَن مع الجنِّ مِن ولدِه زُخْرفَ القولِ غُرورًا .

وليس لهذا التأويلِ وجهٌ مفهومٌ ؛ لأن اللَّهَ جعَل إبليسَ وولدَه أعداءَ ابنِ آدمَ ، فكلُّ ولدِه لكلِّ ولدِه عدوٌّ ، وقد خصَّ اللَّهُ فى هذه الآيةِ الخبرَ عن الأنبياءِ أنه جعَل لهم مِن الشياطينِ أعداءً ، فلو كان معنيًّا بذلك الشياطينُ الذين ذكَرهم السديُّ ، الذين هم ولدُ إبليسَ ، لم يَكُنْ لخصوصِ الأنبياءِ بالخبرِ عنهم أنه جعَل لهم الشياطينَ أعداءً ، وجهٌ[1] ، وقد جعَل مِن[1] ذلك لأعْدَى أعْدائِه مثلَ الذى جعَل لهم ، ولكنَّ ذلك كالذى قلْنا ، مِن أنه معنيٌّ به أنه جعَل مَرَدةَ الإنسِ والجنِّ لكلِّ نبيٍّ عدوًّا يُوحِى بعضُهم إلى بعضٍ مِن القولِ ما يُؤْذِيهم به .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك جاء الخبرُ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاجُ بنُ المِنْهالِ ، قال : ثنا حمادٌ ، عن مَعْبَدِ[2] بنِ هلالٍ ، قال : ثنى رجلٌ مِن أهلِ دمشقَ ، عن عوفِ بنِ مالكٍ ، عن أبى ذرٍّ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « يا أباذرٍّ ، هل تَعَوَّذْتَ باللَّهِ مِن شرِّ شياطينِ الإنسِ والجنِّ ؟ » قال : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، هل للإنسِ مِن شياطينَ ؟ قال : « نعم »[3] .

---

(١) سقط من : ص ، ت ١ ، س ، ف .

(٢) فى النسخ : « حميد » ، والمثبت من مصادر التخريج . وينظر تهذيب الكمال ٢٨/ ٢٤٠ .

(٣) أخرجه إسحاق بن راهويه فى مسنده - كما فى الإتحاف بذيل المطالب (٥١٢٨) - والحارث فى مسنده (٤٨ - بغية) ، وأبو يعلى فى مسنده - كما فى الإتحاف (٥١٣١) - من طريق حماد به مطولا . وينظر مسند الطيالسى (٤٨٠) .

٥/٨ حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالحٍ[1] ، عن /أبى عبدِ الملكِ[2] محمدِ بنِ أيوبَ وغيرِه مِن المَشْيَخةِ ، عن ابنِ عائذٍ ، عن أبى ذرٍّ ، أنه قال : أتَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى مجلسٍ ، قد أطال فيه الجلوسَ ، قال : فقال : « يا أبا ذرٍّ ، هل صلَّيْتَ ؟ » قال : قلتُ : لا ، يا رسولَ اللَّهِ . قال : « قُمْ فارْكَعْ ركعتَيْن » . قال : ثم جئتُ فجلَسْتُ إليه ، فقال : « يا أبا ذرٍّ ، هل تعَوَّذْتَ باللَّهِ مِن شرِّ شياطينِ الإنسِ والجنِّ ؟ » قال : قلتُ : يارسولَ اللَّهِ ، وهل للإنسِ شياطينُ ؟ قال : « نعم ، شرٌّ مِن شياطينِ الجنِّ »[3] .

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ ، قال : بلَغَنى أن أبا ذرٍّ قام يومًا يُصَلِّى ، فقال له النبيُّ ﷺ : « تَعَوَّذْ يا أبا ذرٍّ مِن شياطينِ الإنسِ والجنِّ » . فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، أوَ إن مِن الإنسِ شياطينَ ؟ قال : « نعم » .

وقال آخرون فى ذلك بنحوِ الذى قلنا مِن أن ذلك إخبارٌ مِن اللَّهِ أن شياطينَ الإنسِ والجنِّ ، يُوحِى بعضُهم إلى بعضٍ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا معمرٌ ، عن قتادةَ ، فى قولِه : ﴿ شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ ﴾ . قال : مِن الجنِّ شياطينُ ، ومِن الإنسِ شياطينُ يُوحِى بعضُهم إلى بعضٍ . قال قتادةُ : بلَغَنى أن أبا ذرٍّ كان يومًا يُصَلِّى ، فقال النبيُّ ﷺ : « تَعَوَّذْ يا أبا ذرٍّ مِن شياطينِ الإنسِ والجنِّ » . فقال :

---

(١) بعده فى النسخ : « عن على بن أبى طلحة » وهو خطأ . وينظر تفسير ابن كثير .

(٢) فى النسخ : « عبد الله » ، والمثبت من تاريخ دمشق ٧/ ٤٤٤، والتاريخ الكبير ١/ ٢٩، ٣٠.

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٣/ ٣١٢ نقلا عن المصنف ، وقال : فيه انقطاع . ثم ذكر طرقًا أخرى ، وقال : فهذه طرق لهذا الحديث ، ومجموعها يفيد قوته وصحته .

يا نبيَّ اللَّهِ ، أوَ إن من الإنسِ شياطينَ ؟ فقال النبيُّ ﷺ : « نعم »[(١)] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ ﴾ الآية . ذُكِر لنا أن أبا ذرٍّ قام ذاتَ يومٍ يُصلِّى ، فقال له نبيُّ اللَّهِ : « تعَوَّذْ باللَّهِ مِن شياطينِ الجنِّ والإنسِ » . فقال : يا نبيَّ اللَّهِ ، أوَ للإنسِ شياطينُ كشياطينِ الجنِّ ؟ قال : « نعم ، أوَ كذَبْتُ عليه ؟! » .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : قال مجاهدٌ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ ﴾ . فقال : كفارُ الجنِّ شياطينُ ، يُوحُون إلى شياطينِ الإنسِ ؛ كفارِ الإنسِ ، زُخْرفَ القولِ غُرورًا[(٢)] .

وأَما قولُه : ﴿ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ ، فإنه المُزَيَّنُ بالباطلِ كما وصَفْتُ قبلُ ، يُقالُ منه : زَخْرَف كلامَه وشهادتَه ، إذا حسَّن ذلك بالباطلِ ووشَّاه .

كما حدَّثنا سفيانُ بنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبو نُعيمٍ ، عن شَريكٍ ، عن سعيدِ بنِ مسروقٍ ، عن عكرمةَ قولَه : ﴿ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ . قال : تَزْيينُ الباطلِ بالألسنةِ[(٣)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المُفَضَّلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : أما الزخرفُ ، فزَخْرَفوه : زيَّنوه[(٤)] .

---

(١) تفسير عبد الرزاق ٢/ ٢١٦ ، وأخرج شطره الأول ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/ ١٣٧١ (٧٧٨٨) من طريق عبد الرزاق به ، وأخرج شطره الأخير عبد الرزاق فى مصنفه ٢/ ٨٤ (٢٥٧٩) عن معمر به . وقال ابن كثير فى تفسيره ٣/ ٣١٢: وهذا منقطع بين قتادة وأبى ذر ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/ ٤٠ إلى المصنف وابن المنذر .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/ ٤٠ إلى الفريابى وعبد بن حميد وابن المنذر وأبى نصر السجزى فى الإبانة وأبى الشيخ ، وينظر تفسير البغوى ٣/ ١٧٩.

(٣) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/ ١٣٧٢ عقب الأثر (٧٧٩٢) .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/ ١٣٧٢ (٧٧٩٣) من طريق أحمد بن مفضل به ، وسيأتى بقيته فى الصفحة التالية .

٦/٨ /حدَّثنا محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُوراً ﴾ . قال : تَزْيينُ الباطلِ بالألسنةِ[1] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ مثلَه .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُوراً ﴾ . يقولُ : حسَّن بعضُهم لبعضٍ القولَ ، ليتَّبِعوهم فى فتنتِهم[2] .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُوراً ﴾ . قال : الزخرفُ المزَيَّنُ ، حيث زيَّن لهم هذا الغُرورَ ، كما زيَّن إبليسُ لآدمَ ما جاءه به ، وقاسَمه إنه لِمن الناصِحين ، وقرأ : ﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا لَهُم ﴾ [فصلت : ٢٥] . قال : ذلك الزخرفُ[3] .

وأما الغرورُ : فإنه ماغرَّ الإنسانَ فخدَعه ، فصدَّه عن الصوابِ إلى الخطأ ، ومِن الحقِّ إلى الباطلِ ، وهو مصدرٌ مِن قولِ القائلِ : غرَرْتُ فلانًا بكذا وكذا ، فأنا أَغُرُّه غُرورًا وغَرًّا .

كالذى حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المُفضَّلِ ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السدىِّ : ﴿ غُرُوراً ﴾ . قال : يَغُرُّون به الناسَ والجنَّ[4] .

---

(١) تفسير مجاهد ص ٣٢٧، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٠/٣ إلى المصنف والفريابى وعبد بن حميد وابن المنذر وأبى نصر السجزى فى الإبانة وأبى الشيخ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٧٢/٤ (٧٧٩٢) بهذا الإسناد .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٧٣/٤ (٧٧٩٤) من طريق آخر عن ابن زيد به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٠/٣ إلى أبى الشيخ .

(٤) هذا الأثر تتمة للأثر المتقدم فى الصفحة السابقة .

القولُ في تأويلِ قولِه : ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : ولو شئتَ يا محمدُ أن يُؤْمِنَ الذين كانوا لأنبيائى أعداءً مِن شياطينِ الإنسِ والجنِّ فلا يَنالُهم مكروهُهم[1] ، ويأْمَنوا غوائلَهم وأذاهم - فعلتُ ذلك ، ولكنى لم أشأْ ذلك ؛ لأَبْتَلِىَ بعضَهم ببعضٍ ، فيَسْتَحِقَّ كلُّ فريقٍ منهم ما سبَق له فى الكتابِ السابقِ ، ﴿ فَذَرْهُمْ ﴾ . يقولُ : فدَعْهم ، يعنى الشياطينَ ، الذين يُجادِلونكَ بالباطلِ مِن مشركى قومِك ، ويُخاصِمونك بما يُوحِى إليهم أولياؤُهم مِن شياطينِ الإنسِ والجنِّ ، ﴿ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ . يعنى : وما يَخْتَلِقون مِن إفْكٍ وزُورٍ .

يقولُ له ﷺ : اصْبِرْ عليهم ؛ فإنى مِن وراءِ عقابِهم على افترائِهم على اللَّهِ ، واخْتلاقِهم عليه الكذبَ والزُّورَ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ - ﴿ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ ﴾ . يقولُ جلَّ ثناؤُه : يُوحِى بعضُ هؤلاء الشياطينِ إلى بعضِ المُزَيَّنَ مِن القولِ بالباطلِ ، ليَغُرُّوا به المؤمنين مِن أتباعِ الأنبياءِ ، فيَفتِنُوهم عن دينِهم ، ﴿ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ . يقولُ : ولِتَميلَ إليه قلوبُ الذين لا يُؤْمِنون بالآخرةِ .

وهو مِن صَغَوْتَ تَصْغَى وتَصْغُو - والتنزيلُ جاء بـ « تَصْغَى » - صَغْوًا وصُغُوًّا ، وبعضُ العربِ / يقولُ : صَغَيْتُ بالياءِ . حُكِى عن بعضِ بنى أَسَدٍ : صَغِيتُ إلى حديثِه ، فأنا أَصْغَى صُغِيًّا بالياءِ ، وذلك إذا مِلْتَ ، يقالُ : صَغْوِى معك . إذا كان هَواك معه ومَيْلُك ، مثلُ قولِهم : ضِلَعِى معك . ويقالُ : أَصْغَيْتُ الإناءَ ، إذا أَمَلْتَه ؛ ٧/٨

(١) فى م : « مكرهم » .

ليَجْتَمِعَ ما فيه ، ومنه قولُ الشاعرِ[(١)] :

تَرَى السَّفيهَ به عن كلِّ مُحْكَمَةٍ زَيْغٌ وفيه إلى التَّشْبِيهِ إصْغاءُ

ويقالُ للقمرِ إذا مال للغُيوبِ : صغا وأصْغَى .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ﴾ . يقولُ : تَزِيغَ[(٢)] إليه أفئدةٌ[(٣)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ فى قولِه : ﴿ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ . قال : لِتَمِيلَ[(٤)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدِّى : ﴿ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ . يقولُ : تَمِيلَ إليه قلوبُ الكفارِ ويُحِبُّونه ، ويَرْضَوْن به[(٥)] .

---

(١) تفسير القرطبى ٧/ ٦٩، واللسان (ص غ ى) ، والبحر المحيط ٤/ ٢٠٥، وفى تفسير القرطبى واللسان : مكرمة بدلا من : محكمة .

(٢) فى ص ، ت ١، ت ٢، ت ٣، س ، ف : « ترجع » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/ ٤٠ إلى المصنف وابن المنذر وأبى الشيخ ، وسيأتى بقية الأثر فى الصفحة القادمة .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/ ١٣٧٣ (٧٧٩٦) من طريق الضحاك ، عن ابن عباس ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/ ٤٠ إلى ابن المنذر .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/ ١٣٧٣ عقب الأثر (٧٧٩٦) من طريق عمرو بن حماد ، عن أسباط به ، وفى ٤/ ١٣٧٣ (٧٧٩٩، ٧٨٠٠) من طريق أحمد بن مفضل به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/ ٤٠ إلى أبى الشيخ .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ . قال : ﴿ وَلِتَصْغَىٰٓ ﴾ : وليَهْوَوْا ذلك وليَرْضَوْه . قال : يقولُ الرجلُ للمرأةِ : صَغَيْتُ إليها : هَوِيتُها[1] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : وليَكْتَسِبُوا مِن الأعمالِ ما هم مُكْتَسِبون .

حُكِى عن العربِ سَماعًا منها : خرَج يَقْتَرِفُ لأهلِه[2] . بمعنى : يَكْسِبُ لهم . ومنه قيل : قارَف فلانٌ هذا الأمرَ ، إذا واقَعه وعمِله .

وكان بعضُهم يقولُ : هو التُّهمةُ والادِّعاءُ ، يقالُ للرجلِ : أنت قرَفْتَنى . أى : اتَّهَمْتَنى . ويقالُ : بئسما اقْتَرَفْتَ لنفسِك . وقال رُؤْبةُ[3] :

أعْيَا اقْترافُ الكذبِ المَقْروفِ

تَقْوَى التَّقِىِّ وعِفَّةَ العَفيفِ

/ وبنحوِ الذى قلنا فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ ﴾ . قال أهلُ التأويلِ . ٨/٨

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴾ : وليَكْتَسِبوا ما هم مُكْتَسِبون[4] .

حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٧٣/٤ (٧٧٩٧) من طريق أصبغ عن ابن زيد به .

(٢) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « أهله » .

(٣) مجاز القرآن ١/ ٢٠٥ ، وتفسير القرطبى ٧/ ٧٠ .

(٤) هذا الأثر تتمة الأثر فى الصفحة السابقة .

السديِّ : ﴿ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴾ . قال : ليَعْمَلوا ما هم عامِلون[(١)] .

حدَّثني يونُس ، قال : أخْبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِه : ﴿ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴾ . قال : ليَعْمَلوا ما هم عامِلون[(٢)] .

القولُ في تأويلِ قولِه : ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : قلْ لهؤلاء العادِلين باللَّهِ الأوثانَ والأصنامَ ، القائلين لك : كُفَّ عن آلهتِنا ونَكُفَّ عن إلهِك : إن اللَّهَ قد حكَم عليَّ بذكرِ آلهتِكم بما يَكونُ صدًّا عن عبادتِها ، ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا ﴾ ، أي : قلْ : فليس لي أن أَتعدَّى حكمَه وأتجاوَزَه ؛ لأنه لا حَكَمَ أعدلُ منه ، ولا قائلَ أصدقُ منه ، ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ ﴾ . يعني : القرآنَ ﴿ مُفَصَّلًا ﴾ ، مُبيَّنًا فيه الحكمُ فيما تَختَصِمون فيه مِن أمرِى وأمرِكم .

وقد بيَّنا معنى « التفصيلِ » فيما مضَى قبلُ .

القولُ في تأويلِ قولِه : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : إن أنكَر هؤلاء العادِلون باللَّهِ الأوثانَ مِن قومِك توحيدَ اللَّهِ ، وأشْرَكوا معه الأندادَ ، وجحَدوا ما أنْزَلْتُه إليك ، وأنكَروا أن يَكونَ حقًّا ، وكذَّبوا به ، فـ ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ وهو التوارةُ والإنجيلُ ، مِن بني إسرائيلَ ، ﴿ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ ﴾ . يعني : القرآنَ وما فيه ، ﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ .

---

(١) هذا الأثر تتمة الأثر المتقدم في صفحة ٥٠٤ .

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٣٧٣، ١٣٧٤ عقب الأثر (٧٨٠١، ٧٨٠٢) معلقًا .

يقولُ : فصْلًا بينَ أهلِ الحقِّ والباطلِ ، يَدُلُّ على صدقِ الصادقِ على[1] اللَّهِ ، وكذبِ الكاذبِ المُفْتَرِى عليه . ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ . يقولُ : فلا تَكُونَنَّ يا محمدُ مِن الشاكِّين فى حقيقةِ الأنباءِ التى جاءَتك مِن اللَّهِ فى هذا الكتابِ وغيرِ ذلك مما تضمَّنه ؛ لأن الذين آتيْناهم الكتابَ يَعْلَمون أنه مُنَزَّلٌ مِن ربِّك بالحقِّ .

وقد بيَّنا فيما مضَى ما وجهُ قولِه : ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ . بما أغْنَى عن إعادتِه ، مع الروايةِ المرويةِ فيه[2] .

وقد حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ قولَه : ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ . يقولُ : لا تَكُونَنَّ فى شكٍّ مما قصَصْنا عليك[3] .

/ القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾ . ٩/٨

يقولُ تعالى ذكرُه : وكمُلَت ﴿ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾ ، يعنى : القرآنَ .

سمَّاه كلمةً ، كما تقولُ العربُ للقَصيدةِ مِن الشعرِ يقولُها الشاعرُ : هذه كلمةُ فلانٍ .

﴿ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ . يقولُ : كمُلَت كلمةُ ربِّك مِن الصدقِ والعدلِ .

و « الصدقُ » و « العدلُ » نُصِبا على التفسيرِ للكلمةِ ، كما يقالُ : عندى عشرون درهمًا .

---

(١) فى ص ، ت ١، ت ٢، ت ٣،س ، ف : « علم » ، وفى م : « فى علم » ، والمثبت هو الصواب .

(٢) ينظر ما تقدم فى ٦٧٣/٢ ، ٦٧٤.

(٣) ينظر ما تقدم فى ٦٧٣/٢ ، ٥/ ٤٦٤.

﴿ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ . يقولُ : لا مُغيِّرَ لما أخبَر فى كتبِه أنه كائنٌ مِن وقوعِه فى حينِه وأجلِه الذى أخبَر اللَّهُ أنه واقعٌ فيه ، وذلك نظيرُ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ ﴾ [الفتح: ١٥] . فكانت إرادتُهم تبديلَ كلامِ اللَّهِ مسألتَهم نبىَّ اللَّهِ أن يترُكَهم يَحْضُرون الحربَ معه ، وقولَهم له ولمن معه مِن المؤمنين : ﴿ ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ﴾ . بعدَ الخبرِ الذى كان اللَّهُ أخبَرهم تعالى ذكرُه فى كتابِه بقولِه : ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ﴾ الآية [التوبة: ٨٣] ، فحاوَلوا تبديلَ كلامِ اللَّهِ وخبرِه بأنهم لن يَخْرُجوا مع نبىِّ اللَّهِ فى غَزاةٍ ، ولن يُقاتِلوا معه عدوًّا ، بقولِهم لهم : ﴿ ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ﴾ . فقال اللَّهُ جلَّ ثناؤُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ ﴾ بمسألتِهم إياهم ذلك كلامَ اللَّهِ وخبرَه ، ﴿ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ ﴾ . فكذلك معنى قولِه : ﴿ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ . إنما هو : لا مغيِّرَ لِما أخبَر عنه مِن خبرٍ أنه كائنٌ ، فيَبْطُلُ مجيئُه وكونُه ووُقوعُه على ما أخبَر جلَّ ثناؤُه ؛ لأنه لا يَزيدُ المُفْتَرون فى كتبِ اللَّهِ ، ولا يَنْقُصون منها ، وذلك أن اليهودَ والنصارى لاشكَّ أنهم أهلُ كتبِ اللَّهِ التى أنْزَلها على أنبيائِه ، وقد أخْبَر جلَّ ثناؤُه أنهم يُحَرِّفون غيرَ الذى أخْبَر أنه لا مُبَدِّلَ له .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ . يقولُ : صدقًا وعدلًا فيما حكَم[1] .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٣٧٤ (٧٨٠٧، ٧٨٠٨) من طريق يزيد به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/٤٠ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبى الشيخ .

وأما قولُه : ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ . فإن معناه : واللَّهُ السميعُ لِما يقولُ هؤلاء العادِلون باللَّهِ ، المُقْسِمون باللَّهِ جَهْدَ أيمانِهم : لَئن جاءتهم آيةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بها ، وغيرِ ذلك مِن كلامِ خلقِه ، العليمُ بما تَئُولُ إليه أيمانُهم مِن برٍّ وصدقٍ ، وكذبٍ وحِنْثٍ ، وغيرِ ذلك مِن أمورِ عبادِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ .

/ يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : لا تُطِعْ هؤلاء العادِلين باللَّهِ الأندادَ يا محمدُ فيما دعَوْك إليه مِن أكْلِ ما ذبَحوا لآلهتِهم وأهَلُّوا به لغيرِ ربِّهم ، وأشكالَهم مِن أهلِ الزَّيْغِ والضَّلالِ ، فإنك إن تُطِعْ أكثرَ مَن فى الأرضِ يُضِلُّوك عن دينِ اللَّهِ ومَحَجَّةِ الحقِّ والصوابِ ، فيَصُدُّوك عن ذلك . ١٠/٨

وإنما قال اللَّهُ لنبيِّه : ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ مِن بنى آدمَ ؛ لأنهم كانوا حينَئذٍ كفارًا ضُلَّالًا ، فقال له جلَّ ثناؤُه : لا تُطِعْهم فيما دَعَوْك إليه ، فإنك إن تُطِعْهم ضلَلْتَ ضلالَهم ، وكنتَ مثلَهم ؛ لأنهم لا يَدْعُونك إلى الهُدَى وقد أخطَئوه . ثم أخبَر جلَّ ثناؤُه عن حالِ الذين نهَى نبيَّه عن طاعتِهم فيما دَعَوْه إليه فى أنفسِهم فقال : ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ﴾ . فأخبَر جلَّ ثناؤُه أنهم مِن أمرِهم على ظنٍّ عندَ أنفسِهم ، وحِسْبانٍ على صحةِ عزمٍ عليه ، وإن كان خطأً فى الحقيقةِ : ﴿ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ . يقولُ : ما هم إلا مُتخَرِّصون يَظُنُّون ويُوقِعون حَزْرًا لا يقينَ علمٍ .

يقالُ منه : خرَص يَخْرُصُ خَرْصًا وخُروصًا ، أى : كذَب ، وتخرَّص بظنٍّ ، وتخرَّص بكذبٍ ، وخرَصْتُ النخلَ أَخْرُصُه ، وخرِصَتْ إبلُك : أصابها البردُ والجوعُ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ

بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : يا محمدُ ، إن ربَّك الذى نهاك أن تُطِيعَ هؤلاء العادلين باللَّهِ الأوثانَ ؛ لئلا يُضِلوك عن سبيلِه ، هو أعلمُ منك ومِن جميعِ خلقِه ، أىَّ خلقِه يَضِلُّ عن سبيلِه بزُخرفِ القولِ الذى يُوحِى الشياطينُ بعضُهم إلى بعضٍ ، فيَصْدِفُ عن طاعتِه واتباعِ ما أمَر به ، ﴿ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ . يقولُ : وهو أعلمُ أيضًا منك ومنهم بمَن كان على استقامةٍ وسَدادٍ ، لا يَخْفَى عليه منهم أحدٌ . يقولُ : واتَّبِعْ يا محمدُ ما أمَرْتُك به ، وانْتَهِ عما نهَيْتُك عنه مِن طاعةِ مَن نهَيْتُك عن طاعتِه ، فإنى أعلمُ بالهادى والمُضِلِّ مِن خلْقى منك .

واختَلَف أهلُ العربيةِ فى موضعِ « مَن » فى قولِه : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ ﴾ ؛ فقال بعضُ نحويى البصرةِ[1] : موضعُه خفضٌ بنيةِ الباءِ . قال : ومعنى الكلامِ : إن ربَّك هو أعلمُ بمَن يَضِلُّ .

وقال بعضُ نحويى الكوفةِ[2] : موضعُه رفعٌ ؛ لأنه بمعنى « أىٌّ » ، والرافعُ له « يَضِلُّ » .

والصوابُ مِن القولِ فى ذلك : أنه رُفِع بـ « يَضِلُّ » ، وهو فى معنى « أىٌّ » ، وغيرُ معلومٍ فى كلامِ العربِ اسمٌ مخفوضٌ بغيرِ خافضٍ ، فيَكونَ هذا له نظيرًا .

وقد زعَم بعضُهم أن قولَه : ﴿ أَعْلَمُ ﴾ فى هذا الموضعِ بمعنى : يَعْلَمُ ، واستشهد لقيله ببيتِ حاتمِ الطائىِّ[3] :

فحالَفَت طَيِّئٌ مِن دُونِنا حِلِفًا   واللَّهُ أعلمُ ما كُنَّا لهم خُذُلَا

(١) هو الأخفش كما تقدم فى ص٤٣١ .

(٢) هو الفراء فى معانى القرآن ١/٣٥٢ .

(٣) تفسير القرطبى ٧/ ٧٢.

وبقولِ خنساءَ[1] :

/ القومُ أعلمُ أن جَفْنَتَهُ تَغْدُو غداةَ الريحِ أو تَسْرِى[2] ١١/٨

وهذا الذى قاله قائلُ هذا التأويلِ ، وإن كان جائزًا فى كلامِ العربِ ، فليس قولُ اللَّهِ تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ منه ، وذلك أنه عطَف عليه بقولِه : ﴿ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ . فأبان بدخولِ الباءِ فى « المهتدين » ، أن أعلم ليس بمعنى « يَعْلَمُ » ؛ لأن ذلك إذا كان بمعنى « يَفْعَلُ » ، لم يُوصَلْ بالباءِ ، كما لا يُقالُ : هو يَعْلَمُ بزيدٍ . بمعنى : يَعْلَمُ زيدًا .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ ، وعبادِه المؤمنين به وبآياتِه : فكُلُوا أيُّها المؤمنون مما ذكَّيتُم مِن ذبائِحِكم ، وذبَحْتُموه الذبحَ الذى بيَّنْتُ لكم أنه تَحِلُّ به الذَّبيحةُ لكم ، وذلك ماذبَحه المؤمنون بى مِن أهلِ دينِكم ، دينِ الحقِّ ، أو ذبَحه مَن دان بتوحيدى مِن أهلِ الكتابِ ، دونَ ما ذبَحه أهلُ الأوثانِ ومَن لا كتابَ له من المَجوسِ ، ﴿ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴾ . يقولُ : إن كنتم بحُججِ اللَّهِ التى أتَتْكم وأعلامِه ، بإحلالِ ما أحْلَلْتُ لكم ، وتحريمِ ما حرَّمْتُ عليكم مِن المَطاعمِ والمآكلِ - مُصَدِّقين ، ودَعُوا عنكم زُخْرفَ ما تُوحِيه الشياطينُ بعضُها إلى بعضٍ مِن زُخرفِ القولِ لكم ، وتَلْبيسِ دينِكم عليكم غُرورًا .

وكان عطاءٌ يقولُ فى ذلك ما حدَّثنا به محمدُ بنُ بشارٍ ومحمدُ بنُ المثنى ، قالا : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : أخْبَرنا ابنُ جُريجٍ ، قال : قلتُ لعطاءٍ : قولَه : ﴿ فَكُلُوا۟

(١) أنيس الجلساء شرح ديوان الخنساء ص ٥٢.

(٢) تغدو : أى تأتيهم غدوة ، وتسرى : أى تأتيهم ليلًا ، والمعنى أن كرمه يشمل قومه ليلًا ونهارًا .

﴿مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾. قال: يأمُرُ بذكرِ اسمِه على الشرابِ والطعامِ والذبحِ، وكلُّ شيءٍ يَدُلُّ على ذكرِه يأمُرُ به[1].

القولُ في تأويلِ قولِه: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ (١١٩)﴾.

اختلَف أهلُ العلمِ بكلامِ العربِ في تأويلِ قولِه: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا﴾؛ فقال بعضُ نحويِّي البصريين: معنى ذلك: وأيُّ شيءٍ لكم في ألَّا تأكُلوا؟ قال: وذلك نظيرُ قولِه: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ﴾ [البقرة: ٢٤٦]. يقولُ: أيُّ شيءٍ لنا في تركِ القتالِ؟ قال: ولو كانت «أَنْ»[2] زائدةً لارْتَفع[3] الفعلُ، ولو كانت في معنى: وما لنا وكذا. لكانت: وما لنا وأن لا نُقاتِلَ.

وقال غيرُه: إنما دخَلَت «لا» للمنعِ؛ لأن تأويلَ «ما لك»، و«ما منَعك» واحدٌ: ما منَعك لا تَفْعَلُ ذلك، وما لك لا تفعلُ. واحدٌ، فلذلك دخَلَت «لا». قال: وهذا الموضعُ تَكونُ / فيه «لا»، وتَكونُ فيه «أن» مثلَ قولِه: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا﴾ [النساء: ١٧٦] و«أن لا تَضِلُّوا»: يَمْنَعُكم مِن الضلالِ بالبيانِ[4].

١٢/٨

وأولى القولين في ذلك بالصوابِ عندى قولُ مَن قال: معنى قولِه: ﴿وَمَا لَكُمْ﴾ في هذا الموضعِ: وأيُّ شيءٍ يَمْنَعُكم أن تأكُلوا مما ذُكِر اسمُ اللَّهِ عليه. وذلك أن اللَّهَ تعالى ذكرُه تقدَّم إلى المؤمنين بتَحْليلِ ما ذُكِر اسمُ اللَّهِ عليه، وإباحةِ أكلِ ما

---

(١) ينظر تفسير القرطبى ٧/ ٧٢، وفتح القدير ٢/ ١٥٦.

(٢) في م: «لا».

(٣) في النسخ: «لا يقع» وهو تحريف والصواب ما أثبت.

(٤) ينظر ما تقدم في ٤/٤٤٥.

ذُبح بدينِه أو دينِ مَن كان يَدِينُ ببعضِ شَرائعِ كتبِه المعروفةِ ، وتحريمِ ما أُهِلَّ به لغيرِه مِن الحيوانِ ، وزَجْرِهم عن الإصْغاءِ لما يُوحِي الشياطينُ بعضُهم إلى بعضٍ مِن زُخرفِ القولِ فى الميتةِ والمُنْخَنِقةِ والمُتَرَدِّيةِ وسائرِ ما حرَّم اللَّهُ مِن المَطاعمِ ، ثم قال : وما يَمْنَعُكم مِن أكلِ ما ذُبح بدينى الذى ارْتَضَيْتُه وقد فصَّلْتُ لكم الحلالَ مِن الحرامِ فيما تَطْعَمون ، وبيَّنْتُه لكم بقولى[1] : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾ إلى قولِه : ﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ﴾ [المائدة : ٣] . فلا لَبْسَ عليكم فى حَرامِ ذلك مِن حلالِه ، فتَمْتَنِعوا مِن أكلِ حَلالِه ، حَذَرًا مِن مُواقعةِ حَرامِه .

فإذ كان ذلك معناه ، فلا وجهَ لقولِ مُتأوِّلى ذلك : وأىُّ شىءٍ لكم فى أن لا تأْكُلوا ؟ لأن ذلك إنما يقالُ كذلك لمن كان كفَّ عن أكلِه رجاءَ ثوابٍ بالكفِّ عن أكلِه ، وذلك يَكونُ ممَّن آمَن بالكفِّ ، فكفَّ اتِّباعًا لأمرِ اللَّهِ ، وتسليمًا لحكمِه ، ولا نَعْلَمُ أحدًا مِن سلفِ هذه الأمةِ كفَّ عن أكلِ ما أحلَّ اللَّهُ مِن الذبائحِ رجاءَ ثوابِ اللَّهِ على تركِه ذلك ، واعْتقادًا منه أن اللَّهَ حرَّمه عليه ، فبيِّنٌ بذلك إذ كان الأمرُ كما وصَفْنا أن أولى التأويلين فى ذلك بالصوابِ ما قلنا .

وقد بيَّنا فيما مضَى قبلُ أن معنى قولِه : فصَّل ، وفصَّلْنا ، وفُصِّل : بيَّن ، وبُيِّن ، بما يُغْنِى عن إعادتِه فى هذا الموضعِ[2] .

كما حدَّثنى محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ : ﴿ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ . يقولُ : قد بَيَّنَ لكم ما حرَّم عليكم[3] .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، عن ابنِ زيدٍ مثلَه .

---

(١) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « بقول » ، وفى م : « بقوله » .

(٢) ينظر ما تقدم ص ٢٧٦ ، ٤٣٢ ، ٤٤٣ ، ٥٠٦ .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/ ٢١٧ ، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/ ١٣٧٦ (٧٨١٧) - عن معمر به .

واختلفت القرأةُ في قولِ اللَّهِ جلَّ ثناؤه: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾؛ (١فقرأه بعضُهم١) بفتحِ أولِ الحرفين مِن ﴿فَصَّلَ﴾ (١و ﴿حَرَّمَ﴾[٢] أي: فصَّل ما حرَّمه١) مِن مَطاعِمِكم فبيَّنه لكم.

وقرأ ذلك عامةُ قرأةِ الكوفيين: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ﴾ بفتحِ فاءِ «فصَّل»، وتشديدِ صادِه، (ما حُرِّم) بضمِّ حائِه وتشديدِ رائِه[٣]، بمعنى: وقد فصَّل اللَّهُ لكم المحرَّمَ عليكم مِن مَطاعِمِكم.

وقرأ ذلك بعضُ المكيين وبعضُ البصريين: (وقد فُصِّل لكم) بضمِّ فائِه وتشديدِ صادِه، (ما حُرِّم عليكم) بضمِّ حائِه وتشديدِ رائِه، على وجهِ ما لم يُسَمَّ فاعلُه في الحرفين كليهما[٤].

ورُوِي عن عطيةَ العَوْفيِّ أنه كان يَقْرَأُ ذلك: (وقد فَصَل) بتخفيفِ الصادِ وفتحِ الفاءِ[٥]، بمعنى: وقد أتاكم حكمُ اللَّهِ فيما حَرَّم عليكم.

والصوابُ مِن القولِ في ذلك عندَنا أن يقالَ: إن كلَّ هذه القراءاتِ الثلاثِ التي ذكَرْناها، سوى القراءةِ التي ذكَرنا عن عطيةَ، قراءاتٌ معروفاتٌ، مستفيضةٌ القراءةُ بها في قرأةِ الأمصارِ، وهن متَّفقاتُ المعاني، غيرُ مختلفاتٍ، فبأيِّ ذلك قرَأ القارئُ فمُصيبٌ فيه الصوابَ.

١٣/٨ / وأما قولُه: ﴿إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾. فإنه يعني تعالى ذكرُه أن ما اضطُرِرْنا

(١ - ١) سقط من: ص، ت ١، ت ٢، ت ٣، س، ف.

(٢) هي قراءة نافع، وحفص عن عاصم. حجة القراءات ص٢٦٩.

(٣) هي رواية أبي بكر عن عاصم، وقراءة حمزة والكسائي. المصدر السابق.

(٤) هي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر. المصدر السابق.

(٥) ينظر سنن سعيد بن منصور (٩١٠ - تفسير)، وتفسير القرطبي ٧/ ٧٣، والبحر المحيط ٤/ ٢١٠.

إليه مِن المطاعمِ المحرَّمةِ التى بيَّنَّ تحريمَها لنا فى غيرِ حالِ الضرورةِ ، لنا حلالٌ ما كنا إليه مُضْطَرِّين حتى تَزولَ الضرورةُ .

كما حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾ : مِن الميتةِ[1] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : وإن كثيرًا مِن الناسِ يُجادِلُونكم فى أكلِ ما حرَّم اللَّهُ عليكم أيُّها المؤمنون باللَّهِ ، مِن الميتةِ ، لَيُضِلُّون أتباعَهم بأهوائِهم من غيرِ علمٍ منهم بصحةِ ما يقولون ، ولا بُرهانٍ عندَهم بما فيه يُجادِلون ، إلا ركوبًا منهم لأهوائِهم ، واتباعًا منهم لدواعى نفوسِهم ، اعتداءً وخلافًا لأمرِ اللَّهِ ونهيِه ، وطاعةً للشياطينِ . ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴾ . يقولُ : إن ربَّك يا محمدُ الذى أحَلَّ لك ما أحَلَّ ، وحرَّم عليك ما حرَّم ، هو أعلمُ بمَن اعْتَدَى حُدودَه ، فتَجاوَزها إلى خلافِها ، وهو لهم بالـمِرْصادِ .

واخْتَلَفَت القرأةُ فى قراءةِ قولِه : ﴿ لَيُضِلُّونَ ﴾ ؛ فقرأته عامةُ أهلِ الكوفةِ : ﴿ لَيُضِلُّونَ ﴾ بمعنى : أنهم يُضِلُّون غيرَهم .

وقرَأ ذلك بعضُ البصريين والحجازيين : (لَيَضِلُّون) بمعنى : أنهم هم الذين يَضِلُّون عن الحقِّ فيَجُورُون عنه[2] .

وأولى القراءتين بالصوابِ فى ذلك قراءةُ مَن قرَأ : ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم ﴾[3] بمعنى : أنهم يُضِلُّون غيرَهم . وذلك أن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه أخْبَر نبيَّه ﷺ

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/٤١ إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبى الشيخ .

(٢) قرأ عاصم وحمزة والكسائى وخلف بضم الياء ، والباقون بالفتح . ينظر النشر ٢/١٩٧.

(٣) القراءتان كلتاهما صواب .

عن إضلالِهم مَن تبِعهم ، ونهاه عن طاعتِهم واتِّباعِهم إلى ما يَدْعُونَه إليه ، فقال : ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام : ١١٦] . ثم أخبَر أصحابَه عنهم بمثلِ الذى أخبَره عنهم ، ونهاهم مِن قَبولِ قولِهم عن مثلِ الذى نهاه عنه ، فقال لهم : وإن كثيرًا منهم ليُضلُّونكم بأهوائِهم بغيرِ علمٍ . نظيرَ الذى قال لنبيِّه ﷺ : ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام : ١١٦] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : ودَعُوا أيُّها الناسُ عَلانيةَ الإثمِ ، وذلك ظاهرُه ، وسرَّه ، وذلك باطنُه .

كذلك حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ أى : قليلَه وكثيرَه ، وسرَّه وعلانيتَه .

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ : ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ . قال : سرَّه وعلانيتَه[(١)] .

/ حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا حَكَّامٌ ، عن أبى جعفرٍ ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ فى قولِه : ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ . يقولُ : سرَّه وعلانيتَه . وقولِه : ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام : ١٥١، الأعراف : ٣٣] . قال : سرَّه وعلانيتَه[(٢)] . ١٤/٨

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ فى قولِه : ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ . قال : نهَى اللَّهُ عن

---

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ٢١٧- ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٧٧/٤ (٧٨٢٤، ٧٨٢٨) – عن معمر به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٢/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٧٧/٤ عقب الأثرين (٧٨٢٤، ٧٨٢٨) من طريق أبى جعفر به .

ظاهرِ الإثمِ وباطنِه أن يُعْمَلَ به سرًّا أو علانيةً ، وذلك ظاهرُه وباطنُه[1] .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبي نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ : معصيةَ اللَّهِ في السرِّ والعلانيةِ[2] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثني حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ . قال : هو ما يَنْوِى مما هو عاملٌ[3] .

ثم اختَلَف أهلُ التأويلِ في المعنيِّ بالظاهرِ مِن الإثمِ والباطنِ منه في هذا الموضعِ ؛ فقال بعضُهم : الظاهرُ منه ما حرَّم جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٢٢] . وقولِه : ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ الآية [النساء: ٢٣] . والباطنُ منه الزنى .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا الحجاجُ ، قال : ثنا حمادٌ ، عن عطاءِ بنِ السائبِ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ في قولِه : ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ . قال : الظاهرُ منه : ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ والأمهاتِ والبناتِ والأخواتِ ، والباطنُ الزنى[4] .

وقال آخرون : الظاهرُ أُولاتُ الراياتِ مِن الزَّواني ، والباطنُ ذواتُ الأخْدانِ .

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/١٣٧٦ (٧٨٢١) من طريق عبد الله بن أبي جعفر به مختصرا .

(٢) ينظر تفسير ابن كثير ٣/ ٣١٦.

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣/ ٤٢، إلى ابن المنذر وأبي الشيخ . وينظر تفسير البغوى ٣/ ١٨٢.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٣٧٦، ١٣٧٧ (٧٨٢٣، ٧٨٢٧) من طريق حماد بن سلمة به وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣/٤١ إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ مُفضلٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ وَذَرُوا۟ ظَـٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ﴾ : أما ظاهرُه فالزَّوانى فى الحَوانيتِ ، وأما باطنُه فالصديقةُ يَتَّخِذُها الرجلُ فيأْتِيها سرًّا[1] .

حُدِّثْتُ عن الحسينِ بنِ الفرجِ ، قال : سمِعْتُ أبا مُعاذٍ ، قال : ثنى عبيدُ بنُ سليمانَ ، قال : سمِعْتُ الضحاكَ يقولُ فى قولِه : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ [الأنعام : ١٥١] : كان أهلُ الجاهليةِ يَسْتَسِرُّون بالزنى ، ويَرَوْن ذلك حلالًا ما كان سرًّا ، فحرَّم اللَّهُ السرَّ منه والعلانيةَ ، ﴿ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ . يعنى العلانيةَ ﴿ وَمَا بَطَنَ ﴾ . يعنى السرَّ[2] .

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن أبى مَكِينٍ وأبيه ، عن خُصَيْفٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ . قال : ﴿ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ الجمعُ بينَ الأختين ، وتزويجُ الرجلِ امرأةَ أبيه مِن بعدِه ﴿ وَمَا بَطَنَ ﴾ الزنى[3] .

وقال آخرون : الظاهرُ التَّعَرِّى والتَّجَرُّدُ مِن الثيابِ وما يَسْتُرُ العورةَ فى الطَّوافِ ، والباطنُ الزنى .

ذكرُ مَن قال ذلك

١٥/٨ / حدَّثنى يونُسُ ، قال : أَخبَرنا ابن وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ وَلَا

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٣٧٧ (٧٨٢٥، ٧٨٢٩) من طريق أحمد بن مفضل به .

(٢) ينظر التبيان ٤/ ٢٥٥.

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥/١٤١٦ (٨٠٦٨) من طريق خصيف به مقتصرا على أوله ، وذكره وعلق آخره فى ٥/١٤١٧ عقب الأثر (٨٠٧٢) .

تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ قال: ظاهرُه العُرْيَةُ التى كانوا يَعْمَلون بها حينَ يَطُوفون بالبيتِ، وباطنُه الزنى[1].

والصوابُ مِن القولِ فى ذلك عندَنا أن يُقالَ: إن اللَّهَ تعالى ذكرُه تقدَّم إلى خلقِه بتركِ ظاهرِ الإثمِ وباطنِه، وذلك سرُّه وعلانيتُه، والإثمُ كلُّ ما عُصِى اللَّهُ به مِن مَحارمِه، وقد يَدْخُلُ فى ذلك سرُّ الزنى وعلانيتُه، ومُعاهَرةُ أهلِ الراياتِ وأولاتِ الأخْدانِ منهن، ونكاحُ حَلائلِ الآباءِ والأمهاتِ والبناتِ، والطوافُ بالبيتِ عُرْيانًا، وكلُّ معصيةٍ للَّهِ ظهَرَت أو بطَنَت. وإذ كان ذلك كذلك، وكان جميعُ ذلك إثمًا، وكان اللَّهُ عمَّ بقولِه: ﴿ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ﴾ جميعَ ما ظهَر مِن الإثمِ وجميعَ ما بطَن، لم يَكُنْ لأحدٍ أن يَخُصَّ مِن ذلك شيئًا دونَ شيءٍ إلا بحجةٍ للعذرِ قاطعةٍ.

غيرَ أنه لو جاز أن يُوَجَّهَ ذلك إلى الخصوصِ بغيرِ بُرهانٍ، كان توجيهُه إلى أنه عُنى بظاهرِ الإثمِ وباطنِه فى هذا الموضعِ ماحرَّم اللَّهُ مِن المَطاعمِ والمآكلِ، مِن الميتةِ والدمِ، وما بيَّن اللَّهُ تحريمَه فى قولِه: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ ﴾ إلى آخرِ الآيةِ [المائدة: ٣] - أولى، إذ كان ابتداءُ الآياتِ قبلَها بذكرِ تحريمِ ذلك جَرَى، وهذه فى سياقِها، ولكنه غيرُ مُسْتَنْكَرٍ أن يَكونَ عُنى بها ذلك، وأُدْخِل فيها الأمرُ باجتنابِ كلِّ ما جانَسَه مِن معاصى اللَّهِ، فخرَج الأمرُ عامًّا بالنهيِ عن كلِّ ما ظهَرأو بطَن مِن الإثمِ.

القولُ فى تأويلِ قولِه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ ﴾.

يقولُ تعالى ذكرُه: إن الذين يَعْمَلون بما نهاهم اللَّهُ عنه، ويَرْكَبون معاصىَ اللَّهِ

(١) ينظر التبيان ٤/ ٢٥٥، وتفسير البغوى ٣/ ١٨٣، والبحر المحيط ٤/ ٢١٢.

ويأْتون ما حرَّم اللَّهُ ، ﴿سَيُجْزَوْنَ﴾ . يقولُ : سيُثِيبُهم اللَّهُ يومَ القيامةِ بما كانوا فى الدنيا يَعْمَلون مِن مَعاصِيه .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١) ﴾ .

يعنى بقولِه جلَّ ثناؤُه : [٧٩٠/١ظ] ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ : لا تأْكُلوا أيُّها المؤمنون مما مات فلم تَذْبَحوه أنتم ، أو يَذْبَحْه مُوَحِّدٌ يَدِينُ للَّهِ بشرائعَ شرَعها له فى كتابٍ مُنَزَّلٍ ، فإنه حرامٌ عليكم ، ولا ما أُهِلَّ به لغيرِ اللَّهِ مما ذبَحه المشركون لأوثانِهم ، فإن أكْلَ ذلك فسقٌ ، يعنى : معصيةُ كفرٍ .

فكنَى بقولِه : ﴿ وَإِنَّهُ ﴾ عن الأكلِ ، وإنما ذكَر الفعلَ ، كما قال : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا ﴾ [آل عمران : ١٧٣] . يُرادُ به : فزاد قولُهم ذلك إيمانًا . فكنَى عن القولِ ، وإنما جرَى ذكرُه بفعلٍ .

﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ ﴾ **اختلَف أهلُ التأويلِ فى المعنىِّ بقولِه** : ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ ﴾ ؛ **فقال بعضُهم** : عُنِى بذلك شياطينُ فارسَ ومَن على دينِهم مِن المجوسِ ﴿ إِلَى / أَوْلِيَائِهِمْ ﴾ من مَرَدةِ مشركى قريشٍ ، يُوحُون إليهم زُخْرفَ القولِ بجدالِ[1] نبىَّ اللَّهِ وأصحابِه فى أكلِ الميتةِ . ١٦/٨

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنى عبدُ الرحمنِ بنُ بشرِ بنِ الحكمِ النيسابوريُّ ، قال : ثنا موسى بنُ عبدِ العزيزِ القِنْبارىُّ ، قال : ثنا الحكمُ بنُ أبانٍ ، عن عكرمةَ : لما نزَلت هذه الآيةُ ، تحريمَ الميتةِ ، قال : أوْحَت فارسُ إلى أوليائِها مِن قريشٍ أن خاصِموا محمدًا - وكانت

(١) فى م : « ليصل إلى » .

أولياءَهم فى الجاهليةِ - وقولوا له : إنَّ ما ذبَحْتَ فهو حلالٌ ، وما ذبَح اللَّهُ - قال ابنُ عباسٍ : بشِمْشارٍ[(١)] مِن ذهبٍ - فهو حرامٌ ! فأنْزَل اللَّهُ هذه الآيةَ : ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ ﴾ . قال : الشياطينُ فارسُ ، وأولياؤُهم قريشٌ[(٢)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، قال : قال عمرُو بنُ دينارٍ ، عن عكرمةَ : إن مُشْرِكى قريشٍ كاتَبوا فارسَ على الرومِ ، وكاتَبَتْهم فارسُ ، وكتَبَت فارسُ إلى مشركى قريشٍ :إن محمدًا وأصحابَه يَزْعُمون أنهم يَتَّبِعون أمرَ اللَّهِ ، فما ذبَح اللَّهُ بسكينٍ مِن ذهبٍ ، فلا يأْكُلُه محمدٌ وأصحابُه - للميتةِ - وأما ما ذبحوا هم يأْكُلون . وكتَب بذلك المُشْرِكون إلى أصحابِ محمدٍ عليه الصلاةُ والسلامُ ، فوقَع فى أنفسِ ناسٍ مِن المسلمين مِن ذلك شىءٌ ، فنزَلَت : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ ﴾ الآية . ونزَلَت : ﴿ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾[(٣)] [الأنعام: ١١٢] .

وقال آخرون : إنما عُنى بالشياطينِ الذين يَغزُون بنى آدمَ ، أنهم أوْحَوْا إلى أوليائِهم مِن قريشٍ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا حكَّامٌ ، عن عَنْبَسةَ ، عن سِماكٍ ، عن عكرمةَ ، قال : كان مما أوْحَى الشياطينُ إلى أوليائِهم مِن الإنسِ : كيف تَعْبُدون شيئًا لا

(١) الشمشار : السيف بالفارسية . المعجم الذهبى ص ٣٧٨، وفيه : شَمْشير .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٧٩/٤ (٧٨٤٢) عن عبد الرحمن بن بشر بن الحكم به مختصرا. وأخرجه الطبرانى فى الكبير (١١٦١٤) من طريق موسى بن عبد العزيز، عن الحكم، عن عكرمة ، عن ابن عباس بنحوه . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٢/٣ إلى المصنف وأبى الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٣٢١/٣ عن عكرمة به .

تأْكُلون مما قتَل ، وتأْكُلون أنتم ما قتَلْتُم ؟ فروَى الحديثَ حتى بلَغ النبيَّ ﷺ ، فنزَلَت : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ : قولَه : ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ ﴾ . قال : إبليسُ الذى يُوحِى إلى مشركى قريشٍ[1] .

قال ابنُ جريجٍ ، عن عطاءٍ الخُراسانىِّ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : شياطينُ الجنِّ يُوحُون إلى شياطينِ الإنسِ ؛ يوحون إلى أوليائهم ليجادِلوكم .

قال ابنُ جريجٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ كثيرٍ ، قال : سمِعْتُ أن الشياطينَ يُوحُون إلى أهلِ الشركِ ، يأْمُرونهم أن يقولوا : ما الذى يَموتُ وما الذى تَذْبَحون إلا سواءٌ . يأْمُرونهم أن يُخاصِموا بذلك محمدًا ﷺ . ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ . قال : قولُ المشركين : أمّا ما ذبَح اللَّهُ - للميتةِ - فلا تأْكُلون ، وأما ما ذبَحْتُم بأيديكم فحلالٌ !

حدَّثنا محمدُ بنُ عمارٍ الرازىُّ ، قال : ثنا سعيدُ بنُ سليمانَ ، قال : ثنا شَرِيكٌ ، عن سماكِ بنِ حربٍ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ : إن المشركين قالوا للمسلمين : ما قتَل ربُّكم فلا تأْكُلون ، وما قتَلْتُم أنتم تأْكُلونه ! فأَوْحَى اللَّهُ إلى نبيِّه ﷺ ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ .

١٧/٨ / حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : لما حرَّم اللَّهُ الميتةَ أمَر الشيطانُ أولياءَه فقال لهم : ما قتَل اللَّهُ لكم خيرٌ مما تَذْبَحون أنتم بسَكاكينِكم . فقال اللَّهُ : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٢/٣ إلى ابن المنذر وأبى الشيخ .

حدَّثنا يحيى بنُ داودَ الواسطىُّ ، قال : ثنا إسحاقُ بنُ يوسُفَ الأزْرقُ ، عن سفيانَ ، عن هارونَ بنِ عَنْترةَ ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : جادَل المشركون المسلمين فقالوا : ما بالُ ما قتَل اللَّهُ لا تأْكُلونه ، وما قتَلْتُم أنتم أكَلْتُموه ، وأنتم تتَّبِعون أمرَ اللَّهِ ؟ فأنْزَل اللَّهُ : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴾ إلى آخرِ الآيةِ[(١)] .

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : ثنا عبيدُ اللَّهِ ، عن إسرائيلَ ، عن سماكٍ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباس فى قولِه : ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ ﴾ . يقولون : ما ذبَح اللَّهُ فلا تأْكُلوه ، وما ذبَحْتُم أنتم فكُلُوه ! فأنْزَل اللَّهُ : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾[(٢)] .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا [٧٩١/١و] يحيى بنُ واضحٍ ، قال : ثنا الحسينُ بنُ واقدٍ ، عن يزيدَ ، عن عكرمةَ ، أن ناسًا مِن المشركين دخَلوا على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقالوا : أخْبِرْنا عن الشاةِ إذا ماتَت مَن قتَلها ؟ فقال : « اللَّهُ قتَلها » . قالوا : فتَزْعُم أن ما قتَلْتَ أنت وأصحابُك حلالٌ ، وما قتَله اللَّهُ حرامٌ ؟ فأنزل اللَّهُ : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾[(٣)] .

حدَّثنا محمدُ بنُ عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمرُ بنُ سليمانَ ، عن أبيه ، عن الحضرمىِّ ، أن ناسًا مِن المشركين قالوا : أما ما قتَل الصَّقْرُ والكلبُ فتأْكُلونه ، وأما ما قتَل اللَّهُ فلا تأْكُلونه !

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا عبدُاللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن

---

(١) أخرجه النسائى (٤٤٤٩) ، وفى الكبرى (١١١٧١) - ومن طريقه النحاس فى ناسخه ص٤٤١ - والحاكم ٢٣٣/٤ من طريق سفيان به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٢/٣ إلى الفريابى وابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وأبى الشيخ وابن مردويه .

(٢) أخرجه الحاكم ٤/ ١١٣، ٢٣١ من طريق عبيد الله بن موسى به ، وأخرجه أبو داود (٢٨١٨) - ومن طريقه البيهقى ٢٤١/٩ - من طريق إسرائيل به .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٢/٣ إلى أبى داود فى ناسخه .

عليٌّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنعام : ١١٨] . قال : قالوا : يا محمدُ ، أما ما قتَلْتُم وذبَحْتُم فتأْكُلونه ، وأما ما قتَل ربُّكم فتحرِّمونه ! فأنزَل اللَّهُ : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ . وإن أطَعْتُموهم فى أكلِ ما نهَيْتُكم عنه ، إنكم إذن لمشركون[(١)] .

حدَّثنا المثنى ، قال : ثنا عمرُو بنُ عونٍ ، قال : أخبَرنا هُشَيْمٌ ، عن جُويبرٍ ، عن الضحاكِ ، قال : قال المشركون : ما قتَلْتُم فتأْكُلونه ، وما قتَل ربُّكم لا تأْكُلونه ! فنزَلَت : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾[(٢)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ . قولُ المشركين : أما ما ذبَح اللَّهُ - للميتةِ - فلا تأْكُلون منه ، وأما ما ذبَحْتُم بأيديكم فهو حلالٌ[(٣)] !

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ : ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ / لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ﴾ . قال : جادَلهم المشركون فى الذَّبيحةِ فقالوا : أما ما قتَلْتُم بأيديكم فتأْكُلونه ، وأما ما قتَل اللَّهُ فلا تأْكُلونه ! يعنون الميتةَ ، فكانت هذه مُجادَلتَهم إياهم[(٤)] . ١٨/٨

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٨٠/٤ (٧٨٤٨) من طريق عبد الله بن صالح به مختصرًا ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٢/٣ إلى ابن المنذر وأبى الشيخ ، وسيأتى بتمامه فى ص ٥٣١.

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٢/٣ إلى عبد بن حميد وأبى الشيخ .

(٣) تفسير مجاهد ص ٣٢٧.

(٤) تفسير عبد الرزاق ٢١٧/١ عن معمر به .

حدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴾ الآية . يعنى : عدوُّ اللَّهِ إبليسُ أوْحَى إلى أوليائِه مِن أهلِ الضَّلالةِ ، فقال لهم : خاصِموا أصحابَ محمدٍ فى الميتةِ ، فقولوا : أما ما ذبَحْتُم وقتَلْتُم فتأْكُلون ، وأما ما قتَل اللَّهُ فلا تأْكُلون ، وأنتم تزْعُمون أنكم تتَّبِعون أمرَ اللَّهِ ! فأنْزَل اللَّهُ على نبيِّه : ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ . وإنا واللَّهِ ما نَعْلَمُه كان شِرْكٌ قطُّ إلا بإحدى ثلاثٍ ؛ أن يَدْعُوَ[1] مع اللَّهِ إلهًا آخرَ ، أو يَسْجُدَ لغيرِ اللَّهِ ، أو يُسَمِّىَ الذبائحَ لغيرِ اللَّهِ[2] .

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ مُفَضَّلٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ : إن المشركين قالوا للمسلمين : كيف تزْعُمون أنكم تتَّبِعون مَرْضاةَ اللَّهِ ، وما ذبَح اللَّهُ فلا تأْكُلونه ، وما ذبَحْتُم أنتم أكَلْتُموه ؟ فقال اللَّهُ : لئِنْ أطَعْتُمُوهُمْ فأكَلْتم الميتةَ ﴿ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾[3] .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا وكيعٌ ، عن إسرائيلَ ، عن سماكٍ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ﴾ . قال : كانوا يَقولون : "ما ذُكِر اللَّهُ عليه ، وما ذبَحْتُم فكُلوا !" فنزَلَت : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ ﴾[5] .

---

(١) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، س ، والدر المنثور : « يدعى » .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/٤٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبى الشيخ .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٣/٣٢١ عن السدى .

(٤ - ٤) كذا وردت العبارة فى النسخ ، ومصدرا التخريج : « ما ذكر عليه اسم الله فلا تأكلوا ، وما لم يذكر اسم الله عليه فكلوه » . وهو الصواب .

(٥) أخرجه ابن ماجه (٣١٧٣) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٣٨٠ (٧٨٤٥) من طريق وكيع به وتقدم ص ٥٢٣.

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا جريرٌ ، عن عطاءٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ إلى قولِه : ﴿لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ . قال : يقولُ : يُوحِى الشياطينُ إلى أوليائِهم : تأكُلون ما قتَلْتُم ، ولا تأكُلون مما قتَل اللَّهُ ! فقال : إن الذى قتَلْتُم يُذْكَرُ اسمُ اللَّهِ عليه ، وإن الذى مات لم يُذْكَرِ اسمُ اللَّهِ عليه[1] .

حُدِّثْتُ عن الحسينِ بنِ الفرجِ ، قال : سمِعْتُ أبا مُعاذٍ ، قال : أخبَرنا عبيدُ ابنُ سليمانَ ، قال : سمِعْتُ الضحاكَ يقولُ[2] فى قولِه : ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ : هذا فى شأنِ الذَّبيحةِ . قال : قال المشركون للمسلمين : تَزْعُمون أن اللَّهَ حرَّم عليكم الميتةَ ، وأحَلَّ لكم ما تَذْبَحون أنتم بأيديكم ، وحرَّم عليكم ما ذبَح هو لكم ! وكيف هذا وأنتم تَعْبُدونه ! فأنْزَل اللَّهُ هذه الآيةَ : ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ إلى قولِه : ﴿لَمُشْرِكُونَ﴾ .

وقال آخرون : كان الذين جادَلوا رسولَ اللَّهِ ﷺ فى ذلك قومًا مِن اليهودِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى وسفيانُ بنُ وكيعٍ ، قالا : ثنا عمرانُ بنُ عُيينةَ ، عن عطاءِ بنِ السائبِ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ - قال ابنُ عبدِ الأعلى : خاصَمَت اليهودُ النبيَّ ﷺ . وقال / ابنُ وَكيعٍ : جاءَت اليهودُ إلى النبيِّ ﷺ - فقالوا : نأكُلُ ما قتَلْنا ، ولا نأكُلُ ما قتل اللَّهُ ! فأنْزَل اللَّهُ : ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ

١٩/٨

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/ ١٣٧٩، ١٣٨٠ (٧٨٤٣، ٧٨٤٦) من طريق جرير به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/ ٤٢ إلى أبى الشيخ .

(٢) ليست فى : ص، م، ت ١، ت ٢، ت ٣، س .

﴿يُذۡكَرِ [١/٧٩١ظ] ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞ﴾[(١)] .

وأولى الأقوالِ فى ذلك بالصوابِ : أن يقالَ : إن اللَّهَ أخبَرَ أن الشياطينَ يُوحُون إلى أوليائِهم ليُجادِلوا المؤمنين فى تحريمِهم أكلَ الميتةِ بما ذكَرْنا مِن جِدالِهم إياهم ، وجائزٌ أن يكونَ المُوحُون كانوا شياطينَ الإنسِ يُوحُون إلى أوليائِهم منهم ، وجائزٌ أن يَكونوا شياطينَ الجنِّ أوْحَوْا إلى أوليائِهم مِن الإنسِ ، وجائزٌ أن يكونَ الجِنْسان كلاهما تَعاوَنا على ذلك ، كما أخبَرَ اللَّهُ عنهما فى الآيةِ الأخرى التى يقولُ فيها : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ﴾ [الأنعام : ١١٢] . بل ذلك الأغلبُ مِن تأويلِه عندى ؛ لأن اللَّهَ أخْبَرَ نبيَّه أنه جعَل له أعداءً مِن شياطينِ الجنِّ والإنسِ ، كما جعَل لأنبيائِه مِن قبلِه ، يُوحِى بعضُهم إلى بعضٍ المُزَيَّنَ مِن الأقوالِ الباطلةِ ، ثم أعْلَمه أن أولئك الشياطينَ يُوحُون إلى أوليائِهم مِن الإنسِ ليُجادِلوه ومَن تبِعه مِن المؤمنين فيما حرَّم اللَّهُ مِن الميتةِ عليهم .

واختَلَف أهلُ التأويلِ فى الذى عنَى اللَّهُ جلَّ ثناؤُه بنهيِه عن أكلِه مما لم يُذْكَرِ اسمُ اللَّهِ عليه ؛ **فقال بعضُهم** : هو ذبائحُ كانت العربُ تَذْبَحُها لآلهتِها .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ المثنى ومحمدُ بنُ بشارٍ ، قالا : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : أخْبَرنا ابنُ جُريجٍ ، قال : قلتُ لعطاءٍ : ما قولُه : ﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾ ؟ قال : يَأْمُرُ بذكرِ اسمِه على الشرابِ والطعامِ والذبحِ . قلتُ لعطاءٍ : فما قولُه : ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٨١٩) ، والطبرانى (١٢٢٩٥) ، والبيهقى ٩/٢٤٠ من طريق عمران بن عيينة به ، وأخرجه الترمذى (٣٠٦٩) من طريق عطاء بن السائب به .

﴿مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾؟ قال: يَنْهَى عن ذبائحَ كانت في الجاهليةِ على الأوثانِ، كانت تَذْبَحُها العربُ وقريشٌ[1].

[2]وقال آخرون: هي الميتةُ[2].

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ وابنُ وَكيعٍ، قالا: ثنا جَريرٌ، عن عطاءِ بنِ السائبِ، عن سعيدِ ابنِ جُبيرٍ، عن ابنِ عباسٍ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾. قال: الميتةُ[3].

وقال آخرون: بل عنَى بذلك كلَّ ذَبيحةٍ لم يُذْكَرِ اسمُ اللَّهِ عليها.

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ، قال: ثنا أبو أُسامةَ، عن جُهَيرِ[4] بنِ يزيدَ، قال: سُئِل الحسنُ، سأَله رجلٌ قال له: أُتِيتُ بطيرِ كَرًا[5]، فمنه ما ذُبِح فذُكِر اسمُ اللَّهِ عليه، ومنه ما نُسِي أن يُذْكَرَ اسمُ اللَّهِ عليه، واختَلَط الطيرُ. فقال الحسنُ: كُلْه كلَّه. قال: وسأَلْتُ محمدَ ابنَ سِيرينَ، فقال: قال اللَّهُ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾[6].

حدَّثني المثنى، قال: ثنا الحجاجُ، قال: ثنا حمادٌ، عن أيوبَ وهشامٍ، عن

---

(١) تقدم شطره الأول في ص٥١١، ٥١٢، وأخرج ابن أبي حاتم شطره الثاني في تفسيره ١٣٧٨/٤ (٧٨٣٦) من طريق ابن جريج به بنحوه.

(٢ - ٢) سقط من: ص، ت ١، ت ٢، س، ف.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٧٨/٤ (٧٨٣٣) من طريق جرير به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٢/٣ إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه.

(٤) في م: «حميد» وتنظر ترجمته في التاريخ الكبير ٢/ ٢٥٥، والجرح والتعديل ٢/ ٥٤٧.

(٥) في م: «كذا» والكرا: لغة في الكَرَوان، ويجمع على كِرْوان وكَراوين: ينظر اللسان (ك ر و).

(٦) ذكره ابن كثير في تفسيره ٣١٩/٣ عن المصنف.

محمدِ بنِ سِيرينَ ، عن / عبدِ اللَّهِ بنِ يزيدَ الخَطْمىِّ ، قال : كُلوا مِن ذبائحِ أهلِ ٢٠/٨ الكتابِ والمسلمين ، ولا تأْكُلوا مما لم يُذْكَرِ اسمُ اللَّهِ عليه[1] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ هارونَ ، عن أشعثَ ، عن ابنِ سِيرينَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ يزيدَ ، قال : كنتُ أَجْلِسُ إليه فى حَلْقةٍ[2] ، فكان يَجْلِسُ فيها ناسٌ مِن الأنصارِ هو رأسُهم ، فإذا جاء سائلٌ فإنما يَسْأَلُه ويَسْكُتون . قال : فجاءه رجلٌ فسأله فقال : رجلٌ ذبَح فنسِى أن يُسَمِّىَ ؟ فتلا هذه الآيةَ : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ حتى فرَغ منها .

والصوابُ مِن القولِ فى ذلك أن يقالَ : إن اللَّهَ عنَى بذلك ما ذُبِح للأصنامِ والآلهةِ ، وما مات أو ذبَحه مَن لا تَحِلُّ ذَبِيحتُه .

وأما مَن قال : عُنِى بذلك ما ذبَحه المسلمُ فنَسِى ذكرَ اسمِ اللَّهِ . فقولٌ بعيدٌ مِن الصوابِ ؛ لشُذوذِه وخُروجِه عما عليه الحجةُ مُجْمِعةٌ مِن تَحليلِه ، وكفَى بذلك شاهدًا على فسادِه . وقد بيَّنا فسادَه مِن جهةِ القياسِ فى كتابِنا المُسَمَّى « لطيف القولِ فى أحكامِ شرائعِ الدينِ » ، فأغنَى ذلك عن إعادتِه فى هذا الموضعِ .

وأما قولُه : ﴿ لَفِسْقٌ ﴾ . فإنه يعنى : وإنَّ أكْلَ ما لم يُذْكَرِ اسمُ اللَّهِ عليه مِن الميتةِ وما أُهِلَّ به لغيرِ اللَّهِ لَفِسْقٌ .

واختلَف أهلُ التأويلِ فى معنى « الفسقِ » فى هذا الموضعِ ؛ فقال بعضُهم : معناه : المعصيةُ . فتأويلُ الكلامِ على هذا : وإنَّ أكْلَ ما لم يُذْكَرِ اسمُ اللَّهِ عليه لمعصيةٌ للَّهِ وإثمٌ .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٣/٣ إلى عبد بن حميد .

(٢) المتكلم هنا ابن سيرين .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌۗ ﴾ . قال : الفسقُ المعصيةُ[(١)] .

وقال آخرون : معنى ذلك الكفرُ .

وأما قولُه : ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ ﴾ . فقد ذكَرْنا اختلافَ المختلفين فى الـمَعْنِيِّين[(٢)] بقولِه : ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ ﴾ والصوابَ مِن القولِ فيه[(٣)] .

وأما إيحاؤُهم إلى أوليائِهم ، فهو إشارتُهم إلى ما أشاروا لهم إليه ؛ إما بقولٍ ، وإما برسالةٍ ، وإما بكتابٍ .

وقد بيَّنا معنى « الوحيِ » فيما مضَى قبلُ بما أغْنَى عن إعادتِه فى هذا الموضعِ[(٤)] .

وقد حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا عكرمةُ ، عن أبى زُمَيْلٍ ، قال : كنتُ قاعدًا عندَ ابنِ عباسٍ ، فجاءه رجلٌ مِن أصحابِه فقال : يا أبا عباسٍ ، زعَم أبو إسحاقَ أنه أُوحِى إليه الليلةَ . يعنى المُختارَ بنَ أبى عُبَيدٍ . فقال ابنُ عباسٍ : صدَق . فنفَرْتُ ، فقلتُ : يقولُ ابنُ عباسٍ : صدَق ؟ [١/٧٩٢و] فقال ابنُ عباسٍ : هما وَحْيان ؛ وَحْىُ اللَّهِ ، ووحىُ الشيطانِ ، فوحْىُ اللَّهِ إلى محمدٍ ، ووحىُ الشياطينِ إلى أوليائِهم . ثم قرَأ : ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ ﴾[(٥)] .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٧٩/٤ (٧٨٣٨) عن محمد بن سعد به .

(٢) فى م : « المعنِىّ » .

(٣) ينظر ما تقدم ص ٥٢٠ - ٥٢٧ .

(٤) ينظر ما تقدم فى ٥/ ٤٠١، ٤٠٢.

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٧٩/٤ (٧٨٤١) من طريق أبى حذيفة به .

وأما « الأولياءُ » : فهم النُّصَراءُ والظُّهَراءُ فى هذا الموضعِ .

ويعنى بقولِه : ﴿ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ﴾ : ليُخاصِموكم . بالمعنى الذى قد ذكَرْتُ قبلُ .

/ وأما قولُه : ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ . فإنه يعنى : وإن أطَعْتُموهم فى أكلِ الميتةِ وما حرَّم عليكم ربُّكم . ٢١/٨

كما حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ ، عن علىِّ ابنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ ﴾ . يقولُ : وإن أطَعْتُموهم فى أكلِ ما نهَيْتُكم عنه[(١)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ مُفَضَّلٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ : ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ ﴾ فأكَلْتُم الميتةَ[(٢)] .

وأما قولُه : ﴿ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ . يعنى : إنكم إذن مثلُهم ، إذ كان هؤلاء يأْكُلون الميتةَ استِحْلالًا ، فإذا أنتم أكَلْتُموها كذلك فقد صِرْتُم مثلَهم مُشْرِكين .

واختَلَف أهلُ العلمِ فى هذه الآيةِ : هل نُسِخ مِن حكمِها شىءٌ أم لا ؟ فقال بعضُهم : لم يُنْسَخْ منها شىءٌ ، وهى مُحْكَمةٌ فيما عُنِيَت به . وعلى هذا قولُ عامةِ أهلِ العلمِ .

ورُوِى عن الحسنِ البصرىِّ وعكرمةَ ما حدَّثنا به ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ واضحٍ ، عن الحسينِ بنِ واقدٍ ، عن يزيدَ ، عن عكرمةَ والحسنِ البصرىِّ قالا : قال :

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٨٠/٤ (٧٨٤٨) من طريق عبد الله بن صالح به ، وهو جزء من الأثر المتقدم فى ص ٥٢٤.

(٢) جزء من الأثر المتقدم فى ص ٥٢٥.

﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴾ ، ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ﴾ فنسخ ، واستثنى من ذلك فقال : ﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ﴾[1] [المائدة : ٥] .

والصوابُ مِن القولِ في ذلك عندَنا أن هذه الآيةَ مُحْكَمةٌ فيما أُنزِلَت لم يُنْسَخْ منها شيءٌ ، وأن طعامَ أهلِ الكتابِ حلالٌ ، وذبائحَهم ذَكِيَّةٌ ، وذلك مما حرَّم اللَّهُ على المؤمنين أكلَه بقولِه : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ بمَعْزِلٍ ؛ لأن اللَّهَ إنما حرَّم علينا بهذه الآيةِ الميتةَ وما أُهِلَّ به للطَّواغيتِ ، وذبائحُ أهلِ الكتابِ ذكيةٌ ، سَمَّوْا عليها أو لم يُسَمُّوا ؛ لأنهم أهلُ توحيدٍ ، وأصحابُ كتبٍ للَّهِ يَدِينون بأحكامِها ، يَذْبَحون الذبائحَ بأديانِهم ، كما يَذبَحُ المسلمُ بدينِه ، سمَّى اللَّهَ على ذبيحتِه أو لم يُسَمِّه ، إلا أن يَكونَ ترَكَ مِن ذكرِ تسميةِ اللَّهِ على ذبيحتِه ، على الدَّيْنونةِ بالتعطيلِ ، أو بعبادةِ شيءٍ سوى اللَّهِ ، فيَحْرُمُ حينَئذٍ أكلُ ذَبيحتِه ، سمَّى اللَّهَ عليها أو لم يُسَمِّ .

القولُ في تأويلِ قولِه : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ .

وهذا الكلامُ مِن اللَّهِ جلَّ ثناؤُه يَدُلُّ على نهيِه المؤمنين برسولِه يومَئذٍ عن طاعةِ بعضِ المشركين الذين جادَلوهم في أكلِ الميتةِ ، بما ذكَرْنا عنهم مِن جِدالِهم إياهم به ، وأمْرِه إياهم بطاعةِ مؤمنٍ منهم كان ، أو[2] كافرًا ، فهَداه جلَّ ثناؤُه لرُشْدِه ، ووفَّقه للإيمانِ ، فقال لهم : أطاعةُ ﴿ مَن كَانَ مَيْتًا ﴾ . يقولُ : مَن كان كافرًا / فجعَله جلَّ ثناؤُه لانْصرافِه عن طاعتِه ، وجهلِه بتوحيدِه وشَرائعِ دينِه ، وتركِه الأخذَ بنصيبِه مِن العملِ للَّهِ بما يُؤَدِّيه إلى نجاتِه - بمنزلةِ الميتِ الذي لا يَنْفَعُ نفسَه بنافعةٍ ، ولا يَدْفَعُ عنها

٢٢/٨

---

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره ٣/٣١٩ عن المصنف .

(٢) سقط من : م .

مِن مَكْروهٍ نازلةٍ ﴿ فَأَحْيَيْنَٰهُ ﴾ . يقولُ : فهدَيْناه للإسلامِ ، فأنْعَشْناه ، فصار يَعْرِفُ مَضارَّ نفسِه ومَنافعَها ، ويَعْمَلُ فى خَلاصِها مِن سَخَطِ اللَّهِ وعقابِه فى مَعادِه . فجعَل إبْصارَه الحقَّ تعالى ذكرُه - بعدَ عَماه عنه ، ومعرفتَه بوَحْدانيتِه وشَرائعِ دينِه بعدَ جهلِه بذلك - حياةً وضياءً يَستَضِيءُ به ، فيَمْشِى على قصدِ السبيلِ ومنهجِ الطريقِ فى الناسِ ﴿ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ لا يَدْرِى كيف يَتَوَجَّهُ ، وأىَّ طريقٍ يَأْخُذُ ؛ لشدةِ ظُلْمةِ الليلِ ، وإضلالِه الطريقَ ، فكذلك هذا الكافرُ الضالُّ فى ظلماتِ الكفرِ ، لا يُبْصِرُ رُشْدًا ، ولا يَعْرِفُ حقًّا ، يعنى فى ظلماتِ الكفرِ . يقولُ : أفَطاعةُ هذا الذى هدَيْناه للحقِّ وبصَّرْناه الرشادَ ، كطاعةِ مَن مثَلُه مثَلُ مَن هو فى الظلماتِ مُتَرَدِّدٌ ، لا يَعْرِفُ المخْرَجَ منها ، فى دعاءِ هذا إلى تحريمِ ما حرَّم اللَّهُ وتحليلِ ما أحَلَّ ، وتحليلِ هذا ما حرَّم اللَّهُ وتحريمِه ما أحَلَّ ؟

وقد ذُكِر أن هذه الآيةَ نزَلَت فى رجلين بأعْيانِهما معروفَيْن ؛ أحدُهما مؤمنٌ والآخرُ كافرٌ .

ثم اختَلَف أهلُ التأويلِ فيهما ؛ فقال بعضُهم : أما الذى كان مَيْتًا فأحْياه اللَّهُ ، فعمرُ بنُ الخطابِ رضِى اللَّهُ عنه ، وأما الذى مثَلُه فى الظلماتِ ليس بخارجٍ منها ، فأبو جهلِ بنُ هشامٍ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : أخبرَنا سليمانُ بنُ أبى هَوْذَةَ ، عن شُعيبٍ السَّرَّاجِ ، عن أبى سِنانٍ ، عن الضحاكِ فى قولِه : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾ . قال : عمرُ بنُ الخطابِ رضِى اللهُ عنه ، ﴿ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ . قال : أبو جهلِ بنُ هشامٍ[1] .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/ ١٣٨١، ١٣٨٣ (٧٨٥٢، ٧٨٦٣) من طريق شعيب بن العلاء السراج به .

وقال آخرون: بل الميتُ الذى أحياه اللهُ عمارُ بنُ ياسرٍ رضِى اللهُ عنه، وأما الذى مثَلُه فى الظلماتِ ليس بخارجٍ منها، فأبو جهلِ بنُ هشامٍ.

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ، قال: ثنا سفيانُ بنُ عيينةَ، [٧٩٢/١ظ] عن بشرِ بنِ تَيْمٍ، عن رجلٍ، عن عكرمةَ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾. قال: نزَلَت فى عمارِ بنِ ياسرٍ[(١)].

حدَّثنى المثنى، قال: ثنا إسحاقُ، قال: ثنا عبدُ اللهِ بنُ الزبيرِ، عن ابنِ عُيَيْنةَ، عن بشرِ بنِ[(٢)] تيمٍ، عن عكرمةَ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾: عمارُ بنُ ياسرٍ، ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: أبو جهلِ بنُ هشامٍ[(٣)].

وبنحوِ الذى قلنا فى الآيةِ قال أهلُ التأويلِ.

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو، قال: ثنا أبو عاصمٍ، قال: ثنا عيسى، عن ابنِ أبى نَجيحٍ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللهِ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾. قال: ضالًّا فهدَيْناه ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾. قال: هُدًى. ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾. قال: فى الضلالةِ أبدًا[(٤)].

٢٣/٨ / **حدَّثنى** المثنى، قال: ثنا أبو حُذيفةَ، قال: ثنا شبلٌ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ، عن

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٨١/٤ (٧٨٥٤) من طريق سفيان بن عيينة به، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٣/٣ إلى ابن أبى شيبة وابن المنذر وأبى الشيخ.

(٢) فى م: «عن».

(٣) ينظر التاريخ الكبير ٩٦/٢.

(٤) تفسير مجاهد ص ٣٢٧، ومن طريقه ابن أبى حاتم ١٣٨٢/٤ (٧٨٦٢) بالجزء الأخير من الأثر، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٣/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبى الشيخ.

مجاهدٍ : ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ ﴾ : هدَيْناه . ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ : فى الضلالةِ أبدًا .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن سفيانَ ، عن رجلٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ ﴾ . قال : ضالًّا فهدَيْناه .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ ﴾ . يعنى : مَن كان كافرًا فهدَيْناه ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾ . يعنى بالنورِ القرآنَ ، مَن صدَّق به وعمِل به ، ﴿ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ . يعنى بالظلماتِ الكفرَ والضلالةَ[1] .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾ . يقولُ : الهدى . ﴿ يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾ . يقولُ : فهو الكافرُ يَهْدِيه اللَّهُ للإسلامِ . يقولُ : كان مُشْركًا فهدَيْناه . ﴿ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾[2] .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ ﴾ : هذا المؤمنُ معه مِن اللَّهِ نورٌ وبيِّنةٌ ، يَعْمَلُ بها ويَأْخُذُ ، وإليها يَنْتَهِى ؛ كتابُ اللَّهِ ﴿ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ : وهذا مثلُ الكافرِ فى الضلالةِ ، مُتَحَيِّرٌ فيها مُتَسَكِّعٌ ، لا يَجِدُ مخرجًا ولا مَنْفَذًا[3] .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/ ١٣٨١، ١٣٨٢ (٧٨٥١، ٧٨٥٥، ٧٨٥٦، ٧٨٦١) من طريق عبد الله بن صالح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/٤٣ إلى ابن المنذر وأبى الشيخ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٣٨٢ (٧٨٥٧) عن محمد بن سعد به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/ ١٣٨٢، ١٣٨٣ (٧٨٥٩، ٧٨٦٥) من طريق يزيد به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/٤٣ إلى عبد بن حميد وأبى الشيخ .

حدَّثني محمدُ بنُ الحسينِ، قال: ثنا أحمدُ بنُ المُفَضَّلِ، قال: ثنا أسباطُ، عن السديِّ: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾. يقولُ: مَن كان كافرًا فجعَلْناه مسلمًا، وجعَلْنا له نورًا يَمْشِي به في الناسِ، وهو الإسلامُ. يقولُ: هذا كمَن هو في الظلماتِ. يعني الشركَ[1].

حدَّثني يونُسُ بنُ عبدِ الأعلى، قال: أخبرَنا ابنُ وهبٍ، قال: قال ابنُ زيدٍ في قولِه: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾. قال: الإسلامُ الذي هداه اللَّهُ إليه، ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: ليس مِن أهلِ الإسلامِ. وقرَأ: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]. قال: والنورُ يَسْتَضِيءُ به ما في بيتِه ويُبْصِرُه، وكذلك الذي آتاه اللَّهُ هذا النورَ يَسْتَضِيءُ به في دينِه، ويَعْمَلُ به في نورِه[2]، كما يستَضِيءُ صاحبُ هذا السِّراجِ. قال: ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: لا يَدْرِي ما يَأْتِي ولا ما يَقَعُ عليه[3].

القولُ في تأويلِ قولِه: ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾.

يقولُ تعالى ذكرُه: كما خذَلْتُ هذا الكافرَ الذي يُجادِلُكم أيُّها المؤمنون باللَّهِ ورسولِه في أكلِ ما حرَّمْتُ عليكم مِن المطاعمِ عن الحقِّ، فزيَّنْتُ له سُوءَ عملِه فرآه حسنًا؛ ليَسْتَحِقَّ به ما أعْدَدْتُ له من أليمِ العقابِ، كذلك زيَّنتُ لغيرِه ممَّن كان على مثلِ ما هو عليه مِن الكفرِ باللَّهِ وآياتِه ما كانوا يَعْمَلون مِن مَعاصي اللَّهِ؛ ليَسْتَوْجِبوا بذلك مِن فعلِهم ما لهم عندَ ربِّهم مِن النَّكالِ.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٨٢/٤ (٧٨٥٨) من طريق أحمد بن مفضل به ببعضه، وأخرجه عقب الأثرين (٧٨٥١، ٧٨٥٥) من طريق عمرو، عن أسباط به.

(٢) في م: «فوره».

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٨٣/٤ (٧٨٦٤) من طريق أصبغ، عن ابن زيد، مقتصرًا على آخره.

/ وفى هذا أوضحُ البيانِ على تكذيبِ اللَّهِ الزاعِمِين أن اللَّهَ فوَّض الأمورَ إلى ٢٤/٨ خلقِه فى أعمالِهم ، فلا صُنعَ له فى أفعالِهم ، وأنه قد سوَّى بينَ جميعِهم فى الأسبابِ التى بها يَصِلون إلى الطاعةِ والمعصيةِ ؛ لأن ذلك لو كان كما قالوا ، لكان قد زيَّن لأنبيائِه وأوليائِه مِن الضلالةِ والكفرِ نظيرَ ما زيَّن مِن ذلك لأعدائِه وأهلِ الكفرِ به ، وزيَّن لأهلِ الكفرِ به مِن الإيمانِ به نظيرَ الذى زيَّن منه لأنبيائِه وأوليائِه . وفى إخبارِه جلَّ ثناؤُه أنه زيَّن لكلِّ عاملٍ منهم عملَه ، ما يُنبِئُ عن تَزْيينِ[1] الكفرِ والفسوقِ والعصيانِ ، وخصَّ أعداءَه وأهلَ الكفرِ بتَزْيينِ الكفرِ لهم والفسوقِ والعصيانِ ، وكرَّه إليهم الإيمانَ به والطاعةَ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ .

[٧٩٣/١و] يقولُ جلَّ ثناؤُه : وكما زيَّنا للكافرين ما كانوا يَعْمَلون ، كذلك جعَلْنا بكلِّ قريةٍ عُظماءَها مُجرميها ، يعنى أهلَ الشركِ باللَّهِ والمعصيةِ له ، ﴿ لِيَمْكُرُوا فِيهَا ﴾ بغرورٍ مِن القولِ ، أو بباطلٍ مِن الفعلِ ، بدينِ اللَّهِ وأنبيائِه ، ﴿ وَمَا يَمْكُرُونَ ﴾ . أىْ : ما يَحِيقُ مكرُهم ذلك إلا بأنفسِهم ؛ لأن اللَّهَ تعالى ذكرُه مِن وراءِ عقوبتِهم على صدِّهم عن سبيلِه ، وهم لا ﴿ يَشْعُرُونَ ﴾ . يقولُ : لا يَدْرُون ما قد أعَدَّ اللَّهُ لهم مِن أليمِ عذابِه ، فهم فى غَيِّهم وعُتُوِّهم على اللَّهِ يَتمادَوْن .

وبنحوِ ما قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى

---

(١) سقط من : ص ، ت ١ ، ت ٢ ، س ، ف .

نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا ﴾ . قال : عُظماؤُها[(١)] .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبي نجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثَوْرٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ : ﴿ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا ﴾ . قال : عظماؤُها[(٢)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثني حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن عكرمةَ : نزَلَت في المُستَهزئين . قال ابنُ جُريجٍ : عن [(٣)]عمرَ بنِ[(٣)] عطاءٍ ، عن عكرمةَ : ﴿ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا ﴾ إلى قولِه : ﴿ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴾ : بدينِ اللَّهِ وبنبيِّه عليه السلامُ وعبادِه المؤمنين[(٤)] .

والأكابرُ جمع أكبرَ ، كما الأفاضلُ جمعُ أفضلَ . ولو قيل : هو جمعُ كبيرٍ ، فجُمع أكابرَ ؛ لأنه قد يُقالُ : أكبرُ . كما قيل : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴾ [الكهف : ١٠٣] . وواحدُهم الخاسرُ . لكان صوابًا . وحُكِي عن العربِ سَماعًا : الأكابرةُ والأصاغرةُ ، والأكابرُ والأصاغرُ ، بغيرِ الهاءِ ، على نيةِ النعتِ ، كما يُقالُ : هو أفضلُ منك . وكذلك تَفعَلُ / العربُ بما جاء مِن النعوتِ على « أفْعَلَ » ، إذا أخرَجوها إلى الأسماءِ ؛ مثلَ جمعِهم الأحمرَ والأسودَ : الأحامرَ والأحامِرةَ ، والأساوِدَ والأساوِدةَ . ومنه قولُ الشاعرِ[(٥)] :

٢٥/٨

---

(١) تفسير مجاهد ص ٣٢٨، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٨٣/٤ (٧٨٦٧) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٤/٣ إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ٣/ ٣٢٣.

(٣ - ٣) في ص ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ ، س ، ف : « عمرو » ، وفي م : « عمرو عن » . وتقدم في ٢١٦/٦، ٢١٧، وسيأتي في ١٠/ ١٦٧.

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٤/٣ إلى المصنف وأبي الشيخ .

(٥) هو الأعشى الكبير ميمون بن قيس ،والبيت في اللسان (ح م ر) .

إن الأَحامِرةَ الثلاثةَ أهلَكَت مالى وكنتُ بهن قِدْمًا مُولَعَا
الخمرَ واللحمَ السَّمِينَ إدَامُهُ[(١)] والزَّعْفرانَ فلن أَرُوحَ[(٢)] مُبَقَّعَا[(٣)]

وأما المكرُ ، فإنه الخَديعةُ والاحتيالُ للمَمْكورِ به بالغدرِ ؛ ليُوَرِّطَه الماكرُ به مَكروهًا مِن الأمرِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ[(٤)] ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : وإذا جاءَت هؤلاء المشركين الذين يُجادِلون المؤمنين بزُخرفِ القولِ فيما حرَّم اللَّهُ عليهم ليَصُدُّوا عن سبيلِ اللَّهِ ﴿ ءَايَةٌ ﴾ . يعنى : حُجَّةٌ مِن اللَّهِ على صحةِ ما جاءهم به محمدٌ ﷺ مِن عندِ اللَّهِ وحقيقتِه ، قالوا لنبىِّ اللَّهِ وأصحابِه : ﴿ لَن نُّؤْمِنَ ﴾ . يقولُ : يقولون : لن نُصَدِّقَ بما دعانا إليه محمدٌ ﷺ مِن الإيمانِ به ، وبما جاء به مِن تحريمِ ما ذَكَر أن اللَّهَ حرَّمه علينا ﴿ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ ﴾ . يَعْنُون : حتى يُعْطِيَهم اللَّهُ مِن المُعجِزاتِ مثلَ الذى أعْطَى موسى مِن فَلْقِ البحرِ ، وعيسى مِن إحياءِ الموتى وإبراءِ الأكْمَهِ والأبرصِ ، يقولُ اللَّهُ تعالى ذكرُه : (اللهُ أَعلَمُ حَيثُ يَجعَلُ رِسالَاتِهِ) . يعنى بذلك جلَّ ثناؤُه : إن آياتِ الأنبياءِ والرسلِ [(٥)]لن يُعْطَاها[(٥)] مِن البشرِ إلا رسولٌ مُرْسَلٌ ، وليس العادلون بربِّهم الأوثانَ والأصنامَ منهم فيُعْطَوْها . يقولُ جلَّ ثناؤُه : فأنا أَعْلَمُ بمَواضِعِ رِسالاتى ، ومَن هو لها أهلٌ ، فليس لكم أيُّها

---

(١) فى م : « أُديمُه » .

(٢) فى م : « أزال » .

(٣) البَقَع والبُقْعة : تخالف اللون . وقيل : الأبقع ما خالط بياضَه لونٌ آخر . اللسان (ب ق ع) .

(٤) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، س ، ف : « رسالاته » بالجمع ، وهى القراءة التى سيذكرها المصنف فى تفسيره للآية ، وهى قراءة نافع وأبى بكر وابن عامر وحمزة والكسائى ، والمثبت قراءة ابن كثير وحفص . ينظر التيسير ص ٨٨، وحجة القراءات ص ٢٧٠.

(٥ - ٥) فى م : « لم يعطها » .

المشركون أن تتخيَّروا ذلك علىَّ أنتم؛ لأن تخيُّرَ الرسولِ إلى المرسِلِ دونَ المرسَلِ إليه، واللَّهُ أعلمُ إذا أرْسَل رسالةً بموضعِ رسالاتِه.

القولُ فى تأويلِ قولِه: ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾.

يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ معلِمَه ما هو صانعٌ بهؤلاء المُتَمَرِّدِين عليه: سيُصيبُ يا محمدُ الذين اكتَسَبوا الإثمَ بشركِهم باللَّهِ، وعبادتِهم غيرَه ﴿صَغَارٌ﴾. يعنى: ذلةٌ وهوانٌ.

كما حدَّثنى محمدُ بنُ الحسين، قال: ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ، قال: ثنا أسْباطُ، عن السدىِّ: ﴿سَيُصِيبُ / ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾. قال: الصَّغارُ الذلةُ[1]. ٢٦/٨

وهو مصدرٌ مِن قولِ القائلِ: صغِر يَصْغَرُ صَغارًا وصَغَرًا، وهو أشدُّ الذلِّ.

وأما قولُه: ﴿صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾. فإن معناه: سيُصِيبُهم صَغارٌ مِن عندِ اللَّهِ، كقولِ القائلِ: سيأْتِينى [2]رِزقى عندَ اللهِ[2]. بمعنى: مِن عندِ اللَّهِ. يُرادُ بذلك: سيأْتِينى الذى لى عندَ اللَّهِ. وغيرُ جائزٍ لمن قال: سيُصِيبُهم صَغارٌ عندَ اللَّهِ. أن يَقولَ: جئتُ عندَ عبدِ اللَّهِ. بمعنى: جئتُ مِن عندِ عبدِ اللَّهِ؛ لأن معنى: سيُصِيبُهم صَغارٌ عندَ اللَّهِ: سيُصِيبُهم الذى عندَ اللَّهِ مِن الذلِّ بتكذيبِهم رسولَه. فليس ذلك بنظيرِ: جئتُ مِن عندِ عبدِ اللَّهِ.

وقولُه: ﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ﴾. يقولُ: يُصِيبُ هؤلاء المكذِّبين باللَّهِ ورسولِه، [٧٩٣/١ظ] المُسْتَحِلِّين ما حرَّم اللَّهُ عليهم مِن الميتةِ، مع

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٨٤/٤ (٧٨٧٠) من طريق أحمد بن مفضل به.

(٢ - ٢) فى ص: «رزق الله»، وفى ت ١، ت ٢، س، ف: «من عند الله».

الصَّغارِ ، عذابٌ شديدٌ بما كانوا يَكِيدُون للإسلامِ وأهلِه ، بالجِدالِ بالباطلِ والزخرفِ مِن القولِ غُرورًا ، لأهلِ دينِ اللَّهِ وطاعتِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : فمَن يُرِدِ اللَّهُ أن يَهْدِيَه للإيمانِ به وبرسولِه ، وما جاء به مِن عندِ ربِّه فيُوَفِّقَه له ، ﴿ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾ . يقولُ : فسَح صدرَه لذلك ، وهوَّنه عليه ، وسهَّله له بلطفِه ومعونتِه ، حتى يَستنيرَ الإسلامُ فى قلبِه ، فيُضِئَ له ، ويتَّسِعَ له صدرُه بالقبولِ .

كالذى جاء الأثرُ به عن رسولِ اللَّهِ ﷺ الذى **حدَّثنا** سَوَّارُ بنُ عبدِ اللَّه العَنْبَرىُّ ، قال : ثنا المعتمِرُ بنُ سليمانَ ، قال : سمِعْتُ أبى يُحَدِّثُ عن عبدِ اللَّهِ بنِ مُرَّةَ[1] ، عن أبى جعفرٍ ، قال : لما نزَلَت هذه الآيةُ : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾ . قالوا : كيف يُشْرَحُ الصدرُ ؟ قال : إذا نزَل النورُ فى القلبِ انْشَرَح له الصدرُ وانْفَسَح . قالوا : فهل لذلك آيةٌ يُعْرَفُ بها ؟ قال : نعم ، الإنابةُ إلى دارِ الخلودِ ، والتَّجافى عن دارِ الغُرورِ ، والاسْتِعدادُ للموتِ قبلَ الموتِ[2] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرنا الثورىُّ ، عن عمرِو بنِ قيسٍ ، عن عمرِو بنِ مُرَّةَ ، عن أبى جعفرٍ قال : سُئِل النبىُّ ﷺ : أىُّ المؤمنين أكْيَسُ ؟ قال : « أكثرُهم للموتِ ذكرًا ، وأحسَنُهم لما بعدَه اسْتِعدادًا » . قال : وسُئِل

(١) كذا فى النسخ ، وتفسير ابن كثير « عبد الله بن مرة » والصواب : أبى عبد الله بن مرة . وهو عمرو بن مرة ابن عبد الله المرادى أبو عبد الله الكوفى الأعمى وأبو جعفر هو عبد الله بن مسور بن عون بن جعفر بن أبى طالب الهاشمى المدائنى ، كان يضع الحديث ويكذب . ينظر الجرح والتعديل ٥/ ١٦٩، وتهذيب الكمال ٢٢/ ٢٣٢.

(٢) فى م : « الفوت » .

والأثر ذكره ابن كثير فى تفسيره ٣/ ٣٢٧ عن المصنف .

النبيُّ ﷺ عن هذه الآيةِ : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾ . قالوا : كيف يُشْرَحُ صدرُه يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « نورٌ يُقْذَفُ فيه ، فيَنْشَرِحُ له ويَنْفَسِحُ » . قالوا : فهل لذلك مِن أمارةٍ يُعْرَفُ بها ؟ قال : « الإنابةُ إلى دارِ الخلودِ ، والتَّجافى عن دارِ الغُرورِ ، والاستِعدادُ للموتِ قبلَ الموتِ »[(١)] .

حدَّثنا هنادٌ ، قال : ثنا قَبيصةُ ، عن سفيانَ ، عن عمرِو بنِ مُرَّةَ ، عن رجلٍ يُكْنَى أبا جعفرٍ كان يَسْكُنُ / المَدائنَ ، قال : سُئِل النبيُّ ﷺ عن قولِه : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾ . قال : « نورٌ يُقْذَفُ فى القلبِ ، فيَنْشَرِحُ ويَنْفَسِحُ » . قالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، هل له مِن أمارةٍ يُعْرَفُ بها ؟ ثم ذكَر باقىَ الحديثِ مثلَه[(٢)] .

٢٧/٨

حدَّثنى هلالُ[(٣)] بنُ العَلاءِ ، ثنا سعيدُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ واقدٍ الحَرَّانىُّ ، قال : ثنا محمدُ بنُ سلمةَ ، عن أبى عبدِ الرَّحيمِ ، عن زيدِ بنِ أبى أُنَيْسةَ ، عن عمرِو بنِ مرةَ ، عن أبى عُبيدةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ ، قال : قيل لرسولِ اللَّهِ ﷺ حينَ نزَلَت هذه الآيةُ : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾ . قال : « إذا دخَل النورُ القلبَ انْفَسَح وانْشَرَح » . قالوا : فهل لذلك مِن أمارةٍ يُعْرَفُ بها ؟ قال : « الإنابةُ إلى

---

(١) تفسير عبد الرزاق ٢١٧/١، وأخرجه ابن أبى شيبة ٢٢١/١٣، وابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٨٤/٤ (٧٨٧٣) من طريق عمرو بن قيس بنحوه . وتحرف عبد الله بن مسور فى المصنف إلى عبد الله بن مسعود ، وأخرجه ابن المبارك فى الزهد (٣١٥) ، وابن أبى شيبة ٢٢١/١٣، وابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٨٤/٤ (٧٨٧٢) من طريق عمرو بن مرة به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٤/٣ إلى الفريابى وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه .

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٣٢٧/٣ عن المصنف ، وأخرجه البيهقى فى الأسماء والصفات (٣٢٥) من طريق سفيان الثورى به موقوفًا على أبى جعفر .

(٣) فى م ، ف : « محمد » ، وفى ص : « يعلى » ، وفى ت ١، ت ٢، س : « على » . والمثبت مما تقدم فى ٤٩٣/٢، وتفسير ابن كثير ، وينظر تهذيب الكمال ٣٤٦/٣٠.

دارِ الخلودِ ، والتَّنَحِّى عن دارِ الغُرورِ ، والاستعدادُ للموتِ قبلَ الموتِ »[(١)] .

حدَّثنى سعيدُ بنُ الربيعِ الرازىُّ ، قال : ثنا سفيانُ بنُ عُيينةَ ، عن خالدِ بنِ أبى كَرِيمةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ المِسْوَرِ ، قال : قرَأ رسولُ اللَّهِ ﷺ : ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ . ثم قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إذا دخَل النورُ القلبَ انْفَسَح وانْشَرَح » . قالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، وهل لذلك مِن علامةٍ تُعْرَفُ ؟ قال : « نعم ، الإنابةُ إلى دارِ الخلودِ ، والتَّجافى عن دارِ الغُرورِ ، والاسْتِعدادُ للموتِ قبلَ نزولِ الموتِ »[(٢)] .

حدَّثنى ابنُ سِنانٍ القَزَّازُ ، قال : ثنا مَحبوبُ بنُ الحسنِ الهاشمىُّ ، عن يونُسَ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عُتْبةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، قال : « ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ » . قالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، وكيف يُشْرَحُ صدرُه ؟ قال : « يَدْخُلُ فيه النورُ فيَنْفَسِحُ » . قالوا : وهل لذلك مِن علامةٍ يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « التَّجافى عن دارِ الغُرورِ ، والإنابةُ إلى دارِ الخلودِ ، والاستعدادُ للموتِ قبلَ أن يَنْزِلَ الموتُ »[(٣)] .

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٣/٣٢٧ عن المصنف ، وذكر الدارقطنى فى العلل ٥/١٨٨ - ١٩٠ عدة طرق لهذا الحديث عن عبد الله بن مسعود منها هذا الطريق عن أبى عبد الرحيم ، ثم قال : وكلها وَهْم ، والصواب : عن عمرو بن مرة ، عن أبى جعفر عبد الله بن المسور مرسلا عن النبى ﷺ ، كذلك قاله الثورى ، وعبد الله بن المسور .. متروك .

(٢) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٩١٨ - تفسير) - ومن طريقه البيهقى فى الأسماء والصفات (٣٢٦) - عن ابن عيينة به ، وقال البيهقى : هذا منقطع . وأخرجه أبو الشيخ فى طبقات المحدثين بأصبهان ١/ ١٥٢- ومن طريقه أبو نعيم فى أخبار أصبهان ١/ ٣٠٥، ٢/ ٣٨- من طريق ابن عيينة عن خالد بن أبى كريمة ، عن عبد الله بن المسور ، عن أبيه .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٣/٣٢٨ عن المصنف . وأخرجه ابن أبى الدنيا فى قصر الأمل ص٩٩ (١٣١)- ومن طريقه الحاكم ٤/٣١١، والبيهقى فى الشعب (١٠٥٥٢) - من طريق عدى بن الفضل عن عبد الرحمن ابن عبد الله المسعودى عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله بن مسعود . وليس فى إسناد ابن أبى الدنيا : القاسم بن عبد الرحمن . وفى إسناد البيهقى القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن أيوب عن عبد الله بن مسعود . وينظر سلسلة الأحاديث الضعيفة (٩٦٥) .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾ : أما ﴿ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾ : فيُوَسِّعْ صدرَه للإسلامِ .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ قولَه : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾ : بلا إلهَ إلا اللَّهُ .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا سُوَيْدُ بنُ نصرٍ ، قال : أخبرنا ابنُ المباركِ ، عن ابنِ جريجٍ قراءةً : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾ : بلا إلهَ إلا اللَّهُ ، يَجْعَلُ لها فى صدرِه مُتَّسَعًا .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : ومَن أراد اللَّهُ إضلالَه عن سبيلِ الهُدَى ، يشغَلْه بكفرِه وصدِّه عن سبيلِه ، ويَجْعَلُ / صدرَه بخِذْلانِه وغلبةِ الكفرِ عليه ، حرَجًا . ٢٨/٨

والحرجُ أشدُّ الضيقِ ، وهو الذى لا يُنْفِذُه مِن شدةِ ضيقِه ، [١/٧٩٤و] وهو هلهنا الصدرُ الذى لا تَصِلُ إليه الموعظةُ ، ولا يَدْخُلُه نورُ الإيمانِ ؛ لرَيْنِ الشركِ عليه ، وأصلُه مِن الحرَجِ ، والحرَجُ جمعُ حَرَجةٍ ، وهى الشجرةُ الملْتَفُّ بها الأشجارُ ، لا يَدْخُلُ بينَها وبينَها شىءٌ لشدةِ التفافِها بها .

كما حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاجُ بنُ المِنْهالِ ، قال : ثنا هُشيمٌ ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ عمارٍ - رجلٌ مِن أهلِ اليمنِ - عن أبى الصَّلْتِ الثَّقَفىِّ ، أن عمرَ بنَ الخطابِ رحمةُ اللَّهِ عليه قرأ هذه الآيةَ : ﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا

حَرَجًا ﴾ بنصبِ الراءِ . قال : وقرَأ بعضُ مَن عندَه مِن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ : (ضَيِّقًا حَرِجًا) . قال صَفوانُ : فقال عمرُ : ابْغُونى رجلًا مِن كِنانةَ ، واجْعَلوه راعيًا ، ولْيَكُنْ مُدْلِجيًّا . قال : فأتَوْه به ، فقال له عمرُ : يا فتى ، ما الحرَجةُ ؟ قال : الحرَجةُ فينا الشجرةُ تَكونُ بينَ الأشجارِ التى لا تَصِلُ إليها راعيةٌ ، ولا وَحْشِيَّةٌ ، ولا شىءٌ . قال : فقال عمرُ : كذلك قلبُ المنافقِ ، لا يَصِلُ إليه شىءٌ مِن الخيرِ [(١)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ . يقولُ : مَن أراد اللَّهُ أن يُضِلَّه يُضَيِّقْ عليه صدرَه حتى يَجْعَلَ الإسلامَ عليه ضيقًا ، والإسلامُ واسعٌ ، وذلك حينَ يقولُ : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ ﴾ [الحج : ٧٨] . يقولُ : ما جعَل عليكم فى الإسلامِ مِن ضيقٍ [(٢)] .

واختَلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ ذلك ؛ فقال بعضُهم : معناه : شاكًّا .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا عمرانُ بنُ موسى ، قال : ثنا عبدُ الوارثِ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا حميدٌ ، عن مجاهدٍ : ﴿ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ : قال : شاكًّا [(٣)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ : أما ﴿ حَرَجًا ﴾ فشاكًّا [(٣)] .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/٤٥ إلى المصنف وعبد ابن حميد وابن المنذر وأبى الشيخ . وينظر تفسير ابن كثير ٣/٣٢٨ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٣٨٥ (٧٨٧٦) ، والبيهقى فى الأسماء والصفات (٣٢٤) من طريق محمد بن سعد به .

(٣) ينظر تفسير ابن كثير ٣/ ٣٢٨.

وقال آخرون : معناه : مُلْتَبِسًا .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ . قال : ﴿ ضَيِّقًا ﴾ : مُلْتَبِسًا[١] .

حدَّثنا عبدُ الوارثِ بنُ عبدِ الصمدِ ، قال : ثنى أبى[٢] ، قال : ثنى أبى ، عن الحسينِ[٣] ، عن قتادةَ أنه كان يَقْرأُ : ﴿ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ يقولُ : مُلْتَبِسًا .

وقال آخرون : معناه أنه مِن شدةِ الضيقِ لا يَصِلُ إليه الإيمانُ .

ذكرُ مَن قال ذلك

٢٩/٨ /حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : ثنا جَريرٌ ، عن حَبيبِ بنِ أبى عَمْرةَ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ : ﴿ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ . قال : لا يَجِدُ مَسْلكًا إلا صُعُدًا[٤] .

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثَوْرٍ ، عن معمرٍ ، عن عطاءٍ الخُراسانىِّ : ﴿ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ . قال : ليس للخيرِ فيه مَنْفَذٌ[٥] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا سُوَيدُ بنُ نصرٍ ، قال : أخْبَرنا ابنُ المباركِ ، عن معمرٍ ، عن عطاءٍ الخُراسانىِّ مثلَه .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ قولَه :

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٥/٣ إلى عبد بن حميد وأبى الشيخ .

(٢) بعده فى النسخ : « حدثنى عمى » . وسيأتى على الصواب فى ٢١٠/١٠، ١٢٨/١٤، ١٠٤/١٥، ١٩/ ٢، ٢٠/٧، ٢٦/٣، وينظر ٩٩/١٨، ٤٧٨ .

(٣) فى النسخ : « الحسن » . وتنظر المواضع السابقة ، وص٥٧٩، وتهذيب الكمال ٣٧٢/٦ .

(٤) ينظر تفسير ابن كثير ٣/ ٣٢٩.

(٥) تفسير عبد الرزاق ٢١٨/١ – ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٨٥/٤ (٧٨٧٩) – عن معمر به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٥/٣ إلى ابن المنذر .

﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ : بلا إلهَ إلا اللَّهُ ، لا يَجِدُ لها فى صدرِه مَسَاغًا[1] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا سُوَيْدُ بنُ نصرٍ ، قال : أخْبَرَنا ابنُ المباركِ ، عن ابنِ جُريجٍ قراءةً فى قولِه : ﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ : بلا إلهَ إلا اللَّهُ ، حتى لا يَسْتَطِيعَ أن تَدْخُلَه[1] .

واخْتَلَفَت القرأةُ فى قراءةِ ذلك ، فقرَأه بعضُهم : ﴿ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ بفتحِ الحاءِ والراءِ مِن : ﴿ حَرَجًا ﴾ . وهى قراءةُ عامةِ المكيين والعراقيين[2] ، بمعنى جمعِ حَرَجةٍ ، على ما وصَفْتُ .

وقرَأ ذلك عامةُ قرأةِ المدينةِ : (ضَيِّقًا حَرِجًا) بفتحِ الحاءِ وكسرِ الراءِ[3] .

ثم اخْتَلَف الذين قرَءوا ذلك فى معناه ؛ فقال بعضُهم : هو بمعنى الحَرَجِ ، وقالوا : الحَرَجُ بفتحِ الحاءِ والراءِ ، والحَرِجُ بفتحِ الحاءِ وكسرِ الراءِ ، بمعنًى واحدٍ ، وهما لغتان مشهورتان ، مثلُ الدَّنَفِ والدَّنِفِ ، والوَحَدِ والوَحِدِ ، والفَرَدِ والفَرِدِ .

وقال آخرون منهم : بل هو بمعنى الإثمِ ، مِن قولِهم : فلانٌ آثِمٌ حَرِجٌ . وذُكِر عن العربِ سَماعًا منها : حَرِجٌ عليك ظُلْمى . بمعنى : ضِيقٌ وإثْمٌ .

والقولُ عندى فى ذلك أنهما قراءتان مشهورتان ، ولغتان مُسْتَفِيضتان بمعنًى واحدٍ ، وبأيَّتِهما قرَأ القارئُ فهو مصيبٌ ؛ لاتفاقِ معنَيَيْهما ، وذلك كما ذكَرْنا مِن الرواياتِ عن العربِ فى الوَحَدِ والفَرَدِ ، بفتحِ الحاءِ مِن الوَحَدِ ، والراءِ من الفرَدِ ، وكسرِهما ، بمعنًى واحدٍ .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/ ٤٥ إلى أبى الشيخ ، وذكره ابن كثير فى تفسيره ٣/ ٣٢٩ عن ابن المبارك به .

(٢) وهى قراءة ابن كثير وحفص وأبى عمرو وابن عامر وحمزة والكسائى ويعقوب وخلف . ينظر النشر ٢/ ١٩٧ .

(٣) وهى قراءة نافع وأبى جعفر وأبى بكر شعبة . ينظر المصدر السابق .

(٣) ينظر معانى القرآن للفراء ١/ ٣٥٣.

وأما «الضيِّقُ»، فإن عامةَ القرأةِ على فتحِ ضادِه وتشديدِ يائِه، خلا بعضَ المكيين، فإنه قرَأه: (ضَيْقًا) بفتحِ الضادِ وتسكينِ الياءِ وتخفيفِه[1].

وقد يَتَّجِهُ لتَسْكينِه ذلك وجهان: أحدُهما، أن يَكونَ سكَّنه وهو يَنْوِى معنى التحريكِ والتشديدِ، كما قيل: هَيْنٌ لَيْنٌ، بمعنى: هيِّنٌ ليِّنٌ.

والآخرُ، أن يَكونَ سكَّنه بنيةِ المصدرِ، مِن قولِهم: ضاق هذا الأمرُ يَضِيقُ ضَيْقًا. كما قال رُؤْبةُ:

قد عَلِمْنا عندَ كلِّ مأْزِقِ

ضَيْقٍ بوَجْهِ الأمرِ أو[2] مُضَيَّقِ

ومنه قولُ اللَّهِ: ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧]. وقال رُؤْبةُ أيضًا[3]:

٨/٣٠ / وشَفَّها اللَّوحُ بمَأْزُولٍ ضَيَقْ[4]

[١/٧٩٤ظ] بمعنى: ضيِّقٍ.

وحُكِى عن الكِسائىِّ أنه كان يَقولُ: الضِّيقُ بالكسرِ، فى المعاشِ والموضعِ، وفى الأمرِ الضَّيْقُ.

وفى هذه الآيةِ أبيَنُ البيانِ لمن وُفِّق لفهمِها عن أن السببَ الذى به يُوصَلُ إلى الإيمانِ والطاعةِ غيرُ السببِ الذى به يُوصَلُ إلى الكفرِ والمعصيةِ، وأن كلا

(١) وهى قراءة ابن كثير. ينظر الكشف ١/ ٤٥٠، ٤٥١.

(٢) فى م: «أى».

(٣) ديوانه ص ١٠٥.

(٤) شفها: أنحلها وهزلها. واللُّوح: العطش. والمأزول من الأزل، وهو الشدة والضيق. اللسان (ل و ح، ش ف ف، أ ز ل) وجعل (ضيَق) بالتحريك مراعاة للوزن.

السببين مِن عندِ اللَّهِ ، وذلك أن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه أخبَرَ عن نفسِه أنه يَشْرَحُ صدرَ مَن أراد هدايتَه للإسلامِ ، ويَجْعَلُ صدرَ مَن أراد إضلالَه ضيِّقًا عن الإسلامِ حَرَجًا ، كأنما يَصَّعَّدُ فى السماءِ ، ومعلومٌ أن شرْحَ الصدرِ للإيمانِ خِلافُ تَضْييقِه له ، وأنه لو كان يُوصَلُ بتضييقِ الصدرِ عن الإيمانِ إليه ، لم يَكُنْ بينَ تضييقِه عنه وبينَ شرحِه له فرقٌ ، ولكان مَن ضُيِّق صدرُه عن الإيمانِ قد شُرِح صدرُه له ، ومَن شُرِح صدرُه له ، فقد ضُيِّق عنه ، إذ كان مَوْصولًا بكلٍّ واحدٍ منهما - أعنى مِن التضييقِ والشرحِ - إلى ما يُوصَلُ به إلى الآخرِ . ولو كان ذلك كذلك ، وجَب أن يَكونَ اللَّهُ قد كان شرَح صدرَ أبى جهلٍ للإيمانِ به ، وضيَّق صدرَ رسولِ اللَّهِ ﷺ عنه ، وهذا القولُ مِن أعظمِ الكفرِ باللَّهِ ، وفى فسادِ ذلك أن يَكونَ كذلك الدليلُ الواضحُ على أن السببَ الذى به آمَن المؤمنون باللَّهِ ورسلِه وأطاعه المُطِيعون ، غيرُ السببِ الذى كفَر به الكافرون باللَّهِ ، وعصاه العاصون ، وأن كلا السببين مِن عندِ اللَّهِ وبيدِه ؛ لأنه أخبَر جلَّ ثناؤُه أنه هو الذى يَشْرَحُ صدرَ هذا المؤمنِ به للإيمانِ إذا أراد هدايتَه ، ويُضَيِّقُ صدرَ هذا الكافرِ عنه إذا أراد إضلالَه .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ .

وهذا مَثَلٌ مِن اللَّهِ تعالى ذكرُه ضرَبه لقلبِ هذا الكافرِ فى شدةِ تَضْييقِه إياه عن وصولِه إليه ، مثلَ امتناعِه مِن الصُّعودِ إلى السماءِ ، وعجزِه عنه ؛ لأن ذلك ليس فى وُسْعِه .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن عطاءٍ الخُراسانىِّ : ﴿ كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ . يقولُ : مَثَلُه كمَثَلِ الذى لا يَسْتَطِيعُ

أن يَصَّعَّدَ فى السماءِ[١] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا سُوَيْدٌ ، قال : أخبَرَنا ابنُ المباركِ ، عن معمرٍ ، عن عطاءٍ الخُراسانيِّ مثلَه .

وبه قال : أخبَرَنا ابنُ المباركِ ، عن ابنِ جُريجٍ قراءةً : ﴿ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ : بلا إلهَ إلا اللَّهُ حتى لا يَسْتَطِيعَ أن تَدْخُلَه ، ﴿ كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ : مِن شدةِ ذلك عليه[٢] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ مثلَه .

٣١/٨ /حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ مفضلٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ : مِن ضِيقِ صدرِه[٣] .

واختَلَفَت القرأةُ فى قراءةِ ذلك ؛ فقرَأَته عامةُ قرأةِ أهلِ المدينةِ والعراقِ : ﴿ كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ ﴾[٤] . بمعنى : يَتَصَعَّدُ . فأدْغَموا التاءَ فى الصادِ ، فلذلك شَدَّدوا الصادَ .

وقرَأ ذلك بعضُ الكوفيين : (يَصَّاعَدُ)[٥] . بمعنى : يَتَصاعَدُ ، فأَدْغم التاءَ فى الصادِ وجعَلَها صادًا مُشَدَّدةً .

وقرَأ ذلك بعضُ قرأةِ المكيين : (كأنما يَصْعَدُ)[٦] . مِن : صَعِد يَصْعَدُ .

---

(١) تفسير عبد الرزاق ٢١٨/١ – ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٨٦/٤ (٧٨٨٢) – عن معمر به ، وهو تتمة الأثر المتقدم ص ٥٤٦ .

(٢) تقدم تخريجه فى ص ٥٤٧ .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٨٦/٤ (٧٨٨٣) من طريق أحمد بن مفضل به .

(٤) قرأ بها جميع القراء سوى ابن كثير وأبى بكر شعبة . النشر ١٩٧/٢ .

(٤) رواها أبو بكر شعبة عن عاصم . المصدر السابق .

(٦) قرأ بها ابن كثير المكى ، المصدر السابق .

وكلُّ هذه القراءاتِ مُتقارِباتُ المعانى ، وبأيِّها قرَأ القارئُ فهو مصيبٌ ، غيرَ أنى أَخْتارُ القراءةَ فى ذلك بقراءةِ مَن قرَأه : ﴿ كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ ﴾ بتشديدِ الصادِ بغيرِ ألفٍ ، بمعنى : يَتَصَعَّدُ ؛ لكثرةِ القرأةِ بها ، ولقِيلِ عمرَ بنِ الخطابِ رضِى اللَّهُ عنه : ما تصَعَّدَنى شىءٌ ما تصَعَّدَتْنى خُطبةُ النكاحِ[1] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : كما يَجْعَلُ اللَّهُ صدرَ مَن أراد إضلالَه ضيقًا حَرَجًا كأنما يَصَّعَّدُ فى السماءِ مِن ضيقِه عن الإيمانِ ، فيَجْزِيه بذلك ، كذلك يُسَلِّطُ اللَّهُ الشيطانَ عليه وعلى أمثالِه ممَّن أبَى الإيمانَ باللَّهِ ورسولِه ، فيُغْوِيه ويَصُدُّه عن سبيلِ الحقِّ .

وقد اخْتَلَف أهلُ التأويلِ فى معنى « الرِّجْسِ » ؛ **فقال بعضُهم** : هو كلُّ ما لا خيرَ فيه .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : ﴿ ٱلرِّجْسَ ﴾ : ما لا خيرَ فيه[2] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ . قال : ما لا خيرَ فيه .

وقال آخرون : ﴿ ٱلرِّجْسَ ﴾ : العذابَ .

---

(١) ينظر غريب الحديث لأبى عبيد ٣٨٧/٣ .

(٢) تفسير مجاهد ص ٣٢٨، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٨٦/٤ (٧٨٨٤) ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٥/٣ إلى عبد بن حميد وابن أبى شيبة وابن المنذر وأبى الشيخ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني يونُسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ . قال : الرِّجسُ عذابُ اللَّهِ[1] .

وقال آخرون : ﴿ ٱلرِّجْسَ ﴾ : الشيطانَ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالحٍ، عن عليِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ ٱلرِّجْسَ ﴾ . قال : الشيطانَ[2] .

وكان بعضُ أهلِ المعرفةِ بلغاتِ العربِ مِن الكوفيين يقولُ : الرِّجسُ والنِّجسُ لغتان . ويَحْكِي عن العربِ أنها تَقولُ : ما كان رِجْسًا ، ولقد رَجُس رَجاسةً ، ونَجُس نَجاسةً .

وكان بعضُ نحويِى البصريين يقولُ[3] : الرِّجسُ والرِّجزُ سواءٌ ، وهما العذابُ .

٣٢/٨ / والصوابُ من القولِ فى ذلك عندى ما قاله ابنُ عباسٍ ومَن قال : [١/٧٩٥و] إن الرِّجسَ والنِّجسَ واحدٌ ؛ للخبرِ الذى رُوِى عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أنه كان يَقولُ إذا دخَل الخلاءَ : « اللهم إنى أَعوذُ بك مِن الرِّجسِ النِّجسِ ، الخَبيثِ المُخْبِثِ[4] ، الشيطانِ الرجيمِ » .

---

(١) ينظر تفسير ابن كثير ٣/ ٣٢٩ وتفسير القرطبى ٧/ ٨٣.

(٢) ينظر تفسير البغوى ٣/ ١٨٧ وتفسير ابن كثير ٣/ ٣٢٩.

(٣) مجاز القرآن لأبى عبيدة ١/ ٢٠٦.

(٤) الخبيث : ذو الخبث فى نفسه ، و المخبث : الذى أعوانه خبثاء ... وقيل : هو الذى يعلمهم الخبث ويوقعهم فيه . النهاية ٢/ ٦.

حدَّثني بذلك عبدُ الرحمنِ بنُ البَخْتَرِيِّ الطائيُّ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ محمدٍ المُحارِبيُّ ، عن إسماعيلَ بنِ مسلمٍ ، عن الحسنِ وقتادةَ ، عن أنسٍ ، عن النبيِّ ﷺ [1] .

وقد بيَّنَ هذا الخبرُ أن الرِّجْسَ هو النَّجْسُ القَذِرُ ، الذي لا خيرَ فيه ، وأنه مِن صفةِ الشيطانِ .

القولُ في تأويلِ قولِه : ﴿ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : وهذا الذى بيَّنا لك يا محمدُ فى هذه السورةِ وغيرِها مِن سُوَرِ القرآنِ ، هو ﴿ صِرَٰطُ رَبِّكَ ﴾ . يقولُ : طريقُ ربِّك ، ودينُه الذى ارتَضاه لنفسِه دينًا ، وجعَله مُستقيمًا لا اعْوِجاجَ فيه ، فاثْبُتْ عليه ، وحرِّمْ ما حرَّمْتُه عليك ، وأَحْلِلْ ما أحْلَلْتُه لك ، فقد بيَّنا الآياتِ والحججَ على حقيقةِ ذلك وصحتِه ﴿ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ . يقولُ : لمَن يَتَذَكَّرُ ما احْتَجَّ اللَّهُ به عليه مِن الآياتِ والعِبَرِ ، فيَعْتَبِرُ بها . وخصَّ بها الذين يَتَذَكَّرون ؛ لأنهم هم أهلُ التَّمْييزِ والفهمِ ، وأولو الحِجَا والفضلِ ، فقيل [2] : ﴿ يَذَّكَّرُونَ ﴾ .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

---

(١) أخرجه أبو نعيم - كما فى نتائج الأفكار ١٩٩/١ - من طريق عبد الرحمن بن محمد المحاربى ، وليس فيه قتادة . قال الحافظ : وزاد فى أوله : « بسم الله » ومداره على إسماعيل بن مسلم المكى وهو ضعيف .

وأخرجه الطبرانى فى الأوسط (٨٨٢٥) ، وفى الدعاء ٩٦٤/٢ (٣٦٥) ، وابن السنى فى عمل اليوم والليلة (١٧) من طريق إسماعيل بن مسلم به ، إلا أنه عند الطبرانى فى الدعاء عن الحسن وحده ، وفى الأوسط زاد فى أوله : « بسم الله » .

(٢) فى ص ، س : « وقيل » .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ﴾ : يعنى به الإسلامَ[1] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ .

يعنى تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ لَهُمْ ﴾ : للقومِ الذين يَذَّكَّرون آياتِ اللَّهِ ، فيَعْتَبِرون بها ، ويُوقِنون بدَلالاتِها على ما دلَّت عليه مِن توحيدِ اللَّهِ ، ومِن نبوةِ نبيِّه محمدٍ ﷺ ، وغيرِ ذلك ، فيُصَدِّقون بما وصَلوا بها إلى علمِه مِن ذلك .

وأما ﴿ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ ، فهى دارُ اللَّهِ التى أعَدَّها لأوليائِه فى الآخرةِ ، جزاءً لهم على ما أبْلَوْا فى الدنيا فى ذاتِ اللَّهِ ، وهى جنَّتُه . والسلامُ اسمٌ مِن أسماءِ اللَّهِ تعالى ، كما قال السديُّ .

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ مُفَضَّلٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ : اللَّهُ هو السلامُ ، والدارُ الجنةُ[2] .

وأما قولُه : ﴿ وَهُوَ وَلِيُّهُم ﴾ . فإنه يقولُ : واللَّهُ ناصرُ هؤلاء القومِ الذين يَذَّكَّرون آياتِ اللَّهِ ، ﴿ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ . يعنى : جزاءً بما كانوا يَعْمَلون مِن طاعةِ اللَّهِ ويَتَّبِعون رِضوانَه .

/ القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ[3] جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم ٣٣/٨

(١) ينظر ما تقدم تخريجه فى ١/ ١٧٤.

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/ ٤٥ إلى أبى الشيخ . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/ ١٣٨٧ عقب الأثر (٧٨٨٧) من طريق عمرو بن حماد عن أسباط به .

(٣) فى ت ١، ت ٢، ت ٣، س ، ف ، وفيما سيأتى : « نحشرهم » بالنون ، وغير منقوطة فى ص ، والمثبت قراءة حفص عن عاصم ، وقرأ الباقون بالنون . السبعة لابن مجاهد ص ٢٦٩.

﴿ مِّنَ ٱلْإِنسِ ﴾ .

يعنى تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ﴾ : ويومَ يَحْشُرُ[1] هؤلاء العادلين باللَّهِ الأوثانَ والأصنامَ ، وغيرَهم مِن المشركين ، مع أوليائِهم مِن الشياطينِ الذين كانوا يُوحُون إليهم زُخْرفَ القولِ غُرورًا ليُجادِلوا به المؤمنين ، فيَجْمَعُهم جميعًا فى موقفِ القيامةِ ، يقولُ للجِنِّ : ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ﴾ . وحذَف « يقولُ للجِنِّ » ، مِن الكلامِ ؛ اكتفاءً بدلالةِ ما ظهَر مِن الكلامِ عليه منه .

وعَنَى بقولِه : ﴿ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ﴾ : اسْتَكْثَرْتُم مِن إضلالِهم وإغْوائِهم .

كما حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن عليِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ﴾ . يعنى : أضْلَلْتُم منهم كثيرًا[2] .

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثَوْرٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ : ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ﴾ . قال : قد أضْلَلْتُم كثيرًا مِن الإنسِ[3] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ﴾ . قال : كثُر مَن أغْوَيْتُم[4] .

---

(١) فى ت ١، ت ٢، ت ٣، س، ف : « نحشر » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٣٨٧ (٧٨٩٠) من طريق عبد الله بن صالح به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/٤٥ إلى ابن المنذر وأبى الشيخ .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/٢١٨، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٣٨٧ (٧٨٩٢) عن معمر به .

(٤) تفسير مجاهد ص ٣٢٨، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٣٨٧ (٧٨٩١) وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/٤٥ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبى الشيخ .

حدَّثنى المثنى، قال: ثنا أبو حُذيفةَ، قال: ثنا شِبْلٌ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ، عن مجاهدٍ مثلَه.

حدَّثنا القاسمُ، قال: ثنا الحسينُ، قال: ثنا أبو سفيانَ، عن معمرٍ، عن الحسنِ: ﴿قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾. يقولُ: أضْلَلْتُم كثيرًا مِن الإنسِ.

القولُ فى تأويلِ قولِه: ﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾.

يقولُ تعالى ذكرُه: فيُجيبُ أولياءُ الجنِّ مِن الإنسِ، فيقولون: ربَّنا اسْتَمْتَعَ بعضُنا ببعضٍ فى الدنيا.

فأمّا اسْتِمْتاعُ الإنسِ بالجنِّ، فكان كما حدَّثنا القاسمُ، قال: ثنا الحسينُ، قال: ثنى حجاجٌ، عن ابنِ جُريجٍ قولَه: ﴿رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾. قال: كان الرجلُ فى الجاهليةِ يَنْزِلُ الأرضَ فيقولُ: أَعوذُ بكبيرِ هذا الوادى. فذلك اسْتِمْتاعُهم، فاعْتَذَروا يومَ القيامةِ[(١)].

وأمّا استمتاعُ الجنِّ بالإنسِ، فإنه كان فيما ذُكِر، ما يَنالُ الجنُّ مِن الإنسِ، مِن تعظيمِهم إياهم فى استعاذتِهم بهم، فيقولون: قد سُدْنا الجنَّ والإنسَ[(٢)].

[٧٩٥/١ظ] **القولُ فى تأويلِ قولِه: ﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾.**

٣٤/٨ / يقولُ تعالى ذكرُه: قالوا: وبلَغْنا الوقتَ الذى وقَّتَّ لموتِنا. وإنما يعنى جلَّ ثناؤُه بذلك أنهم قالوا: اسْتَمْتَع بعضُنا ببعضٍ أيامَ حياتِنا إلى حالِ موتِنا.

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٣/٣٣١ عن ابن جريج به. وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/٤٥ إلى ابن المنذر وأبى الشيخ.

(٢) فى ص: «الحن»، وفى ت ١، ت ٢، ت ٣، س، ف: «الجن». وقد وردت هذه الفقرة فى جميع النسخ ما عدا «ص» من تمام كلام ابن جريج، وصنيع ابن كثير فى تفسيره يشعر بذلك، ولكن قد فُصلت فى «ص» عن الأثر قبلها، ويؤيده صنيع السيوطى.

كما حدَّثني محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السديِّ : أما قولُه : ﴿ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَاۚ ﴾ . فالموتُ[1] .

القولُ في تأويلِ قولِه : ﴿ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ .

وهذا خبرٌ مِن اللَّهِ تعالى ذكرُه عما هو قائلٌ لهؤلاء الذين يَحْشُرُهم يومَ القيامةِ ، مِن العادلين به في الدنيا الأوثانَ ، ولقُرَنائِهم مِن الجنِّ . فأخْرَج الخبرَ عما هو كائنٌ مُخْرَجَ الخبرِ عما كان ؛ لتقدُّمِ الكلامِ قبلَه بمعناه والمرادِ منه ، فقال : قال اللَّهُ لأولياءِ الجنِّ مِن الإنسِ ، الذين قد تقدَّم خبرُه عنهم : ﴿ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ ﴾ . يعنى : نارُ جهنَّمَ ، ﴿ مَثْوَىٰكُمْ ﴾ : الذى تَثْوُون فيه ، أى : تُقِيمون فيه .

والمَثْوَى هو المَفْعَلُ ، مِن قولِهم : ثَوَى فلانٌ بمكانِ كذا . إذا أقام فيه .

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ﴾ . يقولُ : لابثين فيها ، ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ ﴾ . يعنى : إلا ما شاء اللَّهُ مِن قَدْرِ مُدَّةِ ما بينَ مَبْعَثِهم مِن قبورِهم إلى مصيرِهم إلى جهنمَ ، فتلك المدةُ التى اسْتَثْناها اللَّهُ مِن خلودِهم فى النارِ ، ﴿ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ ﴾ فى تدبيرِه فى خلقِه ، وفى تصريفِه إياهم فى مشيئتِه مِن حالٍ إلى حالٍ ، وغيرِ ذلك مِن أفعالِه ، ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بعَواقبِ تدبيرِه إياهم ، وما إليه صائرةٌ[2] أمرِهم مِن خيرٍ وشرٍّ .

ورُوِى عن ابنِ عباسٍ أنه كان يَتَأَوَّلُ فى هذا الاستثناءِ أن اللَّهَ جعَل أمْرَ هؤلاء القومِ فى مَبْلَغِ عذابِه إياهم إلى مشيئتِه .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٨٨/٤ عقب الأثر (٧٨٩٦) من طريق عمرو بن حماد عن أسباط به .

(٢) فى م : « صائر » والمراد بالصائرة العاقبة والمآل ، من الصائرة ، وهو ما يصير إليه النبات من اليَبْس . ينظر اللسان (ص ى ر) .

عليٌّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ . قال : إن هذه الآيةَ آيةٌ لا يَنبَغِى لأحدٍ أن يَحكُمَ على اللَّهِ فى خلقِه ؛ لا[1] يُنزِلُهم جنةً ولا نارًا[2] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾ .

اختَلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ : ﴿ نُوَلِّى ﴾ ؛ فقال بعضُهم : معناه : نَجْعَلُ بعضَهم لبعضٍ وليًّا على الكفرِ باللَّهِ .

ذكرُ مَن قال ذلك :

حدَّثنا يونُسُ ، قال : ثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ : وإنما يُوَلِّى اللَّهُ بينَ الناسِ بأعمالِهم ، فالمؤمنُ وليُّ المؤمنِ ، أينَ كان ، وحيثُ كان ، والكافرُ وليُّ الكافرِ ، أينما كان ، وحيثما كان ، ليس الإيمانُ بالتَّمنِّى ولا بالتَّحلِّى[3] .

وقال آخَرون : معناه : نُتبِعُ بعضَهم بعضًا فى النارِ . مِن المُوالاةِ ، وهو المتابَعةُ بينَ الشىءِ والشىءِ ، مِن قولِ القائلِ : والَيتُ بينَ كذا وكذا . إذا تابَعتَ بينَهما .

/ذكرُ مَن قال ذلك

٣٥/٨

حدَّثنى محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ :

---

(١) فى م : « ألا » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٨٨/٤ (٧٨٩٧) من طريق عبد الله بن صالح به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٥/٣ إلى ابن المنذر وأبى الشيخ ، وتقدم أوله فى ص ٥٥٥ .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٨٨/٤ (٧٨٩٩) من طريق يزيد به .

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا ﴾ : فى النارِ يَتْبَعُ بعضُهم بعضًا[1] .

وقال آخرون : معنى ذلك : نُسَلِّطُ[2] بعضَ الظلمةِ على بعضٍ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قوله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا ﴾ . قال : ظالمى الجنِّ وظالمى الإنسِ . وقرأ : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾ [الزخرف : ٣٦] . قال : نُسَلِّطُ ظَلَمةَ الجنِّ على ظَلَمةِ الإنسِ[3] .

وأولى هذه الأقوالِ فى تأويلِ ذلك بالصوابِ قولُ مَن قال : معناه : وكذلك نَجْعَلُ بعضَ الظالمين لبعضٍ أولياءَ ؛ لأن اللَّهَ ذكَر قبلَ هذه الآيةِ ما كان مِن قولِ المشركين ، فقال جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ﴾ . وأخبَر جلَّ ثناؤُه أن بعضَهم أولياءُ بعضٍ ، ثم عقَّب خبرَه ذلك بخبرِه عن أن وَلايةَ بعضِهم بعضًا بتوليتِه إياهم ، فقال : وكما جعَلْنا بعضَ هؤلاء المشركين مِن الجنِّ والإنسِ أولياءَ بعضٍ ، يَسْتَمْتِعُ بعضُهم ببعضٍ ، كذلك نَجْعَلُ بعضَهم أولياءَ بعضٍ فى كلِّ الأمورِ ، ﴿ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ مِن مَعاصِى اللَّهِ ويَعْمَلونه .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ﴾ .

وهذا خبرٌ مِن اللَّهِ جلَّ ثناؤه عما هو قائلٌ يومَ القيامةِ لهؤلاء العادِلين به مِن

---

(١) تفسير عبد الرزاق ٢١٨/١ - ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٨٨/٤ (٧٨٩٨) - عن معمر به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٥/٣ إلى أبى الشيخ .

(٢) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « تسليط » .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٣٣٢/٣ . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٥/٣ إلى أبى الشيخ .

مِن مشركى الإنسِ والجنِّ ، يُخبِرُ أنه يقولُ لهم تعالى ذكرُه يومَئذٍ : ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي﴾ . يقولُ : يُخبِرونكم بما أُوحِى إليهم ؛ مِن تَنبِيهِى إياكم على مواضعِ حُجَجِى ، وتعريفِى لكم أدلَّتِى على توحيدِى ، وتصديقِ أنبيائى ، والعملِ بأمرِى ، والانتهاءِ إلى حُدودِى . ﴿ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ ﴾ . يقولُ : يُحذِّرونكم لقاءَ عذابِى فى يومِكم هذا ، وعقابِى [٧٩٦/١ظ] على معصيتِكم إيایَ ، فتَنتَهُوا عن مَعاصِىَّ .

وهذا مِن اللَّهِ جلَّ ثناؤُه تَقْرِيعٌ وتَوْبيخٌ لهؤلاء الكفَرةِ على ما سلَف منهم فى الدنيا مِن الفسوقِ والمعاصى ، ومعناه : قد أتاكم رسلٌ منكم يُنَبِّهونكم على خطأِ ما كنتم عليه مقيمين ، بالحججِ البالغةِ ، ويُنْذِرونكم وعيدَ اللَّهِ على مُقامِكم على ما كنتم عليه مقيمين ، فلم تَقْبَلوا ذلك ، ولم تَتَذَكَّروا ولم تَعْتَبِروا .

٣٦/٨ / واختلَف أهلُ التأويلِ فى الجنِّ ، هل أُرسِل منهم إليهم [(١)] أم لا ؟ فقال بعضُهم : قد أُرسِل إليهم رسلٌ ، كما أُرسِل إلى الإنسِ منهم رسلٌ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا يحيَى بنُ واضحٍ ، قال : ثنا عُبيدُ بنُ سليمانَ ، قال : سُئِل الضحاكُ عن الجنِّ ، هل كان فيهم نبيٌّ [(٢)] قبلَ أن يُبعَثَ النبىُّ ﷺ ؟ فقال : ألم تَسمَعْ إلى قولِ اللَّهِ : ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي﴾ . يعنى بذلك رسلًا مِن الإنسِ ورسلًا مِن الجنِّ ؟ فقالوا : بلَى [(٣)] .

---

(١) بعده فى ف : « رسل » .

(٢) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « مؤمن » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٦/٣ إلى المصنف .

وقال آخرون : لم يُرْسَلْ منهم إليهم رسولٌ ، ولم يكنْ له مِن الجنِّ قطُّ رسولٌ مُرْسَلٌ ، وإنما الرسلُ مِن الإنسِ خاصةً ، فأمّا مِن الجنِّ فالنُّذُرُ . قالوا : وإنما قال اللَّهُ : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴾ . والرسلُ مِن أحدِ الفريقين ، كما قال : ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴾ . ثم قال : ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ [الرحمن: ١٩، ٢٢] . وإنما يَخْرُجُ اللؤلؤُ والمَرْجانُ مِن المِلْحِ دونَ العَذْبِ منهما ، وإنما معنى ذلك : يَخْرُجُ مِن بعضِهما أو مِن أحدِهما . قال : وذلك كقولِ القائلِ لجماعةِ أَدْؤُرٍ : إن فى هذه الدُّورِ لشَرًّا . وإن كان الشرُّ فى واحدةٍ منهن ، فيُخْرِجُ الخبرَ عن جميعِهن والمرادُ به الخبرُ عن بعضِهن ، وكما يقالُ : أكلْتُ خبزًا ولبنًا . إذا اختَلَطا ، ولو قيل : أكلْتُ لبنًا . كان الكلامُ خطأً ؛ لأن اللبنَ يُشْرَبُ ولا يُؤْكَلُ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ قولَه : ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴾ . قال : جمعَهم كما جمَع قولَه : ﴿ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾ [فاطر: ١٢] . ولا يَخْرُجُ مِن الأنهارِ حِلْيةٌ . قال ابنُ جُريجٍ ، قال ابنُ عباسٍ : هم الجنُّ الذين لَقُوا قومَهم ، وهم رسلٌ إلى قومِهم .

فعلى قولِ ابنِ عباسٍ هذا إن مِن الجنِّ رسلًا للإنسِ إلى قومِهم .

فتأويلُ الآيةِ على هذا التأويلِ الذى تأوَّله ابنُ عباسٍ : ألم يأْتِكم أيُّها الجنُّ والإنسُ رسلٌ منكم ؟ فأمّا رسلُ الإنسِ ، فرسلٌ مِن اللَّهِ إليهم ، وأما رسلُ الجنِّ ، فرسلُ رسلِ اللَّهِ مِن بنى آدمَ ، وهم الذين إذا سمِعوا القرآنَ ولَّوْا إلى قومِهم مُنْذِرين .

وأما الذين قالوا بقولِ الضحاكِ ، فإنهم قالوا : إن اللَّهَ تعالى ذكرُه أخبَر أن مِن الجنِّ رسلًا أُرْسِلوا إليهم ، كما أخبَر أن مِن الإنسِ رسلًا أُرْسِلوا إليهم . قالوا : ولو جاز

أن يَكونَ خبرُه عن رسلِ الجنِّ، بمعنى أنهم رسلُ الإنسِ، جاز أن يَكونَ خبرُه عن رسلِ الإنسِ، بمعنى أنهم رسلُ الجنِّ. قالوا: وفى فسادِ هذا المعنى ما يَدُلُّ على أن الخبرين جميعًا بمعنى الخبرِ عنهم أنهم رسلُ اللهِ؛ لأن ذلك هو المعروفُ فى الخطابِ دونَ غيرِه.

٣٧/٨ / القولُ فى تأويلِ قولِه: ﴿قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (١٣٠)﴾.

وهذا خبرٌ مِن اللهِ جلَّ ثناؤُه عن قولِ مُشركى الجنِّ والإنسِ عندَ تقريعِه إياهم بقولِه لهم: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾. أنهم يقولون: ﴿شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا﴾ بأن رسلَك قد أتَتْنا بآياتِك، وأنْذَرَتْنا لقاءَ يومِنا هذا، فكذَّبْناها وجحَدْنا رسالتَها، ولم نَتَّبِعْ آياتِك ولم نُؤْمِنْ بها.

قال اللهُ خبرًا مُبتَدأً: وغرَّت هؤلاء العادلين باللهِ الأوثانَ والأصنامَ وأولياءَهم مِن الجنِّ - ﴿الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾. يعنى: زينةُ الحياةِ الدنيا، وطلبُ الرِّياسةِ فيها، والمنافسةُ عليها، أن يُسْلِموا لأمرِ اللهِ، فيُطِيعوا فيها رسلَه، فاسْتَكْبَروا وكانوا قومًا عالِين. فاكْتفى بذكرِ الحياةِ الدنيا مِن ذكرِ المعانى التى غرَّتْهم وخدَعَتهم فيها، إذ كان فى ذكرِها مُكْتَفًى عن ذكرِ غيرِها؛ لدلالةِ الكلامِ على ما تُرِك ذكرُه. يقولُ اللهُ تعالى ذكرُه: ﴿وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾. يعنى هؤلاء العادلين به يومَ القيامةِ، ﴿أَنَّهُمْ كَانُوا﴾ فى الدنيا ﴿كَافِرِينَ﴾ به وبرسلِه؛ لتتِمَّ حجَّةُ اللهِ عليهم، بإقرارِهم على أنفسِهم بما يُوجِبُ عليهم عقوبتَه، وأليمَ عذابِه.

القولُ فى تأويلِ قولِه: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ (١٣١)﴾.

يقولُ تعالى ذكره: ﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ ﴾. أى: إنما أرسَلْنا الرسلَ يا محمدُ إلى مَن وصَفْتُ أمرَه، وأعْلَمْتُك خبرَه، مِن مشركى الإنسِ والجنِّ يَقُصُّون عليهم آياتى، ويُنْذِرونهم لقاءَ يومِ[1] مَعادِهم إلىَّ، مِن أَجْلِ أن ربَّك لم يكنْ مُهْلِكَ القُرَى بظلمٍ.

وقد يتَّجِهُ مِن التأويلِ فى قولِه: ﴿ بِظُلْمٍ ﴾. وجهان: أحدُهما: ﴿ ذَٰلِكَ [١/ ٧٩٦ظ] أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ ﴾. أى: بشركِ مَن أشْرَك، وكفرِ مَن كفر مِن أهلِها، كما قال لُقْمانُ: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣]. ﴿ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴾. يقولُ: لم يكنْ يُعاجِلُهم بالعقوبةِ حتى يَبْعَثَ إليهم رسلًا تُنَبِّهُهم على حججِ اللهِ عليهم، وتُنْذِرُهم عذابَ اللهِ يومَ مَعادِهم إليه، ولم يكنْ بالذى يَأْخُذُهم غَفْلةً فيقولوا: ما جاءنا من بشيرٍ ولا نذيرٍ.

والآخرُ: ﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ ﴾. يقولُ: لم يكنْ لِيُهْلِكَهم دونَ التنبيهِ والتذكيرِ بالرسلِ والآياتِ والعبرِ، فيَظْلِمَهم بذلك، واللهُ غيرُ ظلَّامٍ لعبيدِه.

وأولى القولين بالصوابِ عندى القولُ الأولُ؛ أن يكونَ معناه: أن لم يكنْ لِيُهْلِكَهم بشركِهم دونَ إرسالِ الرسلِ إليهم والإعْذارِ بينَه وبينَهم. وذلك أن قولَه: ﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ ﴾. عقيبُ قولِه: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى ﴾. فكان فى ذلك الدليلُ الواضحُ على أن نَصَّ قولِه: ﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ ﴾. إنما هو: إنما[2] فعَلْنا

(١) سقط من: م، ت ١، ت ٣، س، ف، وفى ت ٢: «يومكم».

(٢) بعده فى ص، ت ١، ت ٢، ت ٣، س، ف: «معناه».

ذلك مِن أجلِ أنَّا لا نُهلِكُ القُرَى بغيرِ تذكيرٍ و[١] تنبيهٍ.

٣٨/٨ وأما قولُه: ﴿ذَٰلِكَ﴾. فإنه يَجوزُ أن يَكونَ نصبًا، بمعنى:/ فعَلْنا ذلك. ويجوزُ أن يكونَ رفعًا بمعنى الابتِداءِ، كأنه قال: ذلك كذلك[٢].

وأما ﴿أَن﴾ فإنها فى موضعِ نصبٍ، بمعنى: فعَلْنا ذلك مِن أجلِ أن لم يكنْ ربُّك مُهْلِكَ القرى. فإذا حُذِف ما كان يَخْفِضُها، تعلَّق بها الفعلُ فنُصِب.

القولُ فى تأويلِ قولِه: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ[٣] ١٣٢﴾.

يقولُ تعالى ذكرُه: ولكلِّ عاملٍ فى طاعةِ اللَّهِ أو معصيتِه، منازلُ ومَراتبُ مِن عملِه، يُبلِّغُه اللَّهُ إياها ويُثيبُه بها، إن خيرًا فخيرًا، وإن شرًّا فشرًّا، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾. يقولُ جلَّ ثناؤُه: وكلُّ ذلك مِن عملِهم يا محمدُ بعلمٍ مِن ربِّك، يُحْصِيها ويُثْبِتُها لهم عندَه؛ ليُجازِيَهم عليها عندَ لقائِهم إياه ومَعادِهم إليه.

القولُ فى تأويلِ قولِه: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ١٣٣﴾.

يقولُ جلَّ ثناؤُه: وربُّك يا محمدُ الذى أمَر عبادَه بما أمَرَهم به، ونهاهم عما نهاهم عنه، وأثابهم على الطاعةِ، وعاقَبهم على المعصيةِ، الغنيُّ عن عبادِه، الذين أمَرَهم بما أمَر، ونهاهم عما نهَى، وعن أعمالِهم وعبادتِهم إياه، وهم المحتاجون إليه؛

(١) بعده فى ف: «لا».

(٢) سقط من: ف، وفى ص، ت ١، ت ٢، ت ٣، س: «ذلك».

(٣) فى س، ف: «تعملون» بالتاء، وقرأ بها ابن عامر وحده، والباقون بالياء كالمثبت. ينظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٦٩.

لأنَّ[1] بيدِه حياتَهم ومماتَهم وأرزاقَهم وأقواتَهم ، ونفعَهم وضرَّهم ، يقولُ عزَّ ذكرُه : فلمْ أَخلُقْهم يا محمدُ ، ولم آمُرْهم بما أَمَرْتُهم به ، وأَنْهَهم عما نهَيْتُهم عنه ، لحاجةٍ لى إليهم ، ولا إلى أعمالِهم ، ولكن لِأَتَفضَّلَ عليهم برحمتى ، وأُثِيبَهم على إحسانِهم إن أحْسَنوا ، فإنى ذو الرأفةِ والرحمةِ .

وأما قولُه : ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ ﴾ . فإنه يقولُ : إن يَشأْ ربُّك يا محمدُ الذى خلَق خلقَه لغيرِ حاجةٍ منه إليهم ، وإلى طاعتِهم إياه ، ﴿ يُذْهِبْكُمْ ﴾ . يقولُ : يُهْلِكْ خلقَه هؤلاء الذين خلَقَهم مِن ولدِ آدمَ ، ﴿ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ ﴾ . يقولُ : ويأْتِ بخلقٍ غيرِكم ، وأممٍ سِواكم يَخْلُفونكم فى الأرضِ ، ﴿ مِنْ بَعْدِكُمْ ﴾ . يعنى : مِن بعدِ فَنائِكم وهلاكِكم ، ﴿ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴾ : كما أحْدَثكم وابْتَدعكم مِن بعدِ خلقٍ آخرين كانوا قبلَكم .

ومعنى ﴿مِنْ﴾ فى هذا الموضعِ التَّعْقيبُ ، كما يقالُ فى الكلامِ : أعْطَيتُك مِن دينارِك ثوبًا . بمعنى : مكانَ الدينارِ ثوبًا . لا أن الثوبَ مِن الدينارِ بعضٌ ، كذلك الذين خُوطِبوا بقولِه : ﴿ كَمَآ أَنشَأَكُم ﴾ . لم يُرِدْ بإخبارِهم هذا الخبرَ أنهم أُنْشِئوا مِن أصلابِ قومٍ آخرين ، ولكن معنى ذلك ما ذكَرْنا مِن أنهم أُنْشِئوا مكانَ خَلْقٍ خَلَفَ قومٍ آخرين قد هلكوا قبلَهم .

والذريةُ الفُعْليَّةُ[2] ، مِن قولِ القائلِ : ذرَأ اللَّهُ الخلقَ ، بمعنى : خلَقَهم ، فهو يَذْرَؤُهم . ثم ترَك الهمزةَ ، فقيل : ذرَا اللَّهُ . ثم أخرج الفُعليَّةَ[2] منه[3] بغيرِ همزٍ على مثالِ العُلِّيَّةِ .

---

(١) فى م : « لأنه » .

(٢) فى م : « الفعيلة » .

(٣) سقط من : م ، ف ، وفى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « فيه » .

وقد رُوِى عن بعضِ المتقدِّمين أنه كان يَقْرَأُ : (مِن ذِرِّيَّةِ[١] قومٍ آخَرِين) . على مثالِ فِعِّيلة[٢] .

٣٩/٨ / وعن آخرَ أنه كان يقْرَؤه : (مِن ذَرِيَّةِ) . على مثالِ عَلِيّة[٣] .

والقراءةُ التى عليها القرأةُ فى الأمصارِ : ﴿ ذُرِّيَّةِ ﴾ . بضمِّ الذالِ وتشديدِ الياءِ على مثالِ عُلِّيَّة .

وقد بيَّنا اشتقاقَ ذلك فيما مضَى قبلُ بما أغْنَى عن إعادتِه هلهنا[٤] .

وأصلُ الإنشاءِ الإحْداثُ ، يقالُ : قد أنْشأ فلانٌ يُحَدِّثُ القومَ . بمعنى : ابْتَدَأ وأخَذ فيه .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه للمشركين به : أيُّها العادِلون باللَّهِ الأوثانَ والأصنامَ ، إن الذى يُوعِدُكم به ربُّكم مِن عقابِه على إصرارِكم على كفرِكم واقعٌ بكم ، ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ . يقولُ : لن تُعْجِزوا ربَّكم هربًا منه فى الأرضِ فتَفُوتوه ؛ لأنكم حيثُ كنتم فى قبضتِه ، وهو عليكم وعلى عقوبتِكم بمعصيتِكم إياه قادرٌ . يقولُ : فاحْذَرُوه وأَنِيبوا إلى طاعتِه قبلَ نزولِ البلاءِ بكم .

---

(١) فى م : « ذريئة » .

(٢) فى ت ١، ت ٣، ف : « فعلية » وبكسر الذال قرأ زيد بن ثابت وأبو وجزة السعدى كما فى مختصر الشواذ لابن خالويه ص ٤٦، ونص أبو حيان فى البحر المحيط ٤/ ٢٢٥ على أن قراءة زيد بن ثابت بفتح الذال ، وهو مخالف لما نص عليه هو قبل ذلك فى ٢/ ٤٣٥، فقد نص على أن قراءة زيد - وكذا الضحاك - بكسر الذال . وقراءة زيد بن ثابت أخرجها سعيد بن منصور فى سننه (٩٢٠- تفسير) وهى فيه من غير ضبط .

(٣) هى قراءة أبان بن عثمان ، كما نص عليه أبو حيان فى البحر المحيط ٤/ ٢٢٥، وذكر ابن خالويه فى مختصره ص٤٦ أنها قراءة بعض أهل المدينة ، وهى مضبوطة فيه بفتح الذال وسكون الراء ، ضبط قلم ، والضبط كما نص عليه أبو حيان .

(٤) ينظر ما تقدم فى ٥/ ٣٦٢.

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ .

يقولُ تعالى [٧٩٧/١و] ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : ﴿ قُلْ ﴾ يا محمدُ لقومِك مِن قريشٍ ، الذين يَجْعَلون مع اللهِ إلهًا آخرَ : ﴿ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ ﴾ . يقولُ : اعْمَلوا على حِيالِكم وناحيتِكم .

كما حدَّثنى علىُّ بنُ داودَ ، قال : ثنا عبدُ اللهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ ﴾ . يعنى : على ناحيتِكم[(١)] .

يقالُ منه : هو يَعْمَلُ على مكانتِه ومَكِينتِه .

وقرَأ ذلك بعضُ الكوفيين : (على مَكَانَاتِكم)[(٢)] . على جمعِ المكانةِ .

والذى عليه قرأةُ الأمصارِ : ﴿ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ ﴾ . على التوحيدِ .

﴿ إِنِّى عَامِلٌ ﴾ . يقولُ جلَّ ثناؤُه لنبيِّه : قلْ لهم : اعْمَلوا ما أنتم عامِلون ، فإنى عاملٌ ما أنا عاملُه مما أمَرَنى به ربِّى ، ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ . يقولُ : فسوف تَعْلَمون عندَ نزولِ نِقْمةِ اللهِ بكم ، أيُّنا كان المحقَّ فى عملِه ، والمصيبَ سبيلَ الرشادِ ، أنا أم أنتم ؟

وقولُه تعالى ذكرُه لنبيِّه : قلْ لقومِك : ﴿ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ ﴾ . أمرٌ منه له بوَعيدِهم وتهديدِهم ، لا إطلاقٌ لهم فى عملِ ما أرادوا مِن معاصِى اللهِ .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٩٠/٤ (٧٩٠٩) من طريق أبى صالح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٧/٣ إلى ابن المنذر .

(٢) هى قراءة عاصم وحده فى رواية أبى بكر . السبعة لابن مجاهد ص ٢٦٩ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ .

يعنى بقولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ ﴾ : فسوف تَعْلَمون أيُّها الكفرةُ باللَّهِ عندَ مُعايَنتِكم العذابَ ، مَن الذى تكونُ له عاقبةُ الدارِ منا ومنكم . يقولُ : مَن الذى تُعْقِبُه[1] دنياه ما هو خيرٌ له منها[2] أو شرٌّ منها[3] ، بما قدَّم فيها مِن صالحِ أعمالِه أو سيِّئِها .

٤٠/٨ ثم ابْتَدَأ الخبرَ جلَّ ثناؤُه فقال : ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ ./ يقولُ : إنه لا يُنْجِحُ ولا يَفوزُ بحاجتِه عندَ اللَّهِ مَن عمِل بخلافِ ما أمَرَه اللَّهُ به مِن العملِ فى الدنيا . وذلك معنى ظلمِ الظالمِ فى هذا الموضعِ .

وفى ﴿ مَن ﴾ التى فى قولِه : ﴿ مَن تَكُونُ لَهُۥ ﴾ . وجْهانِ مِن الإعرابِ ؛ الرفعُ على الابتداءِ ، والنصبُ بقولِه : ﴿ تَعْلَمُونَ ﴾ . لإعمالِ العلمِ فيه .

والرفعُ فيه أجودُ ؛ لأن معناه : فسوف تَعْلَمون أيُّنا له عاقبةُ الدارِ ؟ فالابتداءُ فى ﴿ مَن ﴾ أصحُّ وأفصحُ مِن إعمالِ العلمِ فيه .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : وجعَل هؤلاءِ العادلون بربِّهم الأوثانَ والأصنامَ لربِّهم مما ذَرَأ

---

(١) فى م : « يعقب » ، وفى س : « يعقبه » .

(٢) فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « فيها » .

(٣) فى ص : « فيها » .

خالقُهم . يعنى : مما خلَق مِن الحرثِ والأنعامِ . يقالُ منه : ذرأ اللَّهُ الخلقَ يَذْرَؤُهم ذَرْءًا وذَرْوًا ، إذا خلَقهم . ﴿ نَصِيبًا ﴾ . يعنى : قِسمًا وجزءًا .

ثم اختلَف أهلُ التأويلِ فى صفةِ النصيبِ الذى جعَلوا للَّهِ ، والذى جعَلوه لشركائِهم مِن الأوثانِ والشيطانِ ؛ فقال بعضُهم : كان ذلك جزءًا مِن حُروثِهم وأنعامِهم ، يُفْرِزونه[1] لهذا ، وجزءًا آخرَ لهذا .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى إسحاقُ بنُ إبراهيمَ بنِ حبيبِ بنِ الشهيدِ ، قال : ثنا عَتَّابُ بنُ بشيرٍ ، عن خُصَيفٍ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ الآية . قال : كانوا إذا أدْخَلوا الطعامَ فجعَلوه حُزَمًا ، جعَلوا منها للَّهِ سهمًا ، وسهمًا لآلهتِهم ، وكان إذا هبَّت الريحُ مِن نحوِ الذى جعَلوه لآلهتِهم إلى الذى جعَلوه للَّهِ ، ردُّوه إلى الذى جعَلوه لآلهتِهم ، وإذا هبَّت الريحُ مِن نحوِ الذى جعَلوه للَّهِ إلى الذى جعَلوه لآلهتِهم ، أقرُّوه ولم يَرُدُّوه ، فذلك قولُه : ﴿ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالحٍ ، قال ثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ﴾ . قال : جعَلوا للَّهِ مِن ثمَراتِهم ومالِهم نصيبًا ، وللشيطانِ والأوثانِ نصيبًا ، فإن سقَط مِن ثمرةِ ما جعَلوا للَّهِ فى نصيبِ الشيطانِ ترَكُوه ، وإن سقَط مما جعَلوه للشيطانِ فى نصيبِ اللَّهِ التقَطُوه

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « يقررونه » ، وفى ص : « يفررون » ، والمثبت هو الصواب ، يقال : فرزت الشىء وأفرزته : إذا قسمته ، والفِرز : النصيب المفروز لصاحبه ، واحدا كان أو اثنين . اللسان (ف ر ز) .

وحفِظُوه، وردُّوه إلى نصيبِ الشيطانِ، وإن انْفَجَر مِن سِقْيٍ[1] ما جعَلوه للَّهِ في نصيبِ الشيطانِ ترَكوه، وإن انْفَجَر مِن سِقْيٍ ماجعَلوه للشيطانِ في نصيبِ اللَّهِ سدُّوه، فهذا ما جعَلوا مِن الحروثِ وسِقْيِ الماءِ، وأمَّا ما جعَلوا للشيطانِ مِن الأنعامِ، فهو قولُ اللَّهِ: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾[2] [المائدة: ١٠٣].

حدَّثني محمدُ بنُ سعدٍ، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي عن أبيه، عن ابنِ عباسٍ / قولَه: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ﴾ الآية: وذلك أن أعداءَ اللَّهِ كانوا إذا احْتَرَثُوا حَرْثًا، أو كانت لهم ثمرةٌ، جعَلوا للَّهِ منها جزءًا، وللوَثَنِ جزءًا، فما كان مِن حرثٍ أو ثمرةٍ أو شيءٍ مِن نصيبِ الأوثانِ حفِظوه وأحْصَوْه، فإن سقَط منه شيءٌ فيما سُمِّي للَّهِ ردُّوه إلى ما جعَلوا للوثَنِ، وإن سبَقهم الماءُ إلى الذي جعَلوه للوثَنِ فسقَى شيئًا جعَلوه للَّهِ، جعَلوا ذلك للوثَنِ، وإن سقَط شيءٌ مِن الحَرْثِ والثمرةِ التي جعَلوا [3]للَّهِ فاختلَط بالذي جعَلوا[3] للوثَنِ، قالوا: هذا فقيرٌ. ولم يَرُدُّوه إلى ما جعَلوا للَّهِ، وإن سبَقهم الماءُ الذي جعَلوا للَّهِ فسقَى ما سُمِّي للوثَنِ، ترَكُوه للوثَنِ، وكانوا يُحَرِّمون مِن أنعامِهم البَحيرةَ والسائبةَ والوَصيلةَ والحامَ، فيَجْعَلونه للأوثانِ، [١/٧٩٧ظ] ويَزْعُمون أنهم يُحَرِّمونه للَّهِ، فقال اللَّهُ في ذلك: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾ الآية[4].

حدَّثنا محمدُ بنُ عمرٍو، قال: ثنا أبو عاصمٍ، قال: ثنا عيسى، عن ابنِ أبي نَجيحٍ، عن مجاهدٍ في قولِ اللَّهِ: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ

٤١/٨

---

(١) السِّقي، الشِّرب: وهو مورد الماء. اللسان (س ق ى، ش ر ب).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٣٩٠، ١٣٩١ (٧٩١١، ٧٩١٢)، والبيهقي ١٠/١٠ من طريق أبي صالح به، و عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٧/٣ إلى ابن المنذر.

(٣ - ٣) سقط من: ص، ت ١، ت ٢، ت ٣، س، ف.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٩١/٤ (٧٩١٣) عن محمد بن سعد به.

نَصِيبًا ﴾ . قال : يُسَمُّون للَّهِ جزءًا مِن الحرثِ ، ولشركائِهم وأوثانِهم جزءًا ، فما ذهَبَ[1] به الريحُ مما سمَّوْا للَّهِ إلى جزءِ أوثانِهم ترَكوه ، وما ذهَب مِن جزءِ أوثانِهم إلى جزءِ اللَّهِ ردُّوه ، وقالوا : اللَّهُ عن هذا غنيٌّ . والأنعامُ السائبةُ والبَحيرةُ التي سَمَّوْا[2] .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ نحوَه .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا ﴾ الآية : عمَد ناسٌ مِن أهلِ الضَّلالةِ فجزَّءوا مِن حروثِهم ومَواشِيهم جزءًا للَّهِ وجزءًا لشُركائِهم ، وكانوا إذا خالَط شيءٌ مما جزَّءوا للَّهِ فيما جزَّءوا لشركائِهم خلَّوْه ، فإذا خالَط شيءٌ مما جزَّءوا لشركائِهم فيما جزَّءوا للَّهِ ردُّوه على شركائِهم ، وكانوا إذا أصابتْهم السَّنَةُ استَعانوا بما جزَّءوا للَّهِ ، وأقرُّوا ما جزَّءوا لشركائِهم ، قال اللَّهُ : ﴿ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ .

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثَوْرٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا ﴾ . قال : كانوا يُجَزِّئون مِن أموالِهم شيئًا فيقولون : هذا للَّهِ ، وهذا للأصنامِ التي يَعْبُدون . فإن ذهَب بعيرٌ[3] مما جعَلوا لشركائِهم فخالَط ما جعَلوا للَّهِ ردُّوه ، وإن ذهَب مما جعَلوه للَّهِ فخالَط شيئًا مما جعَلوه لشركائِهم ترَكوه ، وإن أصابتْهم سَنَةٌ أكَلوا ما جعَلوا للَّهِ ، وترَكوا ما جعَلوا لشركائِهم ، فقال اللَّهُ : ﴿ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[4] .

---

(١) في م : « ذهبت » .

(٢) تفسير مجاهد ص ٣٢٨، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/١٣٩١ (٧٩١٤) . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣/٤٧ إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٣) سقط من م ، وفي ص ، ت ١، ت ٢، ت ٣، س ، ف : « لغير » ، والمثبت من تفسير عبد الرزاق .

(٤) تفسير عبد الرزاق ١/ ٢١٨.

حدَّثني محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السديِّ : ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا ﴾ إلى : ﴿ يَحْكُمُونَ ﴾ . قال : كانوا يَقْسِمون مِن أموالِهم قِسْمًا فيَجْعَلونه للَّهِ ، ويَزْرَعون زَرْعًا فيَجْعَلونه للَّهِ ، ويَجْعَلون لآلهتِهم مثلَ ذلك ، فما خرَج للآلهةِ أنْفَقُوه عليها[1] ، وما خرَج للَّهِ تصدَّقوا به ، فإذا هلَك الذى يَصْنَعون لشركائِهم وكثُر الذى للَّهِ ، قالوا : ليس بُدٌّ لآلهتِنا مِن نفقةٍ . وأخَذوا الذى للَّهِ فأنْفَقوه على آلهتِهم ، وإذا أجْدَب الذى للَّهِ وكثُر الذى لآلهتِهم ، قالوا : لو شاء / أزْكَى الذى له . فلا يَرُدُّون عليه شيئًا مما للآلهةِ . قال اللَّهُ : لو كانوا صادقين فيما قسَموا ، لَبِئسَ إذن ما حكَموا أن يأْخُذوا منِّى ولا يُعْطُونى . فذلك حينَ يقولُ : ﴿ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[2] .

٨/٤٢

وقال آخرون : النصيبُ الذى كانوا يَجْعَلونه للَّهِ فكان يَصِلُ منه[3] إلى شركائِهم ، أنهم كانوا لا يأْكُلون ما ذبَحوا للَّهِ حتى يُسَمُّوا الآلهةَ[4] ، وكانوا ما ذبَحوه للآلهةِ يأْكُلونه ، ولا يُسَمُّون اللَّهَ عليه .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني يونُسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أخْبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا ﴾ حتى بلَغ : ﴿ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ﴾ . قال : كلُّ شىءٍ جعَلوه للَّهِ مِن ذِبْحٍ يَذْبَحونه ، لا يأْكُلونه أبدًا حتى يَذْكُروا معه أسماءَ الآلهةِ ، وما كان للآلهةِ لم يَذْكُروا اسمَ اللَّهِ معه . وقرَأ الآيةَ حتى بلَغ : ﴿ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[5] .

---

(١) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « عليهم » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٩٢/٤ (٧٩١٥) من طريق أحمد بن مفضل به .

(٣) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « منهم » .

(٤) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « للآلهة » .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٩٢/٤ (٧٩١٦) من طريق أصبغ بن الفرج ، عن ابن زيد .

وأوْلى التأويلين بالآيةِ ما قال ابنُ عباسٍ ومَن قال بمثلِ قولِه فى ذلك ؛ لأن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه أخْبَرَ أنهم جعَلوا للَّهِ مِن حرثِهم وأنعامِهم قِسْمًا مُقدَّرًا ، فقالوا : ﴿ هَٰذَا لِلَّهِ ﴾ . وجعَلوا مثلَه لشركائِهم ، وهم أوثانُهم ، بإجماعٍ مِن أهلِ التأويلِ عليه ، فقالوا : ﴿ هَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ﴾ . وأن نَصيبَ شركائِهم لا يَصِلُ منه إلى اللَّهِ ، بمعنى : لا يَصِلُ إلى نصيبِ اللَّهِ ، وما كان للَّهِ وصَل إلى نصيبِ شركائِهم . فلو كان وصولُ ذلك بالتسميةِ وتركِ التسميةِ ، كان أعيانُ ما أخْبَرَ اللَّهُ عنه أنه لم يَصِلْ ، جائزًا أن تكونَ قد وصَلَت ، وما أخْبَرَ عنه أنه قد وصَل ، لم يَصِلْ ، وذلك خلافُ ما دلَّ عليه ظاهرُ الكلامِ ؛ لأن الذَّبيحتَيْن تُذْبَحُ إحداهما للَّهِ والأُخرى للآلهةِ ، جائزٌ أن تَكونَ لحومُهما قد اخْتَلَطَت وخلَطوهما[1] ، إذ كان المكروهُ كان[2] عندَهم تسميةَ اللَّهِ على ما كان مذبوحًا للآلهةِ ، دونَ اختلاطِ الأعْيانِ واتصالِ بعضِها ببعضٍ .

وأما قولُه : ﴿ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ . فإنه خبرٌ مِن اللَّهِ جلَّ ثناؤُه عن فعلِ هؤلاء المشركين الذين وصَف صفتَهم . يقولُ جلَّ ثناؤُه : قد أساءوا فى حكمِهم ، إذ أخَذوا مِن نصيبى لشركائِهم ، ولم يُعْطُونى مِن نصيبِ شركائِهم . وإنما عنَى بذلك تعالى ذكرُه الخبرَ عن جهلِهم وضلالتِهم ، وذهابِهم عن سبيلِ الحقِّ ، بأنهم لم يَرْضَوْا أن عدَلُوا بمَن خلَقَهم وغذَاهم وأنْعَم عليهم بالنعمِ التى لا تُحْصَى ، ما لا يَضُرُّهم ولا يَنْفَعُهم ، حتى فضَّلوه فى أقسامِهم عند أنفسِهم بالقَسْمِ عليه .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ [١/٧٩٨و] دِينَهُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ .

---

(١) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « خلطوها » .

(٢) سقط من : م .

يقولُ تعالى ذكرُه: وكما زيَّن شركاءُ هؤلاء العادلين بربِّهم الأوثانَ والأصنامَ لهم ما زُيِّن[1] لهم؛ مِن تَضْبيرِهم لربِّهم مِن أموالِهم قَسْمًا بزعمِهم، وتركِهم ما وصَل مِن القَسْمِ الذى جعَلوه للَّهِ إلى قَسْمِ شركائِهم فى قَسْمِهم، وردِّهم ما وصَل مِن القَسمِ الذى جعَلوه لشركائِهم إلى قَسمِ نصيبِ اللَّهِ، إلى قَسمِ شركائِهم، /﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾ مِن الشياطينِ، فحسَّنوا[2] لهم وأْدَ البناتِ؛ ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾. يقولُ: ليُهلِكوهم، ﴿وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾: فعَلوا ذلك بهم ليَخْلِطوا عليهم دينَهم فيَلْتَبِسَ، فيَضِلُّوا ويَهْلِكوا بفعلِهم ما حرَّم اللَّهُ عليهم، ولو شاء اللَّهُ ألا يَفْعَلوا ما كانوا يَفْعَلون مِن قتلِهم لم يَفْعَلوه، بأن كان يَهْدِيهم للحقِّ، ويُوَفِّقُهم للسَّدادِ، فكانوا لا يَقْتُلُونهم، ولكنَّ اللَّهَ خذَلَهم عن الرَّشادِ، فقتَلوا أولادَهم، وأطاعوا الشياطينَ التى أغوَتْهم.

٤٣/٨

يقولُ اللَّهُ لنبيِّه مُتَوَعِّدًا لهم على عظيمِ فِرْيتِهم على ربِّهم فيما كانوا يقولون فى الأنصباءِ التى يَقْسِمونها: هذا للَّهِ وهذا لشركائِهم. وفى قتلِهم أولادَهم: ذَرْهم يا محمدُ، ﴿وَمَا يَفْتَرُونَ﴾: وما يَتَقَوَّلون علىَّ مِن الكذبِ والزُّورِ؛ فإنى لهم بالمِرْصادِ، ومِن وراءِ العذابِ والعقابِ.

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ.

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى المثنى، قال: ثنا أبو صالحٍ، قال: ثنى مُعاويةُ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ، عن ابنِ عباسٍ قولَه: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ

(١) فى م: «زينوا».

(٢) فى ص، ت ١، ت ٢، ت ٣، س، ف: «فحسن».

أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ ﴾ : زيَّنوا لهم مِن قتلِ أولادِهم[1] .

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ في قولِ اللَّهِ : ﴿ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ ﴾ : شياطينُهم يأمُرونهم أن يَئِدوا أولادَهم خِيفةَ العَيْلةِ[2] .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ نحوَه .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ ﴾ الآية . قال : شركاؤُهم زيَّنوا لهم ذلك ، ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾[3] .

حدَّثني يونُسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ ﴾ . قال : شياطينُهم التي عبَدوها زيَّنوا لهم قتلَ أولادِهم .

حدَّثني محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ ﴾ : أمَرتْهم الشياطينُ أن يَقْتُلوا البناتِ ، وأمَّا :

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٩٢/٤ (٧٩١٧) من طريق أبي صالح به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٧/٣ إلى ابن المنذر .

(٢) العيلة : الفاقة . اللسان (ع ى ل) .

والأثر في تفسير مجاهد ص ٣٢٨ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٩٣/٤ (٧٩١٩) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٧/٣ إلى عبد بن حميد وابن أبي شيبة وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٩٣/٤ (٧٩١٨) من طريق يزيد به .

﴿ لِيُرْدُوهُمْ ﴾ : فيُهلِكوهم ، وأمَّا : ﴿ لِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ﴾ : فيَخلِطوا عليهم دينَهم[1] .

واختلَفت القرأةُ فى قراءةِ ذلك ، فقرَأته قرأةُ الحجازِ والعراقِ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ ﴾ بفتحِ الزاي من ﴿ زَيَّنَ ﴾ ، ﴿ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ ﴾ . بنصبِ « القتلِ » ، ﴿ شُرَكَاؤُهُمْ ﴾ . بالرفعِ ، بمعنى أن شركاءَ هؤلاء المشركين الذين زيَّنوا لهم قتلَ أولادِهم . فيَرفَعون « الشركاءَ » بفعلِهم ، ويَنصِبون « القتلَ » لأنه مفعولٌ به .

وقرَأ ذلك بعضُ قرأةِ أهلِ الشامِ : (وكذلك زُيِّن) بضمِّ الزاي (لكثير من المشركين قتلُ) بالرفعِ (أولادَهم) بالنصبِ ، (شركائِهم) بالخفضِ[2] ، بمعنى : وكذلك زُيِّن لكثيرٍ مِن المشركين قتلُ شركائِهم / أولادَهم . ففرَّقوا بينَ الخافضِ والمخفوضِ بما عمِل فيه مِن[3] الاسمِ .

وذلك فى كلامِ العربِ قبيحٌ غيرُ فصيحٍ . وقد رُوِى عن بعضِ أهلِ الحجازِ بيتٌ مِن الشعرِ يُؤيِّدُ قراءةَ مَن قرَأ بما ذكَرتُ مِن قراءةِ أهلِ الشامِ ، رأيتُ رُواةَ الشعرِ وأهلَ العلمِ بالعربيةِ مِن أهلِ العراقِ يُنكِرونه ، وذلك قولُ قائلِهم[4] :

فزَجَجتُه[5] مُتَمَكِّنًا زَجَّ القَلُوصَ[6] أبى مَزَادَهْ

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٣٩٣ (٧٩٢٠، ٧٩٢١) من طريق أحمد بن المفضل.

(٢) وهى قراءة ابن عامر من السبعة ، والباقون كالقراءة الأولى . التيسير ص ٨٨.

(٣) فى ص، ت ١، ت ٢، ت ٣، س: « فى ».

(٤) معانى القرآن للفراء ١/ ٣٥٨، ومجالس ثعلب ١/ ١٥٢، والخزانة ٤/ ٤١٥.

(٥) زجه : إذا طعنه بالزج - وهو الحديدة فى أسفل الرمح - ورماه به . ينظر اللسان (ز ج ج).

(٦) القلوص : الفتية من الإبل . اللسان (ق ل ص).

والقراءةُ التى لا أَسْتَجِيزُ غيرَها : ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ ﴾ . بفتحِ الزاىِ مِن ﴿ زَيَّنَ ﴾ ، ونصبِ « القتلِ » بوقوعِ ﴿ زَيَّنَ ﴾ عليه ، وخفضِ ﴿ أَوْلَٰدِهِمْ ﴾ بإضافةِ « القتلِ » إليهم ، ورفعِ « شركاءَ » بفعلِهم ؛ لأنهم هم الذين زيَّنوا للمشركين قتلَ أولادِهم ، على ما ذكرْتُ مِن التأويلِ .

وإنما قلتُ : لا أَسْتَجِيزُ القراءةَ بغيرِها ؛ لإجماعِ الحجةِ مِن القرأةِ عليه ، وأن تأويلَ أهلِ التأويلِ بذلك ورَد ، ففى ذلك أوضحُ البيانِ على فسادِ ما خالَفَها مِن القراءةِ(١) .

ولولا أن تأويلَ جميعِ أهلِ التأويلِ بذلك ورَد ، ثم قرَأ قارئٌ : (وكذلك زُيِّن لكثيرٍ مِن المشركين قتلُ أولادِهم شركائِهم) . بضمِّ الزاىِ مِن « زُيِّن » ، ورفعِ « القتلِ » وخفضِ « الأولادِ » و « الشركاءِ » ، على أن « الشركاءَ » مَخْفوضون بالردِّ على « الأولادِ » ، بأن الأولادَ شركاءُ آبائِهم فى النَّسبِ والميراثِ - كان جائزًا .

ولو قرَأه كذلك قارئٌ ، غيرَ أنه رفَع « الشركاءَ » وخفَض « الأولادَ » ، كما يقالُ : ضُرِب عبدُ اللَّهِ أخوك . فيَظْهَرُ الفاعلُ بعدَ أن جرَى الخبرُ بما لم يُسَمَّ فاعلُه - كان ذلك صحيحًا فى العربيةِ جائزًا .

[١/٧٩٨ظ] **القولُ فى تأويلِ قوله** : ﴿ وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ ﴾ .

---

(١) والقراءة التى حكم عليها المصنف بالفساد متواترة ، فقد قرأ بها ابن عامر ، وهو من كبار التابعين الذين أخذوا عن الصحابة كعثمان وأبى الدرداء ، وهو مع ذلك عربى صريح من صميم العرب ، وقال ابن الجزرى : وأول من نعلمه أنكر هذه القراءة وغيرها من القراءة الصحيحة وركب هذا المحذور ابن جرير الطبرى بعد الثلاثمائة ، وقد عد ذلك من سقطات ابن جرير . وقد أطال العلماء فى الانتصار لهذه القراءة ، وينظر فى ذلك البحر المحيط ٤/ ٢٢٩، ٢٣٠، والنشر ٢/ ١٩٨، ١٩٩.

وهذا خبرٌ مِن اللَّهِ تعالى ذكرُه عن هؤلاء الجَهَلةِ مِن المشركين أنهم كانوا يُحَرِّمون ويُحَلِّلون مِن قِبَلِ أنفسِهم ، مِن غيرِ أن يَكونَ اللَّهُ أذِن لهم بشيءٍ مِن ذلك .

يقولُ تعالى ذكرُه : وقال هؤلاء العادلون بربِّهم مِن المشركين جهلًا منهم ، لأنعامٍ لهم وحَرْثٍ : هذه أنعامٌ وهذا حَرْثٌ حِجْرٌ . يعنى بالأنعامِ والحرثِ ما كانوا جعَلوه للَّهِ ولآلهتِهم التى قد مضَى ذكرُها فى الآيةِ قبلَ هذه .

وقيل : إن الأنعامَ ؛ السائبةُ والوَصيلةُ والبَحيرةُ التى سمَّوْا .

حدَّثنى بذلك محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : / الأنعامُ ؛ السائبةُ والبحيرةُ التى سمَّوْا[١] . ٤٥/٨

والحِجْرُ[٢] فى كلامِ العربِ الحرامُ[٣] ، يقالُ : حَجَرْتُ على فلانٍ كذا . أىْ : حرَّمْتُ عليه ، ومنه قولُ اللَّهِ : ﴿ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ [سورة الفرقان : ٢٢] . ومنه قولُ المُتَلَمِّسِ[٤] :

حنَّت إلى النخلةِ القُصْوَى فقلتُ لها حِجْرٌ حَرامٌ ألا ثَمَّ الدَّهارِيسُ[٥]

وقولُ رُؤْبَةَ[٦] :

وجارَةُ البيتِ لها حُجْرِىُّ

يعنى المُحَرَّمَ . ومنه قولُ الآخرِ[٧] :

---

(١) جزء من الأثر المتقدم فى ص ٥٧٠ ، ٥٧١.

(٢) فى ص ، ت ١، ت ٢، ت ٣، س ، ف : « الحجة » .

(٣) سقط من : ص ، ت ١، ت ٢، ت ٣، س ، ف .

(٤) ديوانه ص ٨٥.

(٥) الدهاريس : الدواهى . اللسان (دهرس) .

(٦) البيت للعجاج أبى رؤبة ، وهو فى ديوانه ص ٣١٦.

(٧) هو أعشى باهلة ، كذا نسبه ابن برى فى اللسان (ر ف ق) .

فبِتُّ مُرْتَفِقًا والعينُ ساهرةٌ كأنَّ نومى علىَّ الليلَ مَحْجورُ

أى : حرامٌ .

يُقالُ : حِجْرٌ وحُجْرٌ . بكسرِ الحاءِ وضمِّها ، وبضمِّها كان يَقْرَأُ ، فيما ذُكِر ؛ الحسنُ[١] وقتادةُ .

حدَّثنى عبدُ الوارثِ بنُ عبدِ الصمدِ ، قال : ثنى أبى[٢] ، قال : ثنى أبى ، عن الحسينِ ، عن قتادةَ أنه كان يَقْرَؤُها : (وحَرْثٌ حُجْرٌ) . يقولُ : حرامٌ . مضمومة الحاءِ[٣] .

وأما القرأةُ مِن الحجازِ والعراقِ والشامِ بعدُ[٤] فعلى كسرِها ، وهى القراءةُ التى لا أَسْتَجِيزُ خلافَها ؛ لإجماعِ الحُجَّةِ مِن القَرأةِ عليها ، وأنها اللغةُ الجُودَى[٥] مِن لغاتِ العربِ .

ورُوِى عن ابنِ عباسٍ أنه كان يَقْرَؤُها : (وحَرْثٌ حِرْجٌ) . بالراءِ قبل الجيمِ[٦] .

حدَّثنى بذلك الحارثُ ، قال : ثنى عبدُ العزيزِ ، قال : ثنا ابنُ عُيينةَ ، عن عمرٍو ، عن ابنِ عباسٍ أنه كان يَقْرَؤُها كذلك[٧] .

وهى لغةٌ ثالثةٌ معناها ومعنى الحِجْرِ واحدٌ ، وهذا كما قالوا : جذَب وجبَذ ،

---

(١) فى ص ، م ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « الحسين » . وقراءة الحسن هذه أخرجها ابن الأنبارى ، كما فى الدر المنثور ٣/ ٤٨ ، وذكرها ابن خالويه فى مختصره ص ٤٦ .

(٢) بعده فى النسخ : « قال حدثنى عمى » . وينظر ما تقدم فى ص ٥٤٦ .

(٣) ذكر هذه القراءة عن قتادة أبو حيان فى البحر المحيط ٤/ ٢٣١ ، وهى شاذة .

(٤) سقط من : م .

(٥) الجودى : تأنيث الأجود .

(٦) على القلب المكانى ، وهى قراءة شاذة .

(٧) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/ ٤٨ إلى المصنف وسعيد بن منصور وابن المنذر .

وناءَ ونأَى .

ففى « الحِجْرِ » إذن لغاتٌ ثلاثٌ ؛ حِجْرٌ بكسرِ الحاءِ ، والجيمُ قبلَ الراءِ ، وحُجْرٌ بضمِّ الحاءِ ، والجيمُ قبلَ الراءِ ، وحِرْجٌ بكسرِ الحاءِ ، والراءُ قبلَ الجيمِ .

وبنحوِ الذى قلنا فى تأويلِ « الحِجْرِ » قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

٤٦/٨ /حدَّثنى عِمْرانُ بنُ موسى القَزّازُ ، قال : ثنا عبدُ الوارثِ ، عن حميدٍ ، عن مجاهدٍ وأبى عمرٍو : ﴿ وَحَرْثٌ حِجْرٌ ﴾ . يقولُ : حرامٌ .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَحَرْثٌ حِجْرٌ ﴾ : فالحجرُ ما حرَّموا مِن الوَصيلةِ ، وتحريمُ ما حرَّموا[1] .

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ : ﴿ وَحَرْثٌ حِجْرٌ ﴾ . قال : حرامٌ[2] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ ﴾ الآية : تحريمٌ كان عليهم مِن الشياطينِ فى أموالِهم ، وتغليظٌ وتشديدٌ ، وكان ذلك مِن الشياطينِ ولم يَكُنْ مِن اللَّهِ[3] .

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٩٣/٤ (٧٩٢٣) من طريق أبى صالح به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٧/٣ إلى ابن المنذر .

(٢) تفسير عبد الرزاق ٢١٩/١ عن معمر به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٧/٣ إلى عبد بن حميد .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٩٤/٤ (٧٩٢٩) من طريق يزيد به ، فى تفسير قوله تعالى : ﴿ وأنعام حرمت ظهورها ﴾ .

السدىّ : أما قولُه : ﴿ وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ ﴾ . فيقولون : حرامٌ أن نُطْعِمَ إلا مَن شِئْنا[1] .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ ﴾ : نَحْتَجِرُها على مَن نُريدُ وعمَّن لا نُريدُ ، ﴿ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ ﴾ . قال : إنما احْتَجَروا ذلك لآلهتِهم ، وقالوا : لا يَطْعَمُها إلا مَن نَشاءُ بزعمِهم . قالوا : نَحْتَجِرُها عن النساءِ ونَجْعَلُها للرجالِ[2] .

حُدِّثْتُ عن الحسينِ بنِ الفرجِ ، قال : سمِعْتُ أبا معاذٍ ، قال : ثنا عبيدُ بنُ سليمانَ ، قال : سمِعْتُ الضحاكَ يقولُ فى قولِه : ﴿ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ ﴾ : أمَّا ﴿ حِجْرٌ ﴾ . يقولُ : محرَّمٌ . وذلك أنهم كانوا يَصْنَعون فى الجاهليةِ أشياءَ لم يَأْمُرِ اللَّهُ بها ، كانو يُحَرِّمون مِن أنعامِهم أشياءَ لا يَأْكُلونها ، ويَعْزِلون مِن حَرْثِهم شيئًا معلومًا لآلهتِهم ، ويقولون : لا يَحِلُّ لنا ما سمَّيْنا لآلهتِنا .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ ﴾ : ما جعَلوه للَّهِ ولشركائِهم .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه[3] .

[٧٩٩/١و] **القولُ فى تأويلِ قولِه** : ﴿ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ (١٣٨) ﴾ .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٣٩٤ (٧٩٢٦) من طريق أحمد بن المفضل به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/ ١٣٩٣، ١٣٩٤ (٧٩٢٥، ٧٩٢٧) من طريق أصبغ بن الفرج ، عن ابن زيد .

(٣) تفسير مجاهد ص ٣٢٩.

يقولُ تعالى ذكرُه: وحرَّم هؤلاء الجَهَلةُ مِن المشركين ظهورَ بعضِ أنعامِهم، فلا يَرْكَبون ظهورَها، وهم يَنْتَفِعون برِسْلِها[1] ونِتَاجِها[2] وسائرِ الأشياءِ منها، غيرَ ظهورِها للركوبِ، وحرَّموا مِن أنعامِهم أنعامًا أُخَرَ، فلا يَحُجُّون عليها، ولا يَذْكُرون اسمَ اللَّهِ عليها إن ركِبوها بحالٍ، ولا إن حلَبوها، ولا إن حمَلوا عليها.

وبما قلْنا في ذلك قال أهلُ التأويلِ.

ذكرُ مَن قال ذلك

٤٧/٨ /حدَّثنا سفيانُ، قال: ثنا أبو بكرِ بنُ عياشٍ، عن عاصمٍ، قال: قال لى أبو وائلٍ: أتَدْرِى ما ﴿ أَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ﴾؟ قال: قلتُ: لا. قال: أنعامٌ لا يَحُجُّون عليها[3].

حدَّثنا محمدُ بنُ عبَّادِ بنِ موسى، قال: ثنا شاذانُ، قال: ثنا أبو بكرِ بنُ عياشٍ، عن عاصمٍ، قال: قال لى أبو وائلٍ: أتَدْرِى ما قولُه: ﴿ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ﴾؟ قال: قلتُ: لا. قال: هى البَحيرةُ، كانوا لا يَحُجُّون عليها.

حدَّثنا أحمدُ بنُ عمرٍو البَصْرِيُّ، قال: ثنا محمدُ بنُ سعيدٍ الشَّهيدُ، قال: ثنا أبو بكرِ بنُ عياشٍ، عن عاصمٍ، عن أبى وائلٍ: ﴿ وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ﴾. قال: لا يَحُجُّون عليها.

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ، قال: ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ، قال: ثنا أسباطُ، عن

---

(١) الرِّسْل: اللبن. اللسان (ر س ل).

(٢) النتاج: الأولاد من جميع البهائم.

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٣٩٤ (٧٩٣٠) من طريق أبى بكر بن عياش به، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/٤٨ إلى عبد بن حميد وابن أبى شيبة وابن المنذر وأبى الشيخ.

السديِّ: أما: ﴿ أَنْعَـٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا ﴾ . فهى البَحيرةُ والسائبةُ والحامُ، وأما: «الأنعامُ التى لا يذكرون اسمَ اللَّهِ عليها»، قال: إذا ولَّدوها، ولا إن نحروها[1] .

حدَّثنا القاسمُ، قال: ثنا الحسينُ، قال: ثنى حجاجٌ، عن ابنِ جُريجٍ، عن مجاهدٍ قولَه: ﴿ وَأَنْعَـٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ﴾ . قال: كان مِن إبلِهم طائفةٌ لا يَذْكُرون اسمَ اللَّهِ عليها، ولا فى شىءٍ مِن شأنِها، لا[2] إن ركِبوها، ولا إن حلَبوا، ولا إن حمَلوا، ولا إن منَحوا، ولا إن عمِلوا شيئًا[3] .

حدَّثنى يونُسُ، قال: أخبَرنا ابنُ وهبٍ، قال: قال ابنُ زيدٍ فى قولِه: ﴿ وَأَنْعَـٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا ﴾ . قال: لا يَرْكَبُها أحدٌ، ﴿ وَأَنْعَـٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ﴾[4] .

وأما قولُه: ﴿ ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ﴾ . فإنه يقولُ: فعَل هؤلاء المشركون ما فعَلوا، مِن تحريمِهم ما حرَّموا، وقالوا ما قالوا مِن ذلك، كذبًا على اللَّهِ، وتَخرُّصًا للباطلِ[5] عليه؛ لأنهم أضافوا ما كانوا يُحرِّمون مِن ذلك على ما وصَفَه عنهم جلَّ ثناؤُه فى كتابِه، إلى أن اللَّهَ هو الذى حرَّمه، فنفَى اللَّهُ ذلك عن نفسِه وأكْذَبهم، وأخبَر[6] نبيَّه والمؤمنين أنهم كَذَبةٌ فيما يدَّعُون[7]، ثم قال عزَّ ذكرُه: ﴿ سَيَجْزِيهِم ﴾ . يقولُ: سيُثيبُهم ربُّهم بما كانوا يَفْتَرون على اللَّهِ الكذبَ ثوابَهم، ويَجْزِيهم بذلك جزاءَهم.

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٩٤/٤ (٧٩٢٨، ٧٩٣١) من طريق أحمد بن المفضل به.

(٢) فى م: «إلا».

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٣/ ٣٣٩.

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٠٤/٥ (٧٩٩٨) من طريق أصبغ بن الفرج، عن ابن زيد ضمن أثر مطول.

(٥) فى م: «الباطل».

(٦) فى س: «أعلم».

(٧) فى م: «يزعمون».

القولُ فى تأويلِ قولِه: ﴿وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ﴾.

اختلَف أهلُ التأويلِ فى المعنىِّ بقولِه: ﴿مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾؛ فقال بعضُهم: عُنِى بذلك اللَّبنُ.

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا أبو كريبٍ، قال: ثنا ابنُ عَطيةَ، قال: ثنا إسرائيلُ، عن أبى إسحاقَ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى الهُذَيْلِ، عن ابنِ عباسٍ: ﴿وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا﴾. قال: اللبنُ[1].

٤٨/٨ /حدَّثنا ابنُ وكيعٍ، قال: ثنا يحيى، عن إسرائيلَ، عن أبى إسحاقَ، عن ابنِ أبى الهُذَيْلِ، عن ابنِ عباسٍ مثلَه.

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ، قال: ثنا يزيدُ، قال: ثنا سعيدٌ، عن قتادةَ: ﴿وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا﴾: ألبانُ البَحائرِ كانت للذكورِ دونَ النساءِ، وإن كانت ميتةً اشْتَرَك فيها ذكورُهم وإناثُهم.

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى، قال: ثنا محمدُ بنُ ثورٍ، عن معمرٍ، عن قتادةَ: ﴿خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا﴾. قال: ما فى بطونِ البَحائرِ، يعنى ألبانَها، كانوا يَجْعَلونه للرجالِ دونَ النساءِ[2].

حدَّثنا القاسمُ، قال: ثنا الحسينُ، قال: ثنا عيسى بنُ يونُسَ، عن زكريا، عن

---

(١) تفسير مجاهد ص٣٢٩، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٩٥/٥ (٧٩٣٥)، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٨/٣ إلى الفريابى وابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وأبى الشيخ.

(٢) تفسير عبد الرزاق ٢١٩/١.

عامرٍ ، قال : البحيرةُ لا يَأْكُلُ مِن لبنِها إلا الرجالُ ، وإن مات منها شيءٌ أكله الرجالُ والنساءُ[(١)] .

حدَّثني محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا ﴾ الآية : فهو اللبنُ كانوا يُحَرِّمونه على إناثِهم ، ويَشْرَبُه ذُكْرانُهم ، وكانت الشاةُ إذا ولَدَت ذكرًا ذبَحوه ، وكان للرجالِ دونَ النساءِ ، وإن كانت أنثى تُرِكَت[(٢)] فلم تُذْبَحْ ، وإن كانت ميتةً فهم فيه شُركاءُ ، فنهَى اللَّهُ عن ذلك[(٣)] .

وقال آخرون : بل عُنى بذلك ما فى بطونِ البَحائرِ والسَّوائبِ مِن الأَجِنَّةِ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثني محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَاۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ﴾ : فهذه الأنعامُ ، ما وُلِد منها مِن[(٤)] حيٍّ فهو خالصٌ [٧٩٩/١ظ] للرجالِ دونَ النساءِ ، وأما ما وُلِد مِن ميتٍ فيأْكُلُه الرجالُ والنساءُ[(٥)] .

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا ﴾ : السائبةُ والبَحيرةُ .

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٣٣٩/٣ عن عامر الشعبى .

(٢) فى النسخ : « تركب » . والمثبت من مصادر التخريج .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥/ ١٣٩٥، ١٣٩٦ (٧٩٣٣، ٧٩٣٩) عن محمد بن سعد به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٨/٣ إلى أبى الشيخ وابن مردويه .

(٤) زيادة من : م .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥/ ١٣٩٥، ١٣٩٦ (٧٩٤٠) من طريق أحمد بن مفضل به .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه[(١)] .

وأولى الأقوالِ في تأويلِ ذلك بالصوابِ أن يُقالَ : إن اللَّهَ تعالى ذكرُه أخبَر عن هؤلاء الكفَرةِ أنهم قالوا في أنعامٍ بأعيانِها : ما في بطونِ هذه الأنعامِ خالصةٌ لذكورِنا دونَ إناثِنا . واللبنُ مما في بطونِها ، وكذلك أجِنَّتُها ، ولم يُخَصِّصِ اللَّهُ بالخبرِ عنهم أنهم قالوا : بعضُ ذلك حرامٌ عليهن دونَ بعضٍ .

وإذ كان ذلك كذلك ، فالواجبُ أن يُقالَ : إنهم قالوا : ما في بطونِ تلك الأنعامِ مِن لبنٍ وجَنينٍ حِلٌّ لذكورِهم ، خالصةٌ دونَ إناثِهم . وإنهم كانوا يُؤْثِرون بذلك رجالَهم ، إلا أن يكونَ الذي في بطونِها مِن الأجِنَّةِ ميتًا ، فيَشْتَرِكَ حينَئذٍ في أكلِه الرجالُ والنساءُ .

واختَلَف أهلُ العربيةِ في المعنى الذي مِن أجلِه أُنِّثَت « الخالصةُ » ؛ فقال بعضُ نحويى البصرةِ وبعضُ / الكوفيين : أُنِّثَت لتحقيقِ الخُلوصِ ، كأنه لما حقَّق لهم الخُلوصَ أشْبَه الكثرةَ ، فجرَى مَجْرَى راويةٍ ونَسَّابةٍ . ٤٩/٨

وقال بعضُ نحويى الكوفةِ[(٢)] : أُنِّثَت لتأنيثِ الأنعامِ ؛ لأن ما في بطونِها مثلُها ، فأُنِّثَ لتأنيثِها ، ومَن ذكَّره فلتذكيرِ (ما) . قال : وهى فى قراءةِ عبدِ اللَّهِ : (خالِصٌ)[(٣)] . قال : وقد تَكونُ « الخالصةُ » فى تأنيثِها مصدرًا ، كما تقولُ : العافيةُ والعاقبةُ . وهو مثلُ قولِه : ﴿ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴾ [سورة ص : ٤٦] .

والصوابُ مِن القولِ في ذلك عندى أن يُقالَ : أُريد بذلك المبالغةُ فى خُلوصِ ما

---

(١) تفسير مجاهد ص ٣٢٩، ومن طريقه ابن أبي حاتم فى تفسيره ١٣٩٥/٥ (٧٩٣٦) ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٨/٣ إلى ابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وأبى الشيخ .

(٢) هو الفراء فى معانى القرآن ١/ ٣٥٨، ٣٥٩.

(٣) هى قراءة شاذة ، وقد قرأ بها عبد الله وابن جبير وأبو العالية والضحاك وابن أبى عبلة . البحر المحيط ٢٣١/٤ .

فى بطونِ الأنعامِ التى كانوا حرَّموا ما فى بطونِها على أزواجِهم ، لذكورِهم دونَ إناثِهم ، كما فُعِل ذلك بالراويةِ والنَّسَّابةِ والعلَّامةِ ، إذا أُريد بها المبالغةُ فى وصفِ مَن كان ذلك مِن صفتِه ، كما يُقالُ : فلانٌ خالصةُ فلانٍ وخُلْصانُه .

وأما قولُه : ﴿ وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ﴾ . **فإن أهلَ التأويلِ اختلَفوا** فى المعنىِّ بالأزواجِ ؛ **فقال بعضُهم** : عُنِى بها النساءُ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ﴾ . قال : النساءُ[1] .

وقال آخرون : بل عُنِى بالأزواجِ البناتُ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ﴾ . قال : الأزواجُ البناتُ ، وقالوا : ليس للبناتِ منه شىءٌ[2] .

والصوابُ مِن القولِ فى ذلك أن يُقالَ : إن اللَّهَ أخبَر عن هؤلاء المشركين أنهم كانوا يقولون لِما فى بطونِ هذه الأنعامِ ، يعنى أنعامَهم : هذا محرمٌ على أزواجِنا . والأزواجُ إنما هى نساؤُهم فى كلامِهم ، وهن لا شكَّ بناتُ مَن هن أولادُه ، وحَلائلُ مَن هن أزواجُه .

وفى قولِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ﴾ . الدليلُ الواضحُ على أن تأنيثَ « الخالصةِ » كان لِما وصَفْتُ مِن المبالغةِ فى وصفِ ما فى بطونِ الأنعامِ

---

(١) تفسير مجاهد ص٣٢٩ ، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥/١٣٩٥ (٧٩٣٨) .
(٢) ينظر تفسير القرطبى ٧/ ٩٦.

بالخُلوصةِ للذكورِ ؛ لأنه لو كان لتأنيثِ « الأنعامِ » لَقيل : ومحرمةٌ على أزواجِنا . ولكن لمَّا كان التأنيثُ فى « الخالصةِ » لِما ذكَرْتُ ، ثم لم يَقْصِدْ فى « المحرَّمِ » ما قصَد فى « الخالصةِ » مِن المبالغةِ ، رجَع فيها إلى تذكيرِ ﴿ ما ﴾ ، واستعمالِ ما هو أولى بهِ مِن صفتِه .

وأما قولُه : ﴿ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ﴾ . فاختَلَفت القرأةُ فى قراءةِ ذلك ؛ فقرَأه يزيدُ بنُ القَعْقاعِ وطلحةُ بنُ مُصَرِّفٍ فى آخرين : (وإن تَكُنْ مَيْتَةٌ) . بالتاءِ فى (تَكُنْ) ورفْعِ (ميتةٌ) . غيرَ أن يزيدَ[1] كان يُشَدِّدُ الياءَ مِن (ميِّتةٌ) ، ويُخَفِّفُها طلحةُ[2] .

حدَّثنى بذلك المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى حمادٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن طلحةَ بنِ مُصَرِّفٍ[2] .

وحدَّثنا أحمدُ بنُ يوسُفَ ، عن القاسمِ وإسماعيلَ بنِ جعفرٍ ، عن يزيدَ .

وقرَأ ذلك بعضُ قرأةِ المدينةِ والكوفةِ والبصرةِ : ﴿ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً ﴾ بالياءِ ، ﴿ مَّيْتَةً ﴾ بالنصبِ وتخفيفِ الياءِ[3] .

٥٠/٨ وكأنَّ مَن قرَأ : ﴿ وَإِن يَكُن ﴾/ بالياءِ ، ﴿ مَّيْتَةً ﴾ بالنصبِ ، أراد : وإن يَكُنْ ما فى بطونِ تلك الأنعامِ . فذكَّر ﴿ يَكُن ﴾ لتذكيرِ ﴿ ما ﴾ ، ونصَب « الميتةَ » لأنه خبرُ ﴿ يَكُن ﴾ .

وأما مَن قرَأ : (وإن تَكُنْ مَيتةٌ) . فإنه إن شاء اللَّهُ أراد : وإن تكنْ ما فى بطونِها مَيتةٌ ، فأنَّث[4] (تكنْ) لتأنيثِ (مَيتةٌ) .

---

(١) هو يزيد بن القعقاع أبو جعفر المدنى .

(٢) ينظر البحر المحيط ٤/ ٢٣٣، وهى قراءة ابن عامر أيضًا . السبعة لابن مجاهد ص ٢٧٠.

(٣) هى قراءة نافع وعاصم فى رواية حفص وأبى عمرو وحمزة والكسائى ويعقوب وخلف العاشر . السبعة ص ٢٧١، والبدور الزاهرة ص ١١١.

(٤) فى ص : « فتؤنث » ، وفى ت ١، ت ٢، ت ٣، س ، ف : « فيؤنث » .

وقولُه : ﴿ فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ﴾ : فإنه يعنى أن الرجالَ وأزواجَهم شركاءُ فى أكلِه ، لا يُحَرِّمونه على أحدٍ منهم . كما ذكَرْنا عمَّن ذكَرْنا ذلك عنه قبلُ مِن أهلِ التأويلِ .

وكان ابنُ زيدٍ يقولُ فى ذلك ما حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ﴾ . قال : تأْكُلُ النساءُ مع الرجالِ ، إن كان الذى يَخْرُجُ مِن بطونِها ميتةً فهم فيه شركاءُ . وقالوا : إن شئْنا جعَلْنا للبناتِ فيه نصيبًا ، وإن شئْنا لم نَجْعَلْ[(١)] .

وظاهرُ التلاوةِ بخلافِ ما تأوَّله ابنُ زيدٍ ؛ لأن ظاهرَها يَدُلُّ على أنهم قالوا : إن[(٢)] يَكُنْ ما فى بطونِها ميتةً فنحن فيه شركاءُ . بغيرِ شرطِ مشيئةٍ ، وقد زعَم ابنُ زيدٍ أنهم جعَلوا ذلك إلى مشيئتِهم .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٣٩) ﴾ .

يقولُ جلَّ ثناؤُه : سَيَجْزِى . أىْ : سيُثِيبُ ويُكافِئُ هؤلاء المُفْتَرِين عليه الكذبَ فى تحريمِهم ما لم يُحَرِّمْه اللَّهُ ، وتحليلِهم ما لم يُحَلِّلْه اللَّهُ ، [١/٨٠٠و] وإضافتِهم كذبَهم فى ذلك إلى اللَّهِ .

وقولُه : ﴿ وَصْفَهُمْ ﴾ . يعنى بـ ﴿ وَصْفَهُمْ ﴾ : الكذبَ على اللَّهِ ، وذلك كما قال جلَّ ثناؤُه فى موضعٍ آخرَ مِن كتابِه : ﴿ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ ﴾ [النحل : ٦٢] .

والوصفُ والصِّفةُ فى كلامِ العربِ واحدٌ ، وهما مصدران مثلُ الوزنِ والزِّنَةِ .

---

(١) ذكر ابن أبى حاتم أوله فى تفسيره ١٣٩٦/٥ عقب الأثر (٧٩٤٠) معلقًا ، وأخرج آخره ١٣٩٤/٤ (٧٩٣٢) من طريق أصبغ بن الفرج ، عن ابن زيد .

(٢) بعده فى م : « لم » .

وبنحوِ الذى قلنا فى معنى الوصفِ قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ فى قولِه : ﴿ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ﴾ . قال : قولَهم الكذبَ فى ذلك[1] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا ابنُ نُميرٍ ، عن أبى جعفرٍ الرازىِّ ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ ، عن أبى العاليةِ : ﴿ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ﴾ . قال : كذبَهم[2] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ﴾ . أىْ : كذبَهم[3] .

وأما قولُه : ﴿ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ . فإنه يقولُ جلَّ ثناؤُه : إن اللَّهَ - فى مُجازاتِهم على وصفِهم الكذبَ وقيلِهم الباطلَ عليه - حكيمٌ فى سائرِ تدبيرِه فى خلقِه ، عليمٌ بما يُصْلِحُهم ، وبغيرِ ذلك مِن أمورِهم .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ (١٤٠) ﴾ .

٥١/٨ / يقولُ تعالى ذكرُه : قد هلَك هؤلاء المُفْتَرون على ربِّهم الكذبَ ، العادِلون به

---

(١) تفسير مجاهد ص ٣٢٩، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٩٦/٥ (٧٩٤١) .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٩٦/٥ عقب الأثر (٧٩٤١) من طريق أبى جعفر الرازى به .

(٣) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٩٦/٥ عقب الأثر (٧٩٤١) معلقًا .

الأوثانَ والأصنامَ ، الذين زيَّن لهم شركاؤُهم قتلَ أولادِهم ، وتحريمَ ما حرَّمَتْ عليهم مِن أموالِهم ، فقتَلوا طاعةً لها أولادَهم ، وحرَّموا ما أحَلَّ اللَّهُ لهم وجعَله لهم رزقًا مِن أنعامِهم ؛ ﴿ سَفَهَۢا ﴾ منهم . يقولُ : فعَلوا ما فعَلوا مِن ذلك جَهالةً منهم بما لهم وعليهم ، ونقصَ عقولٍ ، وضعفَ أحلامٍ منهم ، وقلةَ فهمٍ بعاجلِ ضرِّه وآجلِ مكروهِه ، مِن عظيمِ عقابِ اللَّهِ عليه لهم ؛ ﴿ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ﴾ . يقولُ : تكذُّبًا[1] على اللَّهِ وتخرُّصًا عليه الباطلَ ، ﴿ قَدْ ضَلُّوا ﴾ . يقولُ : قد تركوا مَحجَّةَ الحقِّ في فعلِهم ذلك ، وزالوا عن سواءِ السبيلِ ، ﴿ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ . يقولُ : ولم يَكُنْ فاعِلُو ذلك على هدًى واستقامةٍ فى أفعالِهم التى كانوا يَفْعَلون قبلَ ذلك ، ولا كانوا مُهْتَدِين للصوابِ فيها ، ولا مُوَفَّقِين له .

ونزَلَت هذه الآيةُ فى الذين ذكَر اللَّهُ خبرَهم فى هذه الآياتِ مِن قولِه : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا ﴾ [الأنعام : ١٣٦] . الذين كانوا يَبْحَرون البَحائرَ ، ويُسَيِّبون السَّوائبَ ، ويَئِدُون البناتِ .

كما حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، قال : قال عكرمةُ قولَه : ﴿ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ . قال : نزَلَت فى مَن يَئِدُ البناتِ مِن رَبيعةَ ومُضَرَ ، كان الرجلُ يَشْتَرِطُ على امرأتِه أن تَسْتَحْيِيَ جاريةً وتَئِدَ أخرى ، فإذا كانت الجاريةُ التى تَئِدُ[2] ، غدا الرجلُ أو راح مِن عندِ امرأتِه ، وقال لها : أنتِ علىَّ كظهرِ أُمِّى إن رجَعْتُ إليك ولم تَئِديها . فتَخُدُّ لها فى الأرضِ خَدًّا[3] ، وتُرْسِلُ إلى نسائِها ، فيَجْتَمِعْنَ عندَها ، ثم يَتَداوَلْنها ، حتى إذا

(١) فى م ، ت ٢ : « تكذيبا » .

(٢) فى ص ، س : « تئيد » ، وفى م : « توأد » .

(٣) يقال : خد الأرض خدًّا : حفرها .

أبْصَرَته راجعًا دسَّتْها فى حفرتِها ، ثم سوَّت عليها الترابَ[(١)] .

حدَّثني محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السديِّ : ثم ذكَر ما صنَعوا فى أولادِهم وأموالِهم ، فقال : ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ﴾[(٢)] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ . فقال : هذا صَنيعُ أهلِ الجاهليةِ ، كان أحدُهم يَقْتُلُ ابنتَه مَخافةَ السِّباءِ والفاقةِ ، ويَغْذُو كلبَه . وقولَه : ﴿ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ الآية : وهم أهلُ الجاهليةِ ، جعَلوا بَحيرةً وسائبةً ووَصيلةً وحاميًا ؛ تحكُّمًا مِن الشياطينِ فى أموالِهم[(٣)] .

حدَّثني الحارثُ ، قال : ثنا عبدُ العزيزِ ، قال : إذا سرَّك أن تَعْلَمَ جهْلَ العربِ ، فاقْرَأْ ما بعدَ المائةِ مِن سورةِ « الأنعامِ » قولَه : ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ الآية[(٤)] .

وكان أبو رَزِينٍ يَتأوَّلُ قولَه : ﴿ قَدْ ضَلُّواْ ﴾ . أنه معنيٌّ به : قد ضلُّوا قبلَ هؤلاء الأفعالِ مِن قتلِ الأولادِ ، وتحريمِ الرزقِ الذى رزَقهم اللَّهُ بأمورٍ غيرِ ذلك .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا [(٥)] يحيى بنُ [(٥)] سعيدٍ ، عن سفيانَ ، عن الأعمشِ ، عن أبى رَزِينٍ فى قولِه : ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ ﴾ إلى قولِه : ﴿ قَدْ

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٨/٣ إلى ابن المنذر وأبى الشيخ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٩٦/٥ (٧٩٤٤) من طريق أحمد بن مفضل به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٩٦/٥ ، ١٣٩٧ (٧٩٤٣، ٧٩٤٥) من طريق يزيد به ، وعزاه السيوطى فى الدرالمنثور ٤٨/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبى الشيخ .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٨/٣ إلى أبى الشيخ .

(٥ - ٥) فى النسخ : « يزيد قال ثنا » ، والمثبت مما تقدم فى ١٧٩/٢، ٢٥١ وغيرهما .

ضَلُّواْ ﴾ . قال : قد ضلُّوا قبلَ ذلك[1] .

/ القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعۡرُوشَٰتٍ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٍ ﴾ . ٥٢/٨

وهذا إعلامٌ مِن اللَّهِ تعالى ذكرُه ما أنْعَم به عليهم مِن فضلِه ، وتنبيهٌ منه لهم على موضعِ إحسانِه ، وتعريفٌ منه لهم ما أحَلَّ وحرَّم ، وقسَم فى أموالِهم مِن الحقوقِ لمَن قسَم له فيها حقًّا .

يقولُ تعالى ذكرُه : وربُّكم أيُّها الناسُ ﴿ أَنشَأَ ﴾ . أىْ : أحْدَث وابْتَدَع خَلْقًا ، لا الآلهةُ والأصنامُ ، ﴿ جَنَّٰتٍ ﴾ . يعنى : [١/٨٠٠ظ] بساتينَ ، ﴿ مَّعۡرُوشَٰتٍ ﴾ ، وهى ما عرَش الناسُ مِن الكُرُومِ ، ﴿ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٍ ﴾ : غيرَ مرفوعاتٍ مَبْنيَّاتٍ ، لا يُنْبِتُه الناسُ ولا يَرْفَعونه ، ولكنَّ اللَّهَ يَرْفَعُه ويُنْبِتُه ويُنَمِّيه .

كما حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ مَّعۡرُوشَٰتٍ ﴾ . يقولُ : مَسْموكاتٍ[2] .

وبه عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعۡرُوشَٰتٍ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٍ ﴾ : فالمعروشاتُ : ما عرَش الناسُ ، ﴿ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٍ ﴾ : ما خرَج فى البرِّ والجبالِ مِن الثمَراتِ[3] .

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ : أما ﴿ جَنَّٰتٍ ﴾ : فالبساتينُ ، وأما الـ ﴿ مَّعۡرُوشَٰتٍ ﴾ : فما عُرِش كهيئةِ

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٩٦/٥ (٧٩٤٢) من طريق محمد بن بشار ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٨/٣ إلى أبى الشيخ .

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٣٤١/٣ عن على بن أبى طلحة به .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٣٤١/٣ عن على بن أبى طلحة ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٨/٣ إلى ابن المنذر وابن أبى حاتم ، وفيه : البرية . بدلا من : البر .

الكَرْمِ[(١)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن عطاءِ الخُراسانيِّ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّـٰتٍ مَّعْرُوشَـٰتٍ ﴾ . قال : ما يُعَرَشُ مِن الكُرومِ . ﴿ وَغَيْرَ مَعْرُوشَـٰتٍ ﴾ . قال : ما لا يُعَرَشُ مِن الكَرْمِ[(٢)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَـٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ ﴾ .

يقولُ جلَّ ثناؤُه : وأنشأَ النخلَ والزرعَ ﴿ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ ﴾ . يعنى بـ « الأُكُلِ » الثمرَ . يقولُ : وخلَق النخلَ والزرعَ مُختلِفًا ما يَخرُجُ منه ، مما يُؤْكَلُ مِن الثمرِ والحبِّ ، ﴿ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَـٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ ۚ ﴾ فى الطَّعْمِ ؛ منه الحُلْوُ والحامِضُ والمُزُّ[(٣)] .

كما حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ قولَه : ﴿ مُتَشَـٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ ۚ ﴾ . قال : ﴿ مُتَشَـٰبِهًا ﴾ : فى المنظرِ ، ﴿ وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ ۚ ﴾ : فى الطَّعْمِ[(٤)] .

وأما قولُه : ﴿ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ ﴾ . فإنه يقولُ : كُلوا مِن رُطَبِه ما كان رطبًا ثمرُه .

٥٣/٨ / كما حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا أبو هَمَّامٍ الأَهْوازىُّ ، قال :

---

(١) ينظر تفسير ابن كثير ٣/ ٣٤١.

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره - كما فى الفتح ٢٨٧/٨ - من طريق ابن جريج به ، وذكره ابن كثير فى تفسيره ٣٤١/٣ عن عطاء به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٨/٣ إلى أبى الشيخ .

(٣) المز : طعم بين الحلاوة والحموضة . التاج (م ز ز) .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٣٤١/٣ عن ابن جريج ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٩/٣ إلى ابن المنذر وأبى الشيخ .

ثنا موسى بنُ عُبيدةَ ، عن محمدِ بنِ كعبٍ فى قولِه : ﴿ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ ﴾ . قال : مِن رُطبِه وعنبِه[1] .

حدَّثنا عمرُو بنُ علىٍّ ، قال : ثنا محمدُ بنُ الزِّبْرِقانِ ، قال : ثنا موسى بنُ عُبيدةَ فى قولِه : ﴿ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ ﴾ . قال : مِن رُطَبِه وعنبِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ .

اختَلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ ذلك ؛ **فقال بعضُهم** : هذا أمرٌ مِن اللَّهِ بإيتاءِ الصدقةِ المفروضةِ مِن الثمرِ والحبِّ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا عمرُو بنُ علىٍّ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، قال : ثنا يونُسُ ، عن الحسنِ فى قولِه : ﴿ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ . قال : الزكاةُ[2] .

حدَّثنا عمرٌو ، قال: ثنا عبدُ الصمدِ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ درهمٍ ، قال : سمِعْتُ أنسَ بنَ مالكٍ يقولُ : ﴿ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ . قال : الزكاةُ المفروضةُ[3] .

حدَّثنا عمرٌو ، قال : ثنا مُعَلَّى بنُ أسدٍ ، قال : ثنا عبدُ الواحدِ بنُ زيادٍ ، قال : ثنا الحجاجُ بنُ أرْطاةَ ، عن الحكمِ ، عن مُجاهدٍ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ وَءَاتُوا۟

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٩/٣ إلى ابن أبى حاتم وأبى الشيخ . وستأتى بقيته فى ص ٦١٦.

(٢) أخرجه ابن زنجويه فى الأموال (١٣٧٦) من طريق يزيد بن زريع ، عن الحسن ، بدون ذكر يونس . وأخرجه ابن أبى شيبة ١٨٦/٣ من طريق سفيان عن يونس به .

(٣) أخرجه النحاس فى الناسخ والمنسوخ ص ٤٢١، وابن الجوزى فى نواسخ القرآن ص ٣٣١، ٣٣٢ من طريق عمرو بن على به ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٩٨/٥ (٧٩٥٣) ، وابن عدى ٧/ ٢٧٣٢، والبيهقى ٤/ ١٣٢، من طريق عبد الصمد به ، وقال البيهقى : وهو موقوف غير قوى .

حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ . قال : العُشرُ ، ونصفُ العُشرِ[(١)] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا هانئُ بنُ سعيدٍ ، عن حجاجٍ ، عن محمدِ بنِ عُبيدِ اللَّهِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ شدَّادٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ . قال : العُشرُ ونصفُ العُشرِ .

حدَّثنا عمرُو بنُ عليٍّ وابنُ وَكيعٍ وابنُ بشارٍ ، قالوا : ثنا عبدُ الرحمنِ ، قال : ثنا إبراهيمُ بنُ نافعٍ المكيُّ ، عن ابنِ طاوسٍ[(٢)] ، عن أبيه في قولِه : ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ . قال : الزكاةُ[(٣)] .

حدَّثنا عمرٌو ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ، قال : ثنا أبو هلالٍ ، عن حَيَّانَ الأعْرجِ ، عن جابرِ بنِ زيدٍ : ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ . قال : الزكاةُ[(٤)] .

حدَّثني يعقوبُ ، قال : ثنا ابنُ عُلَيَةَ ، قال : أخْبرَنا يونُس ، عن الحسنِ في قولِه : ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ . قال : هي الصدقةُ . قال : ثم سُئِل عنها مرةً أُخرى ، فقال : هي الصدقةُ مِن الحبِّ والثِّمارِ .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا محمدُ بنُ بكرٍ ، عن ابنِ جريجٍ ، قال : أخْبرَني أبو بكرِ بنُ عبدِ اللَّهِ ، عن عمرِو بنِ سليمٍ[(٥)] وغيرِه ، عن سعيدِ بنِ المسيبِ أنه قال : ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ . قال : الصدقةُ المفروضةُ[(٦)] .

---

(١) أخرجه ابن الجوزى فى نواسخ القرآن ص٣٣٢ من طريق عمرو بن على به .

(٢) فى النسخ : « عباس » . والمثبت من مصدر التخريج .

(٣) أخرجه ابن الجوزى فى نواسخ القرآن ص٣٣٢ من طريق أبى حفص عمرو بن على ، عن عبد الرحمن به .

(٤) أخرجه ابن الجوزى فى نواسخ القرآن ص ٣٣٢، من طريق عمرو به ، وأخرجه يحيى بن آدم فى الخراج (٤١٥) ، وابن أبى شيبة ٣/ ١٨٥، وابن زنجويه فى الأموال (١٣٨١) ، والبيهقى ١٣٢/٤ من طريق أبى هلال به .

(٥) فى النسخ : « سليمان » . وسيأتى على الصواب فى ص ٦١٦.

(٦) أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه (٧٢٦٧) عن ابن جريج به .

حدَّثني يعقوبُ ، قال : ثنا ابنُ عُلَيَّةَ ، عن أبي رَجاءٍ ، عن الحسنِ ، في قولِه : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ ﴾ . قال : هي الصدقةُ مِن الحبِّ والثمارِ[(1)] .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثني معاويةُ ، عن عليِّ بنِ أبي طلحةَ ، عن ابنِ / عباسٍ قولَه : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ ﴾ : يعني بـ ﴿ حقَّه ﴾ زكاتَه المفروضةَ يومَ يُكالُ ، أو يُعْلَمُ كَيْلُه[(2)] . ٥٤/٨

حدَّثني محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ ﴾ : وذلك أن الرجلَ كان إذا زرَع فكان يومُ حصادِه ، [(3)]لم يُخرِجْ مما حصَد شيئًا ، فقال اللهُ : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ ﴾[(3)] ، وهو أن يَعْلَمَ ما كيلُه وحقُّه ، فيُخْرِجُ مِن كلِّ عشرةٍ واحدًا ، وما يلقُطُ[(4)] الناسُ مِن سنبلِه[(5)] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ ﴾ : وحقُّه يومَ حصادِه الصدقةُ المفروضةُ . ذُكِر لنا أن نبيَّ اللَّهِ ﷺ سنَّ فيما سَقَتِ السماءُ ، أو العينُ السائحةُ ، أو سقاه [(6)]الطَّلُّ ، والطَّلُّ النَّدَى[(6)] - أو كان

---

(١) أخرجه أبو عبيد في ناسخه ص٣٢ عن ابن علية به ، وأخرجه أبو يوسف في الخراج (٢٠) من طريق أبي رجاء به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٩/٣ إلى أبي داود في ناسخه وابن المنذر .

(٢) أخرجه أبو عبيد في ناسخه ص ٣٢، وابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٩٨/٥ (٧٩٥٨) من طريق عبد الله بن صالح به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٠/٣ إلى ابن المنذر .

(٣ - ٣) سقط من النسخ ، والمثبت من تفسير ابن كثير .

(٤) في م ، ت ٢، ت ٣: « يلتقط » .

(٥) ذكره ابن كثير في تفسيره ٣٤١/٣، عن العوفي عن ابن عباس .

(٦ - ٦) في ص : « العل والعل الندى » ، وفي ف : « العسل والعسل الذى » .

بَعْلًا[(١)] العُشْرَ[(٢)] كاملًا ، وإن سُقِى بِرِشاءٍ[(٣)] نصفَ العُشْرِ . قال قتادةُ : وهذا فيما يُكالُ مِن الثمرةِ ، وكان هذا إذا بلَغَت الثمرةُ[(٤)] خمسةَ أوسقٍ ، وذلك ثلاثُمائةِ صاعٍ ، فقد حقَّ فيها الزكاةُ ، وكانوا يَسْتَحِبُّون أن يُعْطُوا مما لا يُكالُ مِن الثمرةِ على قدرِ ذلك[(٥)] .

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ وطاوسٍ : ﴿ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ . قالا : هو الزكاةُ .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا عمرُو بنُ عونٍ ، قال : أخبرنا هُشَيْمٌ ، عن الحجاجِ ، عن سالمٍ المكىِّ ، عن محمدِ ابنِ الحَنَفيةِ قولَه : ﴿ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ قال : يومَ كَيْلِه ، يُعْطِى العُشْرَ ، أو نصفَ العُشْرِ[(٦)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا الحِمّانىُّ ، قال : ثنا شَرِيكٌ ، عن سالمٍ المكىِّ ، عن محمدِ ابنِ الحَنَفيةِ قولَه : ﴿ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ . قال : العُشْرُ ونصفُ العشرِ[(٦)] .

حدَّثنى المثنى ، [٨٠١/١و] قال : ثنا سُوَيْدٌ ، قال : أخبَرنا ابنُ المُبارَكِ ، عن معمرٍ ، عن ابنِ طاوسٍ ، عن أبيه ، وعن قتادةَ : ﴿ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ . قالا : الزكاةُ[(٧)] .

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، ف : « بعد » . والبعل : ما شرب من النخيل بعروقه من الأرض من غير سقى سماء ولا غيرها . النهاية (ب ع ل) .

(٢) فى ص : « العشور » .

(٣) فى ت ١ ، ف ، س : « برسان » .

(٤) فى م : « التمرة » .

(٥) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٩٨/٥ عقب الأثر (٧٩٥٤) معلقا .

(٦) أخرجه يحيى بن آدم فى الخراج ص١٢١ (٣٩٦) من طريق حجاج .

(٧) أخرجه ابن زنجويه فى الأموال (١٣٨٠) من طريق ابن المبارك به ، وأخرجه عبد الرزاق فى تفسيره =

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا أبو معاويةَ الضَّريرُ ، عن الحجّاجِ ، عن الحكمِ ، عن مِقْسَم ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ . قال : العُشْرُ ونصفُ العُشْرِ[1] .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا سُويدٌ ، قال : أخبَرَنا ابنُ المباركِ ، عن شَريكٍ ، عن الحكمِ بنِ عُتَيْبةَ[2] ، عن ابنِ عباسٍ مثلَه .

حُدِّثْتُ عن الحسينِ بنِ الفرجِ ، قال : سمِعْتُ أبا مُعاذٍ ، قال : أخبرَنا عبيدُ بنُ سليمانَ ، قال : سمِعْتُ الضحاكَ يقولُ ، في قولِه : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ يعني : يومَ كيلِه ، ما كان مِن بُرٍّ أو تمرٍ أو زَبيبٍ ، و حقُّه : زكاتُه .

حدَّثني يونُس ، قال : أخبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِه : ﴿ كُلُوا مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ قال : كُلْ منه ، وإذا حصَدْتَه فآتِ حقَّه ، وحقُّه : عُشورُه[3] .

حدَّثنا ابنُ المثنى ، قال : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، قال : ثنا شعبةُ ، عن يونُسَ بنِ عُبيدٍ ، عن الحسنِ أنه قال في هذه الآيةِ : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ . قال :

= ١/ ٢١٩، وفى مصنفه (٧٢٦٦) عن معمر به ، وأخرجه يحيى بن آدم فى الخراج (٤١٤) - ومن طريقه البيهقى ٤/١٣٢ - من طريق ابن المبارك عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/٥٠ إلى ابن أبى شيبة وأبى داود فى ناسخه عن طاوس .

(١) أخرجه يحيى بن آدم فى الخراج (٣٩٨) - من طريقه - وسعيد بن منصور فى سننه (٩٢٨ - تفسير) ، وابن أبى شيبة ٣/ ١٨٦، وابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٩٨/٥ (٧٩٥٢) من طريق أبى معاوية به ، وقال البيهقى : وهو موقوف غير قوى . وأخرجه أبو يوسف فى الخراج (١٧) ، والنحاس فى ناسخه ص ٤٢٠ من طريق حجاج به ، وأخرجه ابن زنجويه فى الأموال (١٣٧٥) من طريق أبى معاوية به بدون ذكر الحكم . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٩/٣ إلى ابن المنذر .

(٢) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : «عيينة » .

(٣) ينظر تفسير القرطبى ٧/ ٩٩، والبحر المحيط ٤/ ٢٣٧.

الزكاةَ ؛ إذا كِلْتَه[١] .

٥٥/٨ / حدَّثنا عمرٌو ، قال : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، قال : ثنا شعبةُ ، عن أبى رَجاءٍ ، قال : سألْتُ الحسنَ عن قولِه : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ . قال : الزكاةَ[٢] .

حدَّثنى ابنُ البَرْقىِّ ، قال : ثنا عمرُو بنُ أبى سلمةَ ، قال : سألْتُ ابنَ زيدِ بنَ أسْلمَ عن قولِ اللَّهِ : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ . فقلتُ له : هو العُشورُ ؟ قال : نعم . فقلتُ له : عن أبيك ؟ قال : عن أبى وغيرِه[٣] .

وقال آخرون : بل ذلك حقٌّ أوْجَبه اللَّهُ فى أموالِ أهلِ الأموالِ ، غيرُ الصدقةِ المفروضةِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا عمرُو بنُ علىٍّ ، قال : ثنا عبدُ الوهَّابِ ، قال : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، عن أبيه : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ . قال : شيئًا سوى الحقِّ الواجبِ[٤] . قال : وكان فى كتابِه : عن علىِّ بنِ الحسينِ .

حدَّثنا عمرٌو ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا عبدُ الملكِ ، عن عطاءٍ فى قولِه : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ . قال : القبضةُ مِن الطعامِ[٥] .

---

(١) فى ص ، ت ١ ، س : « أكلته » .

(٢) أخرجه ابن الجوزى فى نواسخ القرآن ص٣٣٢ من طريق عمرو بن على به ، وأخرجه النحاس فى الناسخ والمنسوخ ص٤٢١ من طريق شعبة به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥/١٤٠٠ (٧٩٦٨) من طريق أصبغ ، عن ابن زيد .

(٤) ينظر الناسخ والمنسوخ للنحاس ٤٢٣ ، وتفسير البغوى ٣/ ١٩٥ ، وتفسير القرطبى ٧/ ٩٩ ، والبحر المحيط ٤/ ٢٣٧ .

(٥) أخرجه ابن الجوزى فى نواسخ القرآن ص٣٣٣ من طريق عمرو به .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا محمدُ بنُ بكرٍ ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن عطاءٍ : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ . قال : مِن النخلِ والعنبِ والحبِّ كلِّه .

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : ثنا محمدُ بنُ بكرٍ ، عن ابنِ جُريجٍ ، قال : قلتُ لعطاءٍ : أرأيْتَ ما حصَدْتُ مِن الفواكِهِ ؟ قال : ومنها أيضًا تُؤْتِى . وقال : مِن كلِّ شىءٍ حصَدْتَ تُؤْتِى منه حقَّه يومَ حَصادِه ؛ مِن نخلٍ ، أو عنبٍ ، أو حبٍّ ، أو فواكِهَ ، أو خَضِرٍ ، أو قصبٍ ، مِن كلِّ شىءٍ مِن ذلك . قلتُ لعطاءٍ : أواجبٌ على الناسِ ذلك كلُّه ؟ قال : نعم . ثم تلا : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ . قال : قلتُ لعطاءٍ : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ : هل فى ذلك شىءٌ مُوقتٌ معلومٌ ؟ قال : لا[(١)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا سويدٌ ، قال : أخبرنا ابنُ المباركِ ، عن عبدِ الملكِ ، عن عطاءٍ فى قولِه : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ قال : يُعْطِى مَن حضَر[(٢)] يومَئذٍ ما تيَسَّر ، وليس بالزكاةِ[(٣)] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا عيسى بنُ يونُسَ ، عن عبدِ الملكِ ، عن عطاءٍ : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ . قال : ليس بالزكاةِ ، ولكن يُطْعِمُ مَن حضَره ساعتَئذٍ حصيدَه[(٤)] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا جريرٌ ، عن العَلاءِ بنِ المسيبِ ، عن حمادٍ : ﴿ وَءَاتُوا

---

(١) أخرجه يحيى بن آدم فى الخراج (٤١٧) ، وعبد الرزاق فى مصنفه (٧٢٦٣) عن ابن جريج به ، وأخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٩٢٩ - تفسير) من طريق ابن جريج بلفظ : شىء يسير سوى الزكاة المفروضة .

(٢) فى ص ، ت ١ ، ف : « حصول » ، وفى م : « حصاده » وفى س : « حضور » . والمثبت من مصادر التخريج .

(٣) أخرجه يحيى بن آدم فى الخراج (٤١٨) ، وابن زنجويه فى الأموال (١٣٧٧) من طريق ابن المبارك به ، وأخرجه يحيى بن آدم (٤١٦ ، ٤٢٠) - ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٩٧/٥ (٧٩٥٠) ، والبيهقى ١٣٢/٤ - وابن الجوزى فى نواسخ القرآن ص٣٣٤ من طريق عبد الملك به بنحوه .

(٤) فى م ، ت ٢ ، ت ٣ : « حصده » وهما بمعنى . ينظر التاج (ح ص د) .

حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ . قال : كانوا يُعطُون رُطَبًا[(١)] .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ وابنُ وكيعٍ ، قالا : ثنا جريرٌ ، عن منصورٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ . قال : إذا حضَرك المساكينُ طرَحْتَ لهم منه ، وإذا أنْقَيْتَه[(٢)] وأخَذْتَ في كيلِه حثَوْتَ[(٣)] لهم منه ، وإذ علِمْتَ كيلَه عزَلْتَ زكاتَه ، وإذا أخَذْتَ في جَدادِ[(٤)] النخلِ طرَحْتَ لهم مِن الثَّفاريقِ[(٥)] ، وإذا أخَذْتَ في كيلِه حثَوْتَ[(٣)] لهم منه ، وإذا علِمْتَ كيلَه عزَلْتَ زكاتَه[(٦)] .

٨/٥٦ / حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : ثنا جَريرٌ ، عن ليثٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ . قال : سوى الفريضةِ[(٧)] .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا حكَّامٌ ، عن عمرٍو ، عن منصورٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ . قال : يُلْقِى إلى السُّؤَّالِ عندَ الحصادِ مِن السنبلِ ، فإذا [(٨)]طِين ، أو طُينَ[(٨)] - الشكُّ مِن أبى جعفرٍ - أَلْقَى إليهم ، فإذا حمَله فأراد أن يَجْعَلَه

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٩٨/٥ (٧٩٥٧) من طريق جرير به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٩/٣ إلى أبي الشيخ .

(٢) في ص : « أبقيته » .

(٣) في ص ، ت ١ ، س ، ف : « خبوت » .

(٤) في م ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « جذاذ » والجداد بالفتح والكسر : صرام النخل وهو قطع ثمرتها . يقال : جد الثمرة يجُدها جدا . النهاية (ج د د) .

(٥) قال ابن الأثير : الأصل في الثفاريق : الأقماع التي تلزق في البسر ، واحدها ثُفْرُوق ، ولم يردها ههنا ، وإنما كنى بها عن شيء من البسر يعطونه ، قال القتيبي : كأن الثفروق - على معنى هذا الحديث - شعبة من شمراخ العذق . النهاية (ثفرق) .

(٦) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٩٢٣ - تفسير) ، وابن أبي شيبة ٣/ ١٨٥ ، ١٨٦ ، وابن زنجويه في الأموال (١٣٧٤) من طريق جرير به ، وأخرجه يحيى بن آدم في الخراج (٤٠٣) من طريق منصور به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٩/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٧) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٩٢٥ - تفسير) عن جرير به ، وأخرجه يحيى بن آدم في الخراج (٤٠٨) من طريق ليث به .

(٨ - ٨) غير منقوطة في : ص ، ف .

كُدْسًا[1] أَلْقَى إليهم ، وإذا داس أَطْعَم منه ، وإذا فرَغ وعلِم كم كَيلُه ، عزَل زكاتَه .
وقال فى النخلِ : عندَ الجَدادِ[2] يُطْعِمُ مِن الثمرةِ والشَّماريخِ ، فإذا كان عندَ كيلِه أَطْعَم مِن الثمرةِ[3] ، فإذا فرَغ عزَل زكاتَه .

حدَّثنا عمرُو بنُ علىٍّ ومحمدُ بنُ بشارٍ ، قالا : ثنا عبدُ الرحمنِ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن منصورٍ ، عن مجاهدٍ قولَه : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ قال : إذا حصَد الزرعَ أَلْقَى مِن السنبلِ ، وإذا جدَّ[4] النخلَ أَلْقَى مِن الشَّماريخِ ، فإذا كاله زكَّاه[5] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن سفيانَ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : عندَ الحصادِ ، وعندَ الدِّياسِ ، وعندَ الصِّرامِ يَقْبِضُ لهم منه ، فإذا كاله عزَل زكاتَه[6] .

وبه عن سفيانَ ، (7) عن منصورٍ (7) ، عن مجاهدٍ مثلَه ، إلا أنه قال : سوى الزكاةِ[8] .

حدَّثنا عمرُو بنُ علىٍّ ، قال : ثنا يحيى بنُ سعيدٍ ، عن سفيانَ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ . قال : شىءٌ سوى الزكاةِ فى

---

(١) الكدس : الحب المحصور المجموع وهو العَرَمَة من الطعام والتمر والدراهم ونحو ذلك ، وجمعه أكداس . التاج (ك د س) .

(٢) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣، س ، ف : « الجذاذ » .

(٣) فى ص ، م ، ت ١، ت ٢، ت ٣، س : « التمر » .

(٤) فى ص : « حزروا » ، وفى م : « جذ » ، وفى ف : « حرروا » ، وفى س : « جزوا » والمثبت من الناسخ والمنسوخ لأبى عبيد .

(٥) أخرجه ابن الجوزى فى نواسخ القرآن ص٣٣٣ من طريق عمرو بن على به ، وأخرجه أبو عبيد فى الناسخ والمنسوخ ص ٣٢، ٣٣ من طريق عبد الرحمن به .

(٦) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٩٨/٥ (٧٩٥١) من طريق وكيع به .

(٧ - ٧) سقط من : م ، ت ٢، ت ٣.

(٨) تفسير سفيان ص ١٠٩ .

الحَصادِ والجَدادِ ، إذا حصَدوا وإذا جذُّوا[(١)] .

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، في قولِ اللَّهِ : ﴿وَءَاتُوا حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ﴾ . قال : واجبٌ حينَ يَصْرِمُ[(٢)] .

حدَّثنا ابنُ المثنى ، قال : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، قال : ثنا شعبةُ ، [١/٨٠١ظ] عن منصورٍ ، عن مجاهدٍ أنه قال في هذه الآيةِ : ﴿وَءَاتُوا حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ﴾ . قال : إذا حصَد أطْعَم ، وإذا أدْخَله البَيْدَرَ[(٣)] ، وإذا داسَه أطْعَم منه .

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : ثنا ابنُ يَمانٍ ، عن سفيانَ ، عن أشعثَ ، عن ابنِ عمرَ ، قال : يُطْعِمُ الـمُعْتَرَّ[(٤)] سوى ما يُعْطِى مِن العُشْرِ ونصفِ العُشْرِ[(٥)] .

وبه عن سفيانَ ، عن منصورٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : قبضةٌ عندَ الحَصادِ ، وقبضةٌ عندَ الجَدادِ[(٦)] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا حفصٌ ، عن أشعثَ ، عن ابنِ سِيرينَ ، قال : كانوا يُعْطُون مَن اعْتَرَّ بهم الشيءَ[(٧)] .

---

(١) في ص : « حزروا » .
والأثر أخرجه ابن الجوزى في ناسخه ص ٣٣٣ من طريق عمرو بن على ، عن يحيى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد .

(٢) تفسير مجاهد ص٣٢٩ من قول مجاهد .

(٣) البيدر : الموضع الذى يداس فيه الطعام . تاج العروس (ب د ر) .

(٤) المعتر : المعترض للمعروف من غير أن يسأل . القاموس المحيط (ع ر ر) .

(٥) أخرجه النحاس في ناسخه ص ٤٢٣ ، والطبرانى في الأوسط (٦٠٤١) من طريقين عن أشعث عن نافع عن ابن عمر نحوه ، بزيادة نافع في إسناده ، وأخرجه أبو يوسف في الخراج ص١٦٥ (١٨) عن أشعث عن ابن سيرين عن ابن عمر نحوه ، وعزاه السيوطى في الدر المنثور ٤٩/٣ إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وأبى الشيخ وابن مردويه والبيهقى .

(٦) أخرجه ابن الجوزى في نواسخ القرآن ص٣٣٣ من طريق سفيان بنحوه .

(٧) أخرجه يحيى بن آدم في كتاب الخراج (٤١٢) - ومن طريقه البيهقى ١٣٢/٤ - عن حفص به . وأخرجه يحيى بن آدم في الخراج الموضع السابق ، وابن أبي شيبة ١٨٥/٣ ، والبيهقى ١٣٢/٤ من طريق أشعث به .

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : ثنا ابنُ يَمانٍ ، عن سفيانَ ، عن حمادٍ ، عن إبراهيمَ ، قال : الضِّغْثُ[1] .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ سعيدٍ ، عن سفيانَ ، عن حمادٍ ، عن إبراهيمَ ، قال : يُعْطِى مثلَ الضِّغْثِ .

/ حدَّثنا عمرُو بنُ عليٍّ ، قال : ثنا يحيى بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا سفيانُ ، قال : ثنا حمادٌ ، عن إبراهيمَ : ﴿ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ . قال : مثلُ هذا مِن الضِّغْثِ . ووضَع يحيى إصْبعَه الإبْهامَ على المَفْصِلِ الثانى مِن السَّبَّابةِ . ٥٧/٨

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن سفيانَ ، عن حمادٍ ، عن إبراهيمَ ، قال : نحوُ الضِّغْثِ[2] .

[3]حدَّثنا ابنُ وكيعٍ[3] ، قال : ثنا أبى ، عن إسرائيلَ ، عن جابرٍ ، عن أبى جعفرٍ ، و[4] عن سفيانَ ، عن حمادٍ ، عن إبراهيمَ ، قالا[5] : يُعْطِى ضِغْثًا[6] .

حدَّثنا عمرُو بنُ عليٍّ ، قال : ثنا كثيرُ بنُ هشامٍ ، قال : ثنا جعفرُ بنُ بُرْقانَ ، عن يزيدَ بنِ الأصَمِّ ، قال : كان النخلُ إذا صُرِم يَجِىءُ الرجلُ بالعِذْقِ مِن نخلِه ،

---

(١) الضغث : ملء اليد من الحشيش المختلط ، وقيل : الحزمة منه ومما أشبهه من البقول . النهاية ٣/ ٩٠.

(٢) أخرجه ابن أبى شيبة ٣/١٨٦ عن وكيع به ، وأخرجه يحيى بن آدم فى الخراج (٤١١) من طريق سفيان به .

(٣ - ٣) سقط من : ف ، ومكانه بياض فى : ص ، س .

(٤) سقط من : النسخ .

(٥) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « قال » .

(٦) أخرجه ابن أبى شيبة ٣/١٨٦ عن وكيع به ، وأخرجه يحيى بن آدم فى الخراج (٤١٠) عن إسرائيل ، عن جابر ، عن أبى جعفر وحده .

فيُعَلِّقُه[1] في جانبِ المسجدِ، فيَجِيءُ المسكينُ فيَضْرِبُه بعَصاه، فإذا تَناثَر أكَل منه، فدخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ، ومعه حسنٌ أو حسينٌ، فتناوَل تمرةً، فانْتَزَعها مِن فِيه، وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ لا يأْكُلُ الصدقةَ ولا أهلُ بيتِه، فذلك قولُه: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾[2].

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ، قال: ثنا خالدُ بنُ حَيَّانَ، عن جعفرِ بنِ بُرْقانَ، عن ميمونِ بنِ مِهْرانَ ويزيدَ بنِ الأصَمِّ، قالا: كان أهلُ المدينةِ إذا صرَموا يَجِيئون بالعِذْقِ فيَضَعونه في المسجدِ، ثم يَجِيءُ السائلُ فيَضْرِبُه بعَصاه فيَسْقُطُ منه، وهو قولُه: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾[3].

حدَّثنا عليُّ بنُ سهلٍ[4]، قال: ثنا زيدُ[5] بنُ أبي الزَّرْقاءِ، عن جعفرٍ، عن يزيدَ[6] وميمونٍ في قولِه: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾. قالا: كان الرجلُ إذا جدَّ[7] النخلَ يَجِيءُ بالعِذْقِ فيُعَلِّقُه في جانبِ المسجدِ، فيأْتِيه المسكينُ فيَضْرِبُه بعَصاه، فيأْكُلُ ما يَتَناثَرُ منه.

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ، قال: ثنا عبيدُ اللَّهِ، عن أبي جعفرٍ الرازيِّ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ قال: لَقَطُ[8] السُّنبُلِ[9].

---

(١) في ص، س، ف: «متعلقه».

(٢) ينظر البخاري (١٤٩١)، ومسلم (١٠٦٩).

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٩/٣ إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ.

(٤) في م، ت ١، ت ٢، ت ٣، س: «سهم». وينظر تهذيب الكمال ٢٠/ ٤٥٤.

(٥) في ف: «يزيد». وينظر تهذيب الكمال ١٠/ ٧٠.

(٦) في النسخ: «زيد» والمثبت هو الصواب، ويزيد هو ابن الأصم السابق ذكره في الأثرين السابقين. وينظر تهذيب الكمال ٣٢/ ٨٣.

(٧) في ص، س، ف: «حرر»، وفي م: «جذ».

(٨) اللقط: ما التقط من الشيء، وكل نثارة من سنبل أو ثمر، والواحدة لَقَطَة. تاج العروس (ل ق ط).

(٩) ينظر المحلى ٣٢٤/٥، وتفسير البغوي ١٩٥/٣، والبحر المحيط ٢٣٧/٤.

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن عبدِ الكريمِ الجزَرِيِّ ، عن مجاهدٍ ، قال : كانوا يُعَلِّقون العِذْقَ فى المسجدِ عندَ الصِّرامِ فيأْكُلُ منه الضعيفُ[1] .

وبه عن معمرٍ ، قال : قال مجاهدٌ : ﴿ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ : يُطْعِمُ الشيءَ عندَ صِرامِه .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا الحِمّانىُّ ، قال : ثنا شَريكٌ ، عن سالمٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ : ﴿ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ . قال : الضِّغْثُ وما يَقَعُ مِن السنبلِ[2] .

وبه عن سالمٍ ، عن سعيدٍ : ﴿ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ . قال : العَلَفُ .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا سُوَيْدٌ ، قال : أخبَرَنا ابنُ المباركِ ، عن شَريكٍ ، عن سالمٍ ، عن سعيدٍ فى قولِه : ﴿ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ . قال : كان هذا قبلَ الزكاةِ ، للمَساكينِ القبضةُ ، والضِّغْثُ لعلَفِ دابتِه[3] .

/ حدَّثنا عمرُو بنُ علىٍّ ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا محمدُ بنُ رِفاعةَ ، عن محمدِ بنِ كعبٍ فى قولِه : ﴿ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ . قال : ما قلَّ منه أو كثُر[4] . ٨/٥٨

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا ابنُ عُيَيْنةَ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، [5]عن مجاهدٍ[5] : ﴿ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ . قال : عندَ الزرعِ

(١) تفسير عبد الرزاق ٢١٩/١ عن معمر به ، وفيه : فيأكل منه الضيف ومن مر به ، وأخرج نحوه ابن زنجويه فى الأموال (١٣٧٨) من طريق خصيف عن مجاهد .

(٢) أخرجه يحيى بن آدم فى الخراج (٣٩٩، ٤٠٩) ، وأبو يوسف فى الخراج (٢١) من طريق سالم به بنحوه .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٣٤٢/٣ عن ابن المبارك به .

(٤) ينظر الناسخ والمنسوخ للنحاس ص ٤٢٤، والبحر المحيط ٢٣٧/٤ .

(٥ - ٥) سقط من النسخ ، والمثبت من مصادر التخريج .

يُعْطِى القَبْصَ[(١)]، وعندَ الصِّرامِ يُعْطِى القبضَ، ويَتْرُكُهم فَيَتَتَبَّعون آثارَ الصِّرامِ[(٢)].

وقال آخرون: كان هذا شيئًا أمَرَ اللَّهُ به المؤمنين قبلَ أن تُفْرَضَ عليهم الصدقةُ الموقتةُ، ثم نسَخَتْه الصدقةُ المعلومةُ، فلا فرضَ فى مالٍ كائنًا ما كان، زرعًا كان أو غَرْسًا، إلا الصدقةَ التى فرَضَها اللَّهُ فيه.

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ، قال: أبو معاويةَ، عن حجاجٍ، عن الحكمِ، عن مِقْسَمٍ، عن ابنِ عباسٍ، قال: نسَخَها العُشْرُ ونصفُ العُشْرِ[(٣)].

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ، قال: ثنا حفصٌ، عن الحجاجِ، عن الحكمِ، عن ابنِ عباسٍ، قال: نسَخَها العُشْرُ ونصفُ العُشْرِ[(٤)].

وبه عن حجاجٍ، عن سالمٍ، عن ابنِ الحَنَفِيَّةِ، قال: نسَخَها العُشْرُ ونصفُ العشرِ[(٥)].

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ، قال: ثنا يحيى بنُ آدمَ، عن شَريكٍ، عن سالمٍ، عن سعيدِ

---

(١) فى م، ت ١، ت ٢، ت ٣، س، ف: «القبض» بالضاد المعجمة، والقبص بالصاد المهملة: الأخذ بأطراف الأصابع، والقبض بالمعجمة: الأخذ بجميع الكف. النهاية ٤/٥، ٦، وقد وقع تفسير الكلمتين جميعا فى رواية البيهقى.

(٢) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ١/ ٢١٩، وفى مصنفه (٧٢٦٤)، ويحيى بن آدم فى الخراج (٤٠٢)، وسعيد بن منصور فى سننه (٩٢٢ - تفسير)، والبيهقى ٤/١٣٢ من طريق ابن عيينة به.

(٣) تقدم تخريجه فى ص ٥٩٩.

(٤) أخرجه يحيى بن آدم فى الخراج (٣٩٧)، وابن أبى شيبة ٣/١٨٥ من طريق حفص به.

(٥) أخرجه ابن أبى شيبة ٣/١٨٥ عن حفص به.

ابنِ جُبيرٍ : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ . قال : هذا قبلَ الزكاةِ ، فلمَّا نزَلَت الزكاةُ نسَخَتها ، فكانوا يُعْطُون الضِّغْثَ[1] .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ وابنُ[2] وَكيعٍ ، قالا : ثنا جريرٌ ، عن مغيرةَ ، عن شِباكٍ ، عن إبراهيمَ : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ . قال : كانوا يفعلون ذلك حتى سُنَّ العُشْرُ ونصفُ العشرِ ، فلمَّا سُنَّ العشرُ ونصفُ العشرِ ، تُرِك[3] .

حدَّثنا عمرُو بنُ عليٍّ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مَهْدىٍّ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن مغيرةَ ، عن شِبَاكٍ ، عن إبراهيمَ : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ . قال : هى مَنْسوخةٌ ، نسَخَتها العُشْرُ ، ونصفُ العشرِ[4] .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا يحيى ، [١/٨٠٢و] عن سفيانَ ، عن المغيرةِ ، عن إبراهيمَ : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ : قال : نسَخَتها العُشرُ ونصفُ العُشرِ[5] .

حدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : ثنا ابنُ يَمانٍ ، عن سفيانَ ، عن مغيرةَ ، عن شِبَاكٍ ، عن إبراهيمَ ، قال : نسَخَتْها العشرُ ونصفُ العشرِ .

وبه عن سفيانَ ، عن يونُسَ ، عن الحسنِ ، قال : نسَخَتْها الزكاةُ[6] .

---

(١) أخرجه يحيى بن آدم فى كتاب الخراج (٤٠٧) – ومن طريقه البيهقى ٤/ ١٣٣– وأخرجه أبو عبيد فى الناسخ ص ٣٣، والنحاس فى ناسخه ص٤١٩ من طريق شريك به بنحوه .

(٢) فى النسخ : « أبو » .

(٣) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٩٢٧ – تفسير) عن جرير به ، وأخرجه أبو يوسف فى الخراج (١٩) عن مغيرة به .

(٤) أخرجه يحيى بن آدم فى الخراج (٤٠٥) ، وابن أبى شيبة ٣/ ١٨٥، والنحاس فى ناسخه ص٤٢٠ من طريق سفيان به .

(٥) تفسير سفيان ص ١٠٩، وأخرجه يحيى بن آدم فى الخراج (٤٠٤) ، والبيهقى ١٣٢/٤ من طريق إسرائيل ، عن مغيرة به بلفظ : نسختها آية الزكاة .

(٦) أخرجه ابن أبى شيبة ١٨٦/٣ من طريق سفيان به .

وبه عن سفيانَ ، عن السديّ ، قال : نسَخَتْها الزكاةُ : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾[(١)] .

حدَّثني يعقوبُ ، قال : ثنا هُشَيْمٌ ، قال : أخْبرَنا مغيرةُ ، عن شِبَاكٍ ، عن إبراهيمَ في قولِه : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ . قال : هذه السورةُ مكيةٌ نسَختها العُشرُ ونصفُ العُشرِ . قلتُ : عمَّن ؟ قال : عن العلماءِ[(٢)] .

٥٩/٨ / وبه عن سفيانَ ، عن مغيرةَ ، عن شِبَاكٍ ، عن إبراهيمَ ، قال : نسَختها العُشرُ ونصفُ العُشرِ .

حدَّثني محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السديِّ : أما : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ . فكانوا إذا مرَّ بهم أحدٌ يومَ الحَصادِ أو الجَدادِ[(٣)] أطْعَموه منه ، فنسَخَها اللَّهُ عنهم بالزكاةِ ، وكان فيما أنْبَتَتِ الأرضُ ، العشرُ ونصفُ العشرِ .

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : ثنا عبدُ الأعلى ، عن يونُسَ ، عن الحسنِ ، قال : كانوا يَرْضَخون لقَرابتِهم مِن المشركين[(٤)] .

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : ثنا ابنُ إدريسَ ، عن أبيه ، عن عطيةَ : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ قال : نسَخه العُشْرُ ونصفُ العشرِ ، كانوا يُعْطُون إذا حصَدوا وإذا

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ١٨٦/٣ من طريق سفيان به بنحوه ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٩/٣ إلى عبد بن حميد وأبي داود في ناسخه وابن المنذر ، وينظر كتاب الخراج ليحيى بن آدم (٤٠٦) .

(٢) أخرجه ابن زنجويه في الأموال (١٣٧٩) ، وابن الجوزي في نواسخ القرآن ص٣٣٤ من طريق هشيم به بنحوه .

(٣) في ص ، ت ١: « الحزاز » ، وفي م ، ت ٢، س ، ف : « الجذاذ » .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٩٨/٥ (٧٩٥٦) من طريق يونس به بنحوه .

ذَرَّوا، فنسَخَتْها العشرُ ونصفُ العشرِ[1].

وأولى الأقوالِ فى ذلك عندى بالصوابِ قولُ مَن قال: كان ذلك فرضًا فرَضه اللَّهُ على المؤمنين فى طعامِهم وثمارِهم التى تُخْرِجُها[2] زُروعُهم وغُروسُهم، ثم نسَخه اللَّهُ بالصدقةِ المفروضةِ والوظيفةِ المعلومةِ مِن العشرِ ونصفِ العشرِ، وذلك أن الجميعَ مُجْمِعون لا خلافَ بينَهم أن صدقةَ الحَرْثِ لا تُؤْخَذُ إلا بعدَ الدِّياسِ والتَّنْقيةِ والتَّذْريةِ، وأن صدقةَ التمرِ لا تُؤْخَذُ إلا بعدَ الجَفافِ[3].

فإذا كان ذلك كذلك، وكان قولُه جلَّ ثناؤُه: ﴿وَءَاتُوا حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ يُنْبِئُ عن أنه أمرٌ مِن اللَّهِ جلَّ ثناؤُه بإيتاءِ حقِّه يومَ حَصادِه، وكان يومُ حَصادِه هو يومَ جدِّه[4] وقطعِه، والحَبُّ لا شكَّ أنه فى ذلك اليومِ فى سُنْبُلِه، والثمرُ[5] وإن كان ثمرَ نخلٍ أو كَرْمٍ غيرُ مُسْتَحْكَمٍ جُفوفُه ويُبْسُه، وكانت الصدقةُ مِن الحَبِّ إنما تُؤْخَذُ بعدَ دِياسِه وتذريتِه وتنقيتِه كَيْلًا، والتمرُ إنما تُؤْخذُ صدقتُه بعدَ اسْتِحْكامِ يُبْسِه وجُفوفِه كَيْلًا، عُلِم أن ما تُؤْخَذُ صدقتُه[6] بعدَ حينِ حَصْدِه غيرُ الذى يَجِبُ إيتاؤُه المساكينَ يومَ حَصادِه.

فإن قال قائلٌ: وما تُنْكِرُ أن يَكونَ ذلك إيجابًا مِن اللَّهِ فى المالِ حقًّا سوى الصدقةِ المفروضةِ؟

قيل: لأنه لا يَخْلُو أن يَكونَ ذلك فرضًا واجبًا أو نفلًا.

---

(١) أخرجه ابن أبى شيبة ٣/ ١٨٦، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٥/١٣٩٨ (٧٩٥٤)، وابن الجوزى فى نواسخ القرآن ص ٣٣٤، من طريق ابن إدريس به.

(٢) فى ت ١، س، ف: «يخرجونها».

(٣) فى ص، ت ٢، ف: «الاحرار».

(٤) فى م، ت ٢: «جذه»، وفى ت ١، س: «حدوه»، وفى ف: «حذوه».

(٥) فى ص، ت ١، س، ف: «الثمرة».

(٦) فى م: «صدقة».

فإن يكن فرضًا واجبًا، فقد وجَب أن يَكونَ سبيلُه سبيلَ الصدقاتِ المفروضاتِ التي مَن فرَّط في أدائِها إلى أهلِها، كان بربِّه آثمًا، ولأمرِه مخالفًا، وفي قيامِ الحُجَّةِ بأن لا فرضَ للَّهِ في المالِ بعدَ الزكاةِ يَجِبُ وجوبَ الزكاةِ سوى ما يَجِبُ مِن النفقةِ لمن يَلْزَمُ المرءَ نفقتُه، ما يُنْبِئُ عن أن ذلك ليس كذلك.

أو يكونُ ذلك نَفْلًا، فإن يَكُنْ ذلك كذلك، فقد وجَب أن يَكونَ الخيارُ في إعطاءِ ذلك إلى ربِّ الحَرْثِ والثمرِ، وفي إيجابِ القائلين بوجوبِ ذلك ما يُنْبِئُ عن أن ذلك ليس كذلك.

وإذا خرَجت الآيةُ مِن أن يَكونَ مُرادًا بها الندبُ، وكان غيرَ جائزٍ أن يَكونَ لها مَخْرَجٌ في وجوبِ الفرضِ بها في هذا الوقتِ، عُلِم أنها مَنسوخةٌ.

ومما يُؤَيِّدُ ما قلنا في ذلك مِن القولِ دليلًا على صحتِه، أنه جلَّ ثناؤُه أتبَع قولَه: ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ - ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾. ومعلومٌ أن مِن حُكْمِ اللَّهِ في عبادِه مُذْ فرَض في أموالِهم الصدقةَ المفروضةَ الموقتةَ القَدْرِ، أن القائمَ بأخْذِ ذلك ساسَتُهم ورُعاتُهم. وإذا كان ذلك كذلك، فما وجهُ نهيِ ربِّ المالِ عن الإسرافِ في إيتاءِ ذلك، والآخِذُ مُجْبِرٌ[(1)]، وإنما يأْخُذُ الحقَّ الذي فرَض اللَّهُ فيه؟

٦٠/٨ / فإن ظنَّ ظانٌّ أن ذلك إنما هو نهيٌ مِن اللَّهِ القَيِّمَ بأخْذِ ذلك مِن الرُّعاةِ عن التعدِّي في مالِ ربِّ المالِ، والتجاوزِ إلى أخْذِ ما لم يُبَحْ له أخْذُه، فإن آخِرَ الآيةِ، وهو قولُه: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾. معطوفٌ على أولِه، وهو قولُه: ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾. فإن كان المنهيُّ عن الإسرافِ القيِّمُ بقبضِ ذلك، فقد يَجِبُ أن يكونَ المأمورُ بإيتائِه[(2)] المنهيَّ عن الإسرافِ فيه، وهو السلطانُ.

---

(١) في ص، س، ف: «مخير».

(٢) في م: «بإتيانه».

وذلك قولٌ إن قاله قائلٌ ، كان خارجًا مِن قولِ جميعِ أهلِ التأويلِ ، ومُخالِفًا المعهودَ مِن الخطابِ ، وكفَى بذلك شاهدًا على خطئِه .

فإن قال قائلٌ : وما تُنكِرُ أن يكونَ معنى قولِه : ﴿ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ : وآتُوا حقَّه يومَ كيلِه ، لا يومَ قَصْلِه[1] وقطعِه ، ولا يومَ جَدادِه[2] وقِطافِه ، فقد علمتَ مَن قال ذلك مِن أهلِ التأويلِ ؟

وذلك ما حدَّثنا يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا هشيمٌ ، قال : أخبَرَنا جويبرٌ ، عن الضحاكِ في قولِه : ﴿ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ . قال : يومَ كيلِه[3] .

وحدَّثنا المثنى ، قال : ثنا عمرُو بنُ عونٍ ، قال : أخبرنا هشيمٌ ، عن الحجاجِ ، [٨٠٢/١ظ] عن سالمٍ المكيِّ ، عن محمدِ ابنِ الحنَفيةِ قولَه : ﴿ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ . قال : يومَ كيلِه يُعْطِي العُشْرَ ونصفَ العُشْرِ[4] .

مع آخَرين قد ذَكرتَ الروايةَ فيما مضَى عنهم بذلك ؟

قيل : لأن[5] يومَ كيلِه غيرُ يومِ حَصادِه ، ولن يَخْلُوَ معنى قائلى هذا القولِ مِن أحدِ أمرَيْن ؛ إما أن يكونوا وجَّهوا معنى الحصادِ إلى معنى الكيلِ ، فذلك ما لا يُعْقَلُ في كلامِ العربِ ؛ لأن الحصادَ والحصدَ في كلامِهم الجدُّ[6] والقطعُ لا الكيلُ . أو يكونوا وجَّهوا تأويلَ قولِه : ﴿ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ . إلى : وآتوا حقَّه بعدَ

(١) في ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، س : « فصله » . وقصل الزرع : قطعه وهو أخضر . ينظر القاموس المحيط (ق ص ل) .

(٢) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « جذاذه » .

(٣) أخرجه يحيى بن آدم في كتاب الخراج (٤١٣) ، وابن أبي شيبة ٣/ ١٨٦ ، من طريق عن جويبر به .

(٤) تقدم تخريجه ص ٥٩٨ .

(٥) بعده في ص ، ت ١ ، س ، ف : « كل » .

(٦) في م ، ت ١ ، ت ٣ ، ف : « الجذ » .

يومِ حَصادِه إذا كِلْتُموه . فذلك خلافُ[١] ظاهرِ التنزيلِ ، وذلك أن الأمرَ فى ظاهرِ التنزيلِ بإيتاءِ الحقِّ منه يومَ حَصادِه ، لا بعدَ يومِ حَصادِه ، ولا فرقَ بينَ قائلٍ : إنما عنَى اللَّهُ بقولِه : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ : بعدَ يومِ حَصادِه . وآخرَ قال : عنَى بذلك قبلَ يومِ حَصادِه . لأنهما جميعًا قائلان قولًا ، دليلُ ظاهرِ التنزيلِ بخلافِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ .

اختَلَف أهلُ التأويلِ فى « الإسرافِ » الذى نهَى اللَّهُ عنه بهذه الآيةِ ، ومَن المنهىُّ عنه ؛ **فقال بعضُهم** : المنهىُّ عنه ربُّ النخلِ والزرعِ والثمرِ ، والسَّرَفُ الذى نهَى اللَّهُ عنه فى هذه الآيةِ مُجاوَزةُ القَدْرِ فى العَطِيَّةِ إلى ما يُجْحِفُ بربِّ المالِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا عمرُو بنُ علىٍّ ، قال : ثنا المعتمرُ بنُ سليمانَ ، قال : ثنا عاصمٌ ، عن أبى العاليةِ فى قولِه : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ﴾ الآية . قال : كانوا يُعْطُون شيئًا سوى الزكاةِ ، ثم تَسارَفوا ، فأنزَل اللَّه : ﴿ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾[٢] .

٦١/٨ /حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنا معتمرُ بنُ سليمانَ ، عن عاصمٍ الأحولِ ، عن أبى العاليةِ : ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ قال : كانوا يُعْطُون يومَ

---

(١) بعده فى ص ، ت ١ ، س : « دليل » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٩٩/٥ (٧٩٦١) من طريق عمرو به ، وأخرجه ابن أبى شيبة ١٨٥/٣ عن معتمر به مقتصرا على أوله ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٩/٣ إلى أبى الشيخ .

الحصادِ شيئًا[(١)] ، ثم تَبَاذَروا[(٢)] فيه وأسرَفوا ، فقال اللَّهُ : ﴿ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾[(٣)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : نزَلَت فى ثابتِ بنِ قيسِ بنِ شَمَّاسٍ ، جدَّ[(٤)] نخلًا فقال : لا يَأْتِينَّ اليومَ أحدٌ إلا أطْعَمْتُه . فأطْعَم حتى أمْسَى وليست له ثمرةٌ ، فقال اللَّهُ : ﴿ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾[(٥)] .

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : ثنا محمدُ بنُ بكرٍ ، عن ابنِ جُريجٍ ، قال : قلتُ لعَطاءٍ : ﴿ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ﴾ . يقولُ : لا تُسْرِفوا ، فيما يُؤْتِى يومَ الحَصادِ ، أم فى كلِّ شيءٍ ؟ قال : بلى ، فى كلِّ شيءٍ يَنْهَى عن السَّرَفِ . قال : ثم عاوَدْتُه بعدَ حِينٍ ، فقلتُ : ما قولُه : ﴿ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ ؟ قال : يَنْهَى عن السَّرَفِ فى كلِّ شيءٍ . ثم تلا : ﴿ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ ﴾[(٦)] [الفرقان: ٦٧] .

حدَّثنا عمرُو بنُ عليٍّ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ هارونَ ، قال : أخبَرَنا سفيانُ بنُ حسينٍ ، عن أبى بشرٍ ، قال : أطاف الناسُ بإياسِ بنِ معاويةَ بالكوفةِ ، فسألوه : ما

---

(١) بعده فى م : « سوى الزكاة » .

(٢) فى ص ، م ، ت ١ : « تباروا » .

(٣) بعده فى م : « حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا معتمر بن سليمان ، عن عاصم الأحول ، عن أبى العالية : ﴿ وآتوا حقه يوم حصاده ﴾ قال : كانوا يعطون يوم الحصاد شيئًا ، ثم تسارفوا ، فقال الله : ﴿ ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين ﴾ » .

(٤) فى م ، ف : « جذ » .

(٥) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٣٤٣/٣ عن ابن جريج ، وعزاه إلى المصنف ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٩/٣ إلى المصنف وأبى حاتم ، وينظر الناسخ والمنسوخ للنحاس ص ٤٣٠ .

(٦) أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه (٧٢٦٣) عن ابن جريج به ، ضمن أثر طويل ، وليس فيه ذكر المعاودة .

السَّرَفُ ؟ فقال : ما تَجاوَزَ[(١)] أمرَ اللَّهِ فهو سَرَفٌ[(٢)] .

حدَّثني محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ مفضلٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ﴾ : لا تُعطُوا أموالَكم فتغْدُوا فُقراءَ[(٣)] .

وقال آخَرون : الإسرافُ الذى نَهَى اللَّهُ عنه فى هذا الموضعِ منعُ الصدقةِ والحقِّ الذى أمَر اللَّهُ ربَّ المالِ بإيتائِه أهلَه بقولِه : ﴿ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : ثنا محمدُ بنُ بكرٍ ، عن ابنِ جريجٍ ، قال : أخْبرنى أبو بكرِ بنُ عبدِ اللَّهِ ، عن عمرِو بنِ سُلَيْمٍ وغيرِه ، عن سعيدِ بنِ المسيبِ فى قولِه : ﴿ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ﴾ . قال : لا تَمْنَعوا الصدقةَ فتَعْصُوا[(٤)] .

حدَّثنا عمرُو بنُ عليٍّ ، قال : ثنا محمدُ بنُ الزِّبْرِقانِ ، قال : ثنا موسى[(٥)] بنُ عبيدةَ ، عن محمدِ بنِ كعبٍ : ﴿ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ : والسَّرَفُ ألا يُعْطِىَ فى حقٍّ[(٦)] .

(١) سقط من : ت ٣ ، وفى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، س ، ف : « وزه » وكتب فوقها فى ص ، س : « ط » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٧٢٦/٨ من طريق عمرو بن على به ، وفيه زيادة ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٠/٣ إلى أبى الشيخ . ووقع فى الدر المنثور : سعيد بن جبير عن أبى بشر . وهو خطأ صوابه ما عند المصنف وابن أبى حاتم .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٩٩/٥ ، ١٤٦٥ (٧٩٦٧ ، ٨٣٨٥) من طريق أحمد بن مفضل به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٩/٣ إلى أبى الشيخ .

(٤) أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه (٧٢٦٧) - ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٩٩/٥ ، ١٤٦٥ (٧٩٦٥ ، ٨٣٨٤) - عن ابن جريج به .

(٥) فى النسخ : « محمد » ، وقد مرَّ على الصواب ص ٥٩٥ ، وينظر تهذيب الكمال ١٠٤/٢٩ .

(٦) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٩٩/٥ ، ١٤٦٥ (٧٩٦٣ ، ٨٣٨٢) من طريق عمرو به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٩/٣ ، ٥٠ إلى أبى الشيخ .

وقال آخرون: إنما خُوطِب بهذا السلطانُ، نُهِى أن يَأْخُذَ مِن ربِّ المالِ فوقَ الذى ألْزَم اللَّهُ مالَه.

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا يونُسُ بنُ عبدِ الأعلى، قال: أخبرنا ابنُ وهبٍ، قال: قال ابنُ زيدٍ فى قولِه: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾. قال: قال للسلطانِ: لا تُسْرِفوا، لا تأْخُذوا بغيرِ حقٍّ، فكانت هذه الآيةُ بينَ السلطانِ وبينَ الناسِ. يعنى قولَه: ﴿كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ﴾ الآية[(1)].

والصوابُ مِن القولِ فى ذلك عندى أن يقالَ: إن اللَّهَ تعالى ذكرُه نهَى بقولِه: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ عن جميعِ مَعانى الإسرافِ، ولم يَخْصُصْ منها معنًى دون معنًى.

وإذ كان ذلك كذلك، وكان الإسرافُ فى كلامِ العربِ الإخطاءَ بإصابةِ الحقِّ فى العَطِيةِ، إما بتَجاوُزِ حدِّه فى الزيادةِ، وإما بتقصيرٍ عن حدِّه الواجبِ - / كان ٦٢/٨ معلومًا أن المُفرِّقَ مالَه مُباراةً، والباذلَه للناسِ حتى أجْحَفَت به عطيتُه، مُسْرِفٌ بتَجاوُزِه حدَّ اللَّهِ إلى ما ليس[(2)] له، وكذلك المُقَصِّرُ فى بذلِه فيما ألْزَمَه اللَّهُ بذلَه فيه، وذلك [١/٨٠٣و] [(3)]كمنعِه ما ألْزَمه إيتاءَه[(3)] منه أهلَ سُهْمانِ الصدقةِ إذا وجَبَت فيه، أو منعِه مَن ألْزَمه اللهُ نفقتَه مِن أهلِه وعِيالِه ما ألْزَمه منها، وكذلك السلطانُ فى أخذِه مِن رعيتِه ما لم يَأْذَنِ اللَّهُ بأخذِه، كلُّ هؤلاء فيما فعَلوا مِن ذلك مُسْرِفون، داخِلون فى معنى مَن أتَى ما نهَى اللَّهُ عنه مِن الإسرافِ بقولِه: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾. فى عطيتِكم

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٠٠/٥ (٧٩٦٨) من طريق أصبغ، عن ابن زيد بنحوه.

(٢) فى ص، م، ت ١، ت ٢، ت ٣، ف: «كيفته»، وفى س: «كلفته». والمثبت ما يستقيم به السياق.

(٣ - ٣) فى ت ١، س، ف: «كمانعه ما ألزمه إياه».

مِن أموالِكم ما يُجْحِفُ بكم ، إذ كان ما قبلَه مِن الكلامِ أمرًا مِن اللَّهِ بإيتاءِ[1] الواجبِ فيه أهلَه يومَ حَصادِه ؛ فإن الآيةَ قد كانت تَنْزِلُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ بسببٍ خاصٍّ مِن الأمورِ ، والحكمُ بها على العامِّ ، بل عامّةُ آيِ القرآنِ كذلك . فكذلك قولُه : ﴿ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ .

ومِن الدليلِ على صحةِ ما قلنا مِن معنى الإسرافِ ، أنه على ما قلنا ، قولُ الشاعرِ[2] :

أعْطَوْا هُنَيْدةَ يَحْدُوها ثمانيةٌ   ما في عَطائِهمُ منٌّ ولا سَرَفُ

يعنى بالسَّرَفِ الخطأَ في العَطِيّةِ[3] .

القولُ في تأويلِ قولِه : ﴿ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : وأنْشأ مِن الأنعامِ حَمولةً وفَرْشًا ، مع ما أنْشأ مِن الجنّاتِ المعْروشاتِ وغيرِ المعروشاتِ .

و« الحَمولةُ » : ما حُمِل عليه مِن الإبلِ وغيرِها .

و « الفَرْشُ » : صِغارُ الإبلِ التي لم تُدْرِكْ أن يُحْمَلَ عليها .

واخْتلَف أهلُ التأويلِ في تأويلِ ذلك ؛ فقال بعضُهم : الحَمولةُ ما حُمِل عليه مِن كبارِ الإبلِ ومَسَانِّها ، والفَرْشُ صِغارُها التي لا يُحْمَلُ عليها لصِغَرِها .

---

(١) في ص ، ف : « ثابتا » .

(٢) هو جرير ، وتقدم تخريجه في ٦/ ٤٠٥.

(٣) بعده في ص : « تم الجزء التاسع بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ومنّه ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما ، يتلوه في العاشر إن شاء الله تعالى القول في تأويل قوله ﴿ ومن الأنعام حمولة وفرشا ﴾ وكان الفراغ من كتابته في جمادى الأولى سنة خمس عشرة وسبعمائة أحسن الله تقضيها وخاتمتها في خير وعافية ، والله المعين على تكملة جميع الكتاب إن شاء الله تعالى ، غفر الله لمؤلفه ولصاحبه ولكاتبه ولمن نظر فيه ودعا لهم بالمغفرة ورضى الله والجنة ولجميع المسلمين . الحمد لله رب العالمين . بسم الله الرحمن الرحيم رب يسّر».

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن سفيانَ ، عن أبى إسحاقَ ، عن أبى الأحْوصِ ، عن عبدِ اللَّهِ فى قولِه : ﴿ حَمُولَةً وَفَرْشًا ﴾ . قال : الحَمولةُ الكبارُ مِن الإبلِ ، ﴿ وَفَرْشًا ﴾ الصِّغارُ مِن الإبلِ[1] .

وقال : ثنا أبى ، عن أبى بكرٍ الهُذَلىِّ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ : الحَمولةُ هى الكبارُ ، والفَرْشُ الصغارُ مِن الإبلِ[2] .

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : ثنا عُبيدُ اللَّهِ ، عن إسرائيلَ ، عن أبى يحيى ، عن مجاهدٍ ، قال : الحَمولةُ ما حمَل مِن الإبلِ ، والفَرْشُ ما لم يَحْمِلْ[3] .

وبه عن إسرائيلَ ، عن خُصَيْفٍ ، عن مُجاهدٍ : الحَمولةُ ما حمَل مِن الإبلِ ، والفَرْشُ ما لم يَحْمِلْ .

/ حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿ وَفَرْشًا ﴾ قال : صِغارُ الإبلِ . ٦٣/٨

حدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن أبى إسحاقَ ، عن أبى الأحْوصِ ، عن عبدِ اللَّهِ فى قولِه : ﴿ حَمُولَةً وَفَرْشًا ﴾ . قال : الحَمولةُ الكبارُ ، والفرشُ الصغارُ[4] .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥/١٤٠٠ (٧٩٧٠، ٧٩٧٤) ، والطبرانى (٩٠١٨) ، والحاكم ٢/٣١٧ من طريق سفيان به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/٥٠ إلى الفريابى وعبد بن حميد وابن المنذر وأبى الشيخ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥/١٤٠١ (٧٩٧٥) من طريق مجاهد عن ابن عباس بتفسير « الفرش » وحده ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/٥٠ إلى عبد بن حميد وأبى الشيخ .

(٣) ينظر تفسير ابن كثير ٣/٣٤٣ .

(٤) أخرجه أبو عبيد فى الأموال (٩٦٩) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٥/١٤٠٠ (٧٩٧١) من طريق عبد الرحمن به مقتصرًا على أوله ، وهو فى تفسير مجاهد ص ٣٣٠ من طريق أبى إسحاق به .

حدَّثني يونُسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن أبي إسحاقَ ، عن أبي الأحوصِ ، عن ابنِ مسعودٍ في قولِه : ﴿ حَمُولَةً وَفَرْشًا ﴾ : الحَمولةُ [(1)]ما حمَل مِن الإبلِ[(1)] ، والفرشُ هن الصِّغارُ .

حدَّثنا محمدُ بنُ المثنى ، قال : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، قال : ثنا شعبةُ ، عن أبي إسحاقَ ، عن أبي الأحوصِ عن عبدِ اللَّهِ أنه قال في هذه الآيةِ : ﴿ حَمُولَةً وَفَرْشًا ﴾ . قال : الحَمولةُ ما حُمِل عليه مِن الإبلِ ، والفَرْشُ الصِّغارُ[(2)] .

قال ابنُ المثنى : قال محمدٌ : قال شعبةُ : إنما كان حدَّثني سفيانُ ، عن أبي إسحاقَ .

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا المعتمرُ بنُ سليمانَ ، عن أبيه ، قال : قال الحسنُ : الحَمولةُ مِن الإبلِ والبقرِ[(3)] .

وقال بعضُهم : الحَمولةُ مِن الإبلِ ، وما لم يَكُنْ مِن الحَمولةِ فهو الفَرْشُ .

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ ، عن الحسنِ : ﴿ حَمُولَةً وَفَرْشًا ﴾ قال : الحَمولةُ ما حُمِل عليه ، والفَرْشُ حَواشِيها ، يعني صِغارَها[(4)] .

حدَّثني محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ﴾ : فالحَمولةُ ما حمَل مِن الإبلِ ، والفَرْشُ صِغارُ الإبلِ ؛ الفَصِيلُ وما دونَ ذلك مما لا يَحْمِلُ .

(١ - ١) في ت ٢، س، ف : « الكبار » .

(٢) أخرجه ابن زنجويه في الأموال (١٤٢٩) من طريق شعبة به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥/١٤٠٠ (٧٩٧٣) من طريق الربيع ، عن الحسن .

(٤) تفسير عبد الرزاق ١/٢١٩، ٢٢٠ عن قتادة ، وسقط منه ذكر معمر .

ويقالُ : الحَمولةُ مِن البقرِ والإبلِ ، والفَرْشُ الغنمُ .

وقال آخَرون : الحمولةُ : ما حُمِل عليه مِن الإبلِ والخيلِ والبِغالِ وغيرِ ذلك ، والفَرْشُ الغنمُ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ ، عن عليِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ﴾ : فأما الحَمولةُ فالإبلُ والخيلُ والبِغالُ والحميرُ وكلُّ شيءٍ يُحْمَلُ عليه ، وأما الفَرْشُ فالغنمُ[1] .

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : ثنا عبيدُ اللَّهِ ، عن أبى جعفرٍ ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ : الحَمولةُ مِن الإبلِ والبقرِ ، ﴿ وَفَرْشًا ﴾ المعزُ والضأنُ[2] .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ﴾ . قال : أما الحَمولةُ فالإبلُ والبقرُ . قال : وأما الفَرْشُ فالغنمُ[3] .

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ : كان غيرُ الحسنِ يقولُ : الحَمولةُ الإبلُ والبقرُ ، والفَرْشُ الغنمُ[4] .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥/ ١٤٠٠، ١٤٠١ (٧٩٧٢، ٧٩٧٦) من طريق عبد الله بن صالح به مفرقا ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/ ٥٠ إلى ابن المنذر .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥/ ١٤٠١ عقب الأثر (٧٩٧٦) من طريق أبى جعفر به ، وينظر تفسير ابن كثير ٣/ ٣٤٤.

(٣) ينظر تفسير ابن كثير ٣/ ٣٤٤ .

(٤) تفسير عبد الرزاق ١/ ٢٢٠ .

حدَّثني محمدُ بنُ الحسينِ، قال: ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ، [١/٨٠٣ظ] قال: ثنا أسباطُ، عن السديِّ: ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ /حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾: أما الحَمولةُ فالإبلُ، وأما الفَرْشُ فالفُصْلانُ والعَجَاجيلُ[١] والغنمُ، وما حُمِل عليه فهو حَمولةٌ[٢].

٦٤/٨

حُدِّثْتُ عن الحسينِ بنِ الفرجِ، قال: سمِعْتُ أبا مُعاذٍ، قال: ثنا عبيدُ بنُ سليمانَ، قال: سمِعْتُ الضحاكَ يقولُ في قولِه: ﴿حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾: الحَمولةُ الإبلُ، والفَرْشُ الغنمُ[٣].

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ، قال: ثنا أبي، عن أبي بكرٍ الهُذَليِّ، عن الحسنِ: ﴿وَفَرْشًا﴾. قال: الفَرْشُ الغنمُ[٤].

حدَّثني يونُسُ، قال: أخبَرَنا ابنُ وهبٍ، قال: قال ابنُ زيدٍ في قولِه: ﴿حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾. قال: الحمولةُ ما تَرْكَبون، والفَرْشُ ما تأْكُلون وتَحْلُبون، شاةٌ لا تَحْمِلُ، تأْكُلون لحمَها، وتتَّخِذون مِن أصوافِها لِحافًا وفَرْشًا[٢].

والصوابُ مِن القولِ في ذلك عندي أن يُقالَ: إن الحَمولةَ هي ما حمَل مِن الأنعامِ؛ لأن ذلك مِن صفتِها إذا حمَلَت، لا أنه اسمٌ لها كالإبلِ والخيلِ والبِغالِ، فإذا كانت إنما سُمِّيَت حَمولةً لأنها تَحْمِلُ، فالواجبُ أن يكونَ كلُّ ما حمَل على ظهرِه مِن الأنعامِ فحَمولةٌ، وهي جمعٌ لا واحدَ لها مِن لفظِها، كالرَّكوبةِ والجَزُورةِ، وكذلك الفَرْشُ إنما هو صفةٌ لما لطُف فقرُب مِن الأرضِ جسمُه، ويقالُ له: الفَرْشُ. وأَحْسَبُها سُمِّيَت بذلك تمثيلًا لها في استواءِ أسنانِها ولُطْفِها بالفَرْشِ مِن الأرضِ،

---

(١) عجاجيل جمع عِجَّوْل، وهو العِجْل. اللسان (ع ج ل).

(٢) ينظر تفسير ابن كثير ٣/٣٤٤.

(٣) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٥/١٤٠١ عقب الأثر (٧٩٧٦) معلقا بتفسير الفرش، وينظر تفسير ابن كثير ٣/ ٣٤٤.

(٤) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٥/١٤٠١عقب الأثر (٧٩٧٦) معلقا.

وهى الأرضُ المستويةُ التى يَتَوطَّؤُها الناسُ .

فأما « الحُمولةُ » بضمِّ الحاءِ فإنها الأحمالُ ، وهى الحُمولُ أيضًا بضمِّ الحاءِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ﴾ .

يقولُ جلَّ ثناؤُه : كلُوا مما رزَقكم اللَّهُ أيُّها المؤمنون ، فأحَلَّ لكم ثَمَراتِ حُروثِكم وغُروسِكم ولحومَ أنعامِكم ، إذ حرَّم بعضَ ذلك على أنفسِهم المشركون باللَّهِ ، فجعَلوا للَّهِ مما ذرَأ مِن الحرثِ والأنعامِ نصيبًا ، وللشيطانِ مثلَه ، فقالوا : هذا للَّهِ بزعمِهم ، وهذا لشُركائِنا ، ولا تتَّبِعُوا خُطُواتِ الشيطانِ كما اتَّبعها باحرُو البَحيرةِ ، ومُسَيِّبو السَّوائبِ ، فتُحرِّموا على أنفسِكم مِن طيبِ رزقِ اللَّهِ الذى رزَقكم ما حرَّموه ، فتُطِيعوا بذلك الشيطانَ ، وتَعْصُوا به الرحمنَ .

كما حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾ : لا تتَّبِعوا طاعتَه ، هى ذنوبٌ لكم ، وهى طاعةٌ للخَبيثِ[(١)] .

إن الشيطانَ لكم عدوٌّ يَبْغِى هلاكَكم ، وصدَّكم عن سبيلِ ربِّكم ﴿ مُبِينٌ ﴾ : قد أبان لكم عُدوانَه بمُناصَبتِه أباكم بالعَداوةِ ، حتى أخرَجه مِن الجنةِ بكيدِه ، وخدَعِه ؛ حسدًا[(٢)] منه له وبغيًا عليه .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٠٢/٥ (٧٩٨٤) من طريق أصبغ ، عن ابن زيد .

(٢) فى م ، ت ٢، ت ٣، س ، ف : « وحسدا » .

٦٥/٨ / وهذا تقريعٌ مِن اللهِ جلَّ ثناؤُه العادِلين به الأوثانَ مِن عبَدةِ الأصنامِ الذين بحَروا البَحائرَ ، وسيَّبوا السَّوائبَ ، ووصَلوا الوَصائلَ ، وتعليمٌ منه نبيَّه ﷺ والمؤمنين به الحجةَ عليهم فى تحريمِهم ما حرَّموا مِن ذلك ، فقال للمؤمنين به وبرسولِه : ﴿ وَهُوَ الَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ ﴾ . ومِن الأنعامِ أنشَأ حَمولةً وفَرْشًا . ثم بيَّن جلَّ ثناؤُه الحَمولةَ والفَرْشَ ، فقال : ﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ﴾ .

وإنما نصَب « الثمانيةَ » ؛ لأنها ترجمةٌ عن « الحَمولةِ » و « الفَرْشِ » ، وبدلٌ منها ، كأنَّ معنى الكلامِ : ومِن الأنعامِ أنشَأ ثمانيةَ أزواجٍ . فلمَّا قدَّم قبلَ « الثمانيةِ » « الحَمولةَ » و « الفَرْشَ » ، بيَّن ذلك بعدُ . فقال : ﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ﴾ على ذلك المعنى .

﴿ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ﴾ فذلك أربعةٌ ؛ لأن كلَّ واحدٍ مِن الاثنين مِن الضأْنِ زوجٌ ، فالأُنثى منه زوجُ الذكرِ ، والذكرُ منه زوجُ الأنثى ، وكذلك ذلك مِن المَعْزِ ، ومِن سائرِ الحيوانِ ، فلذلك قال جلَّ ثناؤُه : ﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ﴾ . كما قال : ﴿ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾ [الذاريات : ٤٩] . لأن الذكرَ زوجُ الأنثى ، والأنثى زوجُ الذكرِ ، فهُما وإن كانا اثنين فهما زَوْجان ؛ كما قال جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ [الأعراف : ١٨٩] . وكما قال : ﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ﴾ [الأحزاب : ٣٧] .

وكما حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبو مُعاويةَ ، عن جُويبرٍ ، عن الضحاكِ : ﴿ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ ﴾ : ذكرٍ وأنثى ، ﴿ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ﴾ ذكرٍ وأنثى ، ﴿ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ ﴾ : ذكرٍ وأنثى .

ويقالُ للاثنين : هما زوجٌ . كما قال لَبيدٌ[1] :

---

(١) شرح ديوان لبيد ص٣٠٠ .

مِن كلِّ مَحْفوفٍ[١] يُظِلُّ عِصِيَّهُ زوجٌ عليه كِلَّةٌ[٢] وقِرامُها[٣]

ثم قال لهم : كلُوا مما رزَقكم اللَّهُ مِن هذه الثمارِ واللحومِ ، وارْكبوا هذه الحَمولةَ أيُّها المؤمنون ، فلا تتَّبِعوا خُطُواتِ الشيطانِ فى تحريمِ ما حرَّم هؤلاءِ الجَهَلةُ بغيرِ أمرى إياهم بذلك . قلْ يا محمدُ لهؤلاء الذين حرَّموا [١/٨٠٤و] ما حرَّموا مِن الحرثِ والأنعامِ ؛ اتِّباعًا للشيطانِ مِن عَبَدةِ الأوثانِ والأصنامِ الذين زعَموا أن اللَّهَ حرَّم عليهم / ما هم مُحرِّمون من ذلك : ﴿ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ ﴾ ربُّكم أيُّها الكذَبةُ على اللَّهِ مِن الضأنِ والمَعزِ ؟ فإنهم إن ادَّعَوْا ذلك وأقرُّوا به ، كذَّبوا أنفسَهم ، وأبانوا جهلَهم ؛ لأنهم إذا قالوا : يُحَرِّمُ الذكرَيْن مِن ذلك . أوْجَبوا تحريمَ كلِّ ذكرَيْن مِن ولدِ الضأْنِ والمَعْزِ ، وهم يَسْتَمْتِعون بلحومِ بعضِ[٤] الذُّكْرانِ منها وظُهورِها . وفى ذلك فسادُ دَعْواهم ، وتكذيبُ قولِهم - ﴿ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ . فإنهم إن قالوا : حرَّم ربُّنا الأُنْثيَيْن . أوْجَبوا تحريمَ لحومِ كلِّ أنثى مِن ولدِ الضأْنِ والمَعْزِ على أنفسِهم وظهورِها ، وفى ذلك أيضًا تكذيبٌ لهم ، ودَحْضُ دَعْواهم أن ربَّهم حرَّم ذلك عليهم ، إذ كانوا يَسْتَمْتِعون بلُحومِ بعضِ ذلك وظهورِه - ﴿ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ . يقولُ : أم حرَّم ما اشْتَمَلَت عليه أرحامُ الأنثيين . يعنى : أرحامُ أُنثى الضأْنِ وأنثى المَعْزِ ، فلذلك قال : ﴿ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ . وفى ذلك أيضًا لو أقرُّوا به . فقالوا : حرَّم علينا ما اشْتَمَلَت عليه أرحامُ الأنثيين . بُطُولُ قولِهم ، وبيانُ كذِبِهم ؛ لأنهم كانوا يُقِرُّون بإقرارِهم بذلك أن اللَّهَ حرَّم عليهم ذكورَ الضأْنِ والمَعْزِ وإناثَها ، أن يأْكُلوا لحومَها ، أو يَرْكَبوا ظهورَها ، وقد كانوا يَسْتَمْتِعون ببعضِ ذكورِها وإناثِها .

و « ما » التى فى قولِه : ﴿ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ . نصبٌ

---

(١) يريد بالمحفوف هنا الهودج .

(٢) الكلة : الستر الرقيق يخاط كالبيت . اللسان (ك ل ل) .

(٣) القرام : ستر فيه رقم ونقوش . اللسان (ر ق م) .

سقط من : م ، ت ٢، ت ٣.

عطفًا بها على « الأُنثيين » .

﴿ نَبِّـُٔونِي بِعِلْمٍ ﴾ يقولُ : قلْ لهم : خبِّرونى بعلمِ ذلك على صحتِه ، أىَّ ذلك حرَّم ربُّكم عليكم ، وكيف حرَّم ؟ ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ فيما تَنْحَلُونه ربَّكم مِن دَعْواكم ، وتُضِيفُونه إليه[(١)] مِن تحريمِكم .

وإنما هذا إعلامٌ مِن اللَّهِ جلَّ ثناؤُه نبيَّه أن كلَّ ما قاله هؤلاء المشركون فى ذلك ، وأضافوه إلى اللَّهِ ، [(٢]فهو كَذِبٌ على اللَّهِ[٢)] ، وأنه لم يُحَرِّمْ شيئًا مِن ذلك ، وأنهم إنما اتَّبعوا فى ذلك خُطُواتِ الشيطانِ وخالَفوا أمرَه[(٣)] .

وبنحوِ الذى قلنا فى تأويلِ ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ﴾ الآية : إن[(٤)] كلَّ هذا لم أُحَرِّمْ منه قليلًا ولا كثيرًا ، ذكَرًا ولا أُنثى .

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ : ﴿ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ﴾ . قال : سَلْهم[(٥)] ﴿ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ ؟ أى : لم أُحَرِّمْ مِن هذا شيئًا ﴿ بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ . فذكَر مِن الإبلِ والبقرِ نحوَ ذلك[(٦)] .

---

(١) فى ص : « إليكم » .

(٢ - ٢) سقط من : ت ١، ت ٢، ت ٣، س ، ف .

(٣) فى ص ، ت ١، س ، ف : « أمرهم » .

(٤) كذا فى النسخ ، ولعل الصواب : « أى » . كما فى الأثر بعده .

(٥) فى ص : « سألهم » ، وفى ف : « سألتم » .

(٦) تفسير عبد الرزاق ١/ ٢٢٠ - ومن طريقه أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥/ ١٤٠٣، ١٤٠٤ (٧٩٩٥، ٧٩٩٧) عن معمر به .

حدَّثنا محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ﴾ : فى شأنِ ما نهَى اللَّهُ عنه مِن البَحيرةِ[(1)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن مجاهدٍ قولَه : ﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ﴾ . قال : هذا فى شأنِ ما نهَى اللَّهُ عنه مِن البَحائرِ والسُّيَّبِ . قال ابنُ جُريجٍ : يقولُ : مِن أين حرَّمْتُ هذا ؟ مِن قِبَلِ الذكرَيْن أم مِن قبَلِ الأنثيين ، أمَّا اشْتَمَلت عليه أرحامُ الأنثيين ؟ وإنها لا تَشْتَمِلُ إلا على ذكرٍ أو أنثى ، فمِن أين جاء التَّحريمُ ؟ فأجابوا هم : وجَدْنا آباءَنا كذلك يَفْعَلون .

/ حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ﴾ - ﴿ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ﴾ - ﴿ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ ﴾ . يقولُ : أنزَلْتُ لكم ثمانيةَ أزواجٍ مِن هذا الذى عدَدْتُ ، ذكرٍ وأنثى ، فالذكرَيْن حرَّمْتُ عليكم أم الأنثيين ، أمَّا اشْتَمَلَت عليه أرحامُ الأنثيين ؟ [(2)] أى : ما اشْتَمَلت عليه أرحام الأنثيين[(2)] ، ما تَشْتَمِلُ إلا على ذكرٍ أو أُنثى ، فما حرَّمْتُ عليكم ذكرًا ولا أُنثى مِن الثمانيةِ. إنما ذكَر هذا مِن أجلِ ما حرَّموا مِن الأنعامِ[(3)] . ٦٧/٨

حدَّثنى يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا ابنُ عُليَةَ ، عن أبى رَجاءٍ ، عن الحسنِ : ﴿ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ قال : ما حمَلَت الرَّحِمُ[(4)] .

---

(١) تفسير مجاهد ص ٣٣٠، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٠٢/٥ (٧٩٨٩) ، وعندهما : البحيرة والسائبة ، عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/ ٥٠، إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبى الشيخ .

(٢ - ٢) سقط من : ص ، ت ١ ، س ، ف .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥/ ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤ (٧٩٨٨، ٧٩٩٢، ٧٩٩٩) من طريق أحمد بن مفضل به ، وينظر الدر المنثور ٣/ ٥٠.

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٠٣/٥ (٧٩٩٤) من طريق ابن علية به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٠/٣ إلى أبى الشيخ .

حدَّثني يونُسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِه : ﴿ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ . قال : هذا لقولِهم : ﴿ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ﴾ [الأنعام: ١٣٩] . قال : وقال ابنُ زيدٍ في قولِه : ﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ﴾ . قال : الأنعامُ هي الإبلُ والبقرُ والضأنُ والمَعْزُ ، هذه الأنعامُ التي قال اللَّهُ : ﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ﴾ . قال : وقال في قولِه : ﴿ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ ﴾ : نَحْتَجِرُها على مَن نُريدُ وعمَّن نُريدُ . وقولِه : ﴿ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا ﴾ . قال : لا يَرْكَبُها أحدٌ ، ﴿ وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ [١/٨٠٤ظ] ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ﴾ [الأنعام: ١٣٨] . فقال: ﴿ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ : أيَّ هذيْن حرَّم على هؤلاء ؟ أي : أن تكونَ لهؤلاء حِلًّا وعلى هؤلاء حرامًا(١) ؟

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثني معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن عليِّ بنِ أبي طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ . يعني : هل تَشْتَمِلُ الرحمُ إلا على ذكرٍ أو أنثى ؟ فهل(٢) يُحرِّمون بعضًا ويُحِلُّون بعضًا(٣) ؟

حدَّثني محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ﴾ : فهذه أربعةُ أزْواجٍ ، ﴿ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ قُلْ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٠٤/٥ (٧٩٩٨) من طريق أصبغ عن ابن زيد ، وفيه زيادة .

(٢) في م : « فهم » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٠٣/٥ (٧٩٩٣) من طريق عبد الله بن صالح به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٠/٣ إلى ابن المنذر .

﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ . يقولُ : لم أُحَرِّمْ شيئًا مِن ذلك . ﴿نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ . يقولُ : كلُّه حلالٌ[1] .

و « الضأنُ » جمعٌ لا واحدَ له مِن لفظِه ، وقد يُجْمَعُ « الضأنُ » « الضَّئِينَ » و « الضِّئِين » ، مثلُ « الشَّعيرِ » و « الشِّعيرِ » ، كما يُجْمَعُ « العبدُ » على « عَبيدٍ » و « عِبيدٍ » . وأما الواحدُ مِن ذكورِه فـ « ضائنٌ » ، والأُنثى « ضائنةٌ » ، وجمعُ « الضائنةِ » « ضَوائنُ » .

وكذلك « المَعْزُ » جمعٌ على غيرِ واحدٍ ، وكذلك « المِعْزَى » ، وأما « الماعِزُ » ، فجمعُه « مَواعِزُ »[2] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ/ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ . ٦٨/٨

وتأويلُ قولِه : ﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ . نحوُ تأويلِ قولِه : ﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾ . وهذه أربعةُ أزواجٍ ، على نحوِ ما بيَّنّا مِن الأزواجِ الأربعةِ قبلُ مِن الضأنِ والمَعْزِ ، فذلك ثمانيةُ أزواجٍ كما وصَف جلَّ ثناؤُه .

وأما قولُه : ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ . فإنه أمرٌ مِن اللهِ جلَّ ثناؤُه

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٠٣/٥ (٧٩٩١، ٧٩٩٦) عن محمد بن سعد به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٠/٣ إلى ابن المنذر .

(٢) فى ص ، ت ١، ت ٢، ت ٣، س ، ف : « مواعيز » .

نبيَّه ﷺ أن يقولَ لهؤلاء الجَهَلةِ مِن المشركين الذين قصَّ قِصَصَهم فى هذه الآياتِ التى مضَت ، يقولُ له عزَّ ذكرُه : قلْ لهم يا محمدُ : أىَّ هذه سأَلْتُكم عن تحريمِه حرَّم ربُّكم عليكم مِن هذه الأزواجِ الثمانيةِ ؟ فإن أجابوك عن شىءٍ مما سأَلْتَهم عنه مِن ذلك ، فقلْ لهم : أَخبِرا قلتُم : إن اللَّهَ حرَّم هذا عليكم . أَخْبَرَكم به رسولٌ عن[1] ربِّكم ، أم شهِدْتُم ربَّكم فرأَيْتُموه فوصَّاكم بهذا الذى تقولون وتُزَوِّرون[2] على اللَّهِ ؟ فإن هذا الذى تقولون مِن إخبارِكم عن اللَّهِ أنه حرامٌ بما تَزْعُمون على ما تَزْعُمون ، لا يُعْلَمُ إلا بوحيٍ مِن عندِه ، مع رسولٍ يُرْسِلُه إلى خلقِه ، أو[3] بسماعٍ منه ، فبأىِّ هذين الوجهين علِمْتُم أن اللَّهَ حرَّم ذلك كذلك ، برسولٍ أرْسَله إليكم ، فأَنبِئُونى بعلمٍ إن كنتم صادقين ؟ أم شهِدْتُم ربَّكم فأوْصاكم بذلك وقال لكم : حرَّمْتُ ذلك عليكم . فسمِعْتُم تحريمَه منه وعهدَه إليكم بذلك ؟ فإنه لم يَكُنْ واحدٌ مِن هذين الأمرين ، يقولُ جلَّ ثناؤُه : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ يقولُ : فمَن أشدُّ ظلمًا لنفسِه ، وأبعدُ عن الحقِّ ممَّن تخرَّص على اللَّهِ قيلَ الكذبِ ، وأضاف إليه تحريمَ ما لم يُحَرِّمْ ، وتحليلَ ما لم يُحَلِّلْ ؛ ﴿ لِيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ . يقولُ : ليَصُدَّهم عن سبيلِه . ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ يقولُ : لا يُوَفِّقُ اللَّهُ للرُّشْدِ مَن افْتَرَى على اللَّهِ وقال عليه الزُّورَ والكذبَ ، وأضاف إليه تحريمَ ما لم يُحَرِّمْ ؛ كفرًا باللَّهِ ، وجُحودًا لنبوةِ نبيِّه محمدٍ ﷺ .

كالذى حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ﴾ : الذى تقولون[4] .

---

(١) فى ص ، س ، ف : « من » .

(٢) فى ت ١ : « بدوون » وفى ف : « ترون » وفى م ، ت ٢ ، ت ٣ : « وتردون » .

(٣) فى ص ، ت ١ ، ف : « أم » .

(٤) تتمة الأثر المتقدم فى ص ٦٢٨ .

حدَّثني محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ ، قال : كانوا يقولون - يعنى الذين كانوا يتَّخِذون البَحائرَ والسَّوائبَ - : إن اللَّهَ أمَر بهذا . فقال اللَّهُ : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾[1] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا / مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾ . ٦٩/٨

يقولُ جلَّ ثناؤُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : قلْ يا محمدُ لهؤلاء الذين جعَلوا للَّهِ مِمَّا ذرَأ مِن الحرثِ والأنعامِ نَصيبًا ، ولشركائِهم مِن الآلهةِ والأندادِ مثلَه ، والقائلين : هذه أنعامٌ وحَرْثٌ حِجْرٌ لا يَطْعَمُها إلا مَن نَشاءُ بزعمِهم . والمحرِّمين مِن أنعامٍ أُخَرَ ظُهورَها ، والتاركين ذكرَ اسمِ اللَّهِ على أُخَرَ منها ، والمحرِّمين بعضَ ما فى بطونِ بعضِ أنعامِهم على إناثِهم وأزواجِهم ، ومُحلِّيه لذكورِهم ، المحرِّمين ما رزَقهم اللَّهُ افْتِراءً على اللَّهِ ، وإضافةً منهم ما يُحَرِّمون مِن ذلك إلى أن اللَّهَ هو [١/٨٠٥و] الذى حرَّمه عليهم : أجاءكم مِن اللَّهِ رسولٌ بتحريمِه ذلك عليكم ، فأنْبِئونا به ، أم وصَّاكم اللَّهُ بتحريمِه مُشاهدَةً منكم له ، فسمِعْتُم منه تحريمَه ذلك عليكم ، فحرَّمْتُموه ؟ فإنكم كَذبةٌ إن ادَّعيتُم ذلك ، ولا يُمْكِنُكم دَعْواه ؛ لأنكم إذا ادَّعَيتُموه علِم الناسُ كذبَكم ، فإنى لا أَجِدُ فيما أُوحِى إلىَّ مِن كتابِه وآيِ تنزيلِه شيئًا محرَّمًا على آكلٍ يأْكُله ، مما تذْكُرون أنه حرَّمه مِن هذه الأنعامِ ، التى تَصِفون تحريمَ ما حَرَّم عليكم منها بزعمِكم ﴿ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً ﴾ قد ماتت بغيرِ تذْكيةٍ ﴿ أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا ﴾ وهو المُنْصَبُّ ، أو إلا أن يكونَ لحمَ خِنزيرٍ ، ﴿ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا ﴾ . يقولُ : أو إلا أن

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٠٤/٥ (٧٩٩٩) من طريق أحمد بن المفضل به .

يكونَ فسقًا . يعنى بذلك : أو إلا أن يكونَ مذبوحًا ذبَحه ذابحٌ مِن المشركين مِن عَبَدةِ الأوثانِ لصنمِه وآلهتِه ، فذكَر عليه اسمَ وَثَنِه ، فإنَّ ذلك الذبحَ فِسْقٌ نهَى اللَّهُ عنه وحرَّمه ، ونهَى مَن آمَن به عن أكلِ ما ذُبح كذلك ؛ لأنه مَيْتةٌ .

وهذا إعلامٌ مِن اللَّهِ جلَّ ثناؤُه للمشركين الذين جادَلوا نبيَّ اللَّهِ وأصحابَه فى تحريمِ الميتةِ بما جادَلوهم به ، أن الذى جادَلوهم فيه مِن ذلك هو الحرامُ الذى حرَّمه اللَّهُ ، وأن الذى زعَموا أن اللَّهَ حرَّمه حلالٌ قد أحلَّه اللَّهُ ، وأنهم كذَبةٌ فى إضافتِهم تحريمَه إلى اللَّهِ .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن ابنِ طاوسٍ ، عن أبيه فى قولِه : ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا ﴾ . قال : كان أهلُ الجاهليةِ يُحَرِّمون أشياءَ ويُحِلُّون أشياءَ ، فقال : قلْ : لا أَجِدُ فيما[1] كنتم تُحَرِّمون وتَسْتَحِلُّون إلا هذا ؛ ﴿ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾[2] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا سُوَيْدٌ ، قال : أخبَرنا ابنُ المباركِ ، عن معمرٍ ، عن ابنِ طاوسٍ ، عن أبيه فى قولِه : ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا ﴾ الآية . قال : كان أهلُ الجاهليةِ يَسْتَحِلُّون أشياءَ ويُحَرِّمون أشياءَ ، فقال اللَّهُ لنبيِّه : قلْ : لا أَجِدُ فيما أُوحِيَ إليَّ محرمًا مما كنتم تَسْتَحِلُّون إلا هذا . وكانت أشياءَ يُحَرِّمونها ، فهى حرامٌ الآن .

---

(١) فى م ، ت ٢، ت ٣: «مما».

(٢) تفسير عبد الرزاق فى تفسيره ١/ ٢٢٠ - ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥/ ١٤٠٥ (٨٠٠١) - عن معمر به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/ ٥٠ إلى عبد بن حميد .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن ابنِ طاوسٍ ، عن أبيه : / ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ ﴾ . ٧٠/٨ قال : ما يُؤْكَلُ . قلتُ : في الجاهليةِ ؟ قال : نعم . وكذلك كان يقولُ : ﴿ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا ﴾ . قال ابنُ جريجٍ : وأَخْبَرنى إبراهيمُ بنُ أبى بكرٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا ﴾ . قال : مما كانَ فى الجاهليةِ يأكلونَ ، لا أجدُ محرَّمًا من ذلك على طاعمٍ يطعمُه إلا أن يكونَ ميتةً أو دمًا مسفوحًا .

وأما قولُه : ﴿ أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا ﴾ . فإنَّ معناه : أو دمًا مُسَالًا مُهَرَاقًا ، يقالُ منه : سفَحْتُ دمَه ، إذا أرَقْتَه ، أَسْفَحُه سَفْحًا ، فهو دمٌ مَسْفوحٌ ، كما قال طَرَفةُ بنُ العَبْدِ[1] :

إنى وجَدِّك ما هجَوْتُك والـ ... أنصابِ يُسْفَحُ فوقَهن دمُ

وكما قال عَبِيدُ بنُ الأبْرصِ[2] :

إذا ما عادَه منها[3] نساءٌ ... سفَحْن الدَّمْعَ مِن بعدِ الرَّنينِ

يعنى : صبَبْنَ وأسَلْنَ الدمعَ .

وفى اشتِراطِه جلَّ ثناؤُه فى الدمِ عندَ إعلامِه عبادَه تحريمَه إياه ، المَسْفوحَ منه دونَ غيرِه - الدليلُ الواضحُ أنَّ ما لم يَكُنْ منه مسفوحًا فحلالٌ غيرُ نَجِسٍ .

وذلك كالذى حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : ثنا ابنُ عُيينةَ ، عن عمرٍو ، عن عكرمةَ : ﴿ أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا ﴾ . قال: لولا هذه الآيةُ لَتتَبَّع المسلمون مِن العُروقِ ما تَتَبَّعَتِ اليهودُ .

---

(١) ديوانه ص ١٤٧.

(٢) ديوانه ص ١٣٤.

(٣) فى النسخ : « منا » . والمثبت من الديوان ، والضمير فيه يرجع إلى طعنة برمح كان قد تكلم عنها فى الأبيات قبله .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا ابنُ عُيينةَ ، عن عمرِو بنِ دينارٍ ، عن عكرمةَ بنحوِه ، إلا أنه قال : لاتَّبع المسلمون[(١)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا سُوَيْدٌ ، قال : أخبرَنا ابنُ المباركِ ، عن ابنِ عُيَينةَ ، عن عمرِو بنِ دينارٍ ، عن عكرمةَ بنحوِه .

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : أخبرنا وكيعٌ ، عن عِمرانَ بنِ حُدَيرٍ ، عن أبى مِجْلَزٍ ، فى القِدْرِ يَعْلُوها الحُمْرةُ مِن الدمِ ، قال : إنما حرَّمَ اللَّهُ الدمَ المسفوحَ .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاجُ بنُ المِنْهالِ ، قال : ثنا حمادٌ ، عن عِمْرانَ بنِ حُديرٍ ، عن أبى مِجْلَزٍ ، / قال : سألْتُه عن الدمِ وما يَتَلَطَّخُ بالمَذْبَحِ مِن الرأسِ ، وعن القِدْرِ يُرَى فيها الحُمْرةُ ؟ قال : إنما نهَى اللَّهُ عن الدمِ المسفوحِ[(٢)] . ٧١/٨

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ : ﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ . قال : حُرِّم الدمُ ما كان مسفوحًا ، وأما لحمٌ خالَطه دمٌ فلا بأسَ به[(٣)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ : يعنى مُهَراقًا[(٤)] .

---

(١) تفسير عبد الرزاق ٢٢٠/١، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٠٧/٥ (٨٠١٤) عن الحسن بن يحيى به ، وسعيد بن منصور فى سننه (٩٣٣ - تفسير) عن ابن عيينة به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥١/٣ إلى ابن المنذر وأبى الشيخ .

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٣٤٦/٣ عن حماد به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥١/٣ إلى عبد بن حميد وأبى الشيخ .

(٣) تفسير عبد الرزاق ٢٢١/١ - ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٠٧/٥ (٨٠١٣) - عن معمر به، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥١/٣ إلى عبد بن حميد .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٠٦/٥ (٨٠٠٨) من طريق عبد الله بن صالح به .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن مجاهدٍ ، و[1] أخبرَنى ابنُ دينارٍ ، عن عكرمةَ : [١/٨٠٥ظ] ﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ . قالا[2] : لولا هذه الآيةُ لَتَتَبَّع المسلمون عُروقَ اللحمِ ، كما تَتَبَّعَها اليهودُ .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاجُ بنُ المِنْهالِ ، قال : ثنا حمادٌ ، عن يحيى بنِ سعيدٍ ، عن القاسمِ بنِ محمدٍ ، عن عائشةَ أنها كانت لا تَرَى بلُحومِ السِّباعِ بأسًا ، والحمرةِ والدمِ يكونان على القِدْرِ بأسًا ، وقرأَت هذه الآيةَ : ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ﴾ الآية[3] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا سُوَيْدٌ ، قال : أخبَرنا ابنُ المبارَكِ ، عن يحيى بنِ سعيدٍ ، قال : ثنى القاسمُ بنُ محمدٍ ، عن عائشةَ قالت ، وذكَرَت هذه الآيةَ : ﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ . قلتُ : وإن البُرْمةَ لَيُرَى فى[4] مائِها الصُّفْرةُ .

وقد بيَّنَّا معنى « الرِّجْسِ » فيما مضَى مِن كتابِنا هذا ، وأنه النَّجسُ والنَّتْنُ وما يُعْصَى اللَّهُ به ، بشَواهِدِه فأغنَى عن إعادتِه فى هذا الموضعِ[5] . وكذلك القولُ فى معنى الفِسْقِ[6] ، وفى قولِه : ﴿أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾[7] . قد مضَى ذلك كلُّه بشَواهِدِه الكافيةِ ، لمَن[8] وُفِّق لفهمِه ، عن تَكرارِه وإعادتِه .

---

(١) سقط من النسخ ، وهما إسنادان ، وينظر تهذيب الكمال ٥/٢٢ .

(٢) فى النسخ : « قال » .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٣/٣٤٦ عن المصنف ، وقال : صحيح غريب . وأخرجه ابن أبى شيبة ٥/٣٩٩، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٥/١٤٠٧ (٨٠١١) من طريق يحيى بن سعيد بمعناه .

(٤) فى ص ، ف : « ما فى » .

(٥) ينظر ما تقدم فى ٨/٦٥٧ .

(٦) ينظر ما تقدم فى ١/٤٣٤ .

(٧) ينظر ما تقدم فى ٣/٥٥ - ٨٨ .

(٨) فى ص ، ف : « ومن » ،وفى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « من » .

واختلفت القرأةُ في قراءةِ قوله : ﴿ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً ﴾ ؛ فقرأ ذلك بعض قرأةِ أهلِ المدينةِ والكوفةِ والبصرةِ : ﴿ إِلَّآ أَن يَكُونَ ﴾ بالياءِ ، ﴿ مَيۡتَةً ﴾ مُخَفَّفةَ الياءِ منصوبةً[1] ، على أن في ﴿ يَكُونَ ﴾ مجهولًا[2] ، و« الميتةُ » فعلٌ[3] له ، فنُصِبَت على أنها فعلُ ﴿ يَكُونَ ﴾ ، وذكَّروا ﴿ يَكُونَ ﴾ لتذكيرِ المُضْمَرِ في ﴿ يَكُونَ ﴾ .

وقرأ ذلك بعضُ قرأةِ أهلِ مكةَ والكوفةِ : (إلا أن تكونَ) بالتاءِ ، (مَيْتةً) بتخفيفِ الياءِ مِن « الميتةِ » ونصبِها[4] ، وكأن معنى نصبِهم « الميتةَ » معنى الأوَّلين ، وأنَّثوا (تكونَ) لتأنيثِ « الميتةِ » ، كما يقالُ : إنها قائمةٌ جارِيتُك ، وإنه قائمٌ جارِيتُك . فيُذَكَّرُ المجهولُ مرةً ، ويُؤَنَّثُ أخرى ؛ لتأنيثِ الاسمِ الذي بعدَه .

وقرأ ذلك بعضُ المدَنِيِّين : (إلا أن تَكونَ مَيِّتةٌ) بالتاءِ في (تكونَ) ، وتشديدِ الياءِ مِن (ميِّتةٌ) ورفعِها[5] . فجعَل « المَيِّتةَ » اسمَ (تكونَ) ، وأنَّث (تكونَ) لتأنيثِ « الميِّتةِ » ، وجعَل (تكونَ) مُكْتَفِيةً بالاسمِ دونَ الفعلِ ؛ لأن قولَه : (إلا أن تَكونَ مَيِّتةٌ) استثناءٌ ، والعربُ تَكْتَفِي في[6] الاستثناءِ بالأسماءِ عن الأفعالِ ، فيقولون : قام الناسُ إلا أن يكونَ أخاك ، وإلا أن يكونَ أخوك . فلا تأتي لـ

(١) هي قراءة نافع وأبي عمرو وعاصم . حجة القراءات ص ٢٧٦ .

(٢) يقصد بالمجهول الضمير . مصطلحات النحو الكوفي ص ٦٦ .

(٣) يقصد بالفعل هنا الخبر . مصطلحات النحو الكوفي ص ٥٣ .

(٤) هي قراءة ابن كثير وحمزة . حجة القراءات ص ٢٧٦ .

(٥) هي قراءة أبي جعفر ، وهو من العشرة . النشر ٢/ ٢٠٠ . وفي الآية قراءة أخرى متواترة ، فقد قرأ ابن عامر بالتاء ، ورفع « الميتة » مخففة . ينظر المصدران السابقان .

(٦) في ص ، ت ٢، س ، ف : « بالاسم دون الفعل » .

« يكون » بفعلٍ ، وتَجْعَلُها[1] مُسْتَغْنِيةً بالاسمِ ، كما يقالُ : قام القومُ إلا أخاك وإلا أخوك . فلا تَعْتدُّ الاسمَ الذى بعدَ حرفِ الاستثناءِ نفلًا .

/ والصوابُ مِن القراءةِ فى ذلك عندى : ﴿ إِلَّآ أَن يَكُونَ ﴾ بالياءِ ، ٧٢/٨ ﴿ مَيۡتَةً ﴾ بتخفيفِ الياءِ ونصبِ « الميتةِ » ؛ لأن الذى فى ﴿ يَكُونَ ﴾ مِن المَكْنِىِّ مِن ذكرِ المذكَّرِ ، وإنما هو : ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ ﴾ ذلك ﴿ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا ﴾ .

فأما قراءةُ (ميتةٌ) بالرفعِ ، فإنه وإن كان فى العربيةِ غيرَ خطأً ، فإنه فى القراءةِ فى هذا الموضعِ غيرُ صوابٍ[2] ؛ لأن اللَّهَ يقولُ : ﴿ أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا ﴾ ، فلا خلافَ بينَ الجميعِ فى قراءةِ « الدمِ » بالنصبِ ، وكذلك هو فى مصاحفِ المسلمين ، وهو عطفٌ على « الميتةِ » ، فإذ كان ذلك كذلك ، فمعلومٌ أن « الميتةَ » لو كانت مرفوعةً لَكان « الدمُ » وقولُه : ﴿ أَوۡ فِسۡقًا ﴾ مرفوعَيْن . ولكنَّها منصوبةٌ ، فيُعْطَفُ بهما عليها[3] بالنصبِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٤٥ ﴾ .

وقد ذكَرْنا اختلافَ أهلِ التأويلِ فى تأويلِ قولِه : ﴿ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ ﴾ والصوابَ مِن القولِ فيه عندَنا فيما مضَى مِن كتابِنا هذا فى سورةِ « البقرةِ » ، بما أَغْنَى عن إعادتِه فى هذا الموضعِ[4] ، وأن معناه : فمَن اضْطُرَّ إلى أكلِ ما حرَّم اللَّهُ

(١) فى ص ، س ، ف : « لتجعلها » .

(٢) القراءة برفع « الميتة » متواترة ، فلا تدفع صحتها .

(٣) فى س ، ف : « عليه » .

(٤) ينظر ما تقدم فى ٥٨/٣ وما بعدها .

مِن أكلِ الميتةِ أو[1] الدمِ المسفوحِ أو لحمِ الخنزيرِ أو ما أُهِلَّ لغيرِ اللَّهِ به ، غيرَ باغٍ فى أكلِه إياه تلَذُّذًا ، لا لضرورةٍ حالَّةٍ مِن الجوعِ ، ولا عادٍ فى أكلِه بتجاوزِه ما حدَّه اللَّهُ وأباحه له مِن أكلِه ، وذلك أن يأْكُلَ منه ما يَدْفَعُ عنه الخوفَ على نفسِه بتركِ أكلِه مِن الهلاكِ ، لم يَتَجاوَزْ ذلك إلى أكثرَ منه ، فلا حرجَ عليه فى أكلِه ما أكل مِن ذلك ، فإنَّ اللَّهَ غفورٌ فيما فعَل مِن ذلك ، فساترٌ عليه بتركِه عقوبتَه عليه ، ولو شاء عاقَبه عليه ، رحيمٌ[2] بإباحتِه إياه أكلَ ذلك عندَ حاجتِه إليه ، ولو شاء حرَّمه عليه ومنَعه منه .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : وحرَّمْنا على اليهودِ كلَّ ذى ظُفُرٍ ، وهو مِن البَهائمِ والطيرِ ما لم يَكُنْ مَشْقوقَ الأصابعِ ، كالإبلِ والنَّعامِ[3] والإوَزِّ والبَطِّ .

وبما[4] قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى المثنى وعلىُّ بنُ داودَ ، قالا : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ﴾ : وهو البعيرُ والنَّعامةُ[5] .

٧٣/٨ /حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ﴾ . قال :

---

(١) فى م : « و » .

(٢) سقط من : ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف .

(٣) فى م : « الأنعام » .

(٤) فى م : « بنحو ما » .

(٥) أخرجه البيهقى ١٠/٨ من طريق عبد الله بن صالح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٣/٣ إلى ابن المنذر .

البعيرَ والنَّعامةَ ونحوَ ذلك مِن الدَّوابِّ .

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ آدمَ ، عن شَريكٍ ، عن عَطاءٍ ، عن سعيدٍ : ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ﴾ [٨٠٦/١و] قال : هو الذى ليس بمُنْفَرِجِ الأصابعِ[1] .

حدَّثنى علىُّ بنُ الحسينِ[2] الأزدىُّ ، قال : ثنا يحيى بنُ يمانٍ ، عن شَريكٍ ، عن عطاءِ بنِ السائبِ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ فى قولِه : ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ﴾ . قال : كلُّ شىءٍ مُتَفَرِّقِ الأصابعِ ، ومنه الدِّيكُ[3] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : ﴿ كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ﴾ : النَّعامةَ والبعيرَ[4] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ مثلَه .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ﴾ : فكان يقالُ : البعيرُ والنَّعامةُ ، وأشباهُه مِن الطيرِ والحيتانِ[5] .

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثورٍ ، قال : ثنا معمرٌ ، عن قتادةَ : ﴿ كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ﴾ . قال : الإبلُ والنَّعامُ ، ظُفُرُ يدِ البعيرِ ورِجْلِه ، والنَّعامُ

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤١٠/٥ (٨٠٣٣) من طريق يحيى بن آدم به من قول ابن عباس ، وفيه زيادة .

(٢) فى ص : « الحسن » .

(٣) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤١٠/٥ عقب الأثر السابق معلقا ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٣/٣ إلى أبى الشيخ مقتصرا على قوله : الديك منه .

(٤) تفسير مجاهد ص ٣٣٠.

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٣/٣ إلى عبد بن حميد ، ولفظه : فى أشياء بدلا من : وأشباهه . وينظر هو والأثر بعده فى تفسير ابن كثير ٣٤٨/٣.

أيضًا كذلك ، وحرَّم عليهم أيضًا مِن الطيرِ البَطَّ وشِبْهَه ، وكلَّ شيءٍ ليس بمَشْقوقِ الأصابعِ[(١)] .

حدَّثني محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بن مفضلٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : أما ﴿ كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ﴾ فالإبلَ والنعامَ[(٢)] .

حدَّثني الحارثُ قال : ثنا عبدُ العزيزِ ، قال : ثنا شيخٌ ، عن مجاهدٍ في قولِه : ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ﴾ . قال : النَّعامةُ والبعيرُ ، شَقًّا شَقًّا . قال : قلتُ : ما شَقًّا شَقًّا ؟ قال : كلُّ ما لم تُفرَجْ قَوائمُه لم تأْكُلْه اليهودُ : البعيرُ والنَّعامةُ ، والدَّجاجُ والعَصافيرُ تأْكُلُها اليهودُ ؛ لأنها قد فُرِجَتْ .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثني حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ﴾ . قال : النَّعامةُ والبعيرُ ، شَقًّا شَقًّا . قلتُ للقاسمِ بنِ أبي بَزَّةَ وحدَّثَنيه[(٣)] : ما شقًّا شقًّا ؟ قال : كلُّ شيءٍ لم يُفْرَجْ مِن قَوائمِ البَهائم . قال : وما انفَرَج أكَلَتْه اليهودُ . قال : انفَرَجَت قوائمُ الدَّجاجِ والعَصافيرِ ، فيهودُ تأْكُلُها . قال : ولم تَنفَرِجْ قائمةُ البعيرِ ؛ خُفُّه ، ولا خُفُّ النَّعامةِ ، ولا قائمةُ الوَزِّينةِ[(٤)] ، فلا تأْكُلُ[(٥)] اليهودُ الإبلَ ولا النَّعامَ ولا الوَزِّينَ ، ولا كلَّ شيءٍ لم تَنفَرِجْ قائمتُه ، [(٦)]كذلك و[(٦)]لا تأْكُلُ حمارَ وَحْشٍ[(٧)] .

وكان ابنُ زيدٍ يقولُ في ذلك بما حدَّثني به يونُسُ ، قال : أخْبَرنا ابنُ وهبٍ ،

---

(١) تفسير عبد الرزاق ٢٢١/١ عن معمر به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤١٠/٥ عقب الأثر (٨٠٣٣) من طريق عمرو بن حماد عن أسباط به .

(٣) في ص ، ت ١، ت ٢، ت ٣، س ، ف : « حدثته » .

(٤) في م ، ف : « الوزين » . والوزينة والجمع الوزين : الإوَزَّة . ينظر التاج (و ز ز) .

(٥) في ص ، ت ١، ت ٢، ت ٣، ف : « يأكلها » ، وفي س : « تأكلها » .

(٦ - ٦) في م : « وكذلك » .

(٧) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٣/٣ إلى أبي الشيخ ، وذكره ابن كثير في تفسيره ٣٤٩/٣ عن ابن جريج عن مجاهد .

قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ﴾ : الإبلَ قَطْ[1] .

وأولى القولين فى ذلك بالصوابِ القولُ الذى ذكَرْنا عن ابنِ عباسٍ ومَن قال بمثلِ مقالتِه ؛ لأن اللَّهَ / جلَّ ثناؤُه أخبر أنه حرَّم على اليهودِ كلَّ ذى ظُفُرٍ ، فغيرُ جائزٍ ٧٤/٨ إخراجُ شىءٍ مِن عمومِ هذا الخبرِ ، إلا ما أجمَع أهلُ العلمِ أنه خارجٌ منه . وإذْ[2] كان ذلك كذلك ، وكان النَّعامُ وكلُّ ما لم يكنْ مِن البهائمِ والطيرِ مما له ظُفُرٌ غيرُ مُنفَرِجِ الأصابعِ داخلًا فى ظاهرِ التنزيلِ ، وجَب أن يُحكَمَ له بأنه داخلٌ فى الخبرِ ؛ إذ لم يأتِ بأن بعضَ ذلك غيرُ داخلٍ فى الآيةِ خبرٌ عن اللَّهِ ولا عن رسولِه ، وكانت الأُمَّةُ أكثرُها مُجْمِعةٌ على أنه فيه داخلٌ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ ﴾ .

اختلَف أهلُ التأويلِ فى الشحومِ التى أخبَر اللَّهُ تعالى أنه حرَّمها على اليهودِ مِن البقرِ والغنمِ ؛ فقال بعضُهم : هى شحومُ الثُّرُوبِ[3] خاصَّةً .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ ﴾ : الثُّروبَ ، ذُكِر لنا أن نبىَّ اللَّهِ ﷺ كان يقولُ : « قاتَل اللَّهُ اليهودَ ، حرَّم اللَّهُ عليهم الثُّروبَ ثم أكَلوا أثمانَها »[4] .

---

(١) فى م : « فقط » . وقَطْ : حَسْبُ . التاج (ق ط ط) .
والأثر ذكره القرطبى فى تفسيره ٧/ ١٢٥ .

(٢) فى م : « إذا » ، وفى ت ١: « إن » .

(٣) الثروب ، جمع ثَرْب : وهو شحمٌ غشى الكَرِشَ والأمعاءَ رقيق . الصحاح (ث ر ب) .

(٤) أخرج المرفوع منه عبد الرزاق فى مصنفه (١٠٠٥٠، ١٦٩٧٠) - ومن طريقه أحمد ٢١/٨ (١٣٢٧٥) ، عن معمر ، عن قتادة وغيره ، عن أنس مرفوعا ، وفيه قصة .

وقال آخرون : بل ذلك كان كلُّ شحمٍ لم يكنْ مُخْتَلِطًا بعَظْمٍ ولا على عظمٍ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، قال : قال ابنُ جريجٍ قولَه : ﴿ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ ﴾ . قال : إنما حرَّم عليهم الثَّرْبَ ، وكلَّ شحمٍ كان كذلك ليس فى عظمٍ[1] .

وقال آخرون : بل ذلك شحمُ الثَّرْبِ والكُلَى .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ مفضلٍ ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السديِّ قولَه : ﴿ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ ﴾ . قال : الثَّرْبَ وشحمَ الكُلْيَتَيْن ، وكانت اليهودُ تقولُ : إنما حرَّمه إسرائيلُ ، فنحن نُحَرِّمُه[2] .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ ﴾ . قال : إنما حرَّم عليهم الثُّروبَ والكُلْيَتَيْن . هكذا هو فى كتابى عن يونُسَ ، وأنا أَحْسَبُ أنه الكُلَى .

والصوابُ فى ذلك مِن القولِ أن يقالَ : إن اللَّهَ أخبَر أنه كان حرَّم على اليهودِ مِن البقرِ والغنمِ شحومَهما إلا ما اسْتَثْناه منها ، مما حَمَلت ظهورُهما أو الحَوَايا أو ما اخْتَلَطَ بعظمٍ ، فكلُّ شحمٍ سوى ما اسْتَثْناه اللَّهُ فى كتابِه مِن البقرِ والغنمِ ، فإنه كان محرَّمًا [٨٠٦/١ظ] عليهم .

وبنحوِ ذلك مِن القولِ تَظاهَرَت الأخبارُ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وذلك قولُه :

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٣/٣ إلى ابن المنذر بزيادة : وشحم الكلية .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤١٠/٥ (٨٠٣٤) من طريق أحمد بن مفضل به .

«قاتَل اللَّهُ اليهودَ، حُرِّمَتْ عليهم الشُّحومُ فجمَلوها[1]، ثم باعوها وأَكَلوا أثمانَها»[2].

/وأما قولُه: ﴿ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ ﴾. فإنه يعنى: إلا شحومَ الجَنْبِ وما ٧٥/٨ علِق بالظهرِ، فإنها لم تُحَرَّمْ عليهم.

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ.

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى المثنى، قال: ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ، قال: ثنى معاويةُ، عن علىٍّ، عن ابنِ عباسٍ: ﴿ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ ﴾. يعنى: ما علِق بالظهرِ مِن الشحومِ[3].

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ، قال: ثنا أحمدُ بنُ مفضلٍ، قال: ثنا أسباطُ، عن السدىِّ: أما ﴿مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ ﴾. فالأَلْياتُ[4].

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ، قال: ثنا أبو أسامةَ، عن إسماعيلَ، عن أبى صالحٍ، قال: الأَلْيةُ مما حمَلَت ظهورُهما[5].

القولُ فى تأويلِ قولِه: ﴿ أَوِ ٱلْحَوَايَآ ﴾.

قال أبو جعفرٍ: والحَوايا جمعٌ، واحدُها حاوِياءُ وحاوِيةٌ وحَوِيَّةٌ، وهى ما تَحَوَّى

---

(١) جمَلتُ الشحم وأجمَلْته: إذا أذَبْته واستخرجتَ دُهنه، وجَمَلت أفصح من أجملت. النهاية ١/ ٢٩٨.

(٢) أخرجه البخارى (٢٢٢٣، ٢٢٢٤، ٢٢٣٦، ٣٤٦٠، ٤٦٣٣)، ومسلم (١٥٨١، ١٥٨٢، ١٥٨٣)، من حديث ابن عباس عن عمر بن الخطاب، وحديث جابر بن عبد الله، وحديث أبى هريرة، ثلاثتهم عن النبى ﷺ نحوه.

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤١٠/٥ (٨٠٣٥) من طريق أبى صالح به.

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤١٠/٥ عقب الأثر (٨٠٣٦) من طريق عمرو بن حماد عن أسباط به.

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤١٠/٥ (٨٠٣٦) من طريق إسماعيل به، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٣/٣ إلى أبى الشيخ.

مِن البطنِ فاجْتَمَع واسْتَدار . وهى بناتُ اللبنِ[١] ، وهى المَباعِرُ[٢] ، وتُسَمَّى المَرابِضَ ، وفيها الأمعاءُ .

ومعنى الكلامِ : ومِن البقرِ والغنمِ حرَّمْنا عليهم شحومَهما إلا ما حمَلَت ظهورُهما ، أو ما حمَلَت الحَوَايا . فـ﴿ ٱلْحَوَايَآ ﴾ رَفْعٌ عطفًا على « الظُّهورِ » ، و ﴿ مَا ﴾ التى بعدَ ﴿ إِلَّا ﴾ نصبٌ على الاستثناءِ مِن « الشحومِ » .

وبمثلِ ما قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ أَوِ ٱلْحَوَايَآ ﴾ : وهى المِبْعَرُ[٣] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿ أَوِ ٱلْحَوَايَآ ﴾ : قال : المِبْعَرُ[٤] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ ٱلْحَوَايَآ ﴾ : المِبْعَرُ والمَرْبِضُ[٥] .

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : ثنا أبو أسامةَ ، عن شبلٍ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ أَوِ ٱلْحَوَايَآ ﴾ . قال : المِبْعَرُ .

---

(١) بنات اللبن : ما صغر من الأمعاء . ينظر اللسان (ب ن و) .

(٢) المباعر ، جمع مِبْعر ومَبْعر : مكان البعر من كل ذى أربع . اللسان (ب ع ر) .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥/ ١٤١٠ (٨٠٣٧) ، والبيهقى ١٠/ ٨، من طريق أبى صالح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/ ٥٣ إلى ابن المنذر .

(٤) تفسير مجاهد ص٣٣٠، وهو فيه من تمام الأثر المتقدم فى ص ٦٣٩.

(٥) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٣/ ٣٤٩.

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ يمانٍ ، عن سفيانَ ، عن عطاءٍ ، عن سعيدِ ابنِ جبيرٍ : ﴿ أَوِ ٱلْحَوَايَآ ﴾ . قال : المَباعِرُ[1] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ آدمَ ، عن شَريكٍ ، عن عطاءٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ : ﴿ أَوِ ٱلْحَوَايَآ ﴾ . قال : المَباعِرُ .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ أَوِ ٱلْحَوَايَآ ﴾ . قال : المِبْعَرُ[1] .

/حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثَوْرٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ : ﴿ أَوِ ٱلْحَوَايَآ ﴾ . قال : المِبْعَرُ[2] . ٧٦/٨

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبو أسامةَ والمُحاربىُّ ، عن جُويبرٍ ، عن الضحاكِ ، قال : المِبْعَرُ[3] .

حُدِّثْتُ عن الحسينِ بنِ الفرجِ ، قال : سمِعْتُ أبا معاذٍ ، قال : ثنا عُبيدُ بنُ سليمانَ ، قال : سمِعْتُ الضحاكَ يقولُ فى قولِه : ﴿ أَوِ ٱلْحَوَايَآ ﴾ . يعنى : البطونُ غيرُ الثُّروبِ[4] .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ أَوِ ٱلْحَوَايَآ ﴾ : هو المِبْعَرُ .

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن

---

(١) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤١١/٥ عقب الأثر (٨٠٣٧) معلقا .

(٢) تفسير عبد الرزاق ٢٢١/١ ، ووقع فى مطبوعته : البقر . خطأ .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤١١/٥ (٨٠٣٨) من طريق أبى أسامة به بلفظ : المباعر والمرابض .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤١١/٥ (٨٠٤٠) من طريق على بن الحكم عن الضحاك بلفظ : فالبطون غير الثروب . ثم علَّقه عقبه عن عبيد بن سليمان عن الضحاك ، بلفظ : يعنى بالثروب غير البطون .

السدىّ : ﴿ أَوِ ٱلْحَوَايَآ ﴾ . قال : المَباعِرُ[١] .

وقال ابنُ زيدٍ فى ذلك ما حدَّثنى به يونُسُ ، قال : أَخْبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ أَوِ ٱلْحَوَايَآ ﴾ . قال : الحَوايا المَرابِضُ التى تكونُ فيها الأمعاءُ ، تكونُ وَسَطَها ، وهى بناتُ اللَّبَنِ ، وهى فى كلامِ العربِ تُدْعَى المَرابِضَ[٢] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍۚ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : ومِن البقرِ والغنمِ حرَّمْنا على الذين هادوا شُحومَهما ، سوى ما حمَلَت ظُهورُهما ، أو ما حمَلَت حَواياهما ، فإنا أحْلَلْنا ذلك لهم ، وإلا ما اخْتلَط بعظمٍ ، فهو لهم أيضًا حلالٌ .

فردَّ قولَه : ﴿ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍۚ ﴾ . على قولِه : ﴿ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ ﴾ ، فـ﴿ مَا ﴾ التى فى قولِه : ﴿ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍۚ ﴾ ، فى موضعِ نصبٍ ، عطفًا على ﴿ مَا ﴾ التى فى قولِه : ﴿ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ ﴾ .

وعَنَى بقولِه : ﴿ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍۚ ﴾ . شحمَ الأَلْيَةِ والجَنْبِ وما أشْبَهَ ذلك .

كما حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ : ﴿ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍۚ ﴾ . قال : شحمُ الأَلْيةِ بالعُصْعُصِ[٣] ، فهو حلالٌ ، وكلُّ شىءٍ فى القَوائمِ والجَنْبِ والرأسِ والعينِ ، [٤]وما[٤] اخْتَلَط بعظمٍ ، فهو حلالٌ[٥] .

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥/١٤١١ عقب الأثر (٨٠٣٧) من طريق عمرو بن حماد عن أسباط به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥/١٤١١ (٨٠٣٩) من طريق أصبغ عن ابن زيد به .

(٣) العصعص : أصل الذَّنَب ، وهو عظم صغير فى نهاية العمود الفقرى ، ويتكون من التحام ثلاث فقرات أو أربع . ينظر الوسيط (عصعص) .

(٤ - ٤) فى م : « قد » .

(٥) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٣/ ٣٥٠.

السدىّ : ﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ : فما[1] كان مِن شحمٍ على عظمٍ[2] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (١٤٦)﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : فهذا الذى حرَّمْنا على الذين هادوا مِن الأنعامِ والطيرِ ذواتِ الأظافيرِ غيرِ المُنْفَرِجةِ ، ومِن البقرِ والغنمِ ما حرَّمْنا عليهم مِن شحومِهما الذى ذكَرْنا فى هذه الآيةِ ، حرَّمْناه عليهم عُقوبةً منا لهم ، وثوابًا على أعمالِهم السيئةِ ، وبغيِهم على ربِّهم .

كما حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ ؛ إنما حرَّم ذلك عليهم [١/٨٠٧و] عُقوبةً ببغيِهم[3] .

/ حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ﴾ : فعَلْنا ذلك بهم ببغيِهم . ٧٧/٨

وقولُه : ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ . يقولُ : وإنا لصادِقون فى خبرِنا هذا عن هؤلاء اليهودِ ، و[4] عما حرَّمْنا عليهم مِن الشحومِ ولحومِ الأنعامِ والطيرِ التى ذكَرْنا أنَّا حرَّمْنا عليهم ، وفى غيرِ ذلك مِن أخبارِنا ، وهم الكاذبون فى زعمِهم أن ذلك إنما حرَّمه إسرائيلُ على نفسِه ، وأنهم إنما حرَّموه لتَحْريمِ إسرائيلَ إياه على نفسِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (١٤٧)﴾ .

---

(١) فى م : «مما» ، وفى تفسير ابن أبى حاتم : «ما» .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤١١/٥ عقب الأثر (٨٠٤١) من طريق عمرو بن حماد عن أسباط به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤١١/٥ (٨٠٤٣) من طريق يزيد به .

(٤) سقط من : م

يقولُ جلَّ ثناؤُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : فإن كذَّبك[1] يا محمدُ هؤلاء اليهودُ فيما أخبَرْناك أنَّا حرَّمْنا عليهم وحلَّلْنا لهم ، مما[2] بيَّنا في هذه الآيةِ ، ﴿ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ ﴾ بنا وبمَن كان به مؤمنًا من عبادِه ، وبغيرِهم مِن خلقِه ، ﴿ وَٰسِعَةٍ ﴾ : تَسَعُ جميعَ خلقِه ؛ المحسنَ والمسيءَ ، لا يُعاجِلُ مَن كفر به بالعقوبةِ ، ولا من عصاه بالنِّقْمةِ ، ولا يَدَعُ كرامةَ مَن آمَن به وأطاعه ، ولا يَحْرِمُه ثوابَ عملِه ؛ رحمةً منه بكلا الفريقَيْن ، ولكنَّ بأْسَه - وذلك سَطْوَتُه وعذابُه - لا يَرُدُّه إذا أحَلَّه - عندَ غضبِه على المجرمين - بهم ، عنهم شيءٌ ، والمجرمون هم الذين أجْرَموا فاكْتَسَبوا الذنوبَ واجْتَرَحوا السيئاتِ .

وبنحوِ الذي قلنا في ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ ﴾ : اليهودُ[3] .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ ﴾ : اليهودُ ، ﴿ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ ﴾ .

حدَّثني محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ ، قال : كانت اليهودُ يقولون : إنما حرَّمه إسرائيلُ - يعني الثَّرْبَ وشحمَ الكُلْيَتَيْن - فنحن نُحَرِّمُه . فذلك قولُه : ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ

(١) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، ف : « كذبوك » .

(٢) في م : « كما » .

(٣) تفسير مجاهد ص ٣٣٠ - من تمام الأثر المتقدم في ص ٦٣٩ - ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤١٢/٥ (٨٠٤٥) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٣/٣ إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ .

وَٰسِعَةٖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُهُۥ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾[1] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ ﴾ .

/يقولُ جلَّ ثناؤُه : ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ ﴾ . وهم العادِلون باللَّهِ الأوثانَ ٧٨/٨ والأصنامَ مِن مشركى قريشٍ : ﴿ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا ﴾ . يقولُ : قالوا ؛ احْتِجارًا[2] مِن الإذعانِ للحقِّ بالباطلِ مِن الحجةِ ، لـمَّا تبيَّن لهم الحقُّ ، وعلِموا باطلَ ما كانوا عليه مُقيمِين ؛ مِن شركِهم ، وتحريمِهم ما كانوا يُحَرِّمون مِن الحُروثِ والأنعامِ - على ما قد بيَّن تعالى ذكرُه فى الآياتِ الماضيةِ قبلَ ذلك : ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا ﴾ . وما بعدَ ذلك -: لو أراد اللَّهُ منا الإيمانَ به ، وإفرادَه بالعبادةِ دونَ الأوثانِ والآلهةِ ، وتحليلَ ما حرَّم مِن البَحائرِ والسَّوائبِ وغيرِ ذلك مِن أموالِنا - ما جعَلْنا للَّهِ شريكًا ، ولا جعَل ذلك له آباؤُنا مِن قبلِنا ، ولا حرَّمْنا ما نُحَرِّمُه مِن هذه الأشياءِ التى نحن على تحريمِها مُقيمون ؛ لأنه قادرٌ أن يَحولَ بينَنا وبينَ ذلك ، حتى لا يكونَ لنا إلى فعلِ شىءٍ مِن ذلك سبيلٌ ، إما بأن يَضْطَرَّنا إلى الإيمانِ وتركِ الشركِ به ، وإلى القولِ بتحليلِ ما حرَّمْنا[3] ، وإما بأن يَلْطُفَ بنا[4] بتوفيقِه ، فنَصِيرَ إلى الإقرارِ بوحْدانيتِه ، وتركِ عبادةِ ما دونَه مِن الأندادِ والأصنامِ ، وإلى تحليلِ ما حرَّمْنا ، ولكنَّه رضِى منا ما نحن عليه مِن عبادةِ الأوثانِ والأصنامِ ، واتخاذِ الشريكِ له فى العبادةِ والأندادِ ، وأراد ما نُحَرِّمُ مِن الحُروثِ

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤١٢/٥ (٨٠٤٦) من طريق أحمد بن المفضل به .

(٢) فى ف : « احتجاجا » .

(٣) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « حرمه » .

(٤) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « لنا » .

والأنعامِ ، فلم يَحُلْ بينَنا وبينَ ما نحن عليه مِن ذلك .

قال اللَّهُ مكذِّبًا لهم فى قيلِهم : إن اللَّهَ رضِى منا ما نحن عليه مِن الشركِ ، وتحريمِ ما نُحَرِّمُ . ورادًّا عليهم باطلَ ما احْتَجُّوا به مِن حُجَّتِهم فى ذلك : ﴿ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾ . يقولُ : كما كذَّب هؤلاء المشركون يا محمدُ ما جئتَهم به مِن الحقِّ والبيانِ ، كذَّب مَن قبلَهم مِن فَسَقةِ الأممِ الذين طغَوْا على ربِّهم ، ما جاءَتْهم به أنبياؤُهم مِن آياتِ اللَّهِ ، وواضحِ حُجَجِه ، وردُّوا عليهم نصائحَهم ، ﴿ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ ﴾ . يقولُ : حتى أسْخَطونا ، فغضِبْنا عليهم ، فأحْلَلْنا بهم بأسَنا فذاقوه ، فعطِبُوا بذَوْقِهم إياه ، فخابوا وخسِروا الدنيا والآخرةَ . يقولُ : وهؤلاء الآخرون مسلوكٌ بهم سبيلُهم ، إن هم لم يُنِيبوا ، فيُؤْمِنوا ويُصَدِّقوا بما[1] جئتَهم به مِن عندِ ربِّهم .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا ﴾ . وقال : ﴿ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾ . ثم قال : ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكُواْۗ ﴾ [الأنعام: ١٠٧] . فإنهم قالوا : عبادتُنا الآلهةَ تُقَرِّبُنا إلى اللَّهِ زُلْفَى . فأخْبَرهم اللَّهُ أنها لا تُقَرِّبُهم ، وقولُه : ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكُواْۗ ﴾ . يقولُ اللَّهُ سبحانَه : [١/٨٠٧ظ] لو شئتُ لجَمَعْتُهم على الهُدَى أجمعين[2] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ،

---

(١) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « فيما » .

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٣/ ٣٥٢ . وينظر ما تقدم تخريجه فى ص ٤٨٠ .

عن مجاهدٍ : ﴿ وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ﴾ . قال : قولُ قريشٍ . يَعْنى : إنَّ اللَّهَ حرَّم هذه البَحيرةَ والسائبةَ[1] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ﴾ : قولُ قريشٍ بغيرِ يقينٍ : إن اللَّهَ حرَّم هذه[2] البحيرةَ والسائبةَ .

فإن قال قائلٌ : وما بُرهانُك على أن اللَّهَ تعالى إنما كذَّب مِن قِيلِ هؤلاء المشركين قولَهم : رضِى اللَّهُ منا عبادةَ الأوثانِ ، وأراد منا / تحريمَ ما حرَّمْنا مِن الحُروثِ والأنعامِ . دونَ أن يكونَ تكذيبُه إياهم كان على قولِهم : ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ﴾ . وعلى وصفِهم إياه بأنه قد شاء شِرْكَهم وشركَ آبائِهم وتحريمَهم ما كانوا يُحرِّمون ؟ ٧٩/٨

قيل له : الدلالةُ على ذلك قولُه : ﴿ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ . فأخبَر جلَّ ثناؤُه عنهم أنهم سلكوا فى تكذيبِهم نبيَّهم محمدًا ﷺ فيما أتاهم به مِن عندِ اللَّهِ - مِن النهيِ عن عبادةِ شيءٍ غيرِ اللَّهِ تعالى ، وتحريمِ غيرِ ما حرَّم اللَّهُ فى كتابِه وعلى لسانِ رسولِه - مَسْلَكَ سُلَّافِهم[3] مِن الأممِ الخاليةِ المكذِّبةِ اللَّهَ ورسولَه . والتكذيبُ منهم إنما كان لِمُكَذِّبٍ[4] ، ولو كان ذلك خبرًا مِن اللَّهِ عن كَذِبِهم فى قيلِهم : ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا ﴾ . لَقال : (كذلك كذَب الذين مِن قبلِهم) . بتخفيفِ الذالِ ، وكان يَنْسِبُهم فى قيلِهم ذلك إلى الكذبِ على اللَّهِ لا إلى التكذيبِ . مع عللٍ كثيرةٍ يَطولُ بذِكْرِها الكتابُ ، وفيما ذكَرْنا

---

(١) تفسير مجاهد ص ٣٣٠ .

(٢) فى ص ، س ، ف : « هذا » .

(٣) فى م : « أسلافهم » .

(٤) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « لكذب » .

كفايةٌ لمن وُفِّق لفهمِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : قلْ يا محمدُ لهؤلاء العادِلين بربِّهم الأوثانَ والأصنامَ ، المحرِّمين ما هم له مُحَرِّمون مِن الحروثِ والأنعامِ ، القائلين : لو شاء اللَّهُ ما أشْرَكْنا ولا آباؤُنا ، ولا حرَّمْنا من شيءٍ ، ولكنه رضِى منا ما نحن عليه مِن الشركِ وتحريمِ ما نُحَرِّمُ : ﴿ هَلْ عِندَكُم ﴾ بدَعْواكم ما تدَّعُون على اللَّهِ ، مِن رضاه بإشْراكِكم فى عبادتِه ما تُشْرِكون ، وتحريمِكم مِن أموالِكم ما تُحَرِّمون - عِلْمُ يقينٍ مِن خبرٍ مَن يَقْطَعُ خبرُه العذرَ ، أو حجةٌ تُوجِبُ لنا اليقينَ مِن العلمِ ، ﴿ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ﴾ ؟ يقولُ : فتُظْهِروا ذلك لنا وتَبيِّنوه ، كما بيَّنا لكم مواضعَ خطأً قولِكم وفعلِكم ، وتناقُضَ ذلك واستحالتَه فى المعقولِ والمسموعِ ؟ ﴿ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ﴾ . يقولُ له : قلْ لهم : إنْ تقولون ما تقولون أيُّها المشركون ، وتَعْبدون مِن الأوثانِ والأصنامِ ما تَعْبُدون ، وتُحَرِّمون مِن الحُروثِ والأنعامِ ما تُحَرِّمون ، إلَّا ظَنًّا وحُسْبانًا أنه حقٌّ ، وأنكم على حقٍّ ، وهو باطلٌ ، وأنتم على باطلٍ . ﴿ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ . يقولُ : ﴿ وَإِنْ أَنتُمْ ﴾ : وما أنتم فى ذلك كلِّه ﴿ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ . يقولُ : إلَّا تَتَقَوَّلون الباطلَ على اللَّهِ ؛ ظنًّا بغيرِ يقينِ علمٍ ، ولا برهانٍ واضحٍ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : قلْ يا محمدُ لهؤلاء العادِلين بربِّهم الأوثانَ والأصنامَ ، القائلين على ربِّهم الكذبَ ، فى تحريمِهم ما حرَّموا مِن الحروثِ والأنعامِ ، إن عجزوا عن إقامةِ الحُجَّةِ عندَ قِيلِك لهم : هل عندَكم مِن علمٍ بما تدَّعُون

على ربِّكم فتُخْرِجوه لنا ؟ وعن إخراجِ علمِ ذلك لك وإظهارِه ، وهم لاشكَّ عن ذلك عَجَزةٌ ، وعن إظهارِه مُقَصِّرةٌ[(١)] ؛ لأنه باطلٌ لا حقيقةَ له ، فللهِ[(٢)] الذى حرَّم عليكم أن تُشْرِكوا به شيئًا ، وأن تَتَّبِعوا خُطُواتِ الشيطانِ فى أموالِكم مِن الحروثِ والأنعامِ - الحجةُ البالغةُ / دونَكم أيُّها المشركون . ويَعْنى بـ « البالغةِ » : أنها تَبْلُغُ ٨٠/٨ مرادَه فى ثبوتِها على مَن احْتَجَّ بها عليه مِن خَلْقِه ، وقَطْعِ عُذْرِه إذا[(٣)] انْتَهَتْ إليه فيما جُعِلَتْ حجةً فيه .

﴿ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ . يقولُ : فلو شاء ربُّكم لَوَفَّقكم أجمعين للاجْتِماعِ[(٤)] على إفرادِه بالعبادةِ ، والبراءةِ مِن الأندادِ والآلهةِ ، والدَّيْنونةِ بتحريمِ ما حرَّم اللَّهُ ، وتحليلِ ما حَلَّله اللَّهُ ، وتركِ اتِّباعِ خطواتِ الشيطانِ ، وغيرِ ذلك مِن طاعاتِه ، ولكنَّه لم يَشَأْ ذلك ، فخالَف بينَ خلقِه فيما شاء منهم ، فمنهم كافرٌ ومنهم مؤمنٌ .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال جماعةٌ مِن أهلِ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ ، قال : لا حُجَّةَ لأحدٍ عصَى[(٥)] اللَّهَ ، ولكنْ للَّهِ الحجةُ البالغةُ على عبادِه ، [(٦)]قال اللَّهُ[(٦)] : ﴿ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ . قال : ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ

---

(١) فى م : « مقصرون » .

(٢) فى م : « فالله » .

(٣) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « وإذا » .

(٤) فى م : « للإجماع » .

(٥) فى ت ١ ، س : « على » .

(٦ - ٦) فى م : « وقال » .

وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٣][(١)].

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَاۖ فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأٓخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ ﴾.

يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : [١/٨٠٨و] قلْ يا محمدُ لهؤلاء المُفْتَرِين على ربِّهم مِن عَبَدةِ الأوثانِ ، الزاعمِين أن اللَّهَ حرَّم عليهم ما هم مُحَرِّموه مِن حُروثِهم وأنعامِهم : ﴿ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ﴾ . يقولُ : هاتوا شُهداءَكم الذين يَشْهَدون على اللَّهِ أنه حرَّم عليكم ما تَزْعُمون أنه حرَّمه عليكم .

وأهلُ العاليةِ مِن تِهامةَ تُوَحِّدُ « هُلُمَّ » فى الواحدِ والاثنين والجَمِيعِ[(٢)] ، وتذكِّرُ فى المؤنَّثِ والمذكَّرِ ، فتقولُ للواحدِ : هَلُمَّ يا فلانُ . وللاثنين والجميعِ[(٢)] كذلك ، وللأنثى مثلَه ، ومنه قولُ الأعْشَى[(٣)] :

وكان دعا قومَه دَعْوةً هلُمَّ إلى أمرِكم قد صُرِمْ[(٤)]

يُنْشَدُ : هلُمَّ وهلُمُّوا . وأما أهلُ السافِلةِ مِن نَجْدٍ ، فإنهم يُوَحِّدون للواحدِ ، ويُثَنُّون للاثنين ، ويَجْمَعون للجميعِ ، فتقولُ للواحدِ مِن الرجالِ : هلُمَّ . وللواحدةِ مِن النساءِ : هلُمِّى . وللاثنين : هلُمَّا . وللجماعةِ مِن الرجالِ : هلُمُّوا . وللنساءِ : هَلْمُمْنَ[(٥)] .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤١٣/٥ (٨٠٥٠) من طريق عبد الله بن أبى جعفر به ، إلى قوله : على عباده .

(٢) فى م : « الجمع » .

(٣) ديوانه ص ٤٣.

(٤) الصَّرْم : القَطْع البائن . اللسان (ص ر م) .

(٥) فى ت ١، ت ٢، ت ٣، س، ف : « هلمن » .

قال اللَّهُ لنبيِّه : ﴿ فَإِن شَهِدُوا ﴾ يا محمدُ . يقولُ : فإن جاءوك بشهداءَ يَشْهَدون أن اللَّهَ حرَّم ما يَزْعُمون أن اللَّهَ حرَّمه عليهم ، ﴿ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ﴾ . فإنهم كَذَبةٌ وشهودُ زُورٍ فى شهادتِهم بما شهِدوا به مِن ذلك على / اللَّهِ . وخاطَب ٨١/٨ بذلك جلَّ ثناؤُه نبيَّه ﷺ ، والمرادُ به أصحابُه والمؤمنون به ، ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ . يقولُ : (١) ولا تُشايِعْهم (١) على ما هم عليه مِن التكذيبِ بوحيِ اللَّهِ وتنزيلِه ، فى تحريمِ ما حرَّم ، وتحليلِ ما أحَلَّ لهم ، ولكن اتَّبِعْ ما أُوحِى إليك مِن كتابِ ربِّك الذى لا يأْتِيه الباطلُ مِن بينِ يديْه ولا مِن خلفِه . ﴿ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ﴾ . يقولُ : ولا تتَّبِعْ أهواءَ الذين لا يُؤْمِنون بالآخرةِ ، فتُكَذِّبَ بما هم به مُكَذِّبون ؛ مِن إحياءِ اللَّهِ خلقَه بعدَ مَماتِهم ، ونَشْرِه إياهم بعدَ فنائِهم ، ﴿ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ . يقولُ : وهم مع تكذيبِهم بالبعثِ بعدَ المَماتِ ، وجحودِهم قيامَ الساعةِ ، باللَّهِ يَعْدِلون الأوثانَ والأصنامَ ، فيَجْعَلونها له عِدْلًا ، ويَتَّخِذونها له نِدًّا يَعْبُدونها مِن دونِه .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال جماعةٌ مِن أهلِ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ قولَه : ﴿ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا ﴾ . يقولُ : قُلْ : أَرُونى الذين يَشْهَدون أن اللَّهَ حرَّم هذا مما حَرَّمَتِ العربُ ، وقالوا : أمَرَنا اللَّهُ به . قال اللَّهُ لرسولِه : ﴿ فَإِن شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ﴾ (٢) .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن

(١ - ١) فى م ، س : « ولا تتابعهم » ، وفى ت ١ : « وتشايعهم » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤١٣/٥ (٨٠٥٢، ٨٠٥٤، ٨٠٥٥) من طريق أحمد بن المفضل به .

مجاهدٍ : ﴿ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ﴾ . قال : البَحائِرُ والسُّيَّبُ[(١)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : قلْ يا محمدُ لهؤلاء العادِلين بربِّهم الأوثانَ والأصنامَ ، الزاعمين أن اللَّهَ حرَّم عليهم ما هم مُحَرِّموه مِن حروثِهم وأنعامِهم ، على ما ذكَرتُ لك فى تنزيلى عليك : تعالَوْا أيُّها القومُ أقْرأْ عليكم ما حرَّم ربُّكم حقًّا يقينًا ، لا الباطلَ تَخَرُّصًا ؛ تَخَرُّصَكم[(٢)] على اللَّهِ الكذبَ والفِرْيَةَ ظنًّا ، ولكنْ وحيًا مِن اللَّهِ أوْحاه إلىَّ ، وتنزيلًا أنزَله علىَّ : ألا تُشْرِكوا باللَّهِ شيئًا مِن خلقِه ، ولا تَعْدِلوا به الأوثانَ والأصنامَ ، ولا تَعْبُدوا شيئًا سواه . ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ . يقولُ : وأَوْصَى بالوالدين إحسانًا . وحذَف « أَوْصَى » و « أمَر » ؛ لدلالةِ الكلامِ عليه ومعرفةِ السامعِ بمعناه . وقد بيَّنا ذلك بشواهدِه فيما مضَى مِن الكتابِ[(٣)] .

وأما « أن » فى قولِه : ﴿ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ . فرفعٌ ؛ لأن معنى الكلامِ : قلْ تعالَوْا أتلُ ما حرَّم ربُّكم عليكم ؛ هو[(٤)] ألا تُشْرِكوا به شيئًا .

٨٢/٨ وإذا كان ذلك معناه ، كان فى قولِه : ﴿ تُشْرِكُوا ﴾ . وجهان ؛ الجزمُ / بالنَّهْيِ ، وتوجيهُ « لا » إلى معنى النهيِ . والنصبُ على توجيهِ الكلامِ إلى الخبرِ ، ونصبِ ﴿ تُشْرِكُوا ﴾ بـ ﴿ أَلَّا ﴾ ، كما يقالُ : أمَرْتُك ألا تقومَ .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤١٣/٥ (٨٠٥٣) من طريق حجاج به .

(٢) فى م : « كخرصكم » .

(٣) ينظر ما تقدم فى ٢/ ١٩١.

(٤) سقط من : ص ، ت ١، ت ٢، ت ٣، س ، ف .

وإن شئتَ جعَلْتَ «أن» فى موضعِ نصبٍ ردًّا على «ما» وبيانًا عنها، ويكونُ فى قولِه: ﴿تُشْرِكُوا﴾. أيضًا مِن وجهَيِ الإعرابِ على[1] نحوِ ما كان فيه منه و «أن» فى موضعِ رفعٍ.

ويكونُ تأويلُ الكلامِ حينَئذٍ: قلْ تعالوا أتْلُ ما حرَّم ربُّكم عليكم؛ أتلُ[2] ألا تُشْرِكوا به شيئًا.

فإن قال قائلٌ: وكيف يَجوزُ أن يكونَ قولُه: ﴿تُشْرِكُوا﴾. نصبًا بـ ﴿أَلَّا﴾، أم كيف يَجوزُ توجيهُ قولِه: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ﴾. على معنى الخبرِ، وقد عطَف عليه بقولِه: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ﴾. وما بعدَ ذلك مِن جزمِ النهيِ؟

قيل: جاز ذلك كما قال تعالى ذكرُه: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾. فجعَل ﴿أَنْ أَكُونَ﴾ خبرًا، و ﴿أَنْ﴾ اسمًا، ثم عطَف عليه[3] ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[3]. وكما قال الشاعرُ[4]:

حَجَّ وأَوْصَى بسُلَيْمَى الأَعْبُدَا

ألا تَرَى ولا تُكَلِّمْ أحَدَا

ولا يَزَلْ شَرابُها مُبَرَّدَا[5]

فجعَل قولَه: ألَّا تَرَى. خبرًا، ثم عطَف بالنهيِ، فقال: ولا تُكَلِّمْ، ولا يَزَلْ.

القولُ فى تأويلِ قولِه: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ

---

(١) سقط من: م.

(٢) سقط من: ص، ت ١، ت ٢، ت ٣، س، ف.

(٣ - ٣) زيادة لازمة يتضح بها السياق، وينظر معانى القرآن للفراء ١/ ٣٦٤.

(٤) معانى القرآن للفراء ١/ ٣٦٤ دون نسبة.

(٥) فى معانى القرآن ١/ ٣٦٤: «ولا تمش بفضاء بعدا».

وَإِيَّاهُمْ ﴾ .

[١/٨٠٨ظ] يعنى تعالى ذكره بقوله : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ﴾ : ولا تَئِدوا أولادَكم فتقْتُلوهم مِن خَشْيةِ الفقرِ على أنفسِكم بنَفَقاتِهم [(١)] ؛ فإن اللَّهَ هو رازقُكم وإياهم ، ليس عليكم رزقُهم فتخافُوا بحياتِهم على أنفسِكم العجزَ عن أرزاقِهم وأقْواتِهم .

والإمْلاقُ مصدرٌ مِن قولِ القائلِ : أمْلَقْتُ مِن الزادِ ، فأنا أُمْلِقُ إملاقًا . وذلك إذا فنِى زادُه ، وذهَب مالُه وأفْلَس .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ ، عن علىٍّ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ﴾ : الإملاقُ الفقرُ ، قتَلوا أولادَهم خشيةَ الفقرِ [(٢)] .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ﴾ . أىْ : خشيةَ الفاقةِ [(٣)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ﴾ . قال : الإملاقُ الفقرُ [(٤)] .

---

(١) فى ت ١، ت ٢، ت ٣، س ، ف : « شفقا بهم » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥/١٤١٤ (٨٠٥٩) من طريق أبى صالح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/٥٥ إلى ابن المنذر وابن مردويه .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥/١٤١٥ (٨٠٦٠) من طريق شيبان ، عن قتادة مطولًا ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/ ٥٤، ٥٥ إلى عبد بن حميد وأبى الشيخ .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥/١٤١٥ عقب الأثر (٨٠٦٠) من طريق عمرو بن حماد، عن أسباط به .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، قال : قال ابنُ جُريجٍ قولَه : ﴿ مِّنْ إِمْلَٰقٍ ﴾ . قال : شياطينُهم يَأْمُرُونهم أن يَئِدوا أولادَهم خِيفةَ العَيْلَةِ .

/حُدِّثْتُ عن الحسينِ بنِ الفرجِ ، قال : سمِعْتُ أبا معاذٍ يقولُ : ثنا عُبيدُ بنُ سليمانَ ، عن الضحاكِ فى قولِه : ﴿ مِّنْ إِمْلَٰقٍ ﴾ . يعنى : من[1] خشيةِ فقرٍ[2] . ٨٣/٨

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : ولا تَقْرَبُوا الظاهرَ مِن الأشياءِ المحرَّمةِ عليكم ، التى هى علانيةٌ بينَكم ، لا تناكَرون ركوبَها ، والباطنَ منها الذى تَأْتُونه[3] سرًّا فى خَفاءٍ لا تُجاهِرون[4] به ، فإن كلَّ ذلك حرامٌ .

وقد قيل : إنما قيل : لا تَقْرَبوا ما ظهَر مِن الفَواحشِ وما بطَن ؛ لأنهم كانوا يَسْتَقْبِحون مِن معانى الزنى بَعْضًا .

وليس ما قالوا مِن ذلك بمدفوعٍ ، غيرَ أن دليلَ الظاهرِ مِن التنزيلِ على النهيِ عن ظاهرِ كلِّ فاحشةٍ وباطنِها ، ولا خبرَ يَقْطَعُ العذرَ بأنه عُنى به بعضٌ دونَ جميعٍ ، وغيرُ جائزٍ إحالةُ ظاهرِ كتابِ اللَّهِ إلى باطنٍ إلا بحُجَّةٍ يَجِبُ التسليمُ لها .

ذكرُ مَن قال ما ذكَرْنا مِن قولِ مَن قال : الآيةُ خاصُّ المعنى

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن

---

(١) زيادة من : م .

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤١٥/٥ عقب الأثر (٨٠٦٠) معلقا .

(٣) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « يأتونه » .

(٤) فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « يجاهرون » .

السدىِّ: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾: أما ﴿ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾: فزوانى الحَوانيتِ، وأما ﴿ مَا بَطَنَ ﴾: فما خفِى[1].

حُدِّثْتُ عن الحسينِ بنِ الفرجِ، قال: سمِعْتُ أبا معاذٍ يقولُ: ثنا عُبيدُ بنُ سليمانَ، عن الضحاكِ قولَه: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾: كان أهلُ الجاهليةِ يَسْتَسِرُّون بالزنى، ويَرَوْن ذلك حلالًا ما كان سرًّا، فحرَّم اللَّهُ السرَّ منه والعَلانِيَةَ، ﴿ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾. يعنى: العَلانية، ﴿ وَمَا بَطَنَ ﴾. يعنى: السرَّ[2].

حدَّثنى المثنى، قال: ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ، قال: ثنى معاويةُ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ، عن ابنِ عباسٍ قولَه: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾. قال: كانوا فى الجاهليةِ لا يَرَوْن بالزنى بأسًا فى السرِّ، ويَسْتَقْبِحونه فى العَلانيةِ، فحرَّم اللَّهُ الزنى فى السرِّ والعَلانيةِ[3].

وقال آخرون فى ذلك بمثلِ الذى قلنا فيه.

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ، قال: ثنا يزيدُ، قال: ثنا سعيدٌ، عن قتادةَ: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾: سرَّها وعلانِيتَها[4].

حدَّثنى محمدُ بنُ عبدِ الأعلى، قال: ثنا محمدُ بنُ ثورٍ، عن معمرٍ، عن قتادةَ

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤١٦/٥ عقب الأثر (٨٠٦٦) من طريق عمرو بن حماد عن أسباط به.

(٢) ينظر التبيان ٤/ ٣١٥.

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥/ ١٤١٦، ١٤٦٩ (٨٠٦٦، ٨٤١١) من طريق أبى صالح عبد الله بن صالح به، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٥/٣ إلى ابن المنذر وابن مردويه.

(٤) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤١٦/٥ عقب الأثر (٨٠٦٦) معلقا، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/ ٥٤، ٥٥ إلى عبد بن حميد وأبى الشيخ.

نحوَه[١] .

وقال آخرون : ﴿مَا ظَهَرَ﴾ : نكاحُ الأمهاتِ وحلائلِ الآباءِ ، ﴿وَمَا بَطَنَ﴾ : الزنى .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن أبيه ، عن خُصَيْفٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ . قال : ﴿مَا ظَهَرَ﴾ : جمعٌ بينَ الأُختين ، وتزويجُ الرجلِ امرأةَ أبيه مِن بعدِه ، ﴿وَمَا بَطَنَ﴾ : الزنى[٢] .

وقال آخرون فى ذلك بما حدَّثنى إسحاقُ بنُ زيادٍ العَطَّارُ البَصْرىُّ[٣] ، قال : ثنا محمدُ بنُ إسحاقَ البَلْخىُّ ، قال : / ثنا تَميمُ بنُ شاكرٍ الباهلىُّ ، عن عيسى بنِ أبى حَفْصةَ ، قال : سمِعْتُ الضحاكَ يقولُ فى قولِه : ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ . قال : ﴿مَا ظَهَرَ﴾ : الخمرُ ، ﴿وَمَا بَطَنَ﴾ : الزنى[٤] .

٨٤/٨

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١)﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ - ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ . يعنى بالنفسِ

---

(١) تفسير عبد الرزاق ٢٢١/١ عن معمر من قوله .

(٢) أخرج أوله ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤١٦/٥ (٨٠٦٨) من طريق خصيف به بنحوه ، وذكر آخره ١٤١٧/٥ عقب الأثر (٨٠٧٢) معلقا .

(٣) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « النصرى » ، وغير منقوطة فى س .

(٤) ذكره البغوى فى تفسيره ٢٠٣/٣ .

التى حرَّم اللَّهُ قتلَها ؛ نفسَ مؤمنٍ أو مُعاهَدٍ . وقولُه : ﴿ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ ﴾ . يعنى : بما أباح قتلَها به ؛ مِن أن تَقْتُلَ نفسًا فتُقْتَلَ قَوَدًا بها ، أو تَزْنِىَ وهى مُحْصَنةٌ فتُرْجَمَ ، أو تَرْتَدَّ[(١)] عن دينِها الحقِّ فتُقْتَلَ[(٢)] ، فذلك الحقُّ الذى أباح اللَّهُ جلَّ ثناؤُه قتلَ النفسِ التى حرَّم على المؤمنين قتلَها به . ﴿ ذَٰلِكُمۡ ﴾ . يعنى : هذه الأمورُ التى عهِد إلينا فيها ربُّنا ألَّا نأْتِيَه ، وألَّا ندَعَه ، هى الأمورُ التى وَصَّانا والكافرين بها أن نَعْمَلَ جميعًا به . ﴿ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ . يقولُ : وَصَّاكم بذلك لتَعْقِلوا[(٣)] ما وصَّاكم به ربُّكم .

القولُ فى تأويلِ قولِه : [٨٠٩/١و] ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥ ﴾ .

يعنى جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُ ﴾ : ولا تَقْرَبوا مالَه إلا بما فيه صلاحُه وتَثْميرُه[(٤)] .

كما حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا الحِمَّانىُّ ، قال : ثنا شَريكٌ ، عن ليثٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُ ﴾ . قال : التجارةُ فيه[(٥)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ : ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُ ﴾ : فلْيُثَمِّرْ مالَه .

حدَّثنى الحارثُ ، قال : ثنا عبدُ العزيزِ ، قال : ثنا فُضَيْلُ بنُ مرزوقٍ العَنَزىُّ ، عن سَليطِ بنِ بلالٍ ، عن الضحاكِ بنِ مُزاحِمٍ فى قولِه : ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا

---

(١) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « ترد » .

(٢) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « فيبدل » ، وفى ف : « فتبدل » .

(٣) فى م : « لعلكم تعقلون » .

(٤) فى س : « تنميته » ، وفى ف : « تميزه » .

(٥) ذكره البغوى فى تفسيره ٣/ ٢٠٣، ٢٠٤.

بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ . قال : يَبْتَغِى له فيه ، ولا يأْخُذ مِن ربحِه شيئًا[1] .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ وَلَا نَقْرَبُوا مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ . قال : التى هى أحسنُ أن يأكُل بالمعروفِ إن افتقَر ، وإن استَغْنَى فلا يأكُل / قال اللهُ : ﴿ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [النساء : ٦] . قال : وسُئِل عن الكِسْوةِ فقال : لم يَذْكُرِ اللهُ الكِسوةَ ، إنما ذكَر الأكلَ[2] . ٨٥/٨

وأما قولُه : ﴿ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ﴾ . فإن[3] الأَشُدَّ جمعُ شَدٍّ ، كما الأَضُرُّ جمعُ ضَرٍّ ، وكما الأَشُرُّ جمعُ شَرٍّ . والشَّدُّ[4] القُوَّةُ ، وهو استِحْكامُ قوةِ شبابِه وسنِّه ، كما شَدُّ النهارِ ارتفاعُه وامْتِدادُه ، يقالُ : أتيتُه شَدَّ النهارِ ومَدَّ النهارِ . وذلك حينَ امتدادِه وارتفاعِه . وكان المُفَضَّلُ فيما بلَغنى يُنْشِدُ بيتَ عَنترةَ[5] :

عَهدى به شَدَّ النَّهارِ كأنَّما خُضِب اللَّبانُ[6] ورأسُه بالعِظْلِمِ[7]

ومنه قولُ الآخرِ[8] :

تُطِيفُ به شَدَّ النَّهارِ ظَعِينةٌ[9] طويلةُ أنْقاءِ[10] اليَدَيْن سَحوقُ[11]

---

(١) أخرجه ابن أبى شيبة ٦/ ٣٧٩، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٥/ ١٤١٨، ١٤١٩ (٨٠٨٣) من طريق فضيل به نحوه ، وليس عند ابن أبى شيبة : سليط بن بلال .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤١٩/٥ (٨٠٨٤) من طريق أصبغ عن ابن زيد به .

(٣) فى ص ، ت ١، ت ٢، ت ٣، س ، ف : « قال » .

(٤) فى ت ١، ف : « الشدة » .

(٥) شرح ديوان عنترة ص ١٢٧.

(٦) اللبان : الصدر ، وقيل : وسطه ، وقيل : ما بين الثديين ، ويكون للإنسان وغيره . اللسان (ل ب ن) .

(٧) العظلم هنا : صبغ أحمر . اللسان (عظلم) .

(٨) الأضداد ص ٢٢٣، واللسان (س ح ق) ،غير منسوب .

(٩) الظعينة : المرأة فى الهودج . اللسان (ظ ع ن) .

(١٠) الأنقاء جمع النقو : كل عظم ذى مخ . اللسان (ن ق و) .

(١١) السحوق : المرأة الطويلة . اللسان (س ح ق) .

وكان بعضُ البصريين يَزْعُمُ أن الأَشُدَّ اسمٌ مثلُ الآنُـكِ[(١)] .

فأما أهلُ التأويلِ فإنهم مُختلِفون فى الحينِ الذى إذا بلَغه الإنسانُ قيل : بلَغ أشُدَّه ؛ فقال بعضُهم : يقالُ ذلك له إذا بلَغ الحُلُمَ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى أحمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ ، قال : ثنا عمى ، قال : أخبرَنى يحيى بنُ أيوبَ ، عن عمرِو بنِ الحارثِ ، عن ربيعةَ فى قولِه : ﴿ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ﴾ . قال : الحُلُمَ[(٢)] .

حدَّثنى أحمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ ، قال : ثنا عمى ، قال : ثنى عبدُ الرحمنِ بنُ زيدِ ابنِ أسْلَمَ ، عن أبيه مثلَه . قال ابنُ وهبٍ : وقال لى مالكٌ مثلَه[(٣)] .

حُدِّثْتُ عن الحِمّانىِّ ، قال : ثنا هُشَيمٌ ، [(٤)]عن مجالدٍ[(٤)] ، عن عامرٍ : ﴿ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ﴾ . قال : الأَشُدُّ الحُلُمُ ، حيث تُكْتَبُ له الحسناتُ ، وتُكْتَبُ عليه السَّيئاتُ[(٥)] .

وقال آخرون : إنما يقالُ ذلك له إذا بلَغ ثلاثين سنةً .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن

---

(١) الآنُك : الأُسْرُب ، وهو الرَّصاص القَلْعِىّ ، أو أبيَضُه ، أو أسْوَدُه ، أو خالِصُه . وقال كراع : هو القَزْدِير . ينظر تاج العروس (أ ن ك) .

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤١٩/٥ عقب الأثر (٨٠٨٨) معلقا ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٥/٣ إلى أبى الشيخ .

(٣) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤١٩/٥ عقب الأثر (٨٠٨٨) معلقًا ، عن زيد بن أسلم ومالك ، وقول زيد عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٥/٣ إلى أبى الشيخ .

(٤ - ٤) فى م : « عن مجاهد » ، وفى ف : « بن مجالد » .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤١٩/٥ (٨٠٨٨) من طريق هشيم به .

السديِّ : ﴿ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ﴾ . قال : أما ﴿ أَشُدَّهُۥ ﴾ فثلاثون سنةً ، ثم جاء بعدَها : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ ﴾ [النساء : ٦] [1] .

وفى الكلامِ محذوفٌ تُرِك ذكرُه اكْتِفاءً بدَلالةِ ما ظهَر عما حُذِف . وذلك أن معنى الكلامِ : ولا تَقْرَبوا مالَ اليتيمِ إلَّا بالتى هى أحسنُ حتى يَبْلُغَ أَشُدَّه ، فإذا بلَغ أشُدَّه فآنَستُم منه رُشْدًا فادْفَعوا إليه مالَه . لأنه جلَّ ثناؤُه لم يَنْهَ / أن يُقْرَبَ مالُ اليتيمِ ٨٦/٨ فى حالِ يُتْمِه إلا بالتى هى أحسنُ حتى يَبْلُغَ أشُدَّه ، لِيَحِلَّ [2] لوليِّه بعدَ بُلوغِه أشُدَّه أن يَقْرَبَه بالتى هى أسْوأُ ، ولكنَّه نَهاهم أن يَقْرَبوه [3] حِياطةً منه له ، وحِفظًا عليه ، ليُسْلِموه إليه إذا بلَغ أشُدَّه .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ - وأن ﴿ أَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ ﴾ . يقولُ : لا تَبْخَسوا الناسَ الكيلَ إذا كِلْتُموهم ، والوزنَ إذا وزَنْتُموهم ، ولكنْ أَوْفُوهم حقوقَهم . وإيفاؤُهم ذلك إعطاؤُهم حقوقَهم تامَّةً ، ﴿ بِٱلْقِسْطِ ﴾ . يعنى : بالعدلِ .

كما حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شِبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ بِٱلْقِسْطِ ﴾ : بالعدلِ [4] .

وقد بيَّنا معنى « القسطِ » بشَواهِدِه فيما مضَى ، وكَرِهْنا إعادتَه [5] .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥/ ١٤٢٠ (٨٠٩٠) من طريق أحمد بن المفضل به دون آخره .

(٢) فى م : « ويحل » .

(٣) فى م : « يقربوا » .

(٤) تقدم فى ٥/ ٢٨٠.

(٥) ينظر ما تقدم فى ٨/ ٤٤٧، ٤٤٨.

وأما قولُه : ﴿ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ . فإنه يقولُ : لا نُكلِّفُ نفسًا مِن إيفاءِ الكيلِ والوزنِ إلا ما يَسَعُها فيَحِلُّ لها ولا تُحْرَجُ فيه ، وذلك أن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه عِلِم مِن عبادِه أن كثيرًا منهم تَضِيقُ نفسُه عن أن تَطِيبَ لغيرِه بما لا يَجِبُ عليها له ، فأمَر المُعْطِىَ بإيفاءِ ربِّ الحقِّ حقَّه الذى هو له ، ولم يُكَلِّفْه الزيادةَ ؛ لِمَا فى الزيادةِ عليه مِن ضِيقِ نفسِه بها ، وأمَر [١/٨٠٩ظ] الذى له الحقُّ بأَخْذِ حقِّه ، ولم يُكَلِّفْه الرضا بأقلَّ منه ؛ لِمَا فى النقصانِ عنه مِن ضيقِ نفسِه ، فلم يُكلِّفْ نفسًا منهما[(١)] إلا ما لا[(٢)] حرجَ فيه ولا ضيقَ[(٣)] ، فلذلك قال : ﴿ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ .

وقد اسْتَقْصَيْنا بيانَ ذلك بشَواهدِه فى موضعٍ غيرِ هذا الموضعِ ، بما أَغْنَى عن إعادتِه[(٤)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ .

يعنى تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا ﴾ : وإذا حكَمْتُم بينَ الناسِ فتكَلَّمْتُم ، فقولوا الحقَّ بينَهم ، واعْدِلوا وأنْصِفوا ولا تَجُوروا ، ولو كان الذى يَتَوَجَّهُ الحقُّ عليه والحكمُ ذا قَرابةٍ لكم ، ولا يَحْمِلَنَّكم قَرابةُ قريبٍ ، أو صَداقةُ صديقٍ ، حَكَمْتُم بينَه وبينَ غيرِه ، أن تَقولوا غيرَ الحقِّ فيما احْتُكِم إليكم فيه . ﴿ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ﴾ . يقولُ : وبوصيةِ اللَّهِ التى أَوْصاكم بها فأَوْفُوا . وإيفاءُ ذلك أن يُطِيعوه فيما أمَرَهم به ونهاهم ، وأن يَعْمَلوا بكتابِه وسنةِ رسولِه ﷺ ، وذلك هو الوفاءُ بعهدِ اللَّهِ .

وأما قولُه : ﴿ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ :

---

(١) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف : « منها » .

(٢) سقط من : ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، ف .

(٣) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « يضيق » ، وفى ف : « تضيق » .

(٤) ينظر ما تقدم فى ٤/ ٢١٢ ، ٢١٣ .

قلْ للعادِلِين باللَّهِ الأوثانَ والأصنامَ مِن قومِك: هذه الأمورُ التي ذكَرْتُ لكم في هاتين الآيتين، هي الأشياءُ التي عهِد إلينا ربُّنا، ووصَّاكم بها ربُّكم، وأمَرَكم[(١)] بالعملِ بها، لا بالبَحائرِ[(٢)] والسَّوائبِ والوَصائلِ والحامِ، وقتلِ الأولادِ، ووَأْدِ البناتِ، واتِّباعِ خُطُواتِ الشيطانِ. ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾. يقولُ: أمَرَكم بهذه الأمورِ التي أمَرَكم بها في هاتين الآيتين، ووصَّاكم بها، وعهِد إليكم فيها؛ لتَتَذكَّروا عَواقبَ أمرِكم، وخطأَ ما أنتم عليه مُقيمون، فتنْزَجِروا عنها، وتَرْتَدِعوا وتُنِيبوا إلى طاعةِ ربِّكم.

وكان ابنُ عباسٍ يقولُ: هذه الآياتُ هن الآياتُ المُحْكَماتُ.

[(٣)]حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ، قال: ثنا أبي، عن عليِّ بنِ[(٤)] صالحٍ، عن أبي إسحاقَ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ قيسٍ / عن ابنِ عباسٍ، قال: هن الآياتُ المُحْكَماتُ[(٣)]؛ قولُه: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا﴾[(٥)]. ٨٧/٨

حدَّثنا محمدُ بنُ المثنى، ومحمدُ بنُ بشارٍ، قالا: ثنا وهبُ بنُ جريرٍ، قال: ثنا أبي، قال: سمِعْتُ يحيى بنَ أيوبَ يُحَدِّثُ عن يزيدَ بنِ أبي حَبيبٍ، عن مَرْثَدِ[(٦)] بنِ عبدِ اللَّهِ، عن عُبيدِ اللَّهِ بنِ عديِّ بنِ الخِيارِ، قال: سمِع كعبُ الأحبارِ رجلًا يقرَأُ:

---

(١) في ص، ت ١، ت ٢، ت ٣، س، ف: «أمرهم».

(٢) في ت ١، ت ٢، ت ٣، س، ف: «بالبحيرة».

(٣ - ٣) سقط من: ت ١.

(٤) بعده في ص، م، ت ٢، ت ٣، س، ف: «أبي». والمثبت من تفسير ابن أبي حاتم والمستدرك ٢/ ٢٨٨. وينظر تهذيب الكمال ٢٠/ ٤٦٤.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤١٤/٥ (٨٠٥٧) من طريق وكيع به، وأخرجه الحاكم ٢٨٨/٢ من طريق علي بن صالح به. وأخرجه سعيد بن منصور في سننه (٤٩٣ - تفسير) وأبو داود في ناسخه - كما في تهذيب الكمال ٤٥٨/١٥ - وابن أبي حاتم ٥٩٢/٢ (٣١٦٨) من طريق أبي إسحاق به. وأخرجه الحاكم أيضًا ٣١٧/٢ من طريق أبي إسحاق، لكن عن عبد الله بن خليفة - لا ابن قيس - عن ابن عباس. وينظر ما تقدم في ٥/ ١٩٣.

(٦) في ت ١، ت ٢، ت ٣، س، ف: «يزيد». ينظر تهذيب الكمال ٣٢/ ١٠٢.

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ . فقال : والذى نفسُ كعبٍ بيدِه ، إن هذا لأوَّلُ شيءٍ فى التوراةِ : (بسم الله الرحمن الرحيم : قل تعالوا أتلُ ما حرّم ربكم عليكم)[١] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن أبيه ،عن سعيدِ بنِ مسروقٍ ، عن رجلٍ ، عن الرَّبيعِ بنِ خُثَيمٍ[٢] أنه قال لرجلٍ : هل لك فى صَحيفةٍ عليها خاتمُ محمدٍ ؟ ثم قرأ هؤلاء الآياتِ : ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾[٣] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا إسحاقُ الرازىُّ ، عن أبى سِنانٍ ، عن عمرِو بنِ مُرَّةَ ، قال : قال الربيعُ : ألا أَقرأُ عليكم صَحيفةً مِن رسولِ اللهِ ﷺ لم يُفَلَّ[٤] خاتَمُها ؟ فقرأ هذه الآياتِ : ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ .

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : ثنا جريرٌ ، عن الأعمشِ ، عن إبراهيمَ ، عن عَلْقمةَ ، قال : جاء إليه نَفَرٌ ، فقالوا : قد جالَسْتَ أصحابَ محمدٍ فحدِّثْنا عن الوحيِ . فقرأ عليهم هذه الآياتِ مِن « الأنعامِ » : ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ . قالوا : ليس عن هذا نَسأَلُك . قال : فما عندَنا وَحْىٌ غيرُه .

حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أَسْباطُ ، عن السديِّ ، قال : هؤلاء الآياتُ التى أَوْصَى بها مِن مُحْكَمِ القرآنِ .

---

(١) أخرجه أبو نعيم فى الحلية ٥/٣٨٣ من طريق محمد بن المثنى به ، كما أخرجه ابن الضُّرَيس فى فضائل القرآن (١٩٨) ، وأبو نعيم فى الحلية ٦/ ١٣، من طريق الزُّبير بن الخِرِّيت عن عكرمة مولى ابن عباس عن كعب ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/ ٥٤ من قول كعب إلى ابن أبى شيبة وابن المنذر ، ومن قول عبيد الله ابن عدى إلى أبى الشيخ . ووقع عند أبى نعيم : الحارث بدلا من الخريت . وينظر تهذيب الكمال ٩/ ٣٠١.

(٢) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣، س ، ف : « خيثم » وينظر تهذيب الكمال ٩/ ٧٠.

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/ ٥٤ إلى أبى عبيد وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٤) فى ت ١، ت ٢، ت ٣، س ، ف : « يقل » .

حدَّثني يونُسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِه : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا ﴾ . قال : قولوا الحقَّ[1] .

القولُ في تأويلِ قولِه : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : وهذا الذي وصَّاكم به ربُّكم أيُّها الناسُ في هاتين الآيتين مِن قولِه : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ . وأمَرَكم بالوَفاءِ به ، هو صِراطُه ؛ يعنى طريقَه ودينَه الذي ارْتَضاه لعبادِه ، ﴿ مُسْتَقِيمًا ﴾ . يعنى : قَويمًا لا اعْوجاجَ به عن الحقِّ ، ﴿ فَاتَّبِعُوهُ ﴾ . يقولُ : فاعْمَلوا به ، واجْعَلوه لأنفسِكم مِنْهاجًا تَسْلُكونه ، فاتَّبِعوه[2] ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ ﴾ . يقولُ : ولا تَسْلُكوا طريقًا سواه ، ولا تَرْكَبوا /منهجًا غيرَه ، ولا تَبْغُوا [١/٨١٠و] دينًا خلافَه[3] مِن اليهوديةِ والنصرانيةِ والمجوسيةِ وعبادةِ الأوثانِ ، وغيرِ ذلك مِن المِلَلِ ؛ فإنها بدعٌ وضَلالاتٌ ، ﴿ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ . يقولُ : فيُشَتِّتَ بكم - إن اتَّبَعْتُم السبلَ المحْدَثةَ التي ليست للَّهِ بسبلٍ ولا طرقٍ ولا أديانٍ - اتباعُكم إياها ، ﴿ عَن سَبِيلِهِ ﴾ . يعنى : عن طريقِه ودينِه الذي شرَعه لكم وارْتَضاه ، وهو الإسلامُ الذي وصَّى به الأنبياءَ ، وأمَر به الأممَ قبلَكم . ﴿ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : هذا الذي وصَّاكم به ربُّكم مِن قولِه لكم : ﴿ أَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ ﴾ . وصَّاكم به ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ . يقولُ : لِتَتَّقوا اللَّهَ في أنفسِكم فلا تُهْلِكوها ، ٨٨/٨

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٢١/٥ (٨٠٩٨) من طريق أصبغ ، عن ابن زيد ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٥/٣ إلى أبي الشيخ .

(٢) في ص : « فأما ما سعونه » ، وفي ت ١، ت ٣: « فأما ما يتبعونه » ، وكذا في ص ، ت ٢، ولكن غير تامة النقط ، وفي س : « لا ما تتبعونه » ، وفي ف : « فاما يتبعونه » .

(٣) في ص ، ت ١، ت ٢، ت ٣، س ، ف : « خلاه » وفوقها في ص ، س : (ط) إشارة إلى الخطأ ، والكلمة صواب ، وهي بمعنى « خلافه » التي في : م .

وتحذروا ربَّكم فيها ، فلا تُسْخِطوه عليها ، فيَحِلَّ بكم نقمتُه وعذابُه .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ . قال : البِدَعَ والشُّبُهاتِ[(1)] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبو أسامةَ ، عن شبلٍ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه[(2)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ ﴾ : البدعَ والشبهاتِ .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنا معاويةُ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ . وقولَه[(3)] : ﴿ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [الشورى : ١٣] . ونحوَ هذا فى القرآنِ ، قال : أمَر اللَّهُ المؤمنين بالجماعةِ ، ونهاهم عن الاختلافِ والفُرْقةِ ، وأخبَرهم أنه إنما هلَك مَن كان قبلَهم بالمِراءِ والخُصوماتِ فى دينِ اللَّهِ[(4)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ .

---

(١) تفسير مجاهد ص ٣٣١.

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥/١٤٢٢ (٨١٠٤) من طريق أبى أسامة به .

(٣) بعده فى النسخ : « و » . والمثبت نصُّ التلاوة .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٣/٣٦٠ وقد وقع فيه على الخطأ فى تلاوة الآية .

يقولُ : لا تتَّبِعوا الضَّلالاتِ[(١)] .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا الحِمَّانيُّ ، قال : ثنا حمادٌ ، عن عاصمٍ ، عن أبي وائلٍ ، عن عبدِ اللَّهِ ، قال : خطَّ لنا رسولُ اللَّهِ ﷺ يومًا خطًّا ، فقال : « هذا سبيلُ اللَّهِ » . ثم خطَّ عن يمينِ ذلك الخطِّ وعن شِمالِه خطوطًا ، فقال : « هذه سُبُلٌ ، على كلِّ سبيلٍ منها شيطانٌ يَدْعُو إليها » . ثم قرأ هذه الآيةَ : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾[(٢)] .

حدَّثني يونُسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِه : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ . قال : سبيلُه الإسلامُ ، وصراطُه الإسلامُ ، نهاهم أن يَتَّبِعوا السبلَ سِواه ، ﴿ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ عن الإسلامِ[(٣)] .

حدَّثني محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن أبانٍ ، أن رجلًا قال لابنِ مسعودٍ : / ما الصراطُ المستقيمُ ؟ قال : ترَكَنا محمدٌ ﷺ في أدْناه ، وطَرَفُه في الجنةِ ، وعن يمينِه جَوَادُّ[(٤)] ، وعن يسارِه جَوَادُّ ، وثَمَّ رجالٌ يَدْعُون مَن مرَّ بهم ، فمَن أخَذ في تلك الجَوَادِّ انْتَهَتْ به إلى النارِ ، ومَن أخَذ على الصراطِ انْتَهَى به إلى الجنةِ . ثم قرَأ ابنُ مسعودٍ : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا ﴾ الآيةَ[(٥)] .

٨٩/٨

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٢٢/٥ (٨١٠٣) عن محمد بن سعد به .

(٢) أخرجه الطيالسي (٢٤١) ، وأحمد ٢٠٧/٧ (٤١٤٢) ، والدارمي ١/ ٦٧، ٦٨ وابن أبي عاصم في السنة (١٧) ، والبزار (١٧١٨) ، والنسائي في الكبرى (١١١٧٤) ، من طريق حماد - وهو ابن زيد - به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٢٢/٥ (٨١٠٥) من طريق أصبغ ، عن ابن زيد .

(٤) الجوادُّ : الطرق . اللسان (ج د د) .

(٥) أخرجه المصنف في آداب النفوس ، كما في تفسير القرطبي ٧/ ١٣٨، وذكره ابن كثير في تفسيره ٣٦٢/٣ عن هذا الموضع من التفسير .

واختلفت القرأةُ في قراءةِ قولِه : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا ﴾ ؛ فقرأ ذلك عامةُ قرأةِ المدينةِ والبصرةِ وبعضُ الكوفيين : ﴿ وَأَنَّ ﴾ بفتحِ الألفِ مِن ﴿ أَنَّ ﴾ وتشديدِ النونِ[1] ، ردًّا على قولِه : ﴿ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ . بمعنى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ - ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا ﴾ .

وقرأ ذلك عامةُ قرأةِ الكوفيين : (وإنَّ) . بكسرِ الألفِ مِن « إنَّ » وتشديدِ النونِ منها[2] ، على الابتداءِ ، وانْقِطاعِها عن الأولِ ، إذ كان الكلامُ قد انْتَهَى بالخبرِ عن الوصيةِ التي أوْصَى اللَّهُ بها عبادَه دونَه ، عندَهم[3] .

والصوابُ مِن القولِ في ذلك عندى أنهما قراءتان مُسْتَفِيضتان في قرأةِ الأمصارِ وعوامِّ المسلمين ، صحيحٌ معنياهما ، فبأيِّ القراءتين قرأ القارئُ فهو مصيبٌ الحقَّ في قراءتِه . وذلك أن اللَّهَ تعالى ذكرُه قد أمَر[4] باتِّباعِ سبيلِه ، كما أمَر عبادَه الأشياءَ[5] ؛ وإن أدخَل ذلك مُدْخِلٌ فيما أمَر اللَّهُ نبيَّه ﷺ أن يقولَ للمشركين : تعالَوْا أتْلُ ما حرَّم ربُّكم عليكم وما أمَرَكم به . ففتَح على ذلك ﴿ أَنَّ ﴾ فمصيبٌ . وإن كسَرها ، إذ كانت التلاوةُ قولًا ، وإن كان بغيرِ لفظِ القولِ ؛ لبعدِها مِن قولِه : ﴿ أَتْلُ ﴾ . وهو يُريدُ إعمالَ ذلك فيه ، فمصيبٌ . وإن كسَرها بمعنى ابتداءٍ وانقطاعٍ عن الأولِ والتلاوةِ ، وأن ما أُمِر النبيُّ ﷺ بتلاوتِه على مَن أُمِر بتلاوةِ ذلك عليهم قد

---

(١) وهى قراءة ابن كثير ونافع وعاصم وأبى عمرو . السبعة لابن مجاهد ص ٢٧٣.

(٢) وهى قراءة حمزة والكسائى . ينظر المصدر السابق .

(٣) دونه عندهم : أى : دون النبى ﷺ عند من قرأ بكسر الألف من « وإن » ، وسيأتى مصرحا به فى كلام المصنف بعدُ .

(٤) فى ف : « أمرنا » .

(٥) فى م : « بالأشياء » .

انْتَهَى دونَ ذلك ، فمصيبٌ .

وقد قرَأ ذلك عبدُ اللَّهِ بنُ أبي إسحاقَ البصريُّ : (وأَنْ) . بفتحِ الألفِ مِن « أن » وتخفيفِ النونِ منها[1] ، بمعنى : ﴿قُلْ تَعَالَوْا [٨١٠/١ظ] أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ - (وأنْ هذا صراطى) . فخفَّفها ، إذ كانت « أن » فى قولِه : ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ مخففةً ، وكانت « أن » مِن قولِه : (وأنْ هذا صِراطى) . معطوفةً عليها ، فجعَلها نظيرةَ ما عُطِفَتْ عليه . وذلك وإن كان مذهبًا ، فلا أُحِبُّ القراءةَ به ؛ لشُذوذِها عن قراءةِ[2] قَرَأَةِ الأمصارِ ، وخلافِ ما هم عليه فى أمصارِهم[3] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى الَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ .

يعنى جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَٰبَ﴾ : ثم قلْ بعدَ ذلك يا محمدُ : آتى ربُّك موسى الكتابَ . فترَك ذِكْرَ « قل » إذ كان قد تقدَّم فى أولِ القصةِ ما يَدُلُّ على أنه مرادٌ فيها ، ذلك قولُه : ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ . فقصَّ ما حرَّم عليهم وأحَلَّ ، ثم قال : ثم قل : ﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى﴾ . فحذَف « قل » لدَلالةِ قولِه : ﴿قُلْ﴾ . عليه ، وأنه مرادٌ فى الكلامِ .

/وإنما قلنا : ذلك مرادٌ فى الكلامِ ؛ لأن محمدًا ﷺ لاشكَّ أنه بُعِث بعدَ موسى بدهرٍ طويلٍ ، وأنه إنما أُمِر بتِلاوةِ هذه الآياتِ على مَن أُمِر بتلاوتِها عليه بعدَ مَبْعَثِه ، ومعلومٌ أن موسى أُوتى الكتابَ مِن قبلِ أمْرِ اللَّهِ محمدًا بتلاوةِ هذه الآياتِ على مَن أُمِر بتلاوتِها عليه ، و « ثُمَّ » فى كلامِ العربِ حرفٌ يَدُلُّ على أن ما بعدَه مِن الكلامِ ٩٠/٨

(١) ينظر البحر المحيط ٤/ ٢٥٣. وهى قراءة ابن عامر من السبعة ، ويعقوب من العشرة . النشر ص ٢٠٠.

(٢) سقط من : ت ١، ت ٢، ت ٣، س، ف .

(٣) القراءة بذلك ليست شاذة ، بل متواترة كما خرجناها .

والخبرِ بعدَ الذى قبلَها .

ثم اختلَف أهلُ التأويلِ فى معنى قولِه : ﴿ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ ﴾ .

فقال بعضُهم : معناه : تمامًا على المحسِنين .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ ﴾ . قال : على المؤمنين[1] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ ﴾ : المؤمنين والمحسنين[2] .

وكأن مجاهدًا وجَّه تأويلَ الكلامِ ومعناه إلى أن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه أخبَر عن موسى أنه آتاه الكتابَ فضيلةً على ما آتَى المحسِنين مِن عبادِه .

فإن قال قائلٌ : فكيف جاز أن يقالَ : ﴿ عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ ﴾ . فيُوَحِّدُ ﴿ ٱلَّذِىٓ ﴾ ، والتأويلُ : على الذين أحسَنوا ؟

قيل : إن العربَ تَفْعَلُ ذلك خاصةً فى « الذى » وفى الألفِ واللامِ ، إذا أرادت به الكلَّ والجميعَ ، كما قال جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴾ [العصر : ١، ٢] . وكما قالوا : أَكْثَرَ [3]الدِّرْهَمُ فى[3] أيدى الناسِ .

وقد ذُكِر عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ أنه كان يَقْرَأُ ذلك : (تمامًا على الَّذين أحْسَنُوا)[4] . وذلك مِن قراءتِه كذلك يُؤَيِّدُ قولَ مجاهدٍ .

---

(١) تفسيرمجاهد ص ٣٣١، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٢٣/٥ (٨١١١) .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٦/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبى الشيخ .

(٣ - ٣) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣، س : « الذى هم فيه فى » .

(٤) أخرجه أبو عبيد فى فضائل القرآن ص ١٧١ عن حجاج ، عن هارون. وينظر مختصر الشواذ حالويه ص ٤٧.

وإذا كان المعنى كذلك، كان قولُه: ﴿ أَحْسَنَ﴾. فعلًا ماضيًا، فيكونُ نصبُه لذلك .

وقد يجوزُ أن يكونَ ﴿ أَحْسَنَ﴾ في موضعِ خفضٍ ، غيرَ أنه نُصِب ، إذ كان أفعلَ ، وأفعلُ لا يُجْرَى[1] في كلامِها .

فإن قيل : فبأيِّ شيءٍ خُفِض ؟

قيل : ردًّا على ﴿ ٱلَّذِىٓ﴾ ؛ إذ لم يَظْهَرْ له ما يَرْفَعُه .

فيكونُ تأويلُ الكلامِ حينَئذٍ : ثم آتَينا موسى الكتابَ تمامًا على الذى هو أحسنُ . ثم حُذِف « هو » ، وجاوَر « أحسن » « الذى » ، [2]فعُرِّب بتَعْرِيبِه[2] ، إذ كان كالمعرفةِ ؛ مِن أجلِ أن الألفَ واللامَ لا يَدْخُلانِه ، و « الذى » مثلُه ، كما تقولُ العربُ : مرَرْتُ بالذى خيرٍ منك وشرٍّ منك . وكما قال الراجزُ[3] :

إن الزُّبَيرىَّ الذى مِثْلَ الحَلَمْ[4]

مَشَّى[5] بأسْلابِكُم أهلَ العَلَمْ[6]

فأَتْبَع « مِثْلَ » « الذى » فى الإعرابِ ، ومَن قال ذلك لم يَقُلْ : مرَرْتُ بالذى عالمٍ . لأن « عالمًا » نكرةٌ ، و « الذى » معرفةٌ ، ولا تَتْبَعُ نكرةٌ معرفةً .

وقال آخرون : معنى ذلك : ﴿ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾ : موسى فيما امْتَحَنه اللَّهُ به فى الدنيا مِن أمرِه ونهيِه .

---

(١) الإجراء : الصرف . كما تقدم قبل .

(٢ - ٢) فى م : « فعرف بتعريفه » ، وفى ت ١ : « نعرف سعريه » ، وفى ت ٢ ، ت ٣ ، س : « يعرب بتعريبه » .

(٣) معانى القرآن للفراء ١/ ٣٦٥ ، غير منسوب لقائل .

(٤) الحلم ، جمع حَلَمَة : وهى الصغيرة من القِردان . اللسان (ح ل م) .

(٥) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « مسى » .

(٦) العلم : الجبل . اللسان (ع ل م) .

ذكرُ مَن قال ذلك

/حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ ﴾ : فيما أعْطاه اللَّهُ[1] .

٩١/٨

حدَّثني محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ : ﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ ﴾ . قال : مَن أحْسَنَ في الدنيا تَمَّم اللَّهُ له ذلك في الآخرةِ[2] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ ﴾ . يقولُ : مَن أحْسَن في الدنيا تَمَّت عليه كرامةُ اللَّهِ في الآخرةِ .

وعلى هذا التأويلِ الذي تأوَّله الربيعُ يكونُ ﴿ أَحْسَنَ ﴾ نصبًا ؛ لأنه فعلٌ ماضٍ . و ﴿ ٱلَّذِىٓ ﴾ بمَعْنى « ما » . وكان الكلامُ حينَئذٍ : ثم آتَيْنا موسى الكتابَ تمامًا على ما أحْسَن موسى . أىْ : آتَيْناه الكتابَ لأُتَمِّمَ له كرامتى في الآخرةِ ، تمامًا على إحسانِه في الدنيا في[3] عبادةِ اللَّهِ والقيامِ بما [4]كلَّفه به[4] مِن طاعتِه .

وقال آخرون في ذلك : معناه : ثم آتَيْنا موسى الكتابَ تمامًا على إحسانِ اللَّهِ إلى أنبيائِه وأيادِيه عندَهم .

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٢٣/٥ (٨١١٣) من طريق عبد الله بن أبي جعفر به .

(٢) تفسير عبد الرزاق ٢٢١/١، ٢٢٢ - ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٢٣/٥ (٨١١٢) - عن معمر به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٦/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٣) في ص ، ت ١، ت ٢، ت ٣، ف : « وفي » .

(٤ - ٤) في ص ، ف : « كلفه » وفي ت ١، ت ٢، ت ٣، س : « كلفته » .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني يونُسُ، قال: أخبَرَنا ابنُ وهبٍ، قال: قال ابنُ زيدٍ في قولِه: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾. قال: تمامًا مِن اللَّهِ وإحسانِه الذي أحْسَن إليهم وهدَاهم للإسلامِ، آتاهم[1] ذلك الكتابَ تمامًا لنعمتِه عليهم وإحْسانِه[2].

و﴿أَحْسَنَ﴾ على هذا التأويلِ أيضًا في موضعِ نصبٍ على أنه فعلٌ ماضٍ، و ﴿ٱلَّذِىٓ﴾ على هذا القول والقولِ الذي قاله الربيعُ بمَعْنَى «ما».

وذُكِر عن يحيى بنِ يَعْمَرَ أنه كان يَقْرَأُ ذلك: (تمامًا على الذي أحْسَنُ)[3]. رفعًا، بتأويلِ: على الذي هو أحسنُ.

حدَّثني بذلك أحمدُ بنُ يوسُفَ، قال: ثنا القاسمُ بنُ سلَّامٍ، قال: ثنا حجّاجٌ، عن هارونَ، عن أبي عمرِو بنِ العَلاءِ، عن يحيى بنِ يَعْمَرَ[4].

قال أبو جعفرٍ: وهذه قراءةٌ لا أَسْتَجِيزُ القراءةَ بها وإن كان لها في العربيةِ وجهٌ صحيحٌ؛ لخلافِها ما عليه الحُجَّةُ مُجْمِعةٌ مِن قرأَةِ الأمْصارِ.

وأولى هذه الأقوالِ عندى بالصوابِ قولُ مَن قال: معناه: ثم آتَيْنا موسى الكتابَ تمامًا لنِعَمِنا عندَه، على الذي أحسَنَ موسى في قيامِه بأمرِنا ونهْيِنا؛ لأن ذلك أظهرُ معانيه[5] في الكلامِ، وأن إيتاءَ موسى كتابَه نعمةٌ مِن اللَّهِ عليه، ومنةٌ عظيمةٌ، فأخبَر جلَّ ثناؤُه أنه أنْعَم بذلك عليه لِما سلَف له مِن صالحِ عملٍ، وحُسنِ طاعةٍ، ولو

---

(١) في م: «وآتاهم».

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٢٣/٥ (٨١١٠) من طريق أصبغ عن ابن زيد به.

(٣) وهي قراءة شاذة لم يقرأ بها أحد من القراء العشرة.

(٤) ينظر المحتسب ص ٢٣٤.

(٥) بعده في ص، ت ١، ت ٢، ت ٣، س، ف: «و».

كان التأويلُ على ما قاله ابنُ زيدٍ ، كان الكلامُ : ثم آتينا موسى الكتابَ تمامًا على الذى أحْسَنَّا . أو : ثم آتى اللَّهُ موسى الكتابَ تمامًا على الذى أحْسَنَ . وفى وصفِه جلَّ ثناؤه نفسَه بإيتائِه الكتابَ ، ثم صَرْفِه الخبرَ بقولِه : ﴿ أَحْسَنَ ﴾ . إلى غيرِ المخْبِرِ عن نفسِه ؛ بقُرْبِ ما بينَ الخبرين - الدليلُ الواضحُ على أن القولَ غيرُ[1] الذى قاله ابنُ زيدٍ .

وأما ما ذُكِر عن مجاهدٍ مِن توجيهِه ﴿ ٱلَّذِىٓ ﴾ إلى معنى الجميعِ ، فلا دليلَ فى الكلامِ يَدُلُّ على صحةِ ما قال مِن ذلك ، بل ظاهرُ الكلامِ بالذى اخْتَرْنا مِن القولِ أشْبَهُ ، وإذا تُنُوزِع فى تأويلِ الكلامِ ، كان أوْلَى مَعانِيه به أغْلَبَه على الظاهرِ ، إلا أن يكونَ مِن العقلِ أو الخبرِ دليلٌ واضحٌ على أنه مَعْنِىٌّ به غيرُ ذلك .

٩٢/٨ /وأما قولُه : ﴿ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ . فإنه يَعْنى : وتَبْيِينًا لكلِّ شىءٍ مِن أمرِ الدينِ الذى أُمِروا به .

فتأويلُ الكلامِ إذن : ثم آتَيْنا موسى التوراةَ تمامًا لنِعَمِنا عندَه ، وأَيادِينا قِبَلَه ، تَتِمُّ به كرامتُنا عليه ، على إحسانِه وطاعتِه ربَّه ، وقيامِه بما كلَّفه مِن شرائعِ دينِه ، وتَبْيِينًا لكلِّ ما بقومِه[2] وأتباعِه إليه الحاجةُ مِن أمرِ دينِهم .

كما حدَّثنى بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ : فيه حلالُه وحرامُه[3] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : آتَيْنا موسى الكتابَ تمامًا وتفصيلًا لكلِّ شىءٍ ،

---

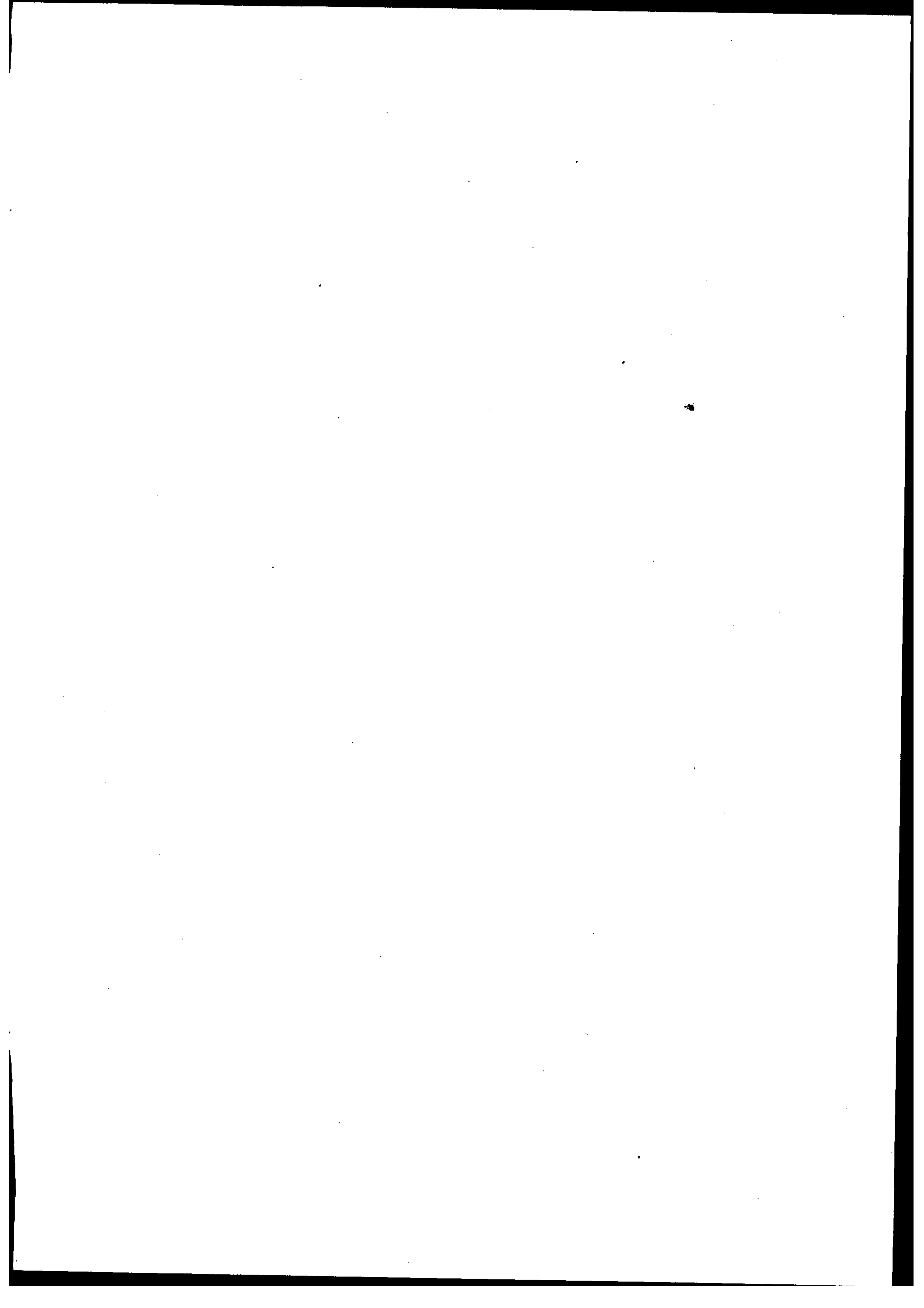
(١) بعده فى م : « القول » .

(٢) فى م : « لقومه » ، وفى س : « تقومه » ، وفى ف : « يقومه » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٢٣/٥ (٨١١٤) من طريق يزيد به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٦/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبى الشيخ .

﴿ وَهُدًى﴾ . يعنى بقولِه ﴿ وَهُدًى﴾ : تقويمًا لهم على الطريقِ المستقيم ، وبيانًا لهم سُبُلَ الرشادِ ؛ لئلا يَضِلُّوا . ﴿ وَرَحْمَةً﴾ . يقولُ : ورحمةً منا بهم ، ورأْفَةً ؛ لنُنْجِيَهم مِن الضلالةِ وعَمَى الحيرَةِ .

وأما قولُه : ﴿ لَعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ . فإنه يعنى : إيتائى موسى الكتابَ تمامًا لكرامةِ اللَّهِ موسى على إحسانِ موسى ، وتفصيلًا لشرائعِ دينِه ، وهدًى لمَن اتَّبعه ، ورحمةً لمن كان منهم ضالًّا ؛ ليُنْجِيَه اللَّهُ به مِن الضَّلالةِ ، وليُؤْمِنَ بلقاءِ ربِّه إذا سمِع مَواعظَ اللَّهِ التى وعَظ بها خَلْقَه فيه ، فيَرْتَدِعَ عما هو عليه مقيمٌ مِن الكفرِ به ، وبلقائِه بعدَ مَماتِه ، فيُطِيعَ ربَّه ، ويُصَدِّقَ بما جاءه به نبيُّه موسى عليه السلامُ .



فهرس الجزء التاسع

تابع تفسير سورة المائدة

الموضوع الصفحة

تم بحمد الله ومنّه الجزء التاسع

ويليه الجزء العاشر وأوله :

القول فى تأويل قوله : ﴿ وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ﴾ .

رقم الإيداع ١٣٢٣٨/٢٠٠١

مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية
بدار هجر
الدكتور عبد السند حسن يمامة
مكتب : ٤ ش ترعة الزمر – المهندسين – جيزة
ت : ٣٢٥١٠٢٧
مطبعـــة : ٣٢٥٢٥٧٩ – فاكس : ٣٢٥١٧٥٦